

اَنْتِلَةُ الرَّحْمَنِ

فِي مَغَازِي خَيْرِ الْوَرَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شرح العلامة المحيّي الأضرليّ الفقيّه

القاضي حسين بن محمد المشاط

قدّم له بدراسة

أ.د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

دار المنهاج

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، وبأي شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتراس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من (رحمنى علماً



ص.ب 118725 جدة 21312
جوال 0504354310
تليفاكس 6900263
www.zedni.com



دار المنهاج

لبنان - بيروت - فاكس ٧٨٦٢٣٠
ص.ب ٥٥٧٤ / ١٣ / بيروت

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة للناسر

طبعة جديدة مصححة ومراجعة

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمة بنت سالم بن جحيف
وَقَفَّه اللهُ تَعَالَى

جدة - هاتف رئيسي ٦٣٢٦٦٦٦ - فاكس ٦٣٢٠٣٩٢

الإدارة ٦٣١١٧١٠ - المكتبة ٦٣٢٢٤٧١

الموزعون والمعتمدون

السعودية: دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة
هاتف: ٦٣١١٧١٠ - فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
مكتبة دار كنوز المعرفة - جدة
هاتف: ٦٥١٠٤٢١ - فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
مكتبة الشفيقي - جدة - هاتف: ٦٨٩٣٦٣٨
مكتبة المأمون - جدة - هاتف: ٦٤٤٦٦١٤
مكتبة الأسد - مكة المكرمة - هاتف: ٥٥٧٠٥٠٦
مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة - هاتف: ٥٧٤٩٠٢٢
مكتبة المصيف - الطائف - هاتف: ٧٣٣٠٢٤٨ - ٧٣٦٨٨٤٠
مكتبة الزمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
مكتبة البيكان - الرياض - هاتف: ٤٦٥٠٠٧١ - ٤٦٥٤٤٢٤
مكتبة الرشد - الرياض - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
مكتبة جريب - الرياض - هاتف: ٤٦٦٦٠٠٠
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية - الرياض - هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
دار أطلس - الرياض - هاتف: ٤٢٦٦١٠٤
مكتبة المتنبى - الدمام - هاتف: ٨٤١٣٠٠٠

الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دبي للتوزيع - دبي
هاتف: ٢٢١١٩٤٩ - ٢٢٢٤٠٠٥ - فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
دار الفقيه - أبو ظبي - هاتف: ٦٦٧٨٩٢٠ - فاكس: ٦٦٧٨٩٢١
مكتبة الجامعة - أبو ظبي - هاتف: ٦٢٧٢٧٢٦ - ٦٢٧٢٧٩٥
الكويت: دار البيان - الكويت
هاتف: ٢٦١٦٤٩٠ - فاكس: ٢٦١٦٤٩٠
دار الضياء للنشر والتوزيع - الكويت - تليفاكس ٢٦٥٨١٨٠
قطر: مكتبة الأقصى - الدوحة
هاتف: ٤٤٣٧٤٠ - ٤٣١٦٨٩٥
مصر: دار السلام - القاهرة
هاتف: ٢٧٤١٥٧٨ - فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
سوريا: دار السنابل - دمشق
هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣ - فاكس: ٢٢٣٧٩٦٠
جمهورية اليمن: مكتبة تريم الحديثة - تريم (اليمن)
هاتف: ٤١٧١٣٠ - فاكس: ٤١٨١٣٠
مكتبة الإرشاد - صنعاء - هاتف: ٢٧١٦٧٧
لبنان: الدار العربية للمعلوم - بيروت
هاتف: ٧٨٥١٠٧ - ٧٨٥١٠٨ - فاكس: ٧٨٦٢٣٠

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

اِنَّكَ اَنْتَ الْبَاقِي

فِي مَغَازِي خَيْرِ الْوَرَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنْسَانُ الدَّجَى

فِي مَغَازِي حَيَّرَ الْوَرَى *

شَرْحُ الْعَلَامَةِ الْمُحَدَّثِ الْأُصُولِيِّ الْفَقِيهِ الْقَاضِي حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَشَاطِ
لِمَنْظُومَةِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ السَّنْقِيطِيِّ فِي الْمَغَازِي (ت ١٢٢٠ هـ تقريباً)

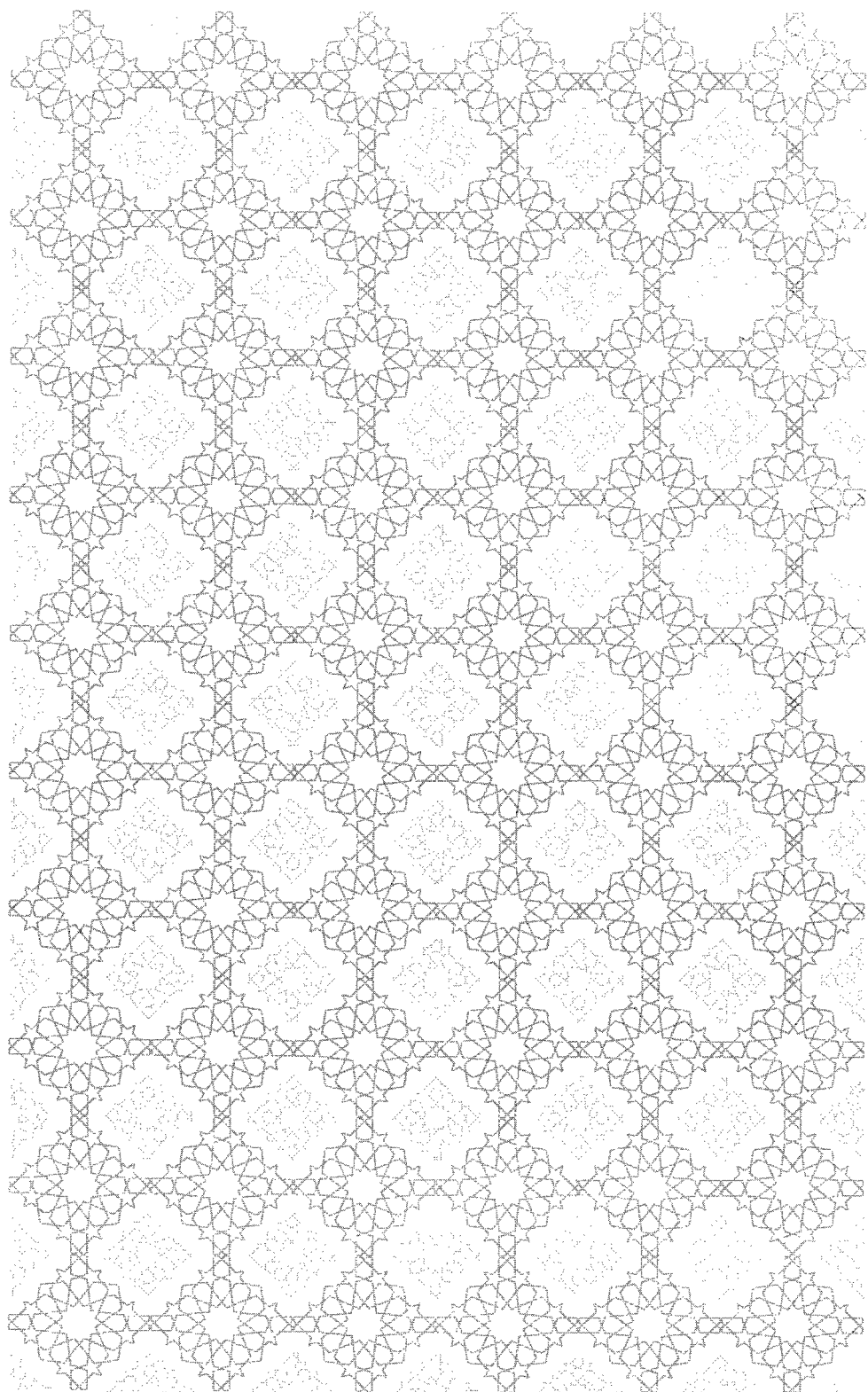
هَذَا الْكِتَابُ سَمَا كَالشَّمْسِ فِي الْأُفُقِ
لأَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الْمَجْلِسِيِّ بِهِ
وَشَيْخُنَا حَسَنُ الْمَشَاطِ أَوْضَحَهُ
أَسْمَاهُ بِاسْمِ جَمِيلٍ عَلَّ نَيْتَهُ
أَنَارَ فِيهِ الدُّجَى بِمَا الْحَيِّبُ غَزَا
مَنْ اسْمُهُ حَسَنٌ وَالْحُسْنُ دَيْدَنُهُ
أَمْ الْقُرَى شَهِدَتْ وَالْبَيْتُ وَالْحَرَمُ
يَقْضِي بِمَكَّةَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
وَرَارَنَا فِي بِلَادِ الشَّامِ حِينَ أَبِي
أَجَارَهُ بِعُلُومِ كَالْحَدِيثِ أَضِفْ
وَيُنَنَّا نَسَبٌ مَا زَالَ مُتَّصِلًا
حَفِيدُهُ الْبَارِعُ الْمَحْمُودُ طُوبَى لَهُ
بَطْبَعِهِ وَبِنَشْرِ الْعِلْمِ مُحْتَسِبًا
وَانْفَعِ إِلَهِي بِهِذَا السُّفَرِ قَارِئُهُ
عَلَيْهِ صَلِّ عَلَى أَصْحَابِهِ مَدَدًا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَمٍ
محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز عيون السود، الشَّيْبَانِي

(١) الْبَحْثُ : الصِّرْفُ ، الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَاحَثَهُ الْوُدُّ : خَالَصَهُ .



القسم الأول

الترجمة - الدراسة



ترجمة الشارح

فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط^(١)

١٣١٧ - ١٣٩٩ هـ

ولد رحمه الله تعالى بمكة المكرمة ، عام (١٣١٧هـ) نشأ في أحضان أسرة علمية من أسر مكة العريقة (آل مشاط)^(٢) ، تلقى تعليمه في رحابها المباركة بالمدرسة الصولتية ، وبالمسجد الحرام على يد العلماء الأكابر^(٣) ، وقد أبدى أثناء تحصيله العلم تفوقاً ونبوغاً في الدراسة ، أهلاه لأن يكون معاوناً في الدروس الابتدائية أثناء تعلمه^(٤) .

أقبل على العلم بكليته ، شغف به صبيّاً ، وشابّاً يافعاً ، وتضاعف شغفه وولعه به كهلاً ، وشيخاً ، فكان شريط حياته تعلماً وتعليماً ، استفادة وإفادة .
شجعه على هذا التوجه والاتجاه والداه الكريمان ، ومن بعدهما زوجه المصون رحمهم الله تعالى ؛ إذ هيّؤوا له جوّاً عائلياً يعبق بالحب ، ويشع بالطهر والصفاء ، في رعاية أسرية حانية^(٥) .

(١) قد ترجم لفضيلته ترجمة موسعة في كتابه : « الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة » دراسة وتحقيق تلميذه عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، والمدون هنا رؤوس الموضوعات هناك ، وتتم الإشارة بالهامش هنا عن مواطن وجودها في تلك الدراسة .

(٢) انظر (الفصل الأول : مؤلف الكتاب : ولادته ، ونشأته) من دراسة كتاب « الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة » (الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، عام ١٤٠٦) ، (ص ١٧) .

(٣) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٣٢) .

(٤) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٢٠ ، ٢٦) .

(٥) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ١٨ - ٢٢ - ٢٤) .

حَفَّتْهُ العناية الإلهية سنوات تحصيله ، فأوجدت منه محدثاً كبيراً ، فقيهاً مالكياً ، وأصولياً نحريراً ، عالماً من علماء السيرة النبوية ، متضلعا من العلوم العربية ، متحققاً بسلوك علماء الآخرة ، كل هذا في خشية العالم وتواضعه ، وورعه وتقواه ، منصرفاً عن الدنيا ومظاهرها ، عفيف اليد واللسان ، كثير الذكر والتأمل^(١) .

رحل إلى كثير من البلاد العربية : مصر ، والشام ، وفلسطين ، ولبنان ، والسودان ، فتعرّف على علمائها ، فأجازوه وأجازهم ، لم ينقطع عن إفادة الناس فيها ، وعقد حلقات الدروس في مساجدها ، فحلّ بين أهلها عالماً مبجلًا^(٢) .

أمّا تلاميذه النبغة العلماء . . فهم كثر ، ليسوا في مكة وديار الحجاز فقط ، بل في البلاد الإسلامية بعامة ، وجزيرة العرب بخاصة ، في أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، ولهم نتاج علمي غزير ، ومؤسسات علمية كثيرة ، نشرت النور والمعرفة في أصقاع تلك البلاد .

أمّا حياته العملية والوظيفية . . فإنّ تاريخ مكة العلمي والتربوي يعتز به واحداً من كبار العلماء المدرّسين ، الذين كان تعليم أبناء المسلمين هوايتهم ، يبتغون به وجه الله ، فتخرّجت بهم أجيال من العلماء والمفكرين والمثقفين^(٣) .

اشتغل بالقضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة زهاء خمسة عشر عاماً ، من عام (١٣٦١) إلى عام (١٣٧٥) كان مثال النزاهة والعفة والعدل ، له مواقف قضائية تاريخية ، تشهد له بسداد الرأي ، والتوفيق - بفضل من الله - إلى الحكم الصواب^(٤) .

(١) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٢٥) .

(٢) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٢٨ - ٣٢ - ٥٤) .

(٣) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٣٦ - ٤٤) .

(٤) انظر قسم الدراسة لـ « الجواهر الثمينة » (ص ٤٥ - ٥١) .

فلا غرو أن يكون علماً بارزاً بين العلماء المكيين ، ذا مكانة رفيعة في الوسط العلمي ، والمجتمع المكي ، رحمه الله رحمة الأبرار ، وأدخله جنته مع النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا .

نشاطه العلمي :

درس بالحرم الشريف ، والمدرسة الصولتية ، وبمنزله ، لعقود طويلة ، منذ شبابه حتى مرحلة شيخوخته ومرضه الذي انتقل بعده إلى جوار ربه ، رحمه الله .

استمرّ يدرس بالحرم الشريف دروساً خاصة وعامة ببرنامج زمني ، يكاد يكون نظام العلماء والمدرّسين في هذا المكان المبارك منذ قرون ، أمّا العلوم . . فإنّها تختلف من عالم لآخر حسب تمكّنه واتجاهه^(١) .

أمّا البرنامج العلمي والزمني لفضيلة الشيخ حسن محمد مشاط ، وما دأب عليه تلاميذه وروّاده . . فهو كالآتي :

دروس ما بين المغرب والعشاء :

يخصّص النصف الأول لهذه الفترة لتدريس الفقه المالكي لمجموعة من الطلاب ، محدودة العدد ، وآخر مجموعة من الدارسين هذا المذهب قد تدرّج بهم من كتب المبادئ في المذهب ، مثل : « متن الأخضري » في الفقه ، و« منظومة ابن عاشر » ، و« متن الرسالة » ، حتى منتهياً بها بدراسة « متن سيدي خليل المالكي » .
يخصص النصف الثاني لما بين المغرب والعشاء لدرس عام ، يحضره الخاصة والعامة لتدريس أحد كتب الصحاح الستة ، دراسة علمية محققة للسند والمتن وفقه الحديث ، وقد درسها مرات عديدة متكررة ، والكتب بأيدي الطلاب يدنون عنه الفوائد والنكات العلمية .

(١) انظر قسم الدراسة لـ« الجواهر الثمينة » (ص ٥٢) .

والدرس بعد صلاة العشاء : يخص الليالي الثلاث الأولى من الأسبوع لتدريس اللغة العربية ، والليلتين الأخيرتين - ليلة الأربعاء والخميس - لتدريس مادة أصول الفقه ، وقد درس عليه الطلاب في هذه العلوم كتب البدايات حتى النهايات .

عدد الدارسين في هذه العلوم وهذه الفترة عدد محدود من طلاب العلم المداومين .

أمّا ليلتا الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع . فقد اعتاد علماء المسجد الحرام اتخاذهما إجازة أسبوعية .

وعادة ما يتدثّن الدروس ويختمونها بالدعاء مستقبلين الكعبة المشرفة ، وما أن يرتفع صوت الحق بأذان العشاء . حتى تتوقف كافة الدروس ، وترتفع الأيدي بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ .

هذه صورة تحكي واقعاً يومياً مشهوداً كل مساء في المسجد الحرام ، ليس فيما يخص فضيلة الشيخ حسن محمّد المشاط ، بل هو صحيح بالنسبة لكافة العلماء الذين كانت تمتلئ ساحات المسجد الحرام وأروقته بدروسهم وحلقاتهم العلمية ، أمثال الشيخ محمد العربي التباني ، والسيد علوي مالكي ، والسيد محمّد أمين كتبي ، والشيخ محمّد نور سيف ، والشيخ عبد الله دردوم ، والشيخ محمّد مرداد ، وغيرهم كثير ، حسب برنامج علمي من الدروس الشرعية واللغوية يختص به كل واحد منهم .

نشاطه التأليفي^(١) :

مؤلفات الشيخ حسن محمّد المشاط رحمه الله شاهد حي ، يحكي تمكنه في العلوم التي ألّف فيها ، كما أنّها تدل أصالة على مقدار عمقه في علوم الآلة : اللغوية ، والبيانية التي لا تستقيم العلوم الشرعية بدونها .

(١) انظر قسم الدراسة لـ «الجواهر الثمينة» (ص ٥٧ - ٧٢) .

ألّف في أصول الحديث كتابي :

« رفع الأستار عن مخدرات طلعة الأنوار » .

و « شرح المنظومة البيقونية » .

وكلاهما كتابان معتبران ، ينالان الاهتمام الدائم من الدارسين في معظم الأقطار الإسلامية ، كما كان في الماضي عندما كان المؤلف على قيد الحياة ، وقد طبعا مرات عديدة نالا تدقيق المؤلف ، ومراجعته وتحقيقه .

ألّف في الفقه على طريقة المحدثين كتابين هما :

١ - « إسعاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان » .

٢ - « إسعاف أهل الإسلام بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام » .

هما كتابا حديث وفقه في موضوعهما ، وقد طبعا لعدة مرات ، وكان لهما الحظ الوافر من مراجعة المؤلف وتحقيقاته ، حظيا بتدريسهما لطلابه في مناسباتهم الدينية لمرات عديدة .

كان رحمه الله تعالى عالماً من علماء الحديث المشهود لهم في هذا المجال ، وعالماً من علماء أصول الفقه ، قد أنتج في هذا المجال العلمي كتابه :

« الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة »^(١) ، وقد طبع طبعين .

وحاشية موسعة على « لب الأصول » .

ألّف في العقيدة :

« البهجة السنية في شرح الخريدة في علم التوحيد » طبع باندونيسيا ، يدرس في معاهدها ومؤسساتها التعليمية .

(١) طبع طبعين عام (١٤٠٦) وعام (١٤١٢) بتحقيق تلميذه عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان .

درس بالحرم الشريف شروح « ألفية ابن مالك » كابن عقيل ، والمكودي ،
وحواشيها مرات عديدة ، مدوّنًا تاريخ تدريسه لها على صفحات النسخ التي درس
فيها ، وكذلك علوم البلاغة ، غير أنّه لم يؤلف فيهما .

وقد ظهرت آثار هذه الدراسات العلمية المتنوعة واضحة في شرحه لهذه
المنظومة .

تجلّت قدراته اللغوية رحمه الله في التحليل اللغوي للمنظومة عندما يحتاج النظم
إلى ذلك ، حيث ضرورات النظم توجب تقديم ما حقه التأخير ، وتأخير ما حقه
التقديم ، فيستوجب هذا بيان وضع كل عبارة أو جملة في موضعها الصحيح ، ومن
ثمّ إعرابها لتوضيح معناها .

إن اطلّاعه الواسع ، وقدراته الرفيعة في علم الحديث سنداً ومتناً . أضاف إلى
النظم من الوقائع والأحداث ما لا يوجد إلّا في كتب الحديث ، وما لا يعرفه إلّا
المحدث الضليع ، فهو على ذكر ممّا هو مدوّن في هذه المدونات ، وما يذكره
علماء السيرة النبوية ، وقد يتخلل هذا : تعارض الروايات ، والأحداث ،
والوقائع ، فيفحصها حسب القوانين العلمية الأصولية ، وقد وفق رحمه الله تعالى في
هذا الجانب كل التوفيق .

وملكاته الفقهية والأصولية قدمت للقارئ معلومات فقهية مهمة كلّما وادت
مناسبة لذكرها .

الدراسة

شروح المنظومة :

يوجد شرح آخر لهذه المنظومة للعلامة الشيخ حماد الأمين الشنقيطي ، وقد ذكر
الشيخ حسن محمّد المشاط هذا الشرح ، واطّلع عليه ، واستفاد منه ، وذكر منهجه

وطريقته ، وأنه من جملة ما اعتمده في شرحه ، ولكنه اتخذ منهجاً آخر مستقلاً ، هو ما وضحه بقوله :

(وقد اعتمدت في هذا الشرح على شرح العلامة الشيخ حمّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم ، وهو شرح على طريقة المتقدمين ، غير مزج ، يذكر جملة من أبيات النظم ، ويتكلم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب ، والولوج في كل فن وباب)^(١) .

مصادر الشرح « إنارة الدجى في مغازي خير الورى » :

خصَّ الشارح رحمه الله تعالى المقدمة الثالثة بذكر أشهر من ألف في المغازي ، وبيّن المصادر التي اعتمدها بشكل رئيس ، وذكر من بينها شرح العلامة الشيخ حمّاد بن الأمين الشنقيطي ، وبيّن منهجه في شرح هذه المنظومة ، وقد سلك المؤلف رحمه الله تعالى منهجاً مغايراً ؛ فقد كان الأول يعتمد وحدة موضوعية من الأبيات ، ثمّ يتحدث عن موضوعها جملة ، دون تعرض لتحليل الأبيات ومدلولاتها ، في حين أنّ الشارح هنا يعتمد الأسلوب التحليلي لكل جملة وعبارة في النظم ، وبيان مؤداها ومدلولاتها .

وقد ظهر اعتماده على أهم مدونات السيرة النبوية وأكثرها اعتماداً عند علماء هذا الفن ، بل أكثر الاعتماد على ابن إسحاق ، والحافظ اليعمرى ، و« روض النهاية » وهي مصادر أصلية ذات وزن كبير في هذا العلم ، علماً بأنّ الشارح رحمه الله تعالى قد أسعفته ملكاته العلمية ، وعمقه في علم الحديث أن يكون من بين مصادره المنشورة في هذا الشرح : « الصحيحان » بشكل خاص ، وبقية كتب الصحاح بشكل عام ، وكتب شروح الحديث مثل « فتح الباري » وغيره .

(١) (ج ١ ، ص ٦) .

فمن ثم أصبح الشرح موسوعة مصغرة للأحداث والوقائع النبوية من مصادر صحيحة موثقة .

صلة الشارح رحمه الله بمنظومة المغازي ، وتحقيقه نصوصها :

علاقة الشارح رحمه الله تعالى بهذه المنظومة علاقة حفظ ودرس ، وأكثر من هذا هي علاقة عشق وهيام ، فقد كانت من جملة محفوظاته التي اهتم بها في شبابه ، واعتنى بها حفظاً ، ودرساً ، وتديساً ، وكتابةً ، وشرحاً على مدى مسيرة حياته رحمه الله ، وقد أحبها لأسباب عديدة :

أولاً : لموضوعها ، فهي عرض أمين ، وإبراز لمواقف البطولة شاخصة وممثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم .

ثانياً : سلاسة عبارتها ، وسهولة حفظها .

وقد سجل إعجابه بها كتابةً عندما ترجم لناظمها رحمه الله تعالى ؛ إذ أثنى عليها ، وسماها : « فصل الخطاب » في هذا الموضوع ، وعدها متفوقة على سابقتها « الدرة السنية في المعالم السنية » من تأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي ، المعروف بابن المناصف ، الذي بلغ سبعة آلاف بيت من الرجز^(١) .

وللحديث عمّا تميزت به هذه المنظومة يقول :

(قلت : ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب ، والآية في الإعجاب ، لا تدع شاذة ولا فاذة من عيون المغازي . . إلّا أتت عليها بأبداع أسلوب ، وألسن تعبير ، فهي الفريدة في بابها ، الممتعة لطلابها ، وها هي ذي بين أيدينا ترفل في أبواب

(١) انظر « إنارة الدجى في شرح مغازي خير الورى » (ج ١ ، ص ٦٩) .

حسنها ، مدبجة بكلام الحفاظ والمهرة ، من نقدة أهل هذا الشأن ، فليحكم لها ، أو عليها^(١) .

وقد كان لها النصيب الموفور من قراءته وتدرسه لها ، وكثيراً ما كان يستشهد بها في دروسه ومجالسه ، ويحث طلابه على حفظها .

قرأ هذه المنظومة ، وصححها على يد شيخه الشيخ محمد عبد الله زيدان^(٢) ، ولم تكن النسخة التي استنسخها الوحيدة ، بل كانت هناك نسخة أخرى هي نسخة الشيخ حمّاد ، وتختلف أحياناً عن نسخته ، تعلق الشارح رحمه الله تعالى تعلقاً شديداً بهذه المنظومة جعله يقارن بين نسخته وبين ما هو موجود في النسخة الأخرى ، وقد ذكر بعض هذه المخالفات ، ونوّه عنها في شرحه ، من هذه المواضع :

١ - أسماء الذين ثبتوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في يوم هوازن (ج ٢/ ص ٢٤١ ، ٢٤٤) .

٢ - الاختلاف في صدر البيت ، ففي نسخته يذكر أوّله :

ومعتب نجل قشير قالاً وعدنا النبي أن ننالاً
وأن في بعض النسخ :

وابن قشير معتب قال أما وعدنا محمد أن نغنماً
وعقب على هذا قائلاً : (والخطب سهل ، والمعنى واحد) (ج ١/ ص ٢٨٠) .

وهو بهذا التدقيق لنصوص المنظومة يبرهن على عنايته بتحقيق نصوصها تحقيقاً علمياً سليماً .

(١) انظر « إنارة الدجى » (ج ١ ، ص ٧٠) .

(٢) انظر « إنارة الدجى » (ج ٢ ، ص ٢٤٤) .

منهج الشارح رحمه الله تعالى :

أولاً : قدم الشارح رحمه الله لشرحه لمنظومة المغازي بمقدمات تعريفية مهمة ، يحتاج إليها دارس هذا العلم ، مبتدئاً حسب الترتيب الآتي :

١ - ترجمة الناظم ، والتعريف بمكانته العلمية ، وجهوده في التأليف في فن المغازي ، والأنساب .

٢ - مشروعية الجهاد ، وقد وضع هنا التدرّج التشريعي في هذه الشعيرة الإسلامية المهجورة .

٣ - في المغازي وفضل تعليمها .

٤ - في أشهر من أُلّف في المغازي ، وقد أتى على ذكر أهمها ، منذ القرن الأول الهجري . . حتى القرن الحادي عشر الهجري .

ثانياً : من المعلوم أنّ النظم لا يتّسع لتفصيل الأحداث والوقائع ، وأقصى ما يمكن هو التصريح إجمالاً لأهم الأحداث ، وما عدا هذا فيكتفى عنه بالإشارة والرمز ، فمن ثمّ سلك الشارح رحمه الله تعالى لبيان التفاصيل والإسهاب فيها طريقتين مختلفتين :

أ - يسرد الحدث كاملاً برواياته ، وكافة وقائعه ، في عبارة نثرية متسلسلة ، وفي النهاية يذكر : أنّ هذا هو ما عناه الناظم من البيت التالي ، أو الأبيات التالية ، وبهذا يكون القارئ على إلمام بالمقصود ، من كل حرف وكلمة في النظم ، ثم يعرج بعد هذا على تحليل النظم ، تحليلاً لغوياً بيانياً .

ب - وأحياناً يقدم تحليل النظم تحليلاً لغوياً ، وبيانياً كاملاً ، وبعد هذا يأخذ في سرد موضوع النظم في عبارة نثرية متسلسلة ، مترابطة الأحداث بعبارته ، والاستشهاد لعرضه من كتب الحديث والسيرة النبوية .

والمعيار في هذا التراوح عند الشارح : هو علاقة الحدث بما ذكر قبله ، أو ما يذكر بعده .

ثالثاً : استكمال الأحداث والوقائع التي لم يتأتَّ للناظم عرضها ، والحديث عنها ، من ذلك :

أ - عمرة القضاء : توقف الناظم عند عقد الصلح (ج ٢/ ص ١٣٨) دون أن ينوّه عن عمرة القضاء ، فرأى الشارح رحمه الله تعالى أنَّ الحديث عن عمرة القضاء ، وما جرى فيها من وقائع . . يعد جزءاً مهماً لاستكمال صلح الحديبية ونتائجه البالغة على المسلمين ، فمن ثمَّ تحدث عنها بالتفصيل .

كذلك لم يعرض الناظم للأحداث التي وقعت للمسلمين لما وصلوا إلى تبوك ، (ج ٢/ ص ٢٩٤) وقد تنبَّه لها الشارح رحمه الله فأكملها .

رابعاً : عنايته بضبط أسماء الغزوات ، والأماكن ، والأسماء ، ضبطاً صحيحاً ، كتابة بالحروف حسب طريقة الضبط عند القدماء ، وذكر الأقوال عند الاختلاف ، وترجيح الصحيح ، معتمداً في هذا على دواوين اللغة ومعاجمها ، وكتب السيرة والتاريخ المتخصصة .

انظر مثلاً لهذا : (غزوة ذي قردة) (ج ١/ ص ١٣٢) .

خامساً : اختياره من المصادر الأحداث والوقائع التي تنمي في القارئ روح التضحية والفداء في سبيل الله ، والتي من شأنها أن تستثير في القارئ نوازع الخير ، وتضاعف في نفسه محبة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، والصحابة الكرام .

سادساً : اهتمامه بتحديد موقع الغزوة ، وتاريخ حدوثها ، وحامل لوائها ، وعدد أفرادها ، وذكر اسم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء غيابه عنها .

هذه هي العناصر الرئيسة في منهج المؤلف ، وقد يقف الدارس بصفاء ذهنه وملكنته على جوانب أخرى في منهج الشارح رحمه الله ، تضم إلى ما سبق عرضه .

منهج الشارح رحمه الله تعالى في التعبير عن رأيه :

من السمات البارزة في حياة المؤلف فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط تواضعه الجرم مع الكبير والصغير ، حالاً ومقالاً ، وهو مظهر من مظاهر سلوكه العام ، وبنفس السلوك يتعامل مع العلماء وآرائهم وكتبهم ، ولا تبدو منه كلمة يُشتمُّ منها رائحة الجرح ، فضلاً عن الصريح .

يلمس القارئ هذا بوضوح فيما يذكر من آراء خاصة به ، أو ترجيح ، بعبارة متواضعة يستهلها أحياناً بقوله : (قال العبد الضعيف) في أكثر من موضع ، أو مناسبة . انظر (ج ١/ ص ١٢٥ - ١٢٧) .

وأحياناً يستهل الجملة عندما يريد التعبير عن رأيه بقوله : (واعلم) أو بكلمة : (قلت) بضمير المفرد المتكلم .

خصائص الشرح :

اشتمل الشرح على مجموعة من الخصائص العلمية المهمة نتيجة اهتمام الشارح رحمه الله ، وبذله جهداً كبيراً في إنجازهِ ، يطول الحديث في استعراضها تفصيلاً ، ومن الأجدي عرض أهم تلك الخصائص ، ونماذج منها :

أولاً : تحديد موقع الأماكن التي جرت فيها الأحداث ، وتحقيق أسمائها بحسب اشتهاها في الماضي ، وتسميتها في الحاضر مثال هذا :

هذا الشام حالياً بوادي فاطمة الذي يسمى في كتب السيرة بـ (الرجيع) وتنسب إليه وقعة الرجيع ، وسماه الإمام في « جامعه » بـ (الهداة) ويعلق الشارح رحمه الله تعالى هنا قائلاً :

(قلت : ويسمى اليوم بـ (هذا الشام) ويعرف بهذا الاسم ، وله طريق من مر الظهران ، وادي فاطمة ، بينه وبينها نحو ساعة بالسيارة ، وبهذا الموضع مزارع

كثيرة ، وهواء طلق ، ونخيل ، وعيون ، وآبار عذبة جداً ، جئته يوماً من الصباح إلى المساء ، فصليت في جامعہ ، وبه مدرسة ابتدائية ، ويقال : إنَّ عدد من يسكنها اليوم يقرب من الألف) (ج ٢/ ص ٥١) .

ثانياً : تحقيقه للأحداث التي تتضارب فيها الروايات وتصحيحها :

ترد بعض الأحيان أحداث تختلف فيها الروايات فيفحصها الشارح رحمه الله بحاسة المحدث ، المؤرّخ ، الخبير بترتيب الأحداث ، فيخرج برأي سديد .

من هذا ما ذكره نقلاً عن كتاب « الروض الأنف » للسهيلي :

(أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار ، وكان قد استخلف عاصم بن عدي العجلاني على قباء ، والعالية ، فردّه لينظر في ذلك ، وضرب له بسهمه مع أهل بدر) (ج ١/ ص ١٣٤) .

يقول الشارح رحمه الله تعالى في دراسة هذا وفحصه حسب الأصول العلمية :
(قلت : هكذا قالوا ، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضرار ، وإنَّما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك ، فيحتمل أن يكون استخلافه عليه الصلاة والسلام على أهل قباء والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم ؛ ولذلك عدَّ من البدرين ، وضرب له بسهم ، وهو المعتمد كما ذكره الحافظ في « الإصابة » أمَّا ذكر مسجد الضرار .. فلا معنى له) . (ج ١/ ص ١٣٥) .

ويلجأ إلى التوفيق بين الروايات إذا أمكن ، ما لم يؤدَّ إلى تعارض أو تناقض ، وذلك : بأن تنسب بعض الأحداث إلى بعض الصحابة ، وفي روايات أخرى تنسب إلى آخرين سواهم ، ولا يمنع العقل والواقع صدوره من كليهما ، فيحاول الشارح رحمه الله تعالى بصفاء إيماني ، وحب عميق ، وإجلال وإكبار لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . التوفيق بينهما بمنطق مقبول ، ومن الأمثلة على هذا :

ذكر الشارح رحمه الله : أنَّ الإمام الزرقاني ذكر في « المواهب » : (عن

عروة : أنه لما وُضِع فيه - خبيب بن عدي رضي الله عنه - السلاح نادوه - المشركون من بني لحيان فقد كان أسيرهم - : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه) .

وذكر الزرقاني رواية أخرى فقال : (ويقال : إن ذلك لزيد بن الدثنة ، وأن أبا سفيان قال له ذلك) .

ويعلق الشارح رحمه الله تعالى على هذا التعارض موقفاً بين الروایتين قائلاً : (أقول : ولا منافاة ، فمن الممكن أن يقع ذلك لكل من الصحابين ، وغايتهم واحدة ، هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم) (ج ٢/ ص ٥٣) .

ثالثاً : اهتمامه بالروايات المتعددة :

إنَّ الشارح رحمه الله تعالى معروف بدقته ويقظته الشديدة ؛ لما بين مؤلفي السير من اتفاق أو اختلاف في الأحداث والوقائع ، أو أسبابها ، أو تعددها ، وتعدد أسمائها .

من هذا ما جاء في (ج ١/ ص ١٦٩) في عرض أحداث غزوة بني سليم ؛ إذ جاء تحت عنوان (تنبيه) ما يأتي :

(جعل الناظم غزوة بني سليم غير غزوة قرقرة الكدر ؛ لما سيأتي ، فهما غزوتان ؛ تبعاً لأصله « العيون » ، وجعلهما صاحب « المواهب » واحدة ، وتبعه تلميذه الشامي) .

رابعاً : مقارنة بين هذه المنظومة ، وبين رصيفتها منظومة الشيخ غالي بن المختار في « تبصرة المحتاج » ، من هذا :

عرض الناظم رحمه الله لقصة العرنين وسرية سعيد بن زيد رضي الله عنه في الأبيات الثلاث الآتية :

وبعدها انتهبها الأولى انتهوا لغاية الجهد وطيبة اجتووا

فخرجوا وشربوا ألبانها ونبذوا إذ سمنوا أمانها
فاقتصَّ منهم النَّبِيُّ أَنْ مثلوا بعبده ومقلتيه سملوا
وبعد أن أتمَّ الشارح رحمه الله تعالى تحليلها وبيانها ، وفصل أحداث هذه
السرية .. ذكر الآتي :

وقد أشار إلى هذه السرية الشيخ غالي بن المختار في « تبصرة المحتاج » بأبسط
مما ههنا ، وسماها بسرية كرز بن جابر الفهري بقوله :

فنجل جابر لنيف ذو العلا كرز بإثر نَفَرٍ عَدَوْا على
لقاح خير مرسل وقتلوا غلامه ومقلتيه سملوا
وإذ بهم أتى النَّبِي قَطْعَا أيديهم ونعم ما قد صنعنا
وقطع الأرجل ثمَّ سَملا أعينهم وردَّهم ممثلاً
بجانب الحرة يستقونا لما أصابهم فلا يسقونا
(ج ٢/ ص ٧٤)

خامساً : اهتمامه بالجوانب الفقهية :

الفقه الإسلامي أحد العلوم التي برع فيها الشارح - رحمه الله تعالى - وملك
عنانها ، فلا عجب أن يعطي الجانب الفقهي اهتماماً كبيراً ، خصوصاً وأنَّ المواقف
النبوية في هذه الغزوات ذات طابع خاص .. تعد مصدراً لأحكام شرعية كثيرة
لا مجال لإبرازها واستنباطها .. إلّا من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وأفعاله ، وتحركاته في هذه المناسبات بخاصة ، وبحكم التفاعل العلمي الفقهي في
نفس الشارح رحمه الله تعالى .. لم يأل جهداً أن يتحدث عن الجوانب الفقهية ،
والأحكام التشريعية إذا طرأت مناسبة لذلك ، والأمثلة على هذا كثيرة ، ومنثورة في
صفحات الكتاب ، وعرض الأحداث ، ويكتفى هنا بالإشارة إلى عناوين بعضها ،
مثل :

١ - حكم من دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام ، وأقوال الفقهاء فيه (ج٢/ص ٨٥) .

٢ - حرمة التسبب لإسقاط الأطفال ، وحكم استعمال الحبل من أصله (ج٢/ص ١٠١) .

٣ - جواز الاجتهاد بحضرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج٢/ص ٥٠) .

٤ - حكم أخذ الأجرة على دخول الكعبة (ج٢/ص ٢٢٦) .

٥ - حكم النياحة على الميت ، وإرهاق أهل الميت بعمل طعام للمعزين (ج٢/ص ١٧٢ ، ١٧٣) .

٦ - هل يغسل الشهيد إذا كان جنباً (ج١/ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

٧ - المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث المغفرة لأهل بدر ، وحكم ما إذا ارتكب أحدهم فعلاً يوجب حداً شرعياً (ج١/ص ١٢٨) .

سادساً : استخلاص الفوائد والعبر من الأحداث :

من أبرز الجوانب التي يحرص عليها الشارح رحمه الله هو استخلاص الفوائد والعبر من الأحداث مما يفيد الأمة الإسلامية ، ويرفع من شأنها ، ويعيد إليها أمجادها ، قد يطول به الوقوف عند الحدث حسبما يمليه الموقف ، وقد يقصر ، وهو حريص كل الحرص على توجيه نظر القارئ بخاصة ، والمسلمين بعامة إلى الاستفادة من التجارب التي مرَّ بها المسلمون في عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، والأخذ بالأسباب التي تقودهم إلى العزة والكرامة ، وتباعد بينهم وبين أسباب الذل والانحطاط .

تتجلى هذه الروح منذ الصفحات الأولى من هذا الكتاب ، ففي نهاية حديثه عن المغازي ، وفضل علمها وتعلمها يقول :

(وإنَّ في النظر إلى ما لأسلافنا الكرام القادة في الحرب والسلم ، من المقدرة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والتضحية بالمهج الغالية في سبيل العقيدة الحقّة ، والمبادئ الفاضلة . . ما يملأ القلوب إيماناً بفضلهم ، وإعجاباً بصنعهم ، وإكباراً لجلال أعمالهم ، وحرصاً على التأسّي بهم .

وَفَقَّ الله الأُمَّة للنظر فيما لسلفها الصالح ؛ حتى تفيق من غفلتها ، وتنهض من كبوتها ، وتذكر بذلك ما كان لها من عظمة ومجد ، فتعمل لاسترجاعه ، وتنبؤاً المكان اللائق بها ، آمين) .

وهكذا تعامله مع كل حدث فيه تذكير واستحثاث لهمة الأُمَّة ، وتوجيه نداء مخلص لأبنائها ، والنماذج من هذه الوقفات للشارح رحمه الله تعالى كثيرة ، منها :
ما ذكره من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إمضاء شروط صلح الحديبية (ج ٢/ ص ١٢١) .

وفوائد قصة التحلل من إحرام العمرة بعد إبرام عقد الصلح (ج ٢/ ص ١٢٧) وغيرها كثير امتلأت به صفحات الشرح .

سابعاً : ربطه بعض الأحداث قديماً بما هو جارٍ في العصر الحاضر :

لا ينسى الشارح رحمه الله تعالى أن يقارن الأحداث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجري في عالمنا المعاصر ؛ لإذكاء الشعور الإيماني ، وبيان الواقع الذي انحدرت إليه الأُمَّة ، أو بعض طوائفها ، ومن الأمثلة على هذا :

١ - حديثه عن مشروعية الوقف في الإسلام بمناسبة تحييس النبي صلى الله عليه وسلم سبع حوائط بأنّه :

(أحد الأدلة الكثيرة على مشروعية الوقف في الإسلام) .

ثمَّ يعلّق الشارح رحمه الله تعالى على هذا قائلاً :

(خلافاً لبعض علماء العصر ممن يريد حل الأوقاف الإسلامية تبعاً للهوى ، هذان الله ، وإيّاهم على الصراط المستقيم) (ج ١ / ص ٢٣١) .

٢ - توجيه شباب الأُمَّة ونصحهم بالافتداء بالصحب الكرام (ج ١ / ص ٢١٩) .
ثامناً : استشهاده بالشعر :

والشارح رحمه الله تعالى يقول الشعر ، ويحفظه ، خصوصاً الشعر الرصين ، الرفيع المعاني ، الرقيق الحواشي ، البليغ العبارة ، وقد نثر هذا في مناسبات عديدة من الشرح ، بما يلائم الموقف الذي يتحدث فيه .

ففي عرض أحداث غزوة خيبر ، وتطلع الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن يعطى كل واحد منهم الراية عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأُعْطِينَ الراية رجلاً يحبه الله ورسوله » ، ثم أعطاها علياً رضي الله عنه ، وكان متخلفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لرمد أصابه ، ثم لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكانت الراية من نصيبه ، ويعلق الشارح رحمه الله تعالى على هذا الحدث العظيم في (ج ٢ / ص ١٤٦) بقوله :

(وفي هذه القصة لطيفة ، وهي : أنَّ من طلب شيئاً ، أو تعرّض لطلبه . . يحرمه غالباً ، وأنَّ من لم يطلب شيئاً ، ولم يتعرض لطلبه . . ربما وصل إليه) .

ثمَّ يستشهد على هذا بالبيت التالي :

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبُهُ يوماً ويمنعه من حيث يُطمعُهُ
وإذا دعت المناسبة لذكر بعض الأشعار ذات المعاني الطريفة . . فإنه يستشهد بها ، مقدماً لها بعنوان له مدلوله الرقيق (لطيفة) .

من هذا ما ذكره تحت هذا العنوان بعد الحديث عن أهل بدر وما خصَّهم الله من مغفرة ورضوان قائلاً :

اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في محبوب يسمى بدر^(١) :

يا بدر أهلك جاروا وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي وزينوا لك هجري
فليفعلوا ما أرادوا فإنهم أهل بدر

تاسعاً : استطراداته :

الاستطراد : عبارة عن إضافة معلومات إلى الموضوع الأساسي ممَّا له علاقة به ، لأدنى ملابسة ، وقد حرص العلماء القدامى على هذا النوع من الإضافات في مؤلفاتهم ، حتى إنَّها كانت من حسنات التأليف وفصائله .

فليس عجباً أن يأخذ الشارح رحمه الله تعالى بهذا المبدأ جرياً على عادة المؤلفين السابقين ، فيمتلئ كتابه بالاستطرادات الكثيرة ، والإضافات المفيدة ، فيطيب له إذا وردت مناسبة لذكر فائدة ، أو إضافة معلومة ذات علاقة بالموضوع أن يتحدث عنها .

ومن الاستطرادات المهمة ما جاء في (ج ٢/ص ١٦٠) بعد الانتهاء من عرض أحداث أمراء جيش مؤتة رضي الله عنهم إسهابه في التعريف بكل واحد منهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة بدءاً من (ص ١٦٤ - ١٨٠) ، حتى وقد بدأ التعريف بهم بقوله رحمه الله تعالى :

(وحيث حدا بنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة . . فلا بأس أن نلم بشيء من التعريف بهم ، تيمناً بذكرهم ، وإن كانوا في غنية عن التعريف ؛ لشرفهم العظيم بالانتساب الحقيقي إلى الجناح النبوي رضوان الله عليهم ، لكننا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبوي ؛ لنقتفي آثارهم ، ونتميم بآثارهم ، ونعطر النواصي بأريج شذاهم . . .) (ج ٢٢ ص ١٦٤) .

(١) (ج ١/ص ٧٨) .

وبعد أن أطنب في ترجمة زيد بن حارثة رضي الله عنه . . ساقه الحديث إلى ذكر الأربعة الذين توالدوا صحابة (ج ٢/ص ١٦٩) .

وبعد أن عددهم . . ساقه الحديث إلى الكلام عن موالى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم لذكرهم بمقدمة مدخلاً لإيجاد المناسبة لذكرهم قائلاً :

(وبمناسبة ذكر سيدنا زيد لا بأس بإتمام موالىه صلى الله عليه وسلم تتميماً للفائدة) (ج ٢/ص ١٦٩) .

ومن الاستطرادات المهمة التي أشبع بها الكتاب ذكره حدود الحرم ، وتاريخ ترسيم الحدود ، لدى عرض أحداث غزوة الفتح ، وفتح النبي صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة ، وعفوه عن أهلها ، وتحريمه لها ، فذكر تحت عنوان (تاريخ أنصاب الحرم) (ج ٢/ص ١٩٧) اقتباسات مهمة عن مؤرخ مكة المكرمة أبي الوليد الأزرقى ، فذكر أول من نصب أنصاب الحرم ، وتابع بعد هذا الحديث عن من جددها حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ج ٢/ص ١٩٧) .

وفي مناسبة أخرى لدى الحديث عن إسلام عبد الله بن أمية القرشي المخزومي ، وكان هو وأبو سفيان بن الحارث شديدي الإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، وبعد الهجرة ، وما كان من إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنه تأديباً ، ثم شفاعته أخته أم سلمة رضي الله عنها فيه ، ثم عفو النبي صلى الله عليه وسلم عنهما ، يقول الشارح تعليقاً (ج ٢/ص ١٩٢) .

ولكن احتضنتهما السعادة ، جعلنا الله ممّن سبقت له العناية ، وكتب له السعادة :

رب شخص تقوده الأقدار للمعالي ومالذاك اختيار غافلاً والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار والشارح رحمه الله تعالى يحفظ الكثير من الشعر العذب الرقيق ، ويستشهد به

ما عنت له مناسبة .

وقد أبدع بعض الشعراء معنىً بديعاً من قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
مرحباً اليهودي مستخدماً الجنس التام في البيتين التاليين ، هامش (٢)
(ج٢/ص١٤٩) يقول الشارح رحمه الله :
وأشار لذلك بعضهم وأجاد بقوله :

وشادن أبصرته مقبلاً فقلت من وجدي به مرحباً
قَدْ فؤادي في الهوى قدة قَدْ علي في الوغى مرحباً
إلى غير ذلك من الاستشهادات العديدة للمعاني الرفيعة ، والخيال البديع .

عاشراً : العرض الإجمالي لأهم الأحداث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم
إلى عام وفاته :

ختم الشارح رحمه الله تعالى هذا الكتاب بما اعتاده بعض المؤلفين في السيرة
النبوية الشريفة بعرض بعض الأحداث والتشريعات المهمة ، التي وقعت من عام
ولادته الشريفة صلى الله عليه وسلم الذي شرف الله به العالمين إلى عام وفاته صلى
الله عليه وسلم .

ويلاحظ في هذا العرض أمور :

أولاً : أنه لم يكن متسلسلاً سنة بعد سنة ترتيباً متتابعاً ، بل حسب وقوع
الأحداث ، السابق فالتالي ، وإن تباعد ما بينهما ؛ ولعله لم يوجد بينهما من
الأحداث المهمة ما يوجب رصده ، والاهتمام به .

بدا هذا واضحاً منذ بداية العرض الموجز لقائمة الأحداث المهمة ، حيث انتقل
الشارح رحمه الله تعالى من سنة ولادته صلى الله عليه وسلم إلى السنة الرابعة
مباشرة ، ومنها إلى السادسة ، وقد تتسلسل الأحداث زمنياً إذا حدث ما يستدعي
ذكره من الأحداث .

ثانياً : لم يكمل الشارح رحمه الله تعالى عرض الأحداث حسب تاريخ ولادته صلى الله عليه وسلم حتى الأمد الذي حدده وهو وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد استمرَّ يؤرِّخ حسب الولادة الشريفة ، ثم توقف أن يؤرِّخ بها بعد البعثة النبوية ، وتابع رصده التاريخي حسب البعثة النبوية بعد بلوغه صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره الشريف ، وأول حدث دونه هو :

(وفي السنة الثالثة من النبوة : توفي ورقة بن نوفل) .

واستمرَّ التاريخ للأحداث حسب البعثة حتى السنة الرابعة عشرة من النبوة ، ثمَّ توقف في التاريخ بها في السنة الأولى للهجرة .

ثالثاً : استأنف بعد ذلك التاريخ للأحداث حسب هجرة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وبالتفاوت في الرصد التاريخي للأحداث يحقق الشارح رحمه الله تعالى أمرين مهمين :

الأول : الرصد التاريخي حسب الحدث الأهم حتى يأتي ما هو أهم منه ، فيكون له الأوَّلِيَّة .

الثاني : إبقاء الحدث الأهم حياً في الذاكرة على مدار الفترة الزمنية التي يؤرِّخ لها .

حادي عشر : النقد العلمي المذهب :

استدرك الشارح رحمه الله تعالى على الناظم نقاطاً علمية عديدة ، بأسلوب علمي موضوعي مذهب ، من ذلك :

ذكر الناظم أنَّ أبا ذرَّ الغفاري رضي الله عنه استشهد على يد العصابة من بني غطفان الذين نهبوا لقاح النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله :

وأقبلت امرأة الغفاري قتيلاً نهب إبل المختار

فاستدرك عليه الشارح رحمه الله بالعبارة التالية :

(وفي كلامه نظر ؛ فإنه إذا كان الغفاري أبا ذرّ فكيف يصفه بأنه مقتول للذين أغاروا على اللقاح ، فإنّ المعروف عند أهل السير أنّ المقتول هو ابن أبي ذرّ الغفاري واسمه : (ذرّ) ، ولم يقل أحد : إنّ المقتول أبو ذرّ) (ج ٢ / ص ٦٤) .

وفي مناسبة أخرى عندما قدم الناظم رحمه الله الحديث : موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين (ج ٢ / ص ٨٣) على حادثة الواردة ، (وذلك أنّ أجيراً لعمر بن الخطاب من بني غفار يقال له : جهجاه بن مسعود جاء يقود فرسه في موضع الزحام على الماء فازدحم مع سنان بن وبرة الجهني فاقتتلا) (ج ٢ / ص ٨٤) .

يقول الشارح تعليقاً على تقديم الناظم ما حقه التأخير ترتيباً :

(ولو أخر هذه الحادثة عن حادثة الواردة . . لكان أولى كما صنعه صاحب الأصل الحافظ اليعمرى في « سيرته » ، وكذا غيره) (ج ٢ / ص ٨٣) .

بمثل هذه العبارة المختصرة المهذبة يعبر الشارح عن نقده واعتراضاته : (وفي كلامه نظر) ، و (لكان أولى) ممّا ينم عن خلق إسلامي رفيع ، هو من خصائص العلماء ، وأهل الإيمان .

ويأخذ النقد عنده أحياناً صورة أخرى وهو اقتراح عبارات للنظم غير ما عبر به الناظم ، من هذا قول الناظم :

خَنَدَقَ خَيْرٌ مَّرْسَلٌ بِأَمْرٍ سَلْمَانُ وَالْحُرُوبُ ذَاتُ مَكْرٍ
يقول الشارح رحمه الله تعالى : (قلت : ولو أنّ الناظم قال :

خندق خير مرسل وقد أشار سلمان بالخندق نعم المستشار . . لكان أليق بالأدب في حق الجناب النبوي) (ج ١ / ص ٢٦٩) .

ويعتذر للناظم أحياناً ، ومن الأمثلة على هذا : أنّ الناظم رحمه الله تعالى قدم مقالة سيدنا سعد بن معاذ في غزوة بدر على مقالة المقداد في تجاوبهم لنداء النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، وطلب المشورة عليه ، في حين أنّ المقداد رضي الله عنه قد

سبقه بمقالته المشهورة ، ويعتذر الشارح رحمه الله تعالى عن الناظم بضرورة الشعر ويختم هذا قائلاً : (والخطب سهل) (ج ١ / ص ٩٢) .

وبعد :

فكتاب « إنارة الدجى في مغازي خير الورى » شرح العلامة المحدث ، الفقيه الأصولي ، فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط المكي قبل هذا وبعده . . مرآة صافية للروح الإسلامية الشفافة ، والحس الإيماني القوي ، ومشاعر الحب الصادقة الدفينة ، التي يخفق بها قلب الشارح رحمه الله تعالى حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحبه الأطهار ، رضوان الله عليهم ، وسلف الأئمة الصالحين ؛ فقد كان حديثه عن السيرة النبوية حديثاً يفيض إيماناً ، يستجمع له مشاعره وإحساساته ؛ إجلالاً وإعظاماً وخشوعاً ، حديث المتأثر المتفاعل بما يقول ، يحسه سامعه ، ويدركه على قسماط وجهه مغرورق العينين ، وقد أخضلت الدموع لحيته ، فيسري تيار من التأثر والخشوع بين الحاضرين .

ولست بمحصي ، أو معدد خصائص هذا الكتاب وميزاته ؛ فإنَّ القارئ البصير ، الصافي الفكر ، سيقف على الكثير ممَّا لم تتعرض له هذه الدراسة الموجزة ؛ إذ استهدفت الإشارة إلى عرض إجمالي ، محدد لخصائص هذا الشرح ، ولم تكن تستهدف الحصر والاستقصاء .

والله أسأل - وهو خير مسؤول - أن يجزى فضيلة الشيخ حسن بن محمد مشاط شارح هذه المنظومة خير الجزاء ؛ على ما بذله في سبيل إعلاء كلمة الدين ، ونشر العلوم الشرعية ؛ ابتغاء وجه الله ، والفوز بالرضا والقبول ، ونسأل الله أن يرحم ولده البار الشيخ أحمد حسن مشاط ، الذي يسعى حثيثاً إلى نشر تراث والده ، والتضحية بكل ما يستطيعه في تعميم النفع به ، وأن يجعل من ذريته خلف خير ، يقتفون آثار الآباء والأجداد ، يصلون الحاضر بالماضي ، علماً وعملاً ، إنَّه سميع قريب مجيب الدعاء ، لا يفوتني أن أشكر الآخرين الدكتور السيد قاسم بن محمد

الأهدل ، والدكتور صبغة الله نبي قطب الدين تلميذي المؤلف على ما قدماء من جهد في تصحيح الكتاب ، وأسأل الله لهما العون ، أن يخرجوا هذا العمل الجليل إخراجاً محققاً محرراً ، حسب أصول التحقيق والبحث العلمي ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أئمة الأئدين .

بقلم تلميذ المؤلف

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

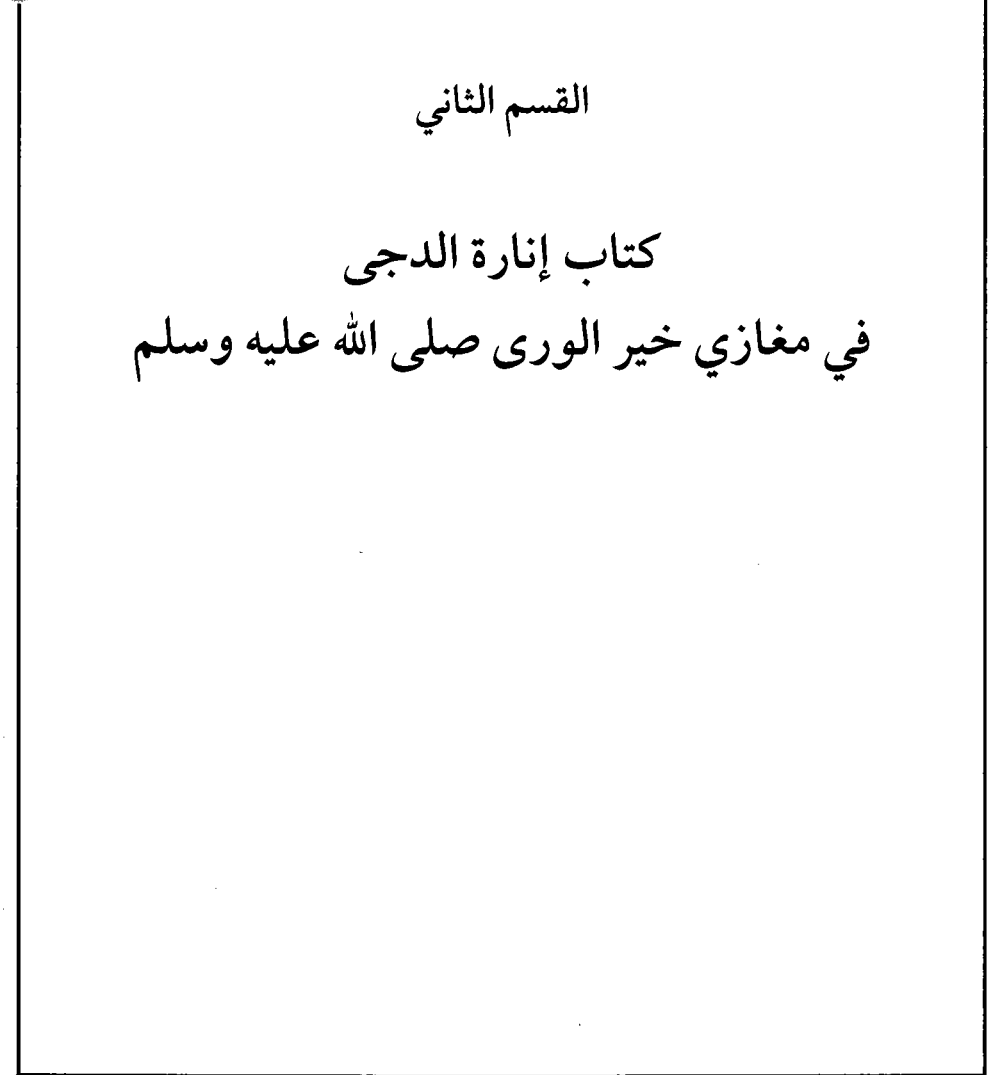
كوالا لمبور ١٦ / ٥ / ١٤١٣

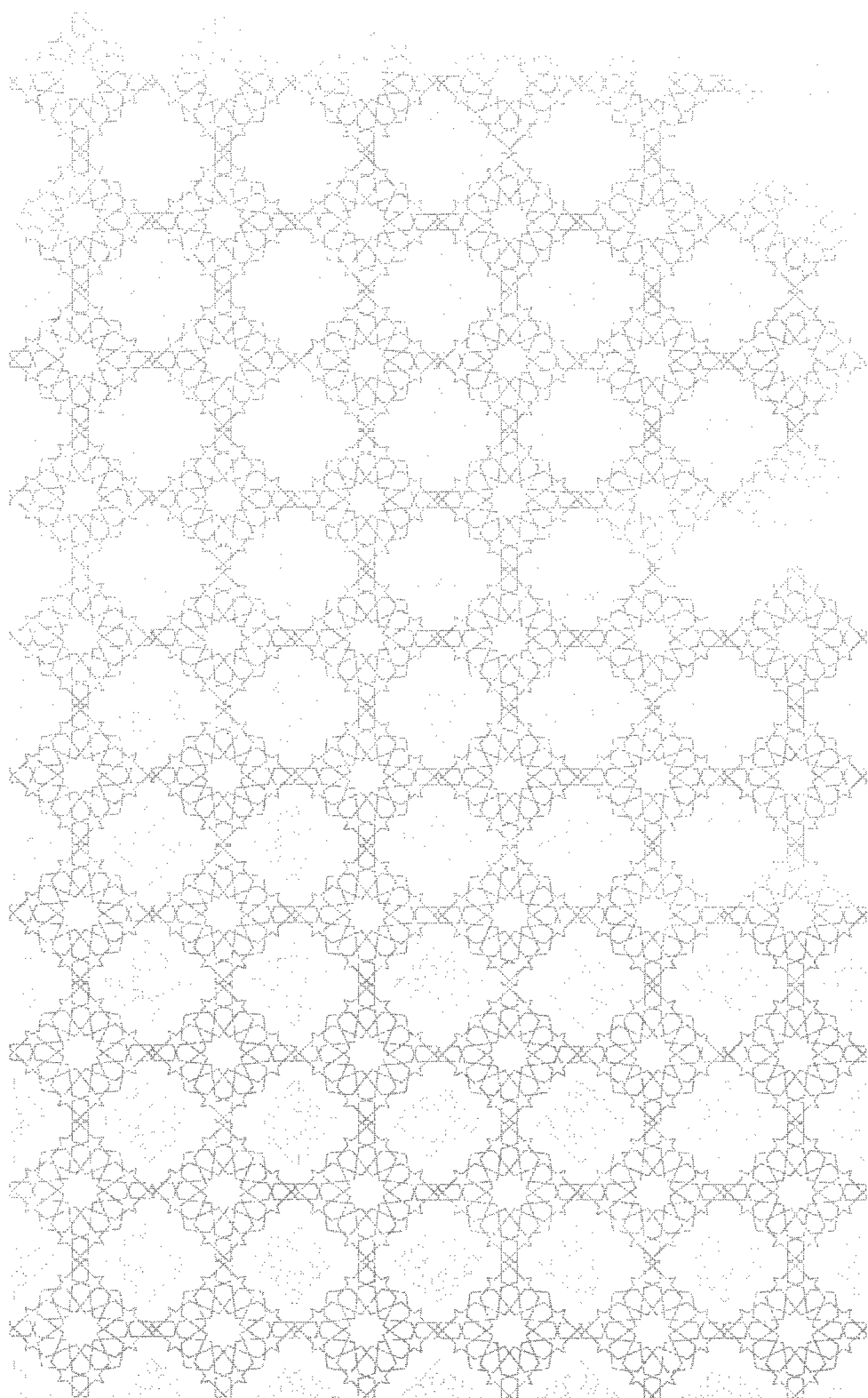
الموافق ١٠ / ١١ / ١٩٩٢



القسم الثاني

كتاب إنارة الدجى
في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بصاحب النظم

ترجمة الناظم

ترجم له الأستاذ أحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي في كتابه « الوسيط في تراجم أدياء شنقيط » طبعة الجمالية بالقاهرة ، سنة (١٣٢٩هـ) - (١٩١١م) فقال :

نظم عمود النسب

(أحمد البدوي المجلسي ثم البوحمدي : هو العالم الكبير والنسابة الشهير ، وهو الذي أحيا أنساب العرب ، بنظمه « عمود النسب » وقد أجاد فيه ومن تأمل نظمته علم سعة اطلاعه واقتداره في ذلك الفن ، ونظم أيضاً غزوات النبي صلى الله عليه وسلم نظماً جيداً ، يدل على تبخّره في السيرة) .

وقال : (إنه ليس من المتقدمين ؛ وما أدري في أي تاريخ كان) اهـ

وقال الشيخ غالي بن المختار : قال البساتي الشنقيطي في « وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل » : (البدوي رحمه الله تعالى : هو أحمد الإمام الشهير بن سيدي محمد بن أبي أحمد المجلسي) اهـ ولم يزد على ذلك .

أمّا « عمود النسب » فيزيد على ألف بيت ، وممّا قاله في طالعته :

حمداً لمن رفع صيت العرب
وخصّهم بين الأنام بالنبي
وعمّهم إنعامه بنسبته
فدخلوا يئمنها في زمرة

ودَوَّخُوا بسيفه غُلْبَ العجم
 إذ هم بنو أبٍ وأمٍ بالحرَمِ
 إذ الخيول البُلُق في فتوحهم
 والرعب والظفر في مسوحهم
 هم صفوة الأنام من أحَبِّهم
 بحَبِّه أحَبُّهم وودَّهم
 كذاك من أبغضهم ببغضه
 أبغضهم تَبّاً له من مُعضه
 أئِمَّةُ الدين عماد السنَّة
 لسانهم لسان أهل الجنَّة
 جمانٌ سلك نَسَبِ النَّبي
 ناهيك من سلك ومن بني
 ثمَّ الصلاة والسلام سرمداً
 على أجل المرسلين مَحْتِداً
 وبعد فالعلوم من أعظمها
 فائدةً فكان من أهمها
 علمُ عَمود نسب المختار
 ثم عمود نسب الأنصار
 إذ منهما تشعَّبَ الإيمان
 والنور والحكمة والفرقان
 هذا ووجدت في ظهر نسخة خطِّية عتيقة من « عمود
 النسب » كتبت سنة ألف ومئتين وخمس وثمانين ، أنَّ الناظم
 توفي تقريباً في العام العشرين بعد الألف والمئتين من الهجرة
 النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم ، فرحمه الله ،
 وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين .

تاريخ وفاة الناظم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَصَدِيرُ

الحمد لله الذي جعل العلوم منحةً إلهية ، ومواهب اختصاصية ، وجعل علم المغازي من بينها نبزاً يهتدي بمشكاته السائرون ، وسبباً متيناً يتوصل به السالكون .

والصلاة والسلام على من أضاءت قبل وجوده إرهاباته ، وأكرم بها من إرهابات ، وأشرفت في أسرة طلعته آياته ، وأعظم بها من آيات ، النبي الأمي ، الذي أثار الله الدجى بطلعة أنواره ، فهو سيد الكائنات ، ومحا ببعثته معالم الشرك ، ومحق بصارم سيفه هام أعدائه فهم في الدركات ، رسول الملاحم ، ونبي الرحمة ، الذي بوأه الله المنزلة العلية ، فهو صاحب المقام المحمود ، ومنحه مواهب الشرف في المقامات السنية ، فهو الشاهد المشهود ، سيدنا محمد ، الذي ألبسه الله من الحلل السندسية ، حلة لا تریم^(١) ، ورتبة لا ترام ، فهو سيد الإنس والجن قبل وبعد ، بل سائر البرايا والأنام ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، فقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في سبيل الله ، وقام بنصح الأمة حقاً . حتى أخذ بحجزها^(٢) عن الوقوع في المهواة ، وعلى آله وصحبه ، الذين

(١) لا تریم : لا تبرح ، يريد لا تزول ولا تبلى جدتها .

(٢) بضم الحاء وفتح الجيم ، بعدها زاي ، جمع حجرة ، وهي معقد الإزار ، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثلي ومثل أممي ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها ، فأنا أخذ بحجركم وأنتم =

هم أشدّاء على الكفار ، رُحماء بينهم ، يبتغون فضلاً من الله .
أمّا بعد :

أهمية علم المغازي

فإنّه لمّا كان (علم المغازي) من العلوم الشريفة التي
يتنافس فيها المتنافسون ، ويشمّر عن ساعد الجد في تحصيلها
العاملون ؛ إذ هو علم يحثُّ المرء على الاقتداء بخير الأنام ،
ويدعو إلى التخلُّق بحقائق أقواله وأفعاله الموصلة إلى دار
السلام ، وإنّه لعلم يُريك بصورة مكبّرة ذلك العهد النبوي
الأنيق ، فتستشيق رِياه ، ويعبّق لك شذاه ، وتشرب من كأسه
المختوم الرحيق ، وكان هذا من بعض ثمرات هذا الفن ، كما
هو بديهي لدى كل خبير حاذق مِفَن . . عن لفهمي القاصر أن
أنتسب لذلك الجنب الرفيع النبوي ، بخدمة « منظومة
المغازي » للإمام الجليل أحمد بن محمّد البدوي الشنقيطي ،
وشرحها شرحاً يناسب طلبة العلم بديارنا المكيّة ، التي انبثق
منها فجر العلم ؛ ليوجّهوا إلى ذلك عنايتهم ، ويشتبوه درساً من
المقررات ؛ فإنّ من القبيح أن يجهل الإنسان أحوال ساداته ،
فكيف بأحوال سيد السادات ؟! بل ينبغي أن تعطر النوادي بذكر
أخباره عليه الصّلاة والسّلام ؛ فإنّها لم تعمّر مجالس الخير بعد
كتاب الله تعالى بأحسن من أخبار من هو الرحمة المهداة
للأنام .

مصادر الشرح

وقد اعتمدت في هذا الشرح على شرح العلامة الشيخ
حمّاد بن الأمين الشنقيطي ابن أخي الناظم على هذا النظم ،

= تقحمون فيها » ، ورواه الترمذي في آخر أبواب الأمثال ، وقال : حديث حسن صحيح . اهـ

وهو شرح على طريقة المتقدمين غير مزج ، يذكر جملة من أبيات النظم ، ويتكلم عليها على عادة علماء ذلك القطر في الإسهاب ، والولوج في كل فن وباب .

ثمَّ على سيرة أبي محمّد عبد الملك بن هشام ، و«الروض الأنف» عليها ، للعلامة أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي ، وعلى السيرة للحافظ الشمس أبي عبد الله محمّد بن يوسف الشامي ، وغير ذلك ممّا تراه هنا معزوّاً .

وإنّي أعتذر لأولي البصائر والألباب بكثرة العوائق ، وقلة البضاعة ، وعدم توافر الأسباب ، فإن وقفوا في ذلك على خطأ . أصلحوه ، أو على نقص بعد التأمل . . ألحقوه ، فقلّما يسلّم الإنسان من الخطأ ، ولا بد أن تقصّر به الخطي ، أسأل الله أن يمنّ على العبد الضعيف بإتمام هذا الشرح ، ويجعله من الأعمال الموجبة للغفران والصفح ، وأن يرزقني به النفع ، ويكسوه حلة القبول ، ويجعله من العمل الخالص الموصّل للمأمول .

وقد صدّرت الشرح بمقدمات شريفة تناسب الموضوع ، فعسى الله أن يثيبي على هذا العمل ، ويجعله من العمل المتقبّل المرفوع ؛ فإنّه عمدتي ، وبه ثقتي .



في مشروعية الجهاد

قال الحافظ شمس الدين ، محمد بن يوسف الشامي ، في « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » : لَمَّا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى فِي الْهَجْرَةِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِنَصْرِهِ ، وَبِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالْإِحْنِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ ، فَمَنْعَتْهُ أَنْصَارُ اللهِ ، وَكُتِبَتْهُ الْإِسْلَامُ : الْأَوْسُ ، وَالْخَزْرَجُ ، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ دُونَهُ ، وَقَدَّمُوا مُحَبَّتَهُ عَلَى مُحَبَّةِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَكَانَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. عَادَتْهُمْ الْعَرَبُ ، وَالْيَهُودُ ، وَرَمَتْهُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ ، وَشَمَرُوا لَهُمْ عَنْ سَاقِ الْعَدَاوَةِ ، وَصَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .. حَتَّى كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَبْتَغُونَ إِلَّا فِي السَّلَاحِ ، وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ ، فَقَالُوا : تَرَى نَعِيشَ حَتَّى نَبِيتَ مَطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وعندما اشتدَّ الأذى بهم .. أمر الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح ، قال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

تدرج مشروعية الجهاد

بداية مشروعية الجهاد

بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقَّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ حتى إذا قويت الشوكة للمسلمين . . أذن الله لهم في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿٢﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحٌ وَيَبِعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا مِنْ أَسْمِ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤﴾ .

ثمَّ فرض الله عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم ، دون من لم يقاتلهم ، قال تعالى : ﴿٥﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦﴾ .

ثمَّ فرض عليهم قتال المشركين كافة ؛ حتى يكون الدين كله لله ، قال عزَّ وجلَّ : ﴿٧﴾ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿٨﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١٠﴾ .

فكان محرماً ، ثمَّ صار مأذوناً فيه ، ثمَّ مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثمَّ مأموراً به لجميع المشركين ، إمّا فرض عين ، أو فرض كفاية .

ثمَّ كان الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ثلاثة أقسام :

قسم صالحهم ، ووادعهم على ألاَّ يُحاربوه ، ولا يظاهروا عليه عدوّه ، وهم - على كفرهم - آمنون على دمائهم ، وأموالهم ، وهم طوائف اليهود الثلاثة : بنو قريظة ،

أقسام الكفار وتحديد علاقاتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة

وبنو النضير ، وبنو قينقاع .

وقسم حاربوه ، ونصبوا له العداوة ، وهم قريش .

وقسم تاركوه ، فلم يصالحوه ، ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه .

ثم من هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن كخزاعة ، ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن ؛ ليأمن الفريقين ، وهؤلاء هم المنافقون .

فاعامل صلى الله عليه وسلم كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره ربه تبارك وتعالى ، فصالح يهود المدينة ، وكتب بينه وبينهم كتاب أمن ، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة : بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، فنقض الجميع العهد ، فكان من عاقبة أمرهم الوخيمة ما سيأتي إن شاء الله تعالى في موضعه .

تعامله صلى الله عليه وسلم مع الطوائف المختلفة

وأمره الله سبحانه وتعالى أن يقوم لأهل العقد والصلح بعهدهم ، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة . . نبذ إليهم عهدهم ، ولم يقاتلهم . . حتى يعلمهم بنبذ العهد ، وأمره أن يقاتل من نقض العهد .

ولما نزلت (سورة براءة) . . نزلت ببيان هذه الأقسام كلها ، فأمره الله تعالى أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب . . حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في دين الإسلام ، وأمره بجهاد الكفار والمنافقين ، والغلبة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان ، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم .

قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له ، فحاربهم ، وظهر عليهم .

وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم .

وقسماً لم يكن لهم عهد ، ولم يحاربوه ، نعم ؛ لهم عهد مطلق ، فأمره أن يؤجلهم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت . قاتلهم ، وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ وهي الحرم المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ فالحرم هنا هي أشهر التسيير ، أولها يوم الأذان ، وهو العاشر من ذي الحجة ، وهو يوم الحج الأكبر ، الذي وقع فيه التأذين بذلك ، وآخرها العاشر من ربيع الأول .

وليست هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ فإن تلك واحد فرد ، وثلاثة سرّد : رجب ، وذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ولم يُسير المشركين هذه الأربعة ، فإنّ هذا لا يمكن ؛ لأنها غير متوالية ، وإنّما أجّلهم أربعة أشهر ، ثمّ أمر بعد انسلاخها أن يقاتلهم ، فقاتل الناقض لعهد ، وأجلّ من لا عهد له - أو له عهد مطلق - أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهد عهده إلى مدته .

واعلم : أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شرعَ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم
بعد الهجرة جهاد أعدائه في الوقت الأليق به ؛ لأنَّهم لمَّا كانوا
بمكة . . كان المشركون أكثر عدداً ، فلو أمر الله المسلمين
- وهم قليل - بقتال الباقيين . . لشقَّ عليهم ، فلمَّا بغى
المشركون ، وأخرجوه عليه الصَّلَاة والسَّلَام من بين أظهرهم ،
وهُمُّوا بقتله ، واستقرَّ عليه الصَّلَاة والسلام بالمدينة ، واجتمع
عليه أصحابه ، وقاموا بنصره ، وصارت المدينة دار إسلام ،
ومعقلاً يلجؤون إليه . . شرع الله جهاد أعدائه ، فبعث عليه
الصَّلَاة والسلام البعوث والسرايا ، وغزا وقاتل هو وأصحابه . .
حتَّى دخل الناس في دين الله أفواجا ، فللَّه الحمد والمِنَّة .



في المغازي وفضل علمها وتعلّمها

الغَزَاة : المرة الواحدة من الغزو ، والجمع غَزَوَات ،
مثل : شهوة ، وشهوات ، والمغزاة كذلك ، والجمع
المغازي ، والفاعل غاز ، يقال : غزوت العدوَّ غزواً ، ويُعدِّي
بالهمزة ، فيقال : أغزيتَه ، إذا بعثته يغزو ، وإنَّما يكون غَزَوْ
العدو في بلاده ، كذا في « المصباح » .

المراد من المغازي

قلت : والمراد هنا بالمغازي ما كان عن قصد منه عليه
الصَّلَاة والسَّلَام للكفار بنفسه الشريفة ، أعم من أن يكون إلى
بلادهم ، أو إلى الأماكن التي حلُّوها ونزلوها ؛ حتى يشمل
مثل أُحُد ، والخندق .

الأثار في فضل فن
المغازي

وقد جاء في فضل هذا الفن أخبار وآثار كثيرة :

منها : ما روي عن محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب
الزُّهري قال : (في علم المغازي خير الدنيا والآخرة) .

وعن سيد أهل زمانه زين العابدين سيدنا علي بن الحسين
رضي الله عنهما قال : (كُنَّا نُعَلِّمُ مغازي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما نعلّم السور من القرآن) .

وعن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقاص الزُّهري :
(كان أبي يعلِّمنا المغازي والسرايا ، ويعدّها علينا ، ويقول :
يا بنيّ ؛ هذه شرف آبائكم ، فلا تضيعوا ذكرها) روى ذلك كله
الخطيب البغدادي في « الجامع » ، وابن عساكر في
« تاريخه » ، كما ذكره الشامي .

قلت : انظر إلى ما كان لأسلافنا الأماجد من المجد
الباذخ ، والمدنيّة الإسلامية الحقّة ، وانظر إلى عنايتهم في
وصايتهم لأبنائهم بالحرص على علم المغازي ، والمحافظة
عليه ؛ فإنّ في ذلك أعظم منبّه يحرك في نفوسهم باعث الجد ،
والنشاط ، والجهاد في سبيل الله ، فيزدادون في ذلك حباً ، وله
تعظيماً ، فينشأون وقد تربّت فيهم ملكة التقديس لدينهم ،
والغيرة عليه ، والذود عنه ، والحرص على إعلاء كلمة الله ،
الكفيل لهم بسعادة الآخرة والأولى ؛ وفي ذلك مجدٌ
لا يسامى ، وعزة لا تضارع ، وبذلك يعرفون عن بيّنة حقيقة
الإسلام ، ومبادئه ، وتعاليمه ، وفوائده ، وما فيه من حضارة
تفوق كل حضارة ، ويعرف أولئك المفتونون الذين يولّون
وجهتهم إلى الغربيين أنّهم مخدوعون بالعناوين الظاهرة ،
والبروق الخلافة ؛ لأنّهم لم يطلّعوا على الحقائق الإسلامية
فيتخلّقوا بها .

وإنّ في النظر إلى ما لأسلافنا الكرام القادة في الحرب
والسلم من المقدرة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والتضحية
بالمهج الغالية في سبيل العقيدة الحقّة ، والمبادئ الفاضلة . .
ما يملأ القلوب إيماناً بفضلهم ، وإعجاباً بصنعهم ، وإكباراً
لجلال أعمالهم ، وحرصاً على التأسّي بهم .

وفق الله تعالى الأمة للنظر فيما لسلفها الصالح ؛ حتى تُفريق
من غفلتها ، وتنهض من كبوتها ، وتذكر بذلك ما كان لها من
عظمة ، ومجد ، فتعمل لاسترجاعه ، وتنبؤاً المكان اللائق
بها ، آمين .

في أشهر من ألف في المغازي

اعلم : أنَّ أسلافنا الأماجد - جزاهم الله وأثابهم على صنعهم - قد ألفوا في هذا الفن كتباً لا تُحصى ، فيذكر لنا العلامة الشمس الشامي في سيرته كغيره أنَّ أوَّل من ألف في المغازي أبو عبد الله عروة بن الزُّبير بن العوام أحد الفقهاء السبعة ، وأئمَّة التَّابعين بالمدينة ، المتوفى بها سنة (٩٣هـ) .

ثمَّ تلاه تلميذه أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش ، المتوفى بالمدينة ، سنة (١٤١هـ) ، ومحمَّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهري ، المتوفى سنة (١٢٤هـ) .

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله : (مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي ، وأجمعها) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (ليس في المغازي أصح من كتابه ، مع صغره ، وخلوّه من أكثر ما يذكر في كتب غيره) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (عليكم بمغازي موسى بن عقبة ؛ فإنَّه ثقة) .

وأشهرها مغازي أبي بكر محمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني ، المتوفى سنة (١٥١هـ) ببغداد ، وقد اختلفت كلمة القوم فيه ، فمنهم من تكلم فيه ، ومنهم من

أثنى ، والمعتمد : أنه صدوق يدلّس ، وإذا صرّح
بالتحديث .. فهو حسن الحديث .

قال الإمام الشافعي : (من أراد أن يتبحّر في المغازي ..
فهو عيال على ابن إسحاق) .

وقد اعتمد عليه في هذا الباب أئمة لا يحصّون ، ورواها
عنه جمع ، ويقع عند بعضهم ما ليس عند بعض .

وقد اعتمد أبو محمّد عبد الملك بن هشام المعافري ،
الحميري البصري ، المتوفى بمصر سنة (٢١٣هـ) رحمه الله
تعالى ، على رواية أبي محمّد زياد بن عبد الله بن الطّفل
العامري البكائي - بفتح الموحّدة ، وتشديد الكاف - المتوفى
سنة (١٨٣هـ) ، وهو صدوق ، ثبت في المغازي ، وفي حديثه
عن غير ابن إسحاق لين ، فرواها ابن هشام عنه ، وهذبها ،
ونقّحها ، وزاد فيها زيادات كثيرة ، واعترض أشياء سلّم له كثير
منها ، بحيث نسبت السيرة إليه ، ف قيل : « سيرة ابن
هشام »^(١) .

وممّن ألف فيها من العلماء المتأخّرين ، الحافظ أبو الربيع
أبو الربيع الكلاعي سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي - بفتح الكاف -

(١) قال شيخنا في « الرسالة المستطرفة » : (ولأبي القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله السهيلي
صاحب التصانيف ، المتوفى بمراكش سنة (٥٨١هـ) كتاب « الروض الأنف » في شرح
غريب ألفاظها ، وإعراب غامضها ، وكشف مستغلقها ، استخرجه من نيف ومئة وعشرين
مصنفاً ، فأجاد فيه ، وأفاد) اهـ ، وقد طبع بمصر على نفقة سلطان المغرب الأقصى المولى
عبد الحفيظ رحمه الله مع « السيرة الهشامية » .

يقوم الآن بتحقيقها وإخراجها إخراجاً علمياً حديثاً ، الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا ،
أستاذ اللغة العربية بالدراسات العليا للغة العربية بجامعة أم القرى .

الحميري ، المتوفى شهيداً سنة (٦٣٤هـ) ، وسماها :
« الاكتفا في المغازي وسيرة الثلاثة الخلفا » ، وشرحها الشيخ
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني ، الفاسي ، المتوفى
سنة (١١٦٣هـ) شرحاً نفيساً .

ومنهم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن
أحمد اليعمري الأندلسي ، الشهير بابن سيد الناس ، المتوفى
بمصر سنة (٧٣٤هـ) فجأة ، سماها : « عيون الأثر في فنون
المغازي والشمائل والسير » ، واختصر منها : « نور العيون في
تلخيص سيرة الأمين المأمون » ، وعليه تعليق للحافظ
برهان الدين الحلبي ، سمّاه : « نور النبراس » .

ومنهم الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، المتوفى بدمشق سنة
(٧٥١هـ) وسمّاه : « زاد المعاد ، في هدي خير العباد » حقق
فيها وأجاد .

ومنهم الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين
العراقي ، المتوفى بمصر سنة (٨٠٦هـ) نظم ألفية حافلة في
البعوث ، والمغازي ، والسير ، والشمائل ، وشرحها المناوي
شرحين : كبيراً ، وصغيراً ، وكذلك شرحها العلامة نور الدين
علي بن زين العابدين محمد بن عبد الرحمن بن علي ، الشهير
بالأجهوري ، المتوفى بمصر سنة (١٠٦٦هـ) في مجلد كبير .

ومنهم الشهاب القسطلاني^(١) المتوفى بمصر سنة (٩٢٣هـ)
الشهاب القسطلاني

(١) ضبطه بعض الفضلاء بضم القاف والطاء المهملة مشدد اللام ، وقال : نسبة إلى قسطله ،
بضمها وشد اللام أيضاً بلدة بالمغرب . اهـ ، لكن رأيت في ثبت العلامة البديري الدمياطي =

سماء : « المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية » ، وهو سفر جامع ، خدمه الناس بالقراءة والشرح والاختصار ، وكتب عليه فخر المالكية الشيخ محمّد الزرقاني ، المتوفى سنة (١١٢٢هـ) شرحاً لا يجود الزمان بمثله ، ذكر فيه أن نصف الكتاب ، يعني المواهب مأخوذ من « فتح الباري » للحافظ ابن حجر بعزو ، وبغير عزو .

عماد الدين العامري

ومنهم الحافظ عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمّد العامري ، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ باليمن سماها : « بهجة المحافل وبغية الأماثل » لخص فيها المعجزات والمغازي والبعوث والشمائل ، وشرحها العلامة جمال الدين محمّد بن أبي بكر الأشخر اليمني ، المتوفى سنة (٩٩١هـ) .

محمد بن يوسف الشامي

ومنهم العلامة الحافظ محمّد بن يوسف بن علي شمس الدين الشامي الدمشقي الحنفي ، المتوفى بمصر سنة (٩٤٢هـ) سمّاها : « سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد » ، وهي أجمع السير ، وأوسعها مادة ، حتى إنّه يقول في طالع هذا الكتاب :

(اقتضبته من أكثر من ثلاث مئة كتاب ، وتحرّيت فيه الصواب ، ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ، وأنّ ما في الكتاب من الأبواب نحو ألفي باب) .

ويذكر لنا العلامة المؤرخ عبد الحي بن أحمد بن محمّد بن

المسمّى « الجواهر الغوالي في الأسانيد العوالي » : أنّ شيخه النور الشيراملسي ضبطه بفتح القاف ، وقال : إنّه نقل هذا الضبط من القسطلاني نفسه . والله أعلم . انتهى من « المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد » للشيخ حسن سبط إبراهيم سقا ، قلت : وضبطه الزرقاني في « شرح المواهب » عند ترجمة القطب القسطلاني : أنّه بضم القاف ، منسوب إلى قسطلينة من أعمال إفريقية بالمغرب ، عن القطب الحلبي ، وبعضهم ضبطه بفتح القاف وشد اللام . اهـ منه

العماد ، المتوفى بمكة سنة (١٠٨٩هـ) في « شذراته » : (أنه جمعها من ألف كتاب ، وأقبل الناس على كتابتها ، ومشى فيها على أنموذج لم يسبق إليه ، وختم كل باب بإيضاح ما أشكل فيه مع بيان غرائب الألفاظ ، وضبط المشكل ، والجمع بين الأحاديث التي قد يظن أنها من المتناقضات ، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء)^(١) .

ومنهم العلامة علي بن إبراهيم الحلبي نور الدين بن برهان الدين الشافعي ، المتوفى بمصر سنة (١٠٤٤) سمّاها : « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » وتعرف بـ « السيرة الحلبية » ، لخص فيها « سيرة اليعمري » ، و « سيرة الشامي » على أنموذج لطيف ، واصطلاح له فيها شريف .

قال شيخنا أبو الإقبال سيدي محمّد عبد الحي الكتّاني في « الترايب الإدارية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية » : (ومن أعجب ما ألف في الإسلام « الدرّة السنيّة في المعالم السنيّة » للقاضي أبي عبد الله محمّد بن عيسى بن محمّد بن أصبغ الأزدي ، المعروف بابن المناصف القرطبي ، المتوفى سنة (٦٢٠هـ) بمراكش ، وهو نظم عجيب نحو سبعة آلاف بيت من الرجز ، منه :

وإنَّ أَوْلَى ما تحلّى المُسْلِمُ

بَعْدَ كتابِ الله أو يُقَدِّمُ

عِلْمٌ بِأَيَّامِ رسول الله

من لَدُنِ النَّشْءِ إلى التَّنَاهِي

(١) طبع منها ثمانية أجزاء .

وحفظُ ما يحقُّ ألاَّ يُجهَلَ
 من أمرِه وحالِه مُفَصَّلاً
 فلنقتضبَ من ذاك ما لا يسعُ
 في الحقِّ أن يجهَلَ ذاك الأورعُ
 وما يكونُ شَرَفَ المَجَالِسِ
 جَلّاً العُلاَ للحافظِ المُدَارِسِ
 تعلو به الرُّتْبَةُ عن يقين
 في شرفِ الدُّنيا وحكمِ الدِّينِ)

قلت : ومنظومتنا هذه هي فصل الخطاب ، والآية في
 الإعجاب ، لا تدع شاذة ولا فاذة من عيون المغازي إلا أتت
 عليها بأبداع أسلوب وأسلس تعبير ، فهي الفريدة في بابها ،
 الممتعة لطلابها ، وها هي ذي بين أيدينا ترفل في أثواب
 حسنها ، مُدبَّجة بكلام الحفاظ والمهرة ، من نقدة أهل هذا
 الشأن ، فليحكم لها أو عليها .

ثم اعلم : أن أهل السير لا يتقيّدون بالصحيح من
 الأخبار ، بل يذكرون الصحيح والسقيم ، والبلاغ والمرسل ،
 والمنقطع دون الموضوع ، ومن أجل ذلك قال العلامة العراقي
 في « ألفيته » في المغازي والسير :

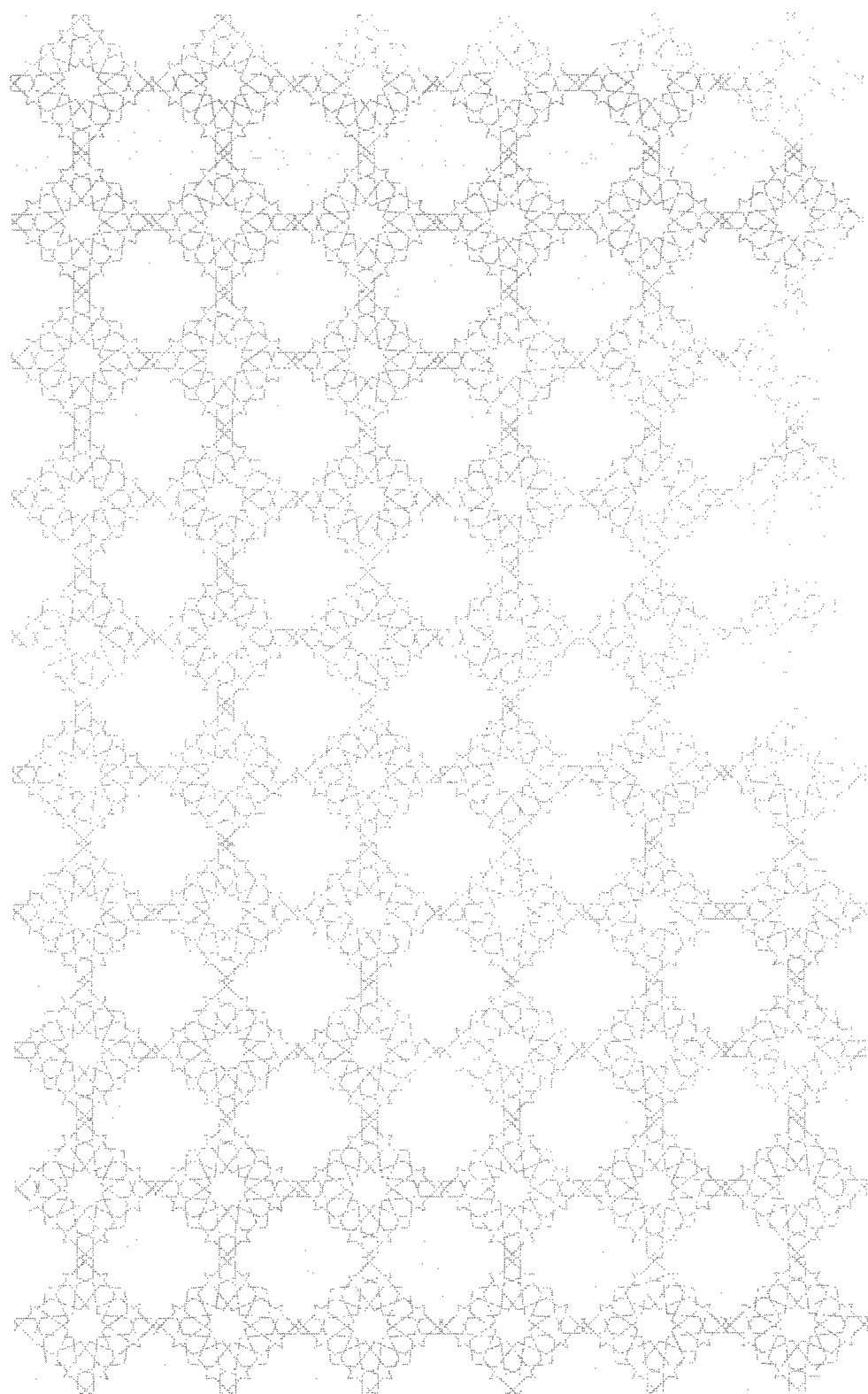
منهج أهل السير في
 الأخذ بالأخبار

وليعلم الطالب أن السيرة
 تجمع ما صح وما قد أنكر
 وقد قال الإمام أحمد بن حنبل كغيره من الأئمة : (إذا
 روي في الحلال والحرام . . شدّدنا ، وإذا روي في الفضائل
 ونحوها . . تساهلنا) والله أعلم .

وهذا أو أن الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فنقول :

متنُ

مَنْظُومَةُ الْمَغَازِي



قال الناظم رحمه الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مُرْسَلٍ لَخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ الْمَلَلِ
وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى لُبَابِ صَفْوَةِ الْأَنَامِ
وَالِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَّرَفِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نَعَمَ السَّلَفِ
مَا أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَهُ فِي مُهْرَقٍ يَنَابِعُ الْبَرَاعَةِ
وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ وَسَخَّ مُزْنُهُ وَهَبَّ شُمَالٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ أَهْمٌ مَا أَلْهَمَ تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُعْتَمَ
وَخَيْرُهُ وَالْعِلْمُ تَسْمُو رُتْبَتُهُ مِنْ فَضْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيرَتُهُ
فَهَاكَ مِنْهَا نُبْذَةٌ لَيْسَتْ تُمَلِّ وَلَمْ تَكُنْ بِمُعْظَمِ الْقَصْدِ تُخَلِّ
أَرْجُوزَةً عَلَى عُيُونِ الْأَثَرِ جُلُّ اعْتِمَادِ نَظْمِهَا فِي السَّيْرِ
وَشَدَّ مَا أُجْتَرَأَتْ فِي ذَا الْهَدَفِ إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِصَوِّغِ الثَّنْفِ
فَكَيْفَ بِالْعَقْدِ لِمَا كَانَ أَنْتَشَرَ عَنْ كَثْرَةِ وَفِي الْمَهَارِقِ أَبْدَعَرُ
لَكِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَى بَرَكَتِهِ وَجَاهِهِ بِنَظْمِ بَعْضِ سِيرَتِهِ
لَعَلَّهَا بِالنَّظْمِ هَلْهَلًا عَلَى مَنْ رَامَهَا نَظْمًا تَكُونُ أَسْهَلًا
وَلِحُضُورِهِ بِكُلِّ ذَهْنٍ عَنْ ذِكْرِهِ بِمُضْمَرٍ أَسْتَغْنِي
وَاللَّهُ أَسْأَلُ سَدَادَ النَّظَرِ وَعِصْمَةَ الْخَاطِرِ مِنْ ذَا الْخَطَرِ
وَأَنْ يَكُونَ لِي وَلَا عَلَيَّا وَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مَرْضِيًّا

وَأَنْ يَكُونَ لِلثَّوَابِ قَانِصًا
 مِمَّا يُلَبَّسُ بِهِ إِبْلِيسُ
 بِجَاهِ أَفْضَلِ الْوَرَى مُحَمَّدٍ
 أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْمُصْطَفَى
 ثُمَّ بَوَاطُ خَرَجُوا لِعِيرِ
 ثُمَّ الْعُشَيْرَةُ إِلَى عِيرِ أَبِي
 فَبَدْرُ الْأُولَى بِإِثْرِ نَاهِبِ
 كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ وَبَعْدُ اسْتَنْقَذَا
 فَبَدْرُ الْكُبْرَى لِعِيرِ صَخْرِ
 وَأَعْتَقَبُوا فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ
 وَلَمْ يَكُونُوا أَوْعَبُوا لِلْحَرْبِ
 وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ السُّيُوفِ
 وَلَا مِنَ الْخَيْلِ سِوَى اثْنَتَيْنِ
 وَأَسْتَنْفَرَ النَّفِيرَ صَخْرُ لَهُمْ
 فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِهِمْ مُمْتَحِنًا
 وَكَانَ مِنْ رِوِيَّةِ الْمَقْدَادِ
 وَعُمَرُ اسْتَقْلَّ جَيْشَ الْخَنْفَا
 وَأُسْتَبَقُوا صَخْرًا لِبَدْرٍ وَأَنْتَحَى
 عَنْهَا النَّبِيُّ الضَّرْبَ إِذْ قَالَ هُمَا
 وَعِنْدَمَا أَمِنَ صَخْرُ أَرْسَلَا

لِوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصًا
 وَلِلْهَوَى فِي طِيِّهِ تَذْلِيلُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ طُولَ الْأَبَدِ
 وَذَانُ فَالْأَبْوَاءُ أَوْ تَرَادَفَا
 أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفِ السَّفْسِيرِ
 سُفْيَانُ فِي ذَهَابِهَا لِلْأَرْبِ
 سَرَحِ الْمَدِينَةِ مُغَدِّ هَارِبِ
 لِقَاحِهِ مِمَّنْ عَلَيْهِ اسْتَحْوَذَا
 آيَّةٌ مِنْ شَأْمِهَا بِالْكَثْرِ
 كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرِ
 إِذْ مَا غَزَوْا لِغَيْرِ نَهَبِ الرِّكْبِ
 غَيْرُ ثَمَانٍ لِلْعِدَا حُتُوفِ
 وَقَدْ كَفَّتْهُمْ أَهْبَةُ التَّمَكِينِ
 وَجَاءَ خَيْرَ مُرْسَلٍ أَلْبَهُمْ
 وَقَالَ سَعْدُ مَا رَأَى وَأَحْسَنَا
 أَنْ رَضِيَ السَّيْرَ إِلَى الْغِمَادِ
 وَأُسْتُكْثِرَ الَّذِي إِلَيْهِ زَحَفَا
 وَأَخَذُوا وَارِدَةً وَزَحَزَحَا
 وَارِدَةُ النَّفِيرِ وَأُسْتُفْتَاهُمَا
 إِلَى النَّفِيرِ أَنْ يَوْوبَ قُفْلَا

وَرَدَّ الْأَخْنَسُ الْمَسْوُودَ عَلَى
وَأَبْنُ هِشَامٍ قَالَ لَا أُوْ نَرِدَا
فَطَاوَعُوهُ وَمَضُوا وَبَاتُوا
عَنْ كَثْبٍ وَأَصْبَحُوا بِوَحْلِ
بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وَأَصْبَحَ عَلَى
فَنَزَلُوا أَدْنَى الْمِيَاهِ لِلْعِدَا
قَلْبِهِمْ وَجَعَلُوا الْأَوَانِي
وَأَقْبَلْتُ بِالْخَيْلِ وَالْكَبْرِيَا
لَوْ طَاوَعُوا عُتْبَةَ أَوْ حَكِيمَا
لَكُونَهُمْ إِلَى الْقُفُولِ أَرْشَدُوا
وَقَالَ عَمْرُو وَبِأَنْفِهِ شَمَخَ
وَأَسْتَشَدَّ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ الثَّارَا
فَقَامَ لِلْوَلِيدِ نَجْلٍ عُتْبَةَ
نَجْلٍ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ أَخُوهُ
وَقَطَعَتْ قَدَمُهُ وَاحْتَمَلُوهُ
وَهُوَ إِذَا أَخَذَتْ فِي نِعَمِ النَّسَبِ
وَشَهِدَ الْمَشْهَدَ هَذَا أَخُوهُ
وَأَبْنُ غَزِيَّةٍ سَوَادٌ أُسْتَتَلَا
نَيْيْتَا فَمَسَّهُ فِي كَشْحِهِ
أَوْجَعَتْنِي نَحْسًا فَأَعْطَنِي الْقَوْدُ

حَلَفَ بَنِي زُهْرَةَ وَأَزْدَادَ عُلَا
بَدْرًا فَتَنَحَّرَ وَنَزَهَبَ الْعِدَا
بِشَرِّ مَا بَاتَ بِهِ بُغَاةُ
ثَبَّطَهُمْ وَبَاتَ خَيْرُ مُرْسَلِ
أَثَبَتْ أَرْضٌ لِلْخُطَا وَأَزْتَحَلَا
وَعَوَّرُوا جَمِيعَهُنَّ مَا عَدَا
فِي جَدُولٍ فَهِيَ لَهُمْ دَوَانِي
إِلَى الْمَصَارِعِ الزُّحُوفِ الْأَشْقِيَا
أَوْ ابْنٌ وَهَبٍ مَا رَأَوْا أَلِيمَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَوْا عَلَى مَا وَرَدُوا
ثَانِيَةً سَحَرُ عُتْبَةَ أَنْتَفَخَ
فَحَشَّ حَرْبًا بَيْنَهُمْ وَشَرًّا
حَيْدَرَةً وَحَمْزَةً لِشَيْبَةَ
قَامَ لَهُ عُبَيْدَةُ إِذْ رَشَّحُوهُ
وَهُوَ أَسَنُ الْجَيْشِ فِيمَا نَقَلُوهُ
عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ
أَعْنِي الْحُصَيْنَ وَالْطُّفَيْلَ مُشْبَهَا
مِنْ صَفِّهِ وَرَامَ أَنْ يَعْتَدِلَا
وَقَالَ إِذْ أَلَمَ مَسٌّ قِدْحِهِ
وَجَدَّ فِي أَنْ كَانَ بَاشَرَ الْجَسَدُ

وَحَفَقَ النَّبِيُّ حِينَ الْمَعْرَكَةِ
 عَلَى ثَنَائَا جَبْرِئِيلَ النَّقْعُ
 وَقِيلَ : لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةَ
 لَكِنَّهُمْ لِعَدَدٍ وَمَدَدٍ
 وَجَاءَ أَنَّ جَبْرِئِيلَ يَحْضُرُ
 نُزُولَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 وَرَاقِبَ الْجَمْعَيْنِ شَخْصَانِ لِكَيْ
 فَرَأَيَا الْمَلِكَ وَهُوَ مُنْطَلِقُ
 وَأَبْنُ مُعَاذٍ مُبْتَنِي الْعَرِيشِ
 يَكْرَهُ إِبْقَاءَ الْأَسَارَى وَيَرَى
 وَهَكَذَا عُمَرُ كَانَ وَهِيَ مِنْ
 عَنْ قَتْلِ إِلِهِ نَهَى إِذْ خَرَجُوا
 وَعَنْ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ إِذْ لَمْ يُؤْذِهِ
 وَجَاءَهُ الْمُجَدَّرُ بْنُ ذِيَادٍ
 فَقَالَ وَالزَّمِيلَ قَالَ الْمُصْطَفَى
 فَقَالَ وَالنَّخْوَةَ تَابَى وَالْإِبَا
 لَا يُسْلِمُ أَبْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ
 وَإِذْ نَهَى عَنْ قَتْلِ عَمِّهِ هَفَا
 وَكَفَّرَتْ هَفَوْتَهُ الشَّهَادَةَ
 وَإِذْ رَأَاهُ الْمُصْطَفَى تَضَجَّجَا

وَفِي عَرِيشِهِ رَأَى الْمَلَائِكَةَ
 وَلَمْ يُقَاتِلْ فِي سِوَاهَا الْجَمْعُ
 إِذْ رِيَشَةٌ مِنْهُمْ لِقَوْمٍ مُهْلِكَةٍ
 وَطَبَلُهُمْ هُنَاكَ طُولَ الْأَبَدِ
 مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وَقَوْمٌ أَنْكَرُوا
 وَالْحَقُّ أَنْ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِي
 يَتَّبِعَانِ مِنْ مُدْبِرِي الْجَمْعَيْنِ شَيْ
 فَأَنْشَقَّ وَاحِدٌ وَالْآخَرُ صَعِقَ
 وَحَارِسُ النَّبِيِّ مِنْ قُرَيْشٍ
 إِهْلَاكَهُمْ أَوَّلَ قَتْلِ أَجْدَرَا
 مُوَافَقَاتِهِ الَّتِي بَعْدُ تَعَنَّ
 وَفِي خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ حَرْجٌ
 وَصَكُّ نَبَذِهِمْ سَعَى فِي نَبْذِهِ
 وَقَالَ عَنْكَ قَدْ نَهَى خَيْرُ الْعِبَادِ
 لَمْ يَنْهَ عَنْ قَتْلِ الزَّمِيلِ الْحُنْفَا
 عَنْ تَرْكِه جُبْنًا وَحَكَمَ الطُّبَا
 حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
 أَبُو حُذَيْفَةَ وَقَالَ سَحَفَا
 يَوْمَ أَلِيمَامَةَ لَهَا أَرَادَهُ
 مِنْ جَرِّ عُتْبَةٍ أَيْهِ أَعْتَذَرَا

بِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ أَبَاهُ
وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ
فَطَرَحَ أَبْنَاهُ الْهَزْبَرُ عِكْرِمَةَ
الْصَّقَّ خَيْرُ مُرْسَلٍ فَالْتَصَقَا
فِرْعَوْنُ الْأَمَّةِ النَّبِيِّ عَرَفَا
بَيْنَ الْهَوَالِكِ وَكَلَّمَ النَّبِيَّ
وَعَايَنَ النَّاسُ الْمَصَارِعَ الَّتِي
فَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُ مَا وَعَدَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ كِتَابٌ سَابِقُ
يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ فِي الْكُفْرِ
بِأَنَّهُ الْعَذَابُ وَاللَّزَامُ
وَأَنَّهُ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْكُفْرِ
فِي الْأَجْرِ وَالْمَغْنَمِ قَسَمَ النَّبِيُّ
لِطَلْحَةَ وَلِسَعِيدٍ أَرْسَلَا
وَلَا بِنِ عَفَّانَ وَلَا بِنِ الصَّمَّةِ
وَأَبْنِ عَدِيٍّ عَاصِمُ الْعَجْلَانِي
عَلَى الْعَوَالِي وَعَلَى الْمَدِينَةِ
ثَامِنُهُمْ رُدَّ مِنَ الرُّوحَاءِ
وَأَبْنِ عُمَيْرٍ مُضَعَبٌ مَرَّ عَلَى
فَحَضَّهُمْ أَنْ شَدَّدُوا إِنْ لَهُ

يَخْجُزُهُ عَنْ مِيتَةِ الشُّوءِ حِجَاهُ
أَطَنَّ سَاقَ ابْنِ هِشَامِ الطَّمُوحِ
عَاتِقُهُ وَجَرَّهُ فِي الْمَلْحَمَةِ
عَاتِقُهُ لَمَّا عَلَيْهِ بَصَقَا
بِجَحْشِهِ رُكْبَتَهُ إِذَا اخْتَفَى
جُشَّهْمُ مُوَبِّخًا لِلْخُشْبِ
أَخْبَرَهُمْ بِهَا مُقِيمُ الْمِلَّةِ
وَأَوْهَنَ الْكُفْرَ وَأَيَّدَ الْهُدَى
لِذَاكَ مَا شَهِدَهَا مُنَافِقُ
وَقَدْ أَتَى مُنَوَّهًا فِي الذِّكْرِ
وَأَنَّهُ الْبَطْشُ وَالِانْتِقَامُ
وَالْحَقُّ وَالنَّصْرُ سَجِيسَ الدَّهْرِ
لِنَفْرِ عَنِ الزُّحَافِ غِيَّبِ
لِلرَّكْبِ يَنْظُرَانِ أَيْنَ نَزَلَا
وَأَبْنِ جُبَيْرٍ كُسْرَا عَنْ هِمَّةِ
خَلَفَهُ خَيْرُ بَنِي عَدْنَانَ
أَبَا لُبَابَةَ الرِّيطَ الزَّيْنَةَ
وَهُوَ ابْنُ حَاطِبٍ إِلَى قُبَاءِ
شَقِيقِهِ مُسْتَأْسَرًا لِلْفُضَلَا
أُمًّا مَلِيَّةً تَفُكُّ كَبْلَهُ

وَأَبْنُ الرَّبِيعِ صَهْرُ هَادِي الْأُمَّةِ
بِعَقْدِهَا الَّذِي بِهِ أَهْدَتْهَا
سَرَّحَهُ بِعَقْدِهَا وَعَهْدًا
فَرَدَّهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ تَجَرَا
فَانْتَهَبَ الْأَصْحَابُ عِيرَ الْقُلُوبِ
فَصَرَّحَتْ وَلَمْ تُجْمِعِ الْبُتُونُ
فَرُدَّ مَالُهُ عَلَيْهِ أَجْمَعُ
أَوْصَى بِهِ مِنْ حَيْثُ الْأَكْرَامُ ابْنَتَهُ
وَمَا أَرْتَضَى مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِ ابْنَتِهِ
لَوْ أَنَّهُ يُحِلُّ أَوْ يُحَرِّمُ
وَسُئِلَ الْإِيمَانُ كَيْ يَحُوزَا
فَهَابَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْخِيَانَةِ
فَرَدَّهَا لِأَهْلِهَا وَأَسْلَمَا
فَرَدَّهَا إِلَيْهِ خَيْرُ مُرْسَلٍ
وَأُمُّهُ هَالَةٌ أَخْتُ صَهْرَتِهِ
وَالْمُسْلِمُونَ خَيْرُوا بَيْنَ الْفِدَا
وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ فَمَالُوا لِلْفِدَا
وَأَنَّهُ أَدَّى إِلَى الشَّهَادَةِ
وَهُوَ بِقَدْرِ وُسْعِهِمْ وَالْمُملِيقُ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسَارَى عَمُرُو

إِذْ فِي فِدَاهُ زَيْنَبُ أَرْسَلَتْ
لَهُ خَدِيجَةً وَزَفَفَتْهَا
إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا لَهُ غَدًا
لِنَفْسِهِ وَسَاكِنِي أُمِّ الْقُرَى
فَجَاءَ وَاسْتَجَارَ بِابْنَةِ النَّبِيِّ
بِأَنْ أَجَارَتْهُ وَأَمْضَاهُ الرَّسُولُ
تِلْكَ الصَّهَارَةُ بِهَا يَسْتَشْفِعُ
لَكِنْ نَهَاها أَنْ تَكُونَ بَعْلَتَهُ
وَكَفَرِهِ بَقَاءَهَا فِي عِصْمَتِهِ
بِمَكَّةَ عَنْهَا الْحَلِيلُ يَخْسِمُ
مَالُ قُرَيْشٍ وَبِهِ يَفُوزَا
إِيمَانُهُ وَيَدْعُ الْأَمَانَةَ
وَأَبَ إِذْ إِلَى قُرَيْشٍ أَسْلَمَا
بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَلَى الْقَوْلِ الْجَلِيِّ
وَالْمُصْطَفَى رَضِيَ عَنْ صَهَارَتِهِ
وَقَدَرُهُمْ فِي قَابِلٍ يُسْتَشْهَدَا
لِأَنَّهُ عَلَى الْقِتَالِ عَضَدَا
وَهِيَ قُصَارَى الْفُوزِ وَالسَّعَادَةِ
مِنْ خَطِّهِ عَشْرَةٌ يُحَذِّقُ
نَجْلُ أَبِي سُفْيَانَ ثُمَّ الصَّهْرُ

وَالْعَمُّ وَأَبْنَا أَخَوَيْهِ وَهُمَا
وَخَالِدٌ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَقَدْ
وَمِكَرَزُ رَكَزَ فِي مَرَكَزِهِ
وَأَبْنُ أَبِي وَأَبُو وَدَاعَهُ
وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ الَّذِي افْتَخَرَ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ أَلُمَّاتِ حَنْظَلَةَ
وَهُمْ نُبِيَّةُ حَارِثُ وَالْعَاصِي
مِنْ مَكَّةَ لِكَوْنِهِ مُسْتَضْعَفًا
مَعَ قُرَيْشٍ وَتَوَفَّتْ ظَالِمِي
وَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ الرَّدِّي
وَأَبْنَانِ لِلْفَاكِهِي وَالْوَلِيدِ
سَمِيَّةَ وَأَخَوِي فِرْعَوْنًا
سَلَمَةَ عَيَّاشِ الْمُسْتَضْعَفِينَ
وَأَسْتَشْهَدْتُ سِتًّا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ
وَذُو الشَّمَالَيْنِ وَمِهْجَعُ عُمَرُ
وَأَثْنَانِ لِلأَوْسِ ابْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ
وَسِتَّةُ الْخَزَرَجِ هُمْ يَزِيدُ
حَارِثَةُ وَأَبْنُ الْمُعَلَّى رَافِعُ
لِرَبِّهِ وَهُوَ يَقُولُ أَفَمَا

عَقِيلُ نَوْفَلُ وَبَعْدُ أَسْلَمَا
أَسْلَمَ أَيْضًا وَسَهَيْلُ الْأَسَدُ
حَتَّى أَتَى فِدَاؤُهُ لِعِزِّهِ
أَوَّلُ مَفْدِيٍّ مِنَ الرِّبَاعَةِ
فَكَانَ قَبْلَ كُلِّ هُوَّةٍ عَجَزُ
مُنْبَّهٌ وَصِنُوهُ وَأَبْنَانِ لَهُ
أَحَدُ رَهْطٍ غَيْرِ ذِي خَلَاصٍ
فِي زَعْمِهِ وَيَوْمَ بَدْرٍ زَحَفَا
أَنْفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَا حِمٍ
وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ
وَأَيْنَ هُمْ مِنْ أَيْنِهِ الْمَجِيدِ
شَقِيقِ أَوْ لِلْأُمِّ ذَاقَا الْهُونَا
قَنْتَ لِاسْتِغَاذِهِمْ طَهَ الْأَمِينِ
عُبَيْدَةُ الْمَذْكُورُ فِي الْمُبَارِزِينَ
وَأَبْنُ الْبُكَيْرِ عَاقِلُ الشَّاصِي
صَفْوَانُ بَيْضَاءَ الَّذِي بِهَا اشْتَهَرَ
مُبَشِّرُ سَعْدِ ابْنِ خَيْثَمِ الْجَرِي
عَوْفُ مَعْوُذُ أَخُوهُ الصَّيْدِ
ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ النَّازِعُ
بَيْنِي وَبَيْنَ جَنَّةٍ إِلَّا الْحَمَا

فَلِسْلَيْمَ فَلَقَيْنَتْهُ قَاع
هُمْ كَشَفُوا إِزَارَهَا عَنْ مُسْلِمَةٍ
لَوْ آمَنْتَ مِنَ الْيَهُودِ كُلِّهَا
عَادُوا لِلْإِفْسَادِ فَعَادَ اللَّهُ
أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودَا
نَبِيَّيَا وَهُمْ أَسَارَى سَطَوْتِهِ
وَمِنْهُمْ الشَّاهِدُ عَبْدُ اللَّهِ
فَغَزَوْهُ السَّوِيْقُ فِي إِثْرِ أَبِي
وَغَالَ نَفْسَيْنِ وَكَانَ إِلَى
وَكَانَ يُلْقِي جُرْبَ السَّوِيْقِ
فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ ثُمَّ بَعْدَهَا
وَبَعْدَهَا دُوْ أَمْرٍ وَغَطَفَانُ
لِغَطَفَانٍ وَجُمُوعٍ ثَعْلَبَةٍ
وَهُوَ الَّذِي وَجَدَ خَيْرَ مُرْسَلٍ
فَسَلَّهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ
وَفِيهِ أَوْ فِي غَوْرَثٍ أَوْ النَّضِيرِ
وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ بُحْرَانَ إِلَى
فَأُحْدُ بِرَبْحٍ عَيْرِ صَخْرٍ
وَخَرَجُوا بِ (يَه) طُعْنٍ وَهُمْ
رَاءَ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فَرَسُ

الْمُتَصَدِّينَ إِلَى الْقِرَاعِ
فَهَاجَ حَرْبٌ بَيْنَهُمْ وَالْمُسْلِمَةَ
زُهَاءُ عَشْرَةٍ أَهْتَدُوا لِأَجْلِهَا
وَفَيَّقَاعُ الْعُمَّةُ الْعِزَاهُ
وَأَبْنُ أَبِي سَالٍ الْقُرُودَا
فَأُطْلِقُوا وَطُرِدُوا مِنْ طَبِيبَةٍ
نَجْلُ سَلَامٍ الْعَظِيمُ الْجَاهِ
سُفْيَانُ أَنْ حَرَّقَ نَخْلَ يَثْرِبِ
لَا يَقْرَبُ النِّسَاءَ أَوْ يَنَالَا
مَخَافَةَ اللَّحُوقِ فِي الطَّرِيقِ
قَرْقَرَةُ الْكُذْرِ لِقَوْمٍ عِنْدَهَا
كِلاهُمَا تُدْعَى بِهِ وَتُسْتَبَانُ
جَمَعَهَا دُعُورُ صَاحِبِ الطُّبَّةِ
يُجِفُّ ثَوْبَيْنِ لَهُ بِمَعْزِلِ
فَصَدَّهُ جَبْرِيلُ عَمَّا أَنْتَهَكََا
﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْزِلْتُ عَلَى الْبَشِيرِ
أُمَّ الْقُرَى أَوْ لِسْلَيْمَ الْجَهْلَا
تَاهَبُّوا لِيَتَرَوْا مِنْ بَذْرِ
جِيْمِ الْوَفِّ وَالْخِيُولُ لَهُمْ
وَفِي زُرُوعٍ قَيْلَةٍ إِخْتَبَسُوا

وَقِيلَ : فِيهِمْ فَرَسٌ تَحْتَ أَبِي
وَقَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ خَيْرُ الْأُمَمِ
وَأَنَّهُ أَذْخَلَ فِي دِرْعِ يَدِهِ
فَالْتَلَمُ الْعَمُّ وَأَمَّا الْبَقَرُ
مِنْ صَحْبِهِ وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ
وَأَسْتَكْرَهُوا خَيْرَ الْوَرَى فَأَخْرَجُوهُ
فَرَأَحَ نَحْوُ أَحَدٍ وَأَبْتَكَّرَا
وَأَسْتَلَّ سَيْفَ رَجُلٍ ذُبُّ فَرَسٍ
وَكَانَ لَا يَعْتَأَفُ إِلَّا أَنَّهُ
وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْحَاثِي
أَجَازَ أَبْنَاءَ يَهٍ وَأَسْتَصْغَرَا
وَقَالَ مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَا
أَبُو دُجَانَةٍ وَخَالَ إِذْ مَشَى
وَأَسْتَأْصَلُوا أَهْلَ اللَّوَا فَأَنْهَزَمُوا
مَوْلَوَاتٍ إِنْهُمْ وَرَغَبَا
وَخَالَفَ الرُّمَاءُ أَمْرَ الْمُصْطَفَى
فَتَرَكُوا ظُهُورَهُمْ لِخَالِدٍ
وَحَالَتِ الرِّيحُ وَدَارَتِ الرِّحَى
وَصَرَخَ الصَّارِخُ أَنَّ مَاتَ النَّبِيُّ
وَقَالَ إِذْ ذَلِكَ : « لَوْ كَانَ لَنَا »

بُرْدَةٍ النَّذْبِ وَأُخْرَى لِلنَّبِيِّ
أَنَّ كَانَ فِي ذُبَابٍ سَيْفِهِ ثَلَمَ
وَبَقَرًا يُذْبَحُ أَيْضًا وَجَدَهُ
يُذْبَحُ فَهُوَ النَّفَرُ الْمُعْفَرُ
أَذْخَلَ فِيهَا يَدَهُ الْمَدِينَةَ
وَبَعْدَ مَا أَسْتَلَّامَ فِيهَا أَسْتَبْطَوْهُ
وَحَامَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي وَامْتَرَا
فَقَالَ شِمُ سَيْفِكَ وَالْحَرْبُ أَفْتَرَسَ
يُعْجِبُهُ أَلْفَالُ إِذَا عَنَّ لَهُ
فِي أَوْجِهِ الْقَوْمِ وَكَانَ رَاشِي
مَنْ دُونَهُمْ وَالْجَيْشُ ذَالًا أَنْبَرَى
بِحَقِّهِ فَنَالَهُ وَأَسْتَوْفَى
وَمَشِيَهُ مِنْ بَغْضِهِ جَلَّ حَشَا
وَشَمَّرَتْ عَنْ سُوقِهِنَّ الْحُرْمُ
فِي الْمَغْنَمِ الرُّمَاءُ حِينَ أَسْتَلَبَا
بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ خَلْفَ الْحَنْفَا
فَكَرَّ رَاجِعًا بِكُلِّ حَارِدٍ
وَذَاقَ مَنْ خَالَفَهُ مَا أَجْتَرَحَا
فَارْتَهَبُوا لِذَلِكَ كُلَّ الرَّهَبِ
مِنْ دَهْشِ قَائِلِهِمْ فَأَفْتَنَّا

وَنَجَلَ مُطْعِمٍ جُبَيْرٌ إِذْ قَتَلَ
لِقَتْلِهِ بِأَنْ عَلَيْهِ ذَمًّا رَا
وَدَقَّه فِي شِدْقِهِ ابْنُ حَرْبٍ
أَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا قُزْمَانُ
وَعَكْسُهُ الْأَصِيرُ الْمُخَرْدَلُ
وَتَبَّتْ مَعَ النَّبِيِّ اثْنَا عَشَرَ
مِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ وَابْنُ أَبِي
وَطْلَحَةَ وَفِيهِ شَلَّتْ يَدُهُ
وَتَحْتَهُ جَلَسَ أَنْ جَهَضَهُ
وَالْعَمَرَانِ وَعَلِيٌّ وَعَفَا
وَتَبَّتْ نَسِيبَةُ الْمُبَايَعَةِ
وَجُرِحَتْ فِيهِ وَشَلَّتْ يَدَهَا
فِي حُفْرَةٍ وَقَعَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ
إِذْ عُتِبَتْ هَشٌّ رَبَاعِيَّتُهُ
وَشَجَّهَ ابْنُ قَمَّةٍ وَابْنُ شَهَابٍ
وَأَزْدَرَدَ الدَّمَ أَبُو الْخُدْرِيِّ
أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ أَثَرُ مَا
بِمِلْءِ دَرَقَةٍ مِنَ الْمِهْرَاسِ
حَيْدَرَةً فَعَافَهُ وَرَحَضَا
قَتَادَةُ ذُو الْعَيْنِ رَدَّهَا النَّبِيُّ

حَمْزَةُ عَمَّهُ طُعَيْمَةُ أَحْتَفَلَ
وَحْشِيَّه يَوْمئِذٍ وَحَرَّرَا
فَقَالَ : « ذُقْ عُقُقُ » أَيْ ذُقْ حَرْبِي
عَلَى الْحِفَاطِ فَلَهُ الْخُسْرَانُ
لَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْقِتَالِ عَمَلُ
بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَبَيْنَ مَنْ نَصَرَ
وَقَاصِ الَّذِي أَفْتَدَاهُ بِالْأَبِ
إِذْ أَتَقَى النَّبْلَ بِهَا يَصُمُدُهُ
دِرْعَاهُ وَالْجِرَاحُ فَاسْتَنْهَضَهُ
إِلَهُنَا عَنِ الَّذِي مِنْهُمْ هَفَا
قَبْلُ وَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى مُدَافِعَهُ
وَلِلتَّبَرُّكِ الْوَرَى تَقْصِيدُهَا
فَنَاشَهُ طَلْحَةَ وَالصَّهْرُ عَلِي
وَشَقَّ مِنْ شِقْوَتِهِ شَفْتَهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّ سَحَابُ
وَأَنْتَزَعَ الْحَلْقَةَ فِي النَّبِيِّ
بِسَاقِطِ الثَّيْتَيْنِ أَعْلَمَا
جَاءَ لِيَشْرَبَ شَفِيعُ النَّاسِ
عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ فَفَازَ بِالرِّضَا
بِقَوْسِهِ وَقَدْ تَشَطَّطَتْ حُبِّي

أَوَّلُ مَنْ عَرَفَهُ فَبَشَّرَا
فَعَاوِدُوهُ وَتَسَاقَطُوا عَلَيْهِ
فَبَايَعُوا عَلَى الْمَمَاتِ الْمُجَبِّي
وَبَعْدَ مَا أَطْمَأَنَّ فِي الشَّعْبِ عِلَّتْ
صَلَّى بِهِمْ وَقَعَدُوا وَقَعَدَا
وَأُسْتَبْدَلَتْ هِنْدٌ مِنَ اللَّالِي
وَطَوَّقَتْ وَحْشِيَّهَا الْفَرِيدَا
نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ
كَلا الْمُجَدِّعِ وَسَعْدِ الْمُفْتَدِي
أَمَّا الْمُجَدِّعُ فَلِلشَّهَادَةِ
وَإِذْ أَبُو رُحْمٍ الْغِفَارِيُّ نُحِرَ
وَأُسْتَشْهَدَ اللَّذَانِ قَدْ تَخَلَّفَا
هُمَا حُسَيْلُ الْيَمَانِي أَسْلَمَهُ
وَتَابَتْ بِنُ وَقْشٍ الْمُسْتَشْهَدُ
وَأَبْنُ الرَّيِّعِ سَعْدُ اللَّذْ سَالَا
شَفَا الشَّهَادَةَ فَأَرْسَلَ الرِّضَا
وَذُو الْوَصَايَا الْجُمُّ لِلْبَشِيرِ
وَمُضْعَبُ شَمَّاسٍ وَالْمُجَدِّعُ
حَنْظَلَةُ الْغَسِيلُ نَجْلُ الْفَاسِقِ

بِهِ ابْنُ مَالِكٍ قَرِيعُ الشُّعْرَا
وَنَهَضُوا لِلشَّعْبِ إِذْ أَوْوَا إِلَيْهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا
عَالِيَةً مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَنْزَلَتْ
ظُهُرًا لِمَا مِنَ الْجِرَاحِ أَجْهَدَا
قَلَائِدًا مِنْ أَنْفِ الرَّجَالِ
وَأَدْبَرَتْ تُرَدُّ النَّشِيدَا
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِ
سَأَلَ رَبَّ الْعَرْشِ مِنْهُمْ أَسَدَا
وَسَعْدُ الْفَتْكَ بِهِ أَرَادَهُ
بِرِيقِهِ فِي الْحَيْنِ قَامَ مُسْتَمِرُ
لِكَبْرِ فَلَحِقَا وَرَحَفَا
حَذِيفَةُ إِذْ أَهْلَكَتُهُ الْمُسْلِمَةُ
أَخُوهُ وَأَبْنَاهُ وَكُلُّ وَتَدُ
نَبِيْنَا عَنْهُ فَأُلْفِي عَلَى
إِلَى النَّبِيِّ بِالسَّلَامِ وَالرِّضَا
وَهُوَ مُخَيْرِيقُ بَنِي النَّضِيرِ
بِحَمْزَةِ الْمُهَاجِرُونَ أَرْبَعُ
زَوْجُ جَمِيلَةِ ابْنَةِ الْمُنَافِقِ

أَجْنَبَ مِنْهَا فَاسْتَخَفَّهُ الْقِتَالُ
وَقَالَ صَخْرٌ إِذْ رَأَاهُ قَتَلَهُ
وَأَسْتَشْهَدَ الْأَعْرَجُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ
سَأَلَ صَخْرٌ وَأَنْثَنَى يُغَرِّدُ
وَأَرْتَقَبُوا إِنْ يَجْنُبُوا فَهُمْ قُتِلَ
وَبِأَبِيٍّ مَرَّ بَعْدُ ابْنُ عُمَرَ
مُسْلَسَلًا صَدَيَانِ فَاسْتَسْقَاهُ
وَمَرَّ أَيْضًا بِأَبِي جَهْلٍ لَدَى
وَبَعْدَهَا غَزْوَةٌ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ
وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَخْرُجَا
وَلَا ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرٍ سَمَخَ
بِالْأَمْسِ ، إِذْ قَالَ أَبُوهُ يَا بُنَيَّ
وَفَتَكُوا بِجَدِّ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَهُوَ الْمُثَمِّلُ بِعَمِّ أَحْمَدٍ
وَبِالَّذِي عَلَيْهِ قَبْلُ أَشْفَقَا
ثَانِيَةً أَنْ كَانَ ذَا بَنَاتٍ
ثُمَّ النَّضِيرُ هَاجَهَا أَنْ جَاءَهُمْ
فَأَصْعَدُوا أَحَدَهُمْ لِيُلْقِيَا
وَأَخْبَرَ ابْنُ مِشْكَمٍ أَنْ يُخْبِرَا
وَجَاءَهُ الْخَبَرُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ

عَنْ شِقِّهِ أَوْ عَنْ جَمِيعِ الْإِغْتِسَالِ
شَدَّادُهُمْ حَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ
وَعَنْ حَيَاةِ الْمُصْطَفَى أَبَا الْفَتْوحِ
مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ وَقَالَ الْمَوْعِدُ
أَوْ يُسْرِجُوا فَهُمْ لَطِيبَةٌ نُسَلِّ
وَهُوَ الَّذِي رَمَاهُ خَالِقُ الْبَشَرِ
وَالسَّقْيِيُّ عَنْهُ مَلَكٌ نَهَاةُ
بَدْرٍ بِهِ أَضَرَ لَاعِجُ الصَّدَى
كَانَتْ لِإِرْهَابِ صَبِيحَةِ أَحَدٍ
إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا
بِالْغَزْوِ إِذْ لِأَخَوَاتِهِ جَنَحُ
مَا كُنْتُ أَوْثِرُكَ بِالْغَزْوِ عَلَيَّ
لِأُمِّهِ سَبْطِ أَبِي الْعَاصِ الدَّكِيِّ
وَبِمَعَاوِيَةَ يُعْرِفُ الرَّدِي
نَبِيْنَا ثُمَّ أَرْتَجَى أَنْ يُطْلَقَا
وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ذُو الْهَنَاتِ
مَسْتَوْهَبًا مِنْ دِيَةِ مَا نَابَهُمْ
عَلَيْهِ صَخْرَةٌ تُرِيحُ الْأَغْيَا
وَزَجَرَ الرَّهْطَ فَلَمْ يَنْزَجِرَا
وَفِي حِصَارِهَا الْعُقَارُ حُرْمًا

وَالْحَشْرُ أُنْزِلَتْ بِهَا وَنَقَضَا
وَفَيْتُهُمْ وَالْفَيْءُ فِي الْأَنْفَالِ
أَمَّا الْغَنِيمَةُ فَفِي زَحَافٍ
لِخَيْرِ مُرْسَلٍ وَخَصَّ فِتْنَتُهُ
كَانَ التَّرْحُمُ عَلَى الْأَنْصَارِ
وَشَاطَرُوهُمْ مَالَهُمْ وَنَزَلُوا
مَنْ سَنَهُ مُخَيَّرًا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ
فَتَرَكُوهُنَّ لَهُمْ تَعَقُّمَا
ثُمَّ إِلَى مُحَارِبٍ وَتَغَلَّبَهُ
وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ وَعَوْرَتْ جَرَى
مَعَ النَّبِيِّ وَعَلَى الْمُعْتَمِدِ
ثُمَّ لِمِيعَادِ ابْنِ حَرْبٍ بَذُرُ
فِدْوَمَةِ الْجَنْدَلِ هَاجَهَا زُمُرُ
ثُمَّتَ لَمَّا أُجْلِيَتْ يَهُودُ
وَحَزَبَتْ عَسَاكِرًا عِنَاجُهَا
وَجَعَلُوا كَيْ يَتَرَوْا خَيْرَ الْوَرَى
خَنَدَقَ خَيْرُ مُرْسَلٍ بِأَمْرِ
كَمْ آيَةٍ فِي حَفَرِهِ كَالشَّبَعِ
وَكَمْ بَشَارَةٍ لِخَيْرِ مُرْسَلٍ
وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ إِذْ فِتْنَتُهُ

نَجَلُ أَبِي عَهْدَهُمْ وَرَفَضَا
مَا لَمْ يَكُنْ أُخِذَ عَنْ قِتَالِ
وَالْأُخْذِ عَنُوءَ لَدَى الزَّحَافِ
وَفِي رِضَا أَنْصَارِهِ عَطِيَّتُهُ
أَنْ أَثَرُوا بِهِ يَنْبِي نِزَارِ
عَنِ الْحَلَالِ لِلْهُمِّ وَأَوَّلُ
إِبْنُ الرَّبِيعِ لِابْنِ عَوْفٍ الْمَكِينِ
فَعَفَّ هَذَاكَ وَذَاكَ أَشْرَفَا
ذَاتِ الرَّقَاعِ نَاهَزُوا الْمُضَارِبَةَ
فِيهَا لَهُ الَّذِي لِدُعْثُورٍ جَرَى
جَرَتْ لِوَاحِدٍ بِلَا تَعَدُّدِ
وَكَعَّ عَنْهَا نَجَلُ حَرْبٍ صَخْرُ
بِدْوَمَةٍ يَظْلِمَنَّ مَنْ بِهِنَّ مَرُ
وَأَوْغَرَتْ صُدُورَهَا الْحُقُودُ
إِلَى ابْنِ حَرْبٍ وَقُرَيْشُ تَاجُهَا
لِغَطَفَانِ نِصْفَ تَمْرِ خَيْرًا
سَلْمَانَ وَالْحُرُوبُ ذَاتُ مَكْرِ
مِنْ حَفْنَةٍ وَسَخْلَةٍ لِلْمَجْمَعِ
مِنْ الْفُتُوحِ تَحْتَ ضَرْبِ الْمِعْوَلِ
عَنْ عَهْدِهِ حِيٍّ أَعْطَى رَسَنَهُ

فَغَدَرَتْ قُرَيْظَةُ لِغَدْرِهِ
وَأَرْسَلَ السَّعْدَيْنِ خَيْرَ مُرْسِلٍ
مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُمْ عَضَلُ
قَالَتْ جُنُوبٌ لِلشَّمَالِ أَنْطَلِقِ
فَقَالَتْ الشَّمَالُ إِنَّ الْحُرَّةَ
فَأَرْسَلَ اللَّهُ الصَّبَا وَالْمَلَكَهَ
وَعُظْفَانَ رَامَ أَنْ يُخَوَّلُوا
وَأَنفَ السَّعْدَانِ مِنْ صُلْحِ النَّبِيِّ
مُعْتَبٌ نَجَلٌ فُشِيرٌ قَالَا
كُنُوزَ قَيْصَرٍ وَكِسْرَى وَنَرَى
وَنَوْفَلٌ مِنْ طَيْشِهِ وَنَزَقَهُ
فَوَقَعَا فِيهِ وَأَعْطَى فِدَيْتَهُ
فَقَالَ فِيهِ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ إِذْ قَامَ لَهُ
وَفَضَّ جَمْعَهُمْ نَعِيمٌ الْأَشْجَعِي
وَعِنْدَمَا إِلَى التَّشْتِ الزُّمَرِ
مَنْ يَأْتِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ يَكُنْ
فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ غَيْرُ ابْنِ الْيَمَانِ
وَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ لَنْ تَغْزَوْكُمْ
وَشَغَلَ النَّبِيُّ زَحْفُ الْخَنْدَقِ

يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ أَسُّ نَجْرِهِ
وَأَبْنِ رَوَاحَةٍ لَهُمْ لِيَنْجَلِي
وَسَرَّ خَيْرَ الْخَلْقِ ذَاكَ الْخَنْدَلُ
نَضَّرُ خَيْرَ مُرْسِلٍ فِي الْخَنْدَقِ
لَمْ تَسِرْ بِاللَّيْلِ فَذَاكَ عُرَّةَ
فَنَصَرَ نَبِيَّهُ فِي الْمَعْرَكَةِ
ثُلُثَ تَمْرِ طَيِّبَةٍ لِيَعْدِلُوا
وَحَكَّمَأَ حَدَّ شِفَارِ الْقُضْبِ
وَعَدْنَا النَّبِيَّ أَنْ نَنَالَا
أَحَدَنَا الْيَوْمَ يَخَافُ الْمُخْتَرَى
أَوْثَبَ طَرْفَهُ حَفِيرَ خَنْدَقِهِ
إِخْوَانُهُ فَأَسْتَوْهَبُوهُ جُشَّةَ
خَبِيثُ جَيْفَةٍ خَبِيثُ دِيَّةِ
حَيْدَرُهُ بِسَيْفِهِ خَرَدَلُهُ
إِذْ نَمَّ بَيْنَهُمْ بِكُلِّ مَجْمَعٍ
أَجْمَعَ أَمْرُهُمْ دَعَا خَيْرُ الْبَشَرِ
غَدَا رَفِيقَنَا وَمِنْهُمْ يَأْمَنُ
مِنْ شِدَّةِ الدُّعْرِ وَمِنْ بَرْدِ الزَّمَانِ
قُرَيْشُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالْغَزْوُ لَكُمْ
عَنْ ظُهُرِهِ وَعَصْرِهِ لِلشَّفَقِ

ثُمَّ قُرَيْظَةُ إِلَيْهَا جَبْرِئِيلُ
 وَقَادَهُ وَزَلْزَلَ الْحُصُونَا
 وَأَسْتَذْمَرَ النَّبِيُّ خَيْلَ اللَّهِ
 إِلَّا بِهِمْ وَلَمْ يَعْبَ مَنْ آخَرَا
 وَخَيْرَ ابْنِ أَسَدٍ قُرَيْظَتُهُ
 أَنْ يُؤْمِنُوا فَيَأْمِنُوا فَقَدْ دَرَوْا
 أَوْ يَحْصُدُوا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَانَا
 أَوْ يَفْتِكُوا فِي السَّبْتِ إِذْ يَأْمَنُهُمْ
 وَضَاقَتْ الْأَرْضُ بِهِمْ لِرُغْبِهِمْ
 وَأَسْتَنْبَوْا أَبَا لُبَابَةَ الْخَبَرَ
 أَنْ جَارَتْ فِي وَجْهِهِ الصَّبِيَانَا
 فَفَتَنُوهُ وَأَتَتْحَى عَنْ بَلَدٍ
 فَقَامَ فِيهِ بُرْهَةٌ مُرْتَبَطَا
 فَتَابَ مِنْ هَفْوَتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَحَكَّمَ النَّبِيُّ فِيهِمْ سَعْدَ الْأَوْسِ
 لِابْنِ أَبِي حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ
 وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارٍ
 وَعِنْدَمَا أَنْتَهَى إِلَى النَّدِيِّ
 عَلَى الْجَمِيعِ أَوْ عَلَى الْأَنْصَارِ
 وَرَاوَدَتْهُ قَوْمُهُ أَنْ يَحْكُمَا

وَلَمْ يَضَعْ سِلَاحَهُ أَسْتَدْعَى رَعِيلُ
 وَقَذَفَ الرُّعْبَ وَلَا يَدْرُونَا
 وَعَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَامَ النَّاهِي
 إِلَى الْعِشَاءِ إِذْ يَرَاهُ اتَّعَمَرَا
 بَيْنَ ثَلَاثٍ وَأَزْدَرَوْا رَوِيَّتَهُ
 فِي كُتُبِهِمْ مَا عَنْهُ إِذْ جَاءَ أَبَوَا
 فَلَمْ يُخْلُوا خَلْفَهُمْ إِنْسَانَا
 جَيْشُ الْعَرَمَرَمِ وَلَا يَأْبُتُهُمْ
 وَجَهَلُوا كَيْفَ النِّكَايَةِ بِهِمْ
 فَرَقَّ لِلْعَهْدِ الَّذِي بِهِمْ عَبَرُ
 وَأَسْتَغْفَتْ رَحْمَتَهُ النِّسْوَانُ
 عَصَى بِهِ وَشَاطَ نَحْوُ الْمَسْجِدِ
 مُعَذِّبًا لِنَفْسِهِ مُورِطَا
 وَحَلَّهْ خَيْرُ الْأَنَامِ بِيَدَيْهِ
 إِذْ غَاطَهُمْ إِطْلَاقُهُ عَنْ كُلِّ بُؤْسٍ
 وَكَانَ فِي التَّحْكِيمِ حَسْمُ الْهَرَجِ
 مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ
 سَوْدَهُ خَيْرُ بَنِي لُؤَيٍّ
 لَا غَيْرِهِمْ عِنْدَ بَنِي نِزَارِ
 بَغِيرَ مَا حَكَمَ فِيهِمْ فَأَحْتَمَى

لِدَمِهِمْ خَنْدَقَ أَفْضَلُ لُؤْيٍ
وَعِنْدَمَا أُنْتَهَى الْحِصَارُ اسْتَشْهَدَا
وَخَفَّ نَعْشُهُ عَلَى عَظْمَتِهِ
ثُمَّ غَزَا لِحَيَانَ جَرَاءِ الرَّجِيعِ
بَعَثَ الرَّجِيعَ سِتَّةً أَوْ عَشْرَةَ
وَالْعَظْلُ وَالْقَارَةُ نَجَلَا الْهُونِ
وَأَرْبَعُوا بِئِرَ مَعُونَةَ الْغُرَرِ
أَبَا بَرَاءٍ وَكِلَا الْبُعْثَيْنِ
فَغَزَوُةَ الْغَابَةِ وَهِيَ ذُو قَرْدٍ
وَنَاشَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ
وَفَرَضَ الْهَادِي لَهُ سَهْمَيْنِ
وَأَسْتَنْقَدُوا مِنْ ابْنِ حِصْنٍ عَشْرًا
وَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَةُ الْغَفَارِيِّ
وَهِيَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ ذِي الْإِبِلِ
وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْمَالِحِ
فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَغَيَّرَ الْإِلَهِ
طَلْحَةَ بِالْفَيَاضِ سَمَاءُ النَّبِيِّ

وَمَعَهُمْ فِي كُلِّ كُرْبَةٍ حَيٍّ
وَأَهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ حِينَ بَرَدَا
إِذِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ حَمَلَتِهِ
فَاحْتَضَنُوا بِكُلِّ بَاذِخٍ مَنِيعٍ
لِحَيَانَ حَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ غُدْرَهُ
نَجَلِ خُزَيْمَةَ سَعَوْا فِي الْهُونِ
إِبْنُ الطَّفِيلِ عَامِرٌ فِيهِمْ خَفَرٌ
قَدْ أُرْسِلَا لِيُرْشِدَا لِلدِّينِ^(١)
خَرَجَ فِي إِثْرِ لِقَاحِهِ وَجَدَ
وَهُوَ يَقُولُ أَلْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ
لِسَبْقِهِ الْخَيْلَ عَلَى الرَّجُلَيْنِ
وَقَسَمَ النَّبِيُّ فِيهِمْ جُزْرًا
فَقِيلَ نَهَبَ إِبِلَ الْمُخْتَارِ
قَدْ نَذَرْتُ إِهْلَاكَهَا حِينَ تَصِلُ
بَيَّانِ^(٢) ذَا اللَّقْبُ غَيْرُ صَالِحِ
صِفَتُهُ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشْتَرَاهُ
إِذْ قَدْ تَصَدَّقَ بِهِ لِيُثْرِبَ

(١) في بعض نسخ المنظومة زيادة بيتين بعد هذا البيت :

وعامر استنجد رُعلًا ذكوان
جزاء نجل بئتهم طُعمه
وقد أتى ولم تُعنه قَوْمُهُ

(٢) في بعض نسخ المنظومة : بَيَّسَانِ .

فَالطَّلَحَاتُ خَمْسَةٌ سِوَى الْعَلَمِ
وَطَلَحَةُ الْخَيْرِ وَطَلَحَةُ النَّدَى
وَطَلَحَةُ الدَّرَاهِمِ الْعَتِيقِ
سَادِسُهَا طَلَحَتُهَا الْخَزَاعِي
فِي سَنَةٍ وَهَبَ أَلْفَ جَارِيَةٍ
أَلْفَ غُلَامٍ بِأَسْمِهِ سَمَى الْإِمَامَ
وَبَعْدَهَا أَنْتَهَبَهَا الْأُولَى أَنْتَهَوْا
فَخَرَجُوا وَشَرِبُوا أَلْبَانَهَا
فَأَقْصَرَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ أَنْ مَثَلُوا
ثُمَّ الْمُرَيْسِعُ أَوْ الْمُصْطَلِقُ
لَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ أَنْيْسٌ وَسَبَا
أَعْمَارُهُمْ وَسُبَيْتُ جَوِيرِيَةٍ
وَأَسْلَمُوا بَعْدُ وَفِي مَنْ فُسِّقَا
﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ أَنْزِلْ وَهُمْ
وَأَفْزَعَتْ رِيحُ خِيَارِ النَّاتِ
فَوَجَدُوا كَهْفَ الْمُنَافِقِينَ
وَهُوَ النَّفَاقُ فِي الشُّيُوخِ لَا الشَّبَابِ
وَوَرَدَتْ وَارِدَةُ الْعَرْمَرَمِ
فَأَسْتَصْرَخَ الْأَنْصَارَ فَارِطٌ لَهُمْ
وَأَسْتَصْرَخَ الْمُهَاجِرِينَ اللَّذْكَ كَسَرَ

فَطَلَحَةُ الْجُودِ ابْنُ عَمِّهِ الْخِضَمِ
إِلَى الْحُسَيْنِ وَابْنِ عَوْفٍ أُسْنَدَا
جَدُّ أَبِيهِ بِالْعُلَا حَقِيقُ
أَجُودُهُمْ كُلاًّ بِلَا نِزَاعِ
فَأَوْلَدَتْ عُفَاتُهُ جَوَارِيَةً
جَمِيعُهُمْ لِمِثْلِهَا فَهَيْئَمَا
لِغَايَةِ الْجُهِدِ وَطَبِيبَةً أَجْتَوَا
وَنَبَذُوا إِذْ سَمِنُوا أَمَانَهَا
بِعَبْدِهِ وَمُقَلَّتِيهِ سَمَلُوا
كِلَاهُمَا عَلَى الْغَزَاةِ يُطْلَقُ
غَيْرَ رِجَالٍ عَشْرَةَ قَدْ نَهَبَا
وَوَهَبَ أَلْسَبِي لَهَا لِتَذْرِيبِهِ
أَرْسَلَهُ الْهَادِي لَهُمْ مُصَدِّقَا
خُزَاعَةَ مُصْطَلِقٌ جَدُّ لَهُمْ
فَقَالَ لَا بَأْسَ بِمَوْتِ عَاتِ
رِفَاعَةَ يَوْمَئِذٍ دَفِينَا
وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ
فَأَفْتَتَنَ الْوَارِدُ فِي الْمُزْدَحَمِ
لَطَمَهُ مَنْ نَالَهُ مَعْرُوفُهُمْ
عَصَا النَّبِيِّ جَهْجَاهُ عَامِلُ عُمَرُ

وَقَالَ فِيهَا ابْنُ أَبِي مُنْكَرًا
وَحَلَفَ الْفَاجِرُ مَا قَالَ الْمَقَالَ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَيْلِنَ رَجَعْنَا
وَعَرِكَ النَّبِيُّ أُذُنَ الْوَاعِي
أَنْ شَهِدَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ
وَالْإِفْكَ فِي قُفُولِهِمْ وَنَقْلًا
ثُمَّ الْحُدَيْبِيَّةُ سَاقِ الْبُذْنَا
وَمِنْ سِوَى الْمُخْلَفِينَ اسْتَنْفَرَا
وَمَا أَتْنَى بِالْجَيْشِ حَتَّى أَقْعَنْسَتْ
فَاسْتَنْزَلَ النَّاسَ وَلَا مَاءَ لَهُمْ
وَعَلَّاهُمْ أَيْضًا بِهِذِي الْغَزْوَةِ
وَجَمَعُوا لَهُ بِقَايَا الزَّادِ
وَكَمْ قَلِيلٍ غَيْرَ ذَلِكَ كَثُرَا
وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
وَعَقَرُوا جَمَلَهُ الثَّغْلَبَ إِذْ
وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثُوهُ يَسْتَرِدُّ
وَالْحَارِثِيُّ الْمُتَالَهُ الَّذِي
وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَهُمُ الْمُرَاجَعَةُ
لَوْلَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ الْمُوَفَّقُ
أَسْلَمَ بَعْدَ عَوْدِهِ بِالْعُظْمَا

وَعَاهُ زَيْدٌ مُوقِنًا وَمَا أُمْتَرَى
وَصَدَّقْتُهُ لِلْمَكَانَةِ رِجَالًا
إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ ذِي الْإِسْتِمَاعِ
بِالْكَذِبِ الْمَخْضِرِ وَأَوْلَاهُ الْيَقِينَ
أَنَّ التَّيْمَمَ بِهِمَا قَدْ أَنْزَلَا
مُعْتَمِرًا وَمَا بِحَرْبٍ أَعْتَنَى
عَرْمَرَمًا وَصَدَّ عَنْ أُمِّ الْقُرَى
عَنْ مَكَّةَ نَاقَتُهُ إِذْ حَبَسَتْ
فَاسْتَنْبَطُوا بِالسَّهْمِ مَا أَعْلَاهُمْ
مَا كَانَ عَنْ صُبَابَةٍ فِي رَكْوَةٍ
فَحُوِّلُوا مِنْهَا سِوَى الْمُعْتَادِ
وَكَمْ قَلِيلٍ بِالْمَعِينِ فُجِّرَا
إِذْ قِيلَ قَدْ عَدُوا عَلَى عُثْمَانَ
أَرْسَلَهُ تَحْتَ الْخُزَاعِيِّ الْمُغْذِ
نَبِينَا مِكَرَزُ عُرْوَةِ الْحَرْدِ
هُوَ لَهُمْ بِرَدِّ أَحْمَدِ بَنِي
حَتَّى أَتَى سُهَيْلُهُمْ فَاسْتَرْجَعَهُ
لِلرُّشْدِ فِي آرَائِهِ لَمْزَقُوا
أَكْثَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلُ أَسْلَمَا

وَفَسَّرُوا بِذَلِكَ الْفَتْحَ الْمُمِينِ
وَبَعَثُوا جَمَلَ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ
وَنَحَرُوا وَحَلَقُوا وَحَمَلَتْ
وَأَغْلَظُوا فِي الصُّلْحِ حَتَّى أُبْرِمَا
وَهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رَدِّهِمْ وَبَالَ
وَأَنْتَدَبُوا لِقَوْلِهِ فِي النَّدْبِ
وَأَسْتَغْطَفُوا خَيْرَ الْوَرَى بِالرَّحِمِ
(سُورَةُ الْفَتْحِ) لَدَى الْقُقُولِ
ثُمَّ لِيُخَيَّرَ وَرَشَّحَ النَّبِيُّ
وَفَازَ بِالْفَتْحِ وَكَانَ تَرَسَا
وَعَلَّ قَاتِلَ سَلِيلِ مَسْلَمَةَ
وَعَالَ مَرْجَبًا وَقَدْ حَجَرَا
وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ اسْتَنْشَدَهُ
وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا أَهْتَدَيْنَا
وَإِذْ تَرَحَّمْ لِلْإِنْشَادِ عَلَيْهِ
وَأَسْتَشْعَرَ الْفَارُوقُ أَنْ يُسْتَشْهَدَا
وَقَتْلَتْ تِسْعُونَ مِنْ يَهُودَا
وَمَرَّ رَاجِعًا إِلَى وَادِي الْقُرَى
وَأَهْلَكُوا غُلَامَهُ ذَا الشَّمْلَةِ
ثُمَّ إِلَى الرُّومِ النَّبِيُّ اسْتَنْفَرَا

وَفِيهِ إِنْقَاءٌ عَلَى الْمُسْتَضْعِفِينَ
هَذِيًا وَإِنْكَاءٌ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ
شُعُورَهُمْ لِلْبَيْتِ رِيحٌ قَدْ غَلَتْ
وَمِنْهُ رَدٌّ مَنْ آتَاهُ مُسْلِمًا
إِذْ أَخَذُوا الطَّرْقَ عَلَى صُهْبِ السَّبَالِ
سَيِّدِهِمْ هَذَا مِحْشُ حَرْبٍ
فِي صَرْفِهِمْ إِلَيْهِ عَنْ أَرْضِهِمْ
أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ
حَيْدَرَةً وَبِالْعُقَابِ قَدْ حُبِي
بِبَابِ حِصْنٍ لَا يُزَاحُ إِذْ رَسَا
لِصْنُوهِ مُحَمَّدٍ وَأَسْلَمَهُ
مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ بِهِ تَمَغْفَرَا
خَيْرُ الْوَرَى وَقَالَ إِذْ أَنْشَدَهُ
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا
هَلَكَ مِنْ رُجُوعِ سَيْفِهِ إِلَيْهِ
وَأُخْبِرَ الْهَادِي بِهِ بَادٍ بَدَا
وَأُسْتُشْهِدَتْ (يَه) وَلَا مَزِيدَا
فَشَاطَرَتْ يَهُودُهُ خَيْرَ الْوَرَى
أَغْلَهَا فَهِيَ عَلَيْهِ شُعْلَةٌ
بِمُؤْتَةٍ جَيْشًا عَلَيْهِ أَمَّرَا

زَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ ثُمَّ جَعَفَرًا
 وَرَفَعْتَ لِلْهَاشِمِيِّ الْمَعْرَكَه
 ثُمَّ إِلَى الْفَتْحِ الْخَزَاعِي دَمَرُ
 وَهُوَ الَّذِي تَهَلَّلْتَ لِنَصْرِهِ
 يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
 لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ أَخْرَ الْخَبَرَ
 وَخَابَ صَخْرٌ إِذْ أَتَى يَرَأُبُ مَا
 وَحَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ
 إِلَى قُرَيْشٍ رُقْعَةً مَعَ مَرَّةٍ
 فَأُخْبِرَ الْهَادِي بِهَا فَأَرْسَلَا
 وَلِلنَّبِيِّ عَرَضَ ابْنُ عَمَّتِهِ
 وَعَنْهُمَا أَعْرَضَ جَرًّا مَائِمَةً
 وَأَقْبَلْتُ جُنُودَ صَفْوَةِ الْأُمَمِ
 وَضُرِبْتُ لَهُ هُنَاكَ قُبَّةٌ
 فَأَحْتَرَمَ الْحَرَمَ إِذْ هُوَ الْحَرَمُ
 وَحِينَ حَلَّ بِإِزَاءِ الْحَرَمِ
 نَارًا فَأَبْصَرَ أَبُو سُفْيَانَ
 فَأَرْتَاعَ فَأَنْسَلَ إِذَنْ عَمُّ النَّبِيِّ
 وَزَعَمَ ابْنُ قَيْسٍ أَنَّ سَيْحِفِدَا
 إِنْ يَغْلِبُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ

فَأَبْنِ رَوَاحَةَ وَلَايَا أَنْبَرَا
 فَعَايِنَ الَّذِي أَتَوْا وَأَذْرَكَه
 عَشْرَةَ آلَافٍ فَعَزَّ وَأَنْتَصَرَ
 سَحَابَةٌ وَمِنْ بَلِيغِ شِعْرِهِ
 حَلَفَ أَيْنَا وَأَيَّهِ الْأَتْلَدَا
 عَنْ مَكَّةٍ فَلَمْ يُورَّ بَلْ جَهَرَ
 أَثَاهُ غَدْرُ قَوْمِهِ فَأَنْفَصَمَا
 أَرْسَلَ إِذْ زُحُوفُهُ شَرَعَتْ
 فَأَوْدَعَتْهَا قَرْنَهَا تِلْكَ الْمَرَّةُ
 مَنْ جَاءَهُ كُرْهًا بِهَا وَأَمْتَلَا
 وَنَجُلُ عَمِّهِ عَزِيزِ فِتْنَةٍ
 فَاسْتَشْفَعَا لَهُ بِأُمِّ سَلَمَةَ
 أَمَامَهُ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى الْحَرَمِ
 أَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَأَرْضَى حِزْبَهُ
 مُحَرَّمٌ مُؤَمَّنٌ مِمَّنْ هَجَمَ
 أَمَرَ أَنْ يُوقِدَ كُلُّ مُسْلِمٍ
 وَكَانَ يَرْتَقِبُهُ النَّيْرَانَا
 فَالْتَقِيَا فَجَا بِهِ عَنْ كَثَبِ
 رِجَالِهِمْ خُلَّتْهُ وَأَنْشَدَا
 هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهُ

وَشَهِدَ الْمَازِقَ فِيهِ حُطَمَا
 وَجَاءَ فَاسْتَغْلَقَ بَابَهُ الْبُتُولُ
 فَقَالَ وَالْفَزَعُ زَعْفَرَ دَمَهُ :
 إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَهُ
 وَفَازَ مَنْ لَازَبَهُ وَأُسْتَرْحِمَهُ
 كَأَبْنِ أَبِي سَرْحٍ وَزِيرِ الْخُلَفَا
 وَهَلَكَتْ لِنَخْسِهِ وَأَلْقَتْ
 بِحَرْقِهِ أَمْرُ ثُمَّ رَجَعَا
 وَبَعْدَ مَا أَشْفَى عَلَى الْإِحْرَاقِ
 فَحَقَّنَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ دَمَهُ
 أَخْنَى وَأَرَأَفُ مِنَ الْأُمِّ بِنَا
 يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ شَرَدَ
 يَقْرُبُ بِالذَّرَاعِ أَوْ بِالْبَاعِ
 وَمَنْ أَتَى يَمْشِي أَتَاهُ هَرُولُهُ
 يُضَاعِفُ الْأَجْرَ لِسَبْعِ مِئَةٍ
 مِنْ لُطْفِهِ أَنَّ صَحَائِفَ الدُّنُوبِ
 لَا تَزِنُ التَّهْلِيلَ فِي بَطَاقِهِ
 بِسَبِّهِ مَنْ سَبَّهَ أَنْسَهُ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَحْلَمَهُ
 وَكَأَبِي سُفْيَانَ وَابْنِ عَمَّتِهِ

رَمَزُ (يَب) مِنْ قَوْمِهِ فَأَنْهَزَمَا
 فَاسْتَمَهَمْتُهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ
 إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدِمَةِ
 وَأَسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ
 يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ
 وَنَاحِسِ الْبَكْرِ بِنْتِ الْمُصْطَفَى
 ذَا بَطْنَهَا وَالْبَرْحَ مِنْهُ لَاقَتْ
 لِقَتْلِهِ وَالنَّارَ عَنْهُ دَفَعَا
 تَدَارَكَتُهُ رَحْمَةُ الْخَلَاقِ
 سُبْحَانَهُ مِنْ رَاحِمٍ مَا أَرْحَمَهُ
 وَهَكَذَا رَسُولُهُ كَانَ لَنَا
 عَنْهُ وَعَنْ تَوْحِيدِهِ أَبِي وَصَدَّ
 لِلْمُدْنِيِّ بِشْبَرٍ أَوْ ذِرَاعِ
 فَضَاعَفَ الْأَجْرَ لَهُ وَأَجْرَلَهُ
 فَفَوْقُ يُوجَرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ
 وَهِيَ عَظِيمَةٌ تُرَوِّعُ الْقُلُوبَ
 كَأَنَّهَا الظُّفُرُ فِي الدَّقَاقَةِ
 نَبِيُّنَا أَنْ عَيَّرُوهُ نَخَسَهُ
 عَنْ سَيِّئِ الْحُوبِ وَمَا أَكْرَمَهُ
 وَكَأَبْنِ عَمَّةٍ وَأَهْلٍ بَكَّتِهِ

وَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَقِيلَ أُمْنَتْ
وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ بَارِيءُ النَّسَمِ
وَبِالَّذِي قَالُوهُ إِذْ لَمْ يُرْهِقَا
وَبِالَّذِي قَالُوهُ فِي الْمُؤَدَّنِ
وَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ ثُمَّ رَدَّهُ
ثُمَّ إِلَى وَادِي حُنَيْنٍ أَنْحَدَرَ
فَوَجَدُوا هَوَازِنًا تَاهَبُوا
وَبَيْنَمَا الْجَيْشُ إِلَيْهِمْ يَنْحَدِرُ
فَاسْتَنْفَرُوا بِهِمْ لِذَلِكَ الرِّكَابِ
وَاسْتَنْزَلُوا وَأَدْرَعُوا وَهِيَ تَمُرٌ
فَاقْتَحَمُوا عَنْهَا وَأَبُوا لِلنَّبِيِّ
فَأَرْسَلَ اللَّهُ جُنُودَ الْفَرَجِ
وَتَبَتَّ مَعَ النَّبِيِّ طَائِفُهُ
حَيْدَرَةٌ وَالْعُمَرَانِ وَأَبُو
وَعُمُّهُ رِبِيعَةُ الْعَبَّاسُ
وَأَيْمَنُ ابْنُ أُمِّهِ وَالْعَبْدَرِيُّ
فَصَدَّهُ عَمَّا نَوَى فَضْرَبَهُ
وَوَقَفَ السَّبْيُ إِلَى أَنْ رَجَعَا
أَعْطَى عَطَايَا شَهِدَتْ بِالْكَرَمِ
وَكَيْفَ لَا وَمُسْتَمَدُّ سَيْبِهِ

وَالْحَقُّ عَنُوءٌ وَكَرْهًا أُخِذَتْ
بِقَوْلِهِمْ يَسْكُنُ بَعْدَهَا الْحَرَمُ
تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةٌ فَأَشْفَقَا
وَبِالَّذِي بِهِ فَضَالَةٌ عَنِي
عَنْ رَغَمِ قَوْمِهِ الَّذِينَ عِنْدَهُ
عَنْ مَكَّةَ مِنَ الْأُلُوفِ اثْنَا عَشَرَ
بِكُلِّ مَخْرِمٍ لَهُمْ وَالْأَبَوَا
بِغَلَسٍ شَدُّوا إِلَيْهِ وَهُوَ غَرُ
وَأَذْبَرَتْ تَحْدِي بِهِمْ غُلْبُ الرِّقَابِ
مَرَّ جَهَامٌ بِالْبَهَائِلِ نُفِرَ
وَزَحْزَحُوا عَنْهُ زُحُوفُ الْعَرَبِ
وَقُبْضَةُ الثَّرْبِ قَضَتْ بِالْفَلَجِ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمِمَّنْ أَلْفَهُ
سُفْيَانُ جَعْفَرُ ابْنُهُ الْمُتَخَبُّ
وَفَضْلُهُ أَسَامَةُ الْأَكْيَاسُ
شَيْبَةُ رَامَ غَدَرَ خَيْرٍ مُضَرٍ
نَبِيئًا فِي صَدْرِهِ فَجَذَبَهُ
مِنْ طَائِفٍ لَعَلَّ أَنْ يُسْتَرْجَعَا
يَوْمئِذٍ لَهُ وَلَمْ تَجْمَجِمِ
مِنْ سَيْبِ رَبِّ ذِي عِنَايَةٍ بِهِ

أَعْطَى عَطَايَا أَخْجَلَتْ دُلْحَ الدَّيْمِ
زُهَاءَ أَلْفِي نَاقَةٍ مِنْهَا وَمَا
لِرَجُلٍ وَبَلَهُ مَا لِحَلَقِهِ
مِنْهَا أَفَادَ أَلْعَمَّ مَا نَاءَ بِهِ
وَوَكَلَ الْأَنْصَارَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ
فَوَجَدُوا عَلَيْهِ أَنْ مَنَعَهُمْ
وَقَالَ قَوْلًا كَأَلْفَرِيدِ الْمُونِقِ
وَأَذْرَكَ أَلْفَلَّ بِأَوْطَاسِ السَّرِيِّ
وَوَالِ تِسْعَ إِخْوَةٍ مُبَارَزَةٍ
وَإِذْ تَوَى دَوْخَهُمْ حَفِيدُهُ
فَلْتَقِيفٍ وَهِيَ فِي حُصُونِ
فَسَأَلُوهُ أَلْكَفَ عَنْ قَطْعِ الْكَرْمِ
فَهَابَهُ وَالْمُنْجَنِيْقَ ضَرْبَا
وَنَوَفَلَ اسْتَشَارَهُ فِي أَمْرِهِ
ثُمَّ لِرُومٍ بَتَّبُوكَ اسْتَنْفَرَا
وَمَعَهُمْ لِحَرْبِهِ أَلْبَ لَهُ
وَحَضَّ الْأَغْنِيَا عَلَى الْحُمْلَانِ
عَلَى بَعِيرٍ عَشْرَةَ تَعْتَقِبُ
يَقْتَسِمُ الْفَرُّ تَمْرَةً وَمِنْ
وَقَعَدَ أَلْبَاكُونَ وَالْمُعْذَرُونَ

إِذْ مَلَأَتْ رُحْبَ الْفَضَا مِنَ النَّعَمِ
مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ غَنَمًا
مِنْهَا وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِيقِهِ
فَهَالَ مِنْهُ عَمَّهُ عَنْ ثَوْبِهِ
لِدِينِهِمْ إِذْ أَلْفَ الْمُؤَلَّفِينَ
فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ
عَنْ نَظْمِهِ ضَعْفَ سِلْكَ مُنْطِقِي
عَمُّ أَبِي مُوسَى الشُّجَاعُ الْأَشْعَرِي
وَفَرَّ عَاشِرٌ لَدَى الْمُبَارَزَةِ
وَجَاءَ بِالْفَلِّ وَهُمْ عَبِيدُهُ
بِطَائِفٍ أَقْبَلَ مِنْ حُنَيْنِ
بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ فَأَرْتَادُوا الْكَرْمِ
وَسُئِلَ الدُّعَا عَلَيْهِمْ فَأَبَى
فَقَالَ هُمْ كَثَغَلَبٍ فِي جُحْرِهِ
(لَامَ) أَلُوفٍ عَامَ عُسْرِ أُعْتَرَى
غَسَّانَ لَحْمٍ وَجُذَامَ عَامِلِهِ
وَنَكَصُوا دُونَ مَدَى عُثْمَانَ
وَعَزَّ مَطْعَمٌ وَعَزَّ مَشْرَبُ
فَرَثِ الْأَبَاعِرِ شَرَابٌ قَدْ يَعْنُ
وَعَسْكَرَتْ فَرَبَّتِ الْمُنَافِقُونَ

وَقَعَدَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ
كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ مُرَارَةَ الرَّبِيعِ
وَأَبَوْا خِيْثَمَةَ وَذَرَّ
فَذَبَّ عَنْ مِيَاهِهِ وَأَمَرَا
فَعَقَّهُ الْمَخْنُوقُ فَوْقَ مَذْهَبِهِ
فَأَصْبَحَ النَّاسُ وَلَا مَاءَ لَهُمْ
عَلَى تَخْلُفِ بَطِييَّةٍ عَلِيٍّ
وَسَهْمِ جَبْرِيلَ وَكَانَ حَضَرَا
وَقَالَ إِذْ أَضَلَّ رَا حِلَّتَهُ
وَنَزَلَتْ يَوْمَئِذٍ فِي مَخْشَنٍ

تَابَ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا يَقِينَا
وَأَبْنُ أُمَيَّةٍ هِلَالُ الرَّفِيعِ
قَدْ لَحِقَا وَجَاءَ أَرْضَ الْحَجَرِ
أَنْ لَا يَمُرَّ أَحَدٌ كَمَا يَرَى
وَمَنْ وَفُودُ طَيِّئٍ أَتَتْهُ بِهِ
فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً تَوْمُ
خُصَّ بِسَهْمَيْنِ بِسَهْمِهِ الْعَلِيِّ
وَبَذَلَهُ بِهِ النَّبِيُّ أَمَرَا
مُجْرِمُهُمْ مَا قَالَ فَأَبْتَهَتْهُ
وَصَحْبِهِ ﴿كُنَّا نَخُوضُ﴾ فَأَعْتَنَ

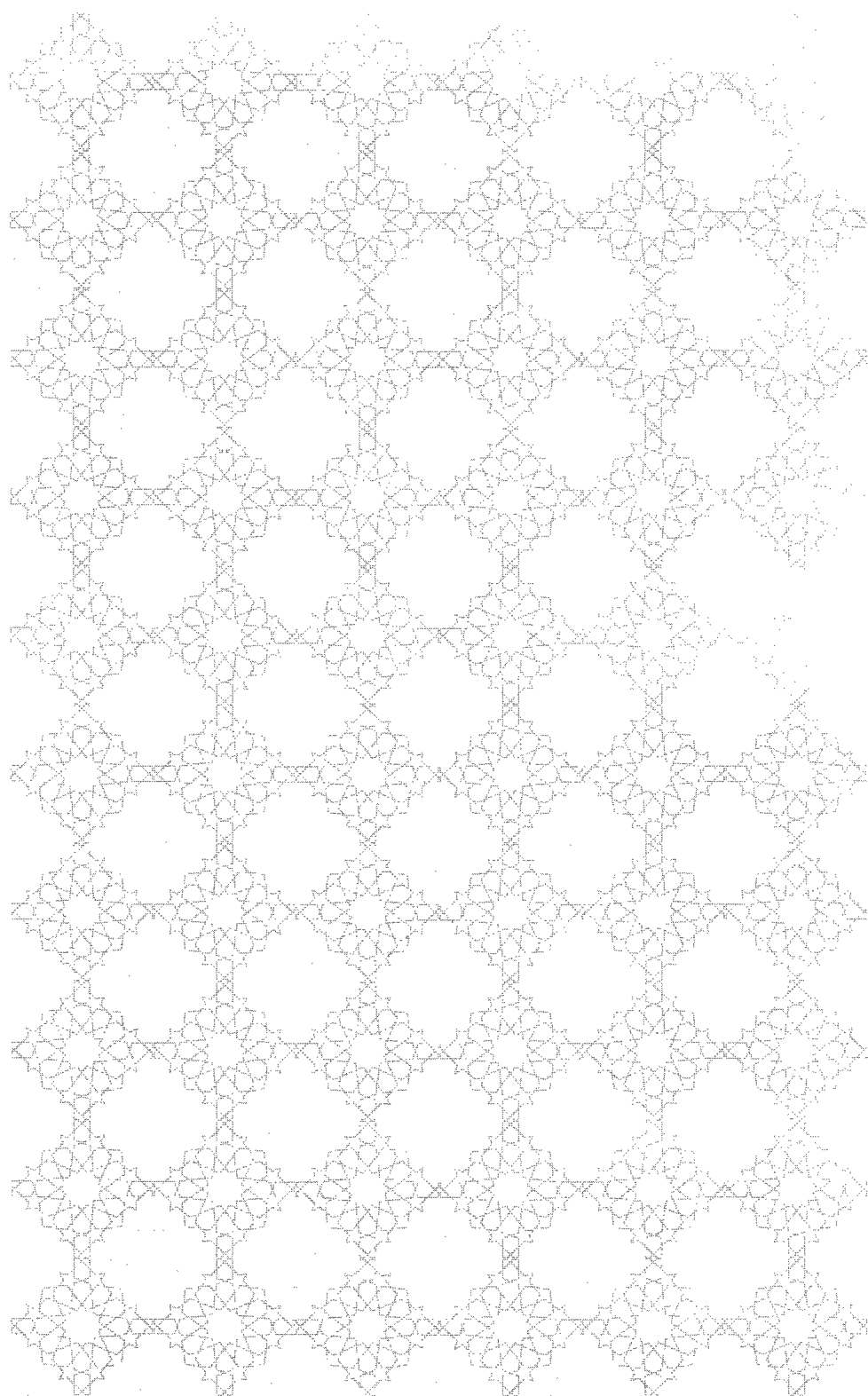


اَنْتِلَةُ الْحَجَّ

فِي مَغَازِي خَيْرِ الْوَرَى ﷺ

بِشْرَعِ الْمَلَّامَةِ الْحَدِيثِ الْأَصْرِيِّ الْفَقِيهِ

الْقَاضِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَشَّاطِ



قال الناظم رحمه الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لِمَنْ أَرْسَلَ خَيْرَ مُرْسَلٍ لَخَيْرِ أُمَّةٍ بِخَيْرِ الْمَلَلِ

(حمداً) بالنصب : معمول لفعل محذوف ؛ أي : أحمد
الله حمداً ، فالجملة فعلية ، اختارها لدلالاتها على التجدد
والحدوث ، ومعنى الحمد معروف ، والمحمود هو الله
تعالى ، ويتعدى الحمد باللام ، كما قال : (لمن) أي : لله
الذي (أَرْسَلَ خَيْرَ مُرْسَلٍ) على الإطلاق بإجماع من يُعتد به ،
وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا
ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا
قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ .

ويتعلق بأرسل قوله : (لخير أمة) قيل : هي أُمَّته صلى
الله عليه وسلم ، وقيل : الصحابة خصوصاً ، وعليهما اختلف
العلماء في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية ،
ويتعلق بمرسل قوله : (بخير الملل) بكسر الميم وفتح اللام ،
جمع ملة ، وهي الحنيفية السمحة ، ملّة إبراهيم عليه الصّلاة
والسّلام .

الإجماع على أن
الرسول صلى الله عليه
وسلم خير الخلق على
الإطلاق

وعلم من كونه صلى الله عليه وسلم خير مرسل : أنه خير
الخلق على الإطلاق ، وهذا ممّا لا يمتري فيه إلّا معاند أو
كفور ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنا سيّد ولد آدم
ولا فخر ، وييدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبيّ يومئذٍ آدم
فمن سواه إلّا تحت لوائي ، وأنا أوّل شافع ، وأوّل مشفّع
ولا فخر » رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه .

تحرير مقالة المعتزلة في
أفضليته صلى الله عليه
وسلم المطلقة

وما ذكره الزمخشري في « كشّافه » فلنّة اعتزالية ؛ فقد
انعقد الإجماع على خلافه ، بل تفضيل الملائكة على الأنبياء
عند المعتزلة فيما سواه صلى الله عليه وسلم ، فهم مع أهل
السنة في تفضيله مطلقاً .

قال في « إضاءة الدُّجَنَّة » :

وما نحا « الكشاف » في التكوير
خلاف إجماع ذوي التنوير
وحسبنا في فضله صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق
حديث الشفاعة العظمى في ذلك الموقف الهائل العظيم .

والأنبياء تقول نفسي نفسي
سِوَاهُ فَالْفَضْلُ لَهُ كَالشَّمْسِ
اللَّهِمَّ ؛ شَفِّعْهُ فِينَا ، واجعله مقبلاً علينا ، راضياً عنّا
يا كريم .

واعلم : أنّ عموم أدلة رسالته صلى الله عليه وسلم كثيرة
في القرآن والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً

عموم أدلة رسالته صلى
الله عليه وسلم في
القرآن والسنة

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى لُبَابِ صَفْوَةِ الْأَنْبَاءِ

لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ ، وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ حتى إنه أرسل للملائكة ؛ ليعلمهم أدب العبودية لحضرة الرب ، لا ليؤمنوا ؛ لأنهم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

الصلوة على رسول الله
صلَّى الله عليه وسلَّم هي
أداء لبعض ما يجب له
في أعناق الأمة

ثم أتبع الناظم ذلك بالصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أداء لبعض ما يجب له ؛ إذ هو الواسطة بين الله والخلق ، وجميع النعم الواصلة إلينا إنما هي ببركته ، وعلى يديه التي أعظمها الهداية للإسلام ؛ وامتنالاً لقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، فقال : (وأفضل الصلاة والسلام على) سيدنا محمد (لباب) أي خالص (صفوة) أي : صفوة الصفوة من (الأنعام) أي : الخلق .

روى الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ خَلْقَهُ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ . . فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ . . فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ » .

وَالِهِ أَفْنَانِ دَوْحَةِ الشَّرَفِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِي نِعَمَ السَّلَفِ

آل الرسول صلى الله عليه وسلم

(وآله) : هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم عند المالكية ، أو بني المطلب كما هو قول آخر لهم كالشافعية ، (أفنان) : جمع فَنَن ، كأسباب وسبب ؛ أي : أغصان (دوحه) : هي الشجرة العظيمة (الشرف) شبه الآل بذلك في العِظَم ، مع أنَّهم أعظم من ذلك ؛ لأنه قد يكون المشبه به دون المشبه ، كما قال أبو تمام - لمَّا امتدح بعض الأمراء بقوله :

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ
فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ
وقيل له : أَتَشَبَّهُ الْأَمِيرُ فِي الْحِلْمِ بِأَجْلَافِ الْعَرَبِ ؟ ! - :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ^(١)

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ
مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ
يعني قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الآية .

(وصحبه) : هم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ،
تعريف الصحابي
واجتمع معه أوان حمل الدعوة ولو مرة .

وَهُمْ عُدُولٌ كُلُّهُمْ لَا تَشْتَبِهُ
النَّوَوِي أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ
(والتابعي) : وهو من لقي الصحابي ولو بلا طول ،
تعريف التابعي

(١) مقول لقوله : (قال أبو تمام) .

مَا أَرْهَفَتْ وَأَرْعَفَتْ يَرَاعَهُ فِي مُهْرَقٍ يَنَابِعُ الْبِرَاعَةِ

كالصحابي معه صلى الله عليه وسلم ، قال العراقي : (وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن رأى من رآني ، ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي ، وطوبى لهم ، وحسن مآب » رواه الطبراني في « الكبير » ، والحاكم في « المستدرک ») .

وقد تحذف نون الجمع اختياراً كما في السبع : ﴿ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ﴾ بنصب الصلاة ، وفي نسخة بحذف أداة التعريف ، وإضافةً تابعي إلى لفظة (نعم السلف) على حدّ : نعم السير على بئس العير ، كأنّه قال : وتابعي الصحابة الذين هم نِعَم المتبوع ، فالمدح إذن خاص بالصحابة ، قاله في « روض النهاية » .

(ما) : هي مصدرية (أرهفت) : رقت (وأرعت) : أسالت (يراعه) : قَصَبَ تبرى منه الأقلام ، وقد تنازعه الفعلان قبله على المفعولية (في مُهْرَقٍ) بوزن مكرم : الصحيفة ، وتنازع الفعلان ، قوله : (يَنَابِعُ البراعة) على الفاعلية ، وهو جمع ينبوع ، يقال للماء الكثير ، قال في « روض النهاية » : (وعبرَ به عن العلم) والبراعة : الغلبة في العلم والفهم وغيرهما .

وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ وَسَخَّ مُزْنُهُ وَهَبَّ شَمَالٌ وَمَاسَ غُصْنُهُ
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ أَهْمٌ مَا الْهِمَمُ تَنَافَسَتْ فِيهِ وَخَيْرُ مُغْتَنَمٍ

(و) ما (جلجل) صَوْتُ (الرعد) هو الملك ، أو صوته .
روى أبو عيسى في سننه بسنده إلى ابن عباس قال :
(أقبلت يهود إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالوا :
يا أبا القاسم ؛ أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال : « ملك من
الملائكة موكلٌ بالسحاب ، معه مخاريق من نار ، يسوق بها
السحاب حيث شاء الله » قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟
قال : « زجره بالسحاب إذا زجره ، حتى ينتهي إلى حيث أمر »
قالوا : صدقت) وهو قطعة من حديث قال فيه الترمذي :
حديث حسن صحيح غريب ، والمخاريق : جمع مخراق ،
وهو في الأصل : مندبل يلف ويضرب به الصبيان بعضهم
بعضاً ، والمراد هنا : آلة تزجر بها الملائكة السحاب .

(وسَخَّ) صَبَّ (مَزْنُهُ) ماء مطر الرعد ، (و) ما (هَبَّ)
ريح (شَمَالٌ) بفتح الشين ، وإسكان الميم ، وفتح الهمزة ،
على إحدى لغاته العشر ، ولا تكاد تهب ليلاً ، كما سيأتي إن
شاء الله تعالى في غزوة الخندق ، (و) ما (مَاسَ) تبخر ،
ومال (غُصْنُهُ) أي : الشَّمَالُ ، أُضيف إليه للملابسة ،
ومراده : أن يصَلِّيَ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه
وأتباعه مدة دوام ما ذكر ، يعني على التأبيد ؛ لأنَّهم يذكرون
مثل هذا في معنى التأبيد ، لا محض التقييد .

(وبعْدُ فالْعِلْمُ أَهْمُ) أي : أعظم (ما) أي : شيء (الهممُ)
تنافست (وافتخرت (فيه) لأنَّه بالعلم يكون الإنسان إنساناً

أهمية العلم وأفضليته

وَحَيْرُهُ وَالْعِلْمُ تَسْمُو رُتْبَتُهُ مِنْ فَضْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيرَتُهُ

(وأنت بالروح ، لا بالجسم إنسان) وبه يكون الوصول إلى الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصَّلَاة والسَّلَام بالازدياد منه ، بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، وكفى بذلك شرفاً (و) هو (خير معتنم) يعتنمه الإنسان ؛ لأنه ينتفع به حتى بعد موته ، فيصل إليه ثمرة ما كان نشره منه في حياته ، وينتفع به في قبره .

ولما كان من عادة المؤلفين أن يفضلوا الفن المؤلف فيه على غيره ، ترغيباً للطالبيين ، وتنشيطاً للقارئین . . قال الناظم مستدلاً على أفضليته بما دلَّ عليه ، كما قال العلامة أحمد بن المقرئ في « إضاءة الدُّجَّة » :

وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ اكْتَسَبَ

فَالْفَضْلُ مِنْ مَعْلُومِهِ لَهُ انْتَسَبَ

(وخيره) أي : خير العلم مبتدأ (والعلم تسمو) أي : تعلو ، من سما يسمو (رتبته) : وهي جملة معترضة بين المبتدأ وخبره (من) أجل (فضل ما دلت عليه) ذلك العلم (سيرته) خبر المبتدأ ، يعني : أنَّ خير العلم هو علم السيرة ؛ بفضل مدلوله ؛ فإنه يدل على سيرته صلى الله عليه وسلم ، وعلى سيرة أصحابه ، وتراجهم رضي الله تعالى عنهم ؛ وذلك يفيد مزيد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه الذي هو إكسير الإيمان ، ألا لا إيمان لمن لا محبة له ، ومن أعظمها التمكن من الاقتداء بهم ، المشروط في

فَهَاكَ مِنْهَا نُبْذَةً لَيْسَتْ تُمِلُّ وَلَمْ تَكُنْ بِمُعْظَمِ الْقَصْدِ تُخِلُّ
أَرْجُوزَةً عَلَى عُيُونِ الْأَنْثَرِ جُلًّا أَعْتَمَادِ نَظْمِهَا فِي السَّيْرِ

السعادة الأبدية .

قال صاحب « العشریات » :

سعادتنا مشروطة باتِّباعه

وهل يثبت البنيان إلَّا على الأسِّ

ويودُّ الواقف على أحوالهم لو كان

بمحضر منهم ؛ حتى يكون خديماً لهم ، ينافح عنهم في القتال ، وأعظمُ بذلك فضيلةً بعد الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ، فهذا العلم من العلم الموصول إلى الله تعالى ، كما نصَّ على ذلك الأئمة الأعلام ، وقد تقدم في المقدمة شيء من ذلك (فهاك) فخذ (منها) من سيرته (نبذة) جملة يسيرة (ليست تُمِلُّ) أي : لا توقع القارئ في الملل والسآمة ؛ ليسارتها ، (ولم تكن بمعظم) بالإضافة إلى قوله : (القصد) ، ومتعلق بقوله : (تُخِلُّ) أي : ولم تكن تخل بمعظم القصد ، وهذه الجملة كالاحتراس ممَّا يوهم قوله : (نبذة) أنَّها مخلة بالمراد ، فأفاد أنَّها مع كونها قليلة فهي وافية بالمطلوب ، وهذا بمعنى قول غيره : إنَّها ليست بالطويل المملُّ ، ولا بالمختصر المخلُّ .

ثمَّ أبدل من قوله : (نبذة) قوله : (أرجوزة) فهي منصوبة ، والهمزة فيها مضمومة ، من الرجز بفتحتيْن : ضرب من الشعر ، وزنه مستفعلن ست مرات ، والأرجوزة : القصيدة

تعريف الرجز ووزنه

وَشَدَّ مَا أُجْتَرَأْتُ فِي ذَا الْهَدَفِ إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِصَوِّغِ الثَّنْفِ

المنظومة من بحر الرجز ، تجمع على أراجيز .

ترجمة ابن سيد الناس
اليعمري

وقوله : (على « عيون الأثر ») خبر مقدم لقوله : (جلُّ اعتماد نظمها) أي : هذه الأرجوزة غالب اعتماد نظمها على « عيون الأثر (في) المغازي و (السير) » للحافظ أبي الفتح بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي ، ولد في ذي القعدة ، سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة ، وسمع الكثير من الجم الغفير ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وأخذ الحديث عن والده وابن دقيق العيد ، ولازمه سنين كثيرة ، وتخرج عليه ، وقرأ عليه أصول الفقه .

قال في « الشذرات الذهبية » : (وولي دار الحديث بجامع الصالح ، وصنف « السيرة الكبرى » وسماها : « عيون الأثر » ، واختصره في كرايس ، وسماه : « نور العيون » توفي بمصر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة عند الإمام العارف عبد الله بن أبي جمرة ، رحمهما الله تعالى .

(وشَدَّ) بالبناء للفاعل بمعنى قوي ، وفاعله المصدر المنسبك بما المصدرية في قوله : (ما اجتَرَأْتُ) أي : اجترائي (في ذا) في هذا (الهدف) محرّكة كما في « القاموس » : كل مرتفع من بناء ، أو كثيب رمل ، أو جبل .

قال السيد مرتضى في شرحه : (ومنه سُمِّيَ الغرض هدفاً ، هو المنتضل فيه بالسهم) .

وقال في « روض النهاية » : (قال عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر لأبيه - بعد أن أسلم - رضي الله عنهما : استهدفت لي يوم

فَكَيْفَ بِالْعَقْدِ لِمَا كَانَ أَنْتَشَرَ عَنْ كَثْرَةِ وَفِي الْمَهَارِقِ أَبْذَعَرَ

بدر ، فصرفتُ عنك - وكان عبد الرَّحْمَنِ من أرمى قریش -
فقال له أبو بكر : أَمَّا إِنَّكَ يَا بَنِي ، والله لو استهدفت لي . .
لقتلتك (اهـ

وإنَّما قوي تجاسري في هذا النظم الذي هو هدف وغرض
للخطأ (إذ لم أكن أهلاً) أي : مستوجباً ومستحقاً (لصوغ
الثَّف) أي : النظم القليل ، وأصل الصوغ بناء الشيء على
تحسين ، والتنف : جمع نُتْفَة ، كغُرْفَة وغُرف ، قال في
« القاموس » : (التنفة بالضم : ما تنفثه بإصبعك من النبت ،
وغیره ، والجمع تنف كصرد) اهـ

وفي « الحاشية الكبرى » للدمنهوري على « الكافي » عن
الفراء : (أَنَّ العرب تسمي البيت الواحد يتيماً ، والبيتين
والثلاثة نتفة) .

(فكيف) الحال (بالعقد) بفتح العين ؛ أي : النظم (لما
كان انتشر) لأنَّ العقد هو نظم المنشور ، عكس الحل عند علماء
البيان (عن كثرة) يتعلق بقوله : (انتشر) (و) الحال أَنَّ ذلك
الكثير المنتشر ابذعرَ وتفرق (في المهارق) بفتح الميم : جمع
مُهَرَّق ، بمعنى الصحيفة ، فهو يتعلق بقوله : (ابذعر) بفتح
الذال المعجمة ، والعين المهملة ، قال الشيخ حماد
الشنقيطي : (وهذا منه رحمه الله تعالى تواضع ، وهو عادة
المؤلفين قبله لا سيَّما هو سجيته التواضع ، واستحقار نفسه ،
ولولا ذلك . . لشدت إليه الرحال من كل أرض ، وهو محطها

لَكِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَى بَرَكَتِهِ وَجَاهِهِ بِنَظْمٍ بَعْضِ سِيرَتِهِ
لَعَلَّهَا بِالنَّظْمِ هَلْهَلًا عَلَى مَنْ رَامَهَا نَظْمًا تَكُونُ أَسهَلًا
وَلِحُضُورِهِ بِكُلِّ ذَهْنٍ عَنْ ذِكْرِهِ بِمُضْمَرٍ أَستَغْنِي

في العلم ، لا سيّما في علم النحو والعربية والأدب ، بل
والكتاب والحديث والفقه .

(لكن تطفّلتُ) من التطفل ، وهو الإتيان بلا دعوة ،
وأصله : طفيل بن زلال ، كشداد ، الذي يدعى طفيل الأعراس
والعرائس ، قال الشيخ مرتضى في « شرح القاموس » : (كان
يأتي في الولائم بلا دعوة ، وكان يقول : وددت أن الكوفة بركة
مُصهرجة ، فلا يخفى عليّ منها شيء) .

قلت : وللخطيب البغدادي مؤلف في التطفيل ، ذكر فيه
الكثير من أخبارهم ونوادرهم الغربية .

(على) مائدة (بركته) صلى الله عليه وسلم ، (وجاهه)
الرفيع العظيم المعظم ، ويتعلق بتطفلت قوله : (بنظم بعض
سيرته) العطرة عليه ألف ألف صلاة وسلام .

(لعلّها) أي : السيرة (بالنظم) حال كونه (هلهلاً) ؛
أي : رقيقاً سلساً (على من رامها) ؛ أي : قصدها من أهل
العلم (نظماً تكون أسهلاً) لأنّ النظم أقرب حفظاً ، وأدنى
استحضاراً وأبقى .

(ولحضوره) علة لقوله : (أستغني) والواو داخله
عليه ، ويتعلق بالحضور قوله : (بكل ذهن) وقوله : (عن
ذكره) وقوله : (بمضمر) يتعلّقان بقوله : (أستغني) أي :

من مصطلحات الناظم
ذكر الضمير استغناء عن
الاسم الشريف للنبي
صلى الله عليه وسلم

وَاللّٰهُ أَشْأَلُ سَدَادَ النَّظْرِ وَعِصْمَةَ الْخَاطِرِ مِنْ ذَا الْخَطَرِ

وإنما أستغني عن ذكر اسمه الشريف في كلام لم يذكر فيه ،
بضمير يعود عليه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه حاضر بكل ذهن ،
وهو أعظم من الحضور الحسي ، فمن ذلك قوله فيما يأتي :

عن قتل آله نهى إذ خرجوا

وفي خروجهم عليه حَرَجٌ

وهذا بيان لاصطلاحه في نظمه .

(والله) بالنصب معمول مقدم لقوله : (أسأل) أي :

لا أطلب إلا من الله (سداد) بفتح السين ، هو الصواب ، أمّا
بالكسر : فهو ما يسد به الشيء ، وهو غير مراد هنا ، وهو
مضاف إلى (النظر) من إضافة الصفة للموصوف ؛ أي :
لا أطلب النظر والصواب في جميع أموري إلا منه تعالى (و)
لا أسأل إلا منه (عصمة الخاطر) أي : العصمة ممّا يخطر في
القلب .

قال في شرح القاموس : (الخاطر : ما يخطر في القلب

من تدبير أو أمر) .

(من ذا) أي : بسبب هذا التأليف (الخطر) أي :

الخطر ؛ أي : أطلب أن يعصمني من وسوسة الشيطان فيه
بالعُجب والرياء ، ونحو ذلك من أمراض القلب الخفية ، نسأل
الله تعالى أن يحفظنا من ذلك كله بمنّه وكرمه ، آمين .

وَأَنْ يَكُونَ لِي وَلَا عَلَيَّ وَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مَرْضِيًّا
وَأَنْ يَكُونَ لِلثَّوَابِ قَانِصًا لَوَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِصًا
مِمَّا يُلْبَسُ بِهِ إِبْلِيسُ وَلِلْهَوَى فِي طَيْهِ تَذْلِيسُ
بِجَاهِ أَفْضَلِ الْوَرَى مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ طُولَ الْأَبَدِ

(و) أسأله تعالى (أن يكون) هذا التأليف نافعا (لي)

فأثاب عليه ؛ لكونه خالصا لوجه الله تعالى (ولا) يكون شرا
(عليا) فأعاقب عليه (و) أسأله تعالى أيضا : أن يكون (عند
كل أحد مرضيا) حتى يقع النفع به .

الأقوال في تعريف
الإخلاص

(وأن يكون للثواب) والأجر منه تعالى (قانصا) أي :

صائداً ، من قنص بمعنى صاد ، وبابه ضرب ؛ أي : محصلاً
للثواب (لوجهه عزَّ وجلَّ) يتعلق بقوله : (خالصاً)
والإخلاص : هو ترك حب المحمدة على العمل ، أو هو سرُّ
بين العبد وربّه ، لا يطلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطان
يفسده ، أو أفراد المعبود بالعبادة . . . أقوال .

(ممّا يلبس به) يتعلق بقوله خالصاً ؛ أي : وأسأل الله

تعالى : أن يكون خالصاً ممّا يخلط به (إبليس ، و) خالصاً
ممّا (للهوى في طيّه) يتعلق بقوله : (تدليس) أي : وممّا
للهوى تدليس ، وغش في طيّه ؛ أي : باطنه ، متوجهاً إلى الله
تعالى في ذلك بحرمته صلى الله عليه وسلم ، ومُتَّبِعِي هديهِ
وآثاره ، كما قال :

(بجاه) أي : بحرمة (أفضل الورى) وخيرهم على

الإطلاق إجماعاً - كما تقدم - سيدنا (محمّد صلى الله عليه)
وعلى آله وحزبه (طول الأبد) أي : الدهر ، وهذا كقول الآخر

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْمُصْطَفَى وَدَّانُ فَالْأَبْوَاءِ أَوْ تَرَادَفَا

في طالعة اختصار منظومة الإمام العراقي :

وَأَسْأَلُ النِّفْعَ بِهَا كَأَصْلِهَا

بجاء مَنْ قال لنا أَنَالَهَا

(١) غزوة ودَّان

(أَوَّلُ غَزْوَةٍ) من مغازيه صلى الله عليه وسلم البالغة سبعاً

عدد غزوات النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعشرين ، كما رواه ابن سعد في « طبقاته » والحافظ العراقي
في « أَلْفِيَّتِهِ » وقال المناوي في « شرحها » : (هو الصحيح
المجزوم به ، وما في « سيرة عبد الغني » من أَنَّ المشهور
ما ذكره ابن إسحاق ، من أَنَّها خمس وعشرون .. تعقبوه
بالرد ، والغزوات الكبار : بدر ، وأُحُدُّ ، والخندق ، وخيبر ،
والفتح ، وحُنين ، والطائف ، وتبوك) وفي شأن هذه الغزوات
نزل القرآن^(١) .

الغزوات الكبار

(غزاها المصطفى) عليه الصلاة والسلام الغزوة التي يقال

لها : (ودَّان) بفتح الواو ، وتشديد الدال (فالأبواء) وقيل :
إنَّهما بمعنى ، فتكون غزوة واحدة^(٢) ، كما قال : (أو ترادفا)

(١) ففي بدر نزل كثير من (سورة الأنفال) وفي أُحُدٍ آخر (آل عمران) من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ
عَدَّوْتُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ بُنُوءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعَةً لِّلْقِتَالِ ﴾ إلى قبيل آخرها ، وفي قصة الخندق وقريظة
صدر (سورة الأحزاب) وفي بني النضير (سورة الحشر) وفي قصة الحديبية وخيبر (سورة
الفتح) وفي تبوك (سورة براءة) .

(٢) وعليه جرى في « الإمتاع » .

أي : اتَّحد ودان والأبواء في المعنى ، واختلفا في اللفظ ،
وهما موضعان بينهما ستة أميال ، وبالأبواء المعروفة اليوم
بالخُرَيْبة ، قبر أم نبينا صلى الله عليه وسلم ، على يسار الذهاب
إلى مكة .

حاصل غزوة ودان ،
تاريخها ، حامل لوائها

وحاصل هذه الغزوة : أنه صلى الله عليه وسلم خرج لاثنتي
عشرة ليلة خلت من شهر صفر ، وعلى رأس اثني عشر شهراً من
الهجرة ، وخرج بالمهاجرين ليس معهم أنصاري يريد قريشاً ،
وبني ضَمرة بن بكر بن عبد مناة ، واستعمل على المدينة
سعد بن عباد ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، فبلغوا
سيف البحر يعترضون عيراً لقريش قد جاءت من الشام ، فيها
أبو جهل في ثلاث مئة راكب ، ثم كانت فيها الموقعة - أي :
المصالحة^(١) - بينه وبين بني ضمرة ، وسيدهم مَخْشِي^(٢) بن
عمرو ، على أن بني ضمرة لا يغزونه ، ولا يكثرّون عليه
جمعاً ، ولا يعينون عليه عدوّاً ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى
المدينة ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس

(١) وكتب بذلك كتاباً فيه : (بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيم ، هذا كتاب من محمّد رسول الله النَّبِي ،
بأنّهم آمنون على أموالهم ، وأنفسهم ، وأنّ لهم النصر على من رامهم ، إلّا أن يحاربوا في
دين الله ما بل بحر صوفة ، وأنّ النَّبِي إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله
ورسوله) .

(٢) بفتح الميم ، وسكون الخاء ، وكسر الشين المعجمتين ، ثمّ ياء مشددة كياء النسب . قال في
« البرهان » : (لا أعلم له إسلاماً) كذا في « شرح المواهب » وذكر في « الإمتاع » : (أنّه
يقال لمخشي : مجدي بن عمرو أيضاً) .

ثُمَّ بَوَاطُ خَرَجُوا لِعِيرِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ السَّفْسِيرِ

عشرة ليلة .

تنبيه :

جرت عادة أهل السير أن يسمُّوا كل عسكر حضره النَّبِيُّ مصطلح أهل السير فيما يسمونه غزوة ، وسرية ، وبعثاً صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من الصحابة إلى العدو سرية وبعثاً .

(٢) غزوة بواط

(ثم بواط) بفتح الموحدة ، وبوزن غراب ، وهو : جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع ، على أربعة بُرْد من المدينة المنورة ؛ يعني : أنَّ غزوة بواط بعد الأَبواء ؛ ولذا أتى بـثم المفيدة للترتيب (خرجوا) أي : الصحب الكرام ، وكانوا مثنين معه صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، وعلى رأس ثلاثة عشر شهراً من هجرته ، واستعمل على المدينة السائب بن مظعون^(١) ، وحمل اللواء سعد بن معاذ ، أو سعد بن أبي وقاص ، يريدون عير قريش ، فيها أُمَيَّة بن خلف ، كما قال : (لعير أُمَيَّة بن خلف السَّفْسِير) بكسر

موقع الغزوة

عدد أفرادها

تاريخها

حامل لوائها

(١) كما في « الروض الأنف » و « العيون » ، وفي « الهشامية » و « الإمتاع » : أنَّه السائب بن عثمان بن مظعون .

السينين ، وإسكان الفاء بينهما : هو التاجر ، وكانت العير
- أي : الإبل - ألفين وخمس مئة ، ومعها مئة رجل من قريش ،
ففاتته عليه الصلاة والسلام ، ورجع ولم يلتق كيداً ، وأمّية وابنه
عليّ ماتا كافرين يوم بدر كما سيأتي ، أمّا صفوان بن أمّية . .
فأسلم بعد ، وصحبه صلى الله عليه وسلم ، فرضي الله عنه .

فائدة :

روى مسلم في « صحيحه » في حديث جابر الطويل ، في
غزوة بطن بواط عنه : (شكّا الناس إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجوع ، فقال : « عسى الله أن يُطعمكم » قال :
فأتينا سيف البحر ، فزخر البحر زخرة ، فألقى دابة ، فأورّينا
على شقها النار ، فاطّبخنا ، واشتوينا ، وأكلنا ، وشبعنا ، قال
جابر : فدخلت أنا ، وفلان ، وفلان - حتى عدّ خمسة - في
حجاج عينها ، ما يرانا أحد ، حتى خرجنا ، فأخذنا ضلعاً من
أضلاعه فقوّسنا ، ثمّ دعونا بأعظم رجل في الركب ، وأعظم
جمل في الركب ، وأعظم كِفَل^(١) في الركب ، فدخل تحته
ما يطأطئ رأسه) اهـ



(١) الكفل هنا : الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه ؛ لثلاً يسقط . اهـ « نوي على مسلم » .

ثُمَّ الْعُشَيْرَةُ إِلَى عَيْرِ أَبِي سُفْيَانَ فِي ذَهَابِهَا لِلْأَرْبِ

(٣) غزوة العُشيرة

موقع الغزوة

(ثم العُشيرة) بالتصغير ، والتاء آخره : ماء لبني مُذَلِّج ، على ستة فراسخ من المدينة ، سميت الغزوة به ، ويقال لها : العشراء ، بالهمزة آخره ، ويقال : بالسین المهملة فيها ، وهي التي يذكرها جعفر بن الزُّبَيْر^(١) شقيق عُبَيْدة - أمهما زينب بنت بشر ، من بني قيس بن ثعلبة - في شعره حيث يقول :

مَرَرْنَا عَلَى مَاءِ الْعُشِيرَةِ وَالْهَوَى

عَلَى مَلَلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلَلٍ

وَقَالُوا صُخَيْرَاتُ الثُّمَامِ وَقَدَّمُوا

أَوَائِلَهُمْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ بِالثَّقَلِ

وملل : اسم موضع ، يقال : إنما سمي بذلك ؛ لأنَّ

الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلاَّ بعد جهد وملل ، وهو على

ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة ، وقيل : اثنان وعشرون ،

حكاهما القاضي عياض في « المشارق » .

(١) قال في « تهذيب التهذيب » : (كان أصغر ولد الزُّبَيْر ، وأُمُّه زينب ، ذكره في « الإصابة » في القسم الرابع ، وقال : ولد بعد موت النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدهر . هذا هو الصواب) اهـ

وقال المحب الطبري في « الرياض النضرة » : (عبيدة ، وجعفر أمهما زينب بنت بشر ، وكان عبيدة يشبه بأبيه ، وشهد جعفر مع أخيه في حروبه ، واستعمله على المدينة ، وقاتل يوم قتل أخوه قتالاً شديداً ، حتى جمد الدم على سيفه في يديه ، وله شعر كثير في كل فن) اهـ

تاريخها

وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى من السنة الثانية ،
على رأس ستة عشر شهراً ، متوجهاً عليه الصلاة والسلام (إلى
عير أبي سفيان في ذهابها) أي : العير إلى الشام (للأرب)
بفتح الهمزة ؛ أي : لقضاء حاجتها من التجارة .

حامل لوائها

عدد أفرادها

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وحمل
اللواء - وكان أبيض - حمزة بن عبد المطلب ، وخرج صلى الله
عليه وسلم في خمسين ومئة أو مئتين ، ممن انتدب من
مهاجري قريش ، ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على
ثلاثين بعيراً يتعقبونها ، فوجدوا العير التي ودّوا أن يعترضوها
لأبي سفيان قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهذه العير هي التي
خرج إليها لما رجعت من الشام ، فكانت وقعة بدر بسببها ،
فأقام صلى الله عليه وسلم جمادى الأولى ، وليالي من جمادى
الآخرة ، كما في « سيرة ابن إسحاق » وأقرّه ابن كثير ، ووادع
فيها بني مُدَلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثمّ رجع إلى
المدينة ، ولم يلق كيداً .

الجمع بين الأقوال
المختلفة في أول غزوة
غزاها صلى الله عليه
وسلم

قال الإمام البخاري في « صحيحه » : (حدّثنا عبد الله بن
محمّد ، ثنا وهب ، ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : كنت إلى
جنب زيد بن أرقم ، فقتل له : كم غزا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غزوة ؟ قال : تسع عشرة ، قيل : كم غزوت أنت
معه ؟ قال سبع عشرة ، قلت : فأيتها كانت أول ؟ قال :
العُشيرة أو العسيرة ، فذكرت لقتادة فقال : العشيرة) فهذا
الحديث ظاهر في أنّ أول الغزوات العشيرة .

فَبَدْرُ الْأُولَى بِإِثْرِ نَاهِبٍ سَرَحَ الْمَدِينَةِ مُغَدٌّ هَارِبٍ
كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ وَبَعْدُ أَسْتَقْدَا لِقَاحَهُ مِمَّنْ عَلَيْهِ أَسْتَحْوَذَا

قال ابن كثير : (اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ غَزَاةً شَهِدَهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدٌ ، فَلَا يَنَافِي أَنْ يَكُونَ قَبْلَهَا غَيْرُهَا لَمْ يَشْهَدَهَا زَيْدٌ) وهذا نقله في « الفتح » عن ابن التَّيْنِ ، وقال : إِنَّهُ مُحْتَمَلٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

(٤) غزوة بدر الأولى

(ف) بعد العُشيرة (بدرُ الأولى) لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْعُشِيرَةِ . . لَمْ يَقَمْ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا لِيَالِي لَا تَبْلُغُ الْعِشْرَ ، حَتَّى أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ عَلَى سَرَحِ الْمَدِينَةِ ، كَمَا قَالَ : (بِإِثْرِ) أَي : عَقِبَ (نَاهِبِ سَرَحِ الْمَدِينَةِ) بِإِضَافَةِ نَاهِبٍ لِسَرَحٍ ، وَهُوَ الْإِبِلُ وَالْمَوَاشِي الَّتِي تَسْرَحُ لِلرَّعِيِّ (مُغَدٌّ) بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ : مُسْرِعٌ فِي سَيْرِهِ ، يُقَالُ : أَغَذَ السَّيْرَ ، إِذَا أَسْرَعَ ، وَقَوْلُهُ : (هَارِبٌ) صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لِنَاهِبٍ ، وَهُوَ الْمُسْرِعُ خَوْفًا ، وَيُبَدَّلُ مِنْ نَاهِبٍ قَوْلُهُ : (كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ) الْفَهْرِيُّ ، فَهُوَ بِالْجَرِّ .

وحاصل ذلك : أَنَّهُ لَمَّا أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ عَلَى سَرَحِ الْمَدِينَةِ . . خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ . . حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ : سَفْوَانٌ ، مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرِ ، فَلَمْ يَدْرِكْ كُرْزًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَحَمَلَ

حاصل غزوة بدر الأولى ، تاريخها ، حامل لوائها

فَبَدْرُ الْكُبْرَى لِعَيْرِ صَخْرٍ آيَّةٌ مِنْ شَأْمِهَا بِالْكَثْرِ

اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(وبعد) بالبناء على الضم ؛ أي : وبعد نهب كرز سرح المدينة أسلم وهاجر إليه صلى الله عليه وسلم و (استنقذا) بألف الإطلاق ؛ أي : استخلص كرز (لقاحه) صلى الله عليه وسلم ، هو بوزن كتاب : الإبل ، واحدها لقوح كصبور (ممّن) أي : من العُرَيْنَيْنِ الذين (عليه استحواذا) أي : استولى على اللقاح ، وجاء بهم أسارى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي خبرهم موضحاً ، وروعي في استحواذ لفظ (من) .

واستشهد كرز يوم فتح مكة رضي الله عنه كما ذكره الحافظ ابن عبد البرّ في « الإستيعاب » .

ذكر الواقدي : (أنّ هذه السفرات الثلاث - يعني : ودّان ، وبواط ، والعُشيرة - كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها لتلقي تجار قريش حين يمرون إلى الشام ، ذهاباً وإياباً ، ويسبب ذلك كانت وقعة بدر الكبرى) .

* * *

(٥) غزوة بدر الكبرى

(فَبَدْرُ الْكُبْرَى) عقب بدر الأولى ، وبدر : بئر سميت باسم رجل من غفار حفرها هناك ، وكانت صبيحة يوم الجمعة لسبعة عشر من رمضان ، في السنة الثانية من الهجرة ، خرج

بدر بئر سميت باسم رجل من غفار تاريخها

وَأَعْتَقَبُوا فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ

صلى الله عليه وسلم (لغير) أبي سفيان (صخر) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والغير : الإبل تحمل الطعام (آتية) أي : حال كونها راجعة (من شأها بالكثرة) فإنَّ عدد العير ألف بعير ، وعدد الدنانير خمسون ألفاً ، وخرج معه صلى الله عليه وسلم ، ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً من الأصحاب ، أربعة وستون من المهاجرين ، وسائر الجيش من الأنصار ، ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر وكان أبيض ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، واستعمل على المدينة أبا لُبَابَة لما رَدَّه من الروحاء .

سبب خروج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الغزوة، عدد أفرادها، حامل لوائها

وقال صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس إلى العير : « هذه عير قریش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ؛ لعلَّ الله ينفلِّكموها » وبعث صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد ، وطلحة بن عبيد الله يتجسَّسان خبر العير ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قَلَّةُ الظَّهْرِ وَالسَّلَاحِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ :

(واعتقبوا) أي : ركبوا نوبةً : هذا مرة ، والآخر مرة ، والعُقبَة : بوزن عُلبَة : النوبة (في ذلك المسير) إلى قتال المشركين ، على الكيفية التي أشار لها بقوله : (كلُّ ثلاثة على بعير) وكان معهم سبعون بعيراً .

تعاقب كل ثلاثة من الصحابة على بعير

قال في « شرح المواهب » : (فكان صلى الله عليه

وَلَمْ يَكُونُوا أَوْعَبُوا لِلْحَرْبِ إِذْ مَا غَزَوْا لِغَيْرِ نَهْبِ الرِّكْبِ

وسلم ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة - ويقال :
مرثد بن أبي مرثد الغنوي - يعتقبون بعيراً .

زميلاً للنبي صلى الله عليه وسلم في التعاقب

وقد روى الحارث بن أبي أسامة ، وابن سعد عن ابن مسعود قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعليّ زميلَي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم . . قالوا : اركب ونحن نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » وعليه : فجملة الذين يعتقبون مئتان وعشرة ، فيحتمل أن الباقيين لم يركبوا ، أو أن الثلاثة تركب مرة ثم يدفعونه - أي : البعير - إلى غيرهم ؛ ليركبوه مرة أخرى ، وركوب أبي لبابة معهم كان قبل رده من الروحاء ، وبعده أعقب مرثداً ، كما عند ابن إسحاق ، أو زيداً كما عند غيره .

(ولم يكونوا) أي : الصحابة (أوعبوا للحرب) أي : لم يخرجوا جميعهم له ؛ لعدم علمهم به ، ولو علموا ذلك . . لأوعبوا ، لكن مجرد الغنيمة ، كما قال : (إذ ما غزوا لغير نهب الركب) الذي مع أبي سفيان وهو العير ، قال تعالى : ﴿ وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ يعني : أنه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالخروج إلى العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض . . أجاب ناس ، وثقل آخرون ؛ لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حرباً .

قال في « الإمتاع » : (فخرج معه المهاجرون ، وخرجت

وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنَ السُّيُوفِ غَيْرُ ثَمَانٍ لِلْعِدَا حُتُوفٍ

الأنصار ، ولم يكن غزا بأحد منهم قبل ذلك ، فنزل بالبُقْع على ميل من المدينة ، والتقيا على أربع مراحل من المدينة ، وهي بيوت السُّقْيَا ، يوم الأحد لثنتي عشرة خلت من رمضان ، فضرب عسكره هناك ، وعرض المقاتلة ، فردَّ عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، ولم يُجزهم .

أول خروج الأنصار مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رد صغار الصحابة عن الخروج للغزو

وعرض عُمَيْر بن أَبِي وقاص فاستصغره ، فقال : « ارجع » فبكى ، فأجازه ، فقتل بيدر وهو ابن ستِّ عشرة سنة ، وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يستقوا من بئر السُّقْيَا ، وشرب من مائها ، وصَلَّى عند بيوت السُّقْيَا ، ودعا يومئذٍ لأهل المدينة فقال : « اللَّهُمَّ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ ، وَخَلِيلُكَ ، وَنَبِيَّكَ دَعَاكَ لأهل مكة ، وَإِنِّي مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَنَبِيَّكَ ؛ أَدْعُوكَ لأهل المدينة : أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ ، وَمُدَّهِمْ ، وَثَمَارِهِمْ ، اللَّهُمَّ ؛ وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، وَاجْعَلْ مَا بَهَا مِنَ الْوَبَاءِ بِخُمٍّ ، اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُكَ مَكَّةَ » وهم على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين الشريفين) .

استشهاد عمير بن أبي وقاص

دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة لأهل المدينة

(وليس عندهم) أي : الصحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين (من السيوف غير ثمان) ولكنها هي المهلكة ، كما قال : (للعدا حُتُوف) بالجر صفة لثمان ؛ أي : ثمان ، كثيرة الإهلاك للأعداء .

عدد السيوف لدى الصحب الكرام

وَلَا مِنْ الْخَيْلِ سِوَى اُنْتَيْنِ وَقَدْ كَفَتْهُمُ اُهْبَةُ التَّمْكِينِ
وَأَسْتَفْرَ النَّفِيرَ صَخْرٌ لَهُمْ وَجَاءَ خَيْرَ مُرْسَلٍ اَلْبُهُمُ

عدد الخيول

(ولا من الخيل) عندهم (سوى اثنتين) :

إحداهما : للمقداد بن عمرو ، ويقال لها : (سَبْحة)
بفتح السين المهملة ، وإسكان الموحدة ، وبالحاء المهملة ،
ثم تاء التانيث .

والأخرى : لمرثد بن أبي مرثد ، ويقال لها :
(السَّبَل) .

وأما خيل النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . . فإنما كانت بعد
ذلك (و) مع هذه القلة فـ (قد كفتهم أُهْبَةُ) بضم الهمزة
وإسكان الهاء ، وهو مضاف إلى (التمكن) أي : كفاهم الله تعالى
التمكن والمنزلة عنده تعالى ، عن الإِعداد بالعدد والسلاح .

استنفار أبي سفيان قريشاً لإنقاذ العير :

(واستنفر) أي : استفز (النفير) بالنصب : معمول
لـ (استنفر) ؛ أي : الجيش ، وفاعله (صخر) أبو سفيان بن
حرب (لهم) أي : النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛
أي : لحربه (وجاء خيرَ مرسل) بالنصب معمول لجاء ،
وفاعله (اَلْبُهُم) بفتح الهمزة وكسرهما : تَجَمُّعُهُم للحرب ،
يقال : هم عليه ألب واحد ، قال سيدنا حسان رضي الله عنه :

والناس أَلْبٌ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا

إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزُرُّ

.....

وحاصل ما أشار له الناظم : أنَّ أبا سفيان لمَّا بلغه من بعض الركبان : أنَّه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه للغير.. . خاف خوفاً شديداً ، فاستنفر النفير - أي : القوم النافرين للحرب - واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالاً ؛ ليأتي مكة ، وأمره أن يجدع بعيره ، ويحوّل رحله ، ويشق قميصه من قبله ومن دُبُرِه إذا دخل مكة ، ويخبر قريشاً أنَّ محمّداً قد عرض لغيرهم هو وأصحابه ، وكانت تلك العير فيها أموال قريش ، حتى قيل : إنَّه لم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلاَّ بعث به في تلك العير ، فأسرع ضمضم إلى مكة ، حتى إذا كان ببطن الوادي.. . وقف على بعيره ، وقد جدعه ؛ أي : قطع أنفه ، أو أذنه ، وحوّل رحله ، وشقَّ قميصه ، وهو يصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ؛ اللّطيمة ، اللّطيمة - أي : أدركوا اللّطيمة ، وهي العير التي تحمل الطيب والبرّ - أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهز الناس سراعاً وهم يقولون : أیظن محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟! كلا والله ، لیعلمنَّ غیر ذلك ، فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول ، وتجهّزوا في ثلاثة أيام ، وأعان قوئهم ضعیفهم .

استيثاق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمر الأنصار :

ثم فرّع الناظم رحمه الله تعالى على ما ذكره من استنفر

فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِهِمْ مُمْتَحِنًا وَقَالَ سَعْدٌ مَا رَأَى وَأَحْسَنًا

أبي سفيان النخعي وإجابة كفار قريش له ، قوله :

(فأخبر) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس) أي : أصحابه رضي الله تعالى عنهم (بهم) أي : بقريش ومسيرهم ؛ ليمنعوا غيرهم (ممتحنًا) مختبراً ، فاستشارهم صلى الله عليه وسلم في طلب العير ، وحرب النخعي ، وقال : إِنَّ الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما قريشاً ، فقال أبو بكر وأحسن ، وقال عمر بن الخطاب وأحسن .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَشِيرُوا عَلَيَّ » وإنما يريد الأنصار ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم تخوَّف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممَّن دهمه بالمدينة ؛ لأنَّهم ليلة بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ؛ إِنَّا برآء من ذمامك حتَّى تصل إلى ديارنا ، فإذا نمنعك ممَّا نمنع منه أُررنا ، فعند ذلك قام سعد بن معاذ سيد الأوس^(١) كما أشار له بقوله : (وقال سعد) في جواب ذلك (ما رأى) أي : القول الذي رآه (وأحسن) فيه وهو :

(١) أسلم هو وأسيد بن حضير في يوم واحد ، على يد مصعب بن عمير وأسعد بن زرار ، ثم جاء سعد إلى قومه ، وقال : كيف تعلمون أمري فيكم يا بني عبد الأشهل ؟ قالوا : سيدنا ، وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة . قال : فإنَّ كلام رجالكم ، ونسائكم عليَّ حرام . . حتَّى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل ، رجل ولا امرأة . . إلا وهو مسلم ، غير الأصيرم .

توفي سعد شهيداً بعد أن أقرَّ الله عينه في بني قريظة ، وسيأتي شيء من مناقبه عند غزوة الخندق وبني قريظة ، رضي الله عنه .

وَكَانَ مِنْ رَوِيَّةِ الْمُقَدَّادِ أَنْ رَضِيَ السَّيْرَ إِلَى الْغِمَادِ

(والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : « أَجَلٌ » قال :
قد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،
وأعطيناك على ذلك عهدنا ، وموآثيقنا على السمع والطاعة ،
فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك
بالحق ؛ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته . لخضناه
معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا
غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء ، ولعلَّ الله يريك منا
ما تقرُّ به عينك ، فسر على بركة الله) .

قال الزرقاني : (وعند ابن عائد من مرسل عروة ، وابن
أبي شيبه من مرسل علقمة بن أبي وقاص ، عن سعد قال :
ولعلَّك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره ، فامض لما
شئت ، وصلِّ حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم
من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا
ما شئت ، وما أخذت منا كان أحبَّ إلينا ممَّا تركت ،
وما أمرت به من أمر ، فأمرنا تبعُ لأمرك ، لئن سرت حتى تأتي
برك الغماد . . لنسيرنَّ معك .

فسرَّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام بقول سعد رضي الله عنه
وأرضاه ، ثمَّ قال : « سيروا ، وأبشروا ؛ فإنَّ الله قد وعد
إحدى الطائفتين ، والله ؛ لكأنِّي أنظر إلى مصارع القوم » .

(وكان من رويَّة) بكسر الواو وتشديد الياء ، من رويت
في الأمر : إذا نظرت فيه ؛ أي : وكان من فكرة ورأي

موقف المقداد بن عمرو
واستجابته لنداء النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(المقداد^(١)) بن عمرو (أن رضي السير إلى الغماد) بتثليث
الغين المعجمة : موضع في أقصى معمور الأرض ، أو مدينة
في الحبشة ، فإنه رضي الله تعالى عنه قال : والله ؛ لو سرت بنا
إلى برك الغماد.. لسرنا معك ، ولا نقول لك كما قالت
بنو إسرائيل لموسى عليه الصّلاة والسلام : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ
وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعُودُونَ ﴾ ، ولكن : أذهب أنت
وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون ، فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وفي الصحيح : (أَنَّ ابن مسعود قال : شهدت من
المقداد بن الأسود مشهداً ، لأن أكون صاحبه أحب إليّ ممّا
عُدِلَ به ، أتى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على
المشركين فقال : لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى :
﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا ﴾ ، ولكننا نقاتل عن يمينك ، وعن
شمالك ، وبين يديك ، وخلفك ، فرأيت النَّبِيَّ صلى الله عليه
وسلم أشرق وجهه وصرّه ، يعني قوله) اهـ

(١) هو من بني بهراء ، حليف بني زهرة ، وكان تبنّاه الأسود بن عبد يغوث ، ويقال له :
المقداد بن الأسود ، إلى أن نزل : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَكْبَائِهِمْ ﴾ ولم يقبل المقداد ذلك التّبنّي ، بل
انتسب إلى أبيه وقبيلته ، تزوج ضباعة بنت الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فولدت له فاطمة بنت
المقداد ، روى عنها ، وهو أحد الأربعة الذين أخبر صلى الله عليه وسلم أَنَّ الله يحبهم ،
وألزمه محبتهم قال في « عمود النسب » :

أربعة أخبر خير مرسل بحبه لهم إلّهنّا العلي
وحبهم ألزمه وهم علي سلمان مقداد أبو ذرّ العلي

وَعُمَرُ اسْتَقْلَّ جَيْشَ الْحُنَفَا وَأُسْتُكْثِرَ الَّذِي إِلَيْهِ زَحَفَا

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » فَقَالَ سَعْدُ مَا تَقْدُم .

قلت : وعلم من هذا التقرير : أَنَّ قول المقداد قبل قول سعد رضي الله عنهما ، فكان للناظم أن يقدمه ، إلا أَنَّ النظم لم يساعده ، والخطب سهل .

(وعمر) بن الخطاب رضي الله عنه (استقلَّ) أي : رأى في نظره جيش المسلمين قليلاً كما قال : (جيش الحنفا) : جمع حنيف ، وهو المائل عن جميع الأديان إلى دين الإسلام (واستكثر) الجيش (الذي إليه) يتعلق بقوله : (زحفا) بمعنى : مشى ، وإنَّما قال ذلك ؛ شفقة على المسلمين ؛ لما رأى من كثرة المشركين غيظاً بهم ، فقال - كما رواه ابن عقبة - : (يا رسول الله ؛ إنَّها لقريش ، والله ما ذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لَتَقَاتِلَنَّكَ ، فتأهَّب لذلك أهبطه ، وأعدَّ لذلك عدته) .

ولما سُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول صاحبيه : سعد والمقداد . ارتحل من واد يقال له : ذِفْرَان^(١) حين بلغه خروج قريش يريدونه .

(١) بكسر الفاء : واد قريب من الصفراء . اهـ من « الحلبية » .

وَأَسْتَبَقُوا صَخْرًا لِبَدْرِ وَأَنْتَحَى وَأَخَذُوا وَاِرِدَةً وَزَحَزَحَا

تعرّف الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر أخبار قريش :

(واستبقوا) أي : سبق الصحب الكرام معه عليه الصلاة والسلام أبا سفيان (صخرًا لبدر ، و) أما هو . . فإنه (انتحى) أي : قصد إلى ناحية الساحل خوفًا على غيره ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من بدر ، فركب هو وأبو بكر رضي الله عنه . . حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسألاه عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تُخبراني ممّن أنتما ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أخبرتنا . . أخبرناك » فقال الشيخ : أذاك بذاك ؟ قال : « نعم » قال الشيخ : بلغني أنّ محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني . . فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدق . . فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلمّا فرغ من خبره . . قال : ممّن أنتما ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء^(١) » ، ثمّ انصرفا عنه ، قال الشيخ : ما « من ماء » أمِن العراق ؟!

(١) قال في « النور » : (ظهر لي أنّه أراد : من ماء دافق ، والشيخ المشار إليه حمله على المنهل ، وقال أبو جعفر الغرناطي في « شرح بديعية ابن جابر » : إنّهُ تورية ، وإنّ ماء قبيلة) اهـ

عَنْهَا النَّبِيُّ الضَّرْبَ إِذْ قَالَ هُمَا وَارِدَةُ النَّفِيرِ وَأَسْتَفْتَاهُمَا

قصة سُقَاة قريش :

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه (و)
لما أمسى . . بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ،
وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ؛
يلتمسون الخبر له عليه الصلاة والسلام ، ف (أخذوا واردة)
لقريش ، وهي القوم يَرِدُون الماء ، فيها أسلم غلام
بني الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بني العاص ، فأتوا
بهما ، فسألوهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ،
فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره
القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ،
فلما أذلقوهما^(١) . . قالوا : نحن لأبي سفيان ، ونحن في
العرير ، فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وسجد سجديته ، ثم سلّم ، وقال : إذا صدّاكم ضربتموهما ،
وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا والله ، إنهما لقريش ، وهذا
مراد الناظم بقوله : (وزحزحا) أي : أبعد .

(عنها) أي : الواردة (النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم
(الضرب إذ قال : هما واردة النفير) أي : جيش أبي جهل
(واستفتاهما) النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال لهما :
« أخبراني عن قريش » قالوا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي

(١) بالغوا في ضربهما .

وَعِنْدَمَا أَمِنَ صَخْرُ أَرْسَلَ إِلَى النَّفِيرِ أَنْ يَوْوَبَ قُفْلًا

تقدير عدد كفار قريش
ومن خرج من أشرافهم

ترى بالعدوة^(١) القصوى ، قال : « كم هم ؟ » قال : كثير ،
قال : « ما عدّتهم ؟ » قال : لا ندري ، قال : « كم ينحرون
كل يوم ؟ » قال : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً ، فقال صلى الله
عليه وسلم : « القوم ما بين تسع مئة وألف » ثم قال لهما :
« فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » قال : عقبة بن ربيعة ،
وشيبه بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ،
ونوفل بن خويلد ، وأبو جهل ، وأمّية بن خلف ، والنضر بن
الحارث ، حتّى عدّ جماعة من كبرائهم ، فأقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم
أفلاذ كبدها » .

أمن أبي سفيان على العير ونجاتها :

(وعندما أمن) أبو سفيان (صخر) من تعرض المسلمين
لعيره (أرسل) بألف الإطلاق ؛ أي : أرسل أبو سفيان (إلى
النفير) : وهم قريش الذين نفروا للقتال مع أبي جهل ، ب (أن
يؤوب) أي : يرجع النفير (قفلاً) بتشديد الفاء : جمع قافل ،
بمعنى راجع ، وقال : إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ،
ورجالكم ، وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ، وستأتي
مقالة أبي جهل في ذلك .

سبب أمن أبي سفيان

وسبب أمن أبي سفيان : أنّه خرج بسبس بن عمرو ،

(١) بضم العين المهملة ؛ أي : الجانب المرتفع من الوادي . اهـ منه

وَرَدَ الْأَخْنَسُ الْمَسْوَدُ عَلَى حَلْفِ بَنِي زُهْرَةَ وَأَزْدَادَ عَلَا

وعديُّ بن أبي الزغباء . . حتى نزلا بدرًا ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذَا شَنًّا لهما يستقيان فيه ، ومَجْدِي بن عمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر^(١) ، وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرَ غَدًا ، أو بعد غد ، فأعملُ لهنَّ ، ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ ، قال مجدي : صدقت ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ، وسمع ذلك عدي ، وبسبس ، فجلسا على بعيريهما ، ثُمَّ انطلقا . . حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدَّم العيرَ حَذِرًا ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أَحَسَسْتَ أَحَدًا ؟ قال : ما رأيت أَحَدًا أَنْكَرَهُ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبِينَ قَدْ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنٍّ لَّهُمَا ، ثُمَّ انطلقا ، فَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ مُنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرِيهِمَا ، فَفَتَّهَ ، فإِذَا فِيهِ النُّوَى ، فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عِلَاقٌ يَثْرُبُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضْرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَسَاحَلَ بِهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا بَيَّسَارَ ، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ .

تبع أبي سفيان أخبار المسلمين والتعرف على تحركهم

انحراف العير إلى الساحل

رجوع الأخنس ببني زهرة :

(وَرَدَ الْأَخْنَسُ) بن شريق الثقفي (الْمَسْوَدُ) والمفضل في

بني زهرة (على حلف) بكسر فسكون ؛ أي : مع حلف

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

وَأَبْنُ هِشَامٍ قَالَ لَا أَوْ نَرِدَا بَدْرًا فَتَنْحَرَ وَنَرْهَبَ الْعِدَا

لبنی زهرة ، قال فی « الروض » : ویقال : إنه ما ساد حلیف
غیره ، وقوله : (بنی زهرة) معمول لقوله : (رد) یعنی : أن
الأخنس قال : یا بنی زهرة ؛ قد نجی الله أموالکم ، وخلص
لکم صاحبکم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ،
فاجعلوا بی جُبْنِها ، وارجعوا ؛ فإنه لا حاجة لکم فی محمد
وأصحابه ، لا ما یقول هذا ، یرید أبا جهل ، فرجعوا ولم
یشهدوا زُهری^(١) (وازداد) بذلك (علا) فی الجاهلیة .

قال فی « روض النہاة » : إلا أنه نافق فی إسلامه ، ونزلت
فیہ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية .

وقیل سبب رده لهم : أنه خلا بأبی جهل حین تراءى
الجمعان ، فقال : أترى محمداً یکذب ؟ فقال : کیف یکذب
على الله ، وقد کنا نسміه الأمین ؟ ! لأنه ما کذب قط ، ولكن
إذا اجتمعت فی بنی عبد مناف السّقایة والرّفادة والمشورة ، ثم
تکون فیهم النبوة ، فأی شیء بقی لنا ؟ فحیثذ انخس ؛ أي :
رجع بنی زهرة ، وكان اسمه أبیاً ، فسَمّی الأخنس بذلك .

إصرار أبی جهل على عدم رجوع قریش :

(و) الخیث اللعین أبو جهل (ابن هشام) بتسمیة النبی
صلی الله علیه وسلم ، وتقول له العرب : أبا الحکم (قال)

(١) قال المناوی : (ورجعت بنو عدي ، فصادفهم أبو سفيان ، فقال : لا فی العیر ، ولا فی
النفر ، قالوا : أنت أرسلت إلى قریش أن ترجع) اهـ

فَطَاوَعُوهُ وَمَضَوْا وَبَاتُوا بِشَرِّ مَا بَاتَ بِهِ بُغَاةُ
عَنْ كَثْبٍ وَأَصْبَحُوا بِوَحْلِ ثَبْطَهُمْ وَبَاتَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ
بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وَأَصْبَحَ عَلَى أَثْبَتِ أَرْضٍ لِلْخَطَا وَارْتَحَلَا

لما أرسل إليهم أبو سفيان أن يرجعوا ، فأراد أصحابه الرجوع
لنجاة العير : (لا) نرجع (أو) أي : إلا أن (نرد بداراً)
وكانت من مواسم العرب ، تجتمع لهم به سوق كل عام
(فتنحرو) الجُزُر ونشرب الخمر ، وتعزف عليه القيان ،
(ونزهب العدا) وتسمع بنا العرب .

(فطاوعوه) أي : أبا جهل (ومضوا) لسبيلهم . . حتى
أتوا بداراً ، ونزلوا بالعدوة القصوى (وباتوا بشرماً) أي : حال
(بات به بغاة) جمع باغ ، بمعنى ظالم ، من السهر والريح
والبرد والجزع ، وإنما وصفهم بالظلم ؛ لأنَّهم أهله ، ويتعلق
بقوله : (عن كَثْبٍ) أي : قرب .

نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقمة على المشركين :
(وأصبحوا بوحل) بفتح الواو والحاء المهملة ؛ أي :
فيه ، وهو الطين الرقيق ترتطم فيه الدَّواب ، ولا تكاد تخرج
منه (ثَبْطَهُمْ) أي : عَوَّقَهُم الوحل عن المسير (وبات خير
مرسل) صلى الله عليه وسلم (بخير ليلة) من الأمن والعافية ،
ولما احتلم أصحابه ليلتئذٍ . . أرسل الله عليهم السحاب ،
فتطهَّروا بها ، ولَبَّدَت لهم الأرض ، وكانت دَهْساً ؛ أي :
سهلة لينة ، كما قال : (وأصبح على أثبت أرض للخطا) بضم
الخاء ، وهو جمع خُطوة : ما بين القدمين (وارتحلا)

فَنَزَّلُوا أَذْنَى الْمِيَاهِ لِلْعِدَا وَغَوَّروا جَمِيعَهُنَّ مَا عَدَا

صلى الله عليه وسلم بأصحابه . . حتى جاء أقرب ماء من بدر ،
فَنَزَلَ بِهِ .

المشورة في منزل الحرب :

ثُمَّ إِنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛
أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزَلَ ، أَمْتَزَلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدِّمَهُ ، أَوْ
نَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ ، وَالْحَرْبُ ، وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ : « بَلْ
هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ هَذَا
لَيْسَ بِمَنْزَلٍ ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَذْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ
فَتَنْزِلُهُ ، ثُمَّ نَغْوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ،
فَنَمْلُؤُهُ مَاءً ، فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَشْرْتُ بِالرَّأْيِ » فَانْهَضْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَسَارَ . . حَتَّى أَتَى أَذْنَى مَاءٍ مِنَ
الْقَوْمِ ، فَتَزَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فغَوَّرت ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى
الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ ، فَمَلَأَ مَاءً ، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ ، وَإِلَى
هَذَا أَشَارَ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (فَنَزَلُوا) أَيِ :
الصَّحْبِ الْكَرَامِ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (أَذْنَى الْمِيَاهِ
لِلْعِدَا ، وَغَوَّروا) بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ ، وَهُوَ
الْمُوَافِقُ لِلنَّظْمِ^(١) (جَمِيعَهُنَّ) أَيِ : الْقَلْبُ (مَا عَدَا) أَيِ : إِلَّا

(١) قوله : (وهو الموافق للنظم) قال السهيلي في « الروض » عند قوله : (فأمر بتلك القلب
فعورت) : (هذه كلمة نبيلة ، وذلك أن القلب لما كانت عيناً . . جعلها كعين الإنسان ،
ويقال في عين الإنسان : عرتها فعارت ، ولا يقال : عورتها ، وكذلك قال في القلب = :

قَلِيْبُهُمْ وَجَعَلُوا الْأَوَانِي فِي جَدُولٍ فَهِيَ لَهُمْ دَوَانِي
وَأَقْبَلْتُ بِالْخَيْلَا وَالْكَبْرِيَا إِلَى الْمَصَارِعِ الزُّحُوفِ الْأَشْقِيَا

(قليبهم) أي : المسلمين ، والقلب في الأصل : البئر قبل أن
تطوى وتبنى .

(وجعلوا الأواني) للشرب (في جدول) على وزن جعفر
وخرُوع : النهر الصغير ، قاله في « القاموس » والمراد به هنا :
الحوض المذكور (فهي) أي : الأواني (لهم) أي :
للمسلمين ممّن يريد الشرب (دواني) أي : قريبة .

(وأقبلت بالخيل) هو التكبر والإعجاب بالنفس ، فعطف
قوله : (والكبريا) عليه عطف تفسير (إلى المصارع) جمع
مصرع ، بفتح الميم ، وهو موضع هلاكهم الذي ذكره النبيّ
صلّى الله عليه وسلم لأصحابه حين سرّ ونشط بقول سعد
والمقداد : « إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ - يعني العير أو
النفير - وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ » .

وقوله : (الزحوف) فاعل (أقبلت) وهو : جمع زحف
الجيش ، يزحفون ؛ أي : يمشون إلى عدوهم ، ووصفهم
بقوله : (الأشقيا) .

= عورت بسكون الواو ، ولكن لما ردّ الفعل لما لم يسم فاعله . . ضمت العين ، فجاء على لغة
من يقول : قول القول ، وبوع المتاع ، وهو لغة هذيل) اهـ
وقال أبو ذرّ في « شرحه » : (من رواه بالغين المعجمة ، فمعناه : نذهبه وندفنه) .

لَوْ طَاوَعُوا عُتْبَةَ أَوْ حَكِيمًا أَوْ ابْنَ وَهْبٍ مَا رَأَوْا أَلِيمًا
لِكَوْنِهِمْ إِلَى الْقُقُولِ أَرْشَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا أَشْفَوْا عَلَى مَا وَرَدُوا

مقال عتبة وحكيم وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال :

قال الناظم :

(لو طاوَعُوا عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن
عبد مناف ، الذي قال فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد رآه
على جمل له أحمر : « إن يكن فيهم خير ، ففي صاحب الجمل
الأحمر ، إن يطيعوه يَرْشُدُوا » (أو حكيمًا) ابن حزام بن
خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أُمُّهُ فاختة بنت
رُهَيْن ، ولدته في جوف الكعبة ، وطرحت ثيابها التي ولدته
فيها في الحطيم ، وذلك شرع الجاهلية ، وتسمّى تلك
الثياب : اللقى ، بوزن الفتى ، قال الشاعر :

فَوَاحِزَنَا كَرِّيَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ

لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفَتَيْنِ صَرِيمٌ

نجا يوم بدر ، وأسلم يوم الفتح ، رضي الله عنه .

(أو) عُمير (ابن وهب) بن خلف بن حذافة بن جمح ،
قال في « روض النُّهاة » : (ويقال له : شيطان العرب ، وقد
أسلم رضي الله عنه) (ما رأوا) أي : كفار قريش (أليما) .

(لكونهم) أي : لكون المذكورين (إلى القُقُول) أي :
الرجوع عن القتال (أَرشَدُوا) قومهم (من بعد ما) يظهر أنها
مصدرية (أَشْفُوا) قال في « القاموس » و« شرحه » : (أَشْفَى

على الشيء : أشرف ، وحصل على شفاه ، وهو يستعمل في الشر غالباً) أي : من بعد إشرافهم (على ما) أي : القتال الذي (وردوا) بداراً لأجله .

بعث قريش عمير بن وهب الجمحي متحسناً أخبار المسلمين

وأشار الناظم في هذه الأبيات إلى ما ذكره ابن سيد الناس في « العيون » ، وابن كثير في « البداية » كلاهما عن ابن إسحاق قال : (حدّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لمّا اطمأنّ القوم . . بعثوا عمير بن وهب الجُمَحِيّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمّد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثمّ رجع إليهم ، فقال : ثلاث مئة رجل ، يزيدون قليلاً ، أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين ، أو مدّد ، قال : فضرب في بطن الوادي . . حتّى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت النافع ، قوم ليس لهم منعة ، ولا ملجأ إلا سيوفهم .

وفي « السيرة الشامية » : أما ترونهم خرساً لا يتكلمون ، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي^(١) ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم . . حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم عدادهم . . فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرّوا رأيكم .

(١) تلمظ : إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه ، وأخرج لسانه فمسح به شفتيه .

وَقَالَ عَمْرُو وَبِأَنفِهِ شَمَخُ ثَانِيَةً سَحَرُ عُتْبَةَ اُنْتَفَخُ

مفاوضات زعماء قريش
على التراجع عن القتال

فلَمَّا سمع حكيـم بن حزام ذلك . . مشى في الناس ، فأتى
عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ، إِنَّكَ كبير قريش ،
وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها
بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيـم ؟ قال : ترجع
بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(١) ، قال :
قد فعلت ، أنت عليّ بذلك ، إِنَّمَا هو حليفي ، فعليّ عقله
وما أُصيب من ماله ، فأَتِ ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - ثمَّ
قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش ؛ إِنَّكُمْ والله ما تصنعون
بأن تلقوا محمّداً وأصحابه شيئاً ، والله ؛ لئن أصبتموه . .
لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن
عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين
محمّد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه . . فذلك الذي أردتم ،
وإن كان غير ذلك . . ألفاكم ، ولم تعرّضوا منه ما تريدون) .
وإلى هنا انتهى ما دار من المفاوضة بين الثلاثة وأبي جهل .

إصرار أبي جهل على الحرب :

وأَمَّا جواب أبي جهل . . فهو ما أشار إليه الناظم رحمه الله
تعالى بقوله :

(وقال) أبو جهل (عمرو و) الحال أَنَّهُ (بأنفه) ، يتعلق
بقوله : (شمع) أي : تكبر ، قولةً (ثانية) ، أمّا القولة

(١) أي : الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وهو أول قتيل .

الأولى فقلوه - كما تقدم - : لا نرجع .. حتى نرد بدراناً إلخ ،
ومقول القول قوله : (سحرُ عتبة انتفخ) كما قال : (سحر)
قال في « المختار » : بالضم : الرثة ، والجمع أسحار ، كبرد
وأبراد ، وكذا السحر بالفتح ، وجمعه سحور كفلس وفلوس ،
وقد يحرك لمكان حرف الحلق ، فيقال : سحر وسحر ، كنهير
ونهر ، والثاني هو اللائق بالنظم ، فيحمل عليه (عتبة
انتفخ) .

محاولة حكيم بن حزام
أبا جهل في الرجوع عن
القتال

قال في « العيون » : (قال حكيم : فانطلقت حتى جئت
أبا جهل ، فوجدته قد نثل درعاً له من جرابها ، فقلت :
يا أبا الحكم ؛ إِنَّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا - لِلهذي قال -
فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمّداً وأصحابه ، كلاً
والله ، لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد ، وما بعثة
ما قال ، ولكنه قد رأى أَنَّ محمّداً وأصحابه أكلة جزور ،
وفيهم ابنه^(١) قد تخوف عليه ، ولما بلغ عتبة قول أبي جهل :
انتفخ والله سحره .. قال : سيعلم مصفّر استه من انتفخ
سحره : أنا أم هو ؟ ثمّ بعث أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي
الذي قُتل أخوه عمرو في سرية ابن جحش ، فقال : هذا
حليفك يريد أن ترجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك ، فقم
فانشد خُفرتك^(٢) ومقتل أخيك) وقد أشار الناظم لهذا بقوله :

(١) هو أبو حذيفة من مهاجري الحبشة رضي الله عنه .

(٢) أي : اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك وعهدك ؛ إذ أنّه كان حليفاً لهم وجاراً .

وَاسْتَشَدَّ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ الثَّأْرَا فَحَشَّ حَرْباً بَيْنَهُمْ وَشَرًّا

استنشاد أبي جهل
ابن الحضرمي بالمطالبة
بالثأر من المسلمين

(واستنشد) أبو جهل عامرَ (بن الحضرمي) أخا
المقتول ، الذي هو عمرو ، وقال : هذا حليفك . . . إلى آخر
ما تقدم (الثأرا) بالهمزة ، وتبدل ألفاً : الدم ، وقيل : الطلب
به ، كما في « التاج » عن « المحكم » (ف) قام عامر ،
وكشف استه ، وحشا عليه التراب ، ثمَّ صرخ : واعمراه ،
فشارت النفوس ، و (حش حرباً) أي : أوقدها (بينهم
وشراً) .

مقتل الأسود بن عبد الأسد :

فقام الأسود^(١) بن عبد الأسد المخزومي فقال : أعاهد الله
لأشربنَّ من حوضهم ، أو لأهدمنَّه ، أو لأموتنَّ دونه . فقام
إليه سيدنا حمزة رضي الله عنه ، فلمَّا التقيا . . ضربه حمزة ،
فأطنَّ قدمه إلى نصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على
ظهره ، تشخَّب رجله دماً نحو أصحابه ، ثمَّ جبا إلى
الحوض . . حتى اقتحم فيه ، فتبعه حمزة ، فقتله في
الحوض .

(١) الأسود هذا : أوَّل من يأخذ كتابه بشماله ، وأخوه أبو سلمة أوَّل من يأخذ كتابه بيمينه بعد
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قال شيخ شيخنا عبد القادر بن محمَّد سالم في
« الواضح المبين » :

سيدنا عمر هو أوَّل	من يأخذ الكتاب فيما نقلوا
ثمَّ أبو سلمة يتلووه	وعكسه الأسود أي أخوه
سبحان من يفعل ما يريد	وعنه لا ينقص أو يزيد

فَقَامَ لِلْوَلِيدِ نَجْلٍ عُتْبَةٍ حَيْدَرَةٌ وَحَمْزَةٌ لِشَيْبَةٍ
نَجْلٍ رِبِيعَةٍ وَعُتْبَةٍ أَخُوهُ قَامَ لَهُ عُيَيْدَةٌ إِذْ رَشَّحُوهُ

وذكر الحافظ ابن عبد البر في ترجمة أخيه العلاء بن
الحضرمي : (أَنَّ عامر بن الحضرمي قتل يوم بدر كافراً) .

ابتداء الحرب بالمبارزة :

ولمَّا أوقد أبو جهل الحرب بينهم ، وقتل حمزة الأسود . .
خرج عتبة بين أخيه شيبه وابنه الوليد ، فدعا إلى المبارزة ،
فخرج إليه ثلاثة من الأنصار : عوف ومعاذ^(١) ابنا الحارث ،
وأُثَمِّمًا عَفْرَاءَ ، والثَّالِثُ : عبد الله بن رواحة فيما قيل ،
فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ما لنا
بكم من حاجة ، وفي رواية : فقالوا : أكفاء كرام ، ولكن
أخرجوا إلينا من أكفائنا بني عمنا ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلم : « قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم
يا علي » .

(فقام للوليد نجل) أي : ابن (عتبة) بن ربيعة (حيدرٌ)
لقب لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، (و) قام
(حمزة) بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلم (لشيبه نجل ربيعة) بن عبد شمس ، (وعتبة أخوه)
أي : أخو شيبه (قام له عبيدة) الآتي نسه (إذ رشحوه) أي :
قدموه للمبارزة .

(١) في « الهشامية » و « العيون » : معوذ ، بدل معاذ .

وَقُطِعَتْ قَدَمُهُ وَاحْتَمَلُوهُ وَهُوَ أَسْنُ الْجَيْشِ فِيمَا نَقَلُوهُ

قال ابن إسحاق : فلَمَّا دنوا منهم .. قالوا : من أنتم ؟
فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ :
عليّ ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم
عتبة ، وبارز حمزة شيبه ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة ، فأَمَّا
حمزة .. فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأَمَّا عليّ .. فلم يمهل
الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما
أثبت صاحبه ، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة ، فدفعا
عليه - بالمهملة والمعجمة : أجهزا عليه - واحتملا صاحبهما ،
فحازاه إلى أصحابه .

استشهاد عبيدة بن الحارث :

(وقطعت قدمه) أي : عبيدة ، بضربة ضربه بها عتبة في
ركبته ، وصار مَخْ ساقه يسيل (واحتملوه) فمات بالصفراء ،
ودفن بها ، رضي الله تعالى عنه ، ونفعنا بمحبته (وهو أَسْنُ
الجيش فيما نقلوه) من الأخبار .

ذكر في « الحلبية » : أَنَّهُ أَسْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم بعشر سنين .

وقال في « روض النهاية » : له يوم مات ثلاث وستون
سنة ، وهو القائل يومئذٍ رضي الله عنه :

فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ
أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ عَالِيَا

وَهُوَ إِذَا أَخَذَتْ فِي نِعَمِ النَّسَبِ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ

عبيدة بن الحارث

والبسني الرَّحْمَنُ من فضل منَّه

لباساً من الإسلام غطَّى المساويا

(وهو) أي : سيدنا عبيدة المذكور (إذا أخذت في) نسبه الشريف ، و (نعم النسب) هو ، فقل : (عبيدة بن الحارث بن المطلب) بن عبد مناف ، أسلم قديماً .

قال في « الإصابة » : (وكان رأس بني عبد مناف حينئذٍ ، مع أنَّ العباس وإخوته كانوا في التعدد أقرب ، وكان مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ، ثم هاجر) .

قال الحافظ ابن كثير : (ولما جاؤوا به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأفرشه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدمه الشريفة ، فوضع خده على قدمه الشريفة ، وقال : يا رسول الله ؛ لو رأياني أبو طالب . . لعلم أنني أحق بقوله :

وَنُسِّلِمَهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ

ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

ثمَّ مات رضي الله عنه ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أشهد أنَّكَ شهيد » رواه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى) .

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد : سمعت أبا ذرٍّ رضي الله عنه يقسم قسماً : أنَّ هذه

وَشَهِدَ الْمَشْهَدَ هَذَا أَخَوَاهُ أَغْنِي الْحَصِينَ وَالْطُّفِيلَ مُشْبِهَاهُ

الآية : ﴿ هَذَانِ خَصَمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة ، وعلي ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة ، وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة .

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي مجلز عن قيس ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « أنا أول من يجثو بين يدي الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ للخصومة يوم القيامة » .

وقال قيس : وفيهم أنزلت : ﴿ هَذَانِ خَصَمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ، وقال : هم الذين تبارزوا يوم بدر : علي ، وحمزة ، وعبيدة رضي الله عنهم ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة .

الْأَخَوَانِ : الْحَصِينَ
وَالطُّفِيلَ ابْنَا الْحَارِثِ

(وشهد المشهد هذا) أي : بدرأ (أخواه) أي : أخوا عبيدة ، بل شهدا المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتا في خلافة عثمان رضي الله عنه ، في سنة إحدى وثلاثين (أغني الحصين والطفيل) ابني الحارث .
قال في « روض النهاية » : (إِنَّ الثَّلَاثَةَ أَشْقَاءَ ، أُمَّهُمْ سَخِيلَةٌ) (مشبهاه) أي : عبيدة في قدم الإسلام ، والهجرة ، وشهود بدر .

وَأَبْنُ غَزِيَّةٍ سَوَادُ أُسْتَتَلَا مِنْ صَفِّهِ وَرَامَ أَنْ يَعْتَدِلَا
 نَبِيُّنَا فَمَسَّهُ فِي كَشْحِهِ وَقَالَ إِذْ أَلَمَ مَسُّ قِدْحِهِ
 أَوْجَعْتَنِي نَخْسًا فَأَعْطَنِي الْقَوْدَ وَجَدَّ فِي أَنْ كَانَ بَاشَرَ الْجَسَدَ

قصة سواد بن غزوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وابن غَزِيَّة) بالتكبير ، الْبَلَوِيّ ، حليف بني عَدِي بن النجار ، واسمه (سَوَاد) بفتح السين ، وتخفيف الواو ، قال في « روض النُّهاة » : « وكذا كل سواد في العرب ، إلّا عمر بن سَوَاد ، بتشديد الواو ، أحد بني عامر بن لؤي ، من شيوخ الحديث ، وسَوَاد بن مُرَبَّن إراشة الْبَلَوِيّ حليف الأنصار ، فبضم السين وتخفيف الواو والمذكور في النظم شهد بدرًا ، وما بعدها ، و (استتلا) أي : تقدم (من صَفِّهِ ، ورام) أي : قصد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم لمّا كان يعدّل الصفوف (أن يعتدلا) والألف للإطلاق ، وفاعله يعود على سواد ، وقوله :

(نبينا) فاعل رام (فَمَسَّهُ) أي : مَسَّ نَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم سَوَاداً (في كَشْحِهِ) : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع ، (وقال) سواد (إِذْ أَلَمَ) هُ (مَسُّ قِدْحِهِ) - بكسر القاف - : السهم قبل أن يُرَاش وينصل (أَوْجَعْتَنِي نَخْسًا) : هو غرز الجَنْب يعود ، ونحوه ، وهذا مقول القول (فَأَعْطَنِي الْقَوْدَ) أي : القصاص ، فأعطاه ذلك ، بأن كشف صلى الله عليه وسلم عن بطنه الشريف ، (وَجَدَّ) سواد ، واجتهد (في أن كان باشر الجسد) أي : جسده صلى الله عليه وسلم ، فاعتنقه ، وقَبَّل بطنه .

قصة تقبيل سواد بن غزوة بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثَنِي حَبَّانُ بْنُ وَاسِعٍ بْنُ حَبَّانٍ ،
عن أشياخ من قومه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَلَ
صفوف أصحابه يوم بَدْرَ ، وفي يدهِ قِدْحٌ يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فكان
يقول لهذا تقدم ، ويشير للآخر تأخّر) .

وذكر في « السَّامِيَةِ » : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطِبَ
فيهم يومئذٍ ، فحمد الله وأثنى عليه ^(١) ، فمرَّ بسواد بن غَزِيَّةَ
حليف بني عَدِيٍّ بن النجار ، وهو مُسْتَتَلٌ مِنَ الصَّفِ) .

قال ابن هشام : (فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ ، وقال : « اسْتَوِ
يَا سَوَادُ » فقال : يا رسول الله ؛ أوجعتني وقد بعثك الله بالحق
والعَدْلَ فَأَقْدَنِي ، قال : فكشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عن بطنه ، وقال : « اسْتَقِدْ » قال : فاعتنقه ، فقبَّلَ بطنه ،
فقال : « ما حملك على هذا يا سَوَادُ ؟ » قال : يا رسول الله ؛
حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدِي
جلدك ، فدعا له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير) .

عريش النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ولَمَّا عَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُفُوفَهُ . . . رَجَعَ إِلَى
عريشه ، وليس معه فيه غير أبي بكر ، ورسولُ الله صَلَّى الله
عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول : « اللَّهُمَّ ؛

توجه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم متضرعاً إلى
الله عَزَّ وَجَلَّ

(١) وذكر الإمام المقرئ خُطِبَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : (وَخُطِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالْحَمْدِ : « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْكُمُ عَلَى مَا حَكَّمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ ، وَأَنهَآكُمُ عَمَّا نَهَاكُم عَنْهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ . . . » إلخ) .

وَحَفَقَ النَّبِيُّ حِينَ الْمَعْرَكَةِ وَفِي عَرِيشِهِ رَأَى الْمَلَائِكَةَ
عَلَى ثَنَائَا جِبْرِئِلَ النَّقْعُ وَلَمْ يُقَاتِلْ فِي سِوَاهَا الْجَمْعُ

إن تهلك هذه العصابة اليوم . . لا تُعَبَّدُ « وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله ؛ بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك .

(و) قد (حَفَقَ) بفتححات (النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم وهو في العريش خفقة ؛ أي : حَرَكَ رأسه وهو ناعس (حين المعركة) بفتح الميم ، والراء مفتوحة ، أو مضمومة : موضع القتال .

الإمداد بالملائكة في بدر :

(وفي عريشه) وهو ما يستظل به من خشب وحشيش (رأى) عليه الصلاة والسلام (الملائكة على ثنايا جِبْرِئِلِ النَّقْعِ) أي : الغبارُ ، فمن أجل ذلك لما انتبه صلى الله عليه وسلم . . قال : « أبشُرْ يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقْعُ » .

روى البيهقي - كما في « شرح المواهب » - عن علي رضي الله عنه قال : (هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا ، ثُمَّ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، وَأَظْهَنَ ذِكْرُ ثَالِثَةٍ ، فَكَانَتِ الْأُولَى جِبْرِيلَ ، وَالثَّانِيَةُ مِيكَائِيلَ ، وَالثَّالِثَةُ إِسْرَافِيلَ ، فَكَانَ مِيكَائِيلُ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَإِسْرَافِيلُ عَنْ يَسَارِهِ وَأَنَا فِيهَا) اهـ .

ورواه ابن سَعْدٍ ، وذكر الثلاثة جَزْماً ، وقال : (فَكَانَتِ الْأُولَى : جِبْرِيلُ فِي أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

والثانية : ميكائيل في ألف عن يمينه ، والثالثة : إسرافيل في ألف عن يساره (قاله القسطلاني .

ثمَّ خرج صلى الله عليه وسلم من باب العريش ، وهو يتلو : ﴿ سُبْحَنَ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ ﴾ .

دعاؤه صلى الله عليه وسلم ربه :

وفي « صحيح مسلم » ، و« سنن أبي داوود » و« الترمذي » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ . . نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ ؛ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ ؛ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ . . لاَ تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ » فما زال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبل القبلة . . حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثمَّ التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ؛ كفاك مناشدتك ربك ؛ فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَتَى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ) .

استفتاح أبي جهل :

واستفتح أبو جهل يومئذٍ فقال : اللَّهُمَّ ؛ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ ، فَأَحْنُهُ الْغَدَاةَ ، فكان هو المستفتح على

نفسه ، وفيه نزلت : ﴿ إِن تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدَّ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

آثار حفنة التراب التي رماها النبي صلى الله عليه وسلم في وجه كفار قريش

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب ، فرمى بها قريشاً ، وقال : « شأهت الوجوه » وقال لأصحابه : « شُدُّوا » فكانت الهزيمة ، وكانت تلك الحصباء عظيماً شأنها ، لم تترك أحداً من المشركين إلا ملأت عينيه ، وجعل المسلمون يقتلونهم ، ويأسرونهم ، وبادر النفير إلى كل رجل منهم منكباً على وجهه ، يعالج التراب ، ينزعه من عينيه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ أي : عمَّ جميعهم ، وما في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم ، فالله هو الذي رمى سائرهم .

وذكر المقرئ في « إمتاع الأسماع » : إن هزيمة القوم كانت عند الزوال ، وكان الرجل يومئذ يرى الملك على صورة رجل يعرفه ، وهو يثبت ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

قال سيدنا حسان رضي الله عنه :

مِكَالُ مَعَكَ وَجِبْرِيلُ كِلَاهُمَا

مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِنْ عَزِيزٍ قَادِرٍ

(ولم يقاتل في سواها) أي : في غير غزوة بدر (الجمع)

وَقِيلَ : لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةَ إِذْ رِيشَةٌ مِنْهُمْ لِقَوْمٍ مُهْلِكَةٌ
لِكَنَّهُمْ لِعَدَدٍ وَمَدَدٍ وَطَبْلُهُمْ هُنَاكَ طُولَ الْأَبَدِ

قتال الملائكة لمساعدة
المسلمين

من الملائكة ، أما فيها . فقاتلت ، وبهذا صرح الإمام بن كثير
في « تفسيره » فقال : (المعروف من قتال الملائكة : أنه إنما
كان يوم بدر - ثم روى بإسناده إلى ابن عباس - قال : لم تقاتل
الملائكة إلا يوم بدر) .

الخلاف في قتال
الملائكة

(وقيل لم تقاتل الملائكة) لا في بدر ولا في غيرها ،
وإنما كانوا يكثر السواد ، ويثبتون المؤمنين ، وإلا . فملك
واحد يكفي في إهلاك الدنيا ، كما قال الناظم : (إذ ريشة منهم
لقوم مهلكة) مبيدة .

(لكنهم) إنما حضروا بدرًا (لعدد) أي : لتكثير عدد
(ومدد) في أعين المشركين ، لا يضربون .

قال في « شرح المواهب » عقب ذكر هذا القيل ، وما معه
من الدليل : (وهذه شبهة يدفعها ما يأتي عن السبكي ، قلت :
وحاصل دفعها عنه : أن قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه
وسلم على سبيل الاشتراك في بعض الفعل ، مع أن جبرائيل
قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؛ لإرادة أن يكون
الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه ، وتكون
الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة
الأسباب ، وستنها التي أجراها الله تعالى في عباده ، والله فاعل
الجميع) .

.....

وفي المسألة قول ثالث ، ذكره في « شرح المواهب »
وهو : أنها قاتلت فيها وفي غيرها .

سماع الطبل في بدر :

(وطبلهم) المسمّى بطل أهل الإيمان (هناك) ببدر
يسمع إلى وقتنا هذا ، بل (طول الأبد) وقد شاع ذلك ،
وشوهد من كثير ممّن يزورون بدرأ ؛ فقد قال القسطلاني في
« المواهب » عن ابن مرزوق : (ومن آيات بدر الباقية مدى
الأزمان . . ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج : أنهم إذا
اجتازوا بذلك الموضع . . يسمعون هيئة الطبل ، طبل ملوك
الوقت ، ويرون أنّ ذلك لنصر أهل الإيمان ، قال : وربما
أنكرت ذلك ، وربما تأوّلته بأنّ الموضع صُلب ، فتستجيب فيه
حوافر الدوابّ ، وكان يقال لي : إنه دَهِس سهل ليس برمل ،
ولا تراب غير صلب ، وغالب ما يسير هناك الإبل ، وأخافها
لا تصوّت في الأرض الصلبة ، فكيف بالرمال ؟ !) .

قال - أي : ابن مرزوق - : (ثمّ لما منّ الله عليّ بالوصول
إلى ذلك الموضع المشرف . . نزلت عن الراحلة أمشي ، وببيدي
عود طويل من شجرة السّعدان ، المسمى بأُم غَيْلان ، وقد
نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع ، فما راعني وأنا سائر في
الهجرة إلّا واحد من عبّيد الأعراب الجّمّالين يقول : أسمع
الطّبل ؟ فأخذتني لمّا سمعت كلامه قشعريرة بيّنة ، وتذكرت
ما كنت أُخبرت به ، وكان في الجو بعض ريح ، فسمعت

تحقيق العلامة ابن
مرزوق لسماعه

صوت الطبل ، وأنا دَهَش مِمَّا أصابني من الفرح ، أو الهيبة ،
أو ما الله أعلم به ، فشككت ، وقلت : لعلَّ الريح سكنت في
هذا العود الذي في يدي ، وأوجدت مثل هذا الصوت ، وأنا
حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة ، فألقيت العود
من يدي ، وجلست على الأرض ، أو ثَبْتُ قائماً ، أو فعلت
جميع ذلك ، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً ، أو صوتاً
لا أشك أنَّه صوت طبل ، وذلك من ناحية اليمين ونحن
سائرون إلى مكة المشرفة ، ثمَّ نزلنا بيدر ، فظِلَّلْتُ أسمع ذلك
الصوت يومي أجمع ، المرة بعد المرة ، وقد أُخبرت أنَّ ذلك
الصوت لا يسمعه جميع الناس) انتهى كلام ابن مرزوق .

تحقيق المؤرخ الخميس
حسين بن محمد

وقال العلامة المؤرخ الشهير بالخميس حسين بن محمَّد :
(وأنا جَرَّبْتُها في سنة « ٩٣٦ » وقت اجتيازي بيدر قافلاً من
المدينة المنورة إلى مكَّة المكرَّمة ، وسمعت صوت الطبل ،
وتتابع الناس لسماعه ، وكانوا زهاء مئة إنسان من الرجال ،
والنساء في الشقادات ، وغيرها سماعاً محققاً بلا شك ، مراراً
متعددة ، وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثمَّ ينقطع ، وتارة
من خلفنا ثمَّ ينقطع ، وتارة عن يميننا ، وتارة عن شمالنا ،
وعلى كل الهيئات كنا نسمع الصوت قائماً ، وقاعداً ، ومتكئاً ،
سماعاً محققاً بلا شبهة ، وكان الوقت صحواً ، راكداً لا ريح
فيه) اهـ^(١)

(١) « تاريخ الخميس » (١ / ٤٣١) .

وَجَاءَ أَنَّ جِبْرِيلَ يَخْضُرُ مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا وَقَوْمٌ أَنْكَرُوا
نُزُولَهُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَالْحَقُّ أَنْ لَيْسَ لَهُ تَنَاهِي

الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السَّلام :

(وجاء) في الخبر (أَنَّ جِبْرِيلَ) بالهمزة قبل الياء ، عليه
السَّلام (يَخْضُرُ مَنْ مَاتَ) من أُمَّة سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه
وسلم (مؤمناً) وإذا رآه الشيطان .. يفرُّ منه ، فلا يقدر أن
يُغْوِيَ من أراد الله تعالى ثباته ، ثَبَّتْنَا الله على الإيمان بحرمة
سيدنا مُحَمَّد عليه الصَّلَاة والسَّلام (وقوم) من العلماء (أنكروا
نزوله بعد رسول الله) صلى الله عليه وسلم .

قال الناظم : (و) القول (الحقْ أَد) ه ؛ أي : أنَّ نزول
جبريل (ليس له تناهي) حتى يردَّ الدجال عن الحرمين .

التحقيق في نزول
جبريل بعد وفاة النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نعم ؛ لا ينزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي
بشريعة .

قال عبد الباقي في « شرحه » على « مختصر سيدي
خليل » : (وما اشتهر على ألسنة الناس أَنَّهُ لا ينزل إلى الأرض
بعد موت النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .. فلا أصل له ، ومن
الدليل على بطلانه ما للطبراني في « الكبير » عن ميمونة بنت
سعد قالت : قلت : يا رسول الله ؛ هل يرقد الجنب ؟ قال :
« ما أحب أن يرقد .. حتى يتوضَّأ ؛ فَإِنِّي أخاف أن يتوفَّى فلا
يحضره جبريل ») .

قال العلامة الشيخ مُحَمَّد الأمير عليه ، أو ما معناه :

وَرَأَبَ الْجَمْعَيْنِ شَخْصَانِ لِكَيِ يَنْتَهَبَا مِنْ مُدْبِرِي الْجَمْعَيْنِ شَيْ
فَرَأَيَا الْمَلِكَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ فَأَنْشَقَّ وَاحِدٌ وَالْآخَرُ صَعَقَ

(لا ينزل بتجديد شريعة) . ونقله في « مشارق الأنوار » في فوز أهل الاعتبار ، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه .

قصة الرجلين اللذين
شاهدا جبريل عليه
السلام

(وراقب الجمعين) أي : جمع المسلمين ، وجمع المشركين (شخصان) من بني غفار (لكي ينتهبا) مع من ينتهب (من مُدْبِرِي الجمعين شَيْ) معمول لـ (ينتهبا) ، وقف به على لغة ربيعة ؛ أي : ليأخذا شيئاً .

(فرأيا الملك) جبريل عليه السلام (وهو منطلق) على فرس قائلاً : أقدم حَيَزُومَ (فأنشَقَّ واحد) من الشخصين فمات مكانه ، (والآخر صَعَق) وغشي عليه .

قال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر : أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ ابن عباس رضي الله عنهما قال : حَدَّثَنِي رجل من بني غفار قال : أَقْبَلْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي . . حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يَشْرَفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرَكَانَ ، نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) ، فَتَنْتَهَبُ مَعِ مَنْ يَنْتَهَبُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ ؛ إِذْ دَنَتْ سَحَابَةٌ . . فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمَحَمَةً ^(٢) الْخَيْلِ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَقْدِمَ ^(٣) حَيَزُومَ ، فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَاِنْكَشَفَ

(١) الدبرة - بفتح الدال المهملة وسكون الباء - : هي الهزيمة .

(٢) حمحمة - بحائين مهملتين مفتوحتين ، بينهما ميم ساكنة - : صوت الخيل .

(٣) أقدم : بهمزة قطع مفتوحة وكسر الدال ، من الإقدام كما رجحه ابن الأثير ، وحيزوم : اسم فرس جبريل ، كما في « الروض الأنف » للسهيلى .

وَأَبْنُ مُعَاذٍ مُبْتَنِي الْعَرِيشِ وَحَارِسُ النَّبِيِّ مِنْ قُرَيْشٍ

قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ، ولا أحقر ، ولا أذحر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ؛ وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما رؤي يوم بدر » قيل : وما رأى يوم بدر ؟ قال : « أما إنَّه قد رأى جبريل يزع الملائكة » أي : يصفُّهم للحرب .

وقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام يومئذ : « هذا جبريل يسوق الريح كأنَّه دحية الكلبي ، إنِّي نصرت بالصِّبَا ، وأهلك عاد بالذَّبَّور » .

وقال سيدنا عبد الرَّحْمَنِ بن عوف رضي الله عنه : (رأيت يوم بدر رجلين ، عن يمين النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ، ثمَّ ربعهما رابع أمامه) .

قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء ، ويوم حنين عمائم حمراء .

وقال ابن هشام : (وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أَحَدٌ أَحَدٌ) .

سعد بن معاذ وحراسته الرسول صلى الله عليه وسلم في العريش :

(و) سعد (أبْنُ مُعَاذٍ) سيد الأوس ، مبتدأ (مبتني

العريش) خبره ؛ فإنَّه قال كما رواه ابن إسحاق :

يَكْرَهُ إِبْقَاءَ الْأَسَارِيِّ وَيَرَى إِهْلَاكَهُمْ أَوَّلَ قَتْلِ أَجْدَرًا

(يا رسول الله ؛ ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعِدّ عندك ركائبك ، ثمّ نلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله ، وأظهرنا على عدوّنا . . كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى . . جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا ؟ فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله وما نحن بأشدّ لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنّك تلقى حرباً . . ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصرونك ، ويجاهدون معك ، فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير ، ثمّ بنى للرسول صلى الله عليه وسلم عريشاً فكان فيه) .

والعريش : شبه الخيمة يستظل به ، وقال السهيلي : (هو كل ما أظلك ، وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت . . فهو عَرْش لا عريش) .

وتعقبه مُغلطائي بأن تفرقته بينهما لم يروها عن لغويّ ، والذي في « العين » : (أنّهما : ما يستظل به) .

رأي سعد بن معاذ وعمر في الأسارى :

(و) هو (حارس النّبي) صلى الله عليه وسلم (من) كفار (قريش) على باب العريش ، متوشحاً السيف في نفر من الأنصار ، يحرسونه صلى الله عليه وسلم ، مخافة كَرّ العدو عليه .

وجملة قوله : (يكره إبقاء الأسارى) خبر بعد خبر ، لقوله : (وابن معاذ) و (الأسارى) بضم الهمزة كالأسرى بفتحها : جمع أسير (ويرى) سعد (إهلاكهم) أي :

وَهَكَذَا عُمَرُ كَانَ وَهِيَ مِنْ مُوَافَقَاتِهِ الَّتِي بَعْدُ تَعْنِ

المشركين (أَوَّلَ قَتْلٍ) أي : في أوَّل قتل ووقعة أوقعها الله تعالى بالكفار (أجدرا) أي : أحق ، وهو مفعول ثانٍ لـ (يرى) والأول : إهلاكهم ، كما علم من التقرير ، وذلك : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى في وجه سعد الكراهة لما يصنع الناس . . قال : « والله ؛ لكأنَّك يا سعد تكره ما يصنع القوم » فقال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أوَّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإِثْخَانُ في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال .

استشارة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه في أسرى بدر

(وهكذا عمر) بن الخطاب - رضي الله عنه - ابن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدي بن كعب (كان) يرى رأي ابن مُعَاذ في كراهة إبقاء الأسرى ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا أَخَذَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسْرَى قَائِلًا : « مَاذَا تَرَوْنَ ؟ » . . قال عمر : يا رسول الله ؛ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ ، اضرب أعناقهم .

موافقات عمر رضي الله عنه :

(وهي) أي : هذه الكلمة (من موافقاته) أي : كلماته الموافقة للقضاء (التي بَعْدُ) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه ؛ أي : التي بعد هذه (تَعْنِ) بكسر العين ؛ أي : تعرض ، وهي كثيرة ، جمعها الحافظ السيوطي ^(١) .

(١) في نظم سَمَاء « قطف الثمر في موافقات عمر » وهو :

الاستشارة في أسرى بدر :

قال القسطلاني في « المواهب » : (وفي حديث أنس عند الإمام أحمد :

استشار صلى الله عليه وسلم الناس في الأسرى يوم بدر ، فقال : « إِنَّ الله قد أمكنكم منهم » فقام عمر فقال : يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم ، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام ، ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ؛

على نبيّه الذي اجتباه
عن الذي وافق فيه عمر
موافقاً لرأيه الصواب
منظومة تأمن من شتات
وآتي تظاهر وستر
وآتين أنزلا في الخمر
وقوله ﴿ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ ﴾ يبيث
﴿ يُحَكِّمُوكَ ﴾ إذ يقتل أفتى
﴿ وَلَا تَصَلِّ ﴾ آية في (التوبة)
وآية فيها بها الاستئذان
تبارك الله بحفظ المتقين
وفي سواه آية (المنافقين)
لآية قد نزلت في الرجم
نهبه كعب عليه فسجد
رأيته في خبر موصول
هنا انتهى ما ذكره من موافقات أبي حفص ، ثم أولاه بموافقات أبي بكر ، فانظر ذلك في

= الحمد لله وصلى الله
يا سائلي والحادثات تكثر
وما يرى أنزل في الكتاب
خذ ما سألت عنه في آيات
ففي المقام ، وأسارى بدر
وذكر جبريل لأهل الغدر
وآية الصيام في حل الرفث
وقوله ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى ﴾
وآية فيها لبدر أوبه
وآية في (النور) ﴿ هَذَا بُهْتَنٌ ﴾
وفي ختام آية في (المؤمنين)
وثلثة من في صفات السابقين
وعددوا في ذاك نسخ الرسم
وقال قولاً هو في التوراة قد
وفي الأذان الذكر للرسول
هنا انتهى ما ذكره من موافقات أبي حفص ، ثم أولاه بموافقات أبي بكر ، فانظر ذلك في
« الحاوي » .

عَنْ قَتْلِ آلِهِ نَهَى إِذْ خَرَجُوا وَفِي خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ حَرَجٌ
وَعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ إِذْ لَمْ يُؤْذِهِ وَصَكُّ نَبَذِهِمْ سَعَى فِي نَبْذِهِ

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَكَّنَكُمْ مِنْهُمْ » فقال عمر : يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم ، فأعرض عنه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ، ففعل ذلك ثلاثاً ، فقام أبو بكر الصَّدِّيقُ فقال : يا رسول الله ؛ أرى أن تعفو عنهم ، وأن تقبلَ منهم الفداء ، فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، فعفاه عنهم ، وقبل منهم الفداء .

النهي عن قتل بني هاشم وأبي البختري :

ثُمَّ قَالَ النَّاظِمُ : (عَنْ قَتْلِ آلِهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (نَهَى)
يعني : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل آل هاشم (إذ خرجوا) إلى بدر مع المشركين (وفي خروجهم عليه) صلى الله عليه وسلم (حَرَجٌ) أي : ضيق ، فقد أخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كَرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . . فلا يقتله ، ومن لقي أبا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُسْدٍ . . فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فلا يقتله ، فَإِنَّمَا خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا » ، وإلى ذلك أشار النَّاظِمُ بقوله :

(و) نهى (عن) قتل (أبي البختري) بفتح الباء وإعجام الخاء عند النووي ، وبضم الباء مع إهمال الحاء عند . . .

غيره^(١) ، وإِنَّمَا نَهَى عليه الصلاة والسلام عن قتله (إذ لم يؤذِه) أي : لأنَّه لم يؤذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من كان يؤذيه قبلُ ، ولم يبلغه عنه شيء يكرهه ، بل كان يذُب عنه صلى الله عليه وسلم ، وكان كثير الإكرام لبني هاشم ما داموا في الشَّعب^(٢) ، يبعث إليهم بالأطعمة الكثيرة ، ولما لاهمه أبو جهل . . قال أبو سفيان : دَعُوهُ ، كريم وصل رَحِمًا ، وقد سعى في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في منابذته عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، كما أشار لهذا الناظم بقوله : (وَصَكُّ) : هو الكتاب ، فارسي معرَّب ، وهو مضاف إلى قوله : (نَبَذَهُم) أي : كتاب طرحهم ؛ أي : مشركي قريش النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (سَعَى) أي : أبو البَحْثَرِيِّ ، وكان المتولي لكتابه بغض بن عامر العبدريّ ، بإملاء من قريش ، فشَلَّت يده ، وجملته (سَعَى) خبر قوله : (وَصَكُّ) (في نبذه) أي : طرح الصك .

(١) واسمه : العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد .

(٢) وذلك : أَنَّهُ لَمَّا فشا الإسلام ، وكثر المسلمون ، وبلغ المشركين إكرام النجاشي للقادمين عليه من المسلمين . . ائتمر المشركون ، وكتبوا بينهم كتاباً تعاقدوا فيه ألا يناكحوا بني هاشم وبني المطلب ، ولا يبايعوهم ، ولا يكلموهم ، ولا يجالسوهم حتى يسلموا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعلقوا هذه الصحيفة في سقف الكعبة ، وكان ذلك ليلة المحرم في السنة السابعة من البعثة ، فصاروا في الشعب مضيقاً عليهم نحواً من ثلاث سنين حتى فرج الله عنهم ، وأخبر عليه الصَّلَاة والسَّلَام بأنَّ الصحيفة قد أكلت الأرضة جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى ، فكان كما أخبر عليه الصَّلَاة والسَّلَام .

وَجَاءَهُ الْمُجَدَّرُ بْنُ ذِيَادٍ وَقَالَ عَنْكَ قَدْ نَهَى خَيْرُ الْعِبَادِ
فَقَالَ وَالزَّمِيلَ قَالَ الْمُصْطَفَى لَمْ يَنْهَ عَنْ قَتْلِ الزَّمِيلِ الْحَنْفَا

قتل المجدّر بن ذياد لأبي البختری :

(وجاءه) أي : أبا البختری (المجدّر) بصيغة اسم
المفعول : المضعف (ابن ذياد) بفتح الذال وتشديد الياء ،
قال في « روض النّهاة » : (وهو أشهر من كسر الذال ،
وتخفيف الياء) .

وهو ابن عمرو بن مرة البلوي الخزرجي ، شهد بدرًا ،
وقتله الحارث بن سويد بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي يوم
أُحُد ، بأبيه سويد ، وكان المجدّر قتله في الجاهلية ، في حرب
الأوس والخزرج ، فلمّا اشتبك القتال بين المسلمين
والمشركين يوم أُحُد . . عدا الحارث على المجدّر فقتله غيلة ،
فأخبر جبريل النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولحق الحارث بمكة
مرتدًا ، ثمّ جاء تائبًا لما نزلت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، وحملها إليه رجل وقرأها عليه ، فقال
الحارث : والله إنّك لصدوق ، وإنّ الله أصدق الصادقين ،
فأسلم ثمّ قتله النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمجدّر (وقال)
أي : المجدّر لأبي البختری (عنك) أي : عن قتلك (قد نهى
خير العباد) صلى الله عليه وسلم .

(فقال) أبو البختری (والزميل) أي : الرفيق ، يعني :
تقتله أم قد نهيت عنه ، واسمه : جنادة بن مليحة من بني ليث
(قال) المجدّر (المصطفى) صلى الله عليه وسلم ، وهو

فَقَالَ وَالتَّخَوُّةُ تَأْبَى وَالْإِبَا عَنْ تَرْكِهِ جُبْنًا وَحَكَمَ الطُّبَا لَا يُسْلِمُ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

مبتدأ ، وخبره جملة قوله : (لم ينه عن قتل الزميل) ،
وقوله : (الحنفا) : جمع حنيف ، وهو المائل عن جميع
الأديان إلى دين الإسلام ، مفعول (ينه) أي : لم ينه صلى الله
عليه وسلم أصحابه الحنفاء عن قتل الزميل ، إنَّما نهى عنك .

(فقال) أبو البخترى لسبق شقاوته في الأزل والعياذ
بالله ، (والنخوة) مثلث النون : التكبر (تأبى والإبَا) أي :
الامتناع عن الضيم (عن تركه) أي : الزميل (جبنًا) أي :
خوفًا من الموت ، (وحكم الطُّبا) بوزن هُدَى : جمع طُبة
كُتْبة : حدُّ السيف ، ومقول القول :

(لَا يُسْلِمُ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ)

حتى يموت أو يرى سبيله)

فإنَّه قاله لما حَمَلَ المجذَّر بالسيف ، ولكن طَعَنَهُ المجذَّر
رضي الله عنه ، بعد أن قاتله فقتله ، وفي ذلك يقول المجذَّر :

أَوْ بَشَّرَنُ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي

أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَلِي

إِمَّا جَهْلَتَ ، أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي

فَأَثْبِتِ النِّسْبَةَ إِنِّي مِنْ بَلِي

الطاعنين برماح اليزني

والطاعنين الكبش حتى ينحني

وَإِذْ نَهَىٰ عَنْ قَتْلِ عَمِّهِ هَفَا أَبُو حُذَيْفَةَ وَقَالَ سَخَفَا

بَشَّرَ بِيْتِهِمْ مَنْ أَبَوْهُ الْبَخْتَرِي
أَطْعَنُ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْشِي
وَأَعْبِطُ الْقِرْنَ بَعْضُ مَشْرِفِي
أَرْزُمُ لِلْمَوْتِ كَارِزَامِ الْمَرِي
فَلَا يُرَىٰ مُجَدَّرٌ يَفْرِي فَرِي

ثُمَّ أَتَى الْمُجَدَّرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ؛ لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ ، فَاتَيْكَ بِهِ ،
فَأَبَى إِلَّا أَنْ يِقَاتِلَنِي ، فَقَاتَلْتَهُ . . فَقَتَلْتَهُ .

مقالة أبي حذيفة وتكفيرها بالشهادة :

(وَإِذْ نَهَى) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَنْ قَتْلِ
عَمِّهِ) الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا خَرَجَ مُسْتَكْرَهًا
(هَفَا) أَي : زَلَّ (أَبُو حُذَيْفَةَ) : قَيْسُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ
(وَقَالَ) قَوْلًا (سَخَفَا) يُرِيدُ مُرْذُولًا : وَهُوَ أَنْقَتَلَ آبَاءَنَا ،
وَإِخْوَانَنَا ، وَعَشِيرَتَنَا ، وَنَتْرَكَ الْعَبَّاسَ ؟ ! وَاللَّهُ لِيُنْ لَقِيْتُهُ
لَأُلْحِمَنَّهُ السِّيفَ ، فَبَلَغَ هَذَا الْقَوْلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
فَقَالَ : « يَا أَبَا حَفْصٍ ^(١) - قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهُ إِنَّهُ لِأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَانِي
فِيهِ أَبَا حَفْصٍ - أَيْضُرِبَ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالسِّيفِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ ؛
فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ ، فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ : مَا أَنَا بِأَمْنٍ مِنْ تِلْكَ
الْكَلِمَةِ ، وَلَا زَلْتُ مِنْهَا خَائِفًا ، إِلَّا أَنْ تُكْفِّرَهَا الشَّهَادَةُ .

(١) الحفص : ولد الأسد ، أراد صلى الله عليه وسلم شدة سيدنا عمر رضي الله عنه .

وَكَفَّرَتْ هَفْوَتَهُ الشَّهَادَةُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَهَا أَرَادَهُ
وَإِذْ رَأَاهُ الْمُصْطَفَى تَضَجَّجَ رَا مِنْ جَرِّ عُتْبَةٍ أَبِيهِ اُعْتَذَرَا

استشهد أبي حذيفة
رضي الله عنه ومولاه
سالم يوم اليمامة

(وكفّرت هفوته) أي : زلته تلك ، وهو مفعول
(كفرت) مقدم على فاعله الذي هو (الشهادة يوم اليمامة) :
هو يوم مشهور ، كان في أيام أبي بكر ، بعث فيه جيشاً لقتال
مُسَيْلَمَةَ الكَذَابِ ، قتل فيه وحشيّ مسيلمة ، واستشهد فيه
أبو حذيفة ومولاه سالم ، وُجِدَ أحدهما قتيلاً عند رجل
الآخر ، رضي الله عنهما .

وكان ذلك في ربيع الأوّل من سنة اثنتي عشرة من الهجرة ،
كذا في تاريخ الخميس .

والذي يقتضيه كلام ابن الأثير وابن خلدون في
« تاريخهما » : أنّها كانت في أواخر السنة الحادية عشرة ؛
لأنّهم ذكروا أنّ مسير خالد إلى العراق في أوّل سنة اثنتي
عشرة ، وكان بعد فراغه من قتل أهل اليمامة ، كذا في
« الفتوحات الإسلامية » (لها) أي : للشهادة ، يتعلق بقوله :
(أَرَادَهُ) أي : اليوم .

قال في « روض النهاية » : (ليس معناه : أنّه لم يقصد لها
الأيام التي قبله ، بل كل وقعة يقصدها للشهادة ، لكن لم
تقدّر ؛ لامتداد أجله إلى ذلك اليوم) .

تمني أبي حذيفة موت أبيه على الإسلام :

(وإذ رآه) أي : أبا حذيفة (المصطفى) صلى الله عليه
وسلم (تضجّجرا) من التضجر ، وهو القلق من الغم (من جرّ)

بِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ أَبَاهُ يَحْجُزُهُ عَنْ مِيتَةِ الشُّوْءِ حِجَاهُ
وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ أَطَنَّ سَاقَ ابْنِ هِشَامِ الطَّمُوحِ

أي : بسبب جرّ المسلمين إلى القليب (عتبة أبيه) مجرور
بافتحة ، وأبيه بدل منه مجرور بالباء (اعتذرا) بألف الإطلاق
كسابقه ؛ أي : اعتذر أبو حذيفة .

(بِأَنَّهُ كَانَ يَرَى) أي : يعتقد (أَنَّ أَبَاهُ) عتبة (يحجزه)
أي : يكفه ، ويمنعه (عن مِيتَةِ الشُّوْءِ) : وهي الموت على
الكفر والعياذ بالله ، وفاعل يحجزه قوله : (حِجَاهُ) بكسر
الحاء ؛ أي : عقله ؛ يعني : أَنَّهُ لما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمشرّكين أن يلقوا في القليب . . أخذ عتبة بن
ربيعه ، فسحب إلى القليب ، فنظر النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
في وجه ابنه أبي حذيفة . . فإذا هو كئيب متغير ، فقال صلى الله
عليه وسلم : « لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلْتَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ » أو كما
قال صلى الله عليه وسلم ، فاعتذر أبو حذيفة فقال : لا والله
يا رسول الله ، ما شككت في أبي ، ولا في مَصْرَعِهِ ، ولكنني
كنت أعرف من أبي رأياً وحِلْماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه
ذلك إلى الإسلام ، فلمّا رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه
من الكفر ، بعد الذي كنت أرجو له . . أحزنني ذلك ، فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال خيراً .

مقتل أبي جهل :

(وَإِذْ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجَمُوحِ) بن حرام بن كعب بن
غنم بن سَلَمَةَ بكسر اللام (أَطَنَّ) قطع (سَاقَ) أبي جهل (بن)

فَطَرَحَ ابْنُهُ الْهَزْبَرُ عِكْرِمَةَ عَاتِقَهُ وَجَرَّهُ فِي الْمَلْحَمَةِ
الْصَّقَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ فَالْتَصَقَا عَاتِقَهُ لَمَّا عَلَيْهِ بَصَقَا

هشام الطموح (أي : الجموح الراكب هواه لِعَيْهِ ؛ وذلك أَنَّ
معاذاً قال : رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون :
أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه ، فلمَّا سمعتها . . عمدت نحوه ،
وحملت عليه ، فضربته ضربة أطنَّتْ قَدَمَهُ بنصف ساقه ، فوالله
ما أشبَّهها حين طاحت إلَّا بالنواة تَطِيحُ من تحت مِرْضَحة^(١)
النوى حين يضرب بها .

(ف) بسبب ذلك ضرب معاذاً عكرمة بن أبي جهل على
عاتقه كما قال : (طرح ابنه الهزبر) بفتح الزاي ، وإسكان الباء
هنا ، وفيه إسكان الزاي وفتح الباء ، وهو الأسد ، (عِكْرِمَةُ)
وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه ، وما أحسن تعبير الناظم في
جانب الابن الذي أسلم بعدُ بالهزبر ، وأبيه الذي مات كافراً
بالطموح (عاتقه) : هو ما بين المنكب والعنق وهو موضع
الرداء ، (وَجَرَّهُ) أي : جر معاذ عاتق نفسه (في الملحمة)
الوقعة العظيمة في الفتنة ، والمراد هنا ساحة القتال .

(الصق خير مرسل) صلى الله عليه وسلم عاتقه في مكانه
(فالتصقا) بألف الإِطلاق ؛ وفاءً له (عاتقه) وقوله : (لما
عليه بصقا) بتخفيف الميم على أَنَّ ما مصدرية ؛ أي : لبصوقه
عليه ، أو بتشديدها ، على أَنَّ لَمَّا حينية ؛ أي : فالتصق حين

إصابة معاذ بن عمرو
الجموح في عاتقه

من معجزاته صلى الله
عليه وسلم

(١) بحاء مهملة ومعجمة : آلة يكسر بها نوى التمر .

.....

بصق عليه ؛ أي : أخرج ريقه ، ورمى به ، قال معاذ :
وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة
من جنبي ، وأجهضني ؛ أي : شغلني القتال عنها ، فلقد
قاتلت عامة يومي ، وإنِّي لأسحبُها خلفي ، فلمَّا آذنتني وضعت
عليها قدمي ، ثمَّ تمطيت بها عليها ، حتى طرحتها .

قال في « المواهب » : (وجاء معاذ بن عمرو يحمل يده
- ضربه عليها عكرمة - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب ، فبصق عليه الصَّلَاة
والسَّلَام عليها ، فلصقت) .

تنبيه :

التوفيق بين الروايات

ما ذكره الناظم تبع فيه أصله اليعمرى ، وعليه جرى
القسطلاني كما رأيت ، قال الزرقاني : (وانتقده - يعني
اليعمرى - محشّيه البرهان ، بأنَّ الذي في « الشفاء » معوذ بن
عفراء . قلت : ينبغي اعتماد ما في « الصحيحين » من حديث
أبي سليمان التيمي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ينظر ماذا صنع
أبو جهل ؟ » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله ، فانطلق
فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ، قال : فأخذ بلحيته ،
قال : فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل
قتلتموه ؟! أو قال : قتله قومه ، وكذلك ردّه محشيه ، بأنَّ
القاطع لها أبو جهل) .

فِرْعَوْنُ الْأُمَّةِ النَّبِيِّ عَرَفَا بِجَحْشِهِ رُكْبَتَهُ إِذَا اخْتَفَى

قال الزرقاني : (نعم ؛ روى ابن إسحاق ، ومن طريقه الحاكم عن ابن عباس قال : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة : سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحُرْجَةِ^(١) : أبو جهل لا يُخلص إليه ، فجعلته من شأني ، فصمّدت نحوه ، فلمّا أمكنني . . حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، قال : فوالله ما شبّتها حين طاحت إلّا بالنواة تطيح من تحت مرّضحة النوى حين يُضرب بها ، قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فضرب يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامّة يومي وإنّي لأسحبها خلفي ، فلمّا أذنتي . . وضعت عليها قدمي ثمّ تمطّيت عليها حتى طرحتها ، قال ابن إسحاق : ثمّ عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه ، ولم يذكر في حديثه هذا أنّه أتى بها المصطفى ، فتوهم اليعمرّي ، وتبعه القسطلاني : أنّ كلام القاضي فيه توهم ؛ لأنّها قصة أخرى كما علم) .

تسمية أبي جهل فرعون
هذه الأمّة

(فرعون) هذه (الأمّة) وهو أبو جهل ، لقّبه النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك جاء عنه صلى الله عليه وسلم قال : هذا فرعون هذه الأمّة : عزاه ابن كثير في « البداية » لأبي داود والنسائي من حديث طويل ، وقال اليعمرّي في « العيون » : (رويّا عن ابن عائذ : حدّثنا الوليد ، قال حدّثني خُليد ، عن

(١) بفتح الحاء المهملة والراء والجيم وتاء تأنيث : شجر ملف كالغيضة ، قاله في « النهاية » .

بَيْنَ الْهَوَالِكِ وَكَلَمِ النَّبِيِّ جُثَّتُهُمْ مُوَبَّخاً لِلْخُشْبِ

قتادة : أَنَّهُ سَمِعَهُ يَحْدُثُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْنًا ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ ، قَتَلَهُ اللَّهُ شَرَّ قَتْلَةٍ ، قَتَلَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ ، وَقَتَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَفَفَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ » يَعْنِي : أَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وقوله : (فرعون) مبتدأ وقوله : (النبي) مبتدأ ثانٍ ، خبره (عرفا) أي : بينه للصَّحْبِ الكرام لما أمر أن يُلْتَمَسَ أَبُو جَهْلٍ فِي الْقَتْلَى (بجحشه) بتقديم الجيم على الحاء ؛ أي : بِحَدُثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ركبتَه) أي : رَكْبَةُ أَبِي جَهْلٍ (إذا اختفى بين الهوالك) .

قال في « السيرة الهشامية » : (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصَّحْبِ الكرام ، فيما بلغني : « انظروا إن خفي عليكم - يعني أبا جهل - في القتلى ، إلى أثر جرح في ركبتَه ؛ فَإِنِّي أزدحمت يوماً أنا وهو على مَأْدُبَةٍ لعبد الله بن جُدْعَانَ وَنَحْنُ غُلَامَانِ ، وَكُنْتُ أَشْفَّ مِنْهُ بَيْسِيرَ ، فَدَفَعْتَهُ ، فَوَقَعَ عَلَى رَكْبَتَيْهِ ، فَجَحَشْتَهُ فِي إِحْدَاهُمَا جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ » ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فوجدته بآخر رَمَقٍ ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه ، قال : وقد كان ضَبَّتَ^(١) بي مرة بمكة ، فأذاني ولكزني ، ثم قلت له : هل أخزأك الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ أعمد^(٢) من رجل قتلتموه ؟ أخبرني

(١) ضَبَّتْ بِهِ : قَبَضَ عَلَيْهِ بِكَفِهِ وَلِزَمَهُ .

(٢) فِي الصَّحِيحِ بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ =

.....
لَمَنِ الدَّبْرَةُ الْيَوْمَ ؟ قلت : الله ورسوله) .

قال ابن إسحاق : (وزعم رجال من بني مخزوم : أَنَّ ابن مسعود كان يقول : ثُمَّ احتزرت رأسه ، ثُمَّ جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ؛ هذا رأس عدوِّ الله أبي جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الذي لا إله غيره ؟ » قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره ، ثُمَّ أَلْقَيْتَ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فحمد الله تعالى) .

طرح قتلى المشركين في القلب ونداؤهم :

(و) لما ألقى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتلى المشركين فِي الْقَلْبِ (كَلَّمَ النَّبِيَّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (جُثَّتْهُمْ) : جمع جثة ، وهو الشخص (مُؤَبَّخًا) أي : مُلَوَّمًا (لـ) لمشركين المشبَّهين با (لخشب) تشبيهاً بليغاً في عدم النفع ، وهو بضمَّتَيْن جمع خشبة ، وفي التنزيل في صفة المنافقين : ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدٌ ﴾ ، وفي الحديث في صفتهم أيضاً : « خُشْبٌ بالليل ، صُحْبٌ بالنهار » أراد أَنَّهُمْ ينامون الليل لَا يُصَلُّونَ ، كَأَنَّ جُثَّتَهُمْ خُشْبٌ مطروحة .

= أبو جهل : هل أعمد من رجل قتلتموه ؟ (قال في « الفتح » : (أعمد - بالمهمله - : أفعل تفضيل من عمد ؛ أي : هلك ، يقال : عمد البعير يعمد عمداً بالتحريك ، إذا ورم سنامه من عض القتب ، فهو عميد ، ويكنى بذلك عن الهلاك) اهـ

وأشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ما ذكره الحافظ اليعمرى في « العيون » قال : (رويانا عن ابن عائد ، أخبرني الوليد بن مسلم ، أخبرني سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة^(١) ثلاثاً ، فلما كان يوم بدر . . أقام ثلاثاً ، وألقى بضعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طوي من أطواء بدر ، ثم أمر بإحالتها ، فشدَّ عليها رحلها ، فقلنا : إنه منطلق لحاجة ، حتى وقف على شَفَى الرِّكي ، فجعل يقول : « يا فلان بن فلان ؛ يا فلان بن فلان . . . ») الحديث .

قال العبد الضعيف : وتماه : « هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً » فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا شيئاً » .

قال الحافظ اليعمرى : (رويانا من طريق مالك بن سليمان الهروي قال : حدَّثنا معمر ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، وفي آخره قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توبيخاً لهم) .

الاختلاف في إحياء قتلى بدر من المشركين وسماعهم توبيخ النبي صلى الله عليه وسلم

(١) العرصة بوزن الضربة : كل بقعة بين الدور واسعة ، ليس فيها بناء . اهـ « مختار »

هذا حَمْلٌ لهذا الخبر على ظاهره ، وقد روينا عن عائشة رضي الله عنه : أنها تأوّلت ذلك ، وقالت : إنّما أراد النبي صلى الله عليه وسلم : أنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي أقول لهم هو الحق ، ثمّ قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ الآية .

موقف أهل السنة من
خبر إحياء قتلى مشركي
أهل بدر

قال السهيلي في « الروض » : (وعائشة لم تحضر - يعني بدرًا - وغيرها ممّن حضر أحفظ للفظه عليه الصّلاة والسّلام ، وقد قالوا له يا رسول الله ؛ أتخاطب قومًا قد جيّفوا ، أو جيّفوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين . . جاز أن يكونوا سامعين : إمّا بأذان رؤوسهم ، إذا قلنا : إنّ الروح يعاد إلى الجسد ، أو إلى بعض الجسد عند المسألة ، وهو قول الأكثرين من أهل السنة .

وإمّا بأذن القلب ، أو الروح ، على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد أو بعضه .

وقد روي أنّ عائشة احتجّت بقوله الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى ﴾ أي : أنّ الله تعالى هو الذي يهدي ، ويوفّق ، ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت .

وجعل الكفار أمواتاً ، وصمّاً على جهة التشبيه بالأموات ، وبالصم ، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء ، لا نبيّه ، ولا أحد ؛ فإذا لا تعلق بالآية من وجهين : أحدهما : أنّها نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان .

وَعَايَنَ النَّاسُ الْمَصَارِعَ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ بِهَا مُقِيمُ الْمِلَّةِ

والآخر : أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم ،
وصدق الله ؛ فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو ، ويفعل ما شاء ،
وهو على كل شيء قدير (اهـ)

إخبار الرسول بمصارع المشركين بأسمائهم قبل القتال :

(وعاین) أي : أبصر (الناس) أي : الصحب الكرام
(المصارع) جمع مصرع ، وهو موضع الصرع ؛ أي :
الطرح .

قال في « المصباح » : الصريع من الأغصان : ما تهذّل
وسقط إلى الأرض ، ومنه قيل للقتيل : صريع ، والجمع :
صرعَى .

والمعنى : وأبصر المسلمون مواضع صرّع الكفار (التي
أخبرهم بها) أي : بالمصارع (مقيم الملة) صلى الله عليه
وسلم .

قال في « المواهب » : (وفي « الطبراني » عن أنس
رضي الله عنه قال : أنشأ عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل
بدر بالأمس من بدر : يقول : « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله
تعالى » قال عمر : فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطؤوا الحدود
التي حدّها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم ، فقال :
« يا فلان بن فلان ؛ ويا فلان بن فلان ؛ هل وجدتم ما وعدكم
الله حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً ») .

فَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُ مَا وَعَدَا وَأَوْهَنَ الْكُفْرَ وَأَيَّدَ الْهُدَى

استخلاص العظة من
إخبار النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلَّم عن مصارع
كفار قريش قبل المعركة

قال العبد الضعيف : وحملت الناس فيما ذكر على
الصحب الكرام ، على معنى أَنَّ ما أخبرهم به رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصادق الأمين في شأن كفار قريش هو حق ،
وآمن به الصحب ، وبمشاهدة ذلك قد ازداد الإيمان عياناً ،
والبيان بياناً ، فهو من باب (عين اليقين) وفيه علَم من أعلام
النبوة باهر .

نصر الله الموعود للمؤمنين :

(فحقق الله له) أي : لنبيِّه صلى الله عليه وسلم
(ما وعدا) أي : الذي وعده من النصر على أعدائه ؛ حيث
أذن له في الجهاد بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ اذْنِ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ
ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^(١) ، وقول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا
لِعِبَادِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ هُمْ الْمُضْطَرُّونَ ﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ، ومن
إظهار دينه على الدين كله بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا ﴾ .

(١) قال في « الفتح » : (عن الزُّهري : إنها أول آية نزلت في القتال ، كما أخبرني عروة عن
عائشة ، أخرجها النسائي ، وإسناده صحيح ، وأخرجه هو والترمذي ، وصححه الحاكم من
طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : لما خرج النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم من مكَّة . .
قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ليهلكن ، فنزلت : ﴿ اذْنِ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ﴾ الآية ، قال ابن
عباس : فهي أول آية نزلت في القتال) اهـ

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ كِتَابٌ سَابِقٌ لِذَلِكَ مَا شَهِدَهَا مُنَافِقٌ

(وأوهن) أي : أضعف (الكفر) بقتل أئمتته ؛ فإنَّ غالب قتلى بدر من المشركين : صناديدهم ، ورؤساؤهم (وأيد) أي : قوَّى (الهدى) : وهو دين الإسلام ، بتأييد أهله ، فهم عند الله من الأبرار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حارثة بن سراقة الأنصاري وقد أُصيب يوم بدر : « إِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ » .

وذكر البخاري بسنده إلى معاذ بن رفاع بن رافع الزرقني عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : (جاء جبريل فقال : ما تعدُّون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة) وهذا مع قلة المسلمين وكثرة المشركين ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعُدَّة الكاملة والخييل المسوَّمة .

قال في « المواهب » : (أعزَّ الله تعالى بيوم بدر رسوله ، وأظهر وحيه ، وتنزَّله ، وبَيَّضَ الله وجه النَّبي وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله) ؛ ولهذا قال الناظم رحمه الله تعالى :

المغفرة لأهل بدر :

(لهم) أي : للصحابة الذين شهدوا بدرًا (من الله كتاب) أي : قدَّرَ قدره الله لهم (سابق) في أزلّه على سعادتهم . . حتى قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر رضي الله عنه - حين كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، وبعثه مع سارة قينة صَيْفِي بن هاشم يخبرهم : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يريد

غزوهم ، فبعث صلى الله عليه وسلم إلى حاطب ، فاعتذر ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فقد نافق - : « يا عمر^(١) ؛ إِنَّهُ قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعلَّ الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « إِنَّ الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم » .

المعنى الذي ينبغي أن
يحمل عليه حديث
المغفرة لأهل بدر

واعلم : أنه ليس في ذلك الترخيص لهم في فعل المعاصي ، بل المعاصي إذا أتوها . فهي معاص في حكم الشرع ، لا مباحات ، ولكن لا يترتب عليها العقاب في الآخرة بل في الدنيا ، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد من حديث جابر : « لن يدخل النار رجل شهد بدرًا ، والحديبية » فهم ناجون في حكم الآخرة ، ولا دلالة في الحديث على أنه لا يقام عليهم الحد ؛ فقد أقام عليه الصلاة والسلام الحدَّ على مسطح ، وهو بدرِّي ، وعمر بن الخطاب على قدامة بن مظعون الحد لما شرب الخمر .

لطيفة : اقتبس الحديث المذكور بعض الأدباء فقال في محبوب يسمّى بدرًا :

يَا بَدْرُ أَهْلَكَ جَارُوا

وعلموك التَّجَرِّي

(١) مقول لقوله : (قال صلى الله عليه وسلم لعمر) .

وَقَبَّحُوا لَكَ وَضَلَّي
وَزَيَّنُوا لَكَ هَجْرِي
فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا
فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْر

(لَذَاكَ) أَي : لِأَجْلِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ ،
وَقَدَّرَهُ لِمَنْ شَهِدَ بَدْرًا (مَا شَهِدَهَا) أَي : الْغَزْوَةَ رَجُل
(مُنَافِقٌ) : وَهُوَ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ وَأَسَرَّ الْكُفْرَ ؛ لِثَلَا يَدْخُلُ فِي
صِفَتِهِمُ الْخَطِيرَةَ .

قَالَ فِي « رَوْضِ النُّهَاةِ » : (وَاعْتَذَرَ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ ،
وَمُعْتَبَ بْنِ قُشَيْرٍ ، وَالْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدٍ ، بِأَنَّهُمْ شَهِدُوا بَدْرًا ،
وَخَرَجَ مَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ : حَبِيبٌ ^(١) بْنُ إِسَافٍ ،
وَأَخْرَجَ لَمْ يَسْمَ وَهُمَا لَمْ يَسْلَمَا قَبْلَ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَسْلَمْتُمَا ؟ » قَالَا : لَا ، قَالَ : « فَأَيْنَ
تَرِيدَانِ ؟ » قَالَا : نَقَاتِلُ مَعَ قَوْمِنَا ، قَالَ : « إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ
بِمَشْرُكٍ ، فَإِمَّا أَنْ تَسْلَمَا ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَا إِلَى بِلْدِكُمَا »
فَأَسْلَمَا ، وَشَهِدَا بَدْرًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) .

قُلْتُ : وَفِي حَدِيثٍ حَارِثَةَ - الْآتِي ذَكَرَهُ فِي الْمُسْتَشْهِدِينَ
مِنَ الْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْيَوْمِ - مَا يَنْبَغُ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِ مَنْ شَهِدَ
بَدْرًا ؛ فَإِنَّ حَارِثَةَ هَذَا كَانَ فِي النَّظَرَةِ مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي

(١) حَبِيبُ بْنُ إِسَافٍ : بِكَسْرِ الهمزة ، وَقَدْ تَبَدَّلَ يَاءٌ : أَوْسِي ، ذَكَرَهُ فِي « الْإِصَابَةِ » وَفِي
« الشَّامِيَةِ » أَهـ

يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ فِي الْكُفْرِ وَقَدْ أَتَىٰ مُنَوَّهَا فِي الذِّكْرِ
بِأَنَّهُ الْعَذَابُ وَاللَّزَامُ وَأَنَّهُ الْبَطْشُ وَالْإِنْتِقَامُ

ساحة القتال ، ولا في حومة الوغى ، أصابه سهم غَرْبٌ ، وهو
يشرب من الحوض ، ثمَّ مع هذا أخبر صلى الله عليه وسلم - لَمَّا
جاءته أمه وَلِهَةً من قتله ، لا تدري مصيره - بِأَنَّهُ في جنة
الفردوس ، ومعلوم أَنَّهُ أعلى الجنة ، ومنه تفجر أنهارها ، وقد
أمر صلى الله عليه وسلم أمته إذا سألوا الله تعالى الجنة . . أن
يسألوه الفردوس الأعلى ، فإذا كان من في النظارة يُعَدُّ له هذا
الجزء العظيم ، فما بالك بمن كان في نحر العدو ، وهم على
ثلاثة أضعافهم ؟!

الحث على سؤال
المسلم ربه الفردوس
الأعلى

و(سهم غَرْبٌ) أي : لا يعرف راميهِ ، يقال : سهم
غرب ، بفتح الراء وسكونها ، وبالإضافة وغير الإضافة ، انظر
« النهاية » لابن الأثير .

* * *

يوم بدر أَدَلَّ الله فيه الشرك وأعزَّ الإسلام :

(يوم) أي : يوم بدر يوم كائن (له ما بعده في الكفر)
يقال : أمر له ما بعده ؛ أي : تبع ، وكذلك يوم بدر ، كل
ما وقع في إذلال الكفر بعده تبع له (وقد أتى) أي : يوم بدر
(منوَّها) مرفوعاً (في الذكر) المنزل من عنده تعالى .

(بِأَنَّهُ الْعَذَابُ) قال تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهِنَّ مِنَ الْعَذَابِ
الَّذِيْنَ ﴾ عذاب الدنيا بالقتل ، والأسر ، والجذب سنين ،

وَأَنَّهُ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْحَقِّ وَالنَّصْرُ سَجِيسَ الدَّهْرِ
فِي الْأَجْرِ وَالْمَغْنَمِ قَسَمَ النَّبِيِّ لِنَفْرِ عَنِ الزَّحَافِ غُيْبِ

والأمراض ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ .

(و) أَنَّهُ (اللزَام) قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُم رَّبِّي لَوْلَا
دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ ، وأكثر العلماء على
أَنَّهُ يوم بدر ، وقيل : عذاب الآخرة ، (وَأَنَّهُ البطش والانتقام)
قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ .

(وَأَنَّهُ الفرقان بين الكفر و) بين (الحق) في قوله تعالى :
﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَى الْأَجْمَعَانِ ﴾ .
قال ابن كثير : (يوم بدر يوم الفرقان) .

قال في « شرح المواهب » : (قاله ابن عباس ، رواه ابن
جرير ، وابن المنذر ، وصححه الحاكم) (و) أَنَّهُ (النصر)
لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ ،
وأعظمها يوم بدر ، وقوله (سَجِيسَ الدهر) - بفتح السين
وبعدها جيم مكسورة وياء معجمة - أي : أبد الدهر .

* * *

الثمانية المتخلفون عن شهود بدر لعذر :

ثمَّ أراد الناظم رحمه الله تعالى أن يذكر بعض من تخلف
عن حضور بدر لعذر قام به ، ولولاه لما غابوا ، فكانوا كمن
حضرها ؛ ولذلك أسهم لهم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال :
(في الأجر) أي : ثواب من شهد بدرًا (و) في

لَطْلَحَةٌ وَلِسَعِيدٍ أَرْسَلَا لِلرَّكْبِ يَنْظُرَانِ أَيَّنَ نَزَلَا

(المغنم) أي : الغنيمة ، والجار والمجرور متعلق بقوله :
 (قَسَمَ النَّبِيُّ) صلى الله عليه وسلم (لنفر) هو في الأصل من
 ثلاثة لعشرة ، والذين ذكرهم في النظم ثمانية (عن الزحاف)
 بكسر الزاي المعجمة : الدنوُّ من القتال ، أو القتال نفسه ،
 وهو متعلق بقوله : (عُيِّبَ) بضم الغين المعجمة ، وتشديد
 الياء المفتوحة الواقع نعتاً للنفر ؛ أي : قَسَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه
 وسلم لنفر غيب عن القتال لعذر كما تقدم ؛ فلأجل ذلك أسهم
 لهم صلى الله عليه وسلم ، وأخبرهم بثبوت الأجر لهم ، ففي
 « الحلبية » : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أسهم لِكُلِّ ، وصار
 كل مَنْ أسهم له يقول : وأَجْرِي يا رسول الله ؟ فيقول :
 « وأجرك » .

ثمَّ أراد أن يذكر أسماء أولئك ، مع بيان أَعذارهم فقال :

(لَطْلَحَةٌ) : هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن
 كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي ، أحد العشرة المشهود
 لهم بالجنة ، وأحد السابقين^(١) (ولسعيد) : وهو ابن زيد بن

طلحة بن عبيد الله سعيد
 ابن زيد بن عمرو بن
 نفيل

(١) أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأُم طَلْحَةُ اسمها الصعبة بنت الحضرمي ،
 وكانت قبل أبيه تحت أبي سفيان بن حرب ، وفيها يقول :
 وإنِّي وصعبةٌ فيما ترى بعيدان والودود قريب
 وإلا يكن نسب ثاقب فعند الفتاة جمال وطيب
 فيالْقَصْصِيَّ أَلَا فَاَنْظُرُوا إلى الوير صار الغزال الريب
 روى ابن ماجه في « سننه » عن صاحب الترجمة أَنَّهُ قال : دخلت على النَّبِيِّ صلى الله عليه
 وسلم ويده سفرجلة ، فقال : « دونكها ؛ فإنها تجم الفؤاد » .

عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح - براء مفتوحة ، ثم زاي وحاء مهملة - ابن عدي بن كعب^(١) ، وهذا كسابقه ، بدل من قوله : (لنفر) .

أسباب التخلف

ثم بين سبب ذلك ، وهو عذر تخلفهم عن شهود بدر ، بقوله : (أرسل) والألف للإطلاق ، مبيناً للفاعل ، وهو في قوة العلة لما قبله (للركب) والمراد به : غير أبي سفيان ؛ أي : إنما قسم النبي صلى الله عليه وسلم لهما ؛ لأنه أرسلهما لركب أبي سفيان^(٢) (ينظران أين نزلا) أي : الركب .

قال ابن إسحاق : قدم طلحة من الشام بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له بسهمه ، فقال : وأجري يا رسول الله ؟ قال : « وأجرك » ، وكذا قال ابن إسحاق في سعيد : « إنه قدم من الشام بعد قدومه صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، فقال : وأجري يا رسول الله قال : « وأجرك » .

وقال الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » : (عن

= وسيأتي بعض مناقبه في غزوة أحد إن شاء الله تعالى ، توفي سنة ست وثلاثين ، ودفن بالبصرة .

(١) فهو من بني عدي ، ومن السابقين إلى الإسلام ، توفي في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، ودفن في أرضه بالقيع .

(٢) فيه إشارة إلى أن فاعل أرسل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويصح أن يكون أرسل مبنياً للمفعول ، والمراد : أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم .

وَلَا بِنَ عَفَانَ وَلَا بِنَ الصَّمَّةِ وَابْنِ جُبَيْرٍ كُسْرًا عَنْ هِمَّةِ

الواقدي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، ثمَّ رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر) .

ثمَّ عطف على قوله : (لطلحة) قوله :

ترجمة عثمان بن عفان
رضي الله عنه وسبب
تخلفه

(ولا بن عفان) وما بعده ؛ أي : قسم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في الأجر والمغنم لسيدنا عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شمس بن عبد مناف^(١) ؛ لأنَّه تخلفَ على رقية ابنته صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة .
قال في « الحلبية » : (وقيل : إنَّه كان مريضاً بالجُدريِّ)

(١) يكنى أبا عبد الله بابنه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات صغيراً من نفرة الديك في عينه رضي الله عنه ، ابن ست سنين ، ثمَّ ولد له عمرو فكُنِّيَ به ، وله تقول زوجه نائلة بنت الفرافصة تبكيه - وقيل : لوليد بن عتبة - :

ألا إنَّ خيرَ الناس بعد ثلاثة قَتِيلَ التَّجِيبِي الذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي ، وتبكي قرابتي وقد حُجِبَتْ عَنَّا فضول أبي عمرو
وأُمهُ أروى بنت كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وأخوه لأُمِّه الوليد بن عتبة ، وأُمُّهُمَا أُمُّ حَكِيمِ الْبِضَاء ، توأمة عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا في « روض النُّهاة » .

قال في « الإصابة » : (قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب ، كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وشهر على الصحيح المشهور) . وترجمته رضي الله عنه واسعة تطلب من المطولات .

أي : ولا مانع من وجود الأمرين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لَكَ لأَجْرَ رَجُلٍ وَسَهْمَهُ » .

توفيق بين الروایتين في
سبب تخلفه

(وِلْد) لحارث (بن الصَّمَّة) بكسر الصاد المهملة مع تشديد الميم ، ابن عمرو بن عتيك الأنصاريّ ، ثمَّ النَّجَّاري ، والد أبي جهيم ، آخى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بينه وبين سيدنا صهيب ، واستشهد ببئر معونة ذكره الحافظ في « الإصابة » .

الحارث بن الصمة
رضي الله عنه

(و) لِحَوَاتٍ بتشديد الواو (ابن جُبَيْر) بالتصغير ابن النعمان بن أميّة بن امرئ القيس الأوسيّ البكري ، أخى عبد الله بن جبیر ، وخَوَاتٌ هذا هو صاحب ذات النحيين في الجاهلية ، وهي امرأة من بني تيم الله اسمها خولة ، يروى : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سأله عنها ، فتبسّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ ، قيل : إِنَّهُ مرَّ في الجاهلية بنسوة فأعجبه حسنهنَّ ، فسألهنَّ أن يفتلن قيداً لبعير له ، زعم أَنَّهُ شارد ، فجلس إليهنَّ ، فمرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، فلمَّا أسلم . . سأله عن ذلك البعير الشارد وهو يتسم ، فقال خَوَاتٌ : قيده الإسلام يا رسول الله .

خوات بن جبیر رضي
الله عنه صاحب ذات
النحيين في الجاهلية

قال في « روض النُّهاة » : (وفي قصته مع خولة يقول :

فشدّت على النّحيين كَفّاً ضعيئةً

فأعجلتها ، والفتك من فعلاّتي

وَأَبْنُ عَدِيٍّ عَاصِمُ الْعَجْلَانِي خَلَفَهُ خَيْرُ بَنِي عَدْنَانَ
عَلَى الْعَوَالِي وَعَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ الرِّيْطَ الزَّيْنَةَ

وفيها المثل : (أشغل من ذات النحيين) توفي سنة
أربعين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة .

وأشار الناظم إلى عذر تخلفهما عن بدر فقال : (كسرا)
بالبناء للمفعول ؛ أي : أصاب رجليهما كسر (عن همة)
صادقة لحضور بدر ؛ فلذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
سهما لكل واحد منهما .

(وابنُ عدي) واسمه (عاصم) وعدي هو : ابن الجدّ بن
العجلان ، فهو منسوب لجده ، كما قال : (العجلاني) حليف
الأنصار^(١) ، وجملته (خلفه خير بني عدنان) صلى الله عليه
وسلم خبر عن المبتدأ ، الذي هو (ابن عدي) ويتعلق بخلفه
قوله : (على العوالي) وردّه إليها من الروحاء ؛ لسبب ذكره
موسى بن عقبة وغيره ، كما في « الروض الأنف » : (أنَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد
الضُّرار ، وكان قد استخلفه على قُباء والعالية ، فردّه لينظر في
ذلك ، وضرب له بسهمه مع أهل بدر) .

قلت : هكذا قالوا ، ولم يكن إذ ذاك مسجد الضُّرار ،
وإنّما كان سنة تسع عند خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك ،
تحقيق سبب تخلفه عن
غزوة بدر

(١) يكنى أبا عمرو ، وأبا عبد الله ، وعاصم هذا هو المذكور في حديث الذي يقول له عويمر
العجلاني - وهو عمير بن الأبيض - : سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، توفي سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومئة . اهـ من « الروض الأنف »

فيحتمل أن يكون استخلافه عليه الصَّلَاة والسَّلَام على أهل قباء
والعالية من المدينة لشيء بلغه عنهم ؛ ولذلك عدَّ من البدرين
وضرب له بسهم وهو المعتمد ، كما ذكره الحافظ في
« الإصابة » أمَّا ذكر مسجد الضرار . . فلا معنى له هنا .

أبو لبابة بشير بن
عبد المنذر

(و) خلف (على المدينة) المنوَّرة بأنواره عليه الصَّلَاة
والسَّلَام والياً (أبا لبابة) بشير بن عبد المنذر^(١) ، وكان رده
من الروحاء على المشهور ، وإنَّما قلنا : (والياً) لأنَّه استعمل
على الصَّلَاة في المدينة ابن أم مكتوم ، وقوله : (الرِّبْط)
أي : لنفسه بالسارية ؛ وذلك : لما طلبه بنو قريظة في حصار
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إياهم ، وسألوه عمَّا يكون إذا نزلوا
على حكمه ، فأشار لهم بيده للذبح ، فخرج من عندهم نادماً ،
فربط نفسه بسارية من سواري المسجد . . حتَّى تاب الله تعالى
عليه ، وحلَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السارية .

وسياتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى في غزوة
بني قُريظة ، ووصفه بقوله : (الزينة) أي : لقومه ؛ لخصاله
الحميدة الجميلة .

(١) هو من سادات بني عمرو بن عوف ، وهو صاحب الحديث : « اللَّهُمَّ ؛ اسقنا حتى يقوم
أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره » وهو : الثقب الذي يسيل منه ماء المطر ، وكان
حضر على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في طلب الاستسقاء ، فرأى أبو لبابة قول النَّبِيِّ صلى
الله عليه وسلم .

وقال في « الإصابة » : (ذكره موسى بن عقبة في البدرين ، وقالوا : كان أحد النقباء ليلة
العقبة ، وكانت راية بني عمرو يوم الفتح معه ، مات في خلافة علي ، وقال خليفة : مات
بعد قتل عثمان ، ويقال : عاش إلى ما بعد الخمسين) .

ثَامِنُهُمْ رُدٌّ مِنَ الرُّوحَاءِ وَهُوَ ابْنُ حَاطِبٍ إِلَى قُبَاءِ

(ثامنهم) أي : من تخلف عن بدر لعذر ، فضرب له الحارث بن حاطب النبي ﷺ بسهم (رُدٌّ مِنَ الرُّوحَاءِ) إلى قباء ، فقلوه : (وهو ابن حاطب) جملة معترضة أتى بها لبيان تعيين الثامن ، وهو الحارث بن حاطب بن عمرو الأوسي ، أخو ثعلبة .

قال في « الإستيعاب » : (رُدٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن حاطب ، حين توجه إلى بدر من الروحاء في شيء أمره به في بني عمرو بن عوف ، وضرب له بسهمه ، وأجره ، فكان كمن شهدا) .

وقوله : (إلى قُبَاءِ) يتعلق بقوله : (رُدٌّ) وقُبَاءُ وحِراءُ فيهما ما أشار له بعضهم :

حِرَاءَ وَقُبَاءَ أَنتَهُمَا ذَكَرْنَهُمَا

وَمُدًّا أَوْ أَقْصَرَ وَأَضْرَفْنَ وَأَمْنَعَ الصَّرْفَا

وقُبَاءُ : قرية بني عمرو بن عوف ، ومسجدها الذي مدحه الله ومدح أهله بقوله عز وجل : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ أسسه صلى الله عليه وسلم لبني عمرو أول يوم قدم المدينة ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، فجاء أبو بكر بحجر ، ثم وضعه ، ثم جاء عمر بآخر ، فوضعه إلى حجر أبي بكر ، فأخذ الناس في البنيان .

تنبيه :

زاد الحافظ ابن كثير في « البداية » على ما ذكره الناظم ،

وَأَبْنُ عُمَيْرٍ مُضْعَبٌ مَرَّ عَلَى شَقِيْقِهِ مُسْتَأْسَرًا لِلْفُضَّلَا

من لم يذكرهم الناظم
ممن تخلف عن بدر
وكان له سهمها وأجرها
ممن تخلف عن بدر
بسهم وأجر :

أبا الصَّبَّاح بن ثابت قال : (خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب ساقه نصيلٌ حَجَرٌ ^(١) ، فرجع وضرب له بسهمه وأجره) .

وسعداً أبا مالك ، قال في « البداية » عن الواقدي :
(تجهز سعد ليخرج فمات ، وقيل : إنه مات بالروحاء ، فضرب له بسهمه وأجره) .

ثم أراد الناظم أن يذكر بعض من أُصيب بالأسر من كفار قريش فقال :

بعض الأسرى من قريش : أسر أبي عَزِيز بن عُمَيْر : مصعب بن عمير رضي الله عنه

(وابن عُمَيْر) بالتصغير (مُضْعَب) ^(٢) ، وعُمَيْر : هو ابن

(١) النصيل : حجر طويل مدملك ، قدر شبر أو ذراع ، جمعه نصل اهـ « نهاية »

(٢) يكنى أبا عبد الله ، أحد السابقين إلى الإسلام ، قال أبو عمر : (أسلم قديماً والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، وكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فعلمه عثمان بن طلحة ، فأعلم أهله فأوثقوه ، فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى مكة ، فهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا ، ولم يشهدا من بني عبد الدار إلا هو وسويط بن حرملة ، ثم شهد أحدًا ومعه اللواء ، فاستشهدوا بها) .

قال في « الروض الأنف » (١ / ٢٦٩) : (كان قبل الإسلام من أنعم قريش عيشاً وأعطاهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم . . أصابه من الشدة ما غيّر لونه ، وأذهب لحمه ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه وعليه فروة رقعتها فيكي ؛ لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم =

فَحَضَّهُمْ أَنْ شَدَّدُوا إِنَّ لَهُ أُمًّا مَلِيَّةً تَفُكُّ كَبَلَهُ

عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ (مَرَّ عَلَى) أخيه (شقيقه)
أبي عَزِيز ، واسمه زُرَّارَة ، فيما قاله ابن الأثير في « أُسْدُ
الغابة » وكان لهما أخ آخر لأبويهما ، وهو أبو الرُّوم بن عمير ،
وغلِطَ من جعله مَمَّن قتل يوم أُحُد كافرًا ؛ ذاك أبو عَزَة ، كما
سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى (مُسْتَأْسَرًا) : بفتح السين
الثَّانية ؛ أي : مَرَّ عليه حال كونه أسيرًا (لِلْفُضْلَا) من
الصحابه ، ولم يؤسر من بني عبد الدار إلَّا هو ، قاله في
« روض النُّهاة » .

(فحَضَّهُمْ) أي : فحَثَّ مصعب الفضلاء بـ (أَنْ شَدَّدُوا)
عليه في الوثاق (إِنَّ لَهُ أُمًّا مَلِيَّةً) بتشديد الياء المفتوحة ؛ أي :

= وهاجر ، أَلَّا تَأْكُل وَلَا تَشْرَب وَلَا تَسْتَظِلْ حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط
مغشيًا عليها ، وكان بنوها يحشون فاها بشجار - وهو عود - فيصبون فيه الحساء لئلا تموت ،
ولما سأل الأنصار النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يرشدهم للدين ، ولا يكون
منهم خوف التنافس . . بعثه معهم هو وابن أم مكتوم ، فتزلا على سعد بن زرارة رضي الله
عنهم ، وأسلم على يده جل الأنصار) .
وقال في « الإستيعاب » : (يقال : إِنَّ مصعباً أَوَّل من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة ،
قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير أخو
بني عبد الدار ، ثُمَّ أَتَانَا بعده عمرو بن أم مكتوم ، ثُمَّ أَتَانَا بعده عمار بن ياسر ، وسعد بن
أبي وقاص ، وابن مسعود ، وبلال ، ثُمَّ أَتَانَا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً رضي الله
عنهم ، ثُمَّ هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم علينا مع أبي بكر رضي الله عنه ،
قتله يوم أُحُد شهيداً ابن قمئة الليثي ، وهو يومئذ ابن أربعين سنة وأزيد شيئاً رضي الله عنه
وعنا به ، ويقال : إِنَّ فيه نزلة : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾) .

.....
مُوسِرَة (تَفَكَّ كَبَلُهُ) أَي : تَطَلَّقَهُ مِنْ قَيْدِهِ ؛ بَأَنْ تَعْطِيَ فِدَاءَهُ .

وصية رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بإكرام الأسرى :

قال ابن إسحاق : (وَحَدَّثَ نُبَيْتُهُ بْنُ وَهَبٍ أَخُو
بَنِي عَبْدِ الدَّارِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَقْبَلَ
بِالْأَسَارِيِّ . . فَرَّقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : « اسْتَوْصُوا بِهِمْ
خَيْرًا » ، قَالَ : وَكَانَ أَبُو عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ أَخُو
مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ فِي الْأَسْرِ ، فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ : مَرَّ
بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي ، فَقَالَ :
شُدَّ يَدُكَ بِهِ ؛ فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ ؛ لَعَلَّهَا تَفْدِيهِ مِنْكَ ، قَالَ
أَبُو عَزِيزٍ : فَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ ،
فَكَانُوا إِذَا قَدَمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ . . خَصُّونِي بِالْخُبْزِ ، وَأَكَلُوا
الْتَمَرُ ؛ لَوْصِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ بَنَّا ،
مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَسْرَةَ خُبْزٍ إِلَّا نَفَحَنِي بِهَا ، فَأَسْتَحْيِ ،
فَأَرُدَّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ ، فِيرُدُّهَا عَلَيَّ مَا يَمْسُهَا) .

إكرام الأنصار أبا عزيز
ابن عمير

قال ابن هشام : (وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ هَذَا صَاحِبَ لُؤَاءِ
الْمَشْرِكِينَ بِبَدْرٍ بَعْدَ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَمَّا قَالَ أَخُوهُ
مُصْعَبُ لِأَبِي الْيَسَرِ - وَهُوَ الَّذِي أَسْرَهُ - مَا قَالَ . . قَالَ لَهُ
أَبُو عَزِيزٍ : يَا أَخِي ؛ هَذِهِ وَصَاتُكَ بِي ؟ ! فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ : إِنَّهُ
أَخِي دُونَكَ ، فَسَأَلْتُ أُمَّهُ عَنْ أَغْلَى مَا فُدِيَ بِهِ قُرَشِيٍّ ، فَقِيلَ
لَهَا : أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَبِعْتُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَفَدَيْتُهُ
بِهَا) .

صاحب لواء المشركين
ببدر

وَأَبْنُ الرَّبِيعِ صَهْرُ هَادِي الْأُمَّةِ إِذْ فِي فِدَاهُ زَيْنَبٌ أُرْسِلَتْ

فائدة :

ذكر أبو عمر : (أَنَّ أَبَا عَزِيزٍ هَذَا أَسْلَمَ ، وَصَحَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَهُ مِنْهُ سَمَاعٌ ، وَرَدَّ عَلَى مَنْ قَالَ : قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ كَافِرًا ، بِأَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ عَدُوًّا مِنْ قُتْلٍ مِنَ الْكُفَرَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا ، لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو عَزِيزٍ ، وَإِنَّمَا فِيهِمْ أَبُو يَزِيدَ بْنِ عَمِيرٍ .

أَسْرَأَبِي الْعَاصِي بْنِ الرَّبِيعِ ثُمَّ فَكَّهُ :

(و) أَبُو الْعَاصِي (ابْنُ الرَّبِيعِ) بَنِي عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ^(١) ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ ، وَخَبْرُهُ : (سَرَّحَهُ) الْآتِي (صَهْرٌ) أَيِ : زَوْجُ بِنْتِ (هَادِي الْأُمَّةِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أُمُّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، فَقِيلَ : لَقِيْطٌ ، وَقِيلَ : هَشِيمٌ ، لَمْ يَتَّفَقْ أَنْ أَسْلَمَ إِلَّا بَعْدَ الْهَجْرَةِ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كَمَا فِي « الْإِصَابَةِ » : (كَانَ فِي رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ مَالًا ، وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً) .

ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحِينَ » مِنْ حَدِيثِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ ، فَذَكَرَ أَبَا الْعَاصِي بْنِ الرَّبِيعِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مَصَاهِرَتِهِ خَيْرًا ، وَقَالَ : « حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي ، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي » .

قَالَ فِي « رَوْضِ الثُّهَاءِ » : (وَلِدَتْ لَهُ زَيْنَبٌ عَلِيًّا ، دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَهُوَ رَدِيفُهُ ، وَتَوَفَّى وَقَدْ نَاهَزَ الْحِلْمَ ، وَأَمَامَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَاصِ تَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ وَقَتَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا الْمَغِيرَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بَوْصِيَّةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَا يُولَدُ لَهَا ، وَانْقَرَضَ أَبُو الْعَاصِي إِلَّا مِنْ بَنْتِهِ مَرِيَمَ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ ؛ قَالَ الْحَافِظُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذَرِمَاتِ أَبُو الْعَاصِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) اهـ

بِعَقْدِهَا الَّذِي بِهِ أَهْدَتْهَا لَهُ خَدِيجَةُ وَزَفَّتْهَا
سَرَّحَهُ بِعَقْدِهَا وَعَهْدًا إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا لَهُ غَدًا

وسلم ، وهي زينب ، والصهر يطلق أيضاً على زوج الأخت ،
كما في « القاموس » واشتقاقه من صهر الشيء بالشيء يصهره :
إذا ألصقه به ، ومنه - كما في « روض النُّهاة » - ما في حديث
بناء النبي صلى الله عليه وسلم مسجد قُباء : (كان صلى الله
عليه وسلم يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه ، فيأتي الرجل يريد
أن يقلبه فلا يستطيع) .

(إذ) ظرفية (في فداه) يتعلق بأرسلت ، وقوله :
(زينب) مبتدأ ، خبره : (أرسلت بعقدها) هي القِلادة
(الذي به) أي : بالعقد (أهدتها) أي : أهدت زينب (له)
أي : لابن الرِّبيع (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن
عبد العُزَّى ، وهو فاعل أهدتها (وزفَّتْها) عطف تفسير .

(سَرَّحَهُ) أي : أطلقه صلى الله عليه وسلم من الأسر
(بعقدها) أي : مع عقدها ذلك ، ويبعث العقد لصاحبه
(وعهدا إليه) أي : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد
على أبي العاص بن الرِّبيع إذا وصل هو مكة (أن يردها له)
بالمدينة المنورة (غداً) .

وحاصل معنى ما أشار إليه في هذه الآيات : أن
أبا العاصي بن الرِّبيع صهر هادي الخلق إلى الملة الحنيفية صلى
الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب بإشارة خالته خديجة ،
وكانت تعدُّه بمنزلة ولدها ، وكان صلى الله عليه وسلم

فَرَدَّهَا وَبَعَدَ ذَاكَ تَجَرًّا لِنَفْسِهِ وَسَاكِنِي أُمِّ الْقُرَى

لا يخالفها قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوجه ، فلمّا أكرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوّته . . آمنت به خديجة وبناته ، وثبت أبو العاصي على شركه . . حتّى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا سارت قريش إلى بدر . . سار معهم أبو العاصي ، فأصيب في الأسرى ، فكان في المدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم . . بعثت زينب في فدائه بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها ، كانت أمها خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، قالت : فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . رقى لها رقّة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوها عليها عقدها . . فافعلوا » قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردّوها عليها الذي لها ، وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب ، ويردّها إليه .

(فردّها) إليه ، قال ابن إسحاق : (وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار ، وقال : « كونا بيطن يأجج ؛ حتى تمر بكما زينب ، فتصحبها حتى تأتياني بها » فخرجا إلى مكانهما ، وذلك بعد بدر بشهر ، فلمّا قدم أبو العاصي مكة . . أمرها باللحوق بأبيها ، فخرج بها حموها أخو زوجها كنانة بن الرّبيع . . حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

فَأَنْتَهَبَ الْأَصْحَابُ عِيرَ الْقَلْبِ فَجَاءَ وَأُسْتَجَارَ بِأَبْنَةِ النَّبِيِّ
فَصَرَّحَتْ وَلَمْ تُجْمَعْ أَلْبَتُولُ بِأَنْ أَجَارَتْهُ وَأَمْضَاهُ الرَّسُولُ

(وبعد ذاك) أي : المذكور من إطلاقه من الأسر ، ورد
زينب إليه صلى الله عليه وسلم (تَجَرَّأَ) : بفتح الجيم ، من
باب نصر ؛ أي : خرج تاجراً إلى الشام ، وذلك قبيل الفتح ،
كما قاله ابن إسحاق ، وكان رجلاً مأموناً ، فخرج بمال له ،
وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه كما قال : (لنفسه
وساكني أم القرى) أي : مكة ، ولما رجع من تجارته وأقبل
قافلاً . . لقيته سرية^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فانتهب) أي : غنم (الأصحاب عير) الرجل
(القلب) : بفتح اللام المشددة بعد القاف المضمومة ؛ أي :
المحتال البصير بتقليب الأمور ، والمراد به أبو العاصي .
استجارته بزینب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وإجارتها له :

(فجاء) أبو العاصي في الليل حتى دخل على زينب بنت
الرسول صلى الله عليه وسلم (واستجار) أي : طلب الجوار
(بابنة النبي) صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ،
(فصرحت ولم تجمجم) أي : لم تتكلم بكلام خفي ، بل

(١) هي سرية زيد بن حارثة إلى العيص ، سببها : أنه بلغه صلى الله عليه وسلم قفول عير قريش
من الشام ، فبعث زيدا في مئة وسبعين راكباً ، معترضاً لها ، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ
فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسروا رجالاً فيهم أبو العاصي ، قال في « تبصرة
المحتاج » :

ثم ابن حارثة العير التي أخذ فيها صهر هادي الملة

فَرْدٌ مَالُهُ عَلَيْهِ أَجْمَعُ تِلْكَ الصَّهَارَةُ بِهَا يَسْتَشْفَعُ

صرحت - بالحاء المهملة - (البَتُول) المراد بها زينب رضي الله عنها ؛ لأنها منقطعة عن الدنيا إلى الله عزَّ وجلَّ ، وقوله : (بأن أجارته) يتعلق بصرحت ؛ أي : صرحت ، ونادت في الناس حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح : أَيُّهَا الناس ؛ إِنِّي قد أجرت أبا العاص بن الرَّبِيع (وأمضاه) أي : ما أجارت فيه (الرسول) الأعظم صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : (لما سلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة . . أقبل على الناس فقال : « أَيُّهَا الناس ؛ هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم ، قال : « أما والذي نفس محمَّد بيده ؛ ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إِنَّه يجير على المسلمين أَدْنَاهُمْ ») .

(فردَّ) بالبناء للمفعول (ماله عليه) أي : رد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم على أبي العاصي ماله (أجمع تلك الصهارة) التي بينه وبين أبي العاصي بزینب (بها يستشفع) .

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر : أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاصي فقال : « إِنَّ هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فَإِنْ تحسَّنوا وتردوا عليه المال الذي له . . فَإِنَّا نحب ذلك ، وَإِنْ أبَيْتم . . فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ به » قالوا : يا رسول الله ؛ بل نرده عليه ، حَتَّى إِنَّ الرجل ليأتي بالذِّلو ، ويأتي الرجل بالشَّنة والإداوة ، حَتَّى إِنَّ

أَوْصَى بِهِ مِنْ حَيْثُ الْإِكْرَامُ ابْنَتَهُ لَكِنْ نَهَاها أَنْ تَكُونَ بَعْلَتَهُ

أحدهم ليأتي بالشُّظاظ^(١) . . حتى ردوا عليه ماله بأسره ،
لا يفقد منه شيئاً) .

لطيفة :

لما كان أبو العاصي تاجراً بالشام قال في زينب :
ذَكَرْتُ زَيْنَبَ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِصْمَا
فَقُلْتُ سَقِيّاً لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الْحَرَمَا
بِنْتُ الْأَمِينِ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً
وَكُلُّ بَعْلٍ سَيُثْنِي بِالَّذِي عَلِمَا
حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه :

ثمَّ أَرَادَ النَّاظِمُ أَنْ يَبِينَ حَالَ أَبِي الْعَاصِي إِذْ ذَاكَ مَعَ ابْنَتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَوْصَى) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (بِهِ مِنْ حَيْثُ الْإِكْرَامُ) لِمَثْوَاهُ (ابْنَتَهُ) زَيْنَبُ ؛ لِأَنَّهَمْ
أَهْلُ الْإِكْرَامِ ، وَلَمَّا سَبَقَ بَيْنَهُمَا مِنَ الزَّوْجِيَّةِ الْمَوْجِبَةِ لِمُرَاعَاةِ
الْفَضْلِ وَالْإِحْتِرَامِ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهَا
الزَّوْجُ : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ .

(لكن نهاها) أي : زينب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، (أن تكون) زينب (بعلة) أي : زوجة
لأبي العاصي بن الربيع .

(١) بكسر الشين المشددة : العود الذي يدخل في العروة . اهـ « المختار »

وَمَا أَرْضَى مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِ ابْنَتِهِ وَكُفْرِهِ بَقَاءَهَا فِي عِصْمَتِهِ
لَوْ أَنَّهُ يُحِلُّ أَوْ يُحَرِّمُ بِمَكَّةَ عَنْهَا الْحَلِيلَ يَحْسِمُ

(و) هو صلى الله عليه وسلم (ما ارتضى من بعد إسلام
ابنته) زينب (وكفره) أي : أبي العاصي (بقاءها) بالنصب
معمول لـ (ارتضى) ، وقوله : (في عصمته) متعلق ببقائها ؛
أي : وما ارتضى بقاء زينب ؛ لأنها لا تحل له لأنها مسلمة
نشأت في بيت النبوة ، قال تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ
لَهُنَّ ﴾ ، وما وقع في « تفسير القرطبي » في (سورة الممتحنة)
مما يخالف ما ذكر . . غير صحيح أو هو مفسوس عليه ، وكان
الواجب على صاحب التعليق التنبيه عليه .

التنبيه على الدس على
القرطبي في تفسيره فيما
يخص أبا العاص
وزوجه زينب رضي الله
عنه

فإن قيل : إذا كان الأمر كذلك . . فلم لم يفرق بينهما صلى
الله عليه وسلم يوم كان بمكة ؟ قلنا : أجاب عنه الناظم بقوله :

السبب في عدم التفريق
بين زينب وأبي العاص
قبل إسلامه

(لو أنه) أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُحِلُّ أَوْ
يُحَرِّمُ بِمَكَّةَ) يعني : لو أنه يطاع بمكة فيما يأمر به من الحلال ،
وينهى عنه من الحرام (عنها) أي : عن زينب ، متعلق بـ (يحسم
(الحليل) مفعول مقدم لقوله : (يحسم) بكسر السين ؛
أي : عنها الحليل أبا العاصي ، لكن لما منَّ عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالإطلاق من الأسر بلا فداء . . عهد إليه أن
يُخَلِّي سبيل ابنته إليه ، وقد فعل .

قال ابن إسحاق : (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يُحِلُّ بِمَكَّةَ وَلَا يُحَرِّمُ ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد
فرق بين زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين

وَسُئِلَ الْإِيمَانُ كَيْ يَحُوزَا مَالٌ قُرَيْشٍ وَبِهِ يَفُوزَا
فَهَابَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْخِيَانَةِ إِيْمَانُهُ وَيَدْعَ الْأَمَانَةَ
فَرَدَّهَا لِأَهْلِهَا وَأَسْلَمَا وَآبَ إِذْ إِلَى قُرَيْشٍ أَسْلَمَا

أبي العاصي ، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما) .

قال في « البداية » : (قلت : إنّما حرّم الله المسلمات على
المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة) .

أمانة أبي العاصي وشرفه وإسلامه :

(وسئل) أبو العاصي (الإيمان) بالله ورسوله (كي يحوزا
مال قريش) الذي معه وقوله : (وبه) يتعلق بقوله : (يفوزا)
بالنصب ، معطوف على يحوزا ؛ أي : كي يفوز بالمال .

أداء أبي العاص الأموال
لأهلها من قريش

(فهاب) أبو العاص (أن يبدأ بالخيانة) هي ضد الأمانة
(إيمانه ويدع) أي : يترك (الأمانة) ولو من مشرك .

قال ابن هشام : (وحدثني أبو عبيدة : أن أبا العاصي بن
الرّبيع لما قدم من الشام ، ومعه أموال المشركين . . قيل له :
هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ؛ فإنّها أموال المشركين ؟
فقال أبو العاصي ، بنس ما أبدأ به إسلامي ، أن أخون أمانتي) .

السبب في إعلان
إسلامه بمكة دون
المدينة

(فردها) أي : الأمانة ، وهي الأموال (لأهلها) قريش ،
قال : (يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم مال لم يأخذه ؟
قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال :
فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، والله
ما منعني من الإسلام عنده إلاّ تخوّف أن تظنوا أنّي إنّما أردت

فَرَدَّهَا إِلَيْهِ خَيْرُ مُرْسَلٍ بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَلَى الْقَوْلِ الْجَلِيِّ

أن آكل أموالكم ، فلمَّا أذاها الله إليكم وفرغت منها ..
أسلمت) .

فقوله : (وأسلما) أي : دخل في الإسلام قبل الفتح سنة
ثمان ، كما قال ابن كثير (وآب) أي : رجع إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم معلناً إسلامه (إذ إلى قريش) يتعلق بقوله :
(أسلما) بمعنى : أعطى أمانتهم ؛ أي : ورجع إلى المدينة
لما أعطى قريشاً أموالهم .

رد زوجه زينب إليه :

(ف) لمَّا رَدَّ أَبُو الْعَاصِي إِلَى قَرِيشِ أَمْوَالِهِمْ ، وَقَدِمَ مُسْلِمًا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَدَّهَا) أي : زوجه زينب
(إليه) أي : أَبِي الْعَاصِي (خَيْرُ مُرْسَلٍ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
مِنَ الْإِلَهِ الْعَلِيِّ (بِالْعَقْدِ) الصَّحِيحِ (الْأَوَّلِ) لَمْ يَجِدْ نِكَاحًا لَهَا
(عَلَى الْقَوْلِ الْجَلِيِّ) أي : الظاهر الذي رواه ابن إسحاق عن
داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس^(١) : (أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ زَيْنَبَ عَلَى أَبِي الْعَاصِي عَلَى النِّكَاحِ
الْأَوَّلِ ، وَلَمْ يَحْدِثْ شَيْئًا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ) .

قال السُّهَيْلِيُّ : (وَيَعَارِضُ هَذَا مَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ شَعِيبٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ^(٢) : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا عَلَيْهِ

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث محمد بن إسحاق « بداية »
(٣٣٢) .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه =

وَأُمُّهُ هَالَةٌ أُخْتُ صِهْرَتِهِ وَالْمُصْطَفَى رَضِيَ عَنْ صَهَارَتِهِ

بنكاح جديد » وهذا الحديث هو الذي عليه العمل ، وإن كان حديث داوود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث ، ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ؛ لأنَّ الإسلام كان فرَّق بينهما ، قال تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس : معنى : ردها عليه على النكاح الأوَّل ؛ أي : على مثل النكاح الأوَّل في الصَّدَاق والحِجَاء ، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره) اهـ

ثمَّ أراد أن يبين نسبة أبي العاصي لأُمِّنا خديجة رضي الله عنها فقال :

(وأُمُّه) أي : أُم أبي العاص المذكور (هَالَةٌ) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصَيِّ (أُخْتُ صِهْرَتِهِ) أُمنا خديجة من أبيها وأُمها واسم أُمِّ خديجة رضي الله عنها فاطمة بنت زائدة بن الأصم .

نسبة أبي العاص رضي الله عنه إلى أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

قال ابن مَنَدَه : (روت عائشة عنها حرفاً في حديث) كذا اختصر .

قال الحافظ : (وكأنَّه أشار إلى ما أخرجه البخاري في « الصحيح » من طريق علي بن مُسهر ، عن هشام بن عروة ،

عن جده ، قال الإمام أحمد : (هذا حديث ضعيف وإِياه ، لم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إِنَّمَا سمعه من محمَّد بن عبد الله العزمي لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روي : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَاهَا عَلَى النِّكَاحِ الأوَّل ») اهـ

وَالْمُسْلِمُونَ خَيْرُوا بَيْنَ الْفِدَا وَقَدْرُهُمْ فِي قَابِلٍ يُسْتَشْهِدَا

عن أبيه ، عن عائشة قالت : (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، وقال : « اللَّهُمَّ هَالَةَ ^(١) » ففرغت . فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش . .) الحديث . وأصل الحديث في « الصحيحين » من غير ذكر هالة .

(والمصطفى) عليه الصلاة والسلام (رَضِيَ عَنْ صَهَارْتِهِ) فقال : « حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي ، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي » وذلك حين خطب عليُّ بنت أبي جهل ، وفي هذه الخطبة قال صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً » .

قال في « الفتح » : (أخذ منه عدم جواز التزوج على بنت النبي ، بخلاف التسري ؛ لأنَّ عليّاً رضي الله عنه وطئ جارية من الخمس في بعض سراياه) .

فداء أسرى بدر :

ثمَّ أراد الناظم أن يشرح الكلام على الفداء فقال :

(والمسلمون) والمراد بهم : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البديرون (خَيْرُوا) بالبناء للمفعول (بَيْنَ) أخذ (الفدا) من الأسرى (و) لكن (قَدْرُهُمْ) عددهم ، وهو سبعون (في قَابِلٍ) عام مقبل (يُسْتَشْهِدَا) بالألف المنقلبة عن

خيار النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصَّحَابَةِ بَيْنَ قَتْلِ الْأَسْرَى أَوْ قَبُولِ الْفِدَاءِ

(١) بالرفع ؛ أي : هذه هالة ، أو بالنصب ؛ أي : اجعلها هالة .

وَبَيْنَ قَتْلِهِمْ فَمَالُوا لِلْفِدَا لَأَنَّهُ عَلَى الْقِتَالِ عَضْدًا
وَأَنَّهُ أَدَى إِلَى الشَّهَادَةِ وَهِيَ قُصَارَى الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ

نون التوكيد (وبين قتلهم) أي : الأسرى ، والمخير لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل عليه السلام ، كما روى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال : (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، فقال : خيّر أصحابك في الأسرى ، إن شاؤوا القتل ، وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عاماً مقبلاً مثلهم قالوا : الفداء ، ويقتل منا) .

ورواه ابن سعد من مرسَل عبدة فقالوا : (بل نفاديهم ، فنتقوى به عليهم ، ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون) .

(فمالوا للفداء) أي : لقبول الفداء منهم (لَأَنَّهُ) أي : الفداء عَضْدَ (على القتال) فهو متعلق بقوله : (عَضْدًا) المبني للفاعل بمعنى : أعان .

(وَأَنَّهُ) أي : الفداء (أدى) أي : أوصل (إلى) الظفر بـ (الشهادة) في سبيل الله تعالى (وهي) أي : الشهادة (قُصَارَى) بضم القاف ؛ أي : غاية (الفوز والسعادة) .

ولما اختاروا الفداء استشهد منهم في العام القابل وهو عام أُحُد ، سبعون رجلاً .

ثم أراد أن يبين مقدار ما كان به الفداء من المال فقال :

وَهُوَ بِقَدْرِ وَسْعِهِمْ وَالْمُملِئُ مِنْ خَطِّهِ عَشْرَةٌ يُحَذِّقُ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْأَسَارَى عَمْرُو نَجْلُ أَبِي سُفْيَانَ ثُمَّ الصَّهْرُ

(وهو) أي : الفداء (بقدر وسعهم) أي : طاقة
الأسرى ، أربعة آلاف درهم ، كأبي وداعة ، وأبي عزيز ، إلى
ثلاثة ، إلى ألفين ، إلى ألف (والمملق) بميمين على صيغة
اسم الفاعل ، من أملق بمعنى : افتقر ؛ أي : والفقر ، وقد
عرف الخطَّ (من خطه) يتعلق بقوله : (يحذق) وقوله :
(عشرة) بالنصب معمول لقوله : (يحذق) بالبناء للفاعل ؛
والمعنى : أن من لم يكن عنده مال يفادي به نفسه ، علَّم عشرة
من غلمان أهل المدينة الخطَّ ، فإذا حذقوا ، وتعلَّموا . . كان
ذلك فداءه ؛ لأنَّ أهل مكة كانوا يكتبون ، وأهل المدينة
لا يكتبون ، فمِمَّنْ تعلم الكتابة يومئذٍ سيدنا زيد بن ثابت
رضي الله عنه في جماعة من غلمان الأنصار .

عدد الأسارى
والهالكين من قريش

واعلم : أنَّ جملة من أخذ أسيراً من المشركين ببدر سبعون
رجلاً ، كما أنَّ من هلك منهم سبعون ، كما في « صحيح
البخاري » من حديث البراء بن عازب .

واقصر الناظم على ذكر المشهورين من الأسرى فقال :

من مشاهير أسرى قريش : عمرو بن أبي سفيان :

(ومن مشاهير الأسارى) : (عمرو نجل) أي : ابن
(أبي سفيان) صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق : (وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط) .

.....

قال ابن هشام : (بل كانت أمه أخت أبي مُعِيط ، وكان
الذي أسره علياً بن أبي طالب) .

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر قال :
فَقِيلَ لأبي سفيان : افدِ عمرأ ابنك ، قال : أيجتمع عليّ دمي
ومالي ؟ قتلوا حنظلة ، وأفدي عمرأ ، دعوه في أيديهم
يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة
إذ خرج سعد بن النعمان بن أَكَّال أخو بني عمرو بن عوف ، ثمَّ
أحد بني معاوية معتمراً ، وكان مُسْلِماً في غنم له بالنَّعِيع^(١) ،
فخرج من هنالك معتمراً ، ولم يظنَّ أَنَّهُ يحبس بمكَّة إذا جاء
معتمراً ، وقد كان عهد قريش أنَّ قريشاً لا يعرضون لأحد جاء
حاجاً أو معتمراً إلَّا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب
بمكة ، فحبسه بابه عمرو ، وقال في ذلك :

أَرْهَطَ بَنَ أَكَّالَ أَجَبُوا دَعَاءَهُ
تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكُهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَنَامَ أَذْلَّةٌ
لَّئِنْ لَمْ يَفُكُّوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَا

قال فأجابه حسان بن ثابت يقول :
لو كان سعد يومَ مكَّة مطلقاً
لأكثرَ فيكم قبلَ أن يؤسر القتلا

(١) موضع قرب المدينة ، وأما البقيع بالباء . . فهو موضع داخل المدينة وفيه مقبرتها .

وَالْعَمُّ وَأَبْنَا أَخَوَيْهِ وَهُمَا عَقِيلٌ نَوْفَلٌ وَيَعْدُ أَسْلَمًا

بِعَضْبِ حُسَامٍ أَوْ بَصْفَرَاءِ نَبْعَةٍ

تَحِنْ إِذَا مَا أُنبِضَتْ تَخْفِزُ النَّبَلَا

قال : ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكُّوا به صاحبهم ، فأعطاهم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلَّى سبيل سعد .

قال في « روض النُّهاة » : (وليس لعمر بن أبي سفيان عَقِب ، ولم يُر له ذكر بعد هذا بإسلام ولا بغيره) .

وقوله : (ثم الصُّهْر) أي : للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بنكاحه أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فهو معطوف على قوله نجل .

العباس بن عبد المطلب :

(و) من مشاهير الأسارى (العم) للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سيدنا العباس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسر ، بفتح التحتية والسين المهملة ، وبالراء ، كما ضبطه الحافظ في « الفتح » ، واسمه كعب بن عمرو الأنصاري السَّلَمي بفتحيتين .

قال في « المواهب » : (روى الطبراني والبخاري من حديث أبي اليسر : وقيل : للعباس بن عبد المطلب وكان جسيماً ، كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ، ولو شئت . . لجعلته في

كفك؟ فقال : ما هو إلا أن لقيتَه ، فظهر في عيني كالخندمة ،
وهي بالخاء المعجمة : جبل من جبال مكة) .

قال في « روض النُّهاة » : (واختلف في وقت إسلامه ،
ف قيل : بدر ؛ وذلك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « افد
نفسك » فقال : ليس لي مال أفدي به نفسي ، فقال : « الذهب
الذي تركته عند أم الفضل ، وقلت لها : كيت وكيت » فقال :
أشهد أَنَّكَ رسول الله ، والله ما حضرنا إلا الله) .

هلاك أبي لهب بالعدسة :

وفي خبر أبي رافع مع أبي لهب دليل على تقدم إسلامه على
بدر ، وهو ما رواه ابن إسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال : (كنت غلاماً للعباس بن
عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم
العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس
يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا
مال كثير متفرق في قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ،
فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا
صنعوا ، لم يتخلف منهم رجل ، إلا بعث مكانه رجلاً .

فلَمَّا جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش . . كَبَّتهُ
الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً ، قال : وكنت رجلاً
ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح ، أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله
إنِّي لَجَالِسٌ فيها أَنحت أقداحي ، وعندي أم الفضل جالسة ،

وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر . . إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجله
بشرّاً ، حتى جلس على طُنبِ الحجرة^(١) فكان ظهره إلى
ظهري .

وصف المغيرة ما لاقاه
من كفار قريش في
ساحة القتال

فبينما هو جالس ؛ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان
- واسمه : المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب - قد قدم ،
قال : فقال له أبو لهب : هلمّ إلي ، فعندك لعمري الخبر ،
قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال يا ابن أخي :
أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلّا أن لقينا
القوم ، فمحنناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا
كيف شاؤوا ، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمت الناس .

لقينا رجال بيض ، على خيل بُلقٍ بين السماء والأرض ،
والله ما تُلِق^(٢) شيئاً ، ولا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع : فرفعت طُنبَ الحجرة بيدي ، ثمّ قلت :
تلك والله الملائكة ، قال : فرفع أبو لهب يده ، فضرب بها
وجهي ضربة شديدة .

قال : وثأورته^(٣) ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثمّ
بَرَكَ عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى
عمود من عُمُد الحجرة ، فأخذته ، فضربت به ضربة ،

(١) أي : طرفها .

(٢) تليق : تبقي .

(٣) وثبت إليه .

فَلَعَتْ^(١) في رأسه شَجَّةً منكراً ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مؤلياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة^(٢) فقتلته (اهـ

هلاك أبي لهب والكيفية التي دفن بها

وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقَرَّبَ جَنَازَتُهُ ؛ لأنَّ قريشاً تشاءم بالعدسة ، كما تشاءم بالطاعون ، فلمَّا خاف بنوه الشُّبَّةَ - أي : العار - . . حفروا له ، ودفنوا جنازته بعود في حفرة ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتَّى واروه .

ويروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أنَّها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهب هذا ، إلَّا نَشَرَتْ ثوبها حتى تجوز . توفي العباس بالمدينة سنة (٣٢) وجزع عليه ابنه سيدنا عبد الله رضي الله عنهما ، حتى دخل عليه أعرابي فأنشده :
اصبر نكن بك صابرين فإنَّما

وفاة العباس رضي الله عنه

صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده
والله خير منك للعباس
فكان أجمل عزاء .

عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث :
(و) من مشاهير الأسرى (ابنا أخويه) أي : العباس

(١) شقت .

(٢) العدسة : بثرة تخرج في البدن فتقتله .

(وهما عَقِيلٌ) بفتح العين^(١) وترك التنوين للوزن ، وهو ابن أبي طالب ، أخو علي ، وجعفر ، وكان الأسن^(٢) ، يكنى عقيل : أبا يزيد ، قال له صلى الله عليه وسلم : « يا أبا يزيد ؛ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ : حُبًّا لِقْرَابَتِكَ مِنِّي ، وَحُبًّا لِمَا أَعْرَفَ مِنْ حَبِّ عَمِي إِيَّاكَ » .

قال الحافظ في « الإصابة » : (وفي « تاريخ البخاري » الأصغر بسند صحيح : أَنَّهُ مَاتَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ يَزِيدَ قَبْلَ الْحَرَّةِ) .

نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب

(نَوْفَلٌ) أي : ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يكنى : أبا الحارث (وبعد) أي : بعد بدر (أسلما) أي : عقيل ، ونوفل .

أمّا عقيل . . فإنه أسلم عام الفتح ، كما قاله في « الإصابة » وَضَعَفَ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ الْحُدَيْيَةِ ، وَهَاجَرَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانَ .

وأمّا نوفل : فذكر في « الإستيعاب » : (أَنَّهُ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ) وقيل : أسلم يوم فدى نفسه .

واختلفوا أيضاً في فدائه ، فقيل : فداه العباس ، وقيل : فدى نفسه ؛ وذلك : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ

(١) كل ما جاء على هذا اللفظ في العرب فبضم العين . . إلا هذا ، وعقيل بن علفة المري ، كذا في « روض النُّهاة » اهـ

(٢) كان أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من علي بعشر سنين ، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وأمهم كلهم : فاطمة بنت أسد رضي الله عنهم . اهـ من « الروض »

وَحَالِدٌ أَخُو أَبِي جَهْلٍ وَقَدْ أَسْلَمَ أَيْضاً وَسُهَيْلُ الْأَسَدِ

ذكر جُذَّة

له « افد نفسك » قال : ما لي شيء أفندي به ، قال : « افد نفسك برماحك التي بجُذَّة » فقال : والله ؛ ما علم أحد أن لي بجُذَّة رماحاً غيري بعد الله ، أشهد أنك رسول الله ، ففدني نفسه بها ، وكانت ألف رمح . ذكره الحافظ أبو عمر في « الإستيعاب » عن ابن سعد ، وهذا ممّا يقوّي القول بأنّه أُسر وفدّى نفسه .

وفاة نوفل بن الحارث

تُوّفِّي بالمدينة في داره بها سنة خمس عشرة ، في خلافة عمر ، وصلى عليه عمر بعد أن مشى معه إلى البقيع ، ووقف على قبره حتى دُفن رضي الله عنه .

خالد بن هشام المخزومي ، وسُهَيْل بن عمرو العامري :

(و) من مشاهير الأسرى ببدر (خالد أخو أبي جهل) إذ ذاك ، وقد قطع الإسلام تلك الأخوة ، فإنّه أسلم كما قال : (وقد أسلم أيضاً) مثل سابقه ، وهو ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ ، قال الحافظ ابن عبد البرّ : (ذكره بعضهم في المؤلّفة قلوبهم) ، ثم قال : (وفيه نظر) .

(وسُهَيْل) - بالتصغير - ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي العامريّ ، خطيب قريش (الأسد) أي : كالأسد في الشجاعة ، فهو تشبيهه بليغ ، حذف منه الأداة ، ووجه الشبه ، أو هو الأسد ، بتشديد

سُهَيْل بن عمرو خطيب قريش

الدال ؛ أي : قولاً^(١) ، والذي أسر سهيلاً مالك بن الدُخْشَم ،
أخو بني سالم بن عوف ، فقال في ذلك :
أَسْرْتُ سُهَيْلاً فَلَا أَبْتَغِي
أَسيراً به من جميع الأمم
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتْى
فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظْلَمُ
ضربت بذي الشفر حتى انشأ
وأكرهت نفسي على ذي العلم

(١) قال الحافظ : هو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكلامه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك في « الصحيحين » وغيرهما .
روى حميد بن أبي حسين قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل البيت ، ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب ، فقال : « ماذا تقولون ؟ » فقال سهيل : نقول خيراً ، ونظن خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت . فقال : « أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ » قال في « روض النُّهاة » : (خرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا . . حتى ماتوا كلهم هنالك ، فلم يبق من ولده إلا فاختة بنت عتبة بن سهيل ، قدم بها على عمر ، وكانت تسمى الشريدة ، فزوجها من عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان أيضاً يسمى الشريد ، كان أبوه خرج هو وسهيل حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » قال : لئن فاتتنا الهجرة وأول الإسلام فلا يفوتنا الجهاد ، والشهادة ، فخرج كل بأهله ، فلم يرجع ممن خرج معهما إلا عبد الرحمن الشريد ، وفاختة الشريدة ، فسماهما الناس بالشريدين ، قال عمر رضي الله عنه : زوجوا الشريد من الشريدة ، لعل الله ينشر منهما أمة ، وأقطعهما خطة ، فأوسعها لهما ، فقيل له : أكثر ، فقال : أردت لكي ينشر الله منهما أمة ، فأنشر الله منهما رجالاً ونساء) ومعنى (الشريد) : الذي لم يبق من أهله غيره . قال في « الإصابة » : (توفي سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة ، فيما قاله ابن خيثمة) .

وَمَكْرَزٌ رَكَزَ فِي مَرْكَزِهِ حَتَّى أَتَى فِدَاؤُهُ لِعِزِّهِ

قال ابن إسحاق : (وكان سهيل رجلاً أعلم^(١) من شفته السفلى) .

(و) لما أسر سهيل . . قدم (مَكْرَز) - بكسر الميم^(٢) ومركز العامري ومقامه من فداء سهيل وفتح الراء - ابن حفص بن الأخيف - في فداء سهيل ، فلمّا قالولهم فيه مَكْرَز ، وانتهى إلى رضاهم . . قالوا : هاتِ الذي لنا ، قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، و (رَكَز) مَكْرَز (في مَرْكَزِه) بفتح الميم وإسكان الراء ؛ أي : وضع مَكْرَز نفسه في موضع سهيل في القيد (حتى أتى فداؤه) أي : فداء سهيل ، وإنّما فعل ذلك مركز بسهيل (لعزه) أي : سهيل عندهم .

قال في « روض النّهاة » : (ومركز هذا هو العامري الذي بعثه أهل مكة يوم الحديبية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رآه . . قال : « أتاكم رجل فاجر ، فلم يُغن شيئاً » فبعثوا سهيلاً ، فلمّا رآه صلى الله عليه وسلم . . قال : « سهّل الله لكم من أمركم » ، ولم نجد لمركز إسلاماً ، ولا ذكراً في الصحابة ، إلّا أنّ صاحب « نور النّبراس » ذكر : أنّ ابن حَبَّان ذكر له صحبة) .

قلت : وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في « الإصابة » عن

(١) الأعلّم : المشقوق الشفة العليا أو أحد جانبيها .

(٢) يقال : بكسر الميم وفتحها ، ولكن لا يروى في السيرة إلّا بالكسر . اهـ من « الروض » (ص ٨٠)

وَابْنُ أَبِي وَأَبُو وَدَاعَهُ أَوَّلُ مَفْدِيٍّ مِنَ الرِّبَاعَةِ

ابن حبان : (أنه ذكره في الصحابة) والله تعالى أعلم .

عبد الله بن أبي بن خلف ، وأبو وداعة السهمي :

(و) من الأسرى عبد الله (ابن أبي) بن خلف بن حذافة القرشي الجمحي ، أسلم عام الفتح ، وقتل يوم الجمل ، رضي الله عنه .

(و) منهم الحارث (أبو وداعة) ابن ضبيرة السهمي ، ولما أسر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ ابْنًا كَيْسًا ، تاجرًا ، ذا مال ، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » .

الحارث أول الأسارى
فداء

ولما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم ، لا يارب^(١) عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى - : صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل ، وقدم المدينة ، وأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به ، فكان أول أسير فدي ، كما قال : (أَوَّلُ مَفْدِيٍّ) وهو خبر مبتدأ مقدر ، كما علم من التقرير ، ويصح أن يكون خبر قوله : (وأبو وداعة) ، (من الرباعة) بكسر الراء ؛ أي : من أسارى بدر .

قال السهيلي (أسلم هو وابنه المطلب بن أبي وداعة يوم فتح مكة) .

(١) من أرب الدهر : اشتد .

وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ الَّذِي افْتَخَرَ فَكَانَ قَبْلَ كُلِّ هُوَّةٍ عَجَزُ
وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْمَمَاتِ حَنْظَلَةُ مُنْبَهُ وَصِنُوهُ وَأَبْنَانِ لَهُ

خالد بن الأعلم الخزاعي :

(و) منهم : (خالد بن الأعلم) الخزاعي ، ويقال :

العُقيلي ، كما قال ابن هشام (الذي افتخر) يوم بدر بقوله :

ولسنا على الأعقاب تَدُمَى كُلُّومُنَا

وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَمِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ

(فكان) خالد (قبل كل هُوَّة) بضم الهاء الأولى وفتح

الثَّانِيَةِ بمعنى : جبان ، يتعلق بقوله : (عَجَز) أي : ثنى

عنقه ، وفرَّ سريعاً قبل كل جبان ، قتل يوم أُحُد كافراً ، كما في

« روض النُّهاة » وغيره .

مشاهير من القتلى من مشركي قريش :

ثمَّ لما فرغ من مشاهير الأسرى ببدر ، وهم تسعة حسبما

ذكر . . شرع في ذكر مشاهير القتلى من المشركين ، فقال :

(ومن مشاهير الممات) بضم الميم من أمات يميت ؛

أي : القتلى ، والألف واللام للجنس ، لا للاستغراق ؛ لأنَّه

لم يستوعب مشاهيرهم (حنظلة) ابن أبي سفيان ، قتله زيد بن

حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكره ابن

هشام واليعمري ، وكذا (مُنْبَهُ) بصيغة اسم الفاعل المضاعف

وهو : ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة ، من بني سهم بن

عمرو ، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة (و) كذا (صنوه) أي :

حنظلة بن أبي سفيان

منه بن الحجاج

وَهُمْ نَبِيَّةٌ حَارِثٌ وَالْعَاصِي أَحَدُ رَهْطٍ غَيْرِ ذِي خَلَاصٍ
 مِنْ مَكَّةَ لِكَوْنِهِ مُسْتَضْعَفًا فِي زَعْمِهِ وَيَوْمَ بَدْرٍ زَحْفًا
 مَعَ قُرَيْشٍ وَتَوَقَّتْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَا حِمِ

شقيق منبّه (وابنان له) أي : لمنبّه ، ثُمَّ بَيَّنَّ الأسماء الثلاثة على طريق اللف والنشر المرتب فقال :

(وهم) أي : صنوه وأبناء (نبيه) بالتصغير ، ابن الحجاج ، وأمه وأم منبه : أروى بنت عُمَيْلَةَ ، الذي قتله سيدنا حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص ، اشتركا فيه ، فيما قاله ابن هشام . قال في « روض النُّهاة » : (كان منبه ونبيه من المطعمين في الطريق إلى بدر) و(حارث) بن مُنْبِه بن الحجاج ، قتله صُهَيْب بن سنان .

المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب :

(والعاصي) بن منبه بن الحجاج ، قتله علي بن أبي طالب ، فيما قاله ابن هشام (أحد) بالرفع خبر مبتدأ مقدّر ؛ أي : والعاصي المذكور أحد (رهط) بالتنوين : هو ما دون العشرة من الرجال ، وما فيهم امرأة ، كما في « القاموس » (غير ذي خلاص) أي : نجاة (من) أهل (مكة) بالتنوين للوزن (لكونه) أي : ذلك الأحد (مستضعفاً في زعمه ، و) الحال أنه (يوم بدر زحفا ، مع قريش) لقتال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقوله : (وَتَوَقَّتْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ مَلَائِكُ الْمَلَا حِمِ) جمع

وَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أُمَيَّةَ الرَّدِّي وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ

ملحمة ؛ أي : الحرب ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * .

قال الحافظ السيوطي : (نزلت في جماعة أسلموا ، ولم يهاجروا ، فقتلوا يوم بدر مع الكفار) اهـ

مقتل علي بن أمية ، وأمية بن خلف :

ثم أراد إتمام عدد المستضعفين في زعمهم ، وهم أربعة سوى العاصي ، فقال :

علي بن أمية

(وهم علي بن أمية) بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح (الردي) أي : الهالك بالموت على الكفر ، والعياذ بالله تعالى ؛ فإنه قتل يوم بدر مع أبيه كافرين .

حديث عبد الرحمن بن عوف عن علاقته بأمية ابن خلف

قال ابن إسحاق : (حدثني يحيى بن عباد وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ؛ أرغبت عن اسم سَمَاكَة أبواك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإنني لا أعرف الرحمن ،

فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت . . فلا تجيئني
باسمك الأوّل ، وأمّا أنا . . فلا أدعوك بما لا أعرف .

قال : وكان إذا دعاني : يا عبد عمرو . . لم أجبه ، قال :
فقلت له : يا أبا عليّ ؛ اجعل ما شئت ، قال : فأنت
- عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت
به . . قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدث معه ، حتى إذا
كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ ، وهو آخذ
بيده ، قال : ومعني أذراع لي قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلمّا
رآني . . قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد
الإله ، فقلت : نعم ، قال : هل لك فيّ ؟ فأنا خير لك من هذه
الأدرع التي معك . قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال :
فطرح الأدرع من يدي ، وأخذت بيده وبید ابنه ، وهو
يقول : ما رأيت كالיום قط ! أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثمّ
خرجت أمشي بهما) .

مصرع أميّة بن خلف
وابنه

قال ابن إسحاق : (حدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن
سعد بن إبراهيم ، عن أبيه عن عبد الرّحمن بن عوف قال : قال
لي أميّة بن خلف وأنا بينه وبين ابنه أخذاً بأيديهما :
يا عبد الإله ؛ من الرجل منكم المعلّم بريشة نعامة في صدره ؟
قال : قلت : حمزة ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، قال
عبد الرّحمن : فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو
الذي يعذّب بلالاً بمكة على الإسلام ، فلمّا رآه . . قال : رأس

الكفر أُمَيَّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا ، قال : قلت : أي بلال ؛ أبأسيري ، قال : لا نجوتُ إن نجا ، قال : ثمَّ صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ؛ رأس الكفر أُمَيَّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا ، فأحاطوا بنا ، حتى جعلونا في مثل المسكَّة^(١) ، فأنا أذُبُّ عنه قال : فأخلف رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أُمَيَّة صيحة ما سمعت بمثلاً قط ، قال : قلت : انجُ بنفسك ولا نَجاءَ به ، فوالله ما أغني عنك شيئاً ، قال : فهبروهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما قال : فكان عبد الرَّحْمَنِ يقول : يرحم الله بلالاً ، فجعني بأدراعي وبأسيري) .

مصرع أُمَيَّة بن خلف
وابنه

وهكذا رواه البخاري في « صحيحه » قريباً من هذا السياق .

مقتل الحارث بن زمة :

(والحارث بن زَمعة بن الأسود) بن المطلب بن أسد ، وزمعة أبوه ، ويكنى : أبا حَكِمة ، قتل هو وأخوه عَقِيل بن الأسود يومئذٍ ، والأسود أحد المستهزئين ، وأصابه في الدنيا ما أشار له العارف البوصيري بقوله :

فَدَهَى الْأَسْوَدَ بَنَ مُطَّلِبَ أَيُّ

الأسود بن المطلب

عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ

(١) المسكة بالتحريك : السوار ؛ أي : جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا . اهـ « نهاية »

.....

فإنَّه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يعمي الله
بصره ، ويثكله ولده . فخرج الأسود يستقبل ولده زمعة ، فبينما
هو قاعد بظل شجرة جعل جبريل يضرب عينيه بورقة من
ورقها ، أو بشوكة منها ، فاستغاث بغلامه فقال : لا أحد يصنع
بك شيئاً غير نفسك ، فهلك من ذلك .

نواح الأسود بن المطَّلَب على بنيه :

قال ابن إسحاق : (حدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن
الزُّبَيْر ، عن أبيه عبَّاد قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثمَّ
قالوا : لا تفعلوا ، فيبلغ محمَّداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ،
ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم ، لا يأرب عليكم محمَّد
وأصحابه في الفداء) .

قال ابن إسحاق : (وكان الأسود بن المطَّلَب قد أُصيب له
ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعَقِيل بن الأسود ،
والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، فبينما هو
كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب
بصره : انظر هل أُحِلَّ النخب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟
لعلِّي أبكي على أبي حَكِيمَة - يعني زمعة - فإنَّ جوفي قد
احترق ، قال : فلمَّا رجع إليه الغلام . . قال : إنَّما هي امرأة
تبكي على بغير لها أضلَّته ، فذاك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ

وَيَمْنَعُهَا مِنَ النُّومِ الشُّهُودُ

.....

فلا تبكي على بكرٍ ولكن
على بدرٍ تقاصرتِ الجدودُ
على بدر سَراةِ بني هُصَيص
ومخزومٍ ورَهْطِ أبي الوليد
وبُكِّي إذ بكيتِ على عَقِيل
وبُكِّي حارثاً أَسَدَ الأسودِ
وبُكِّيهم ولا تَسْمِي جميعاً
وما لأبي حَكِيمَةً من نَدِيدٍ
ألا قد سادَ بعدهم رجالٌ
ولولا يومٌ بدر لم يسودوا)

إسلام عمير بن وهب :

قال في « الإمتاع » : (وناحت قريش على قتلها بمكة
شهرًا ، وجزَّ النساء شعورهنَّ ، وجعل صفوان بن أمية
لعمير بن وهب إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يتحمل بديته ، ويقوم بعياله ، وحمله على بعير ، وجهَّزه ،
فقدم عمير المدينة ، ودخل المسجد متقلِّداً سيفه يريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« ما أقدمك يا عمير ؟ » قال : قدمت في أسير عندكم تقاربونا
فيه ، قال : « فما بال السيف ؟ » قال : قبحها الله من سيوف !
وهل أغنت من شيء ؟ إنما أنسيته حين نزلت ، وهو في

الجعل الذي خصَّه
صفوان بن أمية لقتل
النبي صلى الله عليه
وسلم

وَأَبْنَانِ لِلْفَاكِهِيِّ وَالْوَلِيدِ وَأَيِّنَ هُمْ مِنْ أَبْنَةِ الْمَجِيدِ

رقتي ، فقال : « أَصِدُقْ ، ما أقدمك يا عمير ؟ » قال :
ما قدمت إلَّا في أسيري ، قال : « فما شرطت لصفوان في
الحجر ؟ » ففرع عمير ، فقال : ماذا شرطت ؟! قال له :
« تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ، ويعول عيالك ، والله
حائل بينك وبين ذلك » قال عمير : أشهد أنك رسول الله ،
وإنك صادق ، وأسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « علّموا
أخاكم القرآن ، وأطلقوا له أسيره » فعاد عمير إلى مكّة يدعو
الناس إلى الإسلام ، فأسلم بشر كثير .

ابنا الفاكهبي

(وابنان) أحدهما (للفاكهبي) وهو أبو قيس بن الفاكه بن
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (و) الآخر
لـ (الوليد) وهو أبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمرو بن مخزوم .

فهؤلاء الخمسة قتلوا ببدر ، ونزل فيهم من القرآن ، كما
ذكره ابن هشام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ
كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا
فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ وذلك : أنهم كانوا أسلموا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ، فلمّا هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم . . حبسهم آباؤهم وعشائره بمكة ،
وفتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا
جميعاً .

حكم الذين ادّعوا أنهم
مستضعفون وقتلوا ببدر

قال في « حاشية الجلالين » : (وهل ماتوا عُصاة ، أو

سَمِيَّهِ وَأَخَوَيْ فِرْعَوْنَ شَقِيقِ أَوْ لِأُمَّ ذَاكَ الْهُوْنَا

كفاراً ؟ خلاف ؛ لأنَّ الهجرة كانت ركناً أو شرطاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ وهذا كان قبل الفتح ، ثم نسخ بعده ، والقاتل لهؤلاء الملائكة ؛ لعلمهم بأنَّ الله لم يقبل منهم الإسلام ؛ لفقد شرطه وهو الهجرة ، مع قدرتهم عليها ، وليس التخلف من أجل صيانة المال ، والعيال عذراً ، والمتبادر من ذلك أنَّهم ماتوا كفاراً) .

المستضعفون بمكة حقاً رضي الله عنهم :

(وَأَيْنَ هُمْ) أي : هؤلاء الخمسة المستضعفون بالزعم الكاذب (من ابنه) أي : الوليد (المجيد سميَّه) أي : الموافق له في الاسم ، وهو الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، المستضعف حقاً ، أخو خالد بن الوليد ، حضر بدرأ مع المشركين فأُسر ، فافتداه أخواه هشام وخالد ، ولمَّا أسلم . . حبسه أخواله ، فكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو له في القنوت ، كما ثبت في الصحيح ، ثُمَّ أَفْلَتَ مِنْ أَسْرِهِمْ ، وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةِ الْقُضْيَةِ .

قال الحافظ : ذكر الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، عَنْ أَبِيهِ : لَمَّا هَاجَرَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ . . قَالَتْ أُمُّهُ :

قَدْ هَاجَرَ الْوَلِيدُ رُبْعَ السَّاقَةِ

فَاشْتَرَى مِنْهَا جَمَلاً وَنَاقَةً

وَاسْمُ بَنَفْسٍ نَحَوَهُمْ تَوَاقَةً

سَلَمَةُ عِيَّاشِ الْمُسْتَضْعِفِينَ قَتَّ لَاسْتِنْقَاذِهِمْ طَهَ الْأَمِينَ

وفي شعرها إشعار بأنها أسلمت .

(وَأَخَوِي) بالثنية مجروراً بالعطف على (ابن) أي :
وأين أولئك الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم من ابن الوليد
ومن أخوي (فرعون) أبي جهل شقيقه ، وهو سَلَمَةُ بن
هشام ، ولأُمه وهو : عياش بن أبي ربيعة ؟ وهذا مراده بقوله :
(شقيقٍ أو للأُم ذاقا) أي : الأَخَوَانِ (الهونا) بضم الهاء :
الهوان من مشركي مكة .

وصف الوليد ،
وسلمة ، وعياش

وقوله : (سَلَمَةُ) و (عياش) يعود على قوله : (شقيق أو
للأُم) ، على سبيل اللف والنشر المرتب ، ثم وصف الثلاثة
الوليد وسلمة وعياشاً بقوله : (المستضعفين) أي : حقاً
فلأجل ذلك (قَتَّ لاستنقاذهم) أي : خلوصهم من أيدي
المشركين (طه) عليه الصَّلَاة والسَّلَام (الأمين) فكان يقول :
« اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ الوليد بن الوليد ، وسَلَمَةَ بن هشام ، وعياش بن
أبي ربيعة .

دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم بنجاتهم من
الكفار

وفي « صحيح البخاري » بسنده إلى أبي هريرة : بَيَّنَّا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليّ العشاء إذ قال : « سمع
الله لمن حمده » ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ : « اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ
عياش بن أبي ربيعة ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ سلمة بن هشام ، اللَّهُمَّ ؛
أَنْجِ الوليد بن الوليد ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْجِ المستضعفين من
المؤمنين ، اللَّهُمَّ ؛ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ ، اللَّهُمَّ ؛ اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف » .

.....
أَمَّا الوليد... فَإِنَّهُ أَفْلَتَ مِنْ أَسْرِهِمْ ، وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَشَى عَلَى رَجْلَيْهِ لَمَّا هَرَبَ وَطَلَبُوهُ ، فَلَمْ يَدْرِكُوهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَاتَ بَبْثَرِ أَبِي عَتْبَةَ عَلَى مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، ذَكَرَ هَذَا فِي « الإِصَابَةِ » .

وَأَمَّا سلمة... فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : (ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : أَنَّهُ لَمَّا لَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ - وَذَلِكَ بَعْدَ الْخَنْدَقِ - قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطُ بِنْتُ سَلْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ :

سلمة بن هشام رضي
الله عنه

لَا هُمْ رَبَّ الْكَعْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ
أَظْهَرَ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ سَلَمَةَ
لَهُ يَدَانِ فِي الْأُمُورِ الْمُبْهَمَةِ

كَفَّ بِهَا يُعْطِي ، وَكَفَّ مُنْعِمَهُ
فَلَمْ يَزَلْ سَلْمَةَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ حِينَ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجِيُوشَ لِقِتَالِ الرُّومِ ، فَقَتَلَ سَلْمَةَ شَهِيداً بِمَرَجِ الصُّفَرِ ، فِي الْمَحْرَمِ ، سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

وَأَمَّا عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ... فَقَالَ فِي « رَوْضِ النُّهَاءِ » :
(لَمَّا أَفْلَتَ الْوَلِيدُ مِنْهُمْ... دَخَلَ مَكَّةَ لَيْلاً ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَجَسَّسُ الْأَخْبَارَ عَنْ صَاحِبِيهِ عِيَّاشَ وَسَلْمَةَ بْنِ هِشَامٍ... حَتَّى لَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَاماً ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدِينَ يَا أُمَّةُ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : أُرِيدُ

عياش بن أبي ربيعة

وَاسْتَشْهَدَتْ سِتٌّ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عُبَيْدَةُ الْمَذْكُورُ فِي الْمُبَارِزِينَ

هذين المعدّين - تعني عياشاً وسلمة - فتبعها حتى عرف مكانهما ، فأخرجهما من الحبس ، فكسر القيد .
وذكر الحافظ أبو عمر عن ابن سعد : أنَّ عِيَّاشاً قتل يوم اليرموك .

تنبيه :

الأصح - كما يُستفاد من « الإستيعاب » وغيره - : أنَّ
أم سلمة بن هشام ، ضُبَاعَة بنت عامر بن قُرْط بن قيس ، من بني عامر بن صَعْصَعَة القائلة :

اليوم يبدو بعضُهُ أو كُلُّه

وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

.. لا أمَّ أبي جهل أسماء بنت مخزومة .

فعليه : لا يكون سلمة شقيقاً لفرعون الأمة أبي جهل ،
ويتأيد بما في بعض نسخ النظم الصحيحة ، من قوله : (للآبِ
أو للأم ذاقا الهونا) .

شهداء بدر من المهاجرين والأنصار :

ثمَّ لما كان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً ..
أراد أن يُبيِّن عدد المهاجرين منهم ، وعدد الأنصار رضي الله
عنهم أجمعين فقال :

(واستشهدت سِتٌّ من المهاجرين) الأول : (عُبَيْدَة) بن
الحارث بن المطلب (المذكور في) عدد الثلاث (المبارزين)

عبيدة بن الحارث بن
المطلب

ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَأَبْنُ الْبُكَيْرِ عَاقِلُ الشَّاصِي
وَذُو الشَّمَالَيْنِ وَمَهْجَعُ عُمَرُ صَفْوَانُ بَيْضَاءَ الَّذِي بِهَا أُشْتَهَرَ

لثلاثة من قريش أبناء عمهم ، ضربه عتبة بن ربيعة ، ففقط
رجله ، فمات بالصفراء .

عمير بن أبي وقاص (ثم) الثاني : (عُمير) بالتصغير (بن أبي وقاص) بن
أُهيْب بن عبد مناف بن زُهرة ، ذكر الواقدي كما في
« الروض » : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ رَدَّهَ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمَ ؛ لِأَنَّهُ اسْتَصْغَرَهُ ، فَبَكَى عُمَيْرُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَاءً . . . أَذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَقَتَلَ
وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، قَتَلَهُ الْعَاصُ بْنُ سَعِيدٍ) .

(و) الثالث : (ابن البُكير) بوزن الزُّبير ، واسمه :
(عاقل) والبكير : هو ابن عبد ياليل الليثي ، حليف
بني عديّ بن كعب ، وكان عاقل من السابقين الأولين .
عاقل بن عبد ياليل
الليثي

قال الحافظ : (شهد بدرًا هو وإخوته إياس ، وخالد ،
وعامر ، واستشهد عاقل ببدر) قاله موسى بن عُقبة ، وابن
إسحاق ، وغيرهما .

وقوله : (الشاصي) أي : الميت ، يقال : شَصَى الميت
شُصِيًّا : ارتفعت يده ورجلاه .

(و) الرابع : (ذو الشمالين) عُمير بن عبد عمرو بن
نضلة الخزاعي ، حليف بني زُهرة ، وهو غير ذي اليمين
الخرباق بن عبد عمرو السُّلمي ، صاحب حديث : (أَقْصُرَتْ
ذو الشمالين عمير بن
عبد عمرو

وَأَثْنَانِ لِلأَوْسِ ابْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ مُبَشِّرُ سَعْدِ ابْنِ خَيْثَمَ الْجَرِي

الصلاة ؟) ؛ لَأَنَّ ذَا الشَّامِلِينَ اسْتَشْهَدَ بِبَدْرِ ، وَحَدِيثَ السَّهْوِ
حَضَرَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَإِسْلَامُهُ تَأَخَّرَ عَنْ بَدْرِ بَسْتِ سَنِينَ .

(و) الخَامِسُ : (مِهْجَع) بوزن مِثْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ ؛ فَلِذَا أَضَافَهُ إِلَى قَوْلِهِ : (عُمَرُ) .
مهجع مولى عمر بن
الخطاب أول قاتل من
المسلمين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (وَقَدْ رُمِيَ مِهْجَعُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ بِسَهْمٍ فَقُتِلَ ، فَكَانَ أَوَّلَ قَاتِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

وَقَالَ السَّهَيْلِيُّ : (أَوَّلَ قَاتِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَارِثَةُ بْنُ
سُرَاقَةَ) .

وَالسَّادِسُ : (صَفْوَانُ بِيضَاءَ) بِحَذْفِ حَرَفِ الْعَطْفِ
(الَّذِي بِهَا) أَيُ : بِيضَاءُ أُمِّهِ ؛ أَيُ : بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهَا ، يَتَعَلَّقُ
بِقَوْلِهِ : (اشتهر) فَقِيلَ : صَفْوَانُ بْنُ بِيضَاءَ ؛ يَعْنِي : إِنَّمَا
نُسِبَ لِأُمِّهِ لِذَلِكَ ، لَا لِكَوْنِهِ لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ ، وَإِلَّا . . فَأَبُوهُ
- كَمَا فِي « الْإِسْتِيعَابِ » - وَهَبُ بْنُ رِبِيعَةَ ، وَأَخُوهُ سَهْلٌ
وَسُهَيْلُ ابْنَا وَهَبٍ ، الْمَعْرُوفُونَ بِبَنِي الْبِيضَاءِ ، أَمَّا سُهَيْلُ . .
فَهَاجَرَ الْهَجْرَةَ الْأُولَى إِلَى الْحَبْشَةِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ صَفْوَانَ ،
وَأَمَّا سَهْلُ . . فَتَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ عَنْ بَدْرِ ، وَاسْمُ أُمِّهِمُ الْبِيضَاءُ
دَعْدُ .

صفوان بن بيضاء

(وَاثْنَانِ) مَمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَنَسُوبَانِ (لِلأَوْسِ) :

الأَوَّلُ : (ابْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ) وَاسْمُهُ : (مُبَشِّرُ) مِنْ

بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

مبشر بن عبد المنذر

وَسِتَّةُ الْخَزَرَجِ هُمْ يَزِيدُ عَوْفٌ مُعَوِّذٌ أَخُوهُ الصَّيْدُ

والثاني : (سعد بن خَيْم)^(١) بوزن جعفر ، من بني عمرو بن عوف أيضاً ، وحذفت التاء من خيثم للضرورة (الجري) الشجاع ، تتميم حذفت منه الهمزة للوزن .

يزيد بن الحارث

(وستة الخزرج هم يزيد) بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الحارث بن الخزرج ، قتله طعيمة بن عدي ، والثاني منهم : (عوف) .

عوف وأخوه معوذ ابنا رفاعه

والثالث : (معوذ) بفتح الواو المشددة (أخوه) لأنهما ابنا الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وأخوه معاذ أيضاً ، قال أبو عمر : (وسمى بعضهم عَوْفاً عَوْذاً بالذال ، وعوف أكثر) كذا قال ، وذكر في « الإصابة » عن ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عاصم بن عُمر بن قتادة ، قال : لَمَّا التَقَى الناس يوم بدر ، قال عوف بن عفراء : يا رسول الله ؛ ما يُضحكُ الربَّ من عبده ؟ قال : « أن يراه قد غَمَسَ يده في العدوَّ حاسراً » فتزع عوف دِرْعَه ، وتقدم فقاتل ، حتى قتل شهيداً ، رضي الله عنه) .

وقوله : (الصَّيْد) جمع أصيد : وهو اسم من أسماء السبع ، شبههم به لشجاعتهم .

(١) قال الحافظ : (يكنى أبا خيثمة ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، ذكره ابن إسحاق وغيره) وقال ابن إسحاق في « المغازي » : (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء على كلثوم بن الهدم ، وكان إذا خرج من منزله . . . جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وكان يقال له : بيت العزاب ، واختلف في قاتله ، ف قيل : طعيمة ، وقيل : غيره) اهـ

حَارِثَةُ وَأَبْنُ الْمُعَلَّى رَافِعٌ ثُمَّ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الثَّانِعُ

والرابع : (حارثة) بن سُرَاقَة بن الحارث بن عديّ بن مالك بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار . قال في « الإستيعاب » : (رماه حبان بن العرقة بسهم ، وهو يشرب من الحوض ، وكان خرج نظاراً ، فأصاب حنجرته فمات وجاءت أمه الرُبُيع - بالتصغير - بنت النضر ، عمة أنس بن مالك فقالت : يا رسول الله ؛ قد علمت موضع حارثة مني ، فإن يكن في الجنة . . أصبر ، وأَحْتَسِب ، وإن يكن غير ذلك . . فسترى ما أصنع ، فقال : « أَوْجَنَّة واحدة هي ؟ ! إنما هي جنات ، وإنَّ ابنك فيها لفي الفردوس ») .

قال الناظم في « عمود النسب » :

حارثة البرُّ^(١) رأى جبريلاً

مع النبيّ ووَعَى تَرتيلاً

(١) قوله : (البر) كذلك سماه صلى الله عليه وسلم ، فروى النسائي من طريق الزُّهري عن عروة عن عائشة عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة فسمعت قراءة ، فقلت : « من هذا ؟ » فقيل : حارثة بن النُّعْمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلك البر » وكان برّاً بأمّه .

وقال في « الإصابة » : (روى الإمام أحمد ، والطبراني من طريق الزُّهري ، أخبرني عبد الله بن عامر عن حارثة بن النُّعْمان قال : مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل جالس في المقاعد ، فسلمت عليه ، فلمّا رجعت . . قال : « هل رأيت الذي كان معي » قلت : نعم ، قال : « فإنّه جبريل وقد ردّ عليك السَّلام » إسناده صحيح) . وذكره موسى بن عقبة ، وابن سعد فيمن شهد بدرًا ، فقيل : إنّه توفي في خلافة معاوية كما ذكره في « الإستيعاب » عن خليفة ، ولم يذكره الناظم هنا ؛ وإنّما ذكرته للتنبيه على أنّه بصري ، وإنّه غير ابن سُرَاقَة ، ولكون الناظم في « عمود النسب » ربط بينهما . اهـ

.....

في جنة الخلد له النبيُّ

وهكذا سَمِيَهُ الأَبِيُّ

حارثة القَتِيلُ بعد مَهْجَع

وَأُمُّهُ عَلَيْهِ ذَاتُ جَزَعٍ

(و) الخامس : (ابن المُعَلَّى) بن لَوْذَان بن حارثة بن

رافع بن المعلّى

عديّ بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد بن

حارثة بن مالك بن عضب بن جُشَم بن الخزرج ، واسمه :

(رافع) قتله عكرمة .

(ثَمَّ) السادس : (عُمَيْر) بالتصغير (بن الحُمَام) بوزن

عمير بن الحمام

غُرَاب ، كما في « الإصابة » وبوزن سَحَاب كما في « روض

النهاة » والميم مخففة على كل ، وهو ابن الجَمُوح بن زيد بن

حَرَام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلَمَة الأنصاريّ ،

السلمي ، قتله خالد بن الأعلم .

قال ابن إسحاق : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذي نفسي بيده ، لا يقاتُلُهُمُ اليومَ رجلٌ فيقتلُ صابراً ،

محتسباً ، مقبلاً غير مدبر . . إلّا أدخله الله الجنة » فقال عُمَيْرُ

أخو بني سَلَمَة وفي يده تَمَرَات يَأْكُلُهُنَّ : بَخِ بَخِ ، فما بيني وبين

أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء ، فقذف التمر من يده ،

وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتِل وهو يقول :

رَكُضاً إلى الله بغير زادٍ

إِلّا التَّقَى وعمل المعادِ

والصبر في الله على الجهاد »

لِرَبِّهِ وَهُوَ يَقُولُ أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ جَنَّةٍ إِلَّا الْحِمَا

وإلى هذا أشار بقوله : (النازع) أي : المشتاق (لربه) عزَّ وجلَّ (وهو يقول : أفما بيني وبين جنة إلا الحما) بكسر الحاء ؛ أي : الموت .

تنبيه :

في حديث « الصحيحين » : أنَّ هذه القصة كانت أيضاً يوم أحد ، لكن لم يسمَّ فيها عمير ولا غيره ، فالله أعلم ، كذا في « الروض » للسهيلى ، قال في « الفتح » : (الذي يظهر أنَّهما قصتان وقعتا لرجلين) والله أعلم .

تكملة :

علم ممَّا تقدم : أنَّ عدد الشهداء البدرِيِّين أربعة عشر ، واقتصر الناظم عليهم ، ولم يذكر أسماء من حضر بداراً ، غير من استشهد فيها ، وقد استوفى ذلك كلُّه اليَعْمَرِيُّ في « العيون » ومن قبله ابن إسحاق ، وسرد أسماء من شهدها من المهاجرين ، ثمَّ من الأنصار ثمَّ قال : فجميع من شهد بداراً من المهاجرين والأنصار من شهدها ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاث مئة رجل وأربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً ، وقد سردهم الحافظ ابن كثير في « البداية » مبتدأً بسيدهم وسيد ولد آدم سيدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم مرتباً على حروف المعجم فانظره .

التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين :

ولما فرغ المسلمون من بدر . . قدم زيد بن حارثة ،
وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما إلى المدينة مبشرين بسلامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصره ، وهزيمة
المشركين ، فتلقى الناس بالروحاء^(١) رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهتئين له بالفتح والنصر ، فدخلها منصوراً ، مؤيداً ،
مظفراً ، أعلى الله كلمته ، ومكّن له ، وذلك من ثنية الوداع يوم
الأربعاء ، الثاني والعشرين من رمضان ، وتلقاه الولاة
بالدفوف ينشدن :

دخول النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة
منتصراً مظفراً

طلع البدر علينا

من ثنات الوداع

وجب الشكر علينا

مادعا لله داع

وتهياً لسيدنا عمير بن عدي الأنصاري الخطمي أن يفي
بنذره فقد ذكر المقرئ في « إمتاع الأسماع » : (إنَّ عصماء
بنت مروان كانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وتحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، فنذر عمير بن
عدي : لئن ردَّ الله رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى
المدينة . . ليقتلنَّها ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفاء عمير بن عدي
الأنصاري بنذره في قتل
عصماء بنت مروان

(١) الروحاء : هي المعروفة اليوم ببئر الراحة .

من بدر إلى المدينة جاءها عمير ليلاً حتى دخل عليها بيتها ،
وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها ،
فجسّها بيده ، وكان ضرير البصر ، ونحّى الصبي عنها ووضع
سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، وأتى وصلى الصبح
مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلمّا انصرف . . نظر إليه
وقال : « أقتلت ابنة مروان ؟ » قال : نعم يا رسول الله ، قال :
« نصرت الله ورسوله يا عمير » فقال : هل عليّ شيء من شأنها
يا رسول الله ؟ فقال : « لا يتطّح فيها عتران^(١) » فكانت هذه
الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقال لأصحابه : « إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله
ورسوله بالغيب . . فانظروا إلى عمير بن عدي » فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه : انظروا إلى هذا الأعمى الذي تشرّى^(٢)
في طاعة الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تقل الأعمى ، ولكنه البصير » فلمّا رجع عمير . . وجد
بنينا في جماعة يدفنونها ، فقالوا : يا عمير ؛ أنت قتلتها ؟
قال : نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ، فوالذي نفسي
بيده ؛ لو قلتكم بأجمعكم ما قالت . . لضربتكم بسيفي هذا حتى
أموت أو أقتلكم ، فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطمة) .

* * *

(١) أي : لا يعارض فيها معارض .

(٢) أي : باع نفسه في طاعة الله تعالى .

ثناء رسول الله صلى الله
عليه وسلّم على عمير
لانتصاره الله ورسوله
صلى الله عليه وسلّم

(٦) غزوة بني سليم

(ف) بعد أن انتهى صلى الله عليه وسلم والصحب الكرام من بدر بسبع ليال ، كما جزم به ابن إسحاق . . خرج (لِسْلِيم) بضم المهملة ، وفتح اللام ، في مئتي رجل ؛ لما بلغه صلى الله عليه وسلم : أَنَّ جمعاً من بني سُليم و غَطَفَان ، بماء يقال له : (الكُدْر) بضم الكاف وسكون المهملة ، فأقام عليه - عليه الصلاة والسلام - ثلاثاً ، فلم يَلْقَ كيداً ، وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرة ليلة ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفطة ، وحمل اللّواء علي بن أبي طالب .

تاريخها

عدد المسلمين

تنبيه :

حامل اللّواء

جعل الناظم غزوة بني سليم غير غزوة قَرْقَرَة الكُدْر ؛ لما سيأتي فهما غزوتان ، تبعاً لأصله « العيون » وجعلهما صاحب « المواهب » غزوة واحدة ، وتبعه تلميذه الشامي .

(٧) غزوة بني قينقاع

(ف) بعدها خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت في نصف شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة (لـ) قتال بني (قَيْنَقَاع) بفتح القافين وسكون التحتية وتثنية النون ، والضم أشهر : بطن من يهود المدينة ، وهم رهط سيدنا عبد الله بن

تاريخها

هُمْ كَشَفُوا إِزَارَهَا عَنْ مُسْلِمَةٍ فَهَاجَ حَزْبُ بَيْنَهُمْ وَالْمُسْلِمَةُ

سلام رضي الله عنه ، قال السمهودي في « الوفاء » : (منازلهم عند جسر بطحان ممّا يلي العالية ، ولهم شجاعة) ولذا وصفهم بقوله : (المتصدّين) أي : المتعرضين (إلى القراع) بكسر القاف ؛ أي : المقارعة والمضاربة .

قال في « القاموس » : (قرع رأسه بالعصا : ضربه) .

سبب هذه الغزوة :

وسبب ذلك : نقضهم العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى ابن هشام : (أنّ امرأة من العرب قدمت بجلب لها من إبل ، وغنم ، وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ يهودي بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طَرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها ، فلمّا قامت .. انكشفت سوءُ ثوبها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع) .

وهذا هو مراد الناظم بقوله : (هم) أي : يهود بني قينقاع (كشفوا إزارها) أي : المسلمة ، فالضمير يعود على المجرور في قوله : (عن) امرأة (مسلمة) المتعلّق مع جاره بقوله : (كشفوا) .

.....

(فهاج حربُ بينهم) أي : اليهود (و) بين (المسلمة)

أي : المسلمين ، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما على هذا أقرنناهم » .

براءة عبادة بن الصامت من حلفهم :

وتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم ، وكان أحد بني عمرو بن عوف لهم من حلفه ، مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ ، فحلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ؛ أتولّى الله ورسوله ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ، وتشبّث به عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وقام دونهم ، وفيه نزلت : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصيبهم على ما أسرؤا في أنفسهم نادمين ﴿ إلى ﴿ فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

فجمعهم صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم : « يا معشر يهود ؛ احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة - أي : بدر - وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أنني نبيٌ مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم ، وعهد الله تعالى إليكم » قالوا : يا محمد ؛ إنك ترى أنا مثل قومك ، ولا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصةً ، إنا والله لو حاربناك لتعلمنّا أنا نحن الناس .

تحذير النبي صلى الله عليه وسلم اليهود من نقمة الله عز وجل

.....

حامل اللواء
والمستخلف على
المدينة المنورة

فتحصنوا في حصونهم ، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواءه بيد عمه حمزة رضي الله عنه ، واستخلف على المدينة أبا لبابة ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ، وكانوا أربع مئة حاسر ، وثلاث مئة دارع^(١) ، حتى نزلوا على حكمه .

قال ابن إسحاق : (فقام عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكن الله رسوله منهم ، فقال : يا محمد ؛ أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ؛ أحسن في موالي فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرسلني » وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى رأوا لوجهه ظلالاً^(٢) ، قال : « ويحك ! أرسلني » قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدوهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هم لك ») .

(١) الحاسر : الذي لا درع له ، والدارع : الذي له درع .

(٢) هكذا في نسخة الشيخ مصححاً عليه ، وفي غيرها : ظللاً جمع ظلة ، وقد تجمع فعلة على فعال ، كبرمة وبرام ، فمعنى الروايتين واحد ، والظلة : ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء ، وكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرقاً بتماماً ، فإذا غضب . . . تلون ألواناً ، فكانت حائلة دون الإشراق والضياء المنتشر عند تبسمه صلى الله عليه وسلم . اهـ قاله السهيلي في « الروض الأنف »

لَوْ آمَنْتَ مِنَ الْيَهُودِ كُلِّهَا زُهَاءُ عَشْرَةِ أَهْتَدَوْا لِأَجْلِهَا

إصرار اليهود على الكفر ، وعداوة المسلمين :

(لو آمنْتُ) برسول الله ، وبما جاء به من عند الله (من اليهود كُلِّها) بالمدينة (زُهَاء) بضم الزاي ؛ أي : قدر (عَشْرَة) بسكون الشَّين للوزن ؛ أي : من رؤسائهم ، أو من أحبارهم ، كما قاله الإمام النووي في « شرحه صحيح مسلم » ، وإلَّا . . . فَإِنَّهُ آمَنَ مِنَ الْيَهُودِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ عَلَى عَهْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام (اهْتَدَوْا) أي : اهتدى كل اليهود إلى الدخول في دين الله (لأجلها) أي : العَشْرَة المذكورين .

يشير الناظم بهذا إلى ما رواه الشيخان - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة مرفوعاً : « لو آمَنَ بِي عَشْرَة مِنَ الْيَهُودِ . . . لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ » .

بيان المقصود من الحديث الشريف « لو آمنَ بي عشرة من اليهود . . . »

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » نقلاً عما أخرجه ابن سعد في « شَرَفِ الْمُصْطَفَى » : (قال كعب : هم الذين سَمَّاهُمُ اللهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة ، وإلَّا . . . فقد آمنَ به أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ فِي الْيَهُودِ ، وَمِنْ عِدَاهُمْ كَانَ تَبَعاً لَهُمْ ، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وكان من المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة من بني النضير : أبو ياسر بن أخطب ، وأخوه حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، ورافع بن أبي الحُقَيْقِ .

المشهورون بالرئاسة من اليهود في عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن بني قَيْنُقَاع : عبد الله بن حنيف ، وفِنْحاص ،
ورفاعة بن زيد .

ومن بني قُرَيْظَةَ : الزُّبَيْر بن باطا ، وكعب بن أسد ،
وشُمَويل بن زيد ، فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم ، وكان كل
واحد منهم رئيساً في اليهود ، ولو أسلم . . لاتبَّعه جماعة
منهم ، فيحتمل أن يكونوا المراد .

وقد رَوَى أبو نعيم في « الدلائل » من وجه آخر الحديث
بلفظ : « لو آمن بي الزُّبَيْر بن باطا ، وذووه من رؤساء يهود . .
لأسلموا كلهم » اهـ منه

ثمَّ قال : وأخرج يحيى بن سلام في « تفسيره » من وجه
آخر عن محمَّد بن سيرين ، عن أبي هريرة هذا الحديث فقال :
(قال كعب : إِنَّمَا الحديث اثنا عشر ؛ لقول الله تعالى :
﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ ، فسكت أبو هريرة ، قال
ابن سيرين : أبو هريرة عندنا أولى من كعب ، قال يحيى بن
سَلَام : وكعب أيضاً صدوق ؛ لأنَّ المعنى عشرة بعد الاثنين ،
وهما عبد الله بن سلام ، ومخيريق كذا قاله) اهـ

فساد طبيعة اليهود ، وإفسادهم ، ووعيد الله لهم :

والحاصل :

اليأس من إيمان اليهود
وبيان خصائصهم
الدينية

أنَّ رسول الله عليه الصَّلَاة والسَّلَام أفادنا بذلك اليأس من
إيمان اليهود كلهم ، وأَنَّهُ لم يبلغ من آمن منهم ؛ أي : من

عَادُوا لِلْإِسَادِ فَعَادَ اللَّهُ وَقَيِّقَاعُ الْعَمَّةِ الْعِزَّةُ

رؤسائهم مبلغ العشرة ، وقد عُرف من عادة اليهود في معاملتهم المكر ، ونقضُ العهد ، والإصرارُ على العناد والباطل ، وتحريفُ ما أنزل الله على أنبيائهم ورسلمهم ، وتكذيبُ الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، وقتلهم بغير حق ، والإفساد في الأرض ، كما قال الناظم :

(عَادُوا لِلْإِسَادِ) بمقتضى اتصافهم بهذه الصفات الذميمة فأَصْرُوا على الكفر ، وإظهار آثاره ؛ فلذلك : عاملهم الله تعالى بالمثل ، بمقتضى العدل ، كما قال الناظم :

(فعاد الله) مشيراً إلى قوله تعالى في (سورة الإسراء) : ﴿ وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿ إِنَّ أَحْسَنَهُ أَحْسَنَتْهُ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَقُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوُا تَبَرًا ﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿ .

الآيات من سورة
الإسراء تتحدث عن
اليهود

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير في تفسير هذه الآيات : (يخبر تعالى : أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب ؛ أي : تقدم إليهم ، وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم ، أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ، ويعلمون علوًّا

تفسير ابن كثير للآيات
في سورة الإسراء عن
بني إسرائيل من اليهود

كبيراً ؛ أي : يَتَجَبَّرُونَ وَيَطْعَوْنَ ويفجرون على الناس .

وقوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا ﴾ أي : أولى الإفسادتين ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي : سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولى بأس شديد ؛ أي : قوة وعدة ، وسلطة شديدة ، ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ أي : تملكوا بلادكم ، وسلكوا خلال بيوتكم ؛ أي : بينها ووسطها ، وانصرفوا ذاهبين وجائين ، لا يخافون أحداً ، وكان وعداً مفعولاً .

واختلفوا في هؤلاء المسلطين عليهم : ف قيل : جالوت وجنوده ، سُلِّطَ عليهم أولاً ، ثُمَّ أُدِيلُوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ؛ ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وقيل : سنحارب وجنوده ، وقيل : بختنصر ملك بابل ، ثم قال : ﴿ إِنِ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ أي : فعلينا ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ وقوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ أي : الكرّة الآخرة ؛ أي : إذا أفسدتم الكرّة الثانية ، وجاء أعداؤكم ﴿ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ ﴾ أي يهينوكم ، ويقهروكم ، ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ أي : بيت المقدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي : في التي جاسوا فيها خلال الديار ﴿ وَلِيُتَبَرَّأُوا ﴾ أي : يدمروا ويخربوا ﴿ مَا عَلَوْا ﴾ أي ما ظهروا عليه ﴿ تَنْبِيْرًا ﴾ عسى ربكم أن يرحمكم ﴿ فيصرفهم عنكم ﴾ ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ أي : متى عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدالة عليكم في الدنيا ، مع ما ندّخره لكم في الآخرة

أَوَّلُ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودَا وَأَبْنُ أَبِي سَالٍ الْقُرُودَا

من العذاب والنكال ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ أي : مستقراً ، محصراً ، وسجناً لا محيد لهم عنه .

قال قتادة : قد عاد بنو إسرائيل ، فسلط الله عليهم هذا الحي ، محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يأخذون منهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) اهـ

بنو قينقاع أول من غدر من اليهود :

(وَقَيْنِقَاعُ) من يهود المدينة (الْعُمَّةُ) بضم العين وتشديد الميم المفتوحة ، جمع عَمِه : بكسر الميم المخففة وعامه ، وهو المتحيز في أودية الضلال ، لا يعرف له جهة (العزاهُ) جمع عزه بالكسر وككتف : اللثيم ، صفة ثانية لقينقاع الواقع مبتدأ ، وخبره قوله : (أَوَّلُ مَنْ غَدَرَ مِنْ يَهُودَا) وذلك بعد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه بينه وبينهم ، يؤمنهم فيه على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، وقوله عليه الصلاة والسلام لهم وهم مجتمعون بسوق بني قينقاع كما تقدم : « يا معشر يهود ؛ احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النِّقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » وإجابتهم بما تقدم ذكره عنهم قَبَّحَهُمُ اللهُ .

قال الحافظ اليعمرى في « عيون الأثر » عن ابن إسحاق : (فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم :

نَبَيْنَا وَهُمْ أَسَارَى سَطَوْتَهُ فَأُطْلِقُوا وَطُرِدُوا مِنْ طَبِئَتِهِ

﴿ قُلْ لِلذِّبِكِ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ
الْمِهَادُ ﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَا ﴿ أَي : أصحاب بدر
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش ﴾ فَبِمَا تَقَاتِلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَى الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بَصَرِيهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنهم كانوا أول
يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ ، فحاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه (اهـ

إلحاح رئيس المنافقين في إطلاق بني قينقاع :

(و) عبد الله (ابن أبي) ابن سلول - هذه أمه ، وأبوه
أبي ، ولذلك يكتب (ابن سلول) بالألف وإن كان بين
علمين ؛ لأنَّ سلول لم يكن أبا لأبي ، كما قرَّر ذلك في محله -
(سأل القرودا) أي : سأل عبد الله المذكور لأجل القروود
إخوانه بني قينقاع ، سمَّاهم قروداً جمع قرد ؛ لأنه أخس
الحيوانات وأقبحها ؛ أو لأنَّ طائفة من بني إسرائيل إخوانهم
مسخوا قردة ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ،
﴿ وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ .

(نَبَيْنَا) صلى الله عليه وسلم مفعول سأل (وهم) أي :
والحال أنَّ أولئك اليهود (أسارى) بضم الهمزة ، جمع أسير
(سطوته) وقهره ؛ أي : سأله أن يطلقهم له من الأسر ، وكان

إجلاء يهود بني قينقاع
إلى أذرعات

عَرَفَ من عاداته صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا
أَعْطَاهُ (فَأُطْلِقُوا وَطُرِدُوا مِنْ طَيِّبَتِهِ) إِلَى أَذْرَعَات ، وَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « خَلُّوهُمْ لَهُ ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَعْنَهُ مَعَهُمْ »
وَتَرَكَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ
عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، فَلَحَقُوا بِأَذْرَعَات ، فَمَا كَانَ أَقْلَ بَقَاءَهُمْ
بِهَا .

فائدة :

سبب تسمية المدينة
المنورة (طيبة)
المدينة المنورة تنفي
الخبث

طَيِّبَةٌ : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ
لِكَمَالِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنِ الْأَسْمِ وَالْمَسْمُومِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ بِأَنَّهُ يَنْصَعُ طَيِّبُهَا وَتَنْفِي الْخَبْثِ كَمَا يَنْفِي الْكِبَرِ خَبْثُ
الْحَدِيدِ ، وَالْمَشَاهِدَةُ لِمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ عَلَى
ذَلِكَ ، وَلَقَدْ صَدَّقَ وَاللَّهُ الْقَائِلُ حَيْثُ يَقُولُ :

بَطْيِيَّةَ عَرَّجَ إِنَّ بَيْنَ قِبَابِهَا
حَيِّباً لِأَدْوَاءِ الْقُلُوبِ طَيِّبُ
إِذَا لَمْ تَطْبُ فِي طَيِّبَةٍ عِنْدَ طَيِّبٍ
بِهِ طَيِّبَةٌ طَابَتْ فَأَيْنَ تَطْيِبُ ؟

عَزَاهُ أَبُو سَالِمٍ الْعِيَّاشِيُّ فِي « رَحْلَتِهِ » إِلَى الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
الشَّيْخِ خَيْرِ الدِّينِ ، مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ الَّذِينَ أَخَذَ
عَنْهُمْ ، قَالَ الْعِيَّاشِيُّ : وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَقُلْتُ :

بَطْيِيَّةَ طَابَ الطَّيِّبُونَ لِطَيِّبِهَا
بِأَطْيَبِ طَيِّبٍ لِمَطْيَبِ

وفي بعض الأخبار عن كعب الأخبار قال : (إِنَّا نَجِدُ فِي
التوراة : يقول الله للمدينة : « يا طيبة ، يا طابة ، يا مسكينة ؛
لا تقبلي الكُنوز ، ارفعي أجاجيرك على أجاجير القرى »)^(١) .
وكانت تسمى قبل ذلك بيثرب ، اسم رجل من العماليق
أول ما نزلها ؛ ولما في هذا الاسم من التشريب نهى الشارع عن
هذه التسمية ؛ إذ لا يليق بها ذلك .

وأما قوله تعالى في (سورة الأحزاب) : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَافِيَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ . . فذلك حكاية عن طائفة من
المنافقين قالت : يا أهل يثرب ؛ لا مُقَامَ لَكُمْ ، فنبه بما حكى
عنهم ، أَنَّهُمْ قد رغبوا عن اسم سَمَّاها الله به ، وأبوا إلا ما كانوا
عليه في جاهليتهم ، والله تعالى سَمَّاها المدينة ، فقال غير حاك
عن أحد : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾
الآية .

وقد ذكر العلامة البركة العارف بالله عزَّ وجلَّ ، الشيخ
محمَّد بن عبد رب النبي الأنصاري القشاشي كثيراً من أسماء
المدينة ، في مؤلفه المسمى « الدرَّة الثمينة فيما لزائر المدينة »
فانظره .

(١) جمع إجار ، بكسر الهمزة فتشديد الجيم بلغة أهل الشام والحجاز : هو سطح ليس حواليه
ما يرد الساقط عنه ، وفي الحديث : « من بات على إجار . . فقد برئت منه الذمة » وفي
حديث محمَّد بن مسلمة : (فإذا جارية من الأنصار على إجار لهم) اهـ « نهاية »

وَمِنْهُمْ الشَّاهِدُ عَبْدُ اللَّهِ نَجُلُ سَلَامٍ الْعَظِيمِ الْجَاهِ

إسلام عبد الله بن سلام :

(ومنهم) من يهود بني قينقاع (الشاهد) المعْنِي في الآية
الآتية (عَبْدُ اللَّهِ نَجُل) أي : (سَلَام) بتخفيف اللام ، ابن
الحارث الإسرائيلي ، ثُمَّ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ (الْعَظِيمُ الْجَاهِ)
والقدر .

قال الإمام النووي في « التهذيب » : (وهو من ولد
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم ، وكان اسمه في الجاهلية حُصَيْنًا ، فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم : عبد الله ، أسلم أولَ قدوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وذلك : أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . . أَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ
عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ
طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ ، أَوْ إِلَى
أُمِّهِ ؟ قَالَ : « أَخْبَرَنِي بِهَا جَبْرِيلُ آنَفًا » قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : ذَلِكَ
عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، قَالَ : « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ :
فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ
أَهْلُ الْجَنَّةِ : فَزَائِدُ كَبِدِ الْحَوْتِ ، وَأَمَّا الْوَلَدُ : فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ
الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ . . نَزَعَ الْوَلَدُ^(١) ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءُ
الرَّجُلِ . . نَزَعَتِ الْوَلَدَ » قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ

المسائل الثلاث التي
دَلَّتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ
عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) بالنصب على المفعولية ؛ أي : جذبه إليه .

إعلان عبد الله بن سلام
إسلامه في مواجهة
اليهود

بُهِت^(١) ، فاسألهم عني قبل أن تعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَيُّ رَجُلٍ عبد الله بن سَلَامٍ فيكم ؟ » قالوا ؛ خيرُنا ، وابن خيرِنا ، وأفضلُنا وابن أفضلنا ، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عبد الله بن سَلَامٍ ؟ » قالوا : أعاذه الله من ذلك ، فأعاد عليهم ، فقالوا : مثل ذلك . فخرج إليهم عبدُ الله فقال : أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله . قالوا : شَرُّنا وابن شَرِّنا ، وتنقَّصوه ، قال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله (هكذا رواه الإمام البخاري في « صحيحه » في (باب هجرته عليه الصَّلَاة والسَّلَام وأصحابه إلى المدينة) .

ووصفه الناظم بعظم الجاه والمنزلة ؛ لأنَّه كان كذلك في قومه ، وبعد إسلامه عند المسلمين أيضاً ، ونزل في فضله قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءُ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَكَرَّتُمْ عَنْهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ .

قال في « التهذيب » : (رُوي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون حديثاً ، اتفقا على حديث ، وانفرد البخاري بآخر ، روى عنه ابنه مُحَمَّد ، ويوسف ، وروى عنه

(١) بضم الباء الموحدة والهاء ، ويجوز إسكانها على القاعدة المعروفة ، جمع : بهيت ، كقلب وقلب ، وقضيب وقضب : وهو الذي يبهت السامع بما يفترى عليه من الكذب .

فَغَزَوْهُ السَّوِيقَ فِي إِثْرِ أَبِي سُفْيَانَ أَنْ حَرَّقَ نَخْلَ يَثْرِبَ

أيضاً أبو هريرة ، وأنس ، وعبد الله بن مُغَفَّل المزني ، وكذا جماعات من التابعين ، وشهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية .

مرويات عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

روينا في صحيحي « البخاري » و« مسلم » عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحَيٍّ يمشي على الأرض : « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ الآية .

شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن سلام بالجنة

وتوفي سنة (٤٣) بالمدينة المنورة ، ومناقبه كثيرة مشهورة) .

وفاته رضي الله عنه



(٨) غزوة السويق

السويق : هو قمح أو شعير يُقْلَى ، ثم يطحن ، فيتزود به ملتوثاً بماء أو سمن أو عسل ، سميت الغزوة بذلك لما سيأتي ، وكانت في ذي الحجة ، يوم الأحد لخمس خلون منها ، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة ، فهي بعد غزوة بني قينقاع ؛ فلذلك قال : (فغزوة السويق) .

تاريخها

خرج صلى الله عليه وسلم في مئتين من المهاجرين والأنصار (في إثر) بكسر الهمزة (أبي سفيان) ومعه مئتان من قريش ، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر

عدد المسلمين
خليفة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة

وَعَالَ نَفْسَيْنِ وَكَانَ آلِيْ لَا يَقْرَبُ النِّسَاءَ أَوْ يَنَالَا

(أَنْ) بفتح الهمزة ؛ أي : لأجل أَنَّهُ (حَرَقَ) بالتخفيف سبها للراء ، وبالتشديد مبالغة ، وضميره يعود على أبي سفيان (نخل يثرب ، وغال) أي : قتل (نفسين) على حين غفلة ، أحدهما : معبد بن عمرو من الأنصار ، كما حكاها الشامي عن «الإمتاع» ، ولما فعل ذلك أبو سفيان . . رأى أن قد انحلت يمينه (وكانَ آلِيْ) من الإيلاء ؛ أي : حلف أَنَّهُ لا يَقْرَبُ النساء (كناية عن عدم وطئهنَّ) (أو) أي : حتى (ينالا) غرضه من الأخذ بثأر المشركين الذين قتلوا ببدر ، والألف للإطلاق .

نذر أبي سفيان أن يغزو
النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

وهذا الذي في النظم لازم قول أبي سفيان ، كما في «ابن إسحاق» قال : (لما رجع أبو سفيان إلى مكة ، ورجع فل^(١)) قریش من بدر . . نَذَرَ أَلَّا يَمَسَّ رَأْسَهُ ماء من جنابة حتى يغزو محمّداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مئتي راكب من قریش ، لِيَبْرَّ يَمِينَهُ ، فَسَلَكَ النُّجْدِيَّةَ حَتَّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاة^(٢) ، إلى جبل يقال له : نَيْب^(٣) من المدينة على بريد أو نحوه ، ثُمَّ

اجتماع أبي سفيان
بزعماء اليهود للتآمر
على المسلمين

(١) بقاء مفتوحة ، فلام مشددة : القوم المنهزمون .

(٢) بفتح القاف وخفة النون : واد بالمدينة .

(٣) قال الزرقاني : (بنون فتحية فموحدة ، قال البرهان : كذا في نسخة - أي : من «العيون» وأصولها - ولم أره ، فلعلّه تصحيف ينب بفتح التحتية ، بوزن يغيب : جبل بالمدينة ، ذكره في «القاموس» أوتيت بفوقيتين أولاهما مفتوحة بينهما تحتية ساكنة أو مشددة ، كميت وميت : جبل قرب المدينة ، ذكره في «الذيل» و«القاموس») اهـ ملخصاً والذي يظهر : أنَّ ذا الأخير هو المراد بقوله : (على بريد ونحوه من المدينة) لأنَّ الرسم لا يخالفه ، ينب الذي يزنة يغيب . اهـ

وَكَانَ يُلْقِي جُرْبَ السَّوِيقِ مَخَافَةَ اللَّحُوقِ فِي الطَّرِيقِ

خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حَيَّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه فخافه ، ولم يفتح له الباب ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منهم يقال لها : العُريض^(١) ، فحرقوا في أصوار^(٢) من نخل بها ووجدوا بها رجالاً من الأنصار ، وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر^(٣) بهم الناس ؛ أي : علموا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم) .

(وكان) أبو سفيان حين انصرف راجعاً لمكة (يُلْقِي) أي : يطرح بالأرض (جُرْبَ السويق) بضمتين : جمع جراب ككتاب وكتب : الوعاء ، وكان ذلك عامة أزوادهم ؛ وإنما فعل ذلك (مخافة) أي : لأجل خوف (اللحوق) أي : أن يلحقه (في الطريق) من نُصِرَ بالعرب صلى الله عليه وسلم ، فأخذها المسلمون .

(١) بزنة حسين مصغراً : واد بالمدينة .

(٢) جمع صور : نخل مجتمع .

(٣) بفتح النون وكسر الذال المعجمة .

فُسِّمَتْ بِذَلِكَ ثُمَّ بَعْدَهَا قَرْقَرَةُ الْكُذْرِ لِقَوْمٍ عِنْدَهَا

أول عيد ضحى فيه
النبي صلى الله عليه
وسلم

(فُسِّمَتْ) الغزوة من أجل هذا (بذلك) أي : بغزوة
السَّوِيق ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وصلى صلاة
الأضحى بالمصلّى ، وضحى ، وهو أول عيد ضحى فيه النَّبِيُّ
صلى الله عليه وسلم ، وكانت غيبته خمسة أيام ، وقال
المسلمون حين رجعوا : يا رسول الله ؛ أطمع أن تكون لنا
غزوة ؟ قال : « نعم » .



(٩) غزوة ذي قرقرة

بفتح القافين ، وحكى ضمها ، قال الدميري ، كما في
« شرح المواهب » : والمعروف فتحهما ، قال ابن سعد :
ويقال : قَرارة الكُذْر . وفي « الصَّحاح » : قُراقِر ، بضم
القاف : اسم ماء ، ومنه : غزاة قُراقِر ، ففيها ثلاثة أوجه .

كانت في نصف المحرم ، على رأس ثلاثة وعشرين شهراً
من مهاجره ، كما ذكره في « العيون » عن ابن سعد ؛ فهي بعد
غزوة السَّوِيق ؛ فلذا قال الناظم : (ثُمَّ بَعْدَهَا قَرْقَرَةُ الْكُذْرِ)
وبهذا ترجمها اليَعْمَرِيُّ في « العيون » والسهيلي .

تاريخها

والقرقرة : أرض ملساء ، والكُذْر : طير في ألوانها
كُذرة ، عُرف بها ذلك الموضع الذي هو قَرْقَرَة ؛ لاستقرار هذه
الطيور به ، ويقال : قرقرة الكُذْر : ماء لبني سُليم ، وغَطَفَان ،
وهم المراد بالقوم في قوله : (لقوم عندها) .

معنى (قرقرة الكدر)

الخليفة على المدينة

قال في « العيون » : (ولمَّا بلغه صلى الله عليه وسلم أنَّ
بهذا الموضع جمعاً من بني سُليم ، وغطفان . . استخلف على
المدينة سيدنا عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ، وسار
إليهم ، وحمل لواءه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ،
فلم يجد في المحال^(١) أحداً ، وأرسل نفرأ من أصحابه في
أعلى الوادي ، واستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بطن الوادي ، فوجد رعاء^(٢) ، منهم غلام يقال له : يسار ،
فسأله عن الناس فقال : لا علم لي بهم ، إنما أُورِد
الخِمس^(٣) ، وهذا يوم رباعي ، والناس قد ارتفعوا في المياه ؛
ونحن عزاب في الغنم .

حامل اللواء

تبعه لأخبار العدو

الغنائم التي ظفر بها
المسلمون

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعَم ،
فانحدر به إلى المدينة ، واقتسموا غنائمهم بصرار^(٤) ، على
ثلاثة أميال من المدينة . وكانت النعم خمسمئة بعير ، فأخرج
خُمسَه ، وقَسَم أربعة أخماسه على المسلمين ، فأصاب كلَّ
رجل منهم بعيران ، وكانوا مئتي رجل ، وصار يسار في سهم

(١) بفتح الميم وتشديد اللام جمع محلة : منزل القوم .

(٢) بالكسر : جمع راع .

(٣) بكسر المعجمة من إظماء الإبل ؛ أي : ترعى ثلاثة أيام ، وترد اليوم الرابع .

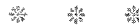
(٤) قال الزرقاني : (بكسر المهملة ، وراء مهملة مخففة ، فألف فراء ثانية ، كما قيده

الدارقطني وغيره ، ووقع للحمودي والمستملي : بضاد معجمة ، وهو وهم كما في

« المطالع » : موضع قريب من المدينة ، وقيل : بئر قديمة ، على ثلاثة أميال منها ، من

طريق العراق) اهـ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْتَقَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَاهُ يَصَلِّي ،
وَغَابَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً) .
قال السُّهَيْلِيُّ : (وقد كان عُمرُ بن الخطاب رضي الله عنه
يذكر مَسِيرَهُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ،
فقال لعُمران بن سَوادة ، حين قال له : إن رَعَيْتَكَ تشكو منك
عُنْفَ السَّيَاقِ ، وقَهْرَ الرِّعْيَةِ ، فَذَقْنِ عَلَى الدَّرَةِ^(١) وجعل يمسح
سُيُورَهَا ، ثُمَّ قال : قد كنتُ زميلَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قَرْقَرَةِ الكُدْرِ ، فكنت أُرْتَعِ فأشْبِعُ^(٢) ، وأسْقِي
فأُرْوِي ، وأكْثِرُ النَّجْرَ^(٣) ، وأُقْلِلُ الضَّرْبَ ، وأرْدُ العَنُودَ^(٤) ،
وأزْجِرُ العَرُوضَ ، وأضْمُ اللَّفُوتَ^(٥) ، وأشْهَرُ بالعَصَا ،
وأضرب باليد ، ولولا ذلك .. لأَعْدَرْتُ فَتَرَكْتُ^(٦)) يذكر
حسن سياسته فيما وَلِيَّ من ذلك .



- (١) ذَقْنٌ بالقاف والنون ، قال في « شرح القاموس » : (ذَقْنٌ على يده أو على عصاه : وضع ذقنه عليها وانكأ ، وفي حديث : فوضع الدرة ، ثُمَّ ذَقْنٌ عليها ، وفي رواية : فذَقْنٌ بسوطة يستمع ، والدرة بالكسر : التي يضرب بها ، عربية معروفة ، والجمع درر : نقول : حرمتني درك فاحممني دررك) اهـ
- (٢) أترْكُ الماشيةَ ترعى حيث شاءت .
- (٣) هو أن تضم في كفك برجمة الإصبع الوسطى ثُمَّ تضرب بها رأس أحد ، قاله في « القاموس » اهـ
- (٤) العنود : الخارج عن الطريق ، والعروض : المستصعب من الناس والدواب . اهـ « سهيلي »
- (٥) اللفوت بوزن صبور : العسر الخلق ، كما في « القاموس » .
- (٦) لأَعْدَرْتُ : لضيعت .

وَبَعْدَهَا ذُو أَمْرٍ وَعَظْفَانٌ كِلَاهُمَا تُدْعَى بِهِ وَتُسْتَبَانُ
لِغَظْفَانٍ وَجُمُوعٍ ثَعْلَبَةٍ جَمَعَهَا دُعُثُورٌ صَاحِبُ الطُّبَّةِ

(١٠) غزوة ذي أمر و غطفان

بفتح الهمزة والميم ، وشدّ الراء : موضع من ديار
غَظْفَان ، قاله ابن الأثير ، وَعَظْفَان ، بفتح المعجمة ، والطاء
المهملة : قبيلة من مُضَر ، قال الزُّرْقَانِي : (أُضِيفَتْ لَهَا
الغزوة ؛ لِأَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ الَّذِينَ قَصَدَهُمْ مِنْ غَظْفَان) .

قال في « المواهب » : (وَسَمَّاها الحاكم : غزوة أنمار ،
وهي بناحية نجد ، وكانت لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع
الأوّل ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة) فهي بعد
غزوة قرقرة الكُذْر .

موقعها

تاريخها

فلذا قال : (وبعدها ذو أَمْر) بتخفيف الراء للوزن
(و غطفان كلاهما) أي : الاسمين (تُدْعَى) بالبناء للمفعول ؛
أي : تسمى (به) هذه الغزوة (وَتُسْتَبَان) أي : تُعرف .

(لِغَظْفَان) يتعلق بقوله بعدُ : (جَمَعَهَا) ، وقوله :
(وَجُمُوعٍ ثَعْلَبَةٍ) بن سعد بن خَصَفَةَ أَخِي غَظْفَان بن سعد ،
مبتدأ خبره جملة : (جَمَعَهَا دُعُثُور) بضم الدال وسكون العين
المهملتين ، وهو ابن الحارث الغطفاني المحاربِي (صَاحِبِ
الطُّبَّة) بوزن ثُبَّة : حدّ السيف ، ويشير بهذا إلى سببها .

سبب هذه الغزوة :

وهو : أَنَّ دُعُثُوراً جَمَعَ الْجُمُوعَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةِ ، يريدون أن

وَهُوَ الَّذِي وَجَدَ خَيْرَ مُرْسَلٍ يُجِفُّ ثَوْبَيْنِ لَهُ بِمَعْزِلٍ

يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ بِلَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ . . نَدَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عِثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَهَبَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، فَأَصَابُوا رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ اسْمُهُ : جَبَّارٌ^(١) ، وَبِالْجِيمِ وَشَدَّ الْمَوْحِدَةَ ، فَأَدْخَلَهُ الصَّحَابَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ مِنْ خَبَرِ الْقَوْمِ ، وَقَالَ : لَنْ يَلَاقَوْكَ ، وَلَمَّا سَمِعُوا بِمُسِيرِكَ إِلَيْهِمْ . . هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَأَنَا سَائِرُ مَعَكَ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ ، وَضَمَّهُ إِلَى بِلَالٍ لِيُعَلِّمَهُ الشَّرَائِعَ .

إِسْلَامُ دَعَثُورِ بْنِ الْحَارِثِ :

(وَهُوَ) أَيُّ : دَعَثُورُ (الَّذِي وَجَدَ خَيْرَ مُرْسَلٍ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُجِفُّ) بِكَسْرِ الْجِيمِ ؛ أَيُّ : يُبَيِّسُ عَلَى شَجَرَةٍ (ثَوْبَيْنِ لَهُ بِمَعْزِلٍ) أَيُّ : بِمَوْضِعٍ بَعِيدٍ عَنْ أَصْحَابِهِ لِمَطَرِ أَصَابِهِمْ ، وَاضْطِجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَذَهَبَ كُلُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي شَأْنِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمِرْأَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا لِدَعَثُورٍ - وَكَانَ فِيهِمْ شَجَاعًا - : قَدْ انْفَرَدَ مُحَمَّدٌ ، فَعَلَيْكَ بِهِ ، فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ الظُّبَّةُ .

(١) - هذا هو الصواب ، خلافاً لمن قال : اسمه حبان ، كما ذكره في « شرح المواهب » .

فَسَلَّهَا وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَا فَصَدَّهُ جَبْرِيلُ عَمَّا اُنْتَهَكَا
وَفِيهِ اَوْ فِي غَوْرَثٍ اَوْ النَّضِيرُ ﴿اِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ اُنْزِلَتْ عَلَى الْبَشِيرِ

(فسَلَّهَا وقال من يمنعُكَا) مني اليوم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الله » (فَصَدَّهُ) أي : منعه (جبريل عَمَّا) أي : الحرمة التي (انتهكَا) أي : أراد أن ينتهكها ، بأن دفع في صدره ، فوقع السيف من يده ، فأخذه صلى الله عليه وسلم فقال : « من يمنعك مني ؟ » قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتَ رسول الله .

مواجهة دعثور رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهراً سيفه

استسلام دعثور وإعلانه الإسلام

قال في شرح « المواهب » : (وزاد ابن فتحون في الدليل : فأعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه ، ثم أقبل بوجهه فقال : أما والله لأنت خير مني ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أحق بذلك منك » ثم أتى قومه ، فقالوا له : مالك وملك ! فقال : نظرت إلى رجل طويل أبيض ، قد دَفَعَ في صدري ، فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، لا أَكْثِرُ عليه جمعاً ، فدعاهم إلى الإسلام) .

دعثور رضي الله عنه يحكي لقومه ما شهدته لدى عزمه وتمكنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفيه) أي : في دعثور ، على ما ذكره الواقدي وابن سعد وطائفة (أوفي غَوْرَثٍ أو) في (النَّضِير) قاله قتادة ومجاهد ، ف (أو) لتنوع الخلاف آية : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (اِذْ هَمَّ قَوْمٌ) اَن يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ ﴿ أَي : بالقتل ، والإهلاك ﴾ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاَنْقَاوُا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ اُنْزِلَتْ عَلَى الْبَشِيرِ) صلى الله عليه وسلم .

الخلاف في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ بُحْرَانَ إِلَى أُمِّ الْقُرَى أَوْ لِسَلِيمَ الْجَهْلَاءِ

وقيل كما في « شرح المواهب » : (أنزلت والمصطفى صلى الله عليه وسلم بعُصفان لما أراد المشركون الفتك بالمسلمين ، وهم في الصلاة ، فأنزل الله صلاة الخوف قال الْقُسَيْرِيُّ : وقد تنزل الآية في قصة ، ثم تنزل في أخرى ، لادِّكار ما سبق) .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق حرباً .
عودة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة



(١١) غَزْوَةُ بُحْرَانَ

بضم الموحَّدة ، وسكون المهملة ، فراء ، فألف ، فنون ، على المشهور ، وهو موضع بناحية الفُرع ، بضمّتين^(١) ، من المدينة ، وفيها عينان يقال لهما : الرِّبْض والنَّجف ، تسقيان عشرين ألف نخلة ، كانت لحمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، وكانت هذه الغزوة في السنة الثالثة ، لست خلونَ من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة ، كما قال ابن سعد .

وقال الناظم : (وبعدها) أي : ذي أَمَرَ (غزوة بحران) بالتنوين ؛ لأنَّه مصروف ، فخرج صلى الله عليه وسلم في ثلاث مئة من أصحابه الكرام بعد أن استعمل على المدينة ابن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة

(١) وأما بفتحيتين : فموضع بين الكوفة والبصرة ، هذا الصواب الذي نَبَّه عليه السهيلي وغيره .

.....

أُم مكتوم (إلى أُم القرى) يريد قريشاً عند ابن إسحاق (أو
لُسليم) يريدُها عند غيره ، وتسمى : غزوة بني سُليم أيضاً ،
بضم السين ، وفتح اللام ، قال في « شرح المواهب » : (لأنَّ
الذين اجتمعوا ، وبلغ خبرهم النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم منهم)
فـ (أو) في كلام الناظم لتنويع الخلاف .

عودة رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى
المدينة المنورة

ولمَّا سار صلى الله عليه وسلم إليهم . . وجدهم تفرَّقوا في
مياهمهم ، فرجع ولم يلق كَيْدًا ، وكانت غيبته عشر ليال ،
ووصفهم بقوله : (الجُهَّلا) لعدم إسلامهم إذ ذاك ، ثم وُفِّقوا
للإسلام بعدُ ، حتى كانوا من أكثر العرب إسلاماً ، وحتى غزت
مكة ألفٌ أو تسع مئة منهم ، مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ،
قاله في « روض النُّهاة » .



(١٢) غزوة أُحُد

خصائص جبل أُحُد

بضم الهمزة والحاء ، وبالدال المهملة ، مصروف ،
وأُحُد : جبل مشهور بالمدينة ، سُمِّيَ بذلك لتوحده وانقطاعه
عن جبال آخر هناك ، قال فيه صلى الله عليه وسلم ، كما
أخرجه الشيخان : « أُحُد جبل يُحِبُّنا ونُحِبُّه » وهذه المحبة
حقيقية ؛ فقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل ،
فقال لما اضطرب : « أَسْكُنْ أُحُد ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ،
وصدِّيق ، وشهيدان » فوضع الله الحب فيه ، كما وضع التسبيح

فَأُحِدْ بِرِبْحٍ عَيْرٍ صَخْرٍ تَأْهَبُوا لِيَتَرُوا مِنْ بَدْرِ

في الجبال مع داوود ، وكما وضع الخشية في الحجارة التي قال فيها : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ وكما حَنَّ الجِدْعَ لمفارقتة صلى الله عليه وسلم ، حتى سمع الناس حنينه ، فلا ينكر وصف الجماد بحب الأنبياء ، وقد سَلَّمَ عليه الشجر والحجر ، وسَبَّحت الحصاة في يده الشريفة ، وكَلَّمه الذراع ، إلى غير ذلك .

تاريخها

وكانت عند هذا الجبل هذه الواقعة سنة ثلاث من الهجرة في شوال ، يوم السبت ، لإحدى عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة ؛ فلذلك قال : (فَأُحِدْ) أي : بعد بُحْران غزوة أُحُد . (بِرِبْحٍ) بكسر الراء ، يتعلق بقوله : (تَأْهَبُوا) وهو مضاف إلى (عَيْرٍ) بكسر العين ، والمراد : التجارة التي تحملها العير ، وأضيف ذلك إلى أبي سفيان (صخر) بن حرب ؛ لأنه المَقْدَمُ فيهم إذ ذاك (تَأْهَبُوا) أي : أعدُّوا ذلك الربح (ليتروا) أي : ليأخذوا بثأرهم (من بدر) .

سبب هذه الغزوة :

وحاصل ما أشار إليه الناظم من سبب هذه الغزوة : ما ذكره ابن إسحاق بزيادة توضيح : أَنَّ قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكَّة وقد أُصيب أصحاب القَلْبِ ، ورجع أبو سفيان بغيره . . لم يكن شغلها الشاغل إلَّا الأخذ بالثأر من المسلمين :

فأبو سفيان ينذر أن لا يمس طيباً ، ولا يمس رأسه ماء من

.....

جناية حتى يغزو محمّداً ، وينال من المسلمين ما يشفي غليله ،
ويجهد أن يرسل البعوث والرسل تسير في بطحاء مكّة
ونواحيها ؛ للتحريض على مؤازرته ونصرته .

إعداد قريش للحرب

وعبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، في
جماعة ممّن قتل آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر يحثّون
إخوانهم على ذلك ويقولون : يا معشر قريش ؛ إنّ محمّداً قد
وترك ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربهِ
- ويعنّون عيرَ أبي سفيان ، أو من كانت له في تلك العير
تجارة^(١) - لعلّنا ندرك منه ثأرنا ، فأجابوا لذلك ، فباعوها ،
وكانت ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار^(٢) .

وأضّت سنةً كاملة تعدّ خيلها ورجلها ، وقضّها
وقضيضها ، وجدّها وحديدها ، ومن يتبعها من بني كنانة
وتهامة ، وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
يُغْلَبُونَ ﴾ .

فاجتمعت قريش ، ومن حالفها لحرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شوال من السنة الثالثة ، وكان سيدنا العباس
بمكّة على علم تام من هذه الحركات لقريش ، فكتب كتاباً يخبرُ

إبلاغ العباس رضي الله
عنه النّبيّ صلى الله عليه
وسلم عزم قريش لقتاله

(١) وكانت موقوفة بدار الندوة .

(٢) فسلموا إلى أهل العير رؤوس أموالهم ، وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم
لكل دينار ديناراً .

وَأَخْرَجُوا بِ (يَه) ظُعْنٍ وَهُمْ جِمْ أُلُوفٍ وَالْخِيُولُ لَهُمْ
رَاءٌ وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فَرَسٌ وَفِي زُرُوعٍ قَلِيلَةٍ إَحْتَبَسُوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم مع رجل من بني غفار ،
وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ، فقدم عليه
وهو بقباء ، فقرأه عليه أبي بن كعب ، واستكنم أبيتاً ، ونزل
صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع ، فأخبره بكتاب
العباس ، فقال : « والله ؛ إنني لأرجو أن يكون خيراً ،
فاستكنمته » .

العدد والكراع في الجيшин :

(وخرجوا) أي : المشركون (بـ (يَه)) أي : بهذا العدد
المشار إليه ، بالياء والهاء^(١) ، وذلك خمسة عشر من النساء ،
وهو المعني بقوله : (ظُعْن) : جمع ظعينة ، يقال للهودج ،
وللمرأة ما دامت فيه ، وإنما خرجوا بهنّ التماس الحفيظة^(٢) ،
وأن لا يَفِرُّوا (و) أمّا (هم) أي : الرجال من قريش
فـ (جِمْ أُلُوف) أي : ثلاثة آلاف عددهم ، كما جزم به ابن
إسحاق ، وتبعه اليعمري ، فيهم مئتا دارع ، (والخيول) :
جمع خيل لجماعة الأفراس ، ولا واحد له من لفظه ، (لهم)
أي : لقريش (راء) أي : مئتان (و) الحال أنّه (ما) أي :
ليس (للمسلمين فرس) واحد ، وقد جزم موسى بن عقبة

(١) بحساب الجمل ، فالياء بعشرة ، والهاء بخمسة ، وكذا الجيم بثلاثة ، والراء بمئتين .

(٢) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء ، قال السهيلي : (أي : الغضب للحرم) انظر في « سيرة
ابن إسحاق » أسماءهنّ .

وَقِيلَ : فِيهِمْ فَرَسٌ تَحْتَ أَبِي بُرْدَةَ التَّدْبِ وَأُخْرَى لِلنَّبِيِّ
وَقَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ خَيْرُ الْأُمَمِ أَنْ كَانَ فِي دُبَابٍ سَيْفِهِ ثَلَمَ

بذلك ، كما في « الفتح » وأما عدد من خرج معه صلى الله عليه وسلم فألف رجل ، كما عند ابن إسحاق (وفي زروع) يتعلق بقوله : (احتبسوا) وهو مضاف إلى (قَيْلَة) وهي أم الأوس والخزرج .

أم الأوس قيلة

قال الناظم في « عمود النسب » :

أَوْسٌ وَخَزَرْجٌ هُمُ الْأَنْصَارُ

وَقِيلَةُ أُمَّهُمْ وَاخْتَارُوا

(إحتبسوا وقيل فيهم) أي : المسلمين (فرس تحت أبي بُرْدَة) هانئ بن نيار (التَّدْبِ) أي : الظريف النجيب (و) فرس (أُخْرَى لِلنَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ في « الفتح » : (وقع في « الهدي » : أنه كان معهم خمسون فرساً ، وهو غلط بيّن ، وقد جزم موسى بن عقبة بأنه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل ، ووقع عند الواقدي : كان معهم فرس له عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، وفرس لأبي بُرْدَة) .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلها :

(وقد رأى) قبل هذه الواقعة ليلة الجمعة ، كما عند عقبة وابن عائد (في نومه) رؤيا (خيرُ الأمم) صلى الله عليه وسلم ، ورؤياه حق لا يتسلط عليها شيطان ، وهي : (أن)

رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق

وَأَنَّهُ أَذْخَلَ فِي دِرْعِ يَدِهِ وَيَقْرَأُ يُذْبَحُ أَيْضاً وَجَدَهُ
فَالْتَلَمُ الْعَمُّ وَأَمَّا الْبَقْرُ يُذْبَحُ فَهُوَ التَّقَرُّ الْمُعَقَّرُ
مِنْ صَحْبِهِ وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ أَذْخَلَ فِيهَا يَدَهُ الْمَدِينَةَ

بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة ؛ أي : أَنَّهُ (كان في ذُبَاب)
بضم الذال المعجمة : طَرَفَ (سيفه) أو حده (تَلَمَّ) : كَسَّرَ ،
وهو من باب ضرب ، وفرح .

قال في « روض النُّهاة » : (وهذا السيفُ هو ذو الفقار
بافتح ، سيف العاص بن منبّه ، الذي سُلِبَ منه يوم بدر ،
وكان هو والصَّمصامة سيفُ عمرو بن معد يكرب من حديدة
وُجِدت في أساس الكعبة ، ثُمَّ أعطاه صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا
رضي الله عنه) .

(و) رأى في منامه هذا أيضاً : (أَنَّهُ أَذْخَلَ فِي دِرْعِ)
حصينة (يَدِهِ) الشريفة (وَيَقْرَأُ يُذْبَحُ أَيْضاً وَجَدَهُ) صلى الله
عليه وسلم في منامه هذا .

تعبير رؤياه صلى الله
عليه وسلم

إذا سمعت ما تلوته عليك من الرؤيا ، وأردت تعبيرها حقاً
(فالتَّلَمُ) الذي رآه في السيف : (العم) فكان سيدنا حمزة بن
عبد المطلب استشهد فيها (وَأَمَّا الْبَقْرُ يُذْبَحُ فَهُوَ التَّقَرُّ) من
أصحابه صلى الله عليه وسلم يُقْتَلُونَ ، ووصفهم بقوله :
(المعَقَّرُ) وهو المضروب بالعَقَر ، وهو ظاهر التراب (من
صحبه) بيان للنفر ، وهو عدة رجال ، من ثلاثة إلى عشرة ،
ففيه مسامحة (وَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ) أي : المحكمة التي (أَذْخَلَ
فيها يَدَهُ) هي (المدينة) المنوَّرة .

.....

قال في « شرح المواهب » : (ووجه التأويل : أنهم كانوا
أشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وجعلوا فيها الآطام
والخُصون ، فهي حصن) .

وهذا المذكور في النظم من المرفوع ، قال ابن هشام :
(وحدّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : رأيت بقرأ لي تذيح ، قال : فأما البقر . . فهي ناس من
أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي . . فهو
رجل من أهل بيتي يقتل) .

استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في الخروج أو
البقاء بالمدينة :

قال ابن إسحاق : (قال : - أي : الرسول صلى الله عليه
وسلم - : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ،
فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .
وكان رأيي عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع رأي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، يرى ألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجل من المسلمين
ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد ، وغيره ممن كان فاته بدر :
يا رسول الله ؛ اخرج بنا إلى أعدائنا ؛ لا يرون أننا جبنًا عنهم
وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبيّ : يا رسول الله ؛ أقم بالمدينة ،
لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قطُّ إلا
أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم

وَأَسْتَكْرَهُوا خَيْرَ الْوَرَى فَأَخْرَجُوهُ وَبَعْدَ مَا أَسْتَلَّامَ فِيهَا أَسْتَبْطُوهُ

يا رسول الله ، فإن أقاموا . . أقاموا بشرٍّ مَحْبِس ، وإن دخلوا . . قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كما جَاؤُوا .

فلما يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم . . حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه صاحبه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ورَأَى الخروج ، فَعَمَّمَاه ، وأَلْبَسَاه ، وصَفَّ الناس ما بين حجرته إلى منبره ، ينتظرون خروجه عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة) .

عزم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القتال :

وخرج عليهم عازماً على القتال ، لابساً لأُمته ، وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك ، فلَمَّا خرج عليهم صلى الله عليه وسلم . . قالوا : يا رسول الله ؛ استكرهناك ، ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت . . فاقعد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يقاتل » .

واللأمة بالهمزة وقد تترك تخفيفاً ، وجمعه لأُم ، كتمررة وتمر : هي الدرع ، أو السلاح ، أو أداة الحرب .

وإلى هذه الإشارة بقوله : (واستكروهوا) أي : أكرهوا ، فالسين زائدة للتأكيد (خيرَ الوری) صلى الله عليه وسلم على

.....

الخروج إلى العدو بقولهم المتقدم : اخرج بنا إلى عدونا ،
والناس بين راغب في الشهادة ، آسف على فوات بدر
(فأخرجوه) صلى الله عليه وسلم من بيته وقد لبس اللأمة
(وبعد ما استلأم) أي : لبس لأمته ، أي : أداة الحرب
(فيها) أي : المدينة (استببطوه) أي : طلبوا لبثه بالمدينة
على رأيه الأول صلى الله عليه وسلم ، وقالوا ما تقدم ذكره .

قال في « شرح المواهب » : (فإن قيل : لِمَ عدَلَ صلى
الله عليه وسلم عن رأيه الذي لا أسدَّ منه ، وقد وافقه عليه أكابر
المهاجرين والأنصار ، وابن أبيّ - وإن كان منافقاً لكنه من
الكبار المجريين للأمور ؛ لذا أحضره صلى الله عليه وسلم
واستشاره - إلى رأي^(١) هؤلاء الأحداث ؟

قلت : لأنه صلى الله عليه وسلم مأمور بالجهاد ، خصوصاً
وقد فجأهم العدو ، فلمّا رأى تصميم أولئك على الخروج
لا سيّما وقد وافقهم بعض الأكابر من المهاجرين : كحمزة ،
والأنصار : كابن عبادة . . ترجع عنده موافقة رأيهم ، وإن
كرهه ابتداء ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، وهذا ما ظهر لي
ولم أره لأحد) اهـ

اجتهاد الشارح رحمه
الله تعالى في تعليل
عدول النبي صلى الله
عليه وسلم عن رأيه إلى
رأي الآخرين

قال العبد الضعيف كان الله له : ويمكن أن يقال في
الجواب : إنّ المسألة لم يكن فيها وحي من الله تعالى يتبع ، بل
كان الأمر فيه إلى اجتهاده صلى الله عليه وسلم ، قد أعلمه الله

(١) يتعلق بقوله : (عدل) اهـ

فَرَّاحَ نَحْوِ أَحَدٍ وَأَبْتَكْرًا وَخَامَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي وَأُمْتَرًا

تعالى بمقتضى تلك الرؤيا ، من استشهاد بعض أصحابه ، وما يصيبهم من التمحيص في ذلك اليوم ، وكان ذلك مرتباً على الخروج إلى العدو . وهذا ما ظهر ، والعلم عند الله تعالى .

(فراح) أي : ذهب صلى الله عليه وسلم بعد الزوال وصلاة الجمعة ، ولبس لأتمته (نحو) أي : جهة جبل (أحد ، وابتكرا) أي : سار بكره ، ومعه صلى الله عليه وسلم ألف من أصحابه ، وعقد ثلاثة ألوية :

لواء للأوس ، بيد أسيد بن الحُصَير ، ولواء للخزرج بيد الحُباب بن المنذر ، ولواء المهاجرين ، بيد مُصْعَب بن عُمير . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس .

ثم ركب فرسه ، وتقلد القوس ، والمسلمون عليهم السلاح ، وخرج السعدان يعدوان أمامه ، والناس عن يمينه ، وعن شماله ، حتى انتهى إلى رأس الشَّيْثَةِ ، حتى إذا كان بالشيخين^(١) . . التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل فقال : « ما هذه ؟ » فقالوا : هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود ، فقال : « لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك » .

لا نستنصر بأهل الشرك
على أهل الشرك

(١) اسم موضع بطريق أحد ، فإنَّ شيخاً وشيخة كانا يجلسان عليه يتناحيان هناك ، وهو مشهور عند أهل المدينة بهذا الاسم .

قال في «الإمتاع» : (ولبس عليه الصّلاة والسّلام من الشيخين درعاً واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعاً أخرى ، ومغفراً ، وبيضة فوق المغفر ، ولمّا نهض عليه الصّلاة والسّلام من الشيخين . . زحف المشركون على تعبئة ، وقد ترأس فيهم أبو سفيان لقتل أكابرهم ببدر ، ووافى عليه الصّلاة والسّلام أحدًا وقد حانت الصّلاة وهو يرى المشركين فأذن بلال وأقام ، فصلّى عليه الصّلاة والسّلام بأصحابه الصّبح صفوفاً) .

انخزال المنافقين :

وانخزل ابن أبيّ عن المسلمين بثلاث الناس كما قال
الناظم :

(وخام) أي : نكص ، ورجع (عنه) صلى الله عليه وسلم عبد الله (ابن أبيّ) ابن سلول في ثلاث مئة من قومه المنافقين (وامترا) أي : شكّ ، وقال : أطاعهم وعصاني ، علامَ نقتل أنفسنا؟! فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه - وكان خزرجياً كابن أبيّ - فقال : يا قوم ؛ أذكركم الله ألاّ تخذلوا قومكم ونبيكم بعدما حصر من عدوّهم ، فقالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون . . لما أسلمناكم ، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال ، فلمّا أبوا . . قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه .

زجر عبد الله بن عمرو
ابن حرام ابن أبي ابن
سلول وجماعته في شد
أزر المسلمين

فلمّا انخزل ابن أبيّ بمن معه . . سقط في أيدي طائفتين من المسلمين ، وهما أن يقتتلا ، وهما بنو حارثة من الخزرج ،

وَأَسْتَلَّ سَيْفَ رَجُلٍ ذَبَّ فَرَسَ فَقَالَ شِمُ سَيْفِكَ وَالْحَرْبُ أَفْتَرَسَ

وبنو سلمة من الأوس ، وفي الصحيح عن جابر : نزلت هذه الآية فينا : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بني سلمة ، وبني حارثة ، وما أحبُّ أنها لم تنزل ، والله يقول : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ .

قال الحافظ : أي : أن الآية ، وإن كان في ظاهرها غضُّ منهم . . لكن في آخرها غاية الشرف لهم ، فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع مئة وجعل أحداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة المنورة .

تفأوله صلى الله عليه وسلم :

(واستلَّ سيفَ رجل) بالنصب مفعول لـ (استل) ، مقدم على فاعله الذي هو (ذبُّ) أي : دفع (فرس) بذنبه ؛ يعني : أنه من عادة الفرس أن يذب بذنبه ما يؤذيه ، وكان رجل من الصحابة حاملاً سيفه في غمده ، فدفع الفرسُ بذنبه السيفَ ، فأخرجه من غمده (فقال) عند ذلك صلى الله عليه وسلم للرجل : (شِمُ سيفك) أمر من شام يشيم : إذا سلَّه أو أغمده ، والمراد هنا الثاني (والحرب) أي : القتال ، بالنصب معمول مقدم لقوله : (افترس) بمعنى : تفرس^(١) ، وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) قال صاحب « الروض » : (وافترس : افتعل من الفراسة ؛ أي : تفرس صلى الله عليه وسلم الحرب ، ويؤيده : أنه رتب عليه قوله : « وكان لا يعتاف ») اهـ
قلت : وهو إنما يصح لو وجد افترس بمعنى الفراسة ، وقد قال في « القاموس » : (الفراسة : اسم من التفرس) اهـ

وَكَانَ لَا يَعْتَفُ إِلَّا أَنَّهُ يُعْجِبُهُ الْفَالُ إِذَا عَنَّ لَهُ

قال ابن إسحاق : (ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كُلاب^(١) سيف فاستلّه ، فقال صلى الله عليه وسلم - وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٢)) - لصاحب السيف : « شِم سيفك ؛ فإنّي أرى السيوف اليوم ستُسل ») وفي هذا دليل ظاهر للقول بأنّ معهم فرساً ، ولم يكن هذا منه عليه الصّلاة والسّلام تطيّراً ، كيف وقد نهى عن الطّيرة؟! فلذلك قال الناظم :

(وكان) صلى الله عليه وسلم (لا يعتاف) من العيف ؛ أي : لا يتشاءم ، يقال : عَفَت الطير ، واعتفتها عِيفَة ، واعتيافاً ، قاله السّهيليّ .

(إِلَّا أَنَّهُ يُعْجِبُهُ الْفَالُ) الحسن (إِذَا عَنَّ) أي : عَرَضَ (لَهُ) .

ذكر السّهيليّ في « الروض الأنف » : (أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم مرّ في غزوة بدر بجبلين ، فسأل عن اسميهما ؟ ف قيل له : أحدهما اسمه مُسْلِح ، والآخر اسمه مُخْرِيء^(٣)) فعدل عن طريقهما ، وقال : ليس هذا من باب الطّيرة التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن من باب كراهة الاسم

(١) كلاب السيف : الحديدية العقفاء ، وهو التي تلي الغمد .

(٢) جملة معترضة بين القول ومقوله .

(٣) ضبطه في « الشامية » بصيغة اسم الفاعل في الاسمين .

.....

القبیح ، فقد كان عليه الصَّلَاة والسَّلَام يكتب إلى أمّرائه : إذا
أُبرِدتُم لي بريداً فاجعلوه حسن الوجه ، حسن الاسم ، ذكره
البزّار من طريق بُرَيْدَة) .

قلت : وذكر الحافظ ابنُ عبد البرّ في « الإستيعاب » بسنده
إلى عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه قال : كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلم لا يتطيّر ، ولكن يتفأّل ، فركب بُرَيْدَة في سبعين راكباً
من أهل بيته من بني سَهْم ، فتلقّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم
فقال له نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم : « من أنت ؟ » قال : أنا
بُرَيْدَة ، فالتفت إلى أبي بكر ، فقال : « يا أبا بكر ؛ برد أمرنا
وصلّح » قال : ثمّ قال لي : « ممّن أنت ؟ » قلت : من
أسلم ، قال لأبي بكر : « سلّمنا » . ثمّ قال لي : « من بني
مَن ؟ » قلت : من بني سهم ، قال : « خرج سهمك » .

وقال الإمام مالك في « الموطأ » : عن يحيى بن سعيد ،
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم في لَقْحَة : « من يحلب هذه ؟ » فقام
رجل فقال : أنا ، فقال له : « ما اسمك ؟ » قال : مُرّة ، فقال
له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم : « اجلس » ، ثمّ قال :
« مَن يحلب هذه ؟ » فقام رجل فقال : أنا ، فقال له :
« ما اسمك ؟ » قال : حرب ، قال : « اجلس » ثمّ قال :
« من يحلب هذه ؟ » فقام آخر ، فقال : « ما اسمك ؟ » قال :
يعيش ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم : « احلب » .

قال الشمس الشامي - لما ذكر نحو ذلك عن ابن سعد في

وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْحَاثِي فِي أَوْجِهِ الْقَوْمِ وَكَانَ رَاشِي

الطبقات - : وفي رواية ابن وهب : فقام عُمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ؛ كنت نهيتنا عن التطيُّر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تطيرت ، ولكني آثرت الاسم الحسن » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

ما كان من المنافق مربع بن قبيصة حين سلك النبي صلى الله عليه وسلم حائطه :

(ومَرَّ) صلى الله عليه وسلم (في طريقه) إلى أُحد (بالحاثي) أي : الرامي التراب (في أوجه القوم) المسلمين ؛ وذلك : أنَّه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « مَنْ رَجُلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَب - أي : من طريق قريب - لا يمر بنا عليهم ؟ » فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنَفَذَ به في حَرَّة بني حارثة ، وبين أموالهم ، حتَّى سلك في حائط لِمَرْبَعِ بْنِ قَبِيصَةَ ، وكان رجلاً منافقاً أعمى البصر ؛ فلمَّا سمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين . . قام يَحْثِي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي .

قال ابن إسحاق : وقد ذَكَرَ لي : أنَّه أخذ حَفَنَةً من تراب في يده ، ثُمَّ قال : والله لو أَنِّي أعلم أَنِّي لَا أُصِيبُ بها غيرك يا مُحَمَّدٌ . . لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقْتُلُوهُ ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس في رأسه فشَجَّه ، (وكان) بهذه الفعلة الشنيعة

أَجَازَ أَبْنَاءَ يَهٍ وَأَسْتَصَغَرَا مَن دُونَهُمْ وَالْجَيْشُ ذَالًا أَنْبَرَى

(راڻي) أي : أحمق ووقف به على لغة ربيعة .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، واستقبل المدينة وجعل جبل عينين - وهو جبل الرماة - على يساره .

الصغار الذين ردّهم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم

إجازته صلى الله عليه وسلم أبناء خمس عشرة ورّده من دونهم :

(أجاز) صلى الله عليه وسلم في الخروج لميدان القتال في أحد (أبناء يه) أي : أبناء خمس عشرة سنة ؛ لما عرضوا عليه (واستصغرا) بألف الإطلاق (من دونهم) في السن ، وردّهم ؛ لأنّه لم يرههم بلغوا ، منهم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأبوسعيد الخُدري ، وأسيد بن ظهير ، وعُرابة بن أوس^(١) ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وسعد بن حَبَّة^(٢) ، وزيد بن جارية ، ورافع بن خديج .

(١) عرابة هذا هو الذي يقول فيه الشماخ الأسدي :

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو
إِذَا مَا رَأَيْتَ رَفَعْتَ لِمَجْدٍ
إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةَ الْيَمِينِ
وهو بفتح العين المهملة ، صحابي جليل .

(٢) بفتح المهملة وسكون الموحدة وفتح الفوقية : هي أمه ، واسم أبيه بجير مصغراً .

ذكر الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب » عن جابر بن عبد الله : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى سَعْدِ بْنِ حَبَّةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يُقَاتِلُ قِتَالًا شَدِيدًا وَهُوَ حَدِيثُ السِّنِّ ، فَدَعَا وَقَالَ لَهُ : « مَنْ أَنْتَ يَا فُتَى ؟ » قَالَ : سَعْدُ بْنُ حَبَّةَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَسَعَدَ اللَّهُ جَدَّكَ ، اقْتَرَبَ مِنِّي » فَاقْتَرَبَ مِنْهُ ، فَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ : وَلَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ =

وَقَالَ مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السِّيفَ بِحَقِّهِ فَتَالَهُ وَأَسْتَوْفَى

مصارعة سمرة ورافعاً
رضي الله عنهما

ثُمَّ أَجَازَ رَافِعًا لَمَّا قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ رَامَ ، فَقَالَ سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ
الْفَزَارِيُّ لَزَوْجِ أُمِّهِ - مَرِي بْنِ سَنَانٍ - أَجَازَ رَافِعًا وَرَدَّنِي وَأَنَا
أَصْرَعُهُ ، فَأَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : تَصَارِعَا ،
فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا ، فَأَجَازَهُ (وَالْجَيْشُ) أَيِ : جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ
الْمُخْلِصِينَ (ذَالًا) أَيِ : سَبْعَ مِثَّةٍ (انْبَرَى) أَيِ : اعْتَرَضَ .

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ . . فَثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ كَمَا تَقْدُمُ ، وَتِلْكَ
صُورَةٌ مِنْ إِيْمَانِ الصَّحَابَةِ الصَّادِقِ ، وَبَطُولَتِهِمُ الْحَقَّةَ حَيْثُ
نَافَسُوا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَرَوَّاحِهِمْ ، وَتَسَابَقُوا إِلَى مِيدَانِ الْقِتَالِ ،
وَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنِ الصَّغِيرَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَجَعَلْنَا مِنْ
مُحِبِّهِمْ وَحُزْبِهِمْ ، آمِينَ .

إِعْطَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّيفَ لِأَبِي دُجَانَةَ :

(وَقَالَ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ وَقَدْ أَخَذَ سِيفًا :
(مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السِّيفَ بِحَقِّهِ)^(١) فَقَامَ إِلَيْهِ رَجَالٌ ، مِنْ أَبْطَالِ
الْمُسْلِمِينَ كُلِّ وَاحِدٍ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُمْ غُمِيرٌ وَالزُّبَيْرُ ، فَأَمْسَكَه
عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ، فَقَالَ : وَمَا حَقُّهُ

= أبا يوسف القاضي هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة الأنصاري .
قال في « الحلبية » : (وقد دعا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالْبِرْكَةِ ، مَا مَاتَ حَتَّى كَانَ أَبَا
لَعَشْرِينَ ، وَعَمَّا لِأَرْبَعِينَ ، وَخَالًا لِأَرْبَعِينَ) اهـ
(١) ذكر أبو الربيع في « الإكتفاء » - كما في « شرح المواهب » - : (أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا فِي إِحْدَى
صَفَحَتَيْهِ :

فِي الْجَيْنِ عَارٍ وَفِي الْإِقْدَامِ مَكْرَمَةٌ وَالْمَرْءُ بِالْجَيْنِ لَا يَنْجُو مِنَ الْقَدَرِ

أَبُو دُجَانَةَ وَخَالَ إِذْ مَشَى وَمَشِيَهُ مِنْ بُغْضِهِ جَلَّ حَشَا

يا رسول الله ، قال : « أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني » فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله (فناله واستوفى أبو دُجَانَةَ) سِمَاكُ ابن خَرَشَةَ الأنصاريّ الساعديّ ، المتفق على شهوده بدرأ ؛ فإنه كان رجلاً شجاعاً^(١) (وخال) أي : تكبر (إذْ مَشَى) في ميدان القتال ، (ومشيهِ من بغضهِ) أي : الله عزَّ (جَلَّ حَشَا) هذا الموطن ؛ فإنَّ الله لا يُبْغِضُ هذه المشية فيه ؛ لدلالاتها على احتقار العدو ، وعدم الاكتراث به ، وحشا : لغة في حاشا .

تكبر أبي دجانة رضي
الله عنه احتقاراً للعدو

قال الزُّبَيْر بن العوام : وَجَدْتُ في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمَنَعَنِي ، وأعطاه أبا دُجَانَةَ وقلت : أنا ابن صَفِيَّةِ عمتي ، ومن قريش ، وقد قمت إليه ، وسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دُجَانَةَ وتركني ، فقلت : والله لأنظرَنَّ ما يصنع أبو دُجَانَةَ ، فاتبعته ، فأخذ عِصَابَةً له حمراء ، قال في « المواهب » : مكتوب في أحد طرفيها : نصرٌ من الله وفتح قريب ، وفي طرفها الآخر : الجَبَانَةُ في الحرب عار ، ومن فرَّ لم ينج من النار ، فعصَّب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج عصابة الموت ، فخرج وهو يقول :

الزبير بن العوام يعرب
عن مشاعره تجاه أخذ
أبي دجانة للسيف

(١) قال في « الإستيعاب » : (كان أبو دجانة بهمة من البهم الأبطال ، استشهد يوم اليمامة ، وهو ممَّنْ اشترك في قتل مسيلمة يومئذٍ مع عبد الله بن زيد بن عاصم ووحشي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى بين أبي دجانة وعتبة بن غزوان) اهـ وسيأتي له ذكر في هذه الغزوة أيضاً ، فارتقب .

أبو دجانة رضي الله عنه
يتغنى بالشعر في ساحة
القتال

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

أَنْ لَا أَقَوْمَ الدهرَ في الكيُول^(١)

أَضْرَبَ بسيف الله والرسول

قال ابن إسحاق : (فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلاَّ

قَتَلَهُ ، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلاَّ ذَفَفَ^(٢)

عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن

يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك

أباً دُجَانَةَ ، فاتَّقاها بدرقته ، فعضت بسيفه^(٣) ، فضربه أبو دجانة

فقتله ، ثمَّ رأيته قد حمل السيف على مَفْرِقِ رأس هند ، ثمَّ

عدل السيف عنها ؛ يعني : إكراماً لسيف رسول الله أن يضرب

به امرأة) .

وصف الزبير قتال أبي
دجانة للمشركين يوم
أُحُد

قال الزُّبَيْرُ فقلت : اللهُ ورسوله أعلم .

وبدأت نار الحرب تشتعل وأوَّل من أشبَّها أبو عامر

الفاسق^(٤) .

قال في « الإمتاع » : (طلع في خمسين من قومه مع عبدان

أول من أشب الحرب

(١) الكيُول - بفتح الكاف ، وتشديد المثناة التحتية المضمومة - : مؤخر الصفوف .

(٢) بالذال المعجمة والمهملة ، وشد الفاء الأولى مفتوحات : أسرع قتله .

(٣) عض به عضاً : مسكه ولا مسه .

(٤) هو عبد بن عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وكان يسمى في

الجاهلية : الراهب ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم : الفاسق .

وَأَسْتَأْصِلُوا أَهْلَ اللَّوَا فَاَنْهَزْمُوا وَشَمَّرَتْ عَنْ سُوقِهِنَّ الْخُرْمُ

قريش فنادى يا للأوس أنا أبو عامر ، فقالوا له لا مرحباً بك
ولا أهلاً يا فاسق : فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ، فتراموا
بالحجارة ساعة حتى ولى (اهـ

استئصال أهل اللواء من المشركين :

ودعا أهل اللواء إلى المبارزة ، فاستأصلهم المسلمون كما
قال الناظم :

(واستأصلوا أهل اللّوا فانهمزموا) أي : أتى المسلمون
على جميع أهل اللواء قتلاً ، وهم آل أبي طلحة بن
عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، واللواء : أحد الخمسة
التي أتحف بها قصي ابنه الكبير عبد الدار لما لم تبلغ همته
همتهم ، قال الناظم في « عمود النسب » :

حِجَابَةٌ سِقَايَةٌ رِفَادَةٌ

لِوَاءِ النَّدْوَةِ بِالْقِلَادَةِ

أَتَحَفَ عَبْدَ الدَّارِ إِذْ رَأَهُ

دُونَ مَدَى إِخْوَتِهِ مَدَاهُ

تحريض أبي سفيان قريشاً على الحرب :

قال في « روض النُّهاة » : (لما ورد المشركون أهدأ .
قام أبو سفيان ، فحرّض الناس ، فقال : يا بني عبد الدار ؛
إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى
الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت . . زالوا ، فإمّا أن تكفونا

لواءنا ، وإمّا أن تخلوا بيننا وبينه . . فنكفيكموه ، فهتّوا به
وتوعّدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلم غداً إذا
التقينا ما نصنع ! وذلك ما أراده أبو سفيان) .

تحريض هند والنسوة قريشاً على الحرب :

فلَمَّا التقى الناس . . قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي
معهما ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، فقالت
هند : القتال شعراً

وئهاً بني عبدِ الدارِ
وئهاً حُمَاةَ الأديارِ
ضرباً بكلِّ بئارِ

وقالت :

إنْ تقبلوا نعانقُ
ونفَرُشِ النَّمَارِقُ
أو تدبروا نفارق
فراقٌ غيرِ وامِقُ

فاقتتل الناس ، وحميت الحرب ، والرماة يرشّقون^(١) خيل
المشركين ، كما أمرهم صلى الله عليه وسلم ، يردونها
هوارب ، فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء : من
يبارز ؟ فقام إليه عليّ فقتله ، وهو كبش الكتيبة - أي : رئيسها -
حملة لواء قريش الهاكين

(١) أي : يرمونها بالنبل ، وهو من (باب نصر) .

مُولَوَاتٍ إِنْثَرَهُمْ وَرَغَبَا فِي الْمَغْنَمِ الرُّمَاءُ حِينَ اسْتُلِبَا

ثُمَّ حَمَلَ اللِّوَاءُ أَخُوهُ عَثْمَانَ^(١) ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ حِمْزَةً ، فَقَطَعَ جَنَاحَهُ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُؤْتَزَرِهِ ، وَبَدَأَ سَحَرَهُ ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَبُو سَعْدٍ أَخُوهُمَا ، فَقَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ مَسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ . ثُمَّ حَمَلَهُ الْحَارِثُ أَخُوهُ ، فَقَتَلَهُ عَاصِمٌ أَيْضًا . ثُمَّ حَمَلَهُ كِلَابُ أَخُوهُمَا ، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ حَمَلَهُ الْجُلَاسُ أَخُوهُمْ ، فَقَتَلَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَمَلَهُ أَرْطَاةُ بْنُ شُرْحَيْلٍ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ ، ثُمَّ حَمَلَهُ شُرَيْحُ بْنُ قَارِظٍ ، فَلَا يُدْرَى مِنْ قَتَلَهُ . ثُمَّ حَمَلَهُ غَلَامٌ اسْمُهُ صُؤَابُ ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ ، وَقِيلَ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، وَقِيلَ : قُزْمَانُ الْعُبَيْيُّ ، وَهُوَ أَثْبَتُ الْأَقَاوِيلِ^(٢) . فَهَؤُلَاءِ عَشْرَةٌ .

(وَشَمَّرَتْ) أَي : رَفَعَتْ (عَنْ سُوقِهِنَّ) جَمَعَ سَاقٍ : مَا بَيْنَ الْكَعْبِ إِلَى الرُّكْبَةِ (الْحُرْمُ) بَضْمٌ فَفَتَحَ : جَمَعَ حَرَمَةً ، وَهِيَ مَا يُحْمَى وَيُقَاتَلُ عَلَيْهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : نِسَاءُ قَرِيشٍ : هُنَّ وَصَوَاحِبَاتُهَا الْخَارِجَاتُ ؛ لِثَلَاثَةِ يَفَرِّ النَّاسِ .

(مُولَوَاتٍ) أَي : فَعَلْنَ ذَلِكَ حَالَ كَوْنِهِنَّ دَاعِيَاتٍ بِالْوَيْلِ ، وَهُوَ حُلُولُ الشَّرِّ لِلْجَدِّ فِي الْهَرُوبِ (إِنْثَرَهُمْ) أَي : خَلَفَ رِجَالَهُنَّ الْفَارِسِينَ . وَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ ، بِقَتْلِ

(١) أَي : وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا إِنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقُوا

(٢) هَكَذَا فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

.....
حاملِي لوائهم . . بقي اللواء مُلقًى في الأرض لا يُلتفت إليه .
ثمَّ أخذته عَمْرَة بنت علقمة الحارثية^(١) ، ورفعته لهم ،
فاستداروا به ، واجتمعوا عنده ، وفي ذلك يُعَيِّرُهُم سيدنا
حسان رضي الله عنه بقوله :

وَلِيَّ الْبَاسِ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ
أُسْرَةً مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمٍ
عَمْرَةٌ تَحْمِلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ
فِي رَعَاعٍ^(٢) مِنَ الْقَنَا مَخْزُومٍ
لَمْ تُطِيقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْكُمْ
إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءَ النُّجُومُ

اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب :

ثمَّ تبعهم المسلمون حتى أزالوهم ، ووقفوا ينتهبون
العسكر ، ويأخذون ما فيه من الغنائم ، واشتغلوا عن الحرب
(وَرَغِبًا فِي الْمَغْنَمِ) بفتح الميم الأولى ؛ أي : في أخذ الغنمية
(الرماة) جمع رام بالنبل وهم الخمسون الذين أمرهم الرسول
عليه الصَّلَاة والسَّلَام أن يثبتوا في مركزهم على جبل عينين ،
وأمرهم عبد الله بن جُبَيْر (حين استلبا) بالبناء للمفعول ؛
أي : أخذ اللواء من أيدي المشركين ، وبقي ملقى بالأرض ،
حتَّى أخذته عَمْرَة الحارثية .

(١) قال في « شرح المواهب » عن البرهان : (لا أعلم لها إسلاماً ، والظاهر : هلاكها على دينها) اهـ

(٢) الرعاع : الأحداث الطغام .

وَخَالَفَ الرُّمَاءُ أَمْرَ الْمُصْطَفَى بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ خَلْفَ الْحُنْفَا
فَتَرَكُوا ظُهُورَهُمْ لِحَالِدٍ فَكَرَّ رَاجِعاً بِكُلِّ حَارِدٍ

(وخالف الرماة) أي : أكثرهم (أمر المصطفى) صلى الله عليه وسلم (بالصبر) في موطن الحرب ، (والثبات خلف الحنفا) المجاهدين ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا ، حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمننا القوم وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم » لكن رئيس الرماة عبد الله بن جبير في أقل من عشرة من أصحابه لم يخالف ، بل ذكرهم أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات فقالوا : لم يُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، وقد انهزم المشركون ، فما بقاؤنا هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ، وينتهبون معهم ، وأخلوا الجبل ، حتى كان من شؤم المخالفة له صلى الله عليه وسلم في أمره ما أشار له الناظم بقوله :

حملة خالد على من بقي من الرماة :

(فتركوا) أي : المسلمون (ظهورهم لحالد) بن الوليد ، وقد أسلم رضي الله عنه بعد الحديبية مرجع النبي صلى الله عليه وسلم منها (فكرَّ) بتشديد الراء ، يتعدى بعلى ، بمعنى عطف ، وبعن : بمعنى رجع ، فقوله : (راجعاً) حال مؤكدة على الثاني ، والمعنى : أنه لما نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة ، وقلة أهله . . . كرَّ بالخيـل (بكل) رجل (حارِد) أي : غضبان ، فحملوا على من بقي من الرماة

وَحَالَتْ الرِّيحُ وَدَارَتْ الرَّحَى وَذَاقَ مَنْ خَالَفَهُ مَا أَجْتَرَحَا

فقتلوه ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن جُبَيْر ، وانتقضت صفوف المسلمين .

شؤم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وحالت الريح) قلت : يصح قراءته بالجيم المعجمة ، من الإِجالة بمعنى الإدارة ، والمراد بالريح : القوة ؛ أي : ودارت القوة للعدوّ على المسلمين بشؤم المخالفة ، ويصح قراءته بالحاء المهملة ؛ أي : حالت الريح ، وتغيرت إلى دَبُور ، بعد أن كانت صَباً ، والله أعلم (ودارتِ الرحى) أي : رchy الحرب .

قال في « روض النُّهاة » : (إن أراد بها حَوْمَة الحرب . . فحسّية ، وإن أراد الرحى المعروفة . . فاستعارة عن انقلابها إلى الهزيمة ، إكراماً وتمحيصاً للمسلمين ، أكرمَ الله تعالى من أكرم منهم بالشهادة) .

روى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس : أنَّهُم لما رجعوا . . اختلطوا بالمشرّكين ، والتبس العسكران ، فلم يتميزوا ؛ أي : حتى صاروا يقاتلون من غير شعارهم الذي هو : (أَمِتْ أَمِتْ) فوق القتل في المسلمين بعضهم في بعض (وذاق من خالفه) صلى الله عليه وسلم عاقبة (ما اجترحا) أي : اكتسب من المخالفة .

شعار المسلمين

وَصَرَخَ الصَّارِخُ أَنْ مَاتَ النَّبِيُّ فَارْتَهَبُوا لِذَاكَ كُلِّ الرَّهَبِ
وَقَالَ إِذْ ذَلِكَ : « لَوْ كَانَ لَنَا » مِنْ دَهْشٍ قَائِلُهُمْ فَأُفْتِنَا

إعلان موت الرسول
صلى الله عليه وسلم
كذباً

(وصرخ) أي : صاح (الصارخ) إبليس اللعين وقد
تصور في صورة جعال بن سراقه (أن مات النبي) صلى الله عليه
وسلم ؛ ليُرهَب بذلك المؤمنون (فارتهبوا لذلك) الخبر
المشؤوم (كل الرَّهَب) الخوف ، وقيل : إِنَّ الصارخ هو
عبد الله بن قميئة بوزن سفينة ، لما قتل مُصعب بن عُمير ، فظنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّه كان يشبهه إذا لبس
الأمّة ، فصاح : أن قتلْتُ محمّداً .

موقف المسلمين بعد
الإعلان الكاذب

قال موسى بن عُقبة : ولما فُقِدَ عليه الصَّلَاة والسَّلَام قال
رجل منهم : إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِلَ ،
فارجعوا إلى قومكم ؛ ليؤمّنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ،
فإنَّهم داخلوا البيوت .

وقال آخرون : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قُتِلَ ، أفلا تقاتلون على دينكم ، وعلى ما كان عليه نبيُّكم ،
حتى تَلْقُوا الله عزَّ وجلَّ شهداء ؟ منهم أنس^(١) بن مالك ، شهد
له بهذه المقالة عند النبيّ صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ .

مقالة معتب بن قشير

(وقال إذ ذلك) أي : وقت صَرَخ الصارخ : أن مات النبيّ
صلى الله عليه وسلم : (لو كان لنا) من الأمر شيء ما قتلنا

(١) قال اليعمرى في « عيون الأثر » : (كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك ، وإنَّما هو أنس بن
النضر ، عم أنس بن مالك بن النضر) اهـ

وَنَجَلُ مُطْعِمٍ جُبَيْرٌ إِذْ قَتَلَ حَمْزَةَ عَمَّهُ طُعَيْمَةَ أَحْتَفَلَ
لِقَتْلِهِ بِأَنْ عَلَيْهِ ذَمًّا وَحَشِيَّةٌ يَوْمئِذٍ وَحَرًّا

ههنا ، قولاً صادراً (من دَهَش) وتحير ، وفاعل قال :
(قائلهم) مُعْتَبٌ بن قُشَيْر ، وكان يُرْمَى بالنفاق ، وقيل : كان
منافقاً (فافتنا) أي : وقع في الفتنة بتلك المقالة ، وقيل : لم
يكن منافقاً ؛ لأنه شهد بداراً ، ولم يشهدا منافق .

استشهاد سيدنا حمزة :

(ونجلُ مُطْعِمٍ) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف (جُبَيْر)
بدل من نجل (إذ قتل حمزة) بن عبد المطلب ، فاعل قتل ،
والمفعول (عَمَّهُ طُعَيْمَةَ) بن عدي ؛ يعني : أَنَّ حمزة عم النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم ، لما قتل بيد طعيمَةَ عم جُبَيْر . .
(احتفل) أي : تهيأ نجل مطعم (لِقَتْلِهِ) أي : حمزة ، وذلك
(بَأْنٍ عَلَيْهِ) يتعلق بقوله : (ذَمًّا) بألف الإِطلاق ؛ أي : بَأْنٍ
حَضَّ عَلَيْهِ (وَحَشِيَّةٌ) غلامه المدعو وحشياً بن حرب
الحبشي ؛ فلذلك أضافه إلى ضميره (يَوْمئِذٍ) أي : يوم أُحُد
(وَحَرًّا) أي : جعله حرّاً إن هو قتله .

رواية وحشي رضي الله
عنه قتله لسيد الشهداء

روى الإمام البخاري في « صحيحه » بسنده إلى جعفر بن
عمرو بن أُمَيَّة الضُّمَرِيُّ قال : (خرجت مع عبيد الله بن
عدي بن الخيار ، فلَمَّا قدمنا حمص . . قال عبيد الله بن عدي :
هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم ، وكان
وحشي يسكن حِمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل

قصره ، كأنَّه حَمِيت^(١) ، قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ،
فسلَّمنا ، فردَّ السلام ، قال : وعبيد الله معتجِر^(٢) بعمامته ،
ما يَرى وحشِيَّ إلَّا عَيْنِيهِ وَرَجْلِيهِ ، فقال عُبَيْدُ اللَّهِ : يا وحشِيَّ ؛
أَتعرِفني ؟ قال : فنظر إليه ، ثمَّ قال : لا والله ، إلَّا أَنِّي أَعْلَمُ :
أَن عَدِيَّ بنَ الخيار تزوج امرأة يقال لها : أُمُّ قتال بنت
أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة ، فكنت أسترضع له ،
فحملت ذلك الغلام مع أُمِّه ، فلكأنِّي إذ نظرت إلى قديمك . .
نظرت إليه^(٣) قال : فكشف عُبَيْدُ اللَّهِ عن وجهه ، ثمَّ قال : ألا
تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم .

إِنَّ حمزة قتل طُعَيْمَةَ بنَ عَدِيَّ بنَ الخيار بيدر ، فقال لي
مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعُمِّي . . فأنت حرٌّ ،
قال : فلمَّا أَن خرج الناس عامَ عَيْثَيْن - وعينين : جبل بحيال^(٤)
أُحَد ، بينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال ، فلمَّا
اصطفوا للقتال . . خرج سِبَاع - يعني ابن عبد العزَّى الخزاعيَّ
ثمَّ الغُبْشانيَّ - فقال : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة بن
عبد المطلب ، فقال : يا سباع ؛ يا ابن أُم أنمار ، مقطعة

(١) بوزن رغيغ : زق كبير للسمن ، يشبه به الرجل السمين .

(٢) بجيم معجمة مكسورة ، بأن يلف العمامة على الرأس من غير أن يديرها على حنكه .

(٣) قال الشهاب القسطلاني : (إنَّه شبه قدميه بقدم الغلام الذي حمّله ، فكأنَّه هو هو ، وكان بين

الرؤيتين نحو من خمسين عاماً) اهـ

(٤) بكسر الحاء المهملة ؛ أي : من ناحيته .

.....

البظور^(١) ، أتحدّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثمّ شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب .

قال : وكَمَنْتَ لحمزة تحت صخرة ، فلمّا دنا مني . . رميته بحرْبتي ، فأضعُها في ثُنَّتِه - يعني عانته - حتى خرجت من بين وركيه ؛ قال : فكان ذلك آخر العهد به ، فلمّا رجع الناس . . رجعت معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام . ثمّ خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً ، فقل لي : إنّه لا يهيج الرُّسل ، قال : فخرجت معهم ، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأيته . . قال : « أنت وحشيٌّ ؟ » قلت : نعم ، قال : « أنت قتلت حمزة ؟ » قلت : قد كان من الأمر ما قد بلغك ، قال عليه الصّلاة والسّلام : « فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عني ؟ » قال : فخرجت .

فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج مسيلمة الكذاب ، قلت : لأخرجنّ إلى مسيلمة ، لعلّي أقتله ، فأكافىء به حمزة ، قال : فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ما كان ، فإذا رجل في ثلّة جدار ، كأنّه جمل أورق^(٢) ، نائر الرأس ، قال : فرميته بحرْبتي ، فأضعها بين ثدييه ، حتى خرجت من

(١) جمع بظر ، وهو اللحمه التي تقطع من فرج المرأة ، الكائنة بين أسكتيها عند ختانها ، وكانت أمه ختانة ، تختن النساء بمكة ، فغيره بذلك .

(٢) أي : لونه مثل الرماد ، وكان ذلك من غبار الحرب . اهـ « فتح »

وَدَقَّهُ فِي شِدْقِهِ أَبْنُ حَرْبٍ فَقَالَ « دُقْ عُقْقُ » أَيُّ دُقْ حَرْبِي
أَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا قُزْمَانُ عَلَى الْحِفَاطِ فَلَهُ الْخُسْرَانُ

بين كتفيه ، قال : ووُثِبَ إليه رجل^(١) من الأنصار ، فضربه
بالسيف على هامته (اهـ)

قال ابن هشام : (فبلغني : أَنَّ وحشيًّا لم يزل يُحَدِّثُ في
الخمِر ، حتى خُلِعَ من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب
يقول : قد قلت : إِنَّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة) .

استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاده :

(و) بعدما قتل وحشيًّا سيدنا حمزة رضي الله عنه (دَقَّهُ فِي
شِدْقِهِ) أَي : جانب فمه بَزُجٍّ رمحه أبو سفيان صخر (بن حرب
فقال : دُقْ عُقْقُ) بوزن عُمَر ، وهو فاعل العقوق ، ضد البر ؛
أَي : ذق يا عاق جزاء فعلك ؛ فلذا قال : (أَي : دُقْ حَرْبِي) .

قال ابن إسحاق : (إِنَّ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ الْحَلِيسَ بْنَ زَبَّانٍ مَرَّ
بَأَبِي سَفِيَانَ وَهُوَ يَضْرِبُ بَزُجٍّ لِرَمَحٍ فِي شِدْقِ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ ،
وَيَقُولُ : دُقْ عُقْقُ ، فَقَالَ الْحَلِيسُ : يَا بَنِي كِنَانَةَ ؛ هَذَا سَيِّدُ
قَرِيشٍ يَصْنَعُ بَابَنَ عَمِّهِ مَا تَرَوْنَ لِحِمَاً ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ! اكْتَمَاهَا
عَنِي ، فَإِنَّهَا كَانَتْ زَلَّةً .

مقتل قزمان العبسي منافقاً كما أخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بذلك :

(أَبْلَى) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ ؛ أَي : اخْتَبَرَتْ نَفْسُهُ فِي الْحَرْبِ
(بَلَاءٌ) أَي : اخْتِبَاراً (حَسَنًا قُزْمَانُ) بضم القاف ابن الحارث

(١) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني ، على الأشهر الذي جزم به الواقدي وغيره .

وَعَكْسُهُ الْأَصِيرُ الْمُخَرَّدُ لَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْقِتَالِ عَمَلٌ

العَبْسِي ، حليف الأنصار ، فقد قُتِلَ في ذلك اليوم سبعة أو ثمانية من المشركين ، ووصف البلاء بالحسن باعتبار ما يؤول إليه من الظفر والغنيمة أو الشهادة ، لكن لم يتم ذلك لقزمان ؛ لأنَّهُ إِنَّمَا كان يقاتل (على الحِفاظ) بكسر الحاء المهملة ؛ أي : الحمية ، والذب عن المحارم ؛ فلذلك قال الناظم :

(فله الخسران) فهو من أهل النار ، كما أخبر بذلك عليه الصَّلَاة والسلام .

وجاء في قزمان هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ولما قتل ذلك العدد . . هُنَّ به فقال : كلا ، إن قاتلتُ إلَّا عن أحساب قومي ، فلمَّا آذته الجراحات . . عمدَ إلى نفسه فقتلها ، فجاء رجل إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كان شقَّ عليه قول النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ قزمان من أهل النار » مع ما يرى من فعله ، فقال : أشهد أنَّك رسول الله ، قال : « وما ذاك ؟ » قال : الذي قلت لنا : « إِنَّه من أهل النار » قتل نفسه .

استشهاد أصيرم بني عبد الأشهل :

(وعكسه) أي : عكس قزمان عمرو بن ثابت بن وقش بن عبد الأشهل (الْأَصِيرُ) بالتصغير ، المقاتل في سبيل الله لاحمية ، فإنَّه لما خرج إلى أُحُد . . وقع الإسلام في قلبه ، فجاء النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ أُسْلِمَ أم أُقاتل ؟ فقال : « أُسلم وقاتل » فأسلم ، وأخذ سلاحه ،

.....

وقاتل حتى أثبتته الجراحات ، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة . . إذا هم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنَّه لمنكرٌ لهذا الحديث .

فسألوه : ما جاء بك يا عمرو هنا ؟ أَحَدَبًا على قومك ، أم رغبةً في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثمَّ أخذت سيفي ، فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثمَّ لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّهُ من أهل الجنة » .

(المخردل) بالخاء المعجمة والبدال المهملة ؛ أي : المقطع لحمة في الله (ليس له غير القتال) في سبيل الله (عمل) من أعمال الإيمان ، فدخل الجنة بمجرد الإيمان ، ومن ثمَّ كان أبو هريرة يقول : حدَّثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ قطَّ ، فإذا لم يعرفه الناس قال : أصيرم بني عبد الأشهل .

ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم والثابتون معه :

ولمَّا انكشف المسلمون بسبب مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم . . ثبت صلى الله عليه وسلم بإجماع ، فروى البيهقي عن المقداد : (فوالَّذي بعثه بالحق ؛ ما زالت قدمه شبراً واحداً ، وإنَّه لفي وجه العدو ، تفيء إليه طائفة من أصحابه مرة ،

وُثِّبَتْ مَعَ النَّبِيِّ اثْنَا عَشَرَ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَبَيْنَ مَنْ نَصَرَ
مِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ وَأَبْنُ أَبِي وَقَاصٍ الَّذِي أَفْتَدَاهُ بِالْأَبِ

وتفترق مرة ، فربّما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ، ويرمي
بالحجر ، حتى انحازوا عنه) .

(وثبتت مع النبي اثنا عشر) رجلاً ، ولا ثبوت الجبال
الرواسي (بين مهاجر وبين من نصر) من الكمأة الأشاوس
لحديث البراء في « البخاري » : (لم يبق مع النبي صلى الله
عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً) .

(منهم أبو دُجَانَةَ) سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ الْمُتَقَدِّمُ ؛ فَإِنَّهُ تَرَسَّ
بنفسه دونه صلى الله عليه وسلم ، يقع النبل في ظهره وهو
مُنْحَنٍ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ . (و) سَعْدُ (بَنُ
أَبِي وَقَاصٍ) بَنُ أَهْيَبَ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ^(١) (الَّذِي أَفْتَدَاهُ)

أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ
خَرْشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) يَكْنَى أَبُو إِسْحَاقَ ، دَعَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ : « اللَّهُمَّ ؛ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ »
رواه الترمذي وابن حبان والحاكم ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة ، وممّا شوهد في إجابة
دعائه : ما رواه الإمام البخاري بسنده إلى جابر بن سمرة قال : (شكا أهل الكوفة سعداً إلى
عمر رضي الله عنه ، فعزله واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن
يصلّي ، فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَحْسَنُ تَصَلِّيَ ، قَالَ
أَبُو إِسْحَاقَ : أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ . . فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّيَ بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَا أَخْرَمَ عَنْهَا ، أَصَلِّيَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرَكِدُ - أَي : أَطُولُ - الْقِيَامَ فِي الْأَوَّلِينَ ، وَأُخَفِّفُ فِي
الْآخِرِينَ ، قَالَ : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أبا إِسْحَاقَ ، فَأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة ،
فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ، ويثنون عليه معروفاً ، حتى دخل
مسجداً لبني عبس ، فقال رجل منهم ، يقال له : أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يَكْنَى أَبُو سَعْدَةَ قَالَ : أَمَا إِذْ
نَشَدْتَنَا . . فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوْيَةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ ، قَالَ
سَعْدُ : أَمَا وَاللَّهِ ؛ لَأَدْعُونَ بَثْلَاثَ : اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِبَاءً وَسَمِعَةً . . فَأُطْلُ =

وَطَلْحَةٌ وَفِيهِ شَلَّتْ يَدُهُ إِذِ اتَّقَى النَّبْلَ بِهَا يَضْمُدُهُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالأب) ففي « صحيح البخاري » بسنده إلى عبد الله بن شدّاد قال : سمعت عليّاً يقول : ما سمعت النّبّيّ صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلاّ لسعد بن مالك ، فإنّي سمعته يقول يوم أُحُد : « يا سعد ؛ ارم ، فذاك أبي وأمي » .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

(و) منهم (طلحة) بن عبيد الله الجواد بنفسه ، الفياض بماله ، من قضى نحبه ، وأرضى ربه ، ففي الصحيح بسنده إلى قيس قال : رأيت يد طلحة شلّاء ، وقى بها النّبّيّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد ؛ فقد قاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالاً شديداً حين أحرق به المشركون من كل ناحية ، وصار يذبّ بالسيف من بين يديه ومن ورائه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، يدور حوله ، ويترّس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن هو إلاّ جنة بنفسه عن رسول الله حتى انكشفوا (وفيه) أي : النّبّيّ صلى الله عليه وسلم (شلّت يده) بالبناء للفاعل والمفعول : أصابها الشلل ، وهو فساد اليد (إذ اتَّقَى) أي : لأنّ طلحة كان اتقى (النبل) والسهم (بها) أي : بيده

شلل يد طلحة رضي الله عنه

= عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . قال : أي : عبد الملك بن عمير أحد الرواة - : وكان بعدُ إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد ، قال عبد الملك : فأنا رأيته بعدُ سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنّه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهنّ) اهـ .
ورواه أيضاً مسلم ، وأبو داود ، والنسائي .
مات سعد بالعقيق من المدينة المنوّرة ، ودفن بالبقيع سنة بضع وخمسين من الهجرة . رضي الله تعالى عنه . اهـ

وَتَحْتَهُ جَلَسَ أَنْ جَهْضَهُ دِرْعَاهُ وَالْجِرَاحُ فَاسْتَنْهَضَهُ

حال كون النبل (يَضْمُهُ) بضم الميم ؛ أي : يقصد النبي صلى الله عليه وسلم .

(وتحتة) صلى الله عليه وسلم (جلس) أي : طلحة ، فرفعه حتى استوى على الصخرة (أَنْ جَهْضَهُ دِرْعَاهُ) أي : غلبه عن الصعود درعاه ، وكان ظاهرَ عليه الصَّلَاة والسَّلَام بين درعين (و) غلبته (الجراح) التي أصابته ذلك اليوم عن الصعود (فاستنفضه) أي : أراد منه بذلك الفعل : أن ينهض عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، ويقوى على الصعود .

وفي طلحة يقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه :

شعر أبي بكر رضي الله عنه

حَمَى نَبِيَّ الْهُدَى وَالْخَيْلُ تَتَبِعُهُ

حتى إذا ما التَّقُوا حَامِيْ عَلَى الدِّينِ

صَبْرًا عَلَى الطَّعْنِ إِذْ وَلَّتْ جَمَاعَتُهُمْ

وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَهْزُومٍ وَمَفْتُونٍ

يَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدٍ اللَّهُ قَدْ وَجَبَتْ

لَكَ الْجَنَانُ وَكَمْ زُوجَتْ مِنْ عَيْنٍ

يشير بقوله : (يا طلحة بن عُبيد الله قد وجبت) إلى قوله

صلى الله عليه وسلم لطلحة في ذلك اليوم : « أوجب طلحة »

أي : أحدث أمراً يستوجب به الجنة ، قالوا : وكان لطلحة

يومئذٍ المقام المحمود .

وفي هذا اليوم سمّاه طلحة الخير ؛ رضي الله تعالى عنه ،

طلحة الخير رضي الله عنه

قال في « الهمزية » :

وَالْعُمَرَانِ وَعَلِيٍّ وَعَفَا
وَتَبَّتْ نَسِيبَةُ الْمُبَايَعَةِ
إِلَهُنَا عَنِ الَّذِي مِنْهُمْ هَفَا
قَبْلُ وَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى مُدَافِعَهُ

طلحة الخير المُرتَضِيهِ رقيقاً

واحداً يومَ فَرَّتِ الرُّفَقَاءُ

فقد كان رضي الله عنه أعظم الناس غناءً ودفاعاً عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثبات العمرين وعلي
رضي الله عنهم

(و) ثبت معه صلى الله عليه وسلم (العُمَرَانِ) : أبو بكر

وعمر (وعليّ) بن أبي طالب (وعفا إلهنا) بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (عَنِ الَّذِي

منهم هفا) أي : زلّ ، يقال : هفا الرجل : زل ، وهي

الهفوة ، للزلة والسقطة ، ومنه لكل عالم هفوة ، والإنسان كثير

الهفوات ، والزلّة في قول المؤمنين الذين جالوا يومئذٍ : ﴿ لَوْ

كَانَ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ وأولى بالعفو من لم يقل ،

وهذا بناءً على ما قيل : إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

جالوا ، وقيل : نزلت في الذين جالوا دون الذين قالوا تلك

المقالة ، كعثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعُقبه بن

عثمان من بني زُرَيْقٍ ، وعليه فهفا : بمعنى أسرع .

قال في « القاموس » : هفا يهفو هفواً وهفوةً : أسرع

وَحَفَّ .

(وثبتت) مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (نَسِيبَةِ)

بالتكبير ، كما ضبطه غير واحد ، وهي أم عُمارة بنت كُعب

نسيبة أم عماره بنت
كعب رضي الله عنها

.....

المازنية^(١) (المبايعة) رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجها زيد بن عاصم (قبلُ) أي : قبل أُحد ، وذلك بالعَقبة الثانية ، ولم يشهدا من النساء إلَّا هي وأختها ، كما قاله في « الإصابة » .

(وعن خير الورى مدافعه) بالسيف ضرباً ، والقوس رمياً ، دفاع الكماة الأبطال رضي الله عنها ، فإنَّها قالت : خرجت أوَّل النهار ، حتى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت أباشر القتال ، وأدْبُ عنه صلى الله عليه وسلم بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خَلَصْتُ - أي : وصلت - الجراحُ إليَّ ، أصابني ابن قَمِئة أقمأه الله ، لما وَلَّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أقبل يقول : دُلُونِي على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، قالت : فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممَّن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرَبني هذه الضربة ، ولكن ضربته على ذلك ثلاث ضربات ، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان .

قالت أم سعد بنت سعد بن الرَّبيع : فرأيت على عاتقها

(١) من بني مازن بن النجار الأنصارية ، قال أبو عمر : (شهدت العقبة وأحدًا مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب ، وعبد الله ، وشهدت بيعة الرضوان ، وجرحت يوم اليمامة اثنتي عشرة جراحة ، وقطعت يدها ، وحبيب هو الذي أرسله النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب بكتاب ، فقال له : أتشهد أنَّ محمدًا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فقال : أتشهد أنَّي رسول الله ؟ فيقول : أنا أصم ، قال له ذلك مراراً ، فقطعه - لعنه الله - عضواً عضواً) اهـ

وَجُرِحَتْ فِيهِ وَشَلَّتْ يَدُهَا وَلِلتَّبَرُّكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا
فِي حُفْرَةٍ وَقَعَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ فَنَاشَهُ طَلْحَةُ وَالصَّهْرُ عَلَيَّ

ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسيبة رضي الله عنها

جرحاً أجوف له غور ، وكان معها يقاتل ابنها ، عبد الله وحيب ابنا زيد بن عاصم ، قال عليه الصلاة والسلام لابنها عبد الله : « بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك - يعني غزية بن عمرو زوج أمه - خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل بيت » .

قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك في الجنة ، قال : « اللَّهُمَّ ؛ اجعلهم رفقائي في الجنة » . قالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا أو جرحت .

الجروح التي أصابتها رضي الله عنها

(وَجُرِحَتْ فِيهِ) أي : في دفاعها ذلك المحمود اثني عشر جرحاً ، ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف (وَشَلَّتْ) أي : ييس (يدها) وعاشت بعد ذلك دهرأ يقصدها الناس تبرُّكاً ، كما قال (وَلِلتَّبَرُّكِ الْوَرَى تَقْصِدُهَا) من مسافة بعيدة ، فتمسح يدها الشلاء على العليل ، وتدعو له ، فيشفيه الله تعالى .

ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد :

وقوع النبي صلى الله عليه وسلم في حفرة حفرها أبو عامر

(فِي حُفْرَةٍ) من الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون (وَقَعَ خَيْرٌ مُرْسَلٌ) صلى الله عليه وسلم (فَنَاشَهُ) أي : تناوله (طَلْحَةُ) بن عبيد الله التيمي السابق (وَالصَّهْرُ عَلَيَّ) بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فأخذ

إِذْ عُتِبَتْ هَاشِرٌ رَبَّاعِيَّتُهُ وَشَقَّ مِنْ شِقْوَتِهِ شَفْتُهُ

عليّ بيده ، واحتضنه طلحة حتى استوى قائماً .

كسر رباعية النبي صلى
الله عليه وسلم

(إِذْ عُتِبَتْ) أي : وقع صلى الله عليه وسلم في حفرة حين
عتبة بن أبي وقاص (هَاشِرٌ) أي : ضرب فكسر (رباعيته) بفتح
الراء وتخفيف الياء ، السن التي بين الثنية والناب ؛ لأنه رماه
بأربعة أحجار ، فكسر حَجَرٌ منها رباعيته اليمنى السفلى ، كما
في رواية ابن هشام .

قال في « شرح المواهب » : (والمراد : أنها كسرت
فذهب منها فلقة ، ولم تقع من أصلها ، قاله في « الفتح ») .

(وشق) عتبة (من شقوته) مثلث الشين ؛ أي : من
شقائه (شفته) صلى الله عليه وسلم السفلى .

روى ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص : ما حرصت
على قتل رجل قطُّ حرصي على قتل أخي عتبة لما صنع
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كفاني منه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدَّ غضب الله على من
دمى وجه رسوله » .

واعلم : أنه ليس في شيء من الآثار ما يدل على إسلامه ،
بل فيها ما يصرح بموته على الكفر ، قاله في « شرح
المواهب » .

قال السهيلي في « الروض » : (لم يولد من نسله ولد
فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر ، أي متنن الفم ، أو أهتم ، أي

شؤم الآباء على الأبناء

وَشَجَّهُ ابْنُ قَمَّةٍ وَابْنُ شِهَابٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّ سَحَابٌ

مكسور الثنايا من أصلها ، يعرف ذلك في عقبه (اهـ

قلت : وهذا من شؤم الآباء على الأبناء ، نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على ابن قَمَّة

(وشجّه) عليه الصَّلَاة والسَّلَام عبد الله (بن قَمَّة)
ويقال : ابن قَمِيَّة ، في وجنته ، فدخلت فيها حلقتان من
المِغْفَر ، وقال حين ذاك : خذها وأنا ابن قَمَّة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أقمأك الله » أي : أذلّك وصغرك^(١) .

عبد الله بن شهاب الزُّهري

(و) عبد الله (ابن شهاب) الزُّهري ، وقد أسلم بعد ذلك
رضي الله عنه ، وهو جدُّ الإمام محمّد بن مسلم بن عبد الله بن
عبيد الله بن شهاب الزُّهري ، شيخ الإمام مالك ، قيل له :
أكان جدك عبد الله شهد بدرًا ؟ فقال : نعم ، ولكن في الجانب
الآخر ، وأخو عبد الله هذا عبد الله الأكبر من مهاجرة الحبشة ،
ومات بمكة قبل الهجرة رضي الله عنه .

قال في « الهمزية » مُعرباً أَنَّ هذه الشجّة زادت حسنًا
وجمالاً على حسنه وجماله :

مظهرٌ شجّة الجبين على البُر

كما أظهر الهلال البراء

(١) قد استجاب الله دعاءه صلى الله عليه وسلم فيه ؛ فإنه بعد الواقعة خرج إلى غنمه ، فوافاها على أعلى الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشدّ عليه كبشها ، فطحه نطحة أردته من شاهق الجبل ، فتقطع .

وَأَزْدَرَدَ الدَّمَ أَبُو الْخُدْرِيِّ وَأَنْتَزَعَ الْحَلْقَةَ فِي النَّبِيِّ

سُتِرَ الْحَسَنُ مِنْهُ بِالْحَسَنِ فَاعْجَبَ
لِجَمَالٍ لَهُ الْجَمَالُ وَقَاءُ
فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سُجُفٍ
الْأَكْمَامِ وَالْعُودِ شُقٌّ عَنْهُ اللَّحَاءُ
وَقَالَ سَيِّدُنَا حَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي وَصْفِ جَبِينِهِ
الشَّرِيفِ وَأَحْسَنِ :

وصف جبينه الشريف
صلى الله عليه وسلم

مَتَى يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبَهِيمِ جَبِينُهُ
يَلُحُّ مِثْلَ مَصْبَاحِ الدُّجَى الْمَتَوَقِّدِ
فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ
نِظَامًا لِحَقٍّ أَوْ نِكَالًا لِمُلْحَدٍ
(صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ) وَسَلَّمَ (مَا سَحَّ) صَبَّ (سَحَاب)
بِالْمَطَرِ ، وَاتَّصَلَتْ عَيُونٌ بِنَظَرٍ ، وَالْمَقْصُودُ : الدَّعَاءُ
الْمُسْتَمَرُّ .

(وازدرد) أي : ابتلع (الدم) من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أي : دم جراحاته مالك بن سنان رضي الله عنه ، وهو (أبو) أبي سعيد (الخُدْرِيّ) وحين امتصه قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تَصْبِهِ النَّارُ » .

وفيه من الفقه أنَّ دم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف غيره من الدماء في التحريم ، وأنَّ دمه طاهر ، حيث لم يغسل منه فمه ، ولم يأمره بذلك .

أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ أَثْرَمًا بِسَاقِطِ الثَّيْتَيْنِ أَعْلَمًا
بِمَلءٍ دَرَقَةٍ مِنَ الْمِهْرَاسِ جَاءَ لِيَشْرَبَ شَفِيعُ النَّاسِ

أبو عبيدة رضي الله عنه
يتزع بفيه الحلقتين من
جرح صلى الله عليه
وسلم

(وانتزع الحَلَقَةَ) من المِغْفَر (في) جرح (التَّبَيَّ) صلى
الله عليه وسلم الذي جَرَحَهُ ابن قَمِيَّةَ ، وهما حَلَقَتَانِ ، وفاعل
انتزع هو قوله : (أبو عبيدة) عامر بن الجراح انتزع إحداهما ،
فسقطت ثنيتيه ، ثم انتزع الأخرى ، فسقطت ثنيتيه الأخرى
(فكان) أبو عبيدة (أَثْرَمًا) بفتح الهمزة وهو ساقط الثنيتين أو
إحداهما ، والرَّبَاعِيَاتِ ، وهو هنا ساقط الثنيتين ، فلذلك
قال : (بساقط الثنيتين) والباء سببية .

وقوله : (أعلما) خبر بعد خبر لكان .

والأعلم كأحمر : الرجل المشقوق الشفة العليا ، ومؤنثه
عَلْمَاءُ ، ويقابله الأفلح ، وهو : مشقوق الشفة السفلى ، قال
العلامة الزمخشري في أبيات :

ومذ أفلح الجهَّال أيقنت أنني

أنا الميم والأيام أفلح أعلم

(بملء دَرَقَةٍ) بالتحريك وقد تسكن الراء كما هنا :
الجَحْفَةُ^(١) (من المِهْرَاسِ) بيان لقوله : (بملء) المتعلق
بقوله : (جاء) والمِهْرَاسِ ، بكسر الميم : صخرة منقورة
تمسك الماء فيتوضأ منه ، شبه بالمِهْرَاسِ الذي هو الهاوُنْ ،
قال الشَّهْلِيُّ : (وَهَمَّ المَبْرَدُ ، فجعل المِهْرَاسِ اسماً علماً

(١) هي الترس .

حَيْدَرَةُ فَعَافُهُ وَرَحَضَا عَنْ وَجْهِهِ الدَّمُ فَفَازَ بِالرِّضَا

للمهراس الذي بأُحد خاصة ، وإنَّما هو اسم لكل حجر نقر ،
فَأَمْسَكَ الْمَاءَ) .

يعني : أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَمِ
الشَّعْبِ . . جَاءَ بِالْمَاءِ الَّذِي مَلَأَ بِهِ الدَّرَقَةَ (لِيَشْرَبَ شَفِيعُ
النَّاسِ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ (حَيْدَرَةُ) لِقَبِّ لَسِيدِنَا عَلِيٍّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ فَاعِلٌ لِحَاءٍ ، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ . . وَجَدَ لَهُ رِيحاً
(فَعَافَهُ) أَيِ : كَرِهَهُ وَلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ (وَرَحَضَا) بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ
الْمَفْتُوحَةِ : أَيِ غَسَلَ (عَنْ وَجْهِهِ) الشَّرِيفِ (الدَّمِ) وَصَبَّ
عَلَى رَأْسِهِ (فَفَازَ) سَيِّدُنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بِالرِّضَا) مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال في « شرح المواهب » : (وهذا وقع قبل انصراف
الكفار من عليٍّ وحده ، ثُمَّ لَمَّا انصرفوا - كما في رواية
الطبراني - أَتَتِ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ ،
وعلي يسكبُ ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : « اشْتَدَّ
غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ » رواه البخاري) .

قال في « روض الثُّهَّاء » : (إِنَّ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا كَانَا يَغْسِلَانِ الدَّمَ ، وَيَزِدَادُ سِيلَاناً ، فَعَمَدَتِ السَّيِّدَةُ
فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَضَعَتْهُ فِي
الْجَرَحِ ، فَرَقَأَ الدَّمَ ، وَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمئِذٍ سَيْفَهُ ، وَقَالَ : « اغْسِلِي يَا بَنِيَّةُ هَذَا ، فَقَدْ وَاللَّهِ صَدَقَنِي

الصحابة الذين أحسنوا القتال

اليوم^(١) » ثم ناولها عليّ سيفه ، وقال : وهذا فاغسله ، فقد صدقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن كنت أحسنت القتال ، فقد أحسنه معك عاصم بن ثابت ، وأبو دُجّانة ، والحارث بن الصّمة ، وسهيل بن حُنيف » وقال رضي الله عنه :

أفَاطَمَ هَاءِ السَّيْفِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَلَسْتُ بِرَعِيدٍ وَلَا بَلْثِيمٍ
وَهَبْتُ يَوْمَئِذٍ رِيحَ سَمْعُوا فِيهَا قَاتِلًا يَقُولُ :
لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَا

رِ وَلَا فَتًى إِلَّا عَلِيٌّ

مقدار محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني النجار ، ثمّ من بني دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ ، فلمّا نَعُوا إليها . قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته . . قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَلَل ؛ أي : حقيرة .

قلت : ومن هذا تعرف مقدار ما يحمل الأصحاب الكرام من محبة صادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرق بين

(١) هذا يدل على أنّه صلى الله عليه وسلم ضرب بسيفه في هذه الغزوة حتى أصابه الدم .

صغير وكبير ، ورجل وامرأة .

وإليك حادثة أخرى من هذا الطراز تزداد بها حباً ، و يقيناً ، وإيماناً وعقيدة في شأن هؤلاء السادة الأبطال العظام الذين يفخر بهم الإسلام .

يقول العلامة المقرئ في « الإمتاع » : (خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج إلى أحد وهو يقول : اللهم ؛ لا تردني إلى أهلي ، فقتل شهيداً ، واستشهد ابنه خلاد وعبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي ، فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح على بعير لها تريد بهم المدينة ، فلقيتها عائشة رضي الله عنها وقد خرجت عائشة في نسوة تستروح الخبر ، ولم يضرب الحجاب يومئذ .

استشهد عمرو بن الجموح وابنه

هند بنت عمرو بن حرام تحمل الشهداء إلى المدينة

فقالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك ، أمّا رسول الله . . فصالح ، وكل مصيبة بعده جَلَلٌ ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً ، قالت عائشة : من هؤلاء ؟ قالت : أخي وابن خلاد وزوجي عمرو بن الجموح ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرُهم فيها ، ثم قالت : حلّ - تزجر بعيرها - فبرك . فقالت عائشة : لِمَا عليه ، قالت : ما ذاك به ، لربما حمل ما يحمل البعيران ، ولكنني أراه لغير ذلك ، وزجرته فقام ، فوجّهته راجعةً إلى أحد ، فأسرع . فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ،

هند رضي الله عنها تخبر عائشة رضي الله عنها أبناء المعركة

« إِنَّ مِنْكُمْ يَامَعْشَرَ
الْأَنْصَارِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ »

فقال : « إِنَّ الْجَمْلَ مَأْمُورٌ ، هل قال عمرو شيئاً ؟ » قالت : إِنَّ
عَمْرًا لَمَّا وُجِهَ إِلَى أَحَدٍ . قال : اللَّهُمَّ ؛ لَا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي
خَزْيَانَ ، وَارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « فَلِذَلِكَ الْجَمْلُ لَا يَمْضِي ، إِنَّ مِنْكُمْ يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ
مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ . . لِأَبْرَةٍ ، مِنْهُمْ : عمرو بن الجموح ،
يا هند ؛ ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى
الساعة ، ينظرون أين يدفن » ، ثُمَّ مَكَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
حَتَّى قَبِرَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « يا هند ؛ قد تراققوا في الجنة
عمرو بن الجموح وابنك خلاد وأخوك عبد الله » قالت :
يا رسول الله ؛ ادع الله أن يجعلني معهم) اهـ

كمال إيمان الصحابة
رضوان الله عليهم

وهذه الحوادث مشهورة في كتب السير الصحيحة ، وفيها
برهان واضح على كمال إيمان هؤلاء الأصحاب الكرام ،
ومنهم تلك المرأة التي أُصِيبَتْ بِزَوْجِهَا عَمِيدُ أُسْرَتِهَا ، وابنها
فلذة كبدها ، وأخيها في يوم واحد ، مبتهجة قائلة : كل مصيبة
دونك يا رسول الله جلل .

الواجب في حب
الصحابة رضوان الله
عليهم

نعم ؛ صدقت ، وصدقوا ؛ لِأَنَّهُمْ أَخْبَرُوا بِأَمْرٍ وَاقِعِي تَكُنْهُ
صُدُورُهُمْ وَتَعَرَّبَ عَنْهُ أَلْسِنَتُهُمْ ، وهذا العمل الخالد المبرور
منهم قُلٌّ مِنْ جُلٍّ ، مِمَّا يَعْبُرُ عَنْ مَحَبَّتِهِمُ الصَّادِقَةِ وَإِيمَانِهِمُ
الْكَامِلِ ، وحسبهم شرفاً ثناء الله عليهم في الكتاب القديم قبل
بروزهم إلى هذا الوجود ، فجدير بنا أن نَتَّخِذَ لَهُمْ مِنْ سُوْدَاءِ
قُلُوبِنَا مَحَلًّا نَجْعَلُهُمْ فِيهِ ، وَنَتَّخِذَ لَنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ

قَتَادَةُ ذُو الْعَيْنِ رَدَّهَا النَّبِيَّ بِقَوْسِهِ وَقَدْ تَشَظَّطَتْ حُبِّي

نصح وتوجيه

درساً نقندي بهم فيه ؛ حتى ننال سعادة الدارين بشرف هذا الحب الخالص ، وجدير بأبنائنا وشبابنا أن يتخذوا من سيرة الرسول العطرة وأصحابه الكرام ما يجعلونه سميرهم في هذه الحياة .

بلاء قتادة والمعجزة في حادثة عينه :

(قتادة) أي : مَمَّنْ ثبت قتادة بن النعمان بن زيد الأوسِي^(١) (ذو العين) التي أُصِيبَتْ يوم أُحُد ، فوقعت على وجنته ، فَأَتَىٰ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال له : « إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ ، وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا وَدَعَوْتَ اللَّهَ لَكَ ، فَلَمْ تَفْقَدْ مِنْهَا شَيْئاً » فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَجَزَاءٌ جَمِيلٌ ، وَعِطَاءٌ جَلِيلٌ ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مَبْتَلَىٰ بِحُبِّ النِّسَاءِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَقْلَنَ أَعْوَرُ ، فَلَا يَرُدُّنِي ، وَلَكِنْ تَرُدُّهَا وَتَسْأَلُ اللَّهَ لِي الْجَنَّةَ ، فقال : « أَفْعَلْ يَا قَتَادَةُ » ، ف (رَدَّهَا النَّبِيُّ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِأَنْ أَخَذَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَرَدَّهَا إِلَىٰ مَوْضِعِهَا ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ اكْسِهْ جَمَالاً » .

وروى الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ قَتَادَةَ : (كُنْتُ أَتَقَيُّ السَّهَامَ بِوَجْهِ دُونَ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ آخِرُهَا سَهْمًا نَذَرْتُ مِنْهُ حَدَقَتِي ، فَأَخَذْتُهَا بِيَدِي ، وَسَعَيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ

(١) شهد جميع المشاهد معه صلى الله عليه وسلم ، سمعه عليه الصلاة والسلام يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فقال : « وجبت » وتوفي سنة ثلاث وعشرين عن خمس وستين ، وصلى عليه عمر بن الخطاب .

.....

صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا رآها في كَفِّي . . دمت عيناها ،
فقال : « اللَّهُمَّ ؛ ق قتادة كما وقى وجه نبيِّك ، فاجعلها أحسن
عينيه ، وأحدِّهما نظراً » فكانت كذلك) .

قال البرهان في « النور » : (روى الأصمعيّ عن
أبي معشر قال : قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد
قتادة ، فقال ممَّن الرجل ؟ فقال :
أنا ابن الذي سألت على الخدِّ عينه

فُرِدَّت بكف المصطفى أحسن الرَّدِّ
فعادت كما كانت لأوّل أمرها
فيا حُسْن ما عينٍ ويا حُسْن ما خَدِّ
فقال عمر :

تلك المكارم لا قَعْبَانٍ من لَبِنٍ
شيئا بماء فعادا بعد أبوالآ
وفي رواية : فقال عمر : بمثل هذا فليتوسل المتوسلون .
ووصله وأحسن جائزته) .

وقال البوصيريُّ يصف راحته الكريمة عليه الصَّلَاة
والسَّلَام :

وأعادَتْ على قتادة عَيْنَا
فهي حتى مماتِهِ النجلاءُ

وقد تضمنت هذه معجزة له عليه الصَّلَاة والسلام ، ومزية
لسيدنا قتادة ، وأشار لمزية له أخرى بقوله : (بقوسه) أي :

أَوَّلُ مَنْ عَرَفَهُ فَبَشَّرَا بِهِ ابْنُ مَالِكٍ قَرِيعُ الشُّعْرَا

بقوس النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يتعلق بقوله :
(حُبِّي) .

(وقد) أي : والحال أنها قد (تَشَطَّطَتْ) بالبناء للفاعل ؛
أي : تفرقت (حُبِّي) أي : أُعْطِيَ قتادة بلا جزاء .

قال ابن إسحاق : « وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة :
أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رمى عن قوسه حتى اندقت
سِيَّتَهَا^(١) ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده » .

فائدة :

قال في « الحلبية » : (هذا القوس هو الذي أخذه
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سلاح بني قَيْنُقَاع لما أجلاهم
عن المدينة ، ويسمى : الْكَتُوم ؛ لَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ إِذَا
رُمِيَ بِهِ) .

أَوَّلُ مَنْ بَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(أَوَّلُ مَنْ عَرَفَهُ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التحدث بقتله ،
وخفائه عن أعينهم ، (فَبَشَّرَا بِهِ) منادياً بأعلى صوته : يا معشر
المسلمين ؛ هذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . هو كعب
(ابن مالك) الْخَزْرَجِيُّ السُّلَمِيُّ ، الْعَقَبِيُّ^(٢) (قَرِيعُ) أي :

كعب بن مالك رضي
الله عنه أول من عرف
بحياة رسول الله صَلَّى
الله عليه وسلّم

(١) هو ما انعطف من القوس .

(٢) قال البغوي : كَنَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا عبد الله ، ولم يكن لمالك ولد غير كعب ، وهو
أحد الثلاثة الذين تيب عليهم في غزوة تبوك ، قال ابن سيرين : قال كعب بيتين كانا سبب =

فَعَاوِدُوهُ وَتَسَاقَطُوا عَلَيْهِ وَنَهَضُوا لِلشَّعْبِ إِذْ أَوَّأَ إِلَيْهِ

سيد (الشعراء) المجموعين في قول الحافظ السيوطي :
شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورون
وشعراء المصطفى ذوو الشأن

ابن رَوَاحَةَ وكعبُ حَسَّانُ

والمراد : الشعراء المشهورون ، وإلّا . . فكم له صلى الله عليه وسلم من شاعر يمدحه وينافح عنه من أصحابه .

روى الطبرانيُّ برجال ثقات عن كعب : (لما كان يومُ أُحُد ، وصرنا إلى الشعب . . كنت أول من عَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هذا رسول الله ، فأشار إليَّ بيده : أن اسكت ، ثمَّ ألبسني لأمته ، ولبس لأمتي ، فقد ضُربتُ حتى جُرحت عشرين جراحة ، أو قال : بضعا وعشرين ، كل من يضربني يحسبني رسولَ الله صلى الله عليه وسلم) .

عودتهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

(ف) لَمَّا سَمِعَ الصَّحْبَ الْكَرَامَ ذَلِكَ (عاودوه) أي :
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعِينَ (وتساقطوا) أي : تتابعوا

= إسلام دوس ، وهما :

قضينا من تهامة كل وتر وخير ثمَّ أغمدنا السيوفاً
تخبرنا ، ولو نطق لقالَتْ قواضيهنَّ دوساً ، أو ثقيفاً
فلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ دوساً . . قالوا : خذوا لأنفسكم ؛ لا ينزل بكم ما نزل بثقيف .
قال ابن حبان : مات أيام قتل علي بن أبي طالب ، وقال البغوي : بلغني أنَّه مات بالشام في خلافة معاوية . اهـ ملخصاً من « الإصابة »

فَبَايَعُوا عَلَى الْمَمَاتِ الْمُجْتَبَى صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّ الصَّبَا
وَبَعْدَ مَا أَطْمَأَنَّ فِي الشَّعْبِ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَنْزَلَتْ

في وقوعهم (عليه) لكثرتهم ، فلم يكن التابع توانياً منهم
(ونَهَضُوا) معه صلى الله عليه وسلم (للشَّعْبِ) لينظر حال
الناس ، هو بكسر الشين : الطريق في الجبل (إِذْ أَوُوا) أي :
التجأوا (إليه) صلى الله عليه وسلم .

(فبايعوا على الممات المجتبى) أي : المختار (صلى
عليه الله) وسلم (ما هبَّ) ريح (الصَّبَا) وهي ريح النصر .

قال اليعمرِيُّ في « العيون » : (لما عرف المسلمون
رسول الله صلى الله عليه وسلم .. نهضوا به ، ونهض معهم
نحو الشَّعْبِ ، معه أبو بكر ، وعمر ، وعليٌّ ، وطلحة ،
والزُّبَيْر ، والحارث بن الصُّمَّة ، ورهط من المسلمين ، وقال
موسى بن عُقبة : بايعوه على الموت) .

نهض رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمعاونة
طلحة بن عبيد الله
ودعاؤه له

(وبعد ما اطمأَنَّ) رسول الله صلى الله عليه وسلم (في
الشَّعْبِ) معه أولئك النفر (علت عَالِيَةٌ) جماعة من مشركي
قريش الجبل (من فوقهم) فقال صلى الله عليه وسلم :
« اللَّهُمَّ ؛ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَغْلُونَا » (فَأَنْزَلَتْ) الجماعة
العالية من الجبل لما قاتلهم عمر بن الخطاب ، ورهط من
المهاجرين .

قال اليعمرِيُّ : (ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى صخرة من الجبل لِيَغْلُوَهَا ، وقد كان

صَلَّى بِهِمْ وَقَعَدُوا وَقَعَدَا ظَهَرَا لِمَا مِنَ الْجِرَاحِ أَجْهَدَا

بَدَن^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهرَ بينِ دِرْعَيْنِ ،
فلَمَّا ذهب لينهض . . لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن
عبيد الله ، فنهَضَ به حتى استوى عليها) .

قال ابن إسحاق : (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عن
عبد الله ، عن الزُّبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يومئذٍ : « أَوْجَبَ طَلْحَةُ »^(٢) حين صنع برسول الله صلى
الله عليه وسلم ما صنع) .

قال ابن هشام : (وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أنَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب) .
(صَلَّى) رسول الله صلى الله عليه وسلم (بِهِمْ) أي :
بالصحابه (وقعدوا) متابعة ، أو من الجراح التي أصابتهم
(وقعدا) عليه الصَّلَاة والسَّلَام (ظهرَا) معمول لقوله :
(صَلَّى) ، (لِمَا) أي : للجراح التي أجهدته ، وشقت عليه ،
فقوله : (من الجراح) بيان لما (أجهدا) .

قال ابن هشام : (وصَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الظهر
يومئذٍ قاعداً ، من الجراح التي أصابته ، وصَلَّى المسلمون
خلفه قعوداً) .

صلاة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم بأصحابه
قعوداً

(١) قال البرهان : (بَدَنٌ - بفتح الدال المهملة المشددة - أي : أسن أو ثقل من السن) اهـ
« شرح المواهب »

(٢) قال اليعمرى : (يعني : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة) اهـ

وَأَسْتَبَدَّلْتُ هِنْدُ مِنَ اللَّالِي فَلَائِدًا مِنْ أَنْفِ الرَّجَالِ
وَطَوَّقْتُ وَخَشِيَّهَا الْفَرِيدَا وَأَدْبَرْتُ تُرَدَّدُ النَّشِيدَا

تمثيل هند بنت عتبة بالشهداء :

(واستبدلت هند) بنتُ عُتْبَةَ بن ربيعة المتقدم في بدر^(١)
(من اللآلي) جمع لؤلؤة : الدر (قلائدا) : جمع قلادة ،
وهي ما يجعل في العنق ؛ يعني : أَنَّهَا جعلت (من أَنْفِ
الرجال) قلائد بدلاً من اللآلي ، وَأَنْفٍ على أَفْعُلْ : جمع
أنف .

قال ابن إسحاق : (ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي
معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يَجْدَعْنَ : أي يقطعن الآذان ، والأأنوف حتى اتخذت هند من
آذان الرجال وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا^(٢) وقلائد ، وأعطت خَدَمَهَا وقلائدها
وقُطِرَها وَخَشِيَّاً كما قال : (وطوقت وخشيها الفريدا) ، وهو
الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أي : ألبسته الفريد ، وجعلته طوقاً
في عنقه ، وأضيف إليها ، إمَّا لَأَنَّهُ لبني عبد مناف ، وهي من
رؤسائهم يومئذ بمكة ، أو لرضاها عنه يومئذ حتى جعلته
كالابن ، أو لغير ذلك .

(١) أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة ، وشهدت معه اليرموك ، روى الأزرق وغيره : أَنَّهَا لما أسلمت جعلت تضرب صنمها في بيتها بالقدم فلذة فلذة ، وتقول : كفاني غروراً .

روى عنها ابنها معاوية وعائشة ، وماتت سنة أربع عشرة .

(٢) بفتح الخاء المعجمة والdal المهملة : الخلاخيل ، واحداها : خدمة .

نَحْنُ جَزِينَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُغْرٍ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ وَلَا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرٍ

نشيد هند فرحاً بقتل
سيد الشهداء حمزة
رضي الله عنه وانتقام
قريش لقتلة بدر

(وأدبرت تُردِّدُ النشيدا) بأعلى صوتها ، وتقول :

(نَحْنُ جَزِينَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ
والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُغْرٍ^(١)
ما كان عن عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ
ولا أَخِي وَعَمَّهُ وَبِكْرٍ^(٢))

وبعده :

شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضِيتُ نَذْرِي
شَفِيتَ وَخَشِيتُ غَلِيلَ صَدْرِي^(٣)
فَشَكَّرْتُ وَخَشِيتُ عَلَيَّ عُمْرِي
حَتَّى تَرَمَّ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي^(٤)

أول من ولدت هند من
الرجال

قال في « روض النُّهاة » : (ليس بكرها حنظلة بن
أبي سفيان ، ولا قيس بن الفاكه ، كما يزعم بعض الجهلة ؛
لأنَّ حنظلة أمه صفية بنت أبي العاص عمة عثمان ، وأمَّا
قيس بن الفاكه . . فأُمُّه أم عثمان بنت عم أبيه الفاكه ، وهند
أول ما ولدت من الرجال : أبان بن حفص بن المغيرة ، لكن

(١) بضم السين والعين ، وفيها التسكين أيضاً ، وهو المناسب هنا ؛ أي : والحرب ذات
التهاب .

(٢) بكسر الباء ، تريد حنظلة بن أبي سفيان الذي هو كأول أولادها .

(٣) الغليل - بالغين المعجمة - : العطش ، وأيضاً : حرارة الجوف .

(٤) ترم - بفوقية مفتوحة فراء مكسورة - أي : تبلى أعظمي .

لم نقف على أنه قتل يوم بدر ، ولا على نفيه عنه) اهـ

وأجابتها هند بنت أثاثة بن عَبَّاد بن المطلب المطلبية ،
أُخْتُ مِسْطَح بقولها :

هند بنت أثاثة تجيب
هنداً زوج أبي سفيان
على شماتها بما حصل
للمسلمين

خَزَيْتِ^(١) في بدر وبعد بدر

يا بنت وقاع عظيم الكُفْرِ

صَبَّحَكَ اللهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ

مِلْهَا شَمِيمِينَ^(٢) الطَّوَالِ الزُّهْرِ

بِكُلِّ قَطَّاعٍ^(٣) حُسَامٍ يَفْرِي

حمزة ليثي وعلي صقري

إذ رام شيبٌ وأبوك غُدري

فخضبا منه ضواحي النحر^(٤)

ونذركِ السَّوءَ فشرُّ نَذَرٍ

قال في « شرح المواهب » : (قال الحافظ أبو الرَّيِّع في

« الإكتفاء » : هذا قول هند والكفر يحنقها ، والوتر يقلقها ،

(١) خزيت - بخاء معجمة فزاي - والخزي : الذلة والإهانة ، والوقاع - بتشديد القاف : الكثير الوقوع في الدنيا .

(٢) بميم مكسورة ، فلام ساكنة : أصله (من الهاشميين) ، فحذفت النون لالتقاء الساكنين ، والزهر - بضم الزاي المشددة - أي : البيض .

(٣) الحسام - بضم الحاء المهملة - : السيف القاطع ، ويفري - بالتحية المفتوحة - أي : يقطع .

(٤) رام بمعنى : طلب ، وفاعله (شيب) مرخم من شيبة في غير النداء ، وهو جائز ، وخضب - بالضاد المعجمة المشددة - وضواحي النحر : ما ظهر منه .

كِلَا الْمَجْدَعِ وَسَعْدِ الْمُفْتَدَى سَأَلَ رَبَّ الْعَرْشِ مِنْهُمْ أَسَدًا

والحزن يُخرقها ، والشيطان ينطقها ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ هداها إلى الإسلام ، وعبادة الله ، وترك الأصنام ، أخذ بِحُجْرَتِها عن سوء النار ، ودلَّها على دار السلام ، فصلَّحت حالها ، وتبدَّلت أقوالها ، حتَّى قالت له صلى الله عليه وسلم : والله يا رسول الله ؛ ما كان على أهل الأرض أهلُ خباء أحبَّ إليَّ أن يذِلُّوا من أهل خبائك ، وما أَصْبَحَ اليومَ أهلُ خباء أحبَّ إليَّ أن يَعِزُّوا من أهل خبائك ، فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين .

استشهد عبد الله بن جحش كما سأل ربه :

(كلا المجدع) بصيغة اسم المفعول في الأصل :
المقطوع الأذن ، أو الأنف ، أو هما ، أو اليد ، أو الشفة ،
والمراد به هنا : سيدنا عبد الله بن جَحَش^(١) ؛ فإنه قُطِعَ في هذا

(١) ابن رباب - براء وتحتانية وآخره موحدة - ابن يعمر الأسدي ، حليف بني عبد شمس أحد السابقين ، قال ابن إسحاق : هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدرأ .

أول أمير في الإسلام
عبد الله بن جحش رضي
الله عنه

روى البغوي من طريق إبراهيم بن سعد عن مسلم بن محمد الأنصاري ، عن رجل من قومه قال : (أَخِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت) ومن طريق زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قال : « لأبعثنَّ عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش ، فكان أول أمير في الإسلام .

قال الزبير : كان يقال له المجدع في الله ، وكان سيفه قد انقطع يوم أُحُد ، فأعطاه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرجوناً ، فصار في يده سيفاً ، فكان يسمَّى ذا العرجون قال : وقد بقي هذا السيف حتى بيع من بغا التركي بمئتي دينار . اهـ ملخصاً

اليوم أنفه وأذناه في سبيل الله تعالى (وسعد) بالجر معطوف على (المجدّع) الواقع مضافاً إليه ، وهو سيدنا سعد بن أبي وقاص (المفتدي) أي : الذي افتداه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه ، ولم يفد بهما غيره ، قيل : والزبير يوم الخندق .

وفاعل قوله : (سأل) عائد على كلا الواقع مبتدأ ، خبره جملة سأل (ربَّ العرش) عزَّ وجلَّ (منهم أسداً) أي : رجلاً شجاعاً يقاتل كل منهما في سبيله تعالى .

وذلك ما حدَّث به سعد : أنه لقي يوم أُحُد أول النهار عبد الله بن جحش ، فخلا به ، وقال له عبدُ الله : يا سعد ؛ هلُمَّ فلندعُ الله ، وليذكر كل منا حاجته في دعائه ، وليؤمِّن الآخر ، قال سعد : فدعوت الله أنِّي ألقى فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرَّده^(١) فأقتله ، وأخذ سلَّبه ، فقال : اللَّهُمَّ ؛ آمين ، ثمَّ استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السَّماء ، وقال : اللَّهُمَّ ؛ لقني فارساً شديداً بأسه ، شديداً حرَّده ، يقتلني ويجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً تقول لي : يا عبد الله ؛ فيم جدع أنفك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ، فتقول : صدقت ، قل يا سعد : آمين ، قال : فقلت : آمين ، ثمَّ مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأذنين ، وإنَّ أنفه وأذنيه معلَّقتان في خيط ، ولقيت أنا فلاناً من المشركين ، فقتلته ، وأخذت سلَّبه .

الدعاء الذي دعا به كل من سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن جحش رضي الله عنهما فيل المعركة

(١) بفتح الحاء والراء ؛ أي : شديداً غضبه .

أَمَّا الْمَجْدَعُ فَلِلشَّهَادَةِ وَسَعْدُ الْفَتْكَ بِهِ أَرَادَهُ
وَإِذْ أَبُو رُهِمِ الْغِفَارِيُّ نُحِرَ بِرِيقِهِ فِي الْحَيْنِ قَامَ مُسْتَمِرٌّ

وإلى ذلك أشار بقوله : (أَمَّا الْمَجْدَعُ فَلِلشَّهَادَةِ) كان
سؤاله ، فظفر بها (و) أَمَّا (سعد) فأراد (الفتك به) فهو
مفعول لفعل مقدر يفسره قوله : (أَرَادَهُ) .

طلب الموت المنهي
عنه

والفتك : هو ارتكاب ما هَمَّ من الأمر ، وانتهاز الفرصة
بالقتل ، وهو المراد هنا ، وهذا ليس من تمنّي الموت المنهي
عنه ، وإنما يكون المنهي عنه لضرر نزل به ، وقاتل عبد الله كما
في « الإصابة » أبو الحكم ابن الأخنس بن شريق لعنه الله تعالى
وقد قتل يومئذٍ والحمد لله ، وكانت سنُّ سيدنا عبد الله بن
جحش يومئذٍ بضعا وأربعين سنة ، ودفن مع خاله سيدنا
حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد رضي الله عنهما .

قاتل عبد الله بن جحش

دفنه مع خاله سيد
الشهداء رضي الله عنهما

أبو رهم كلثوم بن
الحصين وما أصابه

(وإذ أبو رُهِمِ) بضم الراء مع إسكان الهاء ، وهو سيدنا
كلثوم بن الحصين (الْغِفَارِيُّ نُحِرَ) بالبناء للمفعول ؛ أي :
أصابه سهم في نحره .

(بريقه) صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعلق بقوله : قام
(في الحين) أي : في وقته (قام مستمر) أي : قام مستمرا
بالبرء في حين بَصَقَ عليه صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُهِمِ هذا
هو الذي استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة لما توجه
إلى فتح مَكَّةَ ، هو مَمَّنْ بايع تحت الشجرة .

وَأَسْتَشْهَدُ اللَّذَانِ قَدْ تَخَلَّفَا لِكِبْرِ فَلَحِقَا وَزَحَفَا
هُمَا حُسَيْلُ الْيَمَانِي أَسْلَمَهُ حُذِيفَةُ إِذْ أَهْلَكَتْهُ الْمُسْلِمَةُ

استشهاد حُسَيْلِ بن جابر اليماني :

(واستشهد) بالبناء للفاعل ؛ أي : طلب الشهادة (اللذان قد تخلفا) أي : قعدا عن الخروج ابتداءً مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لكبر) بكسر الكاف وفتح الباء (فلحقا) أي : بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وزحفا) أي : قاتلا ، والزحف الدنو من القتال .

و(هما) سيدنا (حُسَيْل) بالتصغير ، ابن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جَرُوة (اليماني) سمي بذلك لأنه أصاب دماً في قومه ، فهرب إلى المدينة ، فحالف بني عبد الأشهل ، فسمي به لمحالفته اليمانية ، وهم الأنصار (أسلمه) أي : أعطاه ابنه (حُذِيفَةُ)^(١) للمسلمين ؛ يعني : ردَّ دَيْتَهُ ولم يقبلها

(١) يكنى : حذيفة أبا عبيد الله ، كما ذكره السهيلي ، حليف بني عبد الأشهل .

قال في « روض النهاية » : (شهد أُحُدًا وما بعدها ، وكان من كبار الصحابة ، بعثه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الخندق ينظر إلى قریش ، وكان يعرف بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر يسأله عن المنافقين ، وكان يتحرّاه في شهود الجنائز ، وخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة ، فاختار النصر ، شهد نهاوند ، وأخذ الراية بعد قتل نعمان بن مقرن ، ففتح الله على يديه ، وسئل : أي الفتن أشد ؟ قال : أن يعرض عليك الخير والشر ، ولا تدري أيُّهما تركب . وقال : لا تقوم الساعة حتى تسود كل قبيلة منافقوها .

مات رضي الله عنه سنة بضع وثلاثين ، وقتل ابنه صفوان وسعيد مع علي رضي الله عنه بوصية أبيهما) اهـ

أي الفتن أشد ؟

وَتَابِتُ بْنُ وَقْشٍ الْمُسْتَشْهَدُ أَخُوهُ وَأَبْنَاهُ وَكُلُّ وَتَدُ

من المسلمين (إذ أهلكته المسلمة) خطأ ، اختلفت عليه
أسيافهم ، يظنونه من المشركين ، وكان الذي قتله خطأ سيدنا
عُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ^(١) رضي الله عنه .

تنبيه :

وقع في « شرح مسلم » للأئبي عن القرطبي : أَنَّ صاحب
هذه القصة عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وَأَنَّهُ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ
خطأً ، وهو وَهَم ؛ فلذا اقتضى التنبيه عليه ، والله أعلم .

استشهاد ثابت بن وقش ، وأخيه رفاعه ، وابنيه الأصيرم ، وسلمة :

عزم حسيل وثابت بن
وقش رضي الله عنهم
على مشاركة المسلمين
قتالهم

(وثابت بن وَقْش) بالرفع ، معطوف على حُسَيْل ، قال
ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ
مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ . . . رُفِعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرِ الْيَمَانِيِّ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ
الْيَمَانِ ، وَثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فِي الْإِطَامِ ، مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ،

أول من سمي
المصحف مصحفاً

(١) هو أخو سيدنا عبد الله بن مسعود ، وجد عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة بن مسعود الفقيه ، ذكره عبد بن حميد في « التفسير » .
وعتبة أول من سمي المصحف مصحفاً فيما روى ابن وهب في
« الجامع » نقله السهيلي .

وقال في « روض الثَّهَّاء » : (أسلم عتبة قبل أخيه عبد الله ،
واستشهد يوم اليمامة ، ونحو ابني مسعود هذين ابنا الخطاب عمر
وزيد ، قال عمر رحم الله : أخي سبقني إلى الحُسَيْنين : الإسلام
والشهادة ، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على الشهادة ، رمى في
هذا اليوم بدرعه لأخيه زيد ، فقال له زيد : يا أخي ؛ أريد من
الشهادة ما تريد ، فتركها جميعاً) اهـ

فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان : لا أبا لك ! ما ننتظر ؟!
فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلاَّ ظِمٌّ حمار^(١) ، إنَّما نحن
هامةُ اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيفنا ، ثمَّ نلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، لعلَّ الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فأخذنا أسيفهما ، ثمَّ خرجا ، حتى دخلا في
الناس ، ولم يُعلم بهما .

فأمَّا ثابت بن وقش . . فقتله المشركون ، وأمَّا حُسَيْل بن
جابر . . فاختلفت عليه أسيف المسلمين ، فقتلوه
ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي والله ! فقالوا : والله إن
عرفناه ! وصدقوا . قال حذيفة : يغفر الله لكم والله أرحم
الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ،
فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين . فزاده ذلك عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيراً .

وقوله : (المستشهد) بالرفع : صفة لثابت (أخوه)
رفاعة بن وقش ، فإنَّه استشهد يوم أُحُد (وابناه) أي : ثابت ،
وهما : عمرو بن ثابت بن وقش الملقب بالأصيرم ، المتقدم
خبره ، وسَلَمَة بن ثابت رضي الله تعالى عنهم ، ونفعنا
بحبهم ، (وكلُّ) من المذكورين (وتَدُّ) بفتحتين ، شبههم
بالجبال ، التي هي أوتاد الأرض ، تشبيهاً بليغاً ، لشرفهم في
قومهم ، وفضلهم في الإسلام .

(١) مقدار ما يكون بين شربتي الحمار ، وهو أقصر مسافة ، وهو كناية عن قرب الأجل .

وَأَبْنُ الرَّبِيعِ سَعْدُ اللَّذْ سَأَلَا نَبِيَّنا عَنْهُ فَأُلْفِي عَلَى
شَفَا الشَّهَادَةِ فَأَرْسَلَ الرِّضَا إِلَى النَّبِيِّ بِالسَّلَامِ وَالرِّضَا

استشهاد سعد بن الربيع :

سؤال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما فعل
الله لسعد بن الربيع
رضي الله عنه

(و) استشهد (ابن الربيع) بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الحارث ، واسمه (سعد ، اللذ سألاً نبينا) صلى الله عليه وسلم (عنه) يوم أُحُد بعد إسفارهم عن المعركة ، فقال : « مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعدُ بن الربيع ، أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ » فقال رجل : أنا يا رسول الله ، قيل : هو أبيُّ بن كعب ، وقيل : محمَّد بن مسلمة ، فنادى في الأموات فلم يجبه ، إلى أن قال : يا سعد ؛ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بعثني أنظر له ما صنعت ؟ أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فأجابني بصوت ضعيف : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السَّلَام ، وقل له إِنَّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عَنَّا خير ما جزى نبياً عن أُمَّته ، وأبلغ قومك عني السَّلَام ، وقل لهم : إِنَّ سعد بن الربيع يقول لكم : لا عُذر لكم عند الله إن يُخْلَصْ إلى نبيِّكم وفيكم عين تطرف ، ثمَّ قال : فلم أبرح حتى مات ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته خبره ، وهذا ما أشار له بقوله :

إجابة سعد بن الربيع
رضي الله عنه في
اللحظات الأخيرة

(فَأُلْفِي) أي : فَوُجِدَ (على شفا) أي : على طرف (الشهادة) وشفا كل شيء : حرفه ، وطرفه ، يقال للرجل عند موته : ما بقي منه إلَّا شفا (فأرسل الرضا) أي : المرضي

وَذُو الْوَصَايَا الْجُمُّ لِلْبَشِيرِ وَهُوَ مُخَيَّرِيقُ بَنِي النَّضِيرِ

عند الله ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيدنا سعد ، وهو فاعل (أرسل) .

(إلى النَّبِيِّ بِالسَّلَامِ وَالرَّضَا) عنه ، ودفن هو وابن عمه خارجة بن زيد في قبر واحد ، رضي الله عنهما ، وعنَّا بهما ، وجمعنا بهما في دار كرامته ، من غير سابقة عذاب ، بمنَّه وكرمه ، آمين .

دفن سعد وابن عمه خارجة رضي الله عنهما في قبر واحد

استشهاد مخيريق من بني النضير :

(و) استشهد (ذو الوصايا الجُم) بضم الجيم جمع جَمَّ بفتحها ؛ أي : الوصايا الكثيرة (للبشير) صلى الله عليه وسلم (وهو مُخَيَّرِيق) رضي الله عنه ، ونفعنا به ، وهو من (بني النضير) كان حَبْرًا ، كثير المال ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتَّى إذا كان يومُ أُحُد يومَ السبت . . قال : والله يا معشر يهود ؛ إنَّكم لتعلمون أنَّ نصرَ محمَّد عليكم لحقَّ ، قالوا : إنَّ اليوم يوم السبت ، قال : لا سبتَ لكم ، ثمَّ أخذ سلاحه ، فخرج حتَّى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه بأُحُد ، وعهد إلى مَنْ وراءه من قومه : إن قُتلت فمالي لمحمَّد يصنع فيه ما أراه الله ، فلمَّا اقتتل الناس . . قاتل حتَّى قُتِل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مخيريقُ خيرُ يهود » .

مخيريق الحبر

مخيريق يطالب قومه اليهود بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم

هيبته أمواله لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وَمُصْعَبُ شَمَّاسٍ وَالْمُجَدِّعُ بِحَمْزَةِ الْمُهَاجِرُونَ أَزْبَعُ

أول الأوقاف في
الإسلام

فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَهُ ، فَعَامَّةُ صَدَقَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْصَرَفَ مِنْهَا جَعَلَهَا أَوْقَافًا ، وَهِيَ أَوَّلُ حَبْسٍ حُبِسَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ سَبْعَ حَوَائِطَ ، أَسْمَاؤُهَا فِي « الْإِصَابَةِ » فِي تَرْجُمَتِهِ ، وَهَذَا أَحَدُ الْأَدْلَةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْوَقْفِ فِي الْإِسْلَامِ ، خِلَافًا لِبَعْضِ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ مِمَّنْ يَرِيدُ حُلَّ الْأَوْقَافِ الْإِسْلَامِيَةِ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى ، هَذَا اللَّهُ وَإِيَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

قال في « روض النُّهاة » : (ولم تزد الكتب في نسب مخيريق على كونه من بني النُّضِيرِ) .

استشهاد مصعب بن عمير وشماس المخزومي :

(وَمُصْعَبُ) بن عُمَيْرِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَ(شَمَّاسُ) هُوَ ابْنُ عُثْمَانَ الشَّرِيدِ الْمُخْزُومِيِّ ^(١) (وَالْمُجَدِّعُ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ

شماس المخزومي
رضي الله عنه
« ما وجدت لشماس
شبهًا إلا الجنة »

(١) قال في « الإِسْتِيعَابِ » : (اسْمُهُ عُثْمَانُ ، وَشَمَّاسُ لِقَبْ غَلَبَ عَلَيْهِ ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، كَانَ مِنْ مِهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا ، كَانَ يَوْمَ قَتْلِ فِي أَحَدِ ابْنِ أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا وَجَدْتُ لَشَمَّاسٍ شَبَهًا إِلَّا الْجَنَّةَ » يَعْنِي : مِمَّا يَقَاتِلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْمِي بَبَصَرِهِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا . . إِلَّا رَأَى شَمَّاسًا فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ يَذِبُ بِسَيْفِهِ ، حَتَّى غَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَسَ بِنَفْسِهِ دُونَهُ حَتَّى قَتَلَ ، فَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَأُدْخِلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ابْنُ عَمِّي يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « احْمِلُوهُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ » فَحُمِلَ إِلَيْهَا فَمَاتَ عِنْدَهَا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ =

دفنه مع الشهداء بأحد

المتقدم أيضاً ، (بحمزة) أي : مع حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(١) ، ووصفهم بقوله : (المهاجرون) وأخبر عن الأسماء المذكورة بقوله (أربع) ، أي ممن استشهد في وقعة أُحُد من المهاجرين وبقية السبعين من الأنصار .

= يرد إلى أُحُد ، فدفن هناك كما هو في ثيابه التي مات فيها ، بعد أن مكث يوماً وليلة ، إلا أنه لم يأكل ولم يشرب) .

قلت : قال في « روض الثَّهَّاء » : (قالت أخته ترضيه وقيل : زوجته - وأراه لو كانت له ثَمَّ زوجة .. لما تنازعه غيرها من النساء :

يا عين جودي بدمع غير إبساس على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيته حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لَمَّا أتى الناعي به جزءاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله منا قرب شماس

حمزة سيد الشهداء (١) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال في « الإستيعاب » : (يكتنى أبا عمارة ، وأبا يعلى ؛ بابنيه ، أسلم في السنة السابعة من المبعث) .

ذكر البكائي عن ابن أسحاق قال : (كان حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بستتين ، كان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة ، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد ، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حمزة سيد الشهداء » وروي : « خير الشهداء ، ولولا أن تجد صفة .. لتركته دفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع » وكان قد مثل به وبأصحابه يومئذ ، ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع بحمزة من المثلة .. قال : « لئن ظفرت بقريش .. لأمثلن بثلاثين منهم » فأُنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

هذا : وترجمته وكراماته رضي الله عنه تضيق عنها الصحف .

حَنْظَلَةُ الْغَسِيلُ نَجُلُ الْفَاسِقِ زَوْجُ جَمِيلَةَ ابْنَةِ الْمُنَافِقِ
أَجْنَبَ مِنْهَا فَاسْتَخَفَّهُ الْقِتَالُ عَنْ شِقِّهِ أَوْ عَنْ جَمِيعِ الْإِغْتِسَالِ

استشهاد حنظلة غسيل الملائكة :

وَمَنْ اسْتَشْهِدَ بِأَحَدٍ أَيْضاً : (حنظلة) الملقب
بـ (الغسيل) لما سيأتي (نجل) أي : ابن أبي عامر
(الفاسق) بتلقيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قبلُ يسمي
الراهب (زوج جميلة ابنة) عبد الله بن أبيّ ، (المنافق أجنب
منها) أي : أمني من زوجته جميلة ، لما ابتنى بها تلك الليلة ،
فأراد الاغتسال (فاستخفه القتال عن) غسل (شقه) على أنه
اغتسل ، وبقي شقه (أو عن جميع الاغتسال) على أنه لم يغسل
شيئاً ، فأولتنوع الخلاف .

رؤيا جميلة زوج حنظلة
رضي الله عنهما

قال في « روض النّهاة » : (وكانت زوجه جميلة رأت
تلك الليلة في النوم كأنّ باباً من السماء قد فُتح له ، فدخله
وأغلق دونه ، فعلمت أنّه ميّت ، فدعت رجالاً من قومها حين
أصبحت ، فأشهدتهم على الدخول بها ، خشية أن يكون في
ذلك نزاع ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ
صاحبكم لتغسله الملائكة » وفي رواية : « رأيت الملائكة
تغسله في صحاف الفضة ، بماء المزن ، بين السماء والأرض »
فُسئِلَتْ ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة ،
والْتُمِسَ في القتلى ، فوجدوه ورأسه يقطر ماء ، وليس بقربه
ماء ، تصديقاً لقوله عليه الصّلاة والسّلام .

وفي هذا القول متعلّق لمن قال من الفقهاء : إنّ الشهيد

وَقَالَ صَخْرٌ إِذْ رَأَاهُ قَتَلَهُ شَدَّادُهُمْ حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةٍ
وَأُسْتُشْهِدَ الْأَعْرَجُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ وَعَنْ حَيَاةِ الْمُصْطَفَى أَبَا الْفُتُوحِ

يغسل إذا كان جُنُباً ، ومنهم من قال : لا يغسل كسائر الشهداء ؛ لأنَّ التكليف سَقَطَ عنهم بالموت .

وحملت جميلة تلك الليلة بعدد الله بن حنظلة ، إمام أهل المدينة لما خَلَعُوا اليزيد ، فكانت عليهم وقعة الحرّة) .

قاتل حنظلة الغسيل

(وقال) أبو سفيان (صخر) بن حرب (إذ رآه) أي : رأى حنظلة المقتول : قد (قتله) أي : حنظلة ، وفاعل (قتله) (شَدَّادُهُمْ) أي : قريش ، وهو شداد بن أبي نعيم بن الأسود بن شعوب الليثي ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتله المسلمون ببدر : (حَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةٍ) بالرفع ؛ أي : حنظلة هذا ، مقتول بحنظلة بن أبي سفيان . أو بالنصب ؛ أي : قتلنا حنظلة بحنظلة .

والذي قتل حنظلة بن أبي سفيان زيد بن حارثة في يوم بدر ، هذا هو الصواب ، خلافاً لمن قال : إِنَّ الْقَاتِلَ لَهُ هُوَ حَنْظَلَةُ الْغَسِيلِ : لأنَّ الْغَسِيلَ لم يشهد بدرأ .

استشهاد عمرو بن الجموح :

(وَأُسْتُشْهِدَ) بالبناء للمفعول على الأكثر ؛ أي : طلب الشهادة فنالها (الْأَعْرَجُ) هو كما في « القاموس » : من أصابه شيء في رجله ، يقال : عَرَجَ كجلس ، أو يثَلث إذا كان غير خلقة ، وإذا كان خلقة فهو كفرح ، ومِشْيَةُ الْعَرَجَانِ محرّكة .

والمراد هنا سيدنا (عمرو بن الجموح) بفتح الجيم ،
وتخفيف الميم ، ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة
الأنصاري ، وإنما ذكره الناظم بصفة العرج ؛ لأنها صفة مانعة
له عن الخروج ، ويعذر عن الجهاد من أنصف بها ، ولكن
حملة على الخروج قوة إيمانه وعظيم إيقانه رضي الله عنه ونفعنا
به .

إصرار عمرو بن الجموح
على الخروج للقتال

وكان شديد العرج ، ولما عرف بنوه منه ذلك . . أرادوا
حسبه ، فشكاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
« أما أنت فقد عذرك الله » ثم قال لبنيه : « ما عليكم ألا
تمنعوه ؛ لعل الله يرزقه الشهادة » فأخذ سلاحه ، وأقبل على
القبلة وقال : اللهم ؛ ارزقني الشهادة ، ولا تردني إلى أهلي
خائباً ، فلما انكشف المسلمون . . حمل هو وابنه خلاد فقتلا
رضي الله عنهما ، وجمعا بهما في دار كرامته ، بمنه وكرمه .

روى النبي صلى الله عليه
وسلم عمرو بن الجموح
في الجنة

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن منكم من لو أقسم على
الله . . لأبره ، منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيته يطأ في
الجنة بعرجته » .

ولما استشهد . . حملة أهله على بعيه ، فاستصعب
عليهم ، فكلما وجهوه إلى جهة . . سارع إليها ، إلا جهة
المدينة ، فكلما وجهوه إليها . . امتنع ، فذكروا قوله : اللهم ؛
لا تردني ، فدفنوه في مضرعه مع ابن عمه عبد الله في قبر
واحد .

رَوَى الإمام مالك في « موطئه » : (أَنَّ عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين السُّلَمِيِّين كان قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما ممَّا يلي السيل ، وكانا في قبر واحد ، وهما مَمَّن استشهد يوم أحد ، فَحُفِرَ عَنْهُمَا ، لِيُغِيرَ مِنْ مَكَانِهِمَا فُؤُجِدَا لَمْ يَتَغَيَّرَا ، كَأَنَّهُمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جَرَحَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جِرْحِهِ ، فَدَفَنَ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جِرْحِهِ ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ فَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ ، وَكَانَ بَيْنَ أَحَدٍ وَبَيْنَ يَوْمٍ حُفِرَ عَنْهُمَا سِتْ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً) .

لطيفة :

قال في « شرح الموطأ » : (روى البخاري في « الأدب المفرد » وأبو الشيخ ، وأبو نعيم عن جابر ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَيْدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ ؟ » قالوا : الجد بن قيس ، على أَنَا نَبْخُلُهُ ، فقال بيده هكذا ، ومدَّ يده : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبَخْلِ ؟ ! » بل سَيْدُكُمْ الْأَبْيَضُ الْجَعْدُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ » .

عمرو بن الجموح رضي
الله عنه سيد قومه

قلت : قال شيخنا الشريف سيدي أحمد المأمون البلغيثي رحمه الله تعالى في « شرح الابتهاج » :

وقال رسول الله والحقُّ قولُهُ

لِمَنْ قَالَ مَنَا مِنْ تَعْدُونَ سَيِّدَا

فقلنا له الجَدُّ بن قيس على التي

نَبْخُلُهُ فِيهَا ، وَلَوْ كَانَ سَيِّدَا

سَأَلَ صَخْرٌ وَأَنْتَشَى يُغَرِّدُ مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ وَقَالَ الْمَوْعِدُ

فسَوَّدَ عمرو بن الجموح لجوده
وَحُقَّ لعمرو بالندی أن يسوِّدا
فتى ما تخطى خِطَّةً لِدَنِيَّة
ولا مَدَّ في يومٍ إلى سَوَاءٍ يَدَا
إذا جاءهُ الرُّكْبَانُ أَنْفَقَ مَالَهُ
وقال خُذُوهُ إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَا
فلو كُنْتَ يا جَدُّ بَنَ قيسَ عَلَى التِي
على مِثْلِهَا عمرو لَكُنْتَ الْمُسَوِّدَا

سؤال أبي سفيان عمر بن الخطاب عن حياة الرسول صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم وتوغُّده :

(وعن حياة المصطفى) يتعلق بقوله : (سأل) ومفعول
(سأل) (أبا الفتوح) والمراد : به سيدنا عمر بن الخطاب ،
قال ذلك فيه لكثرة فتوحاته .

يعني : (سأل) أبو سفيان (صخر) عمر بن الخطاب عن
حياته صلى الله عليه وسلم فقال : أنشدك الله يا عمر ؛ هل قتلنا
محمّداً ؟! وكان قال ابن قمئة : إنني قتلت محمّداً ، قال عمر :
اللَّهُمَّ لا ، وإنَّه الآن يسمع كلامك ، قال : أنت أصدق عندي
من ابن قمئة وأبرّ ، ثم نادى أبو سفيان : إنَّه كان في قتلاكم
مُثْلٌ ، والله مارضيت به ، ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت .
ولما انصرف . . نادى : إنَّ موعِدكم بدرُ العام القابل ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل :

وَأَرْتَقِبُوا إِن يَجْئُوكُمْ فَلَا تَكُونُوا لِلْمُشْرِكِينَ عِشْرَةً عَلَيْهِمْ ظُفُوفُكُمْ وَلَئِنْ يَخْتَضِعُوا لَكُم كَيْدًا فَخُدْهُمْ كِذَا خُمُومُ الَّذِينَ هَرَبُوا مِن قُرَيْشٍ يَخِرُّونَ لَهَا خِدْلًا مَّرْدًا وَكَيْفَ يَخِرُّونَ لَهَا خِدْلًا مَّرْدًا وَكَيْفَ يَخِرُّونَ لَهَا خِدْلًا مَّرْدًا

« نعم ، هو بيننا وبينكم موعد » .

وإلى هذا أشار بقوله : (وانثنى) أي : وانعطف
أبو سفيان (يغرّد) أي : يرفع صوته طرباً قائلاً : (موعدكم)
للقِتال في العام القابل (بدر وقال) من الرسول صلى الله عليه
وسلم القائل : « هو بيننا وبينكم (الموعد) » فكان ذلك
الموعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فألاً حسناً ، وفيه
الخير .

وسياتي الكلام إن شاء الله تعالى على غزوة بدر هذه ، والله
أعلم .

تعرف مقصد جيش المشركين :

(وارْتَقِبُوا) أي : أشرف المسلمون للنظر في جيش العدو
هل يريد مكة أو الرجوع إلى المدينة المنورة ؟ ! ف (إن) بكسر
الهمزة (يَجْئُوكُمْ) بفتح الياء المثناة ؛ أي : يقودوا الخيل
(فَهَمْ) أي : الكفار (قُفْل) بالتحريك : اسم جمع لقافل ؛
أي : راجعون عن طيبة إلى مكة .

(أو) إن (يُسْرِجُوا) الخيل ؛ أي : يجعلوا السروج عليها
(فهم لطيفة نُسَل) بضمّتين ؛ أي : مسرعون ؛ وذلك بأمر
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب ، أو لسعد بن
أبي وقاص ؛ فإنه قال له : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا
يصنعون ؟ - أي : ما يريدون ؟ - فإن كانوا جَنَبُوا الخيل - أي :

وَبِأَبِيٍّ مَرَّ بَعْدُ أَبْنُ عُمَرَ وَهُوَ الَّذِي رَمَاهُ خَالِقُ الْبَشَرِ

جعلوها منقادة بجانبهم - وامتطوا الإبل - أي : ركبوا مطاها ، وظهروها - فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل . . فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها . . لأسيرن إليهم ، ثم لأنجزنهم فيها « قال علي ، أو سعد : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؟ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، وتوجهوا إلى مكة ، بعدما تشاوروا في نهب المدينة ، فأشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا ، فإنكم لا تدرون ما يغشاهم .

ثم فرغ الناس لقتلاهم فهناك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رجلٌ ينظر لنا ما فعل سعدُ بن الربيع . . . » الحديث ، وقد تقدم .

مقتل أبي بن خلف لعنه الله :

(وبأبي) يتعلق بقوله : (مرَّ) أي : مر بأبي بن خلف الجُمحي (بعد) أي : بعد وقعة أُحُد ، سيدنا عبد الله (بن عمر) رضي الله عنه (وهو) أي ؛ أبي (الذي رماه) حقيقة (خالق البشر) جلَّت قدرته ، وكان في الرمية حتفه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ، وفي ذلك نزلت ، وقيل : في القبضه التي رمى النبي صلى الله عليه وسلم بها المشركين يوم بدر .

وكان من حديث أبي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا لقيه بمكة يقول : يا محمد ؛ إن عندي العوذ - يعني فرساً -

أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : « بل ، أنا أقتلك إن شاء الله » فلمّا انحاز المسلمون عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقيه مصعب بن عمير فقتله ابن قمئة . . جاء أبيّ وهو يقول : أين محمّد ؟ لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُخلّوا طريقه .

استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه

بحث أبيّ بن خلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتله

قال الزبير : وكان معي حربة ، فأخذها مني^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء - وهي ذباب صغير له لدغ - عن ظهر البعير إذا انتفض ، فأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبيّ بين سابعة الدرع والبيضة ؛ فطعنه فيها ، فوقع عن فرسه صريعاً ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأدركه المشركون وارثثوه^(٢) وله خوارٌ ، وهو يقول : قتلني والله محمّد ، قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله ما بك من بأس ، فقال : إنّه قد كان قال لي بمكّة : أنا أقتلك ، والله لو بصق علي . . لقتلني ، فقفّلوا به نحو مكّة وهو يقول : والذي نفسي بيده ، لو أنّ الذي بي بأهل المجاز . . لماتوا أجمعون ، ومات عدوّ الله بسرف - ككتف - موضع قريب من التنعيم ، وظهر بهذا أنّ قوله : (وهو الذي رماه خالق البشر) جملة معترضة بين قوله : (مرّ بعد ابن

مصرع أبيّ بن خلف على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ويقال : أخذها من الحارث بن الصمّة .

(٢) أي : حملوه من المعركة .

مُسْلَسَلًا صَدِيَان فَاسْتَسْقَاهُ وَالسَّقِي عَنْهُ مَلَكٌ نَهَاهُ
وَمَرَّ أَيْضًا بِأَبِي جَهْلٍ لَدَى بَذَرٍ بِهِ أَضَرَّ لَاعِجُ الصَّدَى

عمر (وبين الحال ، وهو قوله :

(مسلسلًا) أي : مجعولاً فيه السلسلة من الحديد ، وحال
كونه (صديان) أي : عطشان (فاستسقاها) أي : طلب منه
السقي ، (والسقي عنه) متعلق بقوله : (نهاه) الواقع خبراً
لقوله : (ملك) بفتح اللام ، من الملائكة لم يعين (نهاه)
فقال لابن عمر : لا تسقه ؛ فإنه كافر .

(ومَرَّ) سيدنا عبد الله بن عمر (أيضاً بأبي جهل لدى)
أي : عند (بَذَرٍ به) يتعلق بقوله : (أَضَرَّ لَاعِج) هو مضاف
إلى (الصَّدَى) بفتح الصاد ؛ أي : العطش ، من إضافة الصفة
إلى الموصوف ؛ أي : الصدى اللاعج ؛ أي : المحرق ، قال
في « القاموس » : لعج الجلد : أحرقه ، والبدن ألمه .

أشار رحمه الله في هذه الأبيات إلى ما ذكره الثعالبي عند
قوله تعالى : ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بسنده إلى
عبد الله بن عمر ، والزرقاني في « شرح الموطأ » عند حديث :
(الواحد شيطان) .

أبو جهل يتأجج ناراً في
قبره

قال الثعالبي : قال أبو عمر في كتاب « التمهيد » مسنداً
إلى سالم بن عبد الله ، عن أبيه قال : خرجت مرة فمررت بقبر
من قبور الجاهلية ، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً ،
في عنقه سلسلة ، ومعى إداوة من ماء ، فلمّا رأيته . . قال :
يا عبد الله ؛ اسقني ، قال : فقلت : عرفني فدعاني باسمي ،

.....

أو كلمة تقولها العرب : يا عبد الله - إذ خرج على إثره رجل من القبر ، فقال : يا عبد الله ؛ لا تسقه ؛ فإنه كافر ، ثم أخذ السلسلة ، فاجتذبه فأدخله القبر .

حديث اعتبار وموعظة

قال : ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانبها قبر ، فسمعت من القبر صوتاً يقول : بولٌ وما بول ، شنٌ وما شن ؟ فقلت للعجوز : ما هذا ؟ قالت : كان زوجاً لي ، وكان إذا بال لم يتقّ البول ، وكنت أقول له : ويحك ! إنَّ الجمل إذا بال . . تفاجّ ، وكان يأبى ، فهو ينادي من يوم ما مات : بول وما بول ؟ قلت : فما الشن ؟ قالت : جاء رجل عطشان ، فقال : اسقني ، فقال : دُونك الشنّ ، فإذا ليس فيه شيء ، فخرّ الرجل ميتاً ، وهو ينادي منذ مات : شنٌ وما شن .

فلَمَّا قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أخبرته ، فنهى أن يسافر الرجل وحده .

قال أبو عُمر : هذا الحديث في إسناده مجهولون ، ولم نوره للاحتجاج به ، ولكن للاعتبار ، وما لم يكن حكم ، فقد تسامح الناس في روايته عن الضعفاء .

وذكر الثعالبي أيضاً عن الوائلي نحوه ، وزاد : أنَّ الرجل الأول هو أبو جهل ، قال الثعالبي : (وذكرنا الحكاية الأولى عن الوائلي في (سورة اقرأ) بغير هذا السند ، وأنَّ الرجل الأول هو أبو جهل) اهـ

.....

العبرة فيما أصاب المسلمين بأُحد :

إذا علمت ما شرحناه لك في قصة أُحد . . فليكن على بالك
أنَّ في القصة وما اشتملت عليه ممَّا أُصيب به المسلمون يوم
أُحد ، فوائد وحكمًا ربانية ، ودلائل نبوية :

منها : تعريفهم سوء عاقبة المخالفة ، وشؤم ارتكاب
النهي ، لمَّا ترك الرُّماة موضعهم الذي أمر به المصطفى صلى
الله عليه وسلم أن لا يفارقوه .

ومنها : أنَّهم لو انتصروا دائماً . . دخل في المسلمين من
ليس منهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا
دائماً . . لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة
الجمع بين الأمرين ؛ ليميز الصادق من الكاذب ، فلمَّا وقع
ذلك . . ظهر أهل النفاق ، فعرف المسلمون : أنَّ لهم عدوًّا في
ديارهم ، فتحرَّزوا منهم ، وكانت العاقبة على كل حال
للمؤمنين .

ومنها : أنَّ في تأخير النصر في بعض المواطن هضمًا
للنفوس ، فلمَّا ابتلي المؤمنون . . صَبَرُوا ، وجزع المنافقون .
ومنها : أنَّ الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ،
لا تبلغها أعمالهم ، فقيَّض لهم أسباب الابتلاء والمِحن ؛
ليصلوا إليها .

ومنها : أنَّ الشهادة من أعلى مراتب الأولياء ، فساقها الله
تعالى إليهم .

الشهادة أعلى المراتب

وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ كَانَتْ لِإِرْهَابٍ صَبِيحَةٍ أُحْدِ

ومنها : أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ إِهْلَاكَ أَعْدَائِهِ ، فَقَبَضَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا ذَلِكَ ، مِنْ كُفْرِهِمْ ، وَبَغْيِهِمْ ، وَطُغْيَانِهِمْ فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ ، فَمَحَّصَ بِذَلِكَ ذُنُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَحَقَ بِذَلِكَ الْكَافِرِينَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

إيجاد الله عز وجل
الأسباب لهلاك
الكافرين



(١٣) غزوة حمراء الأسد

(وبعدها) أي : بعد غزوة أُحُدِ (غزوة حمراء الأسد)
قال المناوي : تَأْنِيثُ أَحْمَرَ مِضَافَةً إِلَى الْأَسَدِ : مَوْضِعٌ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ إِذَا أَرَدْتَ ذَا الْحُلَيْفَةِ .

موقعها

سبب هذه الغزوة :

وأشار الناظم إلى سببها بقوله :

(كانت لِإِرْهَابٍ) أي : تَخْوِيفٍ لِلْعَدُوِّ ؛ لِيَبْلُغَهُمْ : أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ ؛ لِيُظَنُّوا بِالْمُسْلِمِينَ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُؤْهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ (صَبِيحَةُ أُحْدِ) فَكَانَتْ يَوْمَ الْأَحَدِ لَسْتُ عَشْرَ لَيْلَةٍ مَضَتْ مِنْ شَوَالٍ ، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ الْهَجْرَةِ .

تاريخها

قلت : وهذا الذي ذكره تبع فيه ابن إسحاق ، وقال موسى بن عُقْبَةَ وغيره ، كما في « السيرة الشامية » وغيرها في

وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَخْرُجَا إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا

سببها : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه : أَنَّ سببها
أبا سفيان وأكثر من معه يريدون أن يرجعوا ؛ ليستأصلوا من
بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعند ذلك
حَثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على الخروج في
طلب العدو ، ويؤيد هذا ما رواه النسائي والطبراني بإسناد
صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

(لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أُحُدٍ قَالُوا : لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ ،
وَلَا الْكُوعَابَ أَرَدْتُمْ ، بئس ما صنعتُم ، ارجعوا ، فسمع
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فندب المسلمين ،
فانتدبوا ، فخرج بهم . . حتى بلغ حمراء الأسد ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴾ وخرج صلى الله عليه وسلم وهو
مجروح ، وفي وجهه أثر الحلقتين ، ورباعيته مكسورة ،
وشفته السفلى مشقوقة ، وركبته مجروحتان من وقعة
الحفيرة ، وأمر أن لا يخرج إلا من خرج معه يوم أُحُد) .

خروج النبي صلى الله
عليه وسلم وبه آثار
المعركة

كما قال الناظم :

(وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَخْرُجَا

إِلَّا الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ خَرَجَا)

وفي « البداية » : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :
« لَا يَنْطَلِقَنَّ مَعِيَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ » والذين شهدوه في أُحُد
سبع مئة ، قتل منهم سبعون ، وخرج الباقيون إلى حمراء

عدد الذين خرجوا معه
صلى الله عليه وسلم

وَلَا بِنِ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرٍ سَمَخَ بِالْغَزْوِ إِذْ لِأَخَوَاتِهِ جَنَحَ
بِالْأَمْسِ ، إِذْ قَالَ أَبُوهُ يَا بَنِي مَا كُنْتُ أَؤْثِرُكَ بِالْغَزْوِ عَلَيَّ

الأسد ، وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، حِينَ ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَمَرَهُ بِالْمُقَامِ فِي
الْمَدِينَةِ عَلَى أَخَوَاتِهِ التَّسْعِ) وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ :

(وَلَا بِنِ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ سَمَخَ) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (بِالْغَزْوِ إِذْ لِأَخَوَاتِهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (جَنَحَ) أَيِ : مَالٍ
لَهُنَّ (بِالْأَمْسِ) فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ ، (إِذْ قَالَ أَبُوهُ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ : (يَا بَنِي مَا كُنْتُ أَؤْثِرُكَ) أَيِ : أَقْدَمَكَ
(بِالْغَزْوِ عَلَيَّ) .

السماح لجابر بن
عبد الله بالخروج

قَالَ فِي « الْإِمْتَاعِ » : (وَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ يَوْمَ الْأَحَدِ
صَبِيحَةَ أَحَدٍ وَمَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجْهَهُ الْأَوْسُ
وَالْخَزْرَجُ ، وَقَدْ بَاتُوا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَابِهِ . . أَمَرَ بِلَالًا
فَنَادَى : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِطَلْبِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا يَخْرُجُ مَعَنَا
إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ بِالْأَمْسِ ، فَخَرَجَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ إِلَى دَارِهِ يَأْمُرُ
قَوْمَهُ بِالْمَسِيرِ وَكُلَّهُمْ جَرِيحٌ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَطْلُبُوا عَدُوَّكُمْ ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَبِهِ سَبْعُ جَرَاحَاتٍ يَرِيدُ
أَنْ يَدَاوِيَهَا : سَمِعًا وَطَاعَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَأَخَذَ سِلَاحَهُ ، وَلَمْ
يَعْرِجْ عَلَى دَوَاءٍ ، وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَجَاءَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ قَوْمَهُ ، وَجَاءَ أَبُو قَتَادَةَ إِلَى طَائِفَتِهِ ، فَبَادَرُوا
جَمِيعًا وَخَرَجَ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ أَرْبَعُونَ جَرِيحًا ، بِالْطَفِيلِ بْنِ
النَّعْمَانِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جَرَحًا ، وَبِخِرَاشِ بْنِ الصُّمَّةِ عَشْرَةَ جَرَاحَاتٍ

بدء المسير إلى المعركة

نداء بلال رضي الله عنه
بالخروج للعدو

تلبية الصحابة رضوان
الله عليهم نداء رسول
الله صلى الله عليه وسلم
برغم ما بهم من
إصابات معركة أحد

.....

حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لَمَّا رَأَهُم :
« اللَّهُمَّ ؛ ارحم بني سلمة » .
دعاء الرسول وإخباره
عَمَّا تكون عليه حالهم
مستقبلاً

وخرج عبد الله ورافع ابنا سهل الأنصاريَّان يزحفان
لجراحهما الكثيرة فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره
عُقْبَةً ، ومشى عُقْبَةً ، فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقال : « إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكز من
خيل ، وبغال ، وإبل ، وليس ذلك بخير لكم » وكانت عامة
زادهم التمر) .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، فأقام بها الإثنيين ، والثلاثاء ،
والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان يستعمل على المدينة
ابن أم مكتوم ، فيما قاله ابن هشام .
مدة الإقامة بحمراء
الأسد
استخلاف ابن أم مكتوم
رضي الله عنه على
المدينة

تخذيل معبد الخزاعي قريشاً عن الرجوع للحرب :

قال ابن إسحاق : (وقد مرَّ به - كما حدَّثني عبد الله بن
أبي بكر - مَعْبِدٌ^(١) بن أبي معبدٍ الخزاعي ، وكانت خزاعة
مسلمُهم وكافرهم عَيْبَةً^(٢) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامته ، صَفَّقُهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد^(٣)
يومئذٍ مشرك ، فقال - أي : معبد - : يا محمَّد ؛ أَمَا والله لقد
خزاعة موضع سر النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأمانته

(١) فاعل مر .

(٢) بفتح العين المهملة : موضع السر والأمانة .

(٣) قال في « الشامية » : (وجزم أبو عمر ، وابن الجوزي في « التلخيص » بإسلام معبد) اهـ

عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي نَفْسِكَ ، وَفِي أَصْحَابِكَ ، وَلَوْ دِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ .

ثُمَّ خَرَجَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُمَرَاءِ الْأَسَدِ ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا - أَي - : أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ ، وَقَادَتِهِمْ ، وَأَشْرَافَهُمْ ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ، لَنَكُرَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ ، فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفْيَانَ مَعْبَدًا . قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ ، فِي جَمْعٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحْرِقًا ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ ، وَنَدَمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : وَيْلَكَ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَرْتَحِلُ حَتَّى تَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ ؛ لَنَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَنُهَاكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَوَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتَ ، عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِ أَيْبَاتًا مِنْ شَعْرٍ ، قَالَ : وَمَا قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي

إِذْ سَأَلْتُ الْأَرْضَ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(١)

(١) الجرد : قصيرة شعر الجلد ، والأبَابِيل : جماعة في تفرقة ، وتردي الخيل : إذا ضربت الأرض بحوافرها في سيرها ، والتنايلة : القصار ، واحدها تنال ، والميل : الذي يميل على السرج ولا يستوي عليه ، والمعازيل ، واحده معزال : القوم ليس معهم سلاح .

تَرْدِي بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَنَابِلُهُ

عند اللقاء ولا ميلٍ مَعَارِيلِ

فَظَلْتُ غَدَوْاً أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً

لَمَّا سَمَوْا بِرُئُوسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ

فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ

إِذَا تَعَظَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ^(١)

إِنِّي نَذِيرٌ لَأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ

لِكُلِّ ذِي إِزْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ

مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٌ قَنَابِلُهُ

وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ، ومن معه ، ومرَّ به ركب من

عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة ، قال :

ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً

رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إيلكم هذه غداً زبيياً

بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه . .

فأخبروه أننا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل

بقيتهم فمرَّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء

الأسد ، وأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

رسالة شفعية من أبي
سفيان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم

(١) من الغطمة : وهو صوت غليان القدر ، وفي نسخة (بالخیل) ، والوحش : أرذال الناس وسقاطهم ، والقنابل : الطائفة من الناس ومن الخيل ، الواحد : قبل وقبله .

وَفَتَكُوا بِجَدِّ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأُمِّهِ سَبْطِ أَبِي الْعَاصِ الذِّكِيِّ
وَهُوَ الْمُثَلُّ بِعَمِّ أَحْمَدٍ وَبِمَعَاوِيَةَ يُعْرِفُ الرَّدِّي

مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص لتجسسه لقريش :

ثمَّ أشار إلى حادثة وقعت حين قفولهم للمدينة ، فقال :
(وفتكوا) أي : انتهز الصحابة في رجوعهم من حمراء الأسد
فرصة ، ففتكوا فيها (بجَدِّ عبد الملك) بن مروان (لأُمِّه)
عائشة بنت معاوية المفتول (سَبْطِ أبي العاص) بكسر
المهملة ، هو ولد الولد ، ومعاوية هو ابن المغيرة بن
أبي العاص (الذكي) بالذال ؛ أي : سريع الفطنة ، صفة
لأبي العاصي .

(وهو) أي : جد عبد الملك المذكور (الممثل) أي :
المنكَّل يوم أُحُد (بعَمِّ أحمد) صلى الله عليه وسلم ؛ يعني
سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه (وبمعاوية) يتعلق بقوله :
(يُعْرِفُ) مبنياً للمجهول ؛ أي : يعرف (الرَّدِّي) أي :
الهالك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُمَيَّة بن
عبد شمس .

وحاصل قصته : أَنَّهُ لما رجع المشركون من أُحُد . . ذهب
معاوية على وجهه ، ثمَّ أتى عثمان فدقَّه ، فقالت أم كلثوم بنت
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها : من أنت ؟ قال :
ابن عم عثمان ، فقالت : ليس هو ههنا ، قال : أرسلني إليه فله
عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه .

حاصل قصة معاوية
ابن المغيرة بن العاص

وَبِالَّذِي عَلَيْهِ قَبْلُ أَشْفَقَا نَبِيَّائُمَ أَرْتَجَى أَنْ يُطْلَقَا

فجاء عثمان رضي الله عنه ، فلمّا نظر إليه .. قال :
أهلكتني ، وأهلك نفسك ، فقال : يا بن عمّ ؛ لم يكن أحدٌ
أمسّ بي منك رحماً ، فأجرني ، فأدخله عثمان رضي الله عنه
منزله ، وجعله في ناحية .

ثمّ خرج عثمان رضي الله عنه ؛ ليأخذ له أماناً من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، يقول : « إِنَّ معاوية بالمدينة ، فاطلبوه » فدخلوا
منزل عثمان رضي الله عنه ، فأشارت إليهم أمّ كلثوم بأنّه في
ذلك المكان ، بعد أن علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرهم بذلك ، فأخرجوه ، وأتوا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأمر بقتله ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ والذي
بعثك بالحق ، ما جئت إلّا لأخذ له أماناً ، فهبه لي ، فوهبه
له ، وأجلّه ثلاثاً ، وأقسم أنّه إن وجدته بعدها .. قتله ، وخرج
صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، فأقام معاوية ثلاثاً ؛
ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليأتي بها
قريشاً ، فلمّا كان باليوم الرابع .. عاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة ، فخرج معاوية هارباً ، فقال صلى الله عليه
وسلم : « إنكم ستجدونه بموضع كذا وكذا ، فاقتلوه » فأدركه
زيد بن حارثة ، وعمّار بن ياسر ، فقتلاه .

مقتل أبي عزة الجمحي الهجاء للرسول صلى الله عليه وسلم :

(وبالذي) معطوف على قوله : (بجدة عبد الملك) أي :

إعطائه الأمان ثلاثة
أيام

تجسسه وإهدار دمه

ثَانِيَةً أَنْ كَانَ ذَا بَنَاتٍ وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ذُو الْهَنَاتِ

وفتكوا أيضاً بأبي عزة الذي (عليه) يتعلق بقوله : (أشفق)
(قبل) أي : قبل هذا اليوم (أشفقا نبئنا) نبئ الرحمة صلى الله
عليه وسلم ، وذلك : أنه عليه الصلاة والسلام ظفر به يوم
بدر ، وأسره ، فقال : يا رسول الله ؛ إني فقير ذو عيال وحاجة
كما تعلم ، فامنن عليّ . . من الله عليك ، فرحمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأطلقه من غير فداء ، وكان شاعراً
يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستفز الناس
للقتال ، وكان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم في يوم بدر أن
لا يعود إلى شيء من ذلك ، فلمّا منّ عليه . . رجع إلى مكة ،
ونقض العهد ، واشتغل بما كان مشتغلاً به قبل من السب ،
والهجاء ، فلمّا كان يوم أُحُد . . خرج مع المشركين وهو على
ذلك الحال ، فلمّا نزل المشركون بحمراء الأسد . . نزل
معه ، ثمّ ساروا ، وتركوه نائماً ، فأدركه المسلمون ،
وأسروه ، وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه ،
فلمّا ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم . . قال : يا رسول الله ؛
أقلني ، وامنن عليّ ، ودعني لبناتي ، وأعاهدك أن لا أعود ،
هذا ما أشار له بقوله : (ثمّ ارتجى) أي : أمل (أن يُطلقا)
مرة (ثانية) لأجل (أن كان ذا بنات وهو) أي : صاحب تلك
الفعلة القبيحة ، والحالة الشنيعة (أبو عزة) عمرو بن
عبد الله بن وهب الجمحيّ (ذو الهنات) جمع هنة ، بفتح الهاء
فيهما : الأخبار المكروهة .

أسره بدر واستعطافه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في إرساله

نقضه للعهد وخروجه
مع المشركين

استعطافه ثانية بعد
القبض عليه

المؤمن لا يلدغ من
جحر مرتين

ولمّا قال ذلك أبو عَزة . . قال صلى الله عليه وسلم :
« والله لا تمسحُ عارضيك بمكّة ، تقول : خدعت محمّداً مرتين
- وفي رواية : « تمسحُ لحيتك ، تجلس بالحجر تقول :
خدعت محمّداً » وفي لفظ : « سحرت محمّداً مرتين » - إنّ
المؤمن لا يُلدغُ من جُحَرٍ مرّتين^(١) ، اضرب عنقه يا زُبَيْر » وفي
رواية : « يا عاصم » فضربت عنقه ، وأنزل الله فيه : ﴿ وَإِنْ
يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ .

أول رأس حمل في
الإسلام على رمح

قيل : ولمّا قتل . . حمل رأسه على رُمح إلى المدينة ، هو
أول رأس حمل في الإسلام ؛ أي : على رمح ؛ فلا ينافي أنّ
أول رأس حمل في الإسلام إلى المدينة رأس كعب بن
الأشرف : وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم .



(١٤) غزوة بني النضير

بفتح النون ، وكسر الضاد المعجمة : قبيلة من اليهود ،
ينسبون إلى سيدنا هارون أخي سيدنا موسى ، عليهما وعلى
نبينا الصّلاة والسّلام ، سكنوا مع العرب ، ودخلوا فيهم ،

(١) ذكره ابن هشام بلاغاً عن سعيد بن المسيب ، وقال في « الشامية » : (رواه البخاري عن
سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً ، وعزاه الحافظ السيوطي للإمام أحمد ، والشيخين
وأبي داود ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ : « لا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين ») .

ثُمَّ النَّضِيرُ هَاجَهَا أَنْ جَاءَهُمْ مَسْتَوْهَباً مِنْ دِيَةِ مَا نَابَهُمْ

تاريخها

واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها هذه الغزوة فذهب الزُّهري وجماعة ، وصدر به الإمام البخاري تعليقاً جزماً : أنها كانت بعد غزوة بدر ، وقبل أُحُد ، وقال في (الهدي) : (الصحيح الذي عليه أهل السير : أنها بعد غزوة أُحُد ، وللنبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود أربع غزوات : أولها : غزوة قَيْنُقَاع بعد بدر ، والثانية : غزوة بني النَّضِير بعد أُحُد ، والثالثة : غزوة بني قُرَيْظَةَ ، بعد الخندق ، والرابعة : خيبر ، بعد الحُدَيْبِيَّة ، وذهب ابن إسحاق إلى أنها كانت بعد أُحُد وبئر معونة ، ورجَّح المحققون من الحُفَاط قولهُ ، قالوا : وكانت في ربيع الأول من السنة الرابعة ، على رأس خمسة أشهر من غزوة أُحُد ، وإياهم تبع النَّاطِم فقال :

غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لليهود أربع

سبب هذه الغزوة :

(ثُمَّ النَّضِيرُ هَاجَهَا) أي : أثار الغزوة المفهومة من المقام ، وفاعل هاج : المصدر المنسبك من قوله : (أن جاءهم) بفتح الهمزة ؛ أي : مجيئه صلى الله عليه وسلم إياهم حال كونه (مستَوْهَباً) أي : طالباً هبة (من دِيَةِ) وكان بين بني النضير وبني عامر عَقْدٌ وحِلْفٌ ، فيسهل الدفع منهم ، وهو بيان لقوله : (مَا نَابَهُمْ) أي : نزل بهم ، والمراد : دية العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري ، مرجعه من بعث بئر معونة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عَقْدٌ لهما جواراً ، ولم يعلم به عمرو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

فَأُصْعِدُوا أَحَدَهُمْ لِيُلْقِيَا عَلَيْهِ صَخْرَةً تُرِيحُ الْأَغْيَا

« قتل قَتِيلين لِأَدِينَهُمَا » وعمرو يرى أَنَّهُ أَصاب ثأراً بهما ،
ببعض أَصحابه الذين قتلوا ببئر معونة .

فخرج عليه الصَّلَاة والسَّلَام يوم السبت ، فصلَّى في مسجد
قباء ومعه رهط من المسلمين ، ثُمَّ جاء بني النضير فجلس
يكلّمهم في ذلك ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على
ما أَحْبَبْتَ ، ممَّا استعنت بنا عليه ، وقد آن لك أَن تزورنا ، وَأَن
تأتينا ، اجلس حتى تَطْعَمَ وترجعَ بحاجتك ، ونقوم فنتشاور ،
ونصلح أَمْرنا فيما جئنا به ، ثُمَّ كان ما أَشار إليه الناظم بقوله :
(فَأُصْعِدُوا أَحَدَهُمْ) وهو عمرو بن جحاش ، فَإِنَّهُ قال :
أنا لذلك ، لما اختاروه لعمل السوء (ليلقيا عليه صخرة تريح)
اليهود (الأغيا) : جمع غبيّ ، وهو الذي لا يَفْطَنُ ومنه :
وغبيّ من ساءهُ المنُّ والسَّلوى

وأرضاه الفُومُ والقِثَاء

مؤامرة اليهود على
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

وذلك بعد أَن خلا بعضهم ببعض فقالوا : إِنَّكُمْ لن تجدوه
على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه أَحَد من أَصحابه إِلَّا نحو
العشرة ، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعداً إِلَى جنب
جدار ، وفي رواية : قالوا - لما رأوا قِلَّةَ أَصحابه - : نقتله
ونأخذ أَصحابه أُسارى إِلَى مكة ، فنبيعهم من قريش ، فقال
سَلَامُ بنِ مِشْكَمَ لليهود : لا تفعلوا ، فوالله لِيُخْبِرَنَّ بما هممتم
به ، وَإِنَّهُ لنقضُ للعهد الذي بيننا وبينه ، كما أَشار لذلك
بقوله :

وَأَخْبَرَ ابْنَ مِشْكَمٍ أَنْ يُخْبِرَا وَزَجَرَ الرَّهْطَ فَلَمْ يَنْزَجِرَا
وَجَاءَهُ الْخَبَرُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ وَفِي حِصَارِهَا الْعُقَارُ حُرْمًا

(و) لما أجمع اليهود غدراً بالنبي صلى الله عليه وسلم
(أَخْبَرَ) بالبناء للمعلوم ؛ أي : أخبرهم سلام (ابن مِشْكَم)
بوزن مِثْبَر (أن يُخْبِرَا) بالبناء للمفعول ؛ أي : بأنه صلى الله
عليه وسلم يُخْبِر من طريق الوحي بما تقدم ، وفي رواية : قال
لهم : يا قوم ؛ أطيعوني في هذه المرة ، وخالفوني الدهر ،
والله لئن فعلتم ليُخْبِرَنَّ بآنا قد غدرنا به ، وإنَّ هذا نقض للعهد
الذي بيننا وبينه (وزجر الرَّهْط) بسكون الهاء ، وتفتح كثيراً ؛
أي : قومه وقبيلته (فلم ينزجرا) أي : الرهط بالآلف المنقلبة
عن النون الخفيفة .

نصح سلام بن مشكم
لليهود بالرجوع عن
مؤامرتهم

(وجاءه الخبر) أي : خبر القوم ، وما أسروه بينهم (من
رب السماء) .

إعلام النبي صلى الله
عليه وسلم بمؤامرتهم
عليه

قال ابن إسحاق : (وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخبر من رب السماء ، مع جبريل عليه السلام ، بما أراد
القوم ، فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضي حاجته ،
خوفاً أن يفتنوا له ؛ فيؤذوا أصحابه ؛ ولذلك ترك أصحابه في
مجالسهم ، ورجع مسرعاً إلى المدينة ، ثم إنَّ أصحابه صلى
الله عليه وسلم استبطأوه ، فقاموا في طلبه ، فقال لهم حيي :
لقد عجل أبو القاسم ، كنا نريد أن نقضي حاجته ونقريه ،
وندمت اليهود على ما صنعوا ، قال موسى بن عتبة : ونزل في
ذلك : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ

استبطأوه صلى الله
عليه وسلم

ندم اليهود على
مؤامرتهم

قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴿١٠﴾ ، وقيل :
نزلت في غير ذلك) .

استخلاف النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ أمِّ
مكتوم على الصلاة
محاصرة النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لليهود

وقال ابن إسحاق : فأمر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتهَيُّؤِ
لحربهم والسير إليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة
ابنُ أُمِّ مكتوم - يعني إماماً^(١) للصلاة - ثُمَّ سار بالناس ، حتى
نزل بهم ، فحاصروهم ستَّ ليالٍ ، قال ابن إسحاق : فتحصَّنوا
منه في الحصون ؛ فقطع النخل ، وحرَّقها ، وخرَّب أماكنهم ،
فنادَوْه يا مُحَمَّدُ ؛ قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من
صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

قال السهيلي : « قال أهل التأويل : وقع في نفوس بعض
المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا
قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ ، واللينة : ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني ،
ففي هذه الآية : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُحَرِّقْ من
نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس ، وكانوا يقتاتون العجوة .

نزول تحريم الخمر تحريماً باتاً وسورة الحشر :
(وفي حصارها) أي : بني النَّضِير (العقار) بضم
العين : الخمر ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها عَقَرَتِ العقل (حُرِّمًا)
أي : نزل تحريمها بقوله تعالى في (سورة المائدة) : ﴿ يَأْتِيهَا

(١) قال في « شرح المواهب » : (ولم يستعمل على أمرها أحداً لقربها ؛ لأنَّ بينها وبين المدينة
ميلين) اهـ

وَالْحَشْرُ أَنْزَلَتْ بِهَا وَنَقَضَا نَجُلُ أَبِي عَهْدَهُمْ وَرَفَضَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴿الآية﴾ .

وما ذكره الناظم . . يقتضي أنها حُرِّمَتْ سنة أربع . قال الحافظ : وفيه نظر ؛ لأنَّ أنساً كما في الصحيح ، كَانَ السَّاقِيَّ يوم حُرِّمَتْ ، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها . . بادر فأراقها ، فلو كانت سنة أربع . . لكان أنس يَصْغُرُ عن ذلك ، وقال قبل هذا : وقد بينت في تفسير (المائدة) الزمن الذي نزلت فيه الآية المذكورة ، وأنه كان في عام الفتح قبل الفتح ، ثم رأيت الدُّمَيْطِيُّ في « سيرته » جزم بأنَّ تحريم الخمر كان سنة الحُدَيْبِيَّة ، والحُدَيْبِيَّة كانت سنة ست .

واعلم : أنَّ أول آية نزلت في شأن الخمر قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ ثَمَرَتْ النِّجَالُ وَالْأَعْنَبُ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ، ثُمَّ نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ فِيهِمَا آثَمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ تَبِعَهُمَا لَنْ يَكُنَّ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴾ ، ثُمَّ نزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، ثُمَّ نزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، قال سيدنا عمر رضي الله عنه : انتهينا ، فحرمت إلى يوم القيامة تحريماً باتاً .

أول آية نزلت في شأن الخمر

(والحشر) أي : (سورة الحشر) ، (أنزلت) بأسرها كما في « سيرة ابن هشام » (بها) أي : في غزوة بني النضير ، وفي المنافقين الذين بعثوا إليهم ، وهم : عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعه بن مالك ، وغيرهما من منافقي بني عمرو بن

تحريم الخمر تحريماً باتاً إلى يوم القيامة

سبب نزول سورة الحشر

قتل كعب بن الأشرف

عوف من الخزرج ، بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا ،
وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن
أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ،
فقدف الله في قلوبهم الرُّعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ،
وروى عبد بن حُميد : أنَّ غزوة بني النضير كانت صبيحة قتل
كعب بن الأشرف .

إخراج بني النضير من ديارهم :

حث عبد الله بن أبي
اليهود بعدم الخروج

وروى ابن سعد ، كما في المواهب وغيرها : أنَّهم حين
هَمُّوا بغدره صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه الله بذلك ، ونهض
سريعاً إلى المدينة ، بعث إليهم محمَّد بن مَسْلَمَة : « أن
اخرجوا من بلدي ، فلا تساكُنوني بها ، وقد هممت بما هممت
به من الغدر ، وقد أَجَلْتُكم عشراً ، فمن رُئي منكم بعد ذلك
ضربت عنقه » فمكثوا على ذلك أَيْاماً يتجهزون ، وتكاروا من
أناس من أشَجَع إبِلَاء ، فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبي :
لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصونكم ؛ فإنَّ معي
ألفين من قومي من العرب ، يدخلون حصونكم ، وتُمَدُّكم
قريظة وحلفاءكم من غَطَفَان ، فطمع حُيَّي فيما قاله ابن أبي ،
فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إننا لن نخرج من
ديارنا ، فاصنع ما بدا لك .

خروج الرسول صلى
الله عليه وسلم لقتال
اليهود

فأظهر صلى الله عليه وسلم التكبير ، وكبر المسلمون
بتكبيره ، وسار عليه الصَّلَاة والسَّلَام إليهم في أصحابه ، فصلَّى

وَفِيئُهُمْ وَالْفَيءُ فِي الْأَنْفَالِ مَا لَمْ يَكُنْ أَخَذَ عَنْ قِتَالِ

حامل الراية

العصر بفناء بني النضير ، وعليّ رضي الله عنه يحملُ رايته ، فلَمَّا رَأَوْه صلى الله عليه وسلم . . قاموا على حصونهم ، ومعهم النَّبْل والحجارة ، واعتزلهم ابنُ أُبَيٍّ ، ولم يعنهم ، كما قال الناظم :

(ونقضاً) أي : أبطل (نجل أُبَيٍّ) عبد الله (عهدهم)

أي : عهده إياهم بالمدد والنصرة (ورفضاً) وكذلك حلفاؤهم من غَطَفَان ، فقال ابنُ مِشْكَم وكنانة لِحَيٍّ : أين الذين زعمت ؟ قال : ما أصنع ؟ هي ملحمة كتبت علينا ، فيئسوا من نصرهم ، فحاصرهم صلى الله عليه وسلم ، وقطع نخلهم ، وقال لهم عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم ، وما حملت الإبل ، إلا الحلقة ^(١) » .

موقف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يهود بني النضير بعد شد الحصار عليهم

فنزلت يهود على ذلك ، فكانوا يخربون بُيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، ووليَّ إخراجهم مُحَمَّد بن مسلمة ، وحملوا النساء ، والصبيان ، وتحملوا أمتعتهم على ست مئة بعير ، فلحقوا بخيبر وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال ، والحلقة فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاث مئة وأربعين سيفاً وحزن عليهم المنافقون حزناً شديداً .

تولي محمد بن مسلمة رضي الله عنه إخراج اليهود

فيئهم للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد خصَّ به المهاجرين برضا الأنصار :

(وفيئهم) أي : بني النضير ، وهو مبتدأ خبره : (لخير

تعريف الفيء

(١) بإسكان اللام : هي السلاح كله ، وقيل : الدرع والمراد هنا الأول .

أَمَّا الْغَنِيمَةُ فَفِي زِحَافٍ وَالْأَخْذِ عَنُوءٌ لَدَى الزَّحَافِ
لِخَيْرِ مُرْسَلٍ وَخَصَّ فِتْنَةً وَفِي رِضَا أَنْصَارِهِ عَطِيَّةٌ

مرسل (وما بينهما معترض ؛ لبيان معنى الفيء والغنيمة المشار إليه بقوله : (والفيء في الأنفال) جمع نَفْل ، كَسَبَ وأسباب ؛ أي : الغنيمة (ما) أي : الغنم الذي (لم يكن أُخِذَ عن قتال) بل أَوْجَفَ عليه المسلمون بلا خيل ، ولا رِكاب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(أَمَّا الغنيمة) المقابلة للفيء (فَ) هِيَ : ما أُخِذَتْ تعريف الغنيمة
(فِي) حال (زحاف) للجيش ، وهو بكسر الزاي (والأخذ)
أي : مع الأخذ (عَنُوء) بفتح العين ؛ أي : قهراً باستعانة
السيف (لَدَى الزَّحَافِ) أي القتال .

وكذلك كانت أموال بني النَّضِيرِ فيئاً ، وهي (لخير
مرسل) صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم في الآية .

قال الشهاب القسطلاني في « المواهب » : (ولم يُسْهِم منها ؛ أي : من أموال بني النَّضِيرِ لأحد ؛ لأنَّ المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنَّما قُذِفَ في قلوبهم الرُّعْبُ ، وأُجْلُوا عن منازلهم إلى خيبر ، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم) .

(وَخَصَّ) النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بالعطاء من الفيء
المذكور (فِتْنَةً) أي : طائفته المهاجرين ، فقسمها بينهم ؛
سبب إيثار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم المهاجرين
بالفيء

كَانَ التَّرَحُّمُ عَلَى الْأَنْصَارِ أَنْ آثَرُوا بِهِ بَنِي نِزَارٍ

ليرفع بذلك مؤونتهم عن الأنصار ؛ إذ كانوا قاسموهم في الأموال ، والديار ، غير أنه أعطى سَهْل بن حُنَيْف ، وأبا دُجَانَةَ لحاجتهما ، وأعطى أيضاً سعد بن معاذ سيف كنانة بن أبي الرَّبِيع بن أبي الحُقَيْق وهو سيف له ذِكر عندهم (وفي رضا) أي : بسبب رضا (أنصاره) صلى الله عليه وسلم ، وهو فاعل للمصدر ، ومفعوله قوله : (عَطِيَّتُهُ) للمهاجرين ما أفاء الله عليه من أموال بني النَّضِير ؛ أي : بسبب ذلك (كان الترحم) منه عليه الصَّلَاة والسَّلَام (على الأنصار) إذ قال : « اللَّهُمَّ ؛ ارحمِ الأنصار ، وأبناء الأنصارِ » (أن آثروا) أي : قَدَّمَ الأنصارُ على أنفسهم (به) أي : بالفيء المذكور (بني نزار) أي : المهاجرين .

دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم للأنصار

قال اليعمرِيُّ في « عيون الأثر » : (لما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني النَّضِير . . دعا ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : « ادع لي قومك » فقال ثابت : الخزرج يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كلها » فدعا له الأوس والخزرج ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم ، وإيثارهم على أنفسهم ، ثم قال : « إن أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله تعالى عليّ من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في

دعوة الرسول صَلَّى
اللهُ عليه وسلَّم
الأنصار لعرض موقفه
من تقسيم الفيء

وَشَاطَرُوهُمْ مَا لَهُمْ وَنَزَّلُوا عَنِ الْحَلَائِلِ لَهُمْ وَأَوَّلُ

منازلکم و أموالکم ، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دُورکم » .
فتكلّم سعد بن عبّادة ، وسعد بن مُعاذ ، فقالا :
يا رسول الله ؛ بل تقسم بين المهاجرين ، ويكونون في دورنا
كما كانوا ، وقالت الأنصار : رضينا وسلّمنا يا رسول الله ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللّهُمَّ ؛ ارحم
الأنصار ، وأبناء الأنصار » فقسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أفاء الله عليه ، وأعطى المهاجرين ، ولم يُعط أحداً من
الأنصار شيئاً إلّا رجلين كانا محتاجين سهل بن حنيف
وأبا دجّانة ، وأعطى سعد بن مُعاذ سيف كنانة بن أبي الحُقَيْق .
وقال سيد المهاجرين أبو بكر رضي الله عنه : جزاكم الله
يا معشر الأنصار خيراً ، فوالله ما مثلنا ومثلکم إلّا كما قال
الغنويّ :

جَزَىٰ اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتَ
بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ
أَبَوْنَا أَنْ يَمْلُونا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا
تُلَاقِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتْ

ثم ذكر الناظم بعض تفضلات الأنصار في إيثارهم .

فضل الأنصار بإيثارهم المهاجرين على أنفسهم :

(وشاطرهم) أي : قاسموهم (مالهم و) حتّى إنهم
(نزّلوا) أي : الأنصار (عن الحلائل) أي : الزوجات (لهم)

مَنْ سَتَّهُ مُخَيَّرًا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ ابْنُ الرَّبِيعِ لِابْنِ عَوْفٍ الْمَكِينِ
فَتَرَكُوهُنَّ لَهُمْ تَعَفُّفًا فَعَفَّ هَذَاكَ وَذَاكَ أَشْرَفًا

يتعلق بـ (نزلوا) . فمن كان عنده زوجتان . . كان يخير
المهاجري في واحدة ، فينزل له عنها ، حتى إذا انقضت عدتها
يتزوجها .

(وأول من سته) أي : النزول عن الحلائل حال كونه
(مخيراً بين اثنتين) سيدنا سعد (ابن الربيع لـ) سيدنا
عبد الرحمن (بن عوف المكين) المتزلة عند الله تعالى ،
بالحجرة له ، لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهما .

أول من سن التنازل
عن الزوجات
للمهاجرين سعد بن
الربيع

ففي « صحيح البخاري » : (آخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال
سعد لعبد الرحمن : إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً ، هَلَمْ أَقْسِمَ مَالِي
بِبَنِي وَبَيْنِكَ نَصْفَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ ، فَاَنْظُرْ أَعْجِبَهُمَا إِلَيْكَ ،
فَسَمَّهَا أَطْلَقَهَا لَكَ ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ : بَارَكَ
اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، أَيْنَ سُوقُكَ ؟ فَدَلَّوهُ عَلَى سَوْقِ
بَنِي قَيْنِقَاعَ ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطَ ، وَسَمْنٌ ، ثُمَّ
تَابَعَ الْعُدُوَّ ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمٌ وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَهِيمٌ » قَالَ : تَزَوَّجْتُ ، قَالَ : « كَمْ سَقَّتْ
إِلَيْهَا ؟ » قَالَ : نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ وَزْنُ نَوَاةٍ .

مؤاخاة الرسول صلى
الله عليه وسلم بين
عبد الرحمن بن عوف
وسعد بن الربيع

(فتركوهن لهم) أي : الحلائل لأزواجهن (تعففاً)
مصدر تعفف إذا تنزه . قال السيد محمد مرتضى في « شرح
القاموس » : (التعفف : الصبر ، والنزاهة في الشيء) .

(ففف) أي : كف^(١) (هذاك) أي : المهاجريّ بعد نزوله عن الحليلة ؛ لأنه لا يجمل . قال في « القاموس » : (عف الرجل عفا ، فهو عف وعفيف : كف عمّا لا يجمل) وهو المراد هنا ، وعمّا لا يحل وهو غير مراد (وذاك) أي : الأنصاريّ (أسرفا) بالسين المهملة ، وألف الإِطلاق ؛ أي : جاوز في الإِثثار ، حتى قصد أن ينزل عن إحدى حليلتيه للمهاجريّ ، فإنّ الإسراف ضدّ القصد .

الإِشادة بموقف
الأنصار من
المهاجرين رضي الله
عنهم

وهذه الأخلاق من الأنصار - شكر الله سعيهم ، ورزقنا حبهم - مظهر عظيم من مظاهر إيمانهم وحبهم لله ورسوله ، ولكل من لجأ إليهم فارّاً بدينه من بلاد الكفر وحزب الضلال ، فرضي الله عن هؤلاء الصحب الكرام الذين تبوءوا الدار والإيمان ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُذُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، ورزقنا حبهم ، وجمعنا بهم في مستقر حرمة ، بمنّ وكرمه ، إنّه على ذلك قدير ، آمين .



(١) يحتمل أن تكون العبارة هكذا : (فففها ذاك) على أنّ الهاء ضميرُ الحليلة ، لا حرف تنبيه ، وذاك : هو المهاجري ، ولكن لم أر ذلك في نسخة .

(١٥) غزوة ذات الرقاع

استدراك الشارح

قال الزُّرْقَانِيّ : (بكسر الراء بعدها قاف ، فألف ، فعين مهملة : جمع رُقعة بضمها ، وهي غزوة محارب^(١) ، وغزوة بني ثعلبة ، وغزوة بني أنمار ، وغزوة صلاة الخوف ، وغزوة الأعاجيب ، وقول البخاريّ : (وهي غزوة مُحارب بن خَصَفَة بن ثعلبة بن غَطَفَان) وهم ؛ لاقتضائه أنّ ثعلبة جد لمحارب ، وليس كذلك ، كما عند ابن إسحاق وغيره ، فصوابه : وبني ثعلبة بواو العطف ؛ فإنّ غطفان هو ابن سعد بن قيس عيلان ، ومحارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، فمحارب وغطفان أبناء عم ، فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأدنى ؟! وفي قوله : (ثعلبة بن غطفان) نظر أيضاً ، والأولى ما عند ابن إسحاق : (وبني ثعلبة من غطفان) ، بميم ونون ، قاله الحافظ ، ونَبّه على ذلك أبو علي الجيّاني في أوهام الصحيح) .

قال اليعمرّيّ : (سُمِّيَتْ بذلك لأنّهم رَقَّعُوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع ، شجرة بذلك الموقع ، وقيل : لأنّ أقدامهم نَقِبَتْ ، فكانوا يَلْفُون عليها الخرق) اهـ

قلت : وهذا هو الأصحّ ، لما رواه البخاريّ ومسلم عن

سبب التسمية

(١) قال في « الفتح » : (جمهورهم على أنّ غزوة ذات الرقاع هي : غزوة محارب ، وجزم به ابن إسحاق) .

أبي موسى ، قال : خرجنا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِثُ أَقْدَامَنَا ، وَنَقِثُ قَدَمَايَ ، وَسَقَطْتُ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخَرَقَ ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَّاعِ ؛ لَمَّا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخَرَقِ .

الاختلاف في وقت وقوع هذه الغزوة :

وَاخْتَلَفَ مَتَى كَانَتْ عَلَى أَقْوَالٍ : فَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ بَعْدَ بَنِي النَّضِيرِ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَبَعْضُ جَمَادَى .
وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ ، وَابْنِ حَبَانَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ .
وَمَالُ الْبَخَارِيِّ : إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ خَيْبَرَ ؛ لِأَنَّ أَبَا مُوسَى شَهِدَهَا ، وَهُوَ إِنَّمَا جَاءَ مِنَ الْحَبَشَةِ بَعْدَ خَيْبَرَ ، سَنَةَ سَبْعٍ ، فَلَزِمَ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ خَيْبَرَ .

قَالَ الْحَافِظُ : (وَعَجِبْتُ مِنْ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ كَيْفَ قَالَ : جَعَلَ الْبَخَارِيُّ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى هَذَا حُجَّةً فِي أَنَّ غَزْوَةَ ذَاتِ الرَّقَّاعِ مَتَأَخَّرَةٌ عَنْ خَيْبَرَ ، قَالَ - يَعْنِي الْيَعْمُرِيُّ - : وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ) قَالَ الْحَافِظُ : (هَذَا النَّفْيُ مُرَدُّودٌ ، وَالِدَّلَالَةُ مِنْ ذَلِكَ وَاضِحَةٌ) .

قُلْتُ : وَذَلِكَ : لِأَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ قَدُومَهُ مِنَ الْحَبَشَةِ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ ، وَفِي الصَّحِيحِ قَالَ أَبُو مُوسَى : فَوَافِينَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَتَحَ خَيْبَرَ ، لَكِنِ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى جَرَى عَلَى أَنَّهَا بَعْدَ بَنِي النَّضِيرِ كَأَصْلِهِ ، فَقَالَ :

ثُمَّ إِلَىٰ مُحَارِبٍ وَثَعْلَبَةٍ ذَاتِ الرِّقَاعِ نَاهَزُوا الْمُضَارِبَةَ
وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ وَغُورَتْ جَرَىٰ فِيهَا لَهُ الَّذِي لِدُعْثُورٍ جَرَىٰ

الاسماء الثلاثة لهذه
الغزوة

(ثُمَّ) أي : بعد غزوة بني النضير ، توجه صلى الله عليه وسلم (إلى) غزو (مُحارب) بضم الميم ابن خَصَفَة ، بفتح المعجمة والصاد (و) بني (ثعلبة) وهم بأرض نجد ، و (ذات الرقاع) فَإِنَّ الغزوة تسمى بهذه الثلاثة ، كما تقدم ، ثُمَّ استأنف الكلام بجملته وقعت جواباً عن كيفية الغزوة ، فقال : (ناهزوا) أي : قاربوا (المضاربة) والمقاتلة ، (ولم يكن حرب) .

وذلك : أَنَّهُ لما بلغه صلى الله عليه وسلم أَنَّهُم جمعوا الجموع . . خرج - كما قاله اليعمري عن ابن سعد - ليلة السبت ، لعشر خلون من المحرم ، في أربع مئة من أصحابه ، ويقال : سبع مئة ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقيل : أبا ذر رضي الله عنه ، قال في « شرح المواهب » : (وسار صلى الله عليه وسلم إلى أن وصل وادي الشُّقْرة ، فأقام فيها يوماً ، وبعث السَّرايا ، فرجعوا إليه من الليل ، وخبروه : أَنَّهُم لم يَرَوْا أحداً ، فسار حتَّى نزل نخلاً ، بالخاء المعجمة : موضع من نجد ، من أرض غطفان) .

خليفة الرسول صلى
الله عليه وسلم على
المدينة

قال ابن إسحاق : (فلقي جمعاً منهم ، فتقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً ، حتَّى صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف) .

مَعَ النَّبِيِّ وَعَلَى الْمُعْتَمَدِ جَرَتْ لِوَاحِدٍ بِلَا تَعَدُّدٍ

قال الزرقاني : (وكان في صلاة العصر ، كما رواه البيهقي عن جابر ، ثم انصرف الناس ، وكان ذلك أول ما صلاها) .
قال في « روض النُّهاة » : (وممَّا تخالف به غيرها من الحكم أنَّه لا سهو فيها) اهـ

مدة غياب النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن
المدينة

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ،
وبعث جِعال بن سُراقَة بشيراً بسلامته وسلامة المسلمين .
غورث وما همَّ به من قتل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(وَغُورِثُ) بن الحارث من بني محارب (جرى فيها)
أي : في هذه الغزوة (له الذي) جرى (لدُعثور) فهو يتعلق
بقوله : (جرى) والِدال فيه مضمومة ، وفي البيت الإيطاء ،
ويتعلق به أيضاً قوله :

(مع النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم ، روى ابن إسحاق ،
 وذكره اليعمري عنه : (عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أنَّ
رجلاً من بني محارب يقال له : غُورث ، قال لقومه من غطفان
ومحارب : ألا أقتل لكم محمّداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟
قال : أفتك به ، قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو جالس وسيفه في حجره ، فقال : يا محمّد ؛ أنظر
إلى سيفك هذا ؟ قال : « نعم » فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه
ويهمهم ، فيكبته الله تعالى . ثم قال : يا محمّد ؛ أما تخافني ؟
قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » قال : أما تخافني وفي يدي
السيف ؟ قال : « لا ، بل يمنعني الله منك » قال : ثمَّ عمد إلى

سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه ، فأُنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقد رواه من حديث جابر أيضاً أبو عوانة وفيه : (فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « من يمنعك مني ؟ » قال : كن خير آخذ ، قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّي رسول الله ؟ » قال الأعرابي : أعاهدك أنّي لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، قال : فخلّي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله ، فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس) .

ثمّ قال الناظم تبعاً لأصله .

(وعلى المعتمد جرت) هذه القصة (لواحد) اختلف الرواة في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه دُعْثُور ، وبعضهم : غُورث ، وقوله : (بلا تعدّد) تأكيد ، فإنّ اليعمرى قال في « العيون » : (والظاهر : أنّ الخبرين واحد) وقال غيره من المحققين كابن كثير : الصواب : أنّهما قصتان في غزوتين :

قصة لرجل اسمه دُعْثُور بغزوة ذي أَمَرَ وغطفان ، وفيها التصريح بأنّه أسلم ، ورجع إلى قومه ، فاهتدى به خلق كثير .

وقصّة بذات الرقاع لرجل اسمه غُورث ، وليس في قصته تصريح بإسلامه .

آراء علماء السيرة في
تعدد القصة

من صفات النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّامِيَةِ
الرَّفِيعَةِ

وفي هذه القصة فَرَطَ شجاعته صلى الله عليه وسلم ، وقوة
يقينه ، وقوة صبره على الأذى ، وقوة حلمه على الجهال ،
عليه الصَّلَاة والسَّلَام من ذي الجلال .

قصة جابر وجمله مع الرسول صَلَّى الله عليه وسلم :

فائدة :

في انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة أبطأ جمل
جابر بن عبد الله ، فنخسه صلى الله عليه وسلم ، فانطلق متقدماً
بين يدي الركاب ، ثم قال : « أتبيعنيه ؟ » فابتاعه منه وقال :
« لك ظهره إلى المدينة » فلماً وصل . . أعطى الثمن ، وزاد ،
ووهب له الجمل ، والحديث أصله في البخاري ، قال
الزرقاني : (في عشرين موضعاً ، لكن لم يقع فيه : أنه في
ذات الرقاع) .

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثني وهب بن كيسان ، عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل
لي ضعيف ، فلماً قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال :
جعلتِ الرفاق تمضي ، وجعلتُ أتخلف ، حتى أدركني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما لك يا جابر ؟ »
قال : قلت : يا رسول الله ؛ أبطأ بي جملي هذا ، قال :
« أنخه » قال : فأنخته ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

ثمَّ قال : « أعطني هذه العصا من يدك ، أو اقطع لي عصاً من شجرة » قال : ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخسه بها نخسات ، ثمَّ قال : « اركب » فركبت ، فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقته مواهقة^(١) ، قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : « أتبعني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؛ بل أهبه لك ، قال : « لا ، ولكن بعني » قال : قلت : فسُئني يا رسول الله ، قال : « قد أخذته بدرهم » قال : قلت : لا ، إذن تغبني يا رسول الله ، قال : « فبدرهمين » قال : قلت : لا ، قال : « فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية » قال : فقلت : أفقد رضىيت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » .

قال : ثمَّ قال : « يا جابر ؛ هل تزوجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : « أثيباً أم بكرأ ؟ » قال : قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : « أفلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ؛ إنَّ أبي أُصيب يوم أُحد ، فترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهنَّ ،

(١) المواهقة : أن تسير مثل سير صاحبك ، قال في « النهاية » : (وفي حديث جابر : « فانطلق الجمل يواحق ناقته مواهقة » أي : يباريها في السير ، ويماشيها ، ومواهقة الإبل : مد أعناقها في السير) اهـ

وتقوم عليهنّ ، قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنّنا لو قد جئنا صِراراً^(١) . . أمرنا بجزور ، فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها » قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ، قال : « إنّها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّساً » .

قال : فلمّا جئنا صراراً . . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلمّا أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث ! وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك سمعاً ، وطاعة ، قال : فلمّا أصبحت . . أخذت برأس الجمل فأقبلت به . . حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثمّ جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فأين جابر ؟ » قال : فدعيت له ، قال : فقال : « يا ابن أخي ؛ خذ برأس جملك ، فهو لك » ودعا بلالاً ، فقال له : « اذهب بجابر ، فأعطه أوقية » قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية ، وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ؛ ما زال ينمى عندي^(٢) ، ويرى مكانه من بيتنا ، حتى

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) من نمى المال زاد .

.....

أُصِيبَ أَمْسٌ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا ، يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَةِ .

من لطيف العلم في
حديث جابر

قال السهيلي : (ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن يعلم قطعاً : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً عَبَثاً ، بَلْ لِحِكْمَةٍ مُؤَيَّدَةٍ بِالْعَصْمَةِ ، اشْتَرَاءَ الْجَمَلِ مِنْهُ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّمَنَ ، وَزَادَهُ ، ثُمَّ رَدَّ الْجَمَلَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ ذَلِكَ بِلَا مَسَاوِمَةٍ ، وَلَا اشْتِرَاءٍ ، وَلَا شَرْطِ تَوْصِيلٍ ، فَالْحِكْمَةُ فِيهِ بِدِيعَةٍ جَدًّا ، فَلْتَنْظُرْ بَعِينَ الْإِعْتِبَارِ) .

وذلك : أَنَّهُ سَأَلَهُ : « هَلْ تَزَوَّجْتَ ؟ » ثُمَّ قَالَ : « هَلَا بَكَرًا » فَذَكَرَ مَقْتَلَ أَبِيهِ وَمَا خَلَفَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ جَابِرًا بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْيَا أَبَاهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ رُوحَهُ ، وَقَالَ : مَا تَشْتَهِي فَأَزِيدُكَ ، فَأَكَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْخَبَرَ بِمِثْلِ مَا يَشْبَهُهُ :

تشاكل الفعل مع الخبر

فَاشْتَرَى مِنْهُ الْجَمَلَ وَهُوَ مَطِيئُهُ كَمَا اشْتَرَى اللَّهُ مِنْ أَبِيهِ وَمِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْفُسَهُمْ بِثَمَنٍ هُوَ الْجَنَّةُ ، وَنَفْسُ الْإِنْسَانِ مَطِيئُهُ .
ثُمَّ زَادَهُمْ زِيَادَةً فَقَالَ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ .

ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي اشْتَرَوْا مِنْهُمْ فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ .

فَأَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاشْتِرَاءِ الْجَمَلِ مِنْ جَابِرٍ ، وَإِعْطَائِهِ الثَّمَنَ وَزِيَادَتَهُ ، ثُمَّ رَدَّ الْجَمَلَ الْمَشْتَرَى عَلَيْهِ ، أَشَارَ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى تَأْكِيدِ الْخَبَرِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَبِيهِ ، فَتَشَاكَلُ الْفِعْلُ مَعَ الْخَبَرِ ، كَمَا تَرَاهُ ، وَحَاشَا لِأَفْعَالِهِ

ثُمَّ لِمِيعَادِ ابْنِ حَرْبٍ بَدْرٌ وَكَعَّ عَنْهَا نَجْلٌ حَرْبٍ صَخْرٌ

صلى الله عليه وسلم أن تخلو من حكمة ، بل هي كلها ناظرة
إلى القرآن ، ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم) اهـ

(١٦) غزوة بدر الأخيرة

وهي الصغرى لعدم وقوع حرب فيها ، وتسمى بدر
الموعد ، للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد .

(ثم) بعد غزوة ذات الرقاع (ل) أجل (ميعاد)
أبي سفيان (ابن حرب بدر) وذلك : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما رجع من ذات الرقاع . . أقام بالمدينة ثلاثة أشهر ،
ثم خرج إلى بدر الموعد في شعبان سنة أربع ؛ إذ قال أبو سفيان
يوم أحد : الموعدُ بيننا وبينكم بدر من العام القابل ، فقال عليه
الصلاة والسلام لرجل من أصحابه هو عمر : « قل : نعم ، هو
بيننا وبينكم موعد إن شاء الله » فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه ، وعشرة أفراس .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن
عبد الله بن أبي بن سلول .

خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم على
المدينة المنورة

نكوص أبي سفيان :

(وكَعَّ) بتشديد العين ماض معناه : نكص ، ورجع على
عقبه (عنها) أي : عن هذه الغزوة (نجل حرب) أبو سفيان
(صخر) وكان قد خرج من مكة في ألفين ، ومعهم خمسون

فرساً ، ونزل على مَجَنَّةٍ من ناحية مَرِّ الظَّهْران ، ثمَّ بدا له الرجوع ، وقال : يا معشر قريش ؛ إِنَّهُ لا يصلحكم إلَّا عام خِصْب غيداق ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإنَّ عامكم هذا عام جذبٍ ، وإنِّي راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، فسَمَّاهم أهل مَكَّةَ جيش السَّويق ، يقولون : إِنَّمَا خرجتم تشربون السويق .

جيش السويق

وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوعده :

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فوفى بوعده ، وأقام ثمانية أيام ببدر ينتظر أبا سفيان ، وباعوا ما معهم من التجارة ، فربحوا الدرهم درهمين ، ونزل فيهم : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

قال الجلال السيوطي : (﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ أي : نعيم بن مسعود الأشجعي^(١) ، ﴿ إِنَّ النَّاسَ ﴾ : أبا سفيان وأصحابه ﴿ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ، ولا تأتوهم ﴿ فَزَادَهُمْ ﴾ ذلك القول ﴿ إِيمَانًا ﴾ وتصديقاً بالله ، و يقيناً .

المسلمون ونيعم بن مسعود

(١) وذلك : أنَّ نعيماً قدم مكة فأخبر أبا سفيان بتهيؤ المسلمين لحربهم ، فأعلمه أبو سفيان : أنَّه كاره الخروج ، وجعل له عشرين فريضة على أن يخذل المسلمين عن المسير ، فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان ، فلم يؤثر ذلك في المسلمين ، فإنَّهم قالوا : يا رسول الله ؛ إِنَّ الله مظهر دينه ، ومعر نبيه ، وقد وعدنا القوم ، ولا نحب أن نتخلف ، فسر لموعدهم فمدحهم الله تعالى بوحي منزل على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ : كافينا أمرهم ، ﴿وَنِعَمَ
الْوَكِيلَ﴾ : المفوض إليه الأمر هو ، وخرجوا فوافوا سوق
بدر ، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه ، فلم
يأتوا ، وكان معهم تجارات ، فباعوا ، وربحوا .

قال تعالى : ﴿فَأَنْقَلِبُوا﴾ : رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ
وَفَضْلٍ﴾ : بسلامة وربح ، ﴿لَمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ﴾ : من قتل أو
جرح ، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ، وطاعة رسوله في
الخروج ، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته ، ﴿إِنَّمَا
ذَلِكَ﴾ أي : القاتل : إِنَّ النَّاسَ . . . إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ﴾ كم
﴿أَوْلِيَائِهِ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾ في ترك أمري ﴿إِن
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً اهـ

وفي الآية : أَنَّ الله تعالى أعطاهم من الجزاء النعمة ،
والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا ، فرضاهم عنه ،
ورضي عنهم ، وذلك : لَمَّا فَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ ، واعتمدوا
بقلوبهم عليه .

(١٧) غزوة دومة الجندل

قال اليعمرى : (بضم الدال وفتحها ؛ أي : من دومة ،
وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبُعْدُهَا عن المدينة
خمس عشرة ، أو ست عشرة ليلة ، سميت بدومي بن
إسماعيل ؛ لأنه نزلها) .

فَدُومَةُ الْجُنْدَلِ هَاجَهَا زُمَرُ بِدُومَةٍ يَظْلِمُنَ مَنْ بِهِنَّ مَرٌّ

قال في « روض النُّهاة » : (وكان فيها التحكيم بين سيدنا علي وسيدنا معاوية رضي الله عنهما) .

وقال ياقوت في « معجمه » : (وذهب أكثر الرواة إلى أنَّ التحكيم كان بأذرح بضم الراء مع فتح أوله) .

قال في « القاموس » و« شرحه » : (موضع ، وقيل : بلد بجنب جرباء الشام وقد جاء ذكره في حديث الحوض وبينهما مسيرة ثلاثة أميال على الصحيح) .

تاريخها

(ف) بعد غزوة بدر هذه (دومة الجندل) أي : غزوتها ، وكانت سنة خمس ، كما صرح به ابن هشام في ربيع الأوَّل ، على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة .
سبب هذه الغزوة :

وبيَّن الناظم سببها بقوله :

(هاجها) أي : أثار هذه الغزوة (زُمَر) بوزن زُفَر : جمع زُمرَة ؛ أي : جماعة كائنة (بدُومة يَظْلِمُنَ مَنْ) أي : الذي مرَّ بهنَّ ، فقوله : (بهنَّ) يتعلق بقوله : (مرَّ) فعل ماضٍ من المرور .

وذلك : أنَّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنَّ جماعة بدومة يظلمون من مرَّ بهم ، وأنَّهم يريدون أن يدنوا من المدينة فيظلموا أهلها ، فخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأوَّل في ألف من أصحابه ، فكان يسير الليل ، ويكمن

النهار ، واستعمل على المدينة سباع ابن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيِّ ، قال
 مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ ، كما في « البداية والنهاية » ، بإسناده
 عن شيوخه ، عن جماعة من السَّلَفِ ، قالوا : أراد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن يدانوا إلى أداني الشام ، وقيل له : إِنَّ
 ذَلِكَ مِمَّا يُفْزَعُ قِيصَرُ ، وذكر له أَنَّ بَدُومَةَ الْجَنْدَلِ جَمْعاً كَثِيراً ،
 وَأَنَّهُمْ يَظْلَمُونَ مِنْ مَرٍّ بِهِمْ ، وكان بها سوق عظيم ، وهم
 يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير
 الليل ، ويكُمُّ النهار ، ومعه دليل من بني عُذْرَةَ ، يقال له :
 مَذْكَورُ ، هَادٍ ، خَرَّيْتُ .

فَلَمَّا دَنَا مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ . . أَخْبَرَهُ دَلِيلُهُ بِسَوَائِمِ
 بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَارَ حَتَّى هَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ ، وَرَعَانَهُمْ ،
 فَأَصَابَ مِنْ أَصَابٍ ، وَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَجَاءَ
 الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ ، فَتَفَرَّقُوا ، فَنَزَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِسَاحَتِهِمْ ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَبَعَثَ
 السَّرَايَا ، ثُمَّ رَجَعُوا ، وَأَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ رَجُلًا مِنْهُمْ ،
 فَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ ،
 فَقَالَ : هَرَبُوا أَمْسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمًا لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ .

عودة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى
 المدينة المنورة



تُمَّتْ لَمَّا أُجْلِيَتْ يَهُودُ وَأَوْغَرَتْ صُدُورَهَا الْحُقُودُ

(١٨) غزوة الخندق

سميت بذلك للخندق الذي حُفر حول المدينة في شاميها ،
من طَرَفِ الْحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، إلى طرف الْحَرَّةِ الْغَرْبِيَّةِ ، وتسمى :
(غزوة الأحزاب) لتحزُّب طوائف من الكفار على حرب
المسلمين ، وهم : قريش ، و غطفان ، واليهود ، ومن
تبعهم .

تسميتها

وكانت سنة أربع على ما قاله موسى بن عُقبة ، وجنح له
الإمام البخاريُّ ، واستدلَّ له بحديث ابن عمر في « صحيحه »
أو في شوال ، سنة خمسة على ما قاله ابن إسحاق ، قال في
« شرح المواهب » : قال ابن القيم : وهو الأصحَّ ، والذهبي :
هو المقطوع به ، والحافظ : هو المعتمد .

تاريخها

وذكر الناظم سببها فقال :

سببها

(تُمَّتْ) لغة في ثم (لَمَّا أُجْلِيَتْ يَهُودُ)^(١) من المدينة
أي : أخرجهم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة ،
وألحقهم بخيبر ، والشام ، وأخذ أموالهم ، وقتل منهم من
قتل ، وغازهم ذلك ، كما قال : (وأوغرت) أي : أوقدت
(صُدُورَهَا) أي : في صدور اليهود (الحقود) جمع حقد
بكسر الحاء : هو الضغن ، وهو إمساك العداوة في القلب .

(١) جواب لَمَّا . قوله فيما يأتي : (خندق خير مرسل) .

وَحَزَبَتْ عَسَاكِرًا عِنَاجُهَا إِلَى ابْنِ حَرْبٍ وَقَرِيشٌ تَاجُهَا

تحريض اليهود لقريش وغطفان على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم :

(وَحَزَبَتْ) بالتشديد ؛ أي : جمعت اليهود (عساكراً) جمع عسكر : هو الجمع ، فخرج من خيبر سلام بن مشكم ، وابن أبي الحقيق النضري ، وحِيَّي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الزبيع ، زوج أُمنا صفية قَبْلُ ، وهُوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، حتى قدموا على قريش مكة ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ نَسْتَأْصِلُهُ ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَالْعِلْمُ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ ، أَفَدِينَنَا خَيْرَ أَم دِينَهُ ؟ قالوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْطَعُوتٍ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ مَّجْدَلَهُ نَصِيرًا ﴾ الْآيَاتِ .

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لَقْرِيشَ . . سَرَّهَمْ ، وَنَشِطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ ، وَاتَّعَدُوا لَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ أُولَٰئِكَ النَّفَرُ مِنَ الْيَهُودِ ، حَتَّى جَاؤُوا غَطَفَانَ ، فَدَعَوْهُمْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ قَرِيشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ .

مسألة قريش لليهود
وتزوير هؤلاء للحقيقة

دعوة اليهود غطفان
لحرب النبي صلى الله عليه وسلم

وَجَعَلُوا كَيْ يَتَرُوا خَيْرَ الْوَرَى لِعُظْفَانِ نِصْفِ تَمْرِ خَيْرًا

خروج الأحزاب من المشركين للحرب :

فخرجت قريش في أربعة آلاف ، ولوأؤهم بيد عثمان بن أبي طلحة قبل إسلامه ، وخيلهم ثلاث مئة فرس ، وإبلهم ألف وخمس مئة بعير ، وقائدهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان في ألف ، وقائدهم عيينة بن حصن الفزاري ، وقد أسلم بعد ، وخرجت أشجع في أربع مئة ، يقودهم مسعود بن رُخيلة ، وأسلم بعد ذلك ، وسليم في سبع مئة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس ، وبنو أسد ، يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي ، وأسلم واستشهد بنهاوند ، وخرجت بنو مُرة في أربع مئة ، يقودهم الحارث بن عوف ، وأسلم بعد ذلك ، والجميع عشرة آلاف .

جيوش الكفار من كل قبيل

عدد جيش الكفار

وكانوا ثلاثة عساكر ، يقود الكل أبو سفيان ، كما قال الناظم .

(عِنَاْجُهَا) بكسر العين - مبتدأ - : وهو ملاك الشيء ؛ أي : ملاك العساكر (إلى) أبي سفيان (بن حرب) وهو خبر المبتدأ ، (وقرش تاجها) أي : العساكر ؛ أي : قريش في مقدمتها .

(وجعلوا) أي : اليهود (كي يَتَرُوا خَيْرَ الْوَرَى) أي : لأجل ذلك ، وهو مأخوذ من وتر الرجل : أفرعه ، وأدركه بمكروه ، كما في « القاموس » ويتعلق قوله : (لغطفان) بقوله : (جعلوا) ومفعوله (نصف تمر خيبر) وهي مدينة لليهود سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى في غزوتها .

خَنْدَقَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ بِأَمْرِ سَلْمَانَ وَالْحُرُوبُ ذَاتُ مَكْرٍ

حفر الخندق :

فلَمَّا كان ما ذكر ، وبلغ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خروجَهُم ، وندب الناس ، وأخبرهم خبر عَدُوِّهم (خَنْدَقَ) أي : حفر الحفرة حول المدينة (خير مرسل) صلى الله عليه وسلم ، وعمل فيه بيده ، تنشيطاً للناس ، وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مرة بالمعول ، ومرة بالمسحاة يغرف بها التراب ، ومرة يحمل التراب في المِكتل .

قال في « روض النُّهاة » : وكمل في ستة أيام ، وقيل : في خمسة عشر ، وقيل : في عشرين يوماً ، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف على الصحيح المشهور ، وغلِط من قال : إنَّهم سبع مئة ، وكان معهم ستة وثلاثون فرساً ، وكان الخندق (بأمر) أي : بإشارة (سَلْمَانَ) الفارسي رضي الله عنه ؛ فإنَّه قال : يا رسول الله ؛ إنَّا كنا إذا حُوصِرنا خندقنا علينا ، فكانت هذه مَكيدة لم تعرفها العرب (والحروب ذات مكر) أي : احتيال وخديعة .

قلت : ولو أنَّ الناظم قال :

خَنْدَقَ خَيْرٌ مُرْسَلٍ وَقَدْ أَشَارَ

سَلْمَانُ بِالْخَنْدَقِ نَعَمَ الْمُسْتَشَارُ

.. لكان أليق بالأدب في حق الجناح النبوي .

كَمْ آيَةٍ فِي حَفْرِهِ كَالشَّبَعِ مِنْ حَفْنَةٍ وَسَخْلَةٍ لِلْمَجْمَعِ

ارتجاز المسلمين في حفر الخندق :

قال ابن إسحاق : (وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ،
وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له : جُعِيل ، سمّاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرًا ، فقالوا فيما يقولون :

سماه من بعد جُعِيلِ عمرا
وكان للبائس يوماً ظَهْرًا
وكانوا إذا قالوا : عَمْرًا ، قال معهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « عمرا » وإذا قالوا : ظَهْرًا ، قال لهم :
« ظهرا » .

معجزات باهرة وأعلام للنبوة ظاهرة :

واعلم : أنه قد كانت في حفر الخندق آيات ، فيها أعظم
عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك
على مَرَأَى من المسلمين ، أشار إلى بعضها بقوله :

(كَمْ آيَةٍ) من الآيات على تحقيق نبوته صلى الله عليه
وسلم ، وعظيم عناية ربّه به ظهرت (في حَفْرِه) صلى الله عليه
وسلم للخندق ، وذلك (كَالشَّبَعِ) لأهل الخندق (من حَفْنَةٍ)
تمر ، وهي مِلءُ الكَفِّ ، جاءت بها ابنة بَشِيرِ بن سعد لأبيها
وخالها عبد الله بن رواحة ، ليتغذّا به ، فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يا بُنَيَّةُ ؛ ما هذا الذي معك ؟ »
قالت : قلت : يا رسول الله ؛ هذا تمر بعثتني به أُمِّي إلى

تسمية الرسول صلى الله
عليه وسلم جُعِيلًا عَمْرًا

من معجزاته صلى الله
عليه وسلم تكثير التمر

أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رَوَاحَةَ يتغديان به فقال : « هاتيه » قالت : فصبته في كَفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأهما ، ثمَّ أمر بثوب فُبُسط له ، دَحَا بالتمر عليه ، فتبدَّد فوق الثوب ، ثمَّ قال لإنسان عنده : « اصْرُخ في أهل الخندق : أن هَلُمُّوا إلى الغداء » فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صَدَرَ أهل الخندق عنه وإنَّه ليسقط من أطراف الثوب .

تكثير الطعام

(و) كالشَّبَع لهم من (سَخْلَةٍ) : هي ولد الغنم من الضأن والمَعَز ساعة وضعه ، ذكراً كان ، أو أنثى السخلة (للمجمع) بفتح الميمين : موضع اجتماع القوم ، وكانت السخلة لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

دعوة جابر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفراً من أصحابه للطعام

وكان من حديثها ما رواه الإمام البخاري بسنده إلى جابر قال : (لما حُفِر الخندق . . رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خَمَصاً ، فانكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خَمَصاً شديداً ، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، فطحنْتُ ، ففرغْتُ إلى فراغي ، وقطعتها في بُرْمَتِها .

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الخندق جميعاً لحضور مأدبة جابر رضي الله عنه

ثمَّ وَلَّيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضَحْنِي برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فجئتُه ، فسارَرْتَه ، فقلت : يا رسول الله ؛ ذبحت بهيمة لنا ،

وَكَمْ بَشَارَةٍ لِّخَيْرٍ مُّرْسَلٍ مِنْ الْفُتُوحِ تَحْتَ ضَرْبِ الْمِعْوَلِ

وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفراً معك
فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أهل
الخنديق ؛ إِنَّ جابراً قد صنع سُوراً ، فَحَيَّهْلاً بِكُمْ » فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ ،
وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ » .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ،
حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك وبك ! فقلت : قد فعلت
الذي قلت . فأخرجت لنا عجينة ، فسق فيهِ وبارك ، ثُمَّ عَمَدَ
إِلَى بُرْمَتِنَا ، فسق وبارك ، ثُمَّ قَالَ : ادْعِي خَبَازَةً فَلْتَخْبِزْ
مَعَكَ ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكَ ، وَلَا تَنْزِلُوهَا ، وَهَمَّ أَلْفٌ ، فَأَقْسِمُ
بِاللهِ لَا أَكْلُوا حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرِفُوا ، وَإِنَّ بَرْمَتَنَا لَتَغِطَّ كَمَا هِيَ ،
وَإِنْ عَجِينَا كَمَا هُوَ) .

ويرحم الله الإمام العارف ، إذ يشير إلى هذه الآية مع آية
تكثير الماء بقوله :

فَتَغْدِي بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِيعاً

وَتَرَوِي بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِمَاءً

(وكم بشارة) أي : كثير منها ، فكم للتكثير كالسابقة
(لخير مرسل) صلى الله عليه وسلم ، وقوله : (من الفتوح)
بيان للبشارة ، والمراد : فتوح البلدان ، كائنة تلك البشارة
المخبر عنها (تحت ضرب المِعْوَلِ) بوزن مُنْبَرٍ : وهي الحديدية
يُنْقَرُ بها الجبال .

إخباره صلى الله عليه
وسلم عن فتوح المدن
والأمصار

وأشار بهذا إلى ما رواه الإمام أحمد والنسائي من حديث
البراء ، قال : (لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحفر الخندق . . عَرَضْتُ لنا في بعض الخندق صخرة
لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكيها ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم ، فجاء وأخذ المِعُول ؛ يعني : من سلمان ، فقال :
« باسم الله » ثمَّ ضربه ، فنَشَرَ ثُلُثُهَا ، وقال : « الله أكبر ،
أُعْطِيت مفاتيح الشام ، والله إنِّي لأُبْصِرُ قصورها الحُمْر الساعة »
ثمَّ ضرب الثَّانِيَةَ ، ففُتِحَ ثُلَاثًا آخر ، فقال : « الله أكبر ، أُعْطِيت
مفاتيح فارس ، والله إنِّي لأُبْصِرُ قَصْرَ المَدَائِنِ الأَبْيَضِ الآن » ثمَّ
ضرب الثَّالِثَةَ ، وقال : « باسم الله » ففُتِحَ بَقِيَّةُ الحجر ، فقال :
« الله أكبر ، أُعْطِيت مفاتيح اليمن ، والله إنِّي لأُبْصِرُ أبواب
صَنْعَاءِ من مكاني الساعة ^(١) » .

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثَنِي من لا أُنْهَمُ عن أبي هريرة :
أنَّهُ كان يقول : حين فُتِحَتْ هذه الأَمْصَارُ في زمن عُمر ، وزمن
عثمان وما بعده : افْتَتَحُوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة
بيده ، ما افْتَتَحْتُم من مدينة ولا تَفْتَتِحُونَهَا إلى يوم القيامة إلَّا وقد
أَعْطَى اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفاتيحها قبل ذلك) .

(١) قال في « شرح المواهب » : (هذا الحديث الحسن لا يعارض رواية ابن إسحاق بلفظ
حديث عن سلمان ، فذكره وفيه : « أمَّا الأولى . . فَإِنَّ الله فَتَحَ بها علي اليمن » ،
« والثَّانِيَةُ : الشام والمغرب » ، « والثَّالِثَةُ : المشرق وفارس » ؛ لَأَنَّهُ منقطع فلا يعارض
المسند المرفوع الحسن ، ومن ثمَّ لم يلتفت الحافظ لرواية ابن إسحاق ، وإن تبعه عليها
اليعمري وغيره ، بل اقتصر على هذا الحديث وأيده بتعدد طرقه) اهـ

الكذبة التي عادت
كثيباً

ومن الآيات التي لم يذكرها الناظم ، وذكرها أصله :
حديث كُذِّبَ (١) جابر ، فإنه حَدَّثَ : أنه اشتدَّ عليهم في بعض
الخدق كُذِّبَ ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأخذ المِعول وضرب ، فعاد كثيباً أهبل (٢) ورُوي في
هذا الخبر : (أنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام دعا بماء فتفل فيه ، ثمَّ
دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثمَّ نَضَحَ ذلك الماء على تلك
الكُذبة فيقول من حَضَرها : فوالَّذي بعثه بالحق : لانْهالت حتى
عادت كالكثيب ، وما ترد فأساً ولا مِسْحاة) .

اجتماع الجيشين حول الخندق :

ولمَّا فرغ صلى الله عليه وسلم من الخندق . . أقبلت قريش
حتى نزلوا بمجتمع الأسيال ، وغَطَفان بذنب نَقَمَى (٣) ، إلى
جانب أُحُد ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المسلمين حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سَلْع ، فضرَبَ
هناك عسكره ، والخندقُ بينه وبين القوم ، وأمرَ بالنساء
والذراريَّ أن يُجْعَلوا في الآطام (٤) .

(١) هي بضم الكاف : الأرض الغليظة .

(٢) يعني : صار ملاً يسيل ولا يتماسك ، وأهبل : بفتح الهمزة والتحتية ، بينهما هاء ساكنة ،
وآخره لام ، وفي رواية بالميم بدل اللام والمعنى واحد .

(٣) بفتح النون والقاف والميم مقصوراً : موضع من أعراض المدينة ، نقله في « شرح
المواهب » عن البرهان .

(٤) الأبنية العالية المرتفعة .

وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ إِذْ فَتَنَهُ عَنْ عَهْدِهِ حَيٍّ أَعْطَى رَسَنَهُ

حاملا لواء المهاجرين
والأنصار رضي الله
عنهم

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد ، وكان عباد بن بشر على حرس النبي صلى الله عليه وسلم مع غيره من الأنصار ، يَحْرُسُونَهُ كل ليلة ، وقيل : إِنَّ الذي حرسه يوم الخندق الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو يوماً أبو سفيان في أصحابه ، ويوماً خالد بن الوليد ، ويوماً عمرو بن العاص ، ويوماً هُبَيْرَةُ بن أبي وهب ، ويوماً عِكْرَمَةُ بن أبي جهل ، ويوماً ضَرَارُ بن الخطاب .

قال في « روض النُّهْة » : (وأسلم هؤلاء إِلَّا هُبَيْرَةُ ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويفترقون مرة ، ويجتمعون أخرى ، ويُناوِشُون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُقَدِّمُون رُمَاتَهُمْ فيرمون) .

نقض كعب عهده للرسول صلى الله عليه وسلم :

(وكعب بن أسد) القُرْظِي صاحب عَقْد بني قريظة (إذ فتنه) أي : أوقعه في الفتنة وأضله (عن عهده) الذي كان عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده من ترك قتالهم له مع أَحَدٍ ، والكف عنه ، وفاعل فتنه قوله : (حَيٍّ) بترك التنوين للوزن ، وخبر المبتدأ الذي هو كعب ، جملة قوله : (أَعْطَى) أي : كعب المذكور لِحَيٍّ (رَسَنَهُ) أي : أعطاه قيادته ، وهو بفتح الراء والسين : ما يُقَاد به من زمام ونحوه .

فَغَدَرْتُ قُرَيْظَةً لِعَظْمَرِهِ يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ أَسُّ نَجْرِهِ

وحاصل ما أشار له الناظم كما ذكره ابن إسحاق وغيره : (أنه خرج عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطب النَّضْرِيِّ حتَّى أتى كعب بن أسد القرظي ، وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، فأغلق دونه باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، وقال : ويحك يا حُيَيُّ إِنَّكَ امرؤٌ مشؤوم ، وإنِّي قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ؛ فإنِّي لم أر منه إلَّا وفاءً ، وصدقاً .

حاصل ما سبق
حيي بن أخطب يقنع
كعباً بنقض العهد

فقال : ويحك ! افتح لي ، ولم يزل به حتَّى فتح له ، فقال : ويلك يا كعب ! جئتكَ بعز الدهر جئتكَ بقريش حتَّى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ، ومن دونه غطفان ، وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتَّى نستأصل محمداً ، ومن معه .

فقال له كعب : جئتني والله بذلّ الدهر ، وبجهام^(١) قد أُهْرِيقَ ماءؤه يُرْعِدُ وَيُبرِّقُ ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حُيَيُّ ! دَعْنِي وما أنا عليه ؛ فإنِّي لم أر من محمداً إلَّا صدقاً ووفاءً ، ولم يزل به يفتلُّه في الذروة والغارب^(٢) . . حتَّى نقض عهده ، وبريء ممّا كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب ينقض عهده

(فغدرت قُرَيْظَةً) العهد ، ونقضته مع كعب (لـ) أجل (غدره يومئذٍ إذ هو) أي : كعب (أَسُّ) بتثنية الهمزة ، أصل البناء ، وهو مضاف إلى (نَجْرِهِ) بفتح النون وسكون الجيم :

(١) بجيم مفتوحة ، فهاء مخففة : السحاب الذي لا ماء فيه ، وأهريق : بضم الهمزة وسكون الهاء وكسر الراء : صب ، اهـ « شامية » .

(٢) مثل : أصله البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ، فيجد لذة ، فيأنس بعد ذلك ، فضرِب مثلاً في المرافضة ، قاله في « الروض الأنف » اهـ

وهو الأصل .

تحرّى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نقض كعب للعهد :

ولمّا انتهى هذا الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين . . بعث جماعة من أصحابه فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم ، فإن كان حقاً . . فألحنوا لي لحناً^(١) حتى أعرفه ، ولا تفتّوا^(٢) في أعضاء الناس ،

(١) اللحن : العدول بالكلام عن الوجه المعروف إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أنّ اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب الذي هو معروف ، وقال الجاحظ في قول مالك بن أسماء : منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً أراد اللحن الذي هو الخطأ ، قد يستلمح ويستطاب من الجارية الحديثة السن ، وخطئ الجاحظ في هذا التأويل ، وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لحتت فأنكر عليها اللحن ، فاحتجّت بقول أخيها مالك بن أسماء : (وخير الحديث ما كان لحناً) فقال لها الحجاج : لم يرد أخوك هذا ، إنّما أراد الذي هو التورية والإلغاز ، فسكتت ، فلمّا حدث الجاحظ بهذا الحديث قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أؤلف كتاب البيان . . ما قلت في ذلك ما قلت ، فقليل : أفلا تغيره ، فقال : وكيف وقد سارت به البغال الشهب ، وأنجد في البلاد وغار ، اهـ حكاه السهيلي .

قال في « العيون » : (وتأويل الجاحظ أولي ؛ لما فيه من مقابلة الصواب بالخطأ ، ولعل الشاعر لو أراد المعنى الآخر . . لقال : « منطق ظاهر » ليقابل بذلك ما تقتضيه التورية واللغز من الخفاء . فكما قال الجاحظ في تأويل : « وتلحن أحياناً » اهـ قلت : وما قاله في « العيون » ظاهر .

(٢) بضم الفاء وشد الفوقية ، قال في « الروض » : (أي : تكسروا من قوتهم وتوهنوهم ، ضرب العضد مثلاً ، وقال : في أعضاء ، ولم يقل : في أعضاء ؛ لأنّه كناية عن الرعب الداخل في القلب ، ولم يرد كسراً حقيقياً ، ولا العضو الذي هو العضو ، إنّما هو عبارة عمّا يدخل في القلب من الوهن ، وهو من أفصح الكلام) اهـ

وَأَرْسَلَ السَّعْدَيْنِ خَيْرٌ مُرْسِلٍ وَأَبْنَ رَوَاحَةَ لَهُمْ لِيَنْجَلِيَ
مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُمْ عَضَلُ وَسَرَّ خَيْرَ الْخَلْقِ ذَاكَ الْخَذَلُ

وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك
للناس ، وإلى هذا الإشارة بقوله :

(وأرسل السَّعْدَيْنِ) سعد بن عُبادة ، وسعد بن مُعاذ .
وفاعل أرسل (خَيْرُ مُرْسِلٍ) صلى الله عليه وسلم (و) أرسل
عبد الله (ابن رَوَاحَةَ) معهم ، وكذا خَوَاتَ بن جُبَيْر ، ويتعلق
بأرسل الجار والمجرور في قوله : (لهم) أي : لبني قُرَيْظَةَ ،
فقال صلى الله عليه وسلم لهم ما ذكر ، وإنما أرسل لهم
(لينجلي) أي : ليتضح (ما) أي : الأمر ، والموقف الذي
(هم) أي : بنو قُرَيْظَةَ (عليه) من العهد ، أو نقضه .

رسل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم للوقوف
على حقيقة بني قريضة

فخرجوا حتى أتوا بني قُرَيْظَةَ ، فوجدوهم على أخبث
ما بلغه عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقالوا : مَنْ رسول الله ؟ ! لا عهد بيننا وبين مُحَمَّد ،
ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، فقال له سعد بن
عُبادة : (دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أَرْبَى من
المشامة) .

غدر بني قريضة
ونقضهم للعهد

ثم أقبل السَّعْدَانِ ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلُ والقارة ؛ أي : هم
غدروا كغدر عَضَلُ والقارة بأصحاب الرجيع .

وإلى هذا الإشارة بقوله :

(فَإِذَا هُمْ عَضَلُ) بفتح المهملة ثم المعجمة : هي قبيلة

سابقة عضل في نقض
العهد

من بني الهون بن خزيمه ، غدروا بأصحاب الرجيع .

وعلم من التقرير : أنَّ ما بعد الفاء مرتب على مقدر .

استبشار النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما
أخبره رسله

(وَسَرَّ) بالبناء للفاعل ، ومفعوله (خَيْرَ الخلق) صلى الله
عليه وسلم (ذاك الخذل) من بني قريظة ؛ لأنه علم صلى الله
عليه وسلم : أنَّ قد قرب الفرج ، فقال عند ذلك : « الله أكبر !
أبشروا يامعشر المسلمين » .

شدة خوف المسلمين ، وظهور نفاق المنافقين :

قال في « العيون » : (وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدَّ
الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ، ومن أسفلَ منهم ، حتى
ظنَّ المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، قال
تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ
جَاءَ تَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * .

تنبيه :

ما ذكره الناظم تبعاً لأصحاب المغازي لا ينافي ما رواه
الشيخان عن عبد الله بن الزبير ، قال : (كنت يوم الأحزاب أنا
وعُمر بن أبي سلمة مع النساء في أُطْم حسان ، فنظرت فإذا
الزبير على فرسه ، يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً ، فلمَّا
رجعت .. قلت : يا أبت ؛ رأيتك تختلف ، قال : رأيتني

توفيق الشارح بين
الروايات المتعددة

قَالَتْ جَنُوبٌ لِلشَّمَالِ انْطَلِقِ نَنْصُرُ خَيْرَ مُرْسَلٍ فِي الْخَنْدَقِ
فَقَالَتِ الشَّمَالُ إِنَّ الْحُرَّةَ لَمْ تَسِرْ بِاللَّيْلِ فَذَاكَ عُرَّةُ

يا بني ؟ قلت : نعم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَأْتِ بَنِي قَرِيظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبْرِهِمْ ؟ » فانطلقت ، فلمَّا رجعت . . جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه في الفداء ، فقال : فذاك أبي وأمي (؛ لما قاله في « شرح المواهب » :

(من أنه أرسل الجميع دُفْعَةً ، أو بعد إرسال الزُّبَيْر ؛ لاحتمال أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه ، حياءً من حلفائهم ؛ لأنَّهم كانوا حلفاء الأوس ، وقد أرسل إليهم سيدهم ، فغلبت عليهم الشَّقْوَةُ) .

وليس لك أن تقول : أو لاحتمال أنَّ الزُّبَيْر علم من غيرهم نقض العهد ، فاكتفى به ؛ لأنَّه ظن سوء بمثل الزُّبَيْر ، تأباه مروءته وشجاعته .

إرسال ريح النصر والملائكة للمؤمنين :

(قالت جَنُوبٌ) بفتح الجيم ؛ أي : ريح الجنوب ، ومهبها من مَطْلَعٍ سهيل إلى مَطْلَعِ الثَّرِيَّا (للشمال) بفتح الشين ، ومهبها ناحية القُطْب (انطلق) بكسر القاف للروِّي (نصر خير مرسل) صلى الله عليه وسلم (في الخندق) .

(فقالت الشمال) مجيبة لها بلسان المقال ، أو بلسان الحال : (إن الحرة لم تَسِرْ بالليل ، فذاك) أي : سيرها بالليل (عُرَّة) بضم العين ؛ أي : قبيح .

فَأَرْسَلَ اللَّهُ الصَّبَا وَالْمَلَكَهَ فَصَرَا نِيَّهَ فِي الْمَعْرَكَةِ
وَعُظْفَانُ رَامَ أَنْ يُخَوَّلُوا ثُلُثَ تَمْرِ طَيْبَةٍ لِيَعْدِلُوا

(فأرسل الله الصَّبا) بفتح الصاد المهملة ، وخفة
الموحدة ، وهي الشرقية ، ويقال لها : القَبُول ؛ لأنها تقابل
الشمال : وهي الريح العقيم ، التي لا خير فيها ، قال تعالى :
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (والمَلَكَةُ) : جمع مَلَك ،
بفتح اللام فيهما (فنصرا نبيه) صلى الله عليه وسلم (في
المعركة) بفتح الميم والراء ، موضع الحرب كالمعترك .

الصبا والدبور
وآثارهما على نتائج
المعركة

وأشار بهذا إلى ما رواه ابن مردويه ، والبزار وغيرهما
برجال الصحيح عن ابن عباس قال : لما كانت ليلة الأحزاب . .
قالت الصَّبا للشمال : اذهبي بنا ننصرُ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقالت : إِنَّ الحرائر لا تهبُّ بالليل ، فغضب الله عليها
فجعلها عقيماً ، وأرسل الصَّبا فأطفأت نيرانهم ، وقطعت
أطناهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بالصَّبا ،
وأُهْلِكْتُ عاد بالدَّبُور » .

وروى الشيخان ، والنسائي عنه مرفوعاً : « نصرت
بالصَّبا ، وأُهْلِكْتُ عاد بالدَّبُور » بفتح الدال : الريح الغربية .
ومن لطيف المناسبة : كون القبول نصرت أهل القبول ،
والدبور أهلك أهل الإِدبار .

مشروع الصلح بين المسلمين وعُظْفَان ، وعدم تمامه :

(وعُظْفَان رَام) أي : أراد صلى الله عليه وسلم ، وقد

وَأَنفَ السَّعْدَانِ مِنْ صَلَاحِ النَّبِيِّ وَحَكَمًا حَدَّ شِفَارِ الْقُضْبِ

بعث إلى عُيَيْنَةَ بن حصن ، والحارث بن عوف المُرِّي ، وهما قائدا غطفان (أَنْ يَخُولُوا) بالبناء للمفعول ، أي : يُعْطُوا (ثلث تمر طيبة لِيَعْدِلُوا) أي : ليميلوا ويرجعوا بمن معهم عنه ، وعن أصحابه ، فجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ، ولا عزيمة الصلح ، فلمَّا أراد صلى الله عليه وسلم أن يفعل . . بعث إلى سعد بن معاذ سيد الأوس ؛ وسعد بن عبادة سيد الخزرج يستشيرهما في الأمر .

استشارة النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
السَّعْدَيْنِ فِي مَا سَاوَمَهُ
عَلَيْهِ غُطْفَانُ

(وَأَنفَ) عند ذلك ؛ أي : استنكف (السَّعْدَانِ مِنْ صَلَاحِ النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله ؛ أأمرأ تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، لا بدَّ لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلاَّ أَنِّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم ^(١) من كل جانب ؛ فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » .

فقال له سعد بن معاذ سيد الأوس : يا رسول الله ؛ قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلاَّ قِرَى ، أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزَّنَا بك وبه ، نعطيههم أموالنا ؟! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلاَّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

(١) يقال كلب الدهر على أهله إذا ألحَّ واشتدَّ ، وكذا العدو . انظر « النهاية » ، مادة (كلب) .

مُعْتَبٌ نَجَلُ قُشَيْرٍ قَالَا وَعَدْنَا النَّبِيَّ أَنْ نَنَالَا

(وَحَكَمَا حَدَّ شِفَار) بكسر أوله ، جمع شَفْرَة بالفتح ؛
أي : حَدَّ السيف (الْقُضْب) أي : القواطع ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسعد : « فَأَنْتَ وَذَاكَ » فتناول سعد
الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثُمَّ قَالَ : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

اقتحام بعض المشركين الخندق :

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وَعَدُوَّهُمْ
محاصرههم ، ولم يكن بينهم قتال ، إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ مِنْ قَرِيشَ
منهم : عمرو بن عبد وُدَّ ، وَعِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، وَضِرَارَ بْنَ
الْخَطَّابِ تَلَبَّسُوا لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ ، حَتَّى مَرَوْا
بِمَنَازِلِ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقَالُوا : تَهَيَّأُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ ؛
فَسَتَعْلَمُونَ مِنَ الْفَرَسَانِ الْيَوْمَ ، ثُمَّ اقْبَلُوا تُعْنِقُ^(١) بِهِمْ خَيْلُهُمْ ،
حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ . . قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ
لَمْكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ
ضَيْقًا ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ، فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبْخَةِ
بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ .

فلتة معتب بن قشير :

و (مُعْتَبٌ نَجَلُ قُشَيْرِ) بالتصغير ، الْأَوْسَى ، قَالَ
الْحَافِظُ : (ذَكَرُوهُ فِيمَنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ تَابَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا) ،

(١) أي : تسرع .

كُنُوزَ قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَنَرَى أَحَدَنَا الْيَوْمَ يَخَافُ الْمُخْتَرَى

والألف في قوله : (قالاً) للإطلاق ؛ يعني : لما غدرت بنو قُرَيْظَةَ ، واشتدَّ البلاء والخوف على المسلمين ، وأتاهم عَدُوُّهُمْ غَطَفَانُ من فوقهم من قِبَلِ المشرق ، وقريش من أَسْفَلَ منهم من قِبَلِ المغرب ، وظنَّ المؤمنون كل الظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين . . قال مُعْتَبٌ :

(وعدنا النَّبِيُّ أَنْ نَنَالَا) بألف الإطلاق أيضاً ، ومفعوله : (كُنُوزَ قَيْصَرَ) وهو عِلْمٌ لكل من ملك الروم ، وأصله من القَصْرِ ، وهو البَقَرُ بالعجمية ؛ لِأَنَّهُ يُقَرَّ عنه بطنُ أُمِّه ، وكان يفخر بذلك ، يقول : لم تلدني النساء (وَكِسْرَى) : هو لقب لكل من ملك الفرس ، ومعناه : واسع الملك (ونرى) (الواو للحال ؛ أي : يقول معتب : وعدنا النبي أن نأخذ أموال قَيْصَرَ وَكِسْرَى ، والحال أننا نرى ونبصر (أَحَدَنَا الْيَوْمَ يَخَافُ الْمُخْتَرَى) بضم الميم ، مكان الغائط ؛ أي : لا يأمن أن يذهب إلى الغائط .

قال في « شرح المواهب » : (أخرج جُوبَيْرٌ عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ في مُعْتَبِ بن قُشَيْرٍ الأنصاري : هو صاحب هذه المقالة ، وقيل : عبد الله بن أَبِي وأصحابه) .

قال ابن هشام : (وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أَنَّ مُعْتَبًا لم يكن من المنافقين ، واحتجَّ بأنَّه كان من أهل بدر) وفي بعض النسخ بدل البيت :

وَنَوْفَلٌ مِّنْ طَيْشِهِ وَنَزَقَهُ أَوْثَبَ طِرْفَهُ حَفِيرَ خَنْدَقِهِ
فَوْقَهَا فِيهِ وَأَعْطَىٰ فِدْيَتَهُ إِخْوَانُهُ فَاسْتَوْهَبُوهُ جُثَّتَهُ

وابنُ قُشَيْرٍ مَّعْتَبٌ قَالَ أَمَّا
وَعَدْنَا مُحَمَّدٌ أَنْ نَغْنَمَا

والخطب سهل ، والمعنى واحد .

مقتل نوفل المخزومي حين اقتحم الخندق :

(ونوفل) هو ابن عبد الله بن المغيرة المخزومي (من
طيشه) : خِفْتَهُ (وَنَزَقَهُ) عطف تفسير (أَوْثَبَ طِرْفَهُ) بكسر
الطاء ، الكريم من الخيل ؛ أي : حمّله على أن يثب (حَفِيرَ)
أي : على المحفور من (خَنْدَقِهِ) صلى الله عليه وسلم يريد
قتل النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (فَوْقَهَا) أي : نوفل وفرسه
(فِيهِ) أي : في الخندق ، فاندقت عنقه ، وقتله الله ، وعظم
ذلك على المشركين ، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : إِنَّا نَعْطِيْكُمْ الدِّيَّةَ ، على أن تدفعوه إلينا فندفنه ، وإليه
الإشارة بقوله : (وَأَعْطَىٰ) بالبناء للفاعل (فِدْيَتَهُ) بالنصب
مفعول مقدم على فاعل أَعْطَىٰ الذي هو (إِخْوَانُهُ) والفدية :
ما يعطى لإنقاذ الشيء .

قال ابن هشام : (بلغني عن الزُّهري : أَنَّهُمْ أَعْطَوْا فِي
جَسَدَةِ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ) .

(فاستوهبوه) أي : طلبوا من النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :
أن يهب لهم (جُثَّتَهُ) أي شخصه .

فَقَالَ فِيهِ أَكْرَمُ الْبَرِيَّةِ خَبِيثُ جَيْفَةٍ خَبِيثُ دِيَّةِ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ إِذْ قَامَ لَهُ حَيْدَرَةٌ بِسَيْفِهِ خَرَدَلُهُ

(فقال فيه أكرم البرية) عليه من ربه أزكى صلاة عطرية رداً عليهم ، وجواباً لقولهم : هو (خبيث جيفة) لموته كافراً محارباً لله ولرسوله (خبيث دية) بالتشديد للياء للوزن ؛ لعدم حلّها ؛ إذ لا دية في مثل هذه الصورة ، زاد في المواهب : « فلعله الله ، ولعن ديته ، ولا نمنعكم أن تدفنه ، ولا أرب لنا في ديته » .

مقتل عمرو بن عبد ود بسيف علي :

(عمرو بن عبد ود) العامري (إذ قام له) مبارزاً
(حيدر) لقب لسيدنا علي بن أبي طالب القائل :
أنا الذي سَمَّني أُمِّي حَيْدَرَةً

أَكِيلُكُمْ بِالسِّيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)

(بسيفه) يتعلق بقوله : (خَرَدَلُهُ) أي : قطع أعضائه .

قال اليعمري في « العيون » : (كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر ، حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أُحُد ، فلمّا كان يوم الخندق . . خرج معلماً ، ليُرَى مكانه ، فلمّا وقف هو وخيله . . قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكر ابن سعد في هذا الخبر : أنَّ عَمْرًا كان ابن

(١) أي : أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً ، والسندرة : مكيال واسع ، قيل : يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقصي .

تقلد علي بن أبي
طالب سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ودعاؤه له

عمرو يتحدى
المسلمين

تسعين سنة ، فقال عليّ : أنا أبارزه ، فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه ، وقال : « اللَّهُمَّ ؛ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ » .

وعن ابن إسحاق من غير رواية البُكَائِي : (أَنَّ عَمْرًا لما نادى يطلب من يُبارزه . . قام عليّ رضي الله عنه وهو مُقَنَّع في الحديد ، فقال : أنا له يانبيّ الله ، فقال له : « اجلس إنّه عمرو » ثمّ كرر عمرو النداء ، وجعل يؤنبهم ويقول : أين جَنَّتْكم التي تزعمون أنّه مَنْ قُتِلَ منكم دخلها ؟ أفلا تُبْرِزون لي رجلاً ؟ فقام عليّ فقال : أنا يا رسول الله ، فقال له : « اجلس ، إنّه عمرو » ثمّ نادى الثالثة ، وقال :

وَلَقَدْ بُحِثْتُ مِنَ النِّدَا

لِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ

وَوَقِفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمَشْجَعُ

وَقَفَّةَ الرَّجُلِ الْمَنَاجِزُ

وَكِذَاكَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ

مَتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى

وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

فقال عليّ رضي الله عنه : أنا له يا رسول الله ، فقال :

« إنّه عمرو » فقال : وإن كان عمرًا ، فأذن له رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فمشى إليه علي وهو يقول :

لَا تَعْجَلْنَ فَقَدْ أَتَا

كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٍ

ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ

وَالصَّدَقُ يُنْجِي كُلَّ فَائِزٍ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِيمَ

عَلَيْكَ نَائِحَةُ الْجَنَائِزِ

مِنْ ضَرْبَةِ نَجْلَاءَ يَبْقَى

ذَكَرَهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

منازلة علي رضي الله

عنه عمرو بن عبد ود

فقال عمرو : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا عليّ ، قال : ابن

عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، قال : غيرك يا ابن

أخي ، مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُهْرِيقَ

دَمَكَ ، فقال علي : لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ أُهْرِيقَ دَمَكَ ،

فَغَضِبَ وَنَزَلَ ، وَسَلَ سَيْفَهُ كَأَنَّهُ شَعْلَةُ نَارٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ عَلِيٍّ

مَغْضَبًا ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : كَيْفَ

أَقَاتَلْتَكَ وَأَنْتَ عَلَى فَرَسِكَ ؟ وَلَكِنْ أَنْزِلْ مَعِيَ ، فَتَزَلْ عَنْ

فَرَسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ عَلِيٌّ بِدَرَقَتِهِ ، فَضْرَبَهُ عَمْرُو

فِيهَا ، فَقَدَّهَا ، وَأَثْبَتَ فِيهَا السَيْفَ . وَأَصَابَ رَأْسَهُ ، فَشَجَّهُ ،

فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ عَلَى حَبْلِ الْعَاتِقِ ، فَسَقَطَ وَثَارَ الْعِجَاجُ ، وَسَمِعَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّكْبِيرَ ، فَعَرَفَ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ

قَتَلَهُ .

شعار المسلمين يوم

الخنندق ويوم بني

قريظة

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوم الخندق ويوم بني قريظة : (حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ) .

وَفَضَّرَ جَمْعَهُمْ نُعَيْمٌ الْأَشْجَعِي إِذْ نَمَّ بَيْنَهُمْ بِكُلِّ مَجْمَعٍ

تخذيل نعيم بن مسعود للأحزاب عن المسلمين :

نعيم بن مسعود رضي
الله عنه والإشاعات
بين صفوف الكفار

(وَفَضَّرَ) بتشديد الضاد المعجمة (جمعهم) أي : فرَّق جمع العرب وبني قريظة ، وهو مفعول لـ (فض) مقدم على فاعله ، الذي هو (نُعَيْم) بالتصغير ، ابن مسعود بن عامر (الْأَشْجَعِي إِذْ نَمَّ) أي : لأنه سعى بالنميمة المطلوبة في مثل هذا الموطن (بينهم بكل مجمع) من مجامع الكفار : بني قريظة ، وقريش ، وغطفان ؛ فإنه أتى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ؛ إني أسلمت ، وإنَّ قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَخَذَّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَذَعَةٌ ^(١) » فخرج حتَّى أتى بني قُريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال لهم : يا بني قُريظة ؛ قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إِنَّ قريشاً وغطفان ليسوا كما أنتم : البلد بلدكم ، وبه أموالكم وأبناؤكم ، ونسأؤكم ، لا تقدرون أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنَّهم جاؤوا للحرب محمّداً وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم

(١) قال الحافظ : (بفتح المعجمة ، وبضمها مع سكون الدال المهملة فيهما ، وبضم أوله ، وفتح ثانيه ، صيغة مبالغة ، كهزمة ولمزة ، قال النووي : اتفقوا على أَنَّ الْأَوَّلِيَّ أَفْصَحُ ، حتَّى قال ثعلب : بلغنا : أَنَّهَا لغة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جزم أبو ذرّ الهروي والقرّاز) اهـ

عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسائهم بغيره ، فإن رأوا نُهْزَةً . .
أصابوها ، وإن كان غير ذلك . . لحقوا ببلادهم ، واخلأوا بينكم
وبينه ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا معهم
حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ، يكونون ثقة لكم على أن
يقاتلوا معكم محمّدًا ، حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت
بالرأي .

إيقاع نعيم رضي الله عنه
بين قريش وحلفائهم
اليهود

ثم أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم وُدِّي
لكم ، وفراقي محمّدًا ، وإنه قد بلغني أمر ، رأيت حقاً عليّ أن
أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموه عني ، قالوا : نفعل ، قال :
إنّ معشر يهود ندموا على ما صنعوا ، وأرسلوا إلى محمّد : إنّنا
قد ندمنّا على ما فعلنا ، أيرضيك أن نأخذ لك من أشراف قريش
وغطفان رجالاً فتضرب أعناقهم ، ثمّ نكون معك على من بقي
منهم ، حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم ، قال نعيم :
فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا فلا تدفعوا إليهم
رجلاً واحداً .

ثمّ أتى غطفان فقال : إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحبُّ
الناس إليّ ، ولا أراكم تتهمونني ، قالوا : صدقت ، ما أنت
عندنا بمتهم ، قال : فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، فقال لهم
مثل ما قال لقريش ، وكانت ليلة السبت من شوال ، سنة
خمس ، وكان من صنع الله لرسوله : أنّ أبا سفيان ورؤوس
غطفان أرسلوا إلى بني قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين
فقالوا : إنّنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخفّ والحافر ، فأعدّوا
للقتال حتى نناجز محمّدًا ، ونفرغ ممّا بيننا وبينه .

عكرمة رسول قريش
وغطفان إلى بني قريظة
جواب بني قريظة لقريش

وَعِنْدَمَا إِلَى التَّشْتِ الزُّمَرُ أَجْمَعَ أَمْرُهُمْ دَعَا خَيْرُ الْبَشَرِ

فأرسلوا إليهم : إِنَّ اليوم يوم السبت ، لا نعمل فيه شيئاً ،
وكان قد أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخفَ عليكم ،
ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم .. حَتَّى تُعْطُونَا رُهْنًا مِنْ
رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حَتَّى نناجز محمّداً ، فإنّا
نخشى إن اشتدَّ عليكم القتال .. أن ترجعوا إلى بلادكم ،
وتتركونا والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا به .

فقال قريش وغطفان : والله إِنَّ الذي حدّثكم به نُعِيمٌ
لحق ، فأرسلوا إليهم : إِنَّا والله لا نقاتل معكم .. حتى تعطونا
رُهْنًا ، فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، ويُس كل منهم من
الآخر ، واختلف أمرهم ، وكان عليه الصَّلَاة والسَّلَام دعا على
الأحزاب فقال : « اللَّهُمَّ ؛ منزل الكتاب ، سريع الحساب ،
اهزم الأحزاب ، اللَّهُمَّ ؛ اهزمهم » وكان دعاؤه عليهم يوم
الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين
الظهر والعصر يوم الأربعاء فعرف السرور في وجهه الشريف :
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه

لمعت كلمع البارق المتهلل
فلَمَّا كان ليلة السبت .. بعث الله الريح على الأحزاب ،
حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رجله ، ولا يقر لهم قَدْرٌ
ولا بناء .

بعث حذيفة لاستكشاف أمر المشركين :

(وعندما) هي مصدرية ، وقوله : (إلى التشت) أي :

دعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم على
الأحزاب
استجابة دعائه صلى
الله عليه وسلم

مَنْ يَأْتِ بِالْخَبَرِ عَنْهُمْ يَكُنْ غَدًا رَفِيقَنَا وَمِنْهُمْ يَأْمَنُ
فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ غَيْرُ ابْنِ الْيَمَانِ مِنْ شِدَّةِ الدُّعْرِ وَمِنْ بَرْدِ الزَّمَانِ

التفرق ، يتعلق بأجمع ، وقوله : (الزُّمَر) جمع زمرة : الجماعة ، مبتدأ ، خبره جملة (أجمع) أي : اتفق (أمرهم) وفي نسخة (أزمع) أي : وعند إجماع الزمر من الأحزاب أمرهم إلى التفرق ، وخافت كل طائفة من الأخرى ، وأرسل الله عليهم الريح ، واشتدَّ البرد تلك الليلة (دَعَا) الله عزَّ وجلَّ (خير البشر) صلى الله عليه وسلم ما أصغت أذن لخبر ، وجلت عين لنظر ، قائلًا : « (من يأت بالخبر عنهم) أي : عن الأحزاب (يكن) جزاؤه (غَدًا) يوم القيامة (رفيقنا) في الجنة » (ومنهم) أي : من القوم (يأمن) من مكروه يصيبه .

(فلم يقم إليه) صلى الله عليه وسلم أحد من الصحابة (غير) حذيفة (ابن اليمَان) ففي رواية البيهقي : قال صلى الله عليه وسلم : « من يذهب فيعلم لنا علم القوم ، جعله الله رفيقي » فلم يقم أحد ، فقال أبو بكر : ابعث حذيفة ، وفي رواية ابن إسحاق : فدعاني ، فلم يكن بدَّ من القيام ، وإنما لم يقم أحد من الصحابة (مِنْ) أَجْل (شدة الدُّعْرِ) بضم المشددة أي : الخوف (ومن برد الزمان) أي : من شدته .

بعث حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه لمعرفة
ما فعل الأحزاب

قال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ؛ أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم

.....

تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال : فقال : والله لو أدركناه .. ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا .

قال : فقال حذيفة : والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ » يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة ، « أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلمَّا لم يَقم أحد .. دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « يا حذيفة ؟ اذهب فادخل في القوم ، فانظر ما يصنعون ، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا » .

قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح ، وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقر لهم قَدْرًا ، ولا نارًا ، ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ؛ لينظر امرؤ من جَلِيسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان) .

نداء أبي سفيان بالرحيل وانهزام المشركين :

ثمَّ قال أبو سفيان : يا معشر قريش ؛ إنَّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، ولقد هلك

.....

الكراع^(١) والخُفُّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا ؛ فإنِّي مُرتحل ، ثمَّ قام إلى جَمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثمَّ ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عِقاله إلَّا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليَّ : « أن لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني » لقتلته بسهم .

تبشير حذيفة بانهزام المشركين :

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مُرَجَّل ، قال ابن هشام : (المراحل : ضرب من وشي اليمن) فلمَّا رآني . . أدخلني إلى رجله ، وطرح علي طرف المرط ، ثمَّ ركع وسجد وإنِّي لَفِيهِ ، فلمَّا سلم . . أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

تنبيه :

هذه القصة التي ذهب لكشفها سيدنا حذيفة بن اليمان غير قصة سيدنا الزُّبير ؛ فإنَّها كانت لكشف خبر بني قريظة : هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ، ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين ؟ فروى البخاري وغيره عن جابر : أنَّه عليه الصَّلَاة

(١) بضم الكاف وتخفيف الراء : اسم لجمع الخيل .

وَقَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ لَنْ تَغْزَوْكُمْ قُرَيْشُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالْغَزْوُ لَكُمْ
وَشَغَلَ النَّبِيَّ زَحْفُ الْخَنْدَقِ عَنْ ظَهْرِهِ وَعَصْرِهِ لِلشَّفَقِ

والسَّلام قال يوم الأحزاب : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » يعني
بني قريظة ، فقال الزُّبير : أنا ، ثمَّ قال : « من يأتيني بخبر
القوم ؟ » فقال الزُّبير : أنا ، ثمَّ قال : « من يأتيني بخبر
القوم ؟ » فقال الزُّبير : أنا ، ثمَّ قال : « إنَّ لكل نبيٍّ حَوَارِيًّا
وإنَّ حواريَّ الزُّبير . »

(وقال خير الخلق) صلى الله عليه وسلم حين أجلى الله
الأحزاب : « (لن تغزوكم قريش بعد اليوم) - يوم الخندق -
(و) لكن (الغزو لكم) عليهم : تأتونهم في دورهم » ولفظه
كما ذكره البخاري في جامعه ، بسنده إلى سليمان بن صُرَد :
« قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الآن
نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير^(١) إليهم » .

انصرف النَّبِيُّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال اليَعمري وغيره : وانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة خمس .

تأخير الصلاة عن وقتها يوم الخندق :

(وَشَغَلَ النَّبِيَّ) صلى الله عليه وسلم ، وهو مفعول مقدم
على فاعله الذي هو (زحفُ) الزحف : الجيش يزحف ، وهو
مضاف إلى (الخندق) أي : شغل النبي صلى الله عليه وسلم

(١) قد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، فكان علماً من أعلام نبوته ، ففي السنة المقبلة
اعتمر فصدته قريش ، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها ، فكان فتح مكة لذلك .

وأصحابه جيشُ العدو الذي يريد أن يقتحم الخندق (عن)
 صلاة (ظهره وعصره لـ) مغيب (الشفق) كما رواه الإمام
 مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب : أنّه قال :
 ما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم
 الخندق . . حتى غابت الشمس .

الصلوات التي تأخر
 أدائها

وكما رواه الإمام أحمد ، والنسائي عن أبي سعيد : أنّهم
 شغلوه صلى الله عليه وسلم عن الظهر ، والعصر ، والمغرب ،
 وصلّوا بعد هويٍّ من الليل ، وقيل : شغله صلى الله عليه وسلم
 عن العصر فقط ، وهو مقتضى رواية الشيخين عن جابر وعليّ ،
 وقيل : شغله صلى الله عليه وسلم عن أربع صلوات ، حتى
 ذهب من الليل ما شاء ، وهو مقتضى رواية النسائي
 والترمذي .

وقال الترمذي^(١) : ليس بإسناده بأس ، إلّا أنّ أبا عبيدة لم
 يسمع من عبد الله .

قال في « المواهب » إثر تلك الروايات : (فمال ابن
 العربي إلى الترجيح ، فقال : الصحيح : أنّ النبي اشتغل عنها
 صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهي العصر ، وقال النووي :
 طريق الجمع : أنّ وقعة الخندق بقيت أياماً ، فكان هذا أي
 شغلهم عن العصر ، أو عنها وعن الظهر في بعض الأيام .
 وهذا ؛ أي : تأخير أربع صلوات في بعضها) .

الترجيح بين الروايات
 المتعددة

(١) حيث رواه في الباب عن عبد الله بن مسعود برواية أبي عبيدة عنه .

وعلم من كلام الناظم : أنَّ سبب تأخير الصلاة في ذلك اليوم هو شغلهم ، فلم يتمكنوا من فعلها ، قال في « شرح المواهب » : وهو أقرب لا سيَّما ولأحمد والنسائي عن أبي سعيد : أنَّ ذلك كان قبل أن يُنزل الله تعالى في صلاة الخوف ﴿فِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ وقيل : النسيان ، واستبعد وقوعه من الجميع ، أمَّا اليوم .. فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب القتال ، بل تصلَّى صلاة الخوف على حسب الحال .

تتميم :

حكم تأخير الصلاة
عن وقتها أثناء الحرب
في العصر الحاضر

عدد شهداء المسلمين
في هذه الغزوة

ذكر ابن إسحاق وغيره : (أنَّه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير ، سعد بن مُعاذ ، وأنس بن أوس ، وعبد الله بن سهل الأوسيون ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن عَنَمَة ، وكعب بن زيد ، الْخَزْرَجِيُّون .

قال العبد الضعيف كان الله له : سيدنا سعد بن معاذ استشهد بعد رجوعه من غزوة بني قريظة ، حيث انفجر الجرح الذي كان أصابه يوم الخندق برمية ابن العَرَقَة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، فالمراد : أنَّه استشهد بسبب تلك الرَّمِيَة يوم الخندق .

عدد من هلك من
المشركين

وهلك من المشركين : مُنَبِّه بن عُيَيْد ، ونوفل بن عبد الله المخزومي ، وعمر بن عبد وُدَّ العامري .

من هديه صلى الله
عليه وسلَّم إذا رجع
من غزوة أو غيرها

ومن هديه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح ، إذا رجع من غزوة أو حج أو عمرة .. أن يبدأ فيكبر ثلاث مرات ، ثمَّ

ثُمَّ قُرَيْظَةُ إِلَيْهَا جَبْرِئِيلُ وَلَمْ يَضَعْ سِلَاحَهُ أَسْتَدْعَى رَعِيلُ

يقول : « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيئون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

والله سبحانه وتعالى أعلم

(١٩) غزوة بني قريظة

بضم القاف ، وفتح الراء ، وسكون التحتية ، وبالطاء المعجمة . قال الزرقاني في « شرح المواهب » : (قال السمعاني : اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة بقرب المدينة ، فنسبت إليهم ، وقُرَيْظَةُ والنَّضِير أخوان من أولاد هارون .

وذكر عبد الملك بن يوسف : أَنَّ بني قريظة كانوا يزعمون أَنَّهُم من ذرية شُعَيْب نبيِّ الله - قال الحافظ : وهو محتمل - وَأَنَّ شعيباً كان من بني جُذَام ، القبيلة المشهورة ، وهو بعيد جداً) اهـ . قلت : وبني قريظة كانوا يسكنون العوالي من المدينة ، ففيها منازلهم .

مساكن بني قريظة

أمرُ الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على لسان جبريل عليه السَّلام بقتال بني قريظة :

(ثُمَّ قُرَيْظَةُ) أي : غزوتها بعد الخندق ، بل كانت عَقِبَهَا بلا مُهْلَةٍ ؛ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دخل المدينة في اليوم

الذي انصرف فيه من الخندق - وهو عند ابن سعد يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة^(١) - خرج لغزوهم باستدعاء جبريل لهم كما قال : (إلهيا) أي : استدعى إلى بني قريظة (جِبْرِيلُ) بالهمز بعدها ياء على إحدى لغاته ، فقوله : (إلهيا) يتعلق بـ (استدعى) الواقع خبراً عن قوله : (جبريل) ، والجملة الحالية معترضة وهي قوله : (ثُمَّ قَرِظَةُ) ، وقد وقع بينهما الجملة الحالية معترضة وهي قوله : (وَلَمْ يَضَعْ) أي : والحال أنه لم يضع جبريل عليه السلام (سِلَاحَهُ اسْتَدْعَى) أي : جِبْرِيلُ ، ومعموله (رَعِيلُ) وقف به على لغة ربعة ، والرعييل : الجماعة القليلة ، نحو العشرين أو الخمسة والعشرين من الخيل .

روى الإمام البخاري في (باب الجهاد) من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها : (أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ .. أَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ؟ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ، فَاخْرَجَ إِلَيْهِمْ . قَالَ : « فَاِلَى أَيْنَ ؟ » قَالَ : هُنَا ، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ) اهـ ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم .

سيره صلى الله عليه
وسلم إلى بني قريظة

وروى البخاري أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال : (لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعاً فِي زَقَاقِ بَنِي غَنَمٍ مُوَكَّبِ جَبْرِيلَ حِينَ سَارَ إِلَى بَنِي قَرِظَةَ) .

(١) وفي « الإمتاع » : (لسبع خلون من ذي الحجة) .

وَقَادَهُ وَزَلَزَلَ الْخُصُونَا وَقَذَفَ الرُّعْبَ وَلَا يَذْرُونَا
وَأَسْتَذَمَرَ النَّبِيُّ خَيْلَ اللَّهِ وَعَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَامَ النَّاهِي

(وقاده) أي : قاد جبريل الرعيل إلى بني قريظة (وزلزل)
حرّك (الخُصُونَا) لبني قريظة (وقَذَفَ الرُّعْبَ) والفرع في
قلوبهم (و) هم على حين غفلة (لَا يَذْرُونَا) ذلك .
(واستذمر) أي : استحثَّ وحضَّ (النبيُّ) صلى الله عليه
وسلم .

في « القاموس » و « شرحه » : (الذَّمَرُ بالفتح : الملامة
والحض [معاً] ، والتهدد والغضب والتشجيع ، وفي حديث
عليٍّ : « أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ » أي : حضَّهم
وشجَّعهم) .

ومعمول (استذمر) قوله : (خَيْلَ اللَّهِ) أي : أصحابها
قائلاً : « يا خَيْلَ اللَّهِ اركبي »^(١) لمن بعثه أن ينادي بها ، قال
الشاميُّ : (المنادي هو بلال) .

وخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس الدرع والمغفر
والبيضة ، وتقلد القوس ، وركب فرسه ، ثم سار إليهم في
المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ،
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(١) قال بعضهم : هو على المجاز والتوشع ، وقال في « شرح المواهب » عن شيخه :
(الأظهر : أنه نزل الخيل منزلة المقاتلين ، حتى كأنها هي التي يوجد منها الفعل ، فخطبها
بطلب الركوب منها ، والمراد أصحابها ، فلما عبر بالخيل . . راعى لفظها ، فأسند الفعل
إليها ؛ أي : فقال اركبي) اهـ ، وقيل غير ذلك .

إِلَّا بِهِمْ وَلَمْ يَعْبَ مَنْ آخَرَا إِلَى الْعِشَاءِ إِذْ يَرَاهُ أَثْمَرًا

أمره صلى الله عليه
وسلم صحابته
بالصلاة في بني قريظة

(وَعَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ) يتعلق بقوله : (قَامَ) ، والواو في الحقيقة داخلة على الفعل ، يعني : وقام (الناهي) عن صلاة العصر أن تصلى (إِلَّا بِهِمْ) أي : ببني قريظة ، ويشير بهذا إلى قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن ابن عمر : « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » .

(وَلَمْ يَعْبَ مَنْ آخَرَا) أي : لم ينسب من آخر العصر (إلى العِشَاءِ) إلى العيب ، ولم يعتفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم إنما آخروها لفهمهم النهي عن فعلها قبل بني قريظة وإن خرج الوقت ، كما هو ظاهر اللفظ ؛ (إِذْ يَرَاهُ) أي : يرى أَنَّ من آخرها عن وقتها قد (ائتمرا) أي : فعل ما أمر به ، قال ابن عمر في الحديث السابق : (فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلّي ، لم يُردّ منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يُعْتَفَ واحداً منهم) .

اجتهاد الصحابة
رضوان الله عليهم في
فهم أمره صلى الله
عليه وسلم

قال في « شرح المواهب » : (في رواية ابن إسحاق : فصلوا العصر بها - أي : ببني قريظة - بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله في كتابه ، ولا عنتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي وغيره : « في هذا الحديث من الفقه : أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية » ، ولا على من استنبط من النص معنى يخصه ؛ أي : ممّن كان له أهلية ، وفيه كل مجتهد في الفروع مصيب) اهـ

المستفاد فقهاً من
تبين اجتهاد الصحابة
لأمره صلى الله عليه
وسلم

وَحَيْرَ ابْنِ أَسَدٍ قُرَيْظَتَهُ بَيْنَ ثَلَاثٍ وَأَزْدَرَوْا رَوِيَّتَهُ

قلت : وهو المشار إليه في قول حسان زمانه رضي الله عنه^(١) :

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد
وصواب وكلهم أكفأ
نعم ؛ المصيب في القطعيات والمعتقدات واحد لا غير ،
وقد تكفل علم الأصول بتفصيل ذلك ، وذكر أدلة كل ،
فليراجع في كتبه .

تخيير كعب بن أسد لقومه بين خلال ثلاث ، ورفضهم لها :

وقد حاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة كما قاله ابن
إسحاق (و) لما اشتد عليهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم
الرُّعب . . (خَيْرَ) كَعْبُ (بن أسد) رئيسُ بني قُرَيْظَةَ
(قُرَيْظَتَهُ) بالنصب معمول لخَيْرَ ، مضاف لضمير كعب ؛ لأنَّه
رئيسهم ، وأشار إلى الْمُخَيَّرِ فيه بقوله : (بَيْنَ ثَلَاثٍ) من
الخلال .

حصار المسلمين لبني
قريظة

(وَاَزْدَرَوْا) أي : احتقر بنو قريظة (رَوِيَّتَهُ) بكسر الواو
وشد الياء المفتوحة ؛ أي : رأيته ؛ فإنَّه لما قال لهم :
(يا معشر يهود ؛ قد نزل بكم ما ترون ، وإنِّي أعرض عليكم
خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيَّها شئتم . . قالوا : وما هي ؟ قال :
نتابع هذا الرجل ونصدقهُ ، فوالله ؛ لقد تبين أنَّه نبيٌّ مرسل ،

الخلا الأولى

(١) المراد به : شرف الدين البوصيري رحمه الله في « همزيته » .

أَنْ يُؤْمِنُوا فَيَأْمُنُوا فَقَدْ دَرَوْا فِي كُتُبِهِمْ مَا عَنْهُ إِذْ جَاءَ أَبَوْا

وَأَنَّهُ لِلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، فَتَأْمِنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ . فَأَبَوْا ، قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ . . فَهَلَمْ فَلَنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالاً مُصْطَلِينَ^(١) السِّیُوفِ ، لَمْ نَتْرِكْ وَرَاءَنَا ثَقَلًا^(٢) ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنْ نَهَلَك . . نَهَلَك وَلَمْ نَتْرِكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَهَرَ . . فَلَعَمْرِي ؛ لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ .

فَقَالُوا : أَيُّ عَيْشٍ لَنَا بَعْدَ أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا؟! فَقَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُوا فِيهَا ، فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً . قَالُوا : نَفْسُ سَبْتِنَا ، وَنُحَدِّثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَسْخِ؟! قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا (ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وَأَشَارَ النَّازِمُ إِلَى الْخَلَّةِ الْأُولَى بِقَوْلِهِ : (أَنْ يُؤْمِنُوا) بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَيَأْمِنُوا) عَلَى دِمَائِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ ، وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ مِنَ الْأَسْرِ وَالسَّلْبِ (فَقَدْ دَرَوْا) وَعَلِمُوا (فِي كُتُبِهِمْ) كَالْتِرَاةِ (مَا) أَيُّ : الْأَمْرِ الَّذِي (عَنْهُ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (أَبَوْا) ، وَقَوْلُهُ : (إِذْ جَاءَ) ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ : (أَبَوْا) قُدِّمَ عَلَيْهِ ؛ أَيُّ : فَقَدْ عَلِمَ بَنُو قُرَيْظَةَ

(١) جمع مصلت - بكسر اللام وبالصاد المهملة الساكنة - أي : مجردين السيوف من أغمادها .

(٢) بفتح المثناة والقاف ، ويجوز كسر التاء .

أَوْ يَحْصُدُوا النِّسَاءَ وَالصَّبِيَانَا فَلَمْ يُخَلُّوا خَلْفَهُمْ إِنْسَانَا
أَوْ يَفْتِكُوا فِي السَّبْتِ إِذْ يَأْمُنُهُمْ جَيْشُ الْعَرْمَرَمِ وَلَا يَأْبُنُهُمْ

نعته صلى الله عليه وسلم الذي أبوا عنه لما جاءهم ، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ أنَّ اليهود كانت تستنصر الله على الكافرين من مشركي العرب ، وتقول إذا حَزَبَهُمْ أمر أو دَهَمَهُمْ عدوٌّ : اللَّهُمَّ ؛ انصرنا عليهم بالنَّبِيِّ المبعوث في آخر الزمان ، الذي نجدُ صفته في التوراة ، فكانوا يُنْصرون ، فقال تعالى في كتابه العزيز المبين : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقال البَغَوِيُّ في « تفسيره » : (كانوا يقولون لأعدائهم من المشركين : قد أظَلَّ زمان نبيٍّ يخرج بتصديق ما قلنا ، فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإِرَم) اهـ

فكان ما أخبر الله ، ونعاه عليهم ؛ من كفرهم حسداً ، ونزول اللعنة عليهم بذلك .

وأشار للخلة الثانية بقوله : (أَوْ يَحْصُدُوا) بضم عين الفعل وبكسرها ، من الحصد بمعنى القطع ؛ أي : أو يقتلوا (النِّسَاء والصبيانا) ثمَّ يخرجوا إلى محمَّد وأصحابه مشاة مقاتلين (فَلَمْ يُخَلُّوا) أي : يتركوا (خلفهم إنساناً) من أولئك يخشون عليه ، وتقدم جواب هذه الخلة كسابقتها ولاحتقتها .

وأشار إلى الثالثة بقوله : (أَوْ يَفْتِكُوا) بالضم والكسر للعين ، من الفتك ، وهو : القتل على غرة ؛ أي : أو ينتهزوا

وَصَاقَتْ الْأَرْضُ بِهِمْ لِرُغْبِهِمْ وَجَهِلُوا كَيْفَ النِّكَايَةِ بِهِمْ
وَأَسْتَبَيُّوا أَبَا لُبَابَةَ الْخَبَرِ فَرَقَ لِلْعَهْدِ الَّذِي بِهِمْ غَبَرُ

الفرصة (في) القتال يوم (السبت إذ يأمنهم) بفتح الميم ، من الأمن ، وهو : الاطمئنان وسكون القلب ، وفاعل (يأمن) قوله : (جيشُ العرمرم) أي : يسكن إليهم في يوم السبت الجيش الكثير من المسلمين ، ويعتقدون أنه لا يحدث فيه شيء ؛ لما علموا من تعظيمنا له (ولا يَأْبُنُهُمْ) يتهممهم بالخروج في السبت ، وهو بتقديم الباء المفتوحة على النون .

وذكرُ هذه الأبيات في هذا الوضع هو الموافق لما ذكره ابن إسحاق ، وفي بعض النسخ تقديم قوله : (أو يفتكوا . . .) البيت ، على قوله : (أو يحصدوا . . .) البيت .

رعب اليهود بعد
رفضهم للخلال
الثلاث

(و) لما خيّرهم كعب بين الخلال الثلاث ، ولم يأخذوا بواحدة منها . . (صَاقَتْ الْأَرْضُ بِهِمْ لِرُغْبِهِمْ) وفزعهم ، وقد أيقنوا بالهلاك (وجَهِلُوا كَيْفَ النِّكَايَةِ) من المسلمين (بهم) أي : بني قريظة ،

والنكاية - بكسر النون - : ما يُفعل بالعدو من قتل وجرح ونحوهما .

طلبهم أبا لبابة وقصته معهم ، وتوبته رضي الله عنه :

استشارة اليهود أبا
لبابة رضي الله عنه

(وَاسْتَبَيُّوا أَبَا لُبَابَةَ) مبشر بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف من الأوس^(١) رضي الله عنه ، وتقدمت

(١) وقيل : اسمه رفاعه ، وقيل : بشير .

أَنْ جَارَتْ فِي وَجْهِهِ الصَّبِيَّانُ وَأَسْتَعْطَفْتَ رَحْمَتَهُ النَّسْوَانُ
فَفَتَّنُوهُ وَأَنْتَحَى عَنْ بَلَدٍ عَصَى بِهِ وَشَاطَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ
فَقَامَ فِيهِ بُرْهَةً مُرْتَبِطًا مُعَذِّبًا لِنَفْسِهِ مُورِّطًا

ترجمته (الخبر) وكانت قريظة أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا ، فأرسله إليهم ، فلما رأوه . . قام إليه الرجال ، وأسرع إليه النساء والصبيان يكون في وجهه (فَرَقَّ) لهم ورحمهم (للعهد الذي بهم غَبَر) أي : مضى ، وكانوا حلفاء الأوس .

(أَنْ جَارَتْ) صاحت (في وجهه الصبيان) بكسر الصاد ، وتضم (واستعطفْتَ رحمته) طلبت العطف منه والرحمة (النَّسْوَان) ولما سألوهم وقالوا : يا أبا لبابة ؛ أترى أن ننزل على حكم محمد^(١) ؟ قال : نعم - وأشار بيده إلى حلقه : أَنَّهُ الذَّبْح - قال أبو لبابة : فوالله ؛ ما زالت قدماي من مكانهما . . حتى عرفت أَنِّي قد خُنْتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .
(فَفَتَّنُوهُ) أي : فبسبب ما ذكر أوقعوا أبا لبابة في الفتنة ، فندم واسترجع (وَأَنْتَحَى) أي : ذهب إلى ناحية بعيدة (عَنْ بَلَدٍ عَصَى بِهِ) ربه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشَاطَ) جرى (نحو المسجد) النبوي .

(فقام فيه بُرْهَةً) زمناً طويلاً (مُرْتَبِطًا)^(٢) إلى عمود من

(١) أي : كما قال صلى الله عليه وسلم لشناس بن قيس الذي بعثوه إليه بأن ينزلوا على ما نزل بنو النضير ، فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه .

(٢) وقيل : إن ارتباطه بهذا كان بسبب تخلفه عن غزوة تبوك . راجع « العيون » وكتب التفسير في (سورة التوبة) .

عُمْدَه ، وقال : لا أبرحُ مكاني هُذا حتى أموت ، أو يتوب الله عليَّ ممّا صنعت ، وأُعاهد الله ألا أظأ بني قُرَيْظَة أبداً ، ولا أرى في بلد خُنت الله ورسوله فيه أبداً .

وكان ارتباطه ست ليال على ما قاله ابنُ هشام ، تأتية امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فتربطه بالجدع (معذباً لنفسه مورطاً) أي : مُوقِعاً لها في الوزطة والهلَكة .

وقال ابن عبد البر : (روى ابن وهب عن مالك عن عبد الله ابن أبي بكر : أنَّ أبا لُبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره ، فكانت ابنته تحلّه إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجته ، فإذا فرغ . . أعادته) .

تحقيق اختلاف الرواية

قلت : ولا مانع أن تأتية امرأته مرة فتحله مدة ست ليال ، وابنته مرة أخرى كذلك في باقي البضعة عشرة ليلة .

الآية التي نزلت في
توبة أبي لُبابة

قال ابن هشام : (وأنزل الله في أبي لُبابة - فيما قال ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة - : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ * وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * .

ولمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره - وكان قد استبطأه - قال : « أمّا إنّه لو جاءني . . لاستغفرت له ، فأماً إذ فعل ما فعل . . فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » .

فَتَابَ مِنْ هَفْوَتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحَلَّهُ خَيْرُ الْأَنَامِ يَدِيهِ

قال أبو لبابة : فكننت في أمر عظيم ، في حرٍّ شديد عدَّة ليالٍ ، لا أكل فيهنَّ شيئاً ولا أشرب ، وقلت : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا ؛ أو يتوب الله عليّ .

(فتاب من هفوته) أي : زلته (الله) عزَّ وجلَّ (عليه) أي : على أبي لبابة ، ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو في بيت أم سلمة قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله ؛ ممَّ تضحك ! أضحك الله سنك ، قال : « تيب على أبي لبابة » قلت : أفلا أبشّره يا رسول الله ؟ قال : « بلى ، إن شئت » فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهنَّ الحجاب - فقالت : يا أبا لبابة ؛ أبشر ، فقد تاب الله عليك ، فثار الناس إليه ليطلقوه ، فقال : لا والله ؛ حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يُطلقني بيده ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح . . أطلقه كما قال : (وحلّه خيرُ الأنامِ يديهِ) .

قال الزُّرْقَانِي عن السُّهَيْلِي : (فإن قيل : إنّ الآية ليست نصّاً في توبة الله عليه أكثر من قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟

فالجواب : أن « عسى » منه سبحانه واجبة ، وخبرٌ صدق .

نزول الوحي بتوبة أبي لبابة وبشارة أم سلمة له رضي الله عنهما

مناقشة دلالة الآية على توبة أبي لبابة

وَحَكَّمَ التَّبِيَّ فِيهِمْ سَعْدَ الْأَوْسِ إِذْ غَاظَهُمْ إِطْلَاقُهُ عَنْ كُلِّ بُوْسٍ

فإن قيل : القرآن نزل بلسان العرب ، و« عسى » ليست في كلامهم بخبر ، ولا تقتضي وجوباً .

قلنا : « عسى » تعطي الترجي مع المقاربة ، ولذا قال : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ ومعناه الترجي مع الخبر بالقرب ، كأنه قال : قَرُبَ أَنْ يَبْعَثَكَ ، فالترجي مصروف إلى العبد ، والخبر عن القُرْب مصروف إلى الله ، وخبره حق ، ووعدته حتم ، فما تضمنه من الخبر فهو الواجب دون الترجي ، الذي هو محال على الله تعالى (اهـ باختصار .

المعاني المستفادة من
قصة أبي لبابة رضي
الله عنه

قال العبد الفقير كان الله له : وفي قصة سيدنا أبي لبابة هذه ما يرشد إلى قويِّ إيمانه ، وعظيم إخلاصه ، ممَّا لا يبالي أن يضحي بنفسه في سبيل الله تعالى ورضاء رسوله ، فيعذبها ذلك العذاب ، وينظر إليها بتلك النظرة . وتأمل قوله : (لا أبرحُ من مكاني هذا حتى أموتَ أو يتوب الله عَلَيَّ) تعلم أنَّ نفسه عليه رخيصة في جانب الله عزَّ وجلَّ ، وأنَّه من الذين أضافوا إلى جهاد الكافرين جهادَ أنفسهم . فرضيَ الله عن الصحابة وأرضاهم ، وبلغنا بهم لحوقهم ، آمين .

تحكيم سعد بن معاذ في قريظة :

(و) لما يئس بنو قريظة بعد اشتداد حصارهم . . أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ف (حَكَّمَ التَّبِيَّ فِيهِمْ سَعْدَ الْأَوْسِ) بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام للوزن ، وهو : أبو عمرو سعد بن معاذ سيد الأوس .

لَابِنِ أَبِي حُلَفَاءِ الْخَزَرَجِ وَكَانَ فِي التَّحْكِيمِ حَسْمُ الْهَرَجِ

وفي « صحيح البخاري » : فردَّ الحكم إلى سعد .

قال في « الفتح » : (كَأَنَّهُمْ أَدْعَنُوا النِّزُولَ عَلَى حَكْمِ الْمُصْطَفَى ، فَلَمَّا سَأَلَهُ الْأَنْصَارُ فِيهِمْ . . رَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدِ)
وهذا هو مراد الناظم بقوله : (إِذْ غَاظَهُمْ) أي : الأوس ،
وفاعل غاظ (إِيَّاهُ) أي : إِيَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وسلم ، يعني : وَإِنَّمَا رَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدِ ؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ الْأَوْسَ كَانُوا غَاظَهُمْ أَنْ يُطْلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَنْ كُلِّ بُوْسٍ) هو ضد النعيم (لابن أبي) عبد الله وهو يتعلق بالإطلاق العامل النصب في قوله : (حلفاء الخزرج) وهم بنو قَيْنُقَاعِ .

اختيار سعد بن معاذ
رضي الله عنه حَكَمًا

قال ابن إسحاق : (لَمَّا أَصْبَحَ بَنُو قَرِيطَةَ . . نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَوَثَّبَتِ الْأَوْسُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا مَوَالِينَا دُونَ الْخَزَرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ - وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ بَنِي قَرِيطَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعِ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزَرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حَكْمِهِ ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ - فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يُحَكَّمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ » قَالُوا : بَلَى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفَيْدَة - بالتصغير - الأسلمية في مسجده ، كانت تداوي الجرحى ، وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق : « اجعلوه في خيمة رُفيدة ؛ حتى أعوده من قريب ، فلَمَّا حَكَّمَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة . . أتاه قومه ، فحملوه على حمار قد وطَّؤوه له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثمَّ أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو ؛ أحسن في مواليك ؛ فَإِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاءك ذلك لتحسن فيهم .

فلَمَّا أَكْثَرُوا عليه . . قال : لَقَدْ آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومةٌ لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه .

فلَمَّا انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » فَأَمَّا المهاجرون من قريش . . فيقولون : إِنَّمَا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وَأَمَّا الأنصار . . فيقولون : قد عمَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين - أي : أنصاراً ومهاجرين - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ؛

موقف سعد بن معاذ
الحازم من بني قريظة

أمره صلى الله عليه
وسلم بالقيام لسعد بن
معاذ

وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارٍ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ
وَعِنْدَمَا انْتَهَى إِلَى النَّدِيِّ سَوَّدَهُ خَيْرُ بَنِي لُؤَيٍّ

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ ، فَقَالَ سَعْدُ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حُكِمْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : وَعَلَى مَنْ هُنَا ؟ - فِي النَاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مَعْرُضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالًا لَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ » قَالَ سَعْدُ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ الرِّجَالَ ، وَتُقَسِّمَ الْأَمْوَالَ ، وَتُسَبِّي الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ .

(وَكَانَ فِي التَّحْكِيمِ) أَي : تَحْكِيمُ سَعْدٍ فِيهِمْ (حَسْمٌ)
أَي : قَطْعُ (الْهَرْجِ) : الْخِصَامُ وَالْفِتْنَةُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَقِبَ مَا ذَكَرَ : (فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَاصٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَعْدٍ : « لَقَدْ حُكِمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ») جَمَعَ رَقِيعٌ ، وَهُوَ السَّمَاءُ ؛ لِأَنَّهَا رَقَعَتْ بِالْجُجُومِ .

وَقَدْ أَشَارَ النَّازِمُ إِلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنَ الْقِصَّةِ بِقَوْلِهِ : (وَحَمَلُوا سَعْدًا عَلَى حِمَارٍ) لِأَعْرَابِيِّ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ (مِنْ) الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بـ (الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُخْتَارِ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(وَعِنْدَمَا انْتَهَى) أَي : بَلَغَ (إِلَى النَّدِيِّ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ ،
بِوزْنِ النَّبِيِّ ، وَهُوَ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ (سَوَّدَهُ) أَي : جَعَلَ سَعْدًا

عَلَى الْجَمِيعِ أَوْ عَلَى الْأَنْصَارِ لَا غَيْرِهِمْ عِنْدَ بَنِي نِزَارٍ
وَرَاوَدْتُهُ قَوْمُهُ أَنْ يَحْكُمَا بِغَيْرِ مَا حَكَمَ فِيهِمْ فَأَحْتَمَى

سيداً (خيرُ بني لؤي) صلى الله عليه وسلم بقوله : « قوموا إلى سيدكم » قال في « شرح المواهب » : (وفي حديث عائشة عند أحمد : « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقال عمر : السيد هو الله . قال رجال من بني عبد الأشهل : قمنا له على أرجلنا صفين ، يحييه كل رجل منا ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ويتعلق بـ (سؤده) قوله : (على الجميع) من المهاجرين والأنصار ، (أو على الأنصار لا غيرهم) من المهاجرين . وهذا القول (عند بني نزار) أي : المهاجرين : لأنهم من ولد نزار بن معد بن عدنان .

قال في « رَوْضُ النِّهَاةِ » : (سمي نزاراً من النَّزْرِ ؛ أي : القليل ؛ لأنَّ أباه معدّاً حين وُلِدَ ونظر إليه . . رأى النور بين عينيه ، وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب الطاهرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرح فرحاً شديداً ، ونحر وأطعم ، وقال : إِنَّ هَذَا كله نزر في حق هذا المولود) . (وراودته قومه) الأوس (أن يحكما) بألف الإطلاق ؛ أي : أن يحكم سعد في بني قريظة (بغير ما حكم فيهم) أي : ما أراد أن يحكم فيهم من القتل والقسم والسبي (فاحتَمَى) وامتنع ، وتقدم قولهم له : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم .

لِدَمِهِمْ خَنْدَقٌ أَفْضَلُ لُؤَيٍّ وَمَعَهُمْ فِي كُلِّ كَرْبَةٍ حَيٍّ

مقتل بني قريظة وحيي بن أخطب :

ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفَ كَانَ قَتْلُ بَنِي قَرِظَةَ فَقَالَ : (لِدَمِهِمْ خَنْدَقٌ)
وَشَقَّ فِي الْأَرْضِ شَقًّا فِي سَوَاقِ الْمَدِينَةِ^(١) (أَفْضَلُ لُؤَيٍّ)
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسَ مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَأَخْرَجُوا إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا^(٢) ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ
عَلَيَّ وَالزُّبَيْرِ .

عدد من قتل من بني
قريظة

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (أَنَّهُمْ كَانُوا سِتِّ مِائَةٍ ، أَوْ سَبْعِ مِائَةٍ ،
وَالْمَكْثَرُ لَهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مَا بَيْنَ الثَّمَانِ مِائَةٍ وَالتَّسْعِ مِائَةٍ ، وَقَدْ
قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ؛ مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ بَنَانَا ؟ قَالَ أَفِي كُلِّ
مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ ؟ ! أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مِنْ ذُهِبٍ
بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ؟ ! هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى
فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

(وَمَعَهُمْ فِي كُلِّ كَرْبَةٍ) هِيَ : غَمٌّ يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ وَالْقَتْلِ ،
وَأَصْلُهُ : تَضْيِيقُ الْقَيْدِ عَلَى الْمَقِيدِ ، وَاجْتَمَعَتْ كُلُّهَا فِيهِمْ ، ثُمَّ
الْخُلُودُ فِي النَّارِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى - أَيِ : وَكَانَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ
ذَلِكَ (حَيٍّ) بَنَ أَخْطَبَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ رَسُولِهِ ، وَوَالِدَ أَمْنَا
صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

(١) هو معروف اليوم بسوق البرسيم بالمناخة .

(٢) أفواجاً ورفقاً منقطعاً بعضها عن بعض .

حديث صفية رضي
الله عنها عن حب أبيها
لها وإضماره عداوة
النبي صلى الله عليه
وسلم

قال في « روض النهاية » : (كانت صفية تحدث تقول :
كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، فلمّا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . . غدوا عليه ، ثمّ
جاؤوا من العشي ، فسمعت عمي يقول لأبي : أهو هو ؟
قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما
في نفسك ؟ قال : عداوته ما بقيت ، قالت : ورأيت ليلة في
نومي أنّ القمر سقط في حجري ، فقصصتها على أبي ،
فلطمني لكمة هذا أثرها في وجهي - وكان بها ندب في وجهها -
وقال : ترعمين أنّك تتزوجين ملك العرب ، وكانت تحت
كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، خلفه عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم) .

هيئة حيي بن أخطب
وهو مقود إلى القتل

قال ابن إسحاق : (وأتي بحَيٍّ بن أخطب عدوّ الله وعليه
حلة له ففأحياه - قال ابن هشام : ففأحياه : ضرب من الوشي -
قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة ؛ لئلا يسلبها ، مجموعة
يداه إلى عنقه بحبل ، فلمّا نظر إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم . . قال : أمّا والله ما لمت نفسي على عداوتك ، ولكنه
من يخذل الله يُخذل ، ثمّ أقبل على الناس فقال : أيّها الناس ؛
إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على
بني إسرائيل ، ثمّ جلس فضربت عنقه) .

حديث عائشة رضي
الله عنها عن اليهودية
عندها

قال ابن إسحاق : (وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن
عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أنّها
قالت : لم يُقتل من نسائهم إلّا امرأة واحدة ، قالت : والله إنّها

لَعْنَدِي تَحَدَّثُ مَعِي ، وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ رِجَالَهَا فِي السُّوقِ . . إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلَانَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ ، قَالَتْ قُلْتُ لَهَا : وَيْلَكَ ، مَا لَكَ ؟ ! قَالَتْ : أَقْتُلُ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : لِحَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ ، قَالَتْ : فَانْطَلِقِي بِهَا ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهَا ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ : فَوَاللَّهِ ؛ مَا أُنْسَى عَجَبًا مِنْهَا طِيبَ نَفْسِهَا ، وَكَثْرَةَ ضَحْكِهَا وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تَقْتُلُ (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهِيَ الَّتِي طَرَحَتْ الرَّحَى عَلَى خَلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ فَقَتَلَتْهُ) .

مَقْتَلُ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطِيَا الْقُرْظِيِّ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : (وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - فِيمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ - أَتَى الزُّبَيْرَ ابْنَ بَاطِيَا الْقُرْظِيِّ ^(١) ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ مَنَّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ذَكَرَ لِي بَعْضُ وَلَدِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ كَانَ مَنَّاً عَلَيْهِ يَوْمَ بُعَاثَ ، أَخَذَهُ فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَجَاءَهُ ثَابِتٌ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أُرَدْتُ أَنْ أَجْزِيكَ بِيَدِكَ عِنْدِي ، قَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ .

(١) بَفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْبَاءِ ، جَدُّ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورِ فِي « الْمَوْطَأِ » فِي (كِتَابِ النِّكَاحِ) .

وَاخْتَلَفَ فِي الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقِيلَ فِي الضَّبْطِ : كَأَسْمِ جَدِّهِ ، وَقِيلَ : بِالتَّصْغِيرِ . اهـ مِنْ « الرُّوْضِ الْأَنْفِ » بِتَصْرِيفِ .

موافقة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم ثابت بن
قيس على حقن دم
الزُّبَيْر وأهله وولده
وماله

ثمَّ أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا رسول الله : إنَّه قد كانت للزُّبَيْر عليّ منَّة ، وقد
أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « هو لك » فأتاه فقال : إنَّ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير
لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول
الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : « هم لك » قال : فأتاه
فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك
وولدك ، فَهَمْ لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما
بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه
وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ماله ، قال : « هو لك » فأتاه
ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ،
فهو لك ، قال : أي ثابت ؛ ما فعل الذي كأنَّ وجهه مرآة صينية
يتراءى فيها عَذَارَى الْحَيِّ كَعْبُ بنِ أَسَد ؟ قال : قُتِل ، قال :
فما فعل سيد الحاضر والبادي حُيَّي بن أخطب ؟ قال : قتل ،
قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فَرَزْنَا ،
عَزَّالُ^(١) بن سَمَوَّال ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل
المجْلِسَان^(٢) ؟ - يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن

سؤال الزبير ابن باطبا
عن مصير زعماء بني
قريظة

(١) بالعين المهملة وتشديد الزاي .

(٢) بكسر اللام محل الجلوس ويفتحها المصدر .

وَعِنْدَمَا أُنْتَهَى الْحِصَارُ اسْتَشْهَدَا وَاهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ حِينَ بَرَدَا

رفض الزُّبَيْرُ البقاءَ حياً
بعد زعماء بني قريظة
وقتلَه بسيف شفيعه

قريظة - قال : ذهبوا قُتِلُوا ، قال : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا ثَابِتُ بِيَدِي
عِنْدَكَ إِلَّا أَلْحَقْتَنِي بِالْقَوْمِ ، فوالله ؛ ما في العيش بعد هؤلاء من
خير ، فما أنا بصابر لله قَبْلَةَ^(١) دلو ناضح حتى أَلْقَى الْأَحْبَةَ ،
فقدمه ثابت فَضْرَبَ عنقه ، فلمَّا بلغ أبا بكر الصديق قوله :
أَلْقَى الْأَحْبَةَ .. قال : يلقاهم في نار جهنم خالداً مخلداً) .

استشهاد سعد واهتزاز عرش الرَّحْمَنِ لموته :

(وعندما انتهى الحصار) أي : عند انتهاء الحصار على
بني قريظة وإتمام أمرهم بما قرَّت به عين سعد بن معاذ ؛ من
إجابة الله تعالى له ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا أُصِيبَ فِي أَكْحَلِهِ مِنْ حَبَانِ بْنِ
الْعَرَّةِ بَغْزَوَةِ الْخَنْدَقِ : (اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ الْحَرْبَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُمْ .. فَاجْعَلْهَا شَهَادَةً ، وَلَا تَمَتِّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي فِي
بَنِي قَرِيظَةٍ) وَكَانَ جَرْحُهُ يَسِيلُ دَمًا ، فَلَمْ تَقْطُرْ مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى تَمَّ
أَمْرُ بَنِي قَرِيظَةٍ .. فَمَرَّتْ عَنَزٌ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، فَأَصَابَتْ الْجُرْحَ
بِظِلْفِهَا ، فَانْبَعَثَ الدَّمُ وَمَا رَقَا حَتَّى مَاتَ وَ(اسْتَشْهَدَا ، وَاهْتَزَّ)
لَهُ (عَرْشُ اللَّهِ حِينَ بَرَدَا) أَي : مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَتَى
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَمِّمًا بَعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، قَالَ :
يَا مُحَمَّدُ ؛ مِنْ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي فَتَحْتَ لَهُ أَبْوَابَ
السَّمَاءِ ، وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ ؟ فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيعًا

(١) بالقاف والباء الموحدة ؛ أي : مقدار ما يتناول المستسقي للدلو ، وفي رواية (فتلة) بالفاء
والتاء المثناة فوق .

وَوَخَّفَ نَعْشُهُ عَلَى عَظَمَتِهِ إِذِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ حَمَلَتِهِ

يجزُّ ثوبه إلى سعد فوجده قد مات . رضي الله عنه وأرضاه .

(و) لَمَّا حَمَلُوهُ عَلَى نَعْشِهِ - وهو السرير الذي يجعل عليه الميت - (خَفَّ نَعْشُهُ عَلَى عَظَمَتِهِ) أي : من عظمة سعد ؛ لَأَنَّهُ كَانَ مَعَ عَظَمَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ عَظِيمِ الْجِسْمِ (إِذِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ) جَمَلَةٍ (حَمَلَتِهِ) بَفَتْحَاتٍ ، جَمْعٌ حَامِلٍ ، وَأَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَأَنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ » .

شهود الملائكة تشيع
سعد بن معاذ رضي
الله عنه إلى مقره
الأخير

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ شَهِدُوا سَعْدًا ، مَا وَطَّئُوا الْأَرْضَ إِلَّا يَوْمَهُمْ هَذَا » .

وَبَعَثَ صَاحِبُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ بَبَغْلَةٍ وَجُبَةٍ مِنْ سَدَسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَعْجَبُونَ مِنْ حَسَنِ الْجُبَّةِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ » اهـ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « الْإِسْتِيعَابِ » : (وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ ثَابِتٌ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ ، رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ) .

قال رجل من الأنصار :

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ هَالِكٍ

سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لَمُوتَ أَبِي عَمْرٍو

خصائص سعد بن
معاذ كما يتحدث هو
عنها رضي الله عنه

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ : (قَالَ سَعْدٌ : ثَلَاثُ أَنَا فِيهِنَّ رَجُلٌ - يَعْنِي : كَمَا يَنْبَغِي ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ - : مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

.....
وسلم حديثاً قَطُّ إِلَّا علمت أنه حَقٌّ من الله ، ولا كنتُ في صلاة
قَطُّ فَشَغَلْتُ نفسي بغيرها حتى أقضيها ، ولا كنتُ في جنازةٍ قَطُّ
فحدثت نفسي بغيرها ، تقول ويقال لها ، حتى أنصرف عنها .

قال سعيد بن المسيَّب - يعني الراوي عن ابن عباس - :
(هذه الخصال ما كنت أحسبها إِلَّا في نبيّ) .

قال العلامة الحلبيّ في « سيرته » : (عن أبي سعيد
الخدريّ رضي الله عنه : كنت فيمن حَفَرَ لسعد رضي الله عنه
قبره ، فكان يفوح علينا المسك كلّما حفرنا قبره من ترابه ،
وجاء : « لو كان أحد ناجياً من ضَمَّة القبر . . لنجا منها سعد ،
ضُمَّ ضَمَّة ، ثم فَرَّج الله عنه » .

وخصَّ رسول الله والأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام من ضَمَّة
القبر .

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
يا رسول الله ؛ ما انتفعت بشيء مذ سمعتك تذكر ضغطة القبر
وضمته ، وصوت منكر ونكير ، فقال : « يا عائشة ؛ إنَّ
ضغطة القبر على المؤمن كضمِّ الشفينة يديها على رأس ابنها
يشكو إليها الصُّدَاع ، وصوت منكر ونكير عليه كالكُحل في
العين ، ولكن يا عائشة ؛ ويلٌ للشاكِّين الكافرين ، أولئك
الذين يُضغَطون في قبورهم ضغطاً يقبض على الصَّخر » (اهـ
وفي رواية : « ضغط البيض على الصخر » .

وترجمة سيدنا سعد بن معاذ طويلة جداً ؛ إذ إنَّ حياته

قبر سعد بن معاذ
رضي الله عنه يفوح
مسكاً

ضممة القبر بالنسبة
للمؤمن والكافر

ثُمَّ غَزَا لِحْيَانَ جَرَاءَ الرَّجِيعِ فَأَحْتَضُّوا بِكُلِّ بَاذِخٍ مَنِيْعٌ

- على قصرها - كلها حياة خالدة وجهاد صادق ، وقد تقدم شيء منها في غزوة بدر ، فرضي الله عنه وأرضاه ، وجمعنا به في مستقر رحمته ورضاه ، آمين .

من الفوائد المستنبطة
من قصة بني قريظة
وخبر سيدنا سعد
رضي الله عنه

وفي قصة بني قريظة وخبر سيدنا سعد من الفوائد :
جوازُ تمني الشهادة ، وهو مخصوص من عموم النهي عن
تمني الموت كما قاله في « الفتح » .

وفيها : تحكيم الأفضل من هو مفضل .

وفيها : جواز الاجتهاد في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم ، وهي مسألة خلافية عند أهل الأصول ، والمختار :
الجواز ، سواء كان بحضور النبي صلى الله عليه وسلم أم لا .

* * *

(٢٠) غزوة بني لحيان

بفتح اللام وكسرهما ، لغتان .

قال الحافظ اليعمری : (وكانت لِغُرة ربيع الأول سنة ست
من الهجرة ، عند ابن سعد) .

وذكر ابن إسحاق : (أنها في جمادى الأولى ، على رأس
سته أشهر من بني قُريظة) أي : في السنة الخامسة .

قلت : وعلى كل من القولين : فهي بعد بني قريظة ؛ فلذا
ذكرها الناظم عقبها كالأصل ، فقال : (ثم غزا)
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قُريظة بني (لحيان) نسبةً

إلى لحيان بن هذيل بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر (جَراء)
 أي : من أجل (الرجيع)^(١) هو في الأصل : ماء لهُذَيْل ، بين
 مكة وعُسفان ، كان فتكُ المشركين بأصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قريباً منه ، فُنُسِبَت الوقعة إليه ، فقليل :
 وقعة الرجيع ، وسمي البخاري في « جامع » هذا الموضع
 بالهدأة^(٢) .

هذا الشام : موقعه
 ووصفه حاضراً

قلت : ويسمى اليوم بهذا الشام ، ويعرف بهذا الاسم ،
 وله طريق من مَرِّ الظهران - وادي فاطمة - بينه وبينها نحو ساعة
 بالسيارة ، وبهذا الموضع مزارع كثيرة وهواء طلق ، ونخيل
 وعيون وآبار عذبة جداً ، جئته يوماً من الصباح إلى المساء ،
 فصليت في جامع ، وبه مدرسة ابتدائية ، ويقال : إنَّ عدد من
 يسكنها اليوم يقرب من الألف . اهـ

سبب هذه الغزوة :

ويشير الناظم إلى سبب غزوة بني لحيان ، وهو : تأثيره
 عليه الصَّلَاة والسَّلَام وغضبه على بني لحيان ؛ لِغدرهم
 بأصحابه المستشهدين بالرجيع ، المشار إليهم بقول العلامة
 غالي بن المختار فال بن أحمد تَلْمُود البُسَاتي رحمه الله تعالى

غزوة الرجيع

(١) كان بعث الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة ، كما في « العيون » فهو
 في السنة الرَّابِعة .

(٢) بفتح الهاء ، قال الحافظ : وسكون الدال بعدها همزة مفتوحة لأكثر الرواة ، وللكشميهني
 بفتح الدال وتسهيل الهمزة ، وعند ابن إسحاق : بالهدة بتشديد الدال بغير ألف .

.....

في « تبصرة المحتاج إلى بعوث صاحب المعراج »^(١) :

فَمَرْتَدًّا بَعْدُ إِلَى الرَّجِيعِ
فَفَتَكَّتْ لِحَيَانُ بِالْجَمِيعِ
وَأَخَذُوا ابْنَ طَارِقٍ وَزَيْدًا
وَابْنَ عَدِيٍّ بِالْأَمَانِ كَيْدًا
وَمَرْتَدًّا وَعَاصِمٌ وَخَالِدٌ
لَمْ يَقْبَلُوا عَهْدَهُمْ وَجَالِدُوا
وَعَاصِمٌ أَنْشَدَ إِذْ يُقَاتِلُ
مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدُ بَازِلُ
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ غُنَابِلُ
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ
الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهُ نَازِلُ
بِالْمَرءِ وَالْمَرءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَإِنِّي جَاهِلُ

بعث الرجيع :

وحاصل بعث الرجيع كما في « عيون الأثر » :

(١) هي منظومة جامعة لخلاصة بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه ، تجيء في نحو ثلاث مئة وثلاثين بيتاً ، جعلها ذيلاً لمنظومتنا هذه إذ يقول :

نظماً على صفو البعوث محتو مذيلاً به مغازي البدوي
وهي مخطوطة في مكتبة الشارح رحمه الله تعالى ، وقد طبعت بتحقيق فضيلة العلامة السيد الدكتور محمد بن علوي الحسني المكي المالكي .

أنَّه صلى الله عليه وسلم بعث جماعة من أصحابه عيوناً يتجسسون أخبار قريش ، وجعل عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أميراً ، فخرجوا - رضي الله عنهم - يسرون الليل ، ويكُمُّون النهار ، حتى إذا كانوا بالرجيع . . لقيهم سُفيان بن خالد الهذلي وقومه - وهم بنو لحيان - في مئة رام ، فلمَّا أحسُّوا بهم . . لجؤوا إلى جبل هناك ، فأحاطوا بهم وقالوا لهم : انزلوا ولكمُ العهدُ ألا نقتلَ منكمُ أحداً ، فقال عاصم رضي الله عنه : أمَّا أنا . . فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهمَّ أخبر عنَّا رسولك ، فرموهم بالنبل ، فقتلوا عاصماً .

امتناع عاصم رضي الله عنه عن النزول على عهد كافر

ونزل إليهم على العهد : خُبَيْب وزيد بن الدُّثَنَةِ وعبد الله بن طارق ، فأطلقوا أوتار قسيِّهم ، فربطوا بها خُبَيْباً وزيداً ، وامتنع عبد الله ، وقال : هُذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ؛ إنَّ لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فقتلوه .
أمَّا خُبَيْب وزيد : فدخلوا بهما مكَّة وباعوهما بأسيرين من هُذيل كانا بمكة ، فحبسوهما ، حتى إذا انقضت الأشهُرُ الحُرُم . . خرجوا بهما إلى الحِلِّ للقتل .

غدر بني لحيان بمن أعطوهم الأمان

استشهاد خبيب بن عدي :

فأمَّا خبيب رضي الله عنه : فإنَّه لما وصلوا به إلى التنعيم المشهور اليوم بمسجد عائشة ليصلبوه . . قال لهم : دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين - كما في الصحيح - ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أنَّ ما بي جزع من الموت . .

.....

لزدت ، ودعا وقال لما رفعوه على الخشبة وأوثقوه : اللَّهُمَّ ؛
أَحْصِهِمْ عِدْداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تبق منهم أحداً . ثم قتلوه
رضي الله عنه .

قال العلامة الزرقاني في « شرح المواهب » : (وفي
مرسل بريدة بن سفيان : فلمّا رفع خبيب على الخشبة ..
استقبل الدعاء ، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي غير رجل لبد
بالأرض خوفاً من دعائه . وروي أنّه قال حين بلغه أنّ القوم
اجتمعوا لصلبه :

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمَع
وكلُّهم مبدي العداوة جاهدُ
عليّ لأنّي في وثاقٍ بِمَضِيعِ
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذعٍ طويل ممّنَعِ
إلى الله أشكو غُرْبتي ثمّ كُرْبتي
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يُراد بي
فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرّوني الكفرَ والموتُ دونه
وقد همّلت عيناى من غير مجزَع

وما بي حذار الموت إنِّي لَمَيِّتٌ
~~ولكن حذاري جَحْمُ نار مُلْفَع~~
 ووالله ما أخشى إذا مِتُّ مسلماً
 على أيِّ جنب كان في الله مصرعي
 ولست بمبِدٍ للعدوِّ تخشعاً
 ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجعي
 ثمَّ قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله .

وعن عروة : أنَّه لما وضع فيه السلاح . . نادوه وناشدوه :
 أتحب أنَّ محمّداً مكانك ؟ قال : لا والله ؛ ما أحب أن يفديني
 بشوكة في قدمه ، ويقال : إنَّ ذلك لزيد بن الدثنة ، وأنَّ
 أبا سفيان قال له ذلك ، فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس
 أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمّد محمّداً .

أقول : ولا منافاة فمن الممكن أن يقع ذلك لكل من
 الصحابين وغايتهم واحدة وهو الله ورسوله صلى الله عليه
 وسلم .

وروى الإمام أحمد عن عمرو بن أميَّة الضمري قال :
 (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدي عيناً إلى قريش ،
 فجئت خشبة خبيب بن عدي لأنزله منها ، فصعدت على خشبته
 ليلاً ، فقطعت عنه وألقيته ، فسمعت وجبة خلفي ، فالتفت فلم
 أرَ خبيباً ، وكأَنَّما ابتلعته الأرض ، فلم أرَ له أثراً حتى
 الساعة) .

بعث النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن
 أُمَيَّةَ الضَّمْرِي عَيْنًا
 عَلَى قَرِيشٍ
 وَصَفَ خَبِيبَ بْنَ
 عَدِيٍّ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
 مِنْ قَتْلِهِ

.....

وفي رواية : (أنه وجد رطباً على الخشبة لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك) .

استشهاد زيد بن الدثنة :

وأما زيد بن الدثنة رضي الله عنه : فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه ، وعند ابن سعد : أن الذي قتله نسطاس مولى صفوان .

قال في « شرح المواهب » : (ولمّا بعث به صفوان مع مولاه نسطاس إلى التنعيم ليقتله ، واجتمع هو وخبيب في الطريق .. تواصلوا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره) .

أحكام وعبر في قصة بعث الرجيع :

وفي حديث هؤلاء الصحب الكرام من الفوائد :
أنّ للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ، ولا يمكن من نفسه ولو قتل ، وإن أراد الرخصة .. فله أن يستأمن .

ومنها : إثبات كرامات الأولياء ، والدعاء على المشركين ، والصلاة عند القتل ، وإنشاء الشعر وإنشاده عند القتل .

ومنها : ما يدل على قوة يقين خبيب وأصحابه في دين الله تعالى .

ومنها : ما يدل على عظيم محبتهم لهذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم ، وتقديتهم له بالروح ، وقوة إخلاصهم
وثباتهم .

ومنها : أنه تعالى قد يتلى عبده المسلم بما شاء كما سبق
في علمه ؛ ليثبته ، ولو شاء رؤئك ما فعلوه .

ومنها : استجابة دعاء المسلم ، وإكرامه حياً وميتاً .

ومن الفوائد غير ذلك ممّا يظهر للمتأمل ؛ من الحب لله
ولرسوله ، ولأصحابه الكرام الذين تنزل الرحمات عند
ذكرهم ، وفي قصصهم عظة وعبرة ، وازدياد لمحبتنا لهم ؛ إذ
نالوا مقام المحبوبة لله ولرسوله .

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حبهم ، والاجتماع بهم في
مستقر رحمته تبارك وتعالى ، مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

هذا ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج إلى
بني لحيان لذلك . . أظهر أنه يريد الشام ؛ ليصيب من القوم
غزوة ، وعسكر في مئتي رجل ، ومعهم عشرون فرساً ،
واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع السير
حتى انتهى إلى بطن غران - واد بين أمج وعُسفان - وبين بطن
غران وعُسفان خمسة أميال ، قال ابن إسحاق : (وهي منازل
بني لحيان حيث كان مُصاب أصحابه) فترحم ودعا لهم
بالمغفرة ، فسمعت بنو لحيان ، فهربوا في رؤوس الجبال ،

تورية النبي صلى الله
عليه وسلم بالخروج
إلى الشام

موقع غران

بَعَثُ الرَّجِيعُ سِتَّةً أَوْ عَشْرَةَ لِخِيَانِ حَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ غُدْرَهُ

فلم يقدر منهم على أحد ، وهذا معنى قول الناظم :
(فاحتضنوا) أي : اعتنقوا (بكل باذخ) جبل عال (منيع)
لا يرام .

فأقام عليه الصلاة والسلام يوماً أو يومين يبعث السرايا في
كل ناحية ، ثم خرج حتى أتى عسفان ، فبعث أبا بكر في عشرة
فوارس ؛ لتسمع بهم قريش فيُنْزِعَهم ، فأتوا كُرَاعَ الغَمِيمِ^(١)
ولم يلقُوا كَيْدًا ، وانصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم
يَلْقُ كَيْدًا ، وهو يقول : « آثبون تائبون عابدون ، لربنا
حامدون » وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة .

عدة بعث الرجيع :

ثم أشار الناظم إلى الخلاف في عدد بعث الرجيع بقوله :
(بعثُ الرجيع) أي : عِداده من الصحابة (ستة) على قول ،
وسماهم ابن إسحاق فقال : (وهم : عاصم ، ومرثد ،
وخُيَيب ، وزيد بن الدَّثَنَةِ ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن
البُكَير) (أو عشرة) على ما جزم به ابن سعد ، وهو الأصح
الذي ذكره الإمام البخاري في « صحيحه » . ف (أو) في النظم
لتنوع الخلاف ، ويمكن الجمع بأنَّ الأربعة الآخرين كانوا
أتباعاً ، فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم .

(١) بضم الكاف وتخفيف الراء وعين مهملة مضاف إلى الغميم - بفتح الغين المعجمة وكسر الميم : واد أمام عسفان ، والكراع : ما سال من أنف الجبل أو الحرة ، وطرف كل شيء .

وَالْعَضْلُ وَالْقَارَةُ نَجَلَا الْهُونَ نَجَلِ خُزَيْمَةَ سَعَوْا فِي الْهُونِ
وَأَرْبَعُوا بِئْرَ مَعُونَةَ الْغُرَزِ ابْنُ الطُّفَيْلِ عَامِرٌ فِيهِمْ خَفَرٌ

فتك عضل والقارة بالبعث :

ثمَّ كشف الحقيقة عن بني لحيان وسوء طويَّتهم بقوله :
(لِحْيَانُ حَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ) بن مدركة (غُدْرَة) أي : موصوفون
بالغدر والخيانة .

(و) أمَّا (الْعَضْلُ) بفتح العين والضاد في الأصل وسكنت
الضاد هنا للوزن (وَالْقَارَةُ) بتخفيف الراء .. فهما (نَجَلَا)
أي : ابنا (الْهُونِ) بضم الهاء وسكون الواو (نَجَلِ خُزَيْمَةَ) بن
مُذْرَكَةَ بن إلیاس بن مُضَرَّ (سَعَوْا فِي الْهُونِ) بضم الهاء ؛
أي : الخزي العظيم ؛ لفتكهم بعاصم وأصحابه .

وكأنَّ مراد الناظم : بيان أنَّ قصة عَضْل والقارة كانت مع
بعث الرجيع ، لا في سَرِيَّة بئر مَعُونَة ، وقد فرق بينهما إمام
الفن ابن إسحاق في « سيرته » فذكر بعث الرجيع في أواخر سنة
ثلاث ، وبئر مَعُونَة في أوائل سنة أربع ، بل سيأتي للناظم أنَّهما
بعثان .

نعم ؛ رَوَوْا عن الواقدي : أنَّ خبر بئر مَعُونَة وخبر
أصحاب الرجيع جاءا إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة
واحدة ، فلعلَّ من أدرجها معها نظر للقُرْب .

توفيق بين الروايات

بعث بئر معونة :

(وَأَرْبَعُوا) مبتدأ ، وهو ملحق بالجمع المذكّر ، وحُذِفَتْ

أَبَا بَرَاءٍ وَكِلَا الْبُعْثَيْنِ قَدْ أُرْسِلَا لِيُرْشِدَا لِلدِّينِ

نونه ؛ للإضافة إلى (بثر معونة) بفتح الميم وضم المهملة :
 موضع ببلاد هذيل بين مكة وعُسفان ، نسب إليه البعث ، وكان
 في صفر على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد^(١) عند ابن إسحاق
 (العُرْز) جمع غُرَّة في الأصل : بياض في جبهة الفرس ، وهو
 نعت قوله : (أربعو) أي : الموصوفون بالشرف (إين
 الطُّفَيْل) مبتدأ ثان ، وقوله : (عامرٌ فيهم) عطف بيان ،
 وجملة : (خَفَر) خبر للثاني ، وهو والخبر خبر للأول ،
 ومفعول خفر قوله : (أبا بَرَاءٍ) أي : نقض عهد عمّه
 أبي بَرَاء .

عدد أفراد بعث بثر
 معونة

جوار أبي براء للبعث ، ونقض ابن أخيه له :

وذلك أَنَّ أبا براء - واسمه عامر بن مالك العامري ،
 المعروف بمُلاعب الأُسنة - قدم على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ، ولم يَنْعُد ، بل
 قال : يا مُحَمَّد ؛ إِنِّي أرى أَمْرَكَ هَذَا حسناً شريفاً وقومياً
 خلفي ، فلو أَنَّكَ بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد
 فدَعَوْهم إلى أَمْرِكَ . . لرجوتُ أن يستجيبوا لك ،
 فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي أَخشى أهل نجد عليهم »
 وهم : بنو عامر ، وبنو سليم ، قال أبو براء : أنا لهم جار
 فابْعَثْهُمْ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن

(١) وقد كانت أُحُد في شوال سنة ثلاث .

عمرو أخا بني ساعدة المُعَنَقَ للموت في أربعين رجلاً من القراء - أو سبعين كما في « الصحيحين » - من خيار المسلمين ، فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة . . بعثوا حَرَامَ بْنِ مِلْحَانَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوِّ الله عامر بن الطفيل العامريِّ ابن أخي أبي بَرَاء ، فلمَّا أتاه . . لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله .

قتل عامر بن الطفيل
رسول رسول الله صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

استشهاد البعث :

ثمَّ استصرخ عليهم بني عامر ، فأَبَوْا أَنْ يجيبوه ، وقالوا : لن نُخَفِّرَ أَبَا بَرَاءٍ وقد عقد لهم عقدًا وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم : عُصَيَّةُ ، وَرِعْلَا ، وَذَكْوَان ، فأجابوه إلى ذلك ؛ طلباً لثأر طُعْمَةَ بْنِ عَدِي - وكانوا أخواله - فخرجت هذه القبائل حتى غَشُّوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلمَّا رأوهم . . أخذوا سيوفهم ، فقاتلوهم حتى قُتِلُوا إلى آخرهم ، إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النُّجَارِ . . فَإِنَّهُمْ تركوه وبه رَمَقٌ ، فَأَرْتَثَ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى - حمل من المعركة جريحاً رثيلاً ؛ أَي : وبه بقية حياة - فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق شهيداً رضي الله عنه .

خفر عامر بن الطفيل
عهد عمه أبي براء

الغدر بأفراد البعث
وقتلهم عدا كعب بن
زيد رضي الله عنه

حزن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الشهداء ، ودعاؤه على القتلة :

فلمَّا بلغ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرهم . . قال : « هذا عمل أبي بَرَاء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً » ، فبلغ ذلك أَبَا بَرَاء ، فمات أسفاً على ما صنع ابن أخيه عامر .

وفي الصحيح : (أَنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بلغه ذلك . . قَنَّتْ شهراً يدعو في صلاة الصبح على أحياء من أحياء العرب : على رِغْل ، وذكوان ، وعَصِيَّة ، وبني لحيان) اهـ

وذكر الإمام القسطلاني عن العيني عن كتاب « شرف المصطفى » : (لما أُصيب أهل بئر معونة . . جاءت الحمى إليه فقال لها : « اذهبي إلى رِغْل وذكوان وعُصِيَّة عصت الله ورسوله » فأتتهم ، فقتلت منهم سبع مئة رجل ، بكل رجل من المسلمين عشرة) اهـ

دفين الملائكة :

ومَمَّن قتل من المسلمين يومئذٍ : عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، فلم يوجد جسده رضي الله تعالى عنه ، دفنته الملائكة .

مهمة البعثين :

وقوله : (وكلا البعثين) أي : بعث الرجيع ، وبعث بئر معونة (قد أُرْسِلَا) من طرف النبي صلى الله عليه وسلم (لِيُرْشِدَا لِلدِّينِ) ولم يرسلَا لقتال^(١) ، فمن ثمَّ قال أنس - كما

(١) في الصحيح عن أبي هريرة : (أن بعث الرجيع كان عيناً يتحسون للرسول صلى الله عليه وسلم) وفي رواية عن عروة : (بعثهم عيوناً إلى مكة ؛ ليأتوه بخبر قريش) وهو ما تقدم في الشرح ، وفي حديث عاصم بن عمر ما يفيد أنَّ البعث للتحفة في الدين وتعليمهم الشرائع ، وهو ما اعتمده الناظم . ويجمع بأنَّه لمَّا أراد صلى الله عليه وسلم بعثهم عيوناً . . وافق معجىء النفر معه - عضل والقارة - بناءً على طلب بني لحيان يطلبون بعثاً معهم للتحفة ، فبعثهم في الأمرين جميعاً ، فتأمل . اهـ من « شرح المواهب » .

رواه ابن سعد بسند صحيح - : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَدَ على أحد ما وَجَدَ على أهل بئر معونة) لا سيّما وقد جرت عادة العرب قديماً بأنّ الرسل لا تُقتل .

وتعرف هذه السّرية بسرية المنذر بن عمرو الساعدي ، وببئر معونة ، وبسرية القرّاء .

الفرق بين البعث والسرية :

تنبيه :

قال العلامة ابن المختار في « تبصرة المحتاج » : (قد بحثت أشد البحث عن الفرق بين البعث والسّرية ، فلم أحصل في الفرق بينهما على طائل ؛ لأنّ كلّاً منهما معناه : هو الذي لم يخرج فيه النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام بنفسه الشريفة ، فهما مترادفان ، اللهمّ إلّا أن يُقال : إنّ البعث ما أرسل للدعوة للدين ، كأهل الرجيع ، وأهل بئر معونة ، والسرية : ما أرسل للقتال ، فتسميتها إذاً بالبعث من تسمية الكل باسم الجزء ، والغزوة : ما خرج فيها عليه الصّلاة والسّلام بذاته الشريفة ، إلّا مؤتة . . فإنّهم يعدونها في المغازي ؛ إمّا لعظمتها ، أو لارتفاع معركتها له عليه الصّلاة والسّلام حتى شاهدها ، فكأنّه حضرها بنفسه الشريفة) .

تعريف البعث

تعريف السرية

تعريف الغزوة

قال في « روض النّهاة » : (كان الناظم رحمه الله تعالى سئل نظم بعث الرجيع ، فلمّا نظمه . . نظم بعث بئر معونة ، ثمّ نظم الغزوات) اهـ

فَغَزْوَةُ الْغَابَةِ وَهِيَ ذُو قَرْدٍ خَرَجَ فِي إِنْثِرِ لِقَاحِهِ وَجَدَ

قلت : يؤخذ من شرح الحافظ ابن حجر للسرية التي قبل نجد ، أنَّ السرية : القطعة من الجيش ، تخرج منه وتعود إليه ، وما افترق في السرية يسمى بعثاً ، وهذا فيما لم يخرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم لك .

* * *

(٢١) غزوة الغابة

(غزوة ذي قرد)

موقعها بغين معجمة : موضع على بريد من المدينة في طريق الشام ، وبها ضيعة لسيدنا الزبير رضي الله عنه ، قال في « شرح المواهب » : (بيعت في تركة الزبير بألف ألف وست مئة ألف ، أضيفت إليها الغزوة ؛ لأنَّ اللقاح التي سيأتي أنَّ المشركين أغاروا عليها كانت بها) .

(ف) بعد غزوة لحيان (غزوة الغابة ، وهي) أي : اسمها أيضاً (ذو قرد) بفتح القاف والراء ، وبالذال المهملة ، وهو ماء على نحو بريد من المدينة ممَّا يلي بلاد غطفان ، وسميت بذلك ؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم وصل إليها وصلَّى بها .

تاريخها وكانت قبل خيبر بثلاثة أيام ، كما هو عند الإمام البخاري ، وخیبر بعد الحديبية بنحو عشرين يوماً ، وفي « صحيح مسلم » نحوه ، قال الحافظ ابن حجر : (ما في

وَنَاشَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَهُوَ يَقُولُ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أصحاب السير ، يعني : من أنها سنة ست في ربيع الأول ، أو في جمادى الأولى ، أو في شعبان قبل الحديبية (١) .

سبب هذه الغزوة :

ثم أشار للغزوة مع بيان سببها فقال : (خَرَجَ) صلى الله عليه وسلم (في إثر) بكسر الهمزة ؛ أي : أثر - بفتحها - كما في « المختار » (لِقَاحِهِ) بوزن كتاب ، جمع لِقْحَةٍ : القرية العهد بالنتاج والولادة .

وكانت عشرين لِقْحَةٍ ترعى بالغابة ، وكان أبو ذَرٍّ فيها ، وابنه وامراته ، فأغار عليها عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ في أربعين فارساً من غطفان ، فاستاقوها ، وقتلوا ذَرّاً ابْنَ أَبِي ذَرٍّ ، وكان راعي اللقاح ، وأسروا المرأة .

فخرج عليه الصَّلَاة والسَّلَام لذلك (وَجَدَ) معطوف على قوله : (خرج) أي : أسرع في السير في خمس مئة ، واستخلف على المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتوم ، وخلف سعد بن عُبَادَةَ في ثلاث مئة يحرسون المدينة .

عدد أفراد الغزوة

بسالة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في استنقاذ اللقاح :

(وَنَاشَهُمْ) أي : تناول المُغِيرِينَ (سَلَمَةُ) بن وهب (بن الأكوع) وقيل : سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع :

(١) وكانت هلال ذي القعدة سنة ست .

سِنَان بن عبد الله بن قُشَيْر بن خزيمة الأسلمي ، يكنى أبا إياس ، بايع تحت الشجرة ، قيل : إنه الذي كلّمه الذئب ، كان شجاعاً ، فاضلاً ، رامياً يسبق الفرس ، روى عنه ابنه إياس ، ومولاه يزيد بن أبي عُبَيْد ، وقال إياس : ما كذب أبي قطّ ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، استلب يومئذٍ وحده قبل أن تلحق به الخيل من العدو ثلاثين بُرْدَةً ، وثلاثين درقة ، وقتل منهم بالنبل كثيراً ، فكلّموا هربوا . . أدركهم ، وكلّموا راموه . . فاتهم (وهو يقول : اليومُ يومُ الرَضْع) جمع راضع ؛ أي : اللثيم ، أي : اليوم يوم حَيْنِ اللثام - بفتح حاء حَيْن - أي : يوم هلاكهم ، والراضع : هو الذي رضع اللؤم من ثدي أمه ، فصار سجيته التي لا تفارقه ، أو الذي يرضع ما بين أسنانه حرصاً على الشبع ؛ ليستكثر من التجشع ، يعني : أن سلمة كان إذا رماهم . . يقول :

خذها وأنا ابن الأكوع

واليوم يوم الرَضْع

روى البخاري ومسلم عن سلمة : (خرجت قبل أن يؤذَنَ بالأولى^(١) ، وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذِي قَرَد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرَّحْمَنِ بن عوف ، فقال : أَخَذْتُ لِقَاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : من أخذها ؟ فقال : غطفان وفزارة . قال : فَصَرَحْتُ ثلاث

(١) يعني : صلاة الصبح ، وفي « مسلم » : (أنه تبعهم من الغلس إلى غروب الشمس) اهـ

صَرَخَات : يا صباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابَتَي المدينة ،
ثم اندفعت على وجهي - أي : لم ألتفت يمينا ولا شمالاً -
وكان شديد العدو - حتى أدركتهم وقد أخذوا يَسْتَقُونَ من
الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول :

أَنَا ابْنُ الْأَكُوْعِ

وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فأرتجز ، حتى استنقذت اللّقاح منهم ، واستلبت منهم
ثلاثين بُرْدَةً .

قال : وجاء النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس ، فقلتُ :
يا نبيَّ الله ؛ إِنِّي قد حميت القومَ الماء وهم عِطَاش ، فابعث
إليهم الساعة ، فقال : « يا ابن الأكوع ؛ ملكْتَ فَأَسْجِحْ »^(١)
قال : ثُمَّ رجعنا ويردّفني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على
ناقته ، حتى دخلنا المدينة (اهـ)

وقال في « شرح المواهب » عن مسلم وابن سعد : (قال
- يعني سلمة - :) فأقبلت أرميهم بنبلي وأرتجز ، فألحقُ رجلاً
منهم ، فأمكنه سهماً في رجله ، فيخلص السهم إلى كعبه ، فما
زلت أرميهم وأعقرهم ، فإذا رجع إليّ فارس منهم . . أتيت
شجرة فجلست في أصلها ثُمَّ رميته ، فعقرت به ، فإذا تضايق
الجبل فدخلوا في مضايقه . . علّوت الجبل فرميتهم بالحجارة ،

ملاحقة سلمة بن
الأكوع رضي الله عنه
غطفان وفزارة

(١) أسجح - بهمزة قطع فسين ساكنة ثم جيم وبعدها حاء - بمعنى : سهل ، والسجاجة :
السهولة ، والمعنى : قدرت فاعف .

وَفَرَضَ الْهَادِي لَهُ سَهْمَيْنِ لِسَبْقِهِ الْخَيْلَ عَلَى الرَّجُلَيْنِ
وَأَسْتَنْقَدُوا مِنْ ابْنِ حِصْنٍ عَشْرًا وَقَسَمَ النَّبِيُّ فِيهِمْ جُزْرًا

فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من غير . . . إِلَّا خَلَفْتَهُ وِراءَ ظَهْرِي ، ثُمَّ أَتَبَعُهُمْ أَرْمِيَهُمْ ، حتى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُمْحًا ؛ يَتَخَفَفُونَ مِنْهَا . فَأَتَوْا مُضِيْقًا ، فَأَتَاهُمْ عُيَيْنَةُ مُمِدًّا لَهُمْ ، فَجَلَسُوا يَتَغَدَّوْنَ ، وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ ، فَقَالَ : مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا : لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحِ - الشَّدَّةِ وَالْأَذَى - مَا فَارَقْنَا السَّحَرَ حَتَّى الْآنَ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا ، وَجَعَلَهُ وِراءَ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ : لَوْلَا أَنَّهُ يَرَى وِراءَهُ طَلِبًا . . . لَتَرَكْتُمْ ، لِيَقُمَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَتَعْرِفُونَنِي ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ ! قُلْتُ : ابْنُ الْأَكْوَعِ ، وَالَّذِي أَكْرَمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ؛ لَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيَدْرِكُنِي ، وَلَا أَطْلُبُهُ فَيَفُوتُنِي ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَظُنْ ، فَارْجِعُوا ، فَمَا بَرَحْتَ مَكَانِي ، حَتَّى رَأَيْتَ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ

إعطاء سلمة رضي الله
عنه سهمين

(وَفَرَضَ الْهَادِي) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَهُ) أَيِ :
لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ (سَهْمَيْنِ) سَهْمَ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ (لِسَبْقِهِ
الْخَيْلَ عَلَى الرَّجُلَيْنِ) قَالَ سَلْمَةُ : (فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَ الرَّاجِلِ وَالْفَارِسِ جَمِيعًا) .
أَمْرُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ :

(وَاسْتَنْقَدُوا) أَيِ : اسْتَخْلَصَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ) عُيَيْنَةَ (ابْنِ حِصْنٍ) الْمَعْرُوفُ بِالْأَحْمَقِ

.....

المطاع في قومه ، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ شَرَّ
الناس من ودَّعه الناس اتقاء شره » .

وقال فيه : « أَدَارِيهِ ؛ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَفْسِدَ عَلَيَّ خَلْقًا
كَثِيرًا » .

وقال فيه : « إِنَّا لَنَبْشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ ، وَإِنْ قُلُوبُنَا
لَتَلْعَنُهُمْ » .

ودخل يوماً المسجد ، فكشف ثيابه ، وبال فيه ، فصاح
المسلمون ، فقال لهم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :
« لَا تُزِرْمُوهُ » أي : لا تقطعوا عليه بوله ، فأمر بماء فَصَّبَ على
البول .

ودخل على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بغير إذن ، فلمَّا قال
له : « أَيْنَ الْإِذْنُ ؟ » قال : ما استأذنت على أحد قبلك من
مُضَرٍّ ، وقال : ما هذه الحُمِيرَاء التي معك يا محمد ؟ قال :
« هي عائشة بنت أبي بكر » فقال : طَلَّقْهَا ، وأنا أنزل لك عن
أَجْمَلِ منها ، أم البنين بنت حذيفة ، في أشياء كثيرة تذكر من
جفائه .

(عَشْرًا) من اللَّقَاح ، وكانت عشرين ؛ أي : ونجا العدو
بعشر ، كذا قاله الناظم تبعاً لأصله ، وقال الواقدي وابن
سعد ، وذكره في « المواهب » عنهما ، وهو مخالف لقول
سَلَمَةَ في « الصحيحين » : (إِنَّهُ اسْتَنْقَذَ جَمِيعَ اللَّقَاحِ) قال
الشَّامِيُّ : (وهو المعتمد لصحة سنده) .

تعارض الروايات في
عدد اللقاح الناجية

وَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَةً الْغَفَّارِي قَتِيلِ نَهَبِ إِبِلِ الْمُخْتَارِ

(وقسم النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم (فيهم) أي : في أصحابه (جُزْراً) جمع جزور ، لكل مئة جزورٌ ينحرونه ، وكانوا خمس مئة .

فوائد هذه القصة :

قال الحافظ : وفي القصة من الفوائد :

جواز العدو الشديد في الغزو ، والإنذار بالصياح العالي ، وتعريف الشجاع بنفسه لِئُرْعَبَ خصمه ، واستحباب الشاء على الشجاع ومن فيه فضيلة ، لا سيَّما عند الصنع الجميل ؛ ليستزيد منه ، ومحله حيث يؤمن الافتتان .

وفيه جواز المسابقة على الأقدام ، ولا خلاف في جوازها بغير عوض ، أمّا بالعوض .. فالصحيح : لا يصح .

وفيه عظيم عناية الله تعالى بهذا الحبيب العظيم حيث أوجد الله له من أصحابه من يغني عن الخيل في بعض المواطن ويسبقها .

وفيه ما كان عليه أصحابه البَسَلَةُ الأَمْجَاد ؛ في القيام بالتضحية بالنفس والنفيس خير قيام ، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

قصة امرأة أبي ذر ونذرهما :

(و) لما وصل النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة (أقبلت إمرأة) بقطع الهمزة المكسورة للوزن ، واسمها ليلى كما في

وَهِيَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ ذِي الْإِبِلِ قَدْ نَذَرَتْ إِهْلَاكَهَا حِينَ تَصِلُ

« أبي داوود » وهي زوج أبي ذرّ (الغفاريّ) رضي الله عنه
(قتيل) بمعنى : مقتول (نَهَبَ) مصدر بمعنى اسم الفاعل ؛
أي : مقتول القوم الناهبين (إِبِل) أي : لإبل (المختار)
صلّى الله عليه وسلم .

استدراك الشارح

وفي كلامه نظر ؛ فإنه إذا كان الغفاريّ أباً ذرّ . فكيف
يصفه بأنه مقتول للذين أغاروا على اللّقاح ، فإنّ المعروف عند
أهل السير : أنّ المقتول هو ابن أبي ذرّ ، واسمه ذرّ ، ولم يقل
أحد : إنّ المقتول أبو ذرّ ؟

(وهي على راحلة) أي : والحال أنّ تلك المرأة جاءت
راكبة على راحلة (من ذي) أي : من هذه (الإبل) التي أخذها
العدو ، وهي البيضاء ، وخبر المبتدأ جملة قوله : (قد نَذَرَتْ
إِهْلَاكَهَا حِينَ تَصِلُ) إلى المدينة سالمة من العدو .

روى مسلم وأبو داوود عن عمران بن الحصين رضي الله
عنه : أنّهم أوثقوا المرأة ، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي
بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فإذا دنت
من البعير رغا ، فتركه حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ ،
فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ، وعلموا بها ،
فطلبوها فأعجزتهم . اهـ

وقال ابن إسحاق : (وأقبلت امرأة الغفاريّ على ناقة من
إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدّمت عليه فأخبرته
الخبر ، فلمّا فرغت . . قالت : يا رسول الله ؛ إنّني قد نَذَرْتُ لَهِ

.....

أن أنحرها إن نجاني الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك أن تنحريها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، ارجعي إلى أهلك على بركة الله » .

حكم النذر والطلاق
والعتاق والنكاح فيما
لا يملك

قال العبد الضعيف كان الله له : أخرج أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ، ولا عتق له فيما لا يملك ، ولا طلاق له فيما لا يملك » انظر « نصب الراية » للزيلعي ، واحتج به بعض العلماء على أن لا طلاق إلا بعد النكاح ولو عيّن المطلقة .

ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي قتادة :

وقال صلى الله عليه وسلم حين فرغوا من أمرهم : « خير فُرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالنا اليوم سلمة بن الأكوع » .

قتله لرئيس المشركين

ومما صنعه بهم أبو قتادة الحارث بن ربيعي : أن قتل مسعدة بن حكمة الفزاري رئيس المشركين يومئذ ، أو حبيب بن عينة بن حصن ، وسجّاه ببرده ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيله ، وضع عليه برده ؛ لتعرفوه فتخلّوا عن قتيله وسلّبه » فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه .

.....

ما صنعه عكاشة بن محصن :

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعاً .

وممّا فعله بهم سلمة بن الأكوع أن قال : يا نبي الله ؛ قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة .

وفي « مسلم » : أتاني عامر بماء ولبن ، فتوضأت وشربت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، فإذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ، ونحر له بلال ناقته ، وشوى له من كبدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلّني أنتخب من القوم مئة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر ، فضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : « أترأى كنت فاعلاً ؟ » قلت : نعم ، والذي أكرمك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملكت فأسجح » أي : قدّرت عليهم فارفق ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « إنهم الآن ليُقرّون في غطفان » يعني : أنهم وصلوا إلى غطفان وهم يُضيفونهم ، فلا فائدة في البعث في الأثر ؛ لأنهم لحقوا بأصحابهم .

وفي إخباره عليه الصلاة والسلام بذلك معجزة ؛ فإنه جاء بعد ذلك رجل من غطفان ، فقال : مرّوا على فلان الغطفاني ، فنحر لهم جزوراً ، فلمّا أخذوا يكشطون جلدها . . رأوا غبرة ، فتركوها وقالوا : أتاكم القوم ، وخرجوا هرباً .

قال في « المواهب » : (وصلى رسول الله صلى الله عليه

إصرار سلمة رضي الله عنه على ملاحقة الفارين وسماحة النبي صلى الله عليه وسلم بكفه عنهم

من معجزاته صلى الله عليه وسلم

وَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْمَالِحِ بَيَانِ ذَا اللَّقْبِ غَيْرُ صَالِحِ
فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَغَيَّرَ إِلَالَهُ صِفَتُهُ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشْتَرَاهُ
طَلْحَةً بِالْفَيَاضِ سَمَّاهُ النَّبِيَّ إِذْ قَدْ تَصَدَّقَ بِهِ لِيُثْرِبَ

وسلم بذى قَرَد صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتجسس
الخبر ، ورجع وقد غاب خمس ليال) .

معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم :

(ومَرَّ) صلى الله عليه وسلم (في طريقه) في هذه الغزوة
بالبئر التي تسمى (بالمالح بَيَانِ) فقال الصحب الكرام : بَيَان
وهو مالح (ذا اللقب) يعني بَيَان (غير صالح ، فغَيَّرَ)
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (اسمه) فقال : نعمان ، وهو
طيب ، (وغير الإله) تبارك وتعالى (صِفَتُهُ) المألحة إلى
صِفَتِهِ العذبة ، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور ،
ونظير هذه المعجزة ما ذكره في « الشفاء » : (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يَزِقُ فِي بئر كانت في دار أنس ، فلم يكن ماء في
المدينة أعذب منها) ورواه أبو نعيم ، والله در القائل :

ولو تفلت في البحر والبحر مالح

لأصبح ماء البحر في ريقه عذبا

شراء طلحة الفياض للبئر وتصدقه بها :

(وبعد ذلك اشتراه) أي : البئر ، وفاعل اشترى (طَلْحَةُ)
أَبْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ، أحد العشرة المتقدم
ذكره ، وترجمته في الكلام على غزوة بدر وأُحُد ، وتصدق بها

سبب تسمية النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
له بالفياض

فَالطَّلَحَاتُ خَمْسَةٌ سِوَى الْعَلَمِ فَطَلْحَةُ الْجُودِ ابْنُ عَمِّهِ الْخِضَمِّ

على أهل المدينة (بالفيَاض) بتشديد الياء ؛ أي : الوهَّاب الجواد ، يتعلق بقوله : (سَمَاه) أي : طلحة (النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « أنت الفيَاض » فصار له لقباً ، كما صار نَعْمَانُ للبئر لقباً (إذ قد تصدق به ليثرب) أي : لأهل المدينة ، وهذا سبب التسمية به ، وتسمية المدينة بيثرب تسمية جاهلية ، سميت باسم رجل نزلها ، ولما جاء الله تعالى بالإسلام سميت طابة ، وطيبة ، والطَّيِّبَةُ ؛ لطبيها به صلى الله عليه وسلم ، فتغير اسمها وصفتها .

الطلحات الخمسة الأجواد :

ثمَّ استطرد الناظم رحمه الله تعالى باسم الفيَاض ، إلى ذكر مَنْ كان مِنَ الأجواد في الإسلام يسمى طلحة فقال :

فَالطَّلَحَاتُ خَمْسَةٌ سِوَى الْعَلَمِ

فَطَلْحَةُ الْجُودِ ابْنُ عَمِّهِ الْخِضَمِّ

(فالطلحات) بفتح اللام جمع طَلْحَة بسكونها (خمسة سوى العلم) العلم في الأصل : السيد للقوم ، والمراد به : سيدنا طلحة بن عبيد الله المتقدم ، فهم معه ستة ، هو وأولها .

طلحة الجود :

(ف) ثانيها : (طلحة الجُود) أي : الملقب بذلك ، وهو ابن عُمَر بن عُبيد الله بن مَعْمَر بن عثمان بن عمر بن كعب بن

طلحة بن عمر بن
معمر

وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ وَطَلْحَةُ النَّدَى إِلَى الْحُسَيْنِ وَابْنِ عَوْفٍ أُسْنَدًا

سعد بن تيم ، وجده عُبَيْدُ اللَّهِ بن معمر من الأجواد أيضاً ، ذكر ابن العماد في « الشذرات » : أَنَّهُ اشترى جارية تسمى الكاملة بعشرين ألف دينار ، وكانت لفتى قد أدّبها أحسن الأدب ، فأملق ، فباعها وهو مُغْرَمٌ بها ، فأنشدت أبياتاً منها :

عليك سلام لا زيارة بيننا

ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فَرَقَّ لها عُبَيْدُ اللَّهِ ، وردّها عليه وثنّمها ، قُتِلَ عن أربعين سنة برستاق إصْطَخِرَ .

قال الحافظ : (أخرج ابن أبي عاصم والْبَغَوِيُّ من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن معمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أُوتِيَ أهل بيت الرفق إلا نفعهم ، ولا مُنْعَوْهُ إِلَّا ضَرَّهُمْ » قال الْبَغَوِيُّ : « لا أعلمه رَوَى عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غيره ، ولا رواه عن هشام إلا حماد » .

وطلحة الجود : هو (ابن عمه) أي : ابن عم طلحة بن عُبَيْدِ اللَّهِ (الخضم) بوزن خِدَبْ مكسور الأول ، مفتوح الثاني : الكثير العطاء .

طلحة الخير ، وطلحة الندى :

(و) ثالثها : (طلحة الخير) بن الحسين السَّبْط بن طلحة بن الحسين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وَطَلْحَةُ الدَّرَاهِمِ الْعَتِيقُ جَدُّ أَبِيهِ بِالْعُلَا حَقِيقُ

(و) رابعها : (طلحة الندى) بالقصر : الجود ؛ أي :

طلحة بن عبد الله بن

عوف

الملقَّب بذلك ، وهو ابن عبد الله بن عوف بن عبد الحارث بن زُهْرَةَ ابن أخي سيدنا عبد الرَّحْمَنِ بن عوف ، كان من سَراة قريش ، ولي قضاء المدينة .

قال الحافظ في « التهذيب » : (قال ابن أبي خَيْثَمَةَ : كان هو وخارجة بن زيد بن ثابت في زمانهما يُسْتَفْتيان ، وينتهي الناس إلى قولهما ، وَيَقْسَمَانِ الموارِيث ، ويكتبان الوثائق ، توفي بالمدينة سنة سبع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وأبوه عبد الله بن عوف صَحَابِي ، أسلم يوم الفتح ولم يهاجر) .
فقوله : (إلى الحسين وابن عوف أُسْنَدَا) أي : أُسْنَدَ طلحة الخير إلى الحسين ، وطلحة الندى إلى ابن عوف ، على طريق اللَّفِّ والنشر المرتب .

طلحة الدراهم :

(و) خامسها : (طلحة الدراهم) ابن عبد الله بن

طلحة بن عبد الله بن

عبد الرَّحْمَنِ

عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر الصَّدِّيق رضي الله عنه ، أُمُّه عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله .

وقال في « التهذيب » : له صحبة ، حكى الزُّبَيْرُ : أَنَّ عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ أودعه وغيره مَالاً لما سافر إلى الشام ، فلمَّا رجع . . جَحَدَهُ بعضهم ، وردَّ ماله طلحة ، فقال فيه :

فما استخبأت في رجل خَيِّئاً

كدين الصَّدِّيقِ لو ينسب عَتِيقِ

سَادِسُهَا طَلَحَتْهَا الْخُرَاعِي أَجُودُهُمْ كَلًّا بِلَا نِزَاعٍ

ذَوُو الْأَحْسَابِ أَكْرَمَ مَا تَرَاهُ

وَأَصْبَرُ عِنْدَ نَائِبَةِ الْحَقِيقِ

وقوله : (العتيقُ) مبتدأ ، والمراد به أبو بكر ؛ لأنَّه عتيقُ الله من النار (جد أبيه) أي : عبد الله ، خبر المبتدأ .

وقوله : (بالعلا) يتعلق بقوله : (حقيقُ) يعني : أنَّ العتيق وهو أبو بكر جد أبي طلحة ، وهو حقيق بالعلا ، ولا كلام .

وليس يصحّ في الأذهان شيءٌ

إذا احتاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

مَآثِرِ طَلْحَةَ الْخُرَاعِي :

طلحة بن عبد الله
الخراعي طلحة
الطلحات

و (سادسها) أي : الطلحات ، قال في « روض النُّهاة » :
والضمير يعود إلى الطلحات مبتدأ ، وقوله : (طلحتها) أي :
طلحة الطلحات ، خبر المبتدأ ، وهو طلحة بن عبد الله بن
خلف بن سعد بن بياضة البَصْرِيُّ (الْخُرَاعِي) يقال : لأبيه
صحبة (أجودهم) أي : هو أجود الطلحات ، سمي طلحة بن
عبد الله بذلك ؛ لأنَّه كان أجودهم (كَلًّا بِلَا نِزَاعٍ) أي :
لا ينازعونه في الجود ، وهذا بمعنى قول بعضهم فيه : إنَّه فاق
في الجود خمسة أجواد ، اسم كل واحد منهم طلحة .

قال الشيخ حماد في « روض النُّهاة » : (وهذا كلام

فِي سَنَةِ وَهَبَ أَلْفَ جَارِيَةٍ فَأُولَدَتْ عُفَاتُهُ جَوَارِيَهُ
أَلْفَ غَلَامٍ بِأَسْمِهِ سَمَّى الْإِمَامَ جَمِيعُهُمْ لِمِثْلِهَا فَهَيَّئَ مَا

صاحب « الغُرَر »^(١) ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى يشفق على نفسه من تفضيله في الجود على ابن السبط ، ويُعتذر عنه بأنه إنما نظم ما في الكتاب .

قال الحافظ ابن حجر : (سمع عثمان بن عفان وكان مع عائشة يوم الجمل) اهـ

وفي سنة (٦٣) بعث مسلم بن زياد طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي والياً على سجستان ، فأقام بها طلحة إلى أن مات .

ومن مآثر جوده : ما ذكره في « الغُرَر » وعقده الناظم بقوله : (فِي سَنَةِ وَهَبَ) لزواره وقاصديه (أَلْفَ جَارِيَةٍ) أي : أَمَّةٍ (فَأُولَدَتْ عُفَاتُهُ) بضم العين جمع عاف ، وهو : الزائر الطالب للمعروف .

(جَوَارِيَهُ) بالنصب معمول لقوله : (أُولَدَتْ) على نزع الخافض ؛ أي : أُولَدَتْ مِنْ جَوَارِيهِ .

(أَلْفَ غَلَامٍ بِأَسْمِهِ) أي : بِطَلْحَةَ (سَمَّى الْإِمَامَ) بالقصر للوزن ، جمع أمة (جَمِيعُهُمْ) بالرفع تأكيد للإمام (لِمِثْلِهَا

(١) يعني « غرر الخصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة » للأديب المتفنن أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن يحيى الكتبي ، المعروف بالوطواط ، المولود سنة (٦٣٢) والمتوفى سنة (٧١٨) .

.....

فهيهما) بالهمز : أي عجباً لمثل هذه العطية من الكثرة والبركة .
وزاد في « الغُرر » عن الحسن قال : (باع طلحة بن
عبد الله الخزاعي أرضاً بسبع مئة ألف درهم ، فبات ذلك المال
عنده ليلة ، فبات أرقاً ؛ مخافة ذلك المال ، حتى أصبح
ففرقه) .

وقال الزبيدي عن « المستقصى » : قال سحبان وائل البليغ
المشهور في طلحة الطلحات^(١) :

يا طَلَحَ أَكْرَمَ مَنْ مَشَى
حَسَباً وَأَعْطَاهُمْ لَتَالِذِ
مَنْكَ الْعِطَاءِ فَأَعْطَنِي
وَعَلَيَّ مَدْحُكَ فِي الْمَشَاهِدِ

فحكّمه ، فقال : فرسك الورد ، وقصرك بزرنج ،
وغلامك الخباز ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف
لك ! لم تسألني على قدري ، وإنما سألتني على قدرك وقدر
قبيلتك باهلة ، والله ؛ لو سألتني كل فرس وقصر وغلام لي .
لأعطيتك ، ثم أمر له بما سأل ، وقال : والله ؛ ما رأيت مسألة
مُحكّم ألام منها .

(١) قوله : (سحبان وائل) لعلّه سقط لفظة (ابن) قبل (وائل) لأنه هو الذي في عصر
الإسلام ، وهو البليغ الذي كان في زمن معاوية رضي الله عنه ، وأما سحبان وائل
بالإضافة . فهو جاهلي كما نقله شيخنا في « شرح الإبتهاج » عن ابن التلمساني في « حاشية
الشفاء » فلذا اقتضى التنبيه عليه .

وَبَعْدَهَا أَنْتَهَبَهَا الْأُولَى أَنْتَهَوْا لِغَايَةِ الْجُهِدِ وَطَيْبَةِ اجْتَوَا

وفيه يقول ابن قيس الرُّقَيَّاتِ :

رحم الله أعظمًا دفنوها

بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ

قال الخفاجي في « الطراز » في طلحة الطلحات : (ليس المراد : أنه واحد من هؤلاء المسمَّين بهذا الاسم كما يتبادر منه ، وإنما المراد : أنه أجود الأجواد ؛ لأنَّ طلحة لشهرة مسماه بالجود كحاتم ، فيذكر ويراد به الجواد ، فالطلحات بمعنى الأجواد :

الناسُ أولادُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا

أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَخْذُولٌ وَمَحْقُورٌ

وهم بنو أمٍّ مَنْ ظَنُوا بِهِ نَشَبًا

فذاك بالعين ملحوظ ومستورٌ)

قصة العرنيين وسرية سعيد بن زيد إليهم سنة ست :

ثمَّ أتبع غزوة الغابة بالكلام على قصة العُرَيْنِيِّينَ - للمناسبة الظاهرة بينهما ، وتبعاً لليعمري ، إلاَّ أنَّه ذكر السَّريَّة من أصلها ، وهي تعرف بسرية سعيد^(١) بن زيد إليهم ، وهي في شوال سنة ست عند ابن سعد - فقال : (وبعدها) أي : بعد غزوة الغابة (انتهيها) أي : اللقاح المذكورة في غزوة الغابة ؛

تاريخها

(١) كذا عند ابن عقبة بالياء ، وعند غيره : أنه سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري .

فَخَرَجُوا وَشَرِبُوا أَلْبَانَهَا وَبَبَذُوا إِذْ سَمِنُوا أَمَانَهَا

أي : أخذها نهباً القومُ (الأولى انتهوا) أي : وصلوا (لغاية الجهد) والمشقة .

(وَطِيَّةً) بالنصب معمول لقوله : (اجْتَوُوا) أي : التعريف بعريئة
وكرهوا طيبة ؛ أي : المُقام بها ، ولم يوافقهم هواؤها ، وهم من عُرْيَنَةٍ^(١) ، وعُرْيَنَةٌ : حيٌّ من بجيلة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكلموا بالإسلام ، وكانوا مجهودين مضطرين ، وقد كادوا يهلكون ، وقالوا : يا رسول الله ؛ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ ؛ أي : ماشية وإبل ، ولم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا مع الذود ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها .

وفي لبن اللقاح : جلاء ، وتليين ، وإدرا ، وتفتيح
للسدد ؛ فَإِنَّ الاستسقاء وعظم البطن إِنَّمَا يَنْشَأُ عَنِ السَّدَدِ وَآفَةٌ فِي الْكَبِدِ ، وَمَنْ أَعْظَمَ مَا يَنْفَعُ الْكَبِدَ لَبَنُ اللَّقَاحِ ، لَا سَيِّمًا إِنْ اسْتَعْمَلَ بِحَرَارَتِهِ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا مِنَ الضَّرْعِ مَعَ بَوْلِ الْفَصِيلِ عَلَى حَرَارَتِهِ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا . ذكر هذه الفائدة ابن برهان في « سيرته » .

(فخرجوا وشربوا ألبانها) وصَحُّوا ، وسَمِنُوا ، ورجعت إليهم ألوانهم ، حتى إذا كانوا ناحية الحرة بناحية قباء . كفروا

(١) وهم ثمانية كما في « الإمتاع » وفي « المواهب » : (هم من عكل - بضم فسكون قبيلة من تيم الرباب - وعريئة) .

فَأَقْتَصَرَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ أَنْ مَثَلُوا بِعَبْدِهِ وَمُقْلَتَيْهِ سَمَلُوا

بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يساراً ، واستاقوا الدَّود كما قال : (ونبدوا) أي : طرحوا وألقوا (إذ سَمِنُوا) بشرب اللَّبن (أمانها) أي : اللقاح ، والمراد أهلها ، فبلغ ذلك النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فبعث في آثارهم سرية أمر عليها سعيد بن زيد .

قتل يسار رضي الله عنه راعي اللقاح

وفي « صحيح مسلم » عن أنس : (أن السرية كانت قريباً من عشرين فارساً من الأنصار ، وبعث معهم قائفاً يقص آثارهم) .

عدد أفراد السرية

وقال ابن سعد كما في « عيون الأثر » : (وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فبعث في آثارهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْزاً^(١) بن جابر الفهري ، فأدركوهم وأحاطوا بهم ، فأسروهم وربطوهم ، وأردفوهم على الخيل ، حتى قدموا بهم المدينة قال : كانت اللقاح خمس عشرة غزارة ، فردوها إلى المدينة ، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها لُقْحَةً ، فسأل عنها ، فقليل : نحروها) .

قائد السرية كرز بن جابر رضي الله عنه

الاقتصاص من العرنيين :

(فاقْتَصَرَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ) صلى الله عليه وسلم بأن سَمَرَ^(٢) أعينهم ، وقطع أيديهم ، وأرجلهم ، وتُرِكُوا في ناحية الحرّة .

(١) كرز هذا هو الذي أغار على سرح المدينة قبل أن يسلم ، فهداه الله للإسلام ، كما ذكر أول الكتاب ، واستشهد يوم فتح مكة .

(٢) بتخفيف الميم ، وروي بشدها ، قال الحافظ المنذري : (الأول أشهر وأوجه) اهـ

.....
حتى ماتوا على حالهم .

وفي لفظ عند البخاري : (وَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ - أي :
كحلوها بالمسامير المحمية - ثُمَّ نَبَذُوا فِي الشَّمْسِ حَتَّى
مَاتُوا) .

وإِنَّمَا فعل صلى الله عليه وسلم بهم ذلك (أَنْ) أي :
لأنَّهم (مَثَلُوا بَعْدَهُ) صلى الله عليه وسلم ، ولفظ الأصل :
(مولاة) ، لكن وقع بلفظ العبد عند ابن إسحاق ، قال :
(أَصَابَهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي ثَعْلَبَةَ) .

وفي « المواهب » : (روى ابن مَرْدُوَيْهِ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ
الْأَكْوَعِ قَالَ : كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى يُقَالُ لَهُ :
يسار ، فنظر إليه يحسن الصلاة ، فأعتقه ، وبعثه في لقاح له
بالْحَرَّةِ ، فكان بها ، قال : فأظهر قوم الإسلام من عُريته ،
وجاؤوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم ، وغدوا
على يسار فذبحوه ، وجعلوا الشوك في عينيه وهو حيٌّ ، فبعث
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِهِمْ خَيْلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
أَمِيرَهُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ ، فَلَاحَقَهُمْ ، فَجَاءَ بِهِمْ ، فَقَطَعَ
أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ) قال ابن كثير : حديث
غريب جداً . وقال الزرقاني : (وقد رواه الطبراني بإسناد
صالح كما في « الفتح » فلو عزاه له . . لكان أولى .

(ومقلتيه) معمول لقوله : (سَمَلُوا) بفتح الميم من باب
دخل ؛ أي : سملوا ، وفقؤوا مقلتيه ، قال أنس : (إِنَّمَا سَمَلْ

.....

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينهم ؛ لأنَّهم سَمَلُوا أعين
الراعي (رواه مسلم ، فيكون ما فعل بهم قصاصاً ، كما قال
الناظم : (فاقْتَص) لا مُثْلَةَ ؛ فإنَّها ما كانت ابتداء بغير جزاء .
فإن قيل : قد تركهم يستسقون فلا يُسْقَوْنَ حتى ماتوا
عطشاً . قلنا : عَطَّشَهُمْ ؛ لأنَّهم عطشوا أهل بيت
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من لقاحهم ، وقد دعا
صلى الله عليه وسلم بالعطش على من عَطَّشَ آل بيته ، كما رواه
النسائي^(١) .

وقد أشار إلى هذه السَّرية الشيخ غالي بن المختار في
« تبصرة المحتاج » بأبسط ممَّا هنا ، وسماها بسرية كُرْز بن
جابر الفهريِّ بقوله :

فنجَلُ جابر المنيف ذو العلا
كُرْزٌ بِإِثْرِ نَفَرٍ عَدَوْا عَلَى
لِقَاحٍ خَيْرٍ مَرْسَلٍ وَقَتَلُوا
غَلَامَهُ وَمَقْلَتِيهِ سَمَلُوا
وَإِذْ بِهِمْ أَتَى النَّبِيُّ قَطْعًا
أَيْدِيَهُمْ وَنَعَمَ مَا قَدْ صَنَعَا
وَقَطَعَ الْأَرْجَلَ ثُمَّ سَمَلَا
أَعْيَنَهُمْ وَرَدَّاهُمْ مُمْتَرِلَا

(١) وقيل : عَطَّشَهُمْ ؛ لكفرهم بنعمة سقي ألبان الإبل التي حصل لهم الشفاء بها من الجوع
والوخم .

بجانب الحرّة يستسقوننا

لما أصابهم فلا يُسَقُّونَا

فوائد هذه القصة وأحكامها :

وفي هذه القصة من الفوائد :

- قدوم الوفد على الإمام ونظره في مصالحهم .

طهارة بول ما يؤكل
لحمه

- ومشروعية الطب والتداوي بألبان الإبل وأبوالها ،
وطهارة أبوالها ، وهو حجة للإمامين مالك وأحمد ومن
وافقهما على طهارة بول ما يؤكل لحمه نصاً في الإبل ، وقياساً
في غيرها ؛ وذلك أنّه أمرهم بالتداوي ، وقد قال عليه الصّلاة
والسّلام : « إنّ الله لم يجعل شفاء أُمّتي فيما حرم عليها » رواه
أبو داود وغيره .

استدلال من لا يرى
إباحة أبوال الإبل

ومن قال بنجاسة الأبوال كلها حملوا الحديث على
التداوي ، فلا يفيد الإباحة حالة الاختيار ، وإلّا فلا حرمة
كالميتة ، وقد يقال : إنّ ما ذكر لم يتعين طريقاً للدواء ، وفي
حديث ابن عباس مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنّ في أبوال الإبل شفاء للدّربة بطونهم » ما هو صريح بأنّها
حالة اختيار ، وهو يمنع حمل الحديث على ما ذكر ،
والذرب : فساد المعدة .

- ومنها : أنّ كل جسد يطب بما اعتاد ، وأنّ المدينة تنفي
عنها الخبث ؛ مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنّ
المدينة كالكير ، تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد » .

.....

- وقتل الجماعة بالواحد ، سواء قتلوه غيلة أو حِرابَة ، إن قلنا : إنَّ قتلهم كان قصاصاً .

- والمماثلة في القصاص ، وأنَّه ليس من المثلة المنهي عنها .

- ومنها : العمل بقول القائف ، وهو : الذي يعرف الآثار ، وللعرب المعرفة التامة في ذلك .

اعتماد القيافة من أدلة
ثبوت النسب

وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده رضي الله عنهم بالقيافة ، وجعلها دليلاً من أدلة ثبوت النسب ، والله أعلم .



(٢٢) غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق)

وهو بضم الميم وفتح الراء : ماء لبني خُزاعة ، بينه وبين الفرُع مسيرة يوم .

موقعها

قال في « القاموس » : (خزاعة حيٌّ من الأزد) اهـ ، سُمُّوا بذلك لأنَّهم تخزَّعوا ؛ أي : تخلَّفوا عن قومهم وأقاموا بمكة .

ويقال لها أيضاً : غزوة بني المصطلق - بضم الميم ، وسكون الصاد المهملة ، وفتح الطاء ، وكسر اللام - وهو لقب لجُذيمة بن سعد بن عمرو الخزاعي ، لقب به لحسن صوته ،

ثُمَّ الْمُرَيْسِيُّ أَوْ الْمُصْطَلِقُ كِلَاهُمَا عَلَى الْغَزَاةِ يُطْلَقُ

وهو أول من غَنَى من خزاعة نقله الزرقاني عن القسطلاني ،
وقال أيضاً : (روى الطبراني من حديث سفيان بن وبرة قال :
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع : غزوة
بني المصطلق) وأشار الناظم إلى ترادفهما بقوله : (ثمَّ
المريسيع أو المصطلق) فأو للتخيير في التسمية (كلاهما)
أي : الاسمين (على الغَزَاة) بفتح الغين المعجمة ؛ أي :
الغزوة (يطلق) وتسمّى به .

تاريخ هذه الغزوة :

وظاهر النظم كما يفيد الترتيب بثم : أنَّ هذه الغزوة كانت
سنة ست ؛ فإنه جعلها بعد الغابة ، والغابة كانت في السنة
السادسة كما تقدم ، وهو قول ابن إسحاق ، وأنها في شعبان ،
وإليه ذهب المقرئ في « الإمتاع » .

ولكن عند ابن سعد : أنها كانت في شعبان سنة خمس ،
وهو الذي قال فيه أصحاب السير : إنه أشبه بالصواب ؛ لأنَّ
فيها جرى حديث الإفك ، قال في « الإمتاع » : (ولا يشك
أحد من علماء الآثار أنَّ حديث الإفك في غزوة بني المصطلق
هذه) اهـ ، وسيأتي هنا ، وقد ثبت فيه : أنَّ سعد بن معاذ
تنازع مع سعد بن عُبادة في أصحاب الإفك ، فلو كانت سنة
ست مع كون الإفك كان فيها . لكان ما وقع من الصحيح من
ذكر سعد بن معاذ غلطاً ؛ لأنه مات أيام قُرَيْظَة ، وكانت سنة
خمس على الصحيح .

سبب هذه الغزوة :

وسبب هذه الغزوة : أنه بلغه عليه الصلاة والسلام ، أن رئيس بني المصطلق - وهو الحارث بن أبي ضرار - سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، فدعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجابوه وتجهّئوا للمسير معه إليه ، وكانوا ينزلون ناحية الفُرع ، فبعث عليه الصلاة والسلام بُريدة بن الحَصِيب الأسلمي يعلم حالهم الذي هم عليه ، فاستأذنه أن يقول ، فأذن له ، فأتاهم ، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلّمه ، فوجدتهم قد جمعوا الجموع ، قالوا : من الرجل ؟ قال : منكم ، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير في قومي ومن أطاعني ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصله ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فعجل علينا ، فقال بُريدة : أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي ، فسروا بذلك منه .

انتصار الرسول صلى الله عليه وسلم وهزيمة العدو :

ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبرهم ، فندب صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً في بَشَر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قطّ مثلها ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وقادوا الخيل : عشرة للمهاجرين ، وعشرين للأَنْصار ، وخرجت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وبلغ

استخلاف زيد بن
حارثة على المدينة
المنورة

لَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ أَنْيْسٌ وَسَبَا غَيْرَ رَجَالٍ عَشْرَةٍ قَدْ نَهَبَا

الحارث ومن معه مسيره عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، فسيء بذلك
الخبر هو ومن معه ، وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرَّق عنهم من
كان معهم من العرب الذين جمعهم الحارث من غير قومه ،
ووصل عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى المُرَيْسِيع ، وصَفَّ أصحابه ،
ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر ، وراية الأنصار إلى سعد بن
عُبَادَة ، فتراموا بالنَّبل ساعة ، وكان شعار المسلمين
(يا منصور ؛ أمت أمت) ثمَّ أمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام
أصحابه ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان ،
كما قال الناظم .

حامل الراية
شعار المسلمين

(لم ينفلت منهم) أي : لم يخلص من بني المصطلق
(أنيس) بالتكبير ؛ أي : أحد ، قال في « المختار » :
(الأنيس : المؤانس ، وكل ما يؤنس به ، وما بالدار أنيس :
أحد) .

(وسبا) أي : ملك عليه الصَّلَاة والسَّلَام (غير رجال
عشرة) وهم النساء والصبيان .

قال في « شرح المواهب » : (قال البرهان : لم يذكر
عدتهم ، وقال بعض شيوخي : كانت الأسرى أكثر من سبع
مئة ، فطلبتهم منه جويرية ليلة دخوله بها فوهبهم لها ، ولم
يقتل من المسلمين إلاَّ رجل واحد ، هو هشام بن ضُبَابَة^(١) ،

(١) بصاد مهملة مضمومة فموحدة مخففة ، أصابه أنصاري يقال له : أوس ، من رهط عبادة بن
الصامت ، قتله خطأ وهو يرى أنَّه من المشركين .

أَعْمَارُهُمْ وَسُيِّتَ جُؤَيْرِيَّةُ وَوَهَبَ السَّبْيَ لَهَا لِتَذْرِبَهُ

وساق من الإبل ألفي بعير ، ومن الشاة خمسة آلاف شاة » (كما
قاله الزرقاني عن ابن سعد .

وأما العشرة من الرجال . . فـ (قد نهبا) ، بألف الإطلاق
مبنياً للفاعل (أعمارهم) أي : قتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؛ أي : قتلهم أصحابه الكرام .

(وسُيِّتَ) بالبناء للمفعول ؛ أي : أخذت في السبي أُمَّنا
(جُؤَيْرِيَّة) بنت رئيس بني المصطلق : الحارث بن
أبي ضرار بن حبيب بن عائد بن مالك بن جذيمة ، وجذيمة هو
المصطلق من خزاعة ، كما في « الروض الأنف » وكانت قبل
أن تسبي عند مُسَافِع بن صفوان الخزاعي المقتول كافراً يوم
المريسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي ، ونقله عنهما
الزرقاني في « شرحه للمواهب » وكان اسمها بَرَّة ، فسمّاها
صلى الله عليه وسلم جُؤَيْرِيَّة ؛ كره أن يقال : خرج من عند بَرَّة .

وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس ، ثمّ جاءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعين به في كتابتها ، قالت
عائشة رضي الله عنها : وكانت امرأة حُلوة مَلَّاحَة^(١) ، فوالله ؛
ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي . . فكرهتها ، وفي قول
عائشة ذلك بيان ما كان عليه أزواج النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
من الغيرة عليه ، والعلم بمواقع الجمال منه^(٢) ، فلمّا طلبت

(١) بفتح الميم وتشديد اللام ؛ أي : بارعة الجمال ، وهذا البناء للمبالغة في الملاحظة .

(٢) من ذلك : أنّه عليه الصَّلَاة والسَّلَام خطب امرأة فأرسل عائشة لتنظر إليها ، فلمّا رجعت =

.....

منه أن يعينها على كتابتها . . قال لها عليه الصَّلَاة والسَّلَام :
« هل لك في خير من ذلك ؟ أن أقضي عنك كتابتك وأعتقك ،
ثم أتزوجك » فرضيت ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأعتقها فتزوجها .

بركتها على قومها :

(ووهب) صلى الله عليه وسلم (السبي لها) أي :
لجويرية ، لما طلبته منه ليلة دخوله بها (لِتَدْرِيَهٗ ^(١)) أي :
لتعلمَ جويريةُ بإجابة طلبها مكانتها عنده صلى الله عليه وسلم .

قال الزرقاني : (ولا يشكل بما رواه ابن إسحاق وغيره من
حديث عائشة ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله
عليه وسلم قد تزوج جويرية ، فقال الناس : أصهار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق
بتزويجها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت
أعظم بركة على قومها منها ؛ لأنَّ طلبها إيَّاهم منه ، وكونه
وهبهم لها . . لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا أنه تزوجها
أطلقوا الأسرى ، فكان ذلك زيادة إكرام من الله لنبيه ؛ حتى

= إليه . . قالت : ما رأيت طائلاً ؟ قال : « بلى ، لقد رأيت خالاً في خدها اقشعرت منه كل
شعرة في جسدك » اهـ

(١) والهاء في (تدريه) هاء السكت ، وإنما قلت ذلك مخالفاً لصاحب « روض النهاية » في أنَّ
الصيغة خطاب لمذكر ؛ حرصاً على عدم حمل كلام الناظم على الحشو ؛ فإنه يقل في نظمه
كما ترى ، والله أعلم .

لا يسأل أحداً منهم في ذلك بشيء ، أو مجاناً ؛ أي : بلا بدل (اهـ

وأشار سيدي غالي في « نظم الأمهات » إلى قصة جويرية هذه ، وإلى اجتماعها في النسب مع سيد البشر صلى الله عليه وسلم ما اتصلت عين بنظر ، وإلى أنَّ والدها الحارث صحابي بقوله :

ومن بني مُضْطَلِّقِ جُوَيْرِيَّةِ
أَبْرُكُ عِرْسِ أُمِّنا الحُزَاعِيَّةِ
نالَ بها عَشِيرُها إِذْ أُسِرُوا
ما لم ينله بالنساء مَعْشَرُ
إِذْ أَعْتَقُوا وهم زُهَاءُ مئةِ
بيتٍ من استرقاق أَهْلِ المِلَّةِ
وهيَ بنت حارث نَجَلِ أَبِي
ضِرارٍ القَائِدِ صاحبِ النبي
يجمعها مع النَّبِيِّ الهادي

جدهما إلياس ذو الأيادي

وتوفيت أُمنا جويرية رضي الله عنها سنة خمسين من الهجرة ، وقيل : سنة ست وخمسين ، كما حكاه في « الإصابة » عن الواقدي ، قال : (وصلى عليها مروان) .

وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة ثمانية وعشرين يوماً ، وقدم المدينة لَهلال رمضان .

وفاة أم المؤمنين
جويرية رضي الله عنها

وَأَسْلَمُوا بَعْدُ وَفِي مَنْ فُسِّقَا أَرْسَلَهُ الْهَادِي لَهُمْ مُصَدِّقًا

إسلام الحارث وبني المصطلق :

(وأسلموا) أي : بنو المصطلق (بعدُ) أي : بعد أن أُسِّروا ، وأعتقوا ؛ لمصاهرة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سبب إسلام الحارث
بن ضرار

وأسلم الحارث بن أبي ضرار ، وسبب إسلامه : ما ذكره الحافظ عن ابن إسحاق في « المغازي » : (أَنَّ الحارث جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أُسِّرت ، وتزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلمَّا كان بالعقيق . . نظر إلى الإبل ، فرغب في بعيرين منها ، فغَيَّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شُعَابِهِ ، ثُمَّ جَاء فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ هَذَا فِدَاءُ ابْنَتِي ، فَقَالَ : « فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فِي شِعْبٍ كَذَا وَكَذَا ؟ » فَقَالَ الْحَارِثُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهُ مَا اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ جَوِيرِيَّةً ، فَأَسْلَمَتْ وَحَسَنَ إِسْلَامِهَا) .

قصة الوليد بن عتبة ونزول الآية فيها :

(وفي من فُسِّقَا) بالبناء للمفعول ، وألفه للإطلاق ، وهو بتضعيف العين ؛ أي : فسقه الله تعالى ، و (من) الموصولة واقعة على الوليد بن عتبة بن أبي معيط ، والجار والمجرور يتعلق بقوله بعدُ : (أنزل) .

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ أَنْزَلَ وَهُمْ خُرَاعَةٌ مُصْطَلِقٌ جَدُّ لَهُمْ

(أرسله الهادي) صلى الله عليه وسلم ، حال من نائب
فاعل فَسَّقَ (لهم) أي : لبني المصطلق (مصدقاً) بكسر الدال
المشددة ؛ أي : آخذاً الصدقة .

وقوله : (﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾) مبتدأ على إرادة اللفظ أو
الآية ، خبره جملة (أنزل) ، نظيره : « لا حول ولا قوة إلا
بالله كنز من كنوز الجنة » يعني : أن في الوليد المذكور الذي
فسقه الله تعالى في الآية حال كونه رسلاً من قِبَلِ النَّبِيِّ صلى الله
عليه وسلم لبني الْمُصْطَلِقِ ليأخذ الصدقة . . أنزلت وهي :
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ .

قال اليعمري في « العيون » : (ثمَّ بعد ذلك بأزيد من
عامين ، بعث إليهم الوليد بن عُقبة مُصَدِّقاً ، فخرجوا للقاءه ،
فتوهمَّ أنَّهم خرجوا لمقاتلته ، ففرَّ راجعاً ، وأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بظنه ، فهمَّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام بقتالهم ،
فأنزل الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾
الآية والتي بعدها) .

وقال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : أَنَّ رَسُولَ
الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم
الوليد بن عُقبة بن أَبِي مَعِيْطٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ . . ركبوا إليه ،
فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ . . هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأخبره أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ ، ومنعوه ما قَبَلَهُمْ مِنْ
صَدَقَتِهِمْ ، فَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي ذِكْرِ غُرُوبِهِمْ ، حَتَّى هَمَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوههم .

قدوم وفد بني
المصطلق إلى رسول
الله صلى الله عليه
وسلم

فبينما هم على ذلك . . قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ؛ سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أننا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ؛ ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرٌ ﴾ * وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَّاهُم مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ * .

قال الحافظ ابن عبد البر في « الإstimاع » : (ولا خلاف بين أهل العلم بالتأويل للقرآن فيما علمت أن قول الله عز وجل : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة وذكر البعث . . .) إلخ .

(وهم) تفسير للضمير المجرور في قوله : (أرسله الهادي لهم) (خزاعة) يعني : أن بني المصطلق من خزاعة ؛ فإن بني المصطلق هم بنو جذيمة ، و (مصطلق جد لهم) .

قال في « المواهب » : (والمصطلق : لقب ، واسمه : جذيمة بن سعد بن عمر ، بطن من بني خزاعة) .

وَأَفْرَعَتْ رِيحٌ خِيَارَ الثَّاتِ فَقَالَ لَا بَأْسَ بِمَوْتِ عَاتٍ
فَوَجَدُوا كَهْفَ الْمُنَافِقِينَ رَفَاعَةً يَوْمَئِذٍ دَفِينَا

موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين :

ثمَّ أشار الناظم إلى حادثة وقعت في اليوم الثاني من يوم
الواردة الآتي ذكرها فقال :

(وأفرعت) أي : خَوَّفت (ريح) شديدة ، ومفعول
(أفرعت) قوله : (خيارَ الثَّاتِ) لغة في الناس ، وخيارهم
صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال) رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا تخافوها ، فإنما هَبَّتْ لموت عظيم
من عظماء الكفار » وهو معنى قوله : (لا باس) أي : عليكم
(بموت عات) بالإضافة : متجاوز للحد متكبر .

(ف) لَمَّا قدموا المدينة .. (وجدوا كهف المنافقين)
أي : ملجأهم ، وأبدل من الكهف قوله : (رفاعة) وهو ابن
زيد بن التابوت ، أحد بني قَيْنُقَاع ، وكان عظيماً من عظماء
اليهود ، وكهفاً للمنافقين (يومئذٍ دَفِينَا) أي : وجدوه يوم
قدومهم المدينة مدفوناً ، ولو أَخَّرَ هذه الحادثة عن حادثة
الواردة .. لكان أولى ، كما صنعه صاحب الأصل الحافظ
اليَعْمُري في « سيرته » وكذا غيره .

معظم المنافقين كان من الشيوخ :

قال في « روض النُّهاة » : (ومن كان معه - أي : رفاعة -
على النفاق من أحبار يهود من بني قَيْنُقَاع ؛ سعد بن حنيف ،

استدراك الشارح

وَهُوَ التَّفَاقُ فِي الشُّيُوخِ لَا الشَّبَابِ وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ

ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وأخوه عثمان ، وزيد بن اللصيت ، ولم ينافق شباب من اليهود ومن الأنصار إلا قيس بن عمر بن سُهَيْل بن النجار) وذلك قوله رحمه الله تعالى : (وهو) أي : الشأن ، أو ضمير مبتدأ يفسره ما بعده ؛ أي : (النفاق) خبره قوله : (في الشيوخ) جمع شيخ ، وهو : من طعن في السن (لا) في (الشباب) جمع شاب (والخير كل الخير) أي : جميعه (في عصر) أي : في مدة (الشباب) يعني : في مدة حداثة السن ، فلا إبطاء ، وإنما كان الخير كله في عصر شباب الإنسان وفتوته ؛ لأنه الوقت الذي إذا قابل الخير فيه وهو على استعداد القابلية دخل قلبه ، فتمكن فيه ، كما قال بعضهم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فمن أجل ذلك أتى الناظم بالقضية المسورة بـ (كل) واعتبر ما قاله في هذه الغزوة من عمل ابن أبي ، وهو ممن بلغ سن الشيخوخة وقد باء بالنفاق ، ونزل إلى الدركات ، ومن عمل ابنه الشاب المؤمن المخلص وقد تبوأ بحبوة الإيمان ، وجلس على عرشه ، حتى كان حرباً على من تألب على بيضة الإسلام يريد أن يصدعها ولو كان والده ، كما سيأتي خبره معه .

نماذج رفيعة من
شباب الصحابة رضي
الله عنهم

زيد بن أرقم

وكذلك زيد بن أرقم ، وهو رضي الله عنه من قوم ذلك

وَوَرَدَتْ وَارِدَةُ الْعَرْمَرَمِ فَافْتَتَنَ الْوَارِدُ فِي الْمُرْدَحِمِ

المنافق ، لكن يباينه في الإخلاص والأدب مع الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وكثير من الشباب من أولئك الصحب الكرام على هذا
الخير ، بل كلهم من هذا الطراز المبارك .

وإنما قلت : على استعداد القابلية ؛ لأنه إذا كان على فساد
في الاستعداد ، فلا شيء فيه من الخير ، كما هو مشاهد في
أفراد من الشباب ، ذهبوا بشبابهم النضير مذهب اللهو والغرور
والهوى ، ولا وازع ولا زاجر ، ولا يسعنا إلا أن نتوجه إلى الله
تعالى بأن يهديهم ، ويدخلهم في حظيرة المتمسكين بالهدي
النبوي ؛ حتى يكونوا عدة قويمة قوية على الملحدين أعداء
الدين ؛ فإن ذلك على الله يسير .

قابلية الشباب للخير

نمرة جاهلية لجهجاه الغفاري و سنان الجهني :

(و) لما خرج عليه الصلاة والسلام لبني المصطلق ،
ولقيهم على ماء المريسيع ، وأسفرت الغزاة عن نصر
المسلمين . . (وردت واردة العرمرم) بفتح العين المهملة
والراءين ، بينهما ميم ساكنة ؛ أي : الجيش ، والواردة :
القوم يردون الماء (فـ) بينا هم على ذلك (افتن) واقتتل
(الوارد) أي : الواردون (في المزدحم) أي : موضع الزحام
على الماء ، وذلك أن أجيراً لعمر بن الخطاب من بني غفار
يقال له : جهجاه بن مسعود جاء يقود فرسه ، فازدحم مع
سنان بن وبرة الجهني فاقتتلا .

فَأَسْتَصْرَخَ الْأَنْصَارَ فَارِطٌ لَهُمْ لَطَمَهُ مَنْ نَالَهُ مَعْرُوفُهُمْ
وَأَسْتَصْرَخَ الْمُهَاجِرِينَ اللَّذْ كَسَرَ عَصَا النَّبِيِّ جَهْجَاهُ عَامِلٌ عُمَرُ

(فاستصرخ) واستغاث (الأنصار) مفعول لاستصرخ ،
مقدم على فاعله الذي هو (فَارِط) أي : مقدّم (لهم) أي :
للأنصار ، وهو الجُهَنِي ، فقال : يا معشر الأنصار ، وذلك أنّه
(لطمه) أي : ضربه بكفه مبسوطة (من) أي : الذي (ناله)
وأصابه (معروفهم) هو ضد المنكر ، وضميره للأنصار ،
وهذه الجملة من كلام عبد الله بن أبيّ رئيس المنافقين كقوله
وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم : (أوقد فعلوها !
قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ؛ ما أَعُدُّنا وجلايب^(١)
قريش هذه إلّا كما قال الأول : سَمَّنْ كلبك .. يأكلك) .

(واستصرخ المهاجرين اللذ) أي : الذي (كَسَرَ عَصَا
النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم بركبته ، وكانت في يد سيدنا عثمان
رضي الله تعالى عنه يخطب بها ؛ إذ كان أحد المعينين على
قتله ، وأبدل من الموصول قوله : (جَهْجَاهُ) بن مسعود بن
سعد بن حرام (عامل عمر) وأجيره فقال مستغيثاً :
يا للمهاجرين ، فلمّا سمعها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ..
قال : « دعوها ؛ فَإِنَّهَا مُتَنَتَةٌ » قال السهيلي في « الروض » :
(يعني : أنّها كلمة خبيثة ؛ لأنّها من دَعْوَى الجاهلية ، وجعل
الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ؛ فَإِنَّمَا ينبغي أن تكون
الدعوى : يا للمسلمين .

(١) الجلايب : الغرباء .

وَقَالَ فِيهَا ابْنُ أَبِي مُنْكَرًا وَعَاَهُ زَيْدٌ مُوقِنًا وَمَا أُمْتَرَى

الحكم الشرعي فيمن
دعا بدعوى الجاهلية
في الإسلام
فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية . . فيتوجه للفقهاء
فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أَنْ يُجْلَدَ من استجاب لها بالسلاح خمسين
سوطاً ، اقتداءً بأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جلده
النابعة الجعدي خمسين سوطاً حين سمع : يا لعامر ، فأقبل
يشتد بعصبة له .

والقول الثاني : أَنْ فيها الجلد دون العشرة ؛ لنهي عليه
الصَّلَاة والسَّلَام أَنْ يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد .

والقول الثالث : اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه
من الذريعة وإغلاق باب الشر : إمَّا بالوعيد ، وإمَّا بالسَّجْن ،
وإمَّا بالجلد .

فإن قيل : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعاقب الرجلين
حين دعوا بها . . قلنا : قد قال : « دعوها ؛ فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ » فقد
أَكَّدَ النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا النهي ، وبعد وصف
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها بالإنتان . . وجب أن يؤدب حتى
يشم نَتْنُهَا كما فعل أبو موسى بالجعدي ، فلا معنى لِتَنَّتِهَا إِلَّا
سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها) .

قول منكر لرأس المنافقين ، وما نزل فيه من القرآن :

(وقال فيها) أي : في الواردة عبد الله (بنُ أبي) رئيس
المنافقين قولاً (منكراً) وهو قوله - وقد غضب من مقالة

وَحَلَفَ الْفَاجِرُ مَا قَالَ الْمَقَالُ وَصَدَّقَتْهُ لِلْمَكَانَةِ رِجَالُ

المهاجري - : (أَوْقَدَ فعلوها ؟ قد نافرونا ، وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلايبَ قريش هذه إلا كما قال الأول : سَمَنْ كَلْبِكَ . . يَأْكُلُكَ ، أما والله ؛ لئن رجعنا إلى المدينة . . لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذْلَ) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ : (هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ ، أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أما والله ؛ لو أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ . . ، لتحولوا إلى غير داركم) .

إعلام زيد بن أرقم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمقال رأس المنافقين :

فعند ذلك (وعاه) أي : حفظه (زيد) هو ابن أرقم الخزرجي ، حال كونه (مُوقِنًا وَمَا امْتَرَى) أي : وما شك ، تأكيد في المعنى لما قبله ، فمشى زيد بذلك المقال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما فرغ من عدوّه ، فأخبره الخبرَ وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيّف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمّداً يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أَدِّنْ بِالرَّحِيلِ » وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

حلف رأس المنافقين بالله كذباً :

(و) قد مشى عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيدا قد بلغه ما سمع منه ، فـ (حلفَ الفاجرُ) بالله العظيم (ما قال المقال) ولا تكلم به

.....

(وَصَدَّقْتَهُ لِلْمَكَانَةِ) وَالْمَنْزِلَةِ - فَإِنَّهُ كَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفاً -
(رَجَالٌ) مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ
الْغَلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ .

قال ابن إسحاق : (فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَسَارَ . لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْخَضِيرِ ، فَحِيَاهُ بِتَحِيَةِ النَّبِوةِ ،
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؛ وَاللَّهِ ؛ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ
مَنْكَرَةٍ مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَمَّا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ » قَالَ : وَأَيُّ
صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ » قَالَ :
وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ . . أَخْرَجَ الْأَعْزُّ
مِنْهَا الْأَذْلَّ » قَالَ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تَخْرُجُهُ مِنْهَا إِنْ
شِئْتُ ، هُوَ وَاللَّهُ الذَّلِيلُ ، وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَفُقَ بِهِ ، فَوَاللَّهِ ؛ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ وَإِنَّ قَوْمَهُ
لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرْزَ لِيَتَوَجَّوه ؛ فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ اسْتَلَبْتَهُ مُلْكاً .

ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ
حَتَّى أَمْسَى ، وَلَيْلَتُهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَصَدَّرَ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى
أَذْتَهُمُ الشَّمْسُ ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ
الْأَرْضِ ، فَوَقَعُوا نِيَاماً ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، أَخْزَاهُ اللَّهُ وَأَذَلَّهُ) .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا
وَعَرَكَ النَّبِيُّ أَذُنَ الْوَاعِي زَيْدِ بْنِ أَرْقَمِ ذِي الْإِسْتِمَاعِ
أَنْ شَهِدَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِالْكَذِبِ الْمَحْضِ وَأُولَاهُ الْيَقِينُ

تصديق القرآن زيد بن أرقم :

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ : لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا) بألف الإِطلاق للوزن ، يعني : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى (سورة المنافقين) فيها تصديق لزيد بن أرقم : ﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ » وأشار له الناظم بقوله : (وَعَرَكَ) : ذَلِكَ (النَّبِيُّ) صلى الله عليه وسلم (أَذُنَ الْوَاعِي) أي : الحافظ ، وأبدل منه قوله : (زيد بن أرقم ذي) أي : صاحب (الاستماع) للخبر المذكور من رئيس المنافقين (أَنْ) أي : لأجل (أَنْ شَهِدَ اللَّهُ) تعالى (على المنافقين بالكذب المحض) أي : الخالص في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (وأولاه) أي : وأعطى الله تعالى زيد بن أرقم (اليقين) والتحقيق في نقل خبر ابن أبي .

قال البرهان الحلبي في « إنسان العيون » : (عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ، ويعرق جبينه الشريف ، وتثقل به راحلته ، فقلت : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُوحَى إِلَيْهِ ، ورجوت أن ينزل الله تصديقي ، فلمَّا سُرِّيَ عن رسول الله

.....

صلى الله عليه وسلم . . أخذ بأذني وأنا على راحلتي يرفعها إلى السماء ، حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول : « وَعَتَّ أَذُنُكَ يَا غَلَامَ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ ، وَكَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ » وفي رواية : « هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ » ونزل : ﴿ وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴾ فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه : (ذو الأذن الواعية) .

وسيدنا زيد المذكور أنصاري ، خزرجي ، قيل : أول مشاهده هذه الغزوة ، وشهد ما بعدها ، وشهد صفيناً - كسجّين - مع سيدنا علي رضي الله عنه ، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وستين .

أول مشاهد زيد بن أرقم رضي الله عنه ووفاته

وذكر الإمام النووي في « تهذيبه » : أنه استصغر يوم أُحُد ، وكان يتيماً في حجر ابن رواحة رضي الله عنه ، وسار معه في غزوة مؤتة .

طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولي قتل أبيه بنفسه :

ولما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . . أتى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بُدَّ فاعلاً . . فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا ، فوالله ؛ لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإنِّي أخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس . . فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث . . كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعتفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ؟ أمّا والله ؛ لو قتلته يوم قلت لي اقتله . . لأرعدت له أنفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » قال : قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أعظم بركة من أمري .

من أمارات النبوة
وعلاماتها

قال السهيلي : (وفي هذا العلم العظيم ، والبرهان المنير من أعلام النبوة ؛ فإنّ العرب كانت أشد خلق الله حميّة وتعصباً ، فبلغ الإيمان منهم ، ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ؛ تقريباً إلى الله وتزلفاً إلى رسوله ، مع أنّ رسول الله عليه الصلّة والسّلام أبعد الناس نسباً منهم ، وما تأخّر إسلام قومه وبني عمه وسبق إلى الإيمان به الأبعد . . إلّا لحكمة عظيمة ؛ إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به . . لقليل : قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلمّا بادر إليه الأبعد ، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم . . علم أنّ ذلك عن بصيرة صادقة ، ويقين قد تغلغل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة قد كانت سدكت في نفوسهم من أخلاق الجاهلية ، لا يستطيع إزالتها إلّا الذي فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء) .

عبد الله بن عبد الله بن
أبي ابن سلول

وأما عبد الله بن عبد الله : فكان من كُتَّاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان اسمه حُباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، رضي الله عنه .

وروى الدَّارَقُطْنِي مسنداً : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ على جماعة فيهم عبد الله بن أبي ، فسَلَّمَ عليهم ، ثمَّ ولى ، فقال عبد الله : لقد عتا ابن أبي كبشة في هذه البلاد ، فسمعها ابنه عبد الله ، فاستأذن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : « لا ، ولكن برَّ أباك » .

وسيدنا عبد الله هذا كان ممَّن شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد ، ذكره الحافظ في « الإصابة » وأنه استشهد باليمامة في قتال أهل الردَّة سنة اثنتي عشرة .

مدلولات موقف
عبد الله بن عبد الله بن
أبي ابن سلول رضي
الله عنه من أبيه رئيس
المنافقين

وفي قصته هذه ما يدل على عظيم إيمانه ، وقوة محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قيل : نزل فيه وفي أمثاله من الصحابة الأجلاء قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ الآية .

وفيها تمجيد وتعديل من الله تعالى لأولئك الصحب ، وثناء من قبله تعالى عليهم ، وأنَّ محبتهم له ولرسوله بلغت بهم ذلك المدى وتلك التضحية ، وأنه كتب الله في قلوبهم الإيمان ، وأنه أثبتهم وأيدهم ، وقواهم بروح منه هو النور ،

وَالْإِفْكَ فِي قُفُولِهِمْ وَنُقْلًا أَنَّ التَّيْمَمَ بِهَا قَدْ أَنْزَلَ

والإيمان ، والهدى ، ووعدهم الوعد الجميل بما لهم في الآخرة من الفضل الجزيل ، جمعنا الله بهم في مستقر رحمته بكرمه ومنه ، آمين .

حديث الإفك وتبرئة الله للسيدة عائشة الصديقة :

(والإفك) بكسر الهمزة ، وسكون الفاء في اللغة المشهورة ، وبفتحهما معاً ، هو الكذب ، ومراده أَنَّ قصة الإفك على أُمنا الصديقة ، المبرأة من رب البرية ، كان (في قفولهم) بضم القاف أي : رجوعهم من هذه الغزوة .

وحديث الإفك اتفق عليه الشيخان ، قال العلامة الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري في « البهجة » : (وألفاظهم فيه متقاربة ، وقد كفاناها أبو عبد الله الحُمَيْدِي في « الجمع بين الصحيحين » له ، فرواه عنهما من حديث الزُّهري عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر ، وسعيد بن المسيَّب ، وعلقمة بن وقاص اللَّيْثِي ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، من حديث عائشة زوج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله ممَّا قالوا .

قال الزُّهري : وكلهم حَدَّثَنِي طائفةً من حديثها ، وبعضهم كان أوعى له من بعض ، وأثبت له اقتصاصاً ، وقد وَعَيْت عن كل واحد منهم الحديث الذي حَدَّثَنِي عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً ، قالوا :

.....

قالت عائشة : كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ
سَفَرًا.. أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا.. خَرَجَ بِهَا
مَعَهُ .

قالت : فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا ، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ،
فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هُودْجِي
وَأُنْزَلُ فِيهِ ، فَسَرْنَا ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلْ ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ.. آذَنَ
لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقَمْتُ حِينَ آذَنَ بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ
الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي.. أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ ، فَلَمَسْتُ
صَدْرِي ، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَّارٍ^(١) قَدْ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ
فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي ، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ .

قالت : وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرَحِّلُونَ بِي ، فَاحْتَمَلُوا
هُودْجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أُرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ
أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خَفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ - وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ :
لَمْ يُهَيِّئْنَ - وَلَمْ يُغَشَّهِنَّ اللَّحْمَ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ^(٢) مِنَ
الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلُ الْهُودْجِ حِينَ رَفَعُوهُ - وَمِنْهُمْ مَنْ
قَالَ : خُفَةُ الْهُودْجِ - فَاحْتَمَلُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ،
فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، فَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ،
فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ ، وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ ، - وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فَجِئْتُ

(١) الجزع : الخرز ، وظفَّار مدينة باليمن قرب صنعاء .

(٢) ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

.....

منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب - فتيمنت منزلي الذي
كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ .

فبينما أنا جالسة غلبتني عيناى فنمت ، وكان صفوان بن
المعطل السلمي ، ثم الذكواني ، قد عرس من وراء الجيش ،
فأدّج^(١) ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني
فعرّفتني حين رأيته - وكان يراني قبل الحجاب - فاستيقظت
باسترجاعه^(٢) حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله
ما يكلمني بكلمة ، ولا أكلمه ، وما سمعت منه كلمة غير
استرجاعه ، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها ، فقمت
إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش
بعدهما نزلوا مُعرّسين - وفي رواية صالح بن كيسان وغيره :
مُوغرين في نحر الظهيرة - قالت : فهلك من هلك في شأني ،
وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول .

فقدما المدينة ، فاشتكت بها شهراً ، والناس يفيضون في
قول أصحاب الإفك ولا أشعر ، ويريني في وجعي أنني لا أرى
من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين
أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ، ثم يقول : « كيف تيكُم » ثم
ينصرف ، فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر ، حتى نقيت .

فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع ، وهو مُتبرّزنا ، وكنا

(١) أدّج - بتشديد الدال - : سار من آخر الليل ، وأدّج - بالتخفيف - : سار من أوله .

(٢) قوله : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

.....

لا نخرج إلا ليلاً ، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فأقبلت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأُمُّها بنت صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - حين فرغنا من شأننا نمشي ، ففُتِرْتُ أم مسطح في مِرطها ، فقالت : تَعِسَ مسطح ، فقلت لها : بئس ما قلت ، أَسَيِّئَ رجلاً شهد بدرًا ، فقالت : يا هُنْتَاه ، ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضي .

فلَمَّا رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسَلَّمَ ، وقال : « كَيْفَ تَيْكُم ؟ » فقلت : أتأذن لي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قالت : وأنا حينئذٍ أريد أن أَسْتِيقِنَ الخبر من قِبَلِهِمَا فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ ، فقلت لأُمِّي : يا أُمُّتَاه ؛ ماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت : يا بُنِيَّة ؛ هُوَني على نفسك الشَّانَ ، فوالله ؛ لَقَلَّما كانت امرأة قَطُّ وُضِيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر . . . إلا أكثرن عليها ، فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدَّثَ الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع^(١) ، ولا أكتحل بنوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب

(١) أي : لا ينقطع .

.....

وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ ؛ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ .

قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ . . فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ لَهُمْ ، فَقَالَ أُسَامَةُ : هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا نَعْلَمُ بِهِمْ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لِمَ يَضِيقُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَسَلَّ الْجَارِيَةُ تَصَدُّقُكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ ، فَقَالَ : « أَيُّ بَرِيرَةَ ؛ هَلْ رَأَيْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَرِيكَ ؟ » فَقَالَتْ لَهَا بَرِيرَةُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، إِنْ رَأَيْتَ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمَصَهُ^(١) عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنَنِ ، تَنَامُ عَنْ عَجِينَ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ .

قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ ابْنِ سَلُولٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ : « مَنْ يَعْذِرْنِي مِنْ رَجُلٍ^(٢) بَلَّغْنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَوَاللَّهِ ؛ مَا عَلِمْتُ فِي أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي » .

قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَقَالَ :

(١) أَيُّ : أَعْيِيهِ .

(٢) أَيُّ : مَنْ يَقُومُ بِعِذْرِي إِذَا كَافَأْتَهُ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِ .

.....
يا رسول الله ؛ أنا والله أعذرُك منه ، إن كان من الأوس . .
ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج . . أمرتنا ففعلنا فيه
أمرُك .

فقام سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج ، وكانت أم حَسَّان
بنت عمه من فخذِه ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته
الحمية - ومنهم من قال : اجتعلته الحمية - فقال لسعد بن
مُعاذ : كذبتَ لعمرُ الله ، لا تقتله ولا تقدر على ذلك .

فقام أُسَيد بن حُضَير ، وهو ابن عم سعد بن مُعاذ ، فقال
لسعد بن عُبادة : كذبت لعمر الله لنقتلَنَّه ، فإنَّك منافق تجادل
عن المنافقين ، فتبادر الحيَّان : الأوس والخزرج ، حتى همُّوا
أن يقتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ،
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حتى سكنوا
وسكتوا .

قالت : وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل
بنوم ، ثمَّ بكيت ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل
بنوم ، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوماً ، حتى أظن
أنَّ البكاء فالتَّوَّ كيدي .

قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت
امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما
نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسَلَّمَ ثمَّ
جلس ، قالت : ولم يجلس عندي من يومٍ قِيلَ لي ما قيل

قبلها ، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء ، فتشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمّا بعد يا عائشة :
فإنّه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن
كنت أَلَمْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا
اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله . . تاب الله عليه .

قالت : فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ،
قَلَصَ دمعي حتى ما أحسُّ قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ؛
ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت
لأُمِّي : أجيبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ،
قالت أُمِّي : والله ؛ ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قالت : وأنا جارية حديثة السنّ ، لا أقرأ كثيراً من
القرآن ، فقلت : إنّي والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدّث
الناس به ، حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به ، فلئن قلت :
إنّي بريئة - والله يعلم إنّي لبريئة - لا تصدّقوني بذلك ، ولئن
اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنّي منه بريئة - لتصدّقني ،
فوالله ؛ ما أجد لي ولكم مثلاً إلّا أبا يوسف إذ قال : ﴿ فَصَبْرٌ
جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : ثمّ تحولت فاضطجعت على فراشي ، وأنا والله
أعلم أنّي بريئة ، وأنّ الله مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن ما كنت أظن أنّ
الله ينزل في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من

.....

أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى - ومنهم من قال : فلأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم الله بالقرآن في أمري - ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يُبرئني الله بها ، فوالله ؛ ما رام^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان^(٢) من العرق في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه ، فسُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة ؛ احمدي الله - ومنهم من قال : أبشري يا عائشة ، أمّا الله فقد برأك - فقالت لي أمي : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي .

الآيات الكريمات في
براءة أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها

فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ

(١) رام يريم : فارق ، والمصدر الريم .

(٢) الجمان - بضم الجيم - مفردة جمانة ، وهي تعمل من الفضة كالدرة . اهـ « مختار »

عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ آيَاتٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ .

فلما أنزل الله هذا في براءتي . . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة ؛ لقربته منه وفقره - : والله ؛ لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعدما قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحبُّ أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه ، وقال : والله ؛ إني لا أنزعها منه أبداً^(١) .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال : « يا زينب ؛ ما علمت ؟ ما رأيت ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ أحمي سمعي ، والله ؛

(١) بل في « معجم الطبراني الكبير » و« النسائي » : (أنه أضعف له في النفقة التي كان يعطيه إياها قبل القذف) ذكره في « الحلبي » اهـ

.....

ما علمت عليها إلا خيراً ، قالت عائشة : وهي التي كانت
تساميني من أزواج النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله
بالوَرَع ، قالت : وَطَفِقْتُ أُخْتَهَا حَمْنَةَ تَجَاوِبُ لَهَا ، فَهَلَكْتَ
فِيْمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكَ .

قال ابن شهاب : فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء
الرهط (اهـ

عظم فوائد هذا الحديث :

وفي هذا الحديث العظيم فوائد كثيرة :

فيه - وهو المقصود الأعظم - : تبرئة منصب السيدة عائشة
رضي الله عنها ممَّا رماها به أهل الإفك ، قال الإمام النووي :
(وهي براءة قطعية بنص القرآن ، فلو تشكَّك فيها إنسان والعياذُ
بالله . . صار كافراً بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس رضي الله
عنهما : (لم تزن امرأة نبيٍّ قطَّ) ففيه مَنَقِبَةٌ ظاهرة لعائشة ،
وفضيلة لأبيها وأُمها .

وفيه : فضيلة لسعد بن مُعَاذ ، وأُسَيْد بن حُضَيْر ، وزَيْنَب
بنت جَحْش ، وَصَفْوَان بن المَعْطَل ، وأُم مِسْطَح بن أُنَاثَةَ .

وفيه : جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة ، عن كل
واحد منهم قطعة مبهمة ، إذا كان كل منهم بصفة العدالة .

وفيه : ثبوت القُرْعَةِ .

قال العلامة الحَلَبِي فِي « سِيرَتِهِ » : (قال السُّهَيْلِي : وكان

.....

نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة - أي : من الغزوة المذكورة - لسبع وثلاثين ليلة في قول بعض المفسرين ، فمن نسب إليها رضي الله عنها اقتراف الفاحشة كغلاة الرافضة .. كان كافراً ؛ لأنّ في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية ، ومكذبها كافر) .

دعاء الفرج :

وفي « روح المعاني » للعلامة الآلوسي : (أنه جاء في خبر غريب ذكره ابن النجار في « تاريخ بغداد » بسنده إلى أنس رضي الله عنه : كنت جالساً عند عائشة لأقرّ عينها بالبراءة وهي تبكي وتقول : هجرني القريب والبعيد حتى هجرني الهرة ، وما عرض عليّ طعام ولا شراب ، فكنت أرقد وأنا جائعة ظامئة ، فرأيت في منامي فتىً ، فقال : ما لك ؟ قلت : حزينة ممّا ذكر الناس ، فقال : ادعي بهذه يفرج الله عنك ، قلت : وما هي ؟ قال : قلّي : يا سابغ النعم ، ويا دافع النقم ، ويا فارج الغم ، ويا كاشف الظلم ، ويا أعدل من حكم ، ويا حسيب من ظلم ، ويا أوّل بلا بداية ، ويا آخر بلا نهاية ؛ اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً . قالت : فقلت ذلك ، فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله فرجى .

قلت : وهو حريٌّ أن يسمّى دعاء الفرج .

براءة أربعة بأربعة

قال بعضهم : برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهل زليخا ، وبرأ موسى عليه السلام من قول

اليهود فيه إِنَّ له أُدْرَة بالحجر الذي فَرَّ بثوبه ، وبراً مريم بإنطاق ولدها ، وبراً عائشة بهذه الآيات .

لطيفة ذكرها الصَّلاح الصَّفدي قال :

رأيت بخط ابن خَلْكان أَنَّ مسلماً ناظر نصرانياً ، فقال له النصرانيّ في خِلال كلامه ، محتقناً في خطابه بقبیح آثامه : يا مسلم ؛ كيف كان وجه زوجة نبيكم معتذرة بضياع عِقدِها ؟ فقال له المسلم : يا نصراني ؛ كان وجهها كوجه بنتِ عمران لَمَّا أتت بعيسى تحملُه من غير زوج ، فمهما اعتقدت في دينك من براءة مريم . . اعتقدنا مثله في ديننا من براءة زوج نبينا صلى الله عليه وسلم ، فانقطع النصرانيّ ولم يُحِرْ جواباً (اهـ ، وهو جواب مفحّم مُسَكّت ، فللّه دره من مؤمن محب صادق ، أنطقه الله بالصواب على هذا الأسلوب الذي دَحَرَ به ذلك النصرانيّ الأثيم ، والسيدتان كل منهما مطهّرتان بريّتان مبرّأتان ، رضي الله عنهما وأرضاهما ، آمين .

مناظرة مسلم نصرانياً

مفاخر عائشة وفضائلها :

واعلم : أَنَّ للسيدة عائشة رضي الله عنها مفاخر لا يشاركها فيها أحد من الأزواج الطاهرات ، وكانت هي تفتخر بها ، وحقّ لها ذلك .

فمنها : أَنَّها خلقت طيبة ، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً ؛ لقوله تعالى فيها : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

.....

ومنها : أنَّ جبريل عليه السَّلام أتى بصورتها في سُرْقَة حرير
- أي : قطعة من جيد الحرير - وقال : هُذه زوجتك ،
ويروى : أنَّه أتى بصورتها في راحته .

ومنها : أنَّه قال عليه الصَّلَاة والسَّلام في مرض موته :
ليهوَّن عليَّ أنِّي رأيت بياض كف عائشة في الجنة ، وهو مروي
عن الإمام أحمد ، نقله عنه ابن كثير في « البداية » .

ومنها : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بِكُراً
غيرها .

ومنها : أنَّه قُبِض صلى الله عليه وسلم في حجرها ، وفي
يومها ، ودُفِن في بيتها .

ومنها : أنَّه كان ينزل الوحي عليه ، وهي معه في
اللَّحاف ، ونزلت براءتها من السماء ، وأَنَّها ابنة الصَّدِيق خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي « القُرْطُبي » : (قال بعض أهل التحقيق : إنَّ يوسف
عليه السَّلام لَمَّا رُمِيَ بالفاحشة . . برَّأه الله على لسان صبيٍّ في
المهد^(١) ، وإنَّ مريم لَمَّا رُميت بالفحشاء . . برَّأها الله على
لسان ولدها عيسى عليهما السَّلام ، وإنَّ عائشة لَمَّا رُميت
بالفحشاء . . برَّأها الله بالقول ، فما رضي لها براءة صبيٍّ

(١) هو الذي أشارت له آية : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ إلخ ، قال الحافظ السيوطي : ابن عمها ، روي أنَّه كان في المهد ، قال : ﴿ إِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ ﴾ إلى آخر الآية .

ولا نبيّ ، حتى برّأها الله بكلامه من القذف والبُهتان) .

نزول آية التيمم :

(وَنُقِلَا^(١) أَنَّ التيمم) أي : آيته (بها) أي : في هذه الغزوة (قد أنزلا) في (المائدة) وهي قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ الآية .

الأحكام التي شرعت
في هذه الغزوة

وقيل : هي الآية التي في (النساء) لأنّ آية (المائدة) تسمّى آية الوضوء ، وآية (النساء) لا ذكر للوضوء فيها ، فيتّجه تسميتها بآية التيمم .

قال الحافظ : (وخفيّ على الجميع ما ظهر للبخاري : أنّها آية « المائدة » بلا تردّد ؛ وذلك لما فقدت السيدة عائشة رضي الله عنها عقدها أيضاً ، فاحتبسوا على طلبه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين في طلبه ، أحدهما أسيد بن حضير أحد النقباء ، فحضرت صلاة الصبح ، وكانوا على غير ماء ، فجاء الناس إلى أبي بكر ، وشكّوا إليه ما نزل بهم ، فجاء إليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه الشريف على فخذهما قد نام ، فقال لها : حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فجعل يطعن بيده في خاصرتهما ، ويقول : يا بنية ؛ في كل سَفرة تكونين عناءً وبلاءً ، وليس مع الناس ماء ، قالت :

(١) الألف للإطلاق .

.....
فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فخذي ، فأنزل الله آية التيمم .

قال أسيد بن حضير - وهو أحد النقباء - : ما هي بأول
بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها : فبعثنا
البعير الذي كنت أركب عليه ، فوجدنا العقد تحته .

قال ابن برهان الحلبي في « سيرته » - وقد ذكر نحو
ما ذكره الناظم من مشروعية التيمم في هذه الغزوة - : (وهذا
القول نقله إمامنا الشافعي رضي الله عنه عن عدة من أهل
المغازي ؛ أي : وعليه يكون سقط عقدها في تلك الغزوة
مرتين ؛ لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما .

والصحيح : أن ذلك في غزوة أخرى ؛ أي : متأخرة عن
هذه الغزوة) اهـ

النهي عن العزل عن النساء :

وفي هذه الغزوة نهى عليه الصلاة والسلام عن العزل ،
وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : أصبنا
سبياً ، فكنا نعزل ، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : « وإنكم لتفعلون ؟ - قالها ثلاثاً - ما من نسمة كائنة إلى
يوم القيامة إلا وهي كائنة » .

وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد قال : خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فأصبنا
سبياً من سبي العرب ، فاشتبهنا النساء ، واشتدَّت علينا

ثُمَّ الْحُدَيْبِيَّةُ سَاقَ الْبُذْنَا مُعْتَمِرًا وَمَا بِحَرْبٍ اُعْتَصَى

العزوبة ، وأحببنا العزل ، فأردنا أن نعزل ، فقلنا : نعزل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ؟!
فسألنا عن ذلك ، فقال : « ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من
نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة » .

تنبيه :

إذا قلنا بجواز العزل بشرطه . . فلا ينافي أن التسبب
لإسقاط النطفة بعد وصولها إلى الرحم غير جائز مطلقاً ؛
لوضوح الفرق بينهما ؛ فإنَّ المني حال نزوله محض جماد لم
يتهيأ للحياة بخلافه بعد استقراره في الرحم وأخذه في مبادي
التخلق ، أمّا استعمال ما يقطع الحبل من أصله . . فحرام ؛
لمصادمته الشريعة الغراء التي تقول : « تناكحوا تناسلوا . . . »
إلخ ، فليعلم .

حكم التسبب لإسقاط
النطفة



(٢٣) غزوة الحديبية

(ثُمَّ) بعد غزوة المُرَيْسِع وإقامته صلى الله عليه وسلم
بالمدينة رمضان ، وشَوَّالاً (الْحُدَيْبِيَّة) - بضم الحاء ، وفتح
الดาล المهملتين ، وسكون التحتية ، وكسر الموحدة ،
وتخفيف الياء الثانية ، وقد تشدَّد : بئر بقرم مكة ، على تسعة
أميال منها ، سُمِّي المكان باسمها - خرج صلى الله عليه وسلم
يوم الإثنين لَهلال ذي القَعْدَة ، كما عند ابن سعد ، سنة ست

موقع الحديبية

تاريخها

.....
بلا خلاف كما قال في « البداية » و (ساق البُذْنا) بإسكان الدال
وبضمها على اللغتين المشار إليهما في قول بعضهم :

وكلُّ فعلٍ بسكون العين

كالْيُسْرِ والعُسْرِ ونحوِ الأذُنِ

فَصَمُّ عَيْنِهِ يُرَى اتِّبَاعًا

لِفَائِهِ عَنِ أَسَدٍ قَدْ شَاعَا

وَفُعْلٌ كَعُنُقٍ وَطُنْبٍ

تسكينه إلى تميمٍ أنسب

وهو جمع بَدَنَةٍ : ما يُهْدَى إلى البيت الحرام من إبل
ويقر . وكانت سبعين بَدَنَةٍ فيها جمل أبي جهل الذي غَنِمَهُ
الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما سيأتي .

سبب الخروج للحديبية :

وسبب خروجه : أَنَّهُ رَأَى صلى الله عليه وسلم في منامه ،
أَنَّهُ دخل البيت هو وأصحابه آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ رؤوسهم
ومَقْصَرِينَ ، فخرج من المدينة المنورة يسوق البُذْنَ (مُعْتَمِرًا)
وزائراً للبيت الحرام ومعظماً له ، لا يريد قتالاً ، كما قال :
(وما بحزبٍ اعتنى) أي : وما قصد بذلك الخروج حرباً .

استخلاف نميلة بن
عبد الله الليثي

وحين خروجه صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة
المنورة نُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثي ، وعلى الصَّلَاة ابن أُم مكتوم .

وَمِنْ سِوَى الْمُخْلَفِينَ اسْتَنْفَرَا عَرْمَرَمًا وَصَدَّ عَنْ أُمِّ الْقُرَى

استنفاره العرب للخروج معه إلى مكة :

(وَمِنْ سِوَى) بكسر السين وبضمها مضاف إلى قوله (الْمُخْلَفِينَ) وهم : جُهينة ومُرَينة ، ومن كان حَوْلَ المدينة من الأعراب ، تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَرَغِبُوا بأنفسهم عن نفسه ، وهو متعلقُ بقوله : (استنفرا) أي : إِنَّهُ صلى الله عليه وسلم استنفر من غير المخلفين جيشاً (عَرْمَرَمًا) أي : كثيراً عدده أربع عشرة مئة ، أو خمس عشرة مئة .

المخلفون

عدد أفراد الجيش

قال ابن إسحاق : (واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يَعْرِضُوا له بحرب ، أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ؛ ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إِنَّمَا خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له) وخرجت معه أم سلمة من نسائه .

أَمَّا الْمُخْلَفُونَ . . فَإِنَّهُمْ لَمَّا تَاقَلَوْا فِي الْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . قَالُوا : أَتَذْهَبُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ غَزَوْهُ فِي عُمْرِ دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ ، فَنَقَاتَلَهُمْ ؟ وَاعْتَلُّوا بِالشَّغْلِ بِأَهَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبَهُمْ فِي اعْتِذَارِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَقُولُونَ بِاللَّسَنِ تَكْذِيبُهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ ﴾ .

تكذيب الله المخلفين

فيما اعتذروا به

.....

خبر بسر بن سفيان الخزاعي عن قريش وصدهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكة :

ولمّا خرج وقد أحرم بالعمرة من ذي الحليفة - كما في الصحيح من رواية الزُّهري - سار ، حتى إذا كان بعُسفان . . لقيه بُسر بن سفيان الخزاعي - وكان بعثه عيناً - فقال : يا رسول الله ؛ هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُودُ المَطافيل^(١) قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذِي طُوًى ، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً عَنوةً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدّموها إلى كُرَاع الغَميم^(٢) .

وقال ابن سعد : (قدّموا مئتي فارس عليها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ويح قريش ، لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ؟ ! فإن هم أصابوني . . كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم . . دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا . . قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ ! فوالله ؛ لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة »)^(٣) .

(١) جمع عائد ، وهي : الناقة حديثة النتاج ، والمطافيل : الأمّهات التي معها أطفالها ، يريد أنّهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزوّدوا ألبانها ، ولا يرجعوا حتى ينامجوا محمّداً وأصحابه في زعمهم . اهـ سهيلي

(٢) موضع بين مكة والمدينة أمام عسفان بثمانية أميال وعسفان من مكة على مرحلتين .

(٣) السالفة : صفحة العنق وهو كناية عن الموت .

وَمَا أَتْنِي بِالْجَيْشِ حَتَّى أَفْعُنْسَسْتُ عَنْ مَكَّةِ نَاقَتُهُ إِذْ حُبِسَتْ

وهذا الذي أشار له الناظم بقوله : (وَصَدَّ عَنْ أُمِّ الْقُرَى)
أي : منعه لذلك كفار قريش عن دخول مكة المشرفة .

ولما كان قوله : (وَصَدَّ . . .) إلخ يشعر بأنه عليه الصَّلَاة
والسَّلَام لَمَّا صُدَّ رجع في الحال إلى المدينة . . دفع هذا بقوله :
(وما أتني) أي : ما انعطف عليه الصَّلَاة والسَّلَام راجعاً
(بالجيش) الذي خرج معه ، بل ظلَّ سائراً ، وقال : « مَنْ
رجلٌ يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » (حتى
افْعُنْسَسْتُ) رجعت (عن) دخول (مكة ناقته) العَضْبَاءُ ،
ويقال لها : الجدعاء ، والقصواء^(١) (إذ حبست) بالبناء
للمجهول : أي : لأنَّ الله تعالى حبسها عن ذلك .

(١) من القصو وهو : قطع طرف الأذن ، ولم تكن ناقته عليه الصَّلَاة والسَّلَام بذلك ، وإنما هي
ألقاب على المشهور ، قال في « روض النهاية » : (وهي التي أخذها من أبي بكر رضي الله
عنه بمكة ، فهاجر عليها ، وكان أبي عن أخذها إلا بالثمن ، وهي إذا ذاك رباعية ، وكانت
صهباء ، قيل : إنها من جمال بني قشير ، فلَمَّا دخل صلى الله عليه وسلم المدينة . . أراد كل
من قبائل الأنصار النزول عليه ، ويقول : « دعوها ؛ فإنها مأمورة ، حتى بلغت موضع إرادته
تعالى ، فبركت قريباً من مكانها الأول ، وألقت جرانها بالأرض ، وأرزمت ، فنزل
عنها صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ لم تزل عنده ، ولا يحمله حين ينزل الوحي عليه غيرها
- وربما بركت من ثقل الوحي - إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم ، فامتنعت من الأكل
والشرب حزناً عليه إلى أن مات .

وذكر القاضي في « الشفاء » : (أنها كانت تكلمه ، وأنَّ العشب يأتيها يباردها في المرعى ،
وتجنبها الوحوش فيه ، وتناديها : إِنَّكَ لِمَحَمَّدٍ) وأشار إلى ذلك في « قرة الأبصار » بقوله :
ثُمَّ حَمَارِ اسْمِهِ يَعْفُورُ والناقة القصوا فقط مأثور
وهي التي امتطى بلا امتراء نبينا في الهجرة الغراء =

تَجَبُّبُ الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَ قَرِيْشٍ :

قال ابن إسحاق عند قوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « من رجل يَخْرُج بنا على طريق غير طريقهم ؟ » : (فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر : أنَّ رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وَغَرّاً أَجْرَل - كثير الحجارة - بين شعاب^(١) ، فلمَّا خرجوا منه وقد شقَّ ذلك على المسلمين ، وأفضُّوا إلى أرض سَهْلَةٍ عند منقَطَعِ الوادي . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : « قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » فقالوا ذلك ، فقال : « والله ؛ إِنَّهَا لِلْحِطَّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها » .

سلوك طريق وعر

استغفار المسلمين
وتوبتهم

قال ابن شهاب : (فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الحَمْض »

= وكان لا يحملـه إن نـزلا عليه وحي غيرها ونقلـا
أن اسمها الجـدعاء والعـضباء فقد ترادفت لها الأسماء
قال شارحها الشيخ أحمد المأمون اليعقوبي : (وفي « ذخائر العقبى » : « تبعث الأنبياء على الدواب ، ويحشر صالح على ناقته العـضباء ، ويحشر أبناء فاطمة على ناقته العـضباء ، وأحشر أنا على البراق ، ويحشر بلال على ناقه من نوق الجنة » أخرجه الحافظ السلمي ، ولا معنى لقول الناظم : « فقط » لأنه يوهـم أن ليس له من الإبل إلاَّ القـصواء ، مع أنه ذكر بعد أن له عشرين لقحة) اهـ

(١) قلت : لعلَّ الطريق الوعر الأجرل الذي سلكه نبينا عليه الصَّلَاة والسَّلَام بهم ، هو الطريق المشهور بالغائر الذي كانت تسلكه القافلة بالزوار على الجمال ، وقد سلكناه بفضل الله تعالى عام زيارتنا لسيد الوجود في الذهاب والإياب سنة (١٣٢٩هـ) لا أحرمانا الله من زيارته مرات وكرات ، آمين .

فَاسْتَنْزَلَ النَّاسَ وَلَا مَاءَ لَهُمْ فَاسْتَنْبَطُوا بِالسَّهْمِ مَا أَعْلَهُمْ

بفتح الحاء المهملة ، وإسكان الميم ، وبالضاد المعجمة : اسم موضع ، في طريق تخرجه على ثنية المَرَار - بكسر الميم ، وتخفيف الراء : طريق في الجبل ، يشرف على الحديبية - مهبطَ الحُدَيْبِيَّة من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق : فلمَّا رأت قريش قَتْرَةَ الجيش - غباره - قد خالفوا عن طريقهم . . رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المَرَار . . بَرَكْتَ ناقته ، فقال الناس : خَلَّاتِ الناقة - أي : حَرَنْتِ وبركت بلا علة - فقال صلى الله عليه وسلم : « ما خلَّاتِ ، وما هو لها بخُلُقٍ . ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تَدْعُونِي قريش اليوم إلى خُطَّة - خَصْلَةٍ - يسألونني فيها صلة الرحم . . إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا » .

تراجع قريش خوفاً من المسلمين

خبر الناقة وسبب إحجامها

ثمَّ قال للناس : « انزلوا » قالوا له : يا رسول الله ؛ ما بالوادي ماء نَنَزَلَ عليه ، فأخرج سهماً من كِنَانته - جعبته التي فيها النبل - فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قلب من تلك القُلُب فغرز في جوفه ، فجاش بالِرَّوَاء - فار بالريّ ، كما في رواية - حتى ضرب الناس بَعَطَن - مبرك الإبل حول الماء - وهذا ما أشار له الناظم بقوله :

من معجزاته صلى الله عليه وسلم فيضان الماء

(فاستنزل الناس ولا ماء لهم) أي : فطلب من أصحابه النزول ، وأمرهم به في مكان ، والحال أنه لا ماء لهم به غير الماء القليل المعبر عنه بالثَّمَد الذي نزحوه فلم يُبْقُوا منه شيئاً

.....

ناجية بن جندب
الأسلمي سائق بدن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

(ف) لذلك (استنبطوا) أي : استخرجوا (بالسهم) الذي
انتزعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنانته وأعطاه
لناجية بن جندب الأسلمي ، وهو الذي سلك بهم الطريق ،
وسماه صلى الله عليه وسلم : ناجية ، لما نجا من قريش ،
وكان قبلُ يسمى ذكوان ، وهو أيضاً سائق بُدْن رسول الله
صلى الله عليه وسلم (ما) أي : الماء الكثير الذي (أعلَّهم)
أي : سقاهم به ، والعلل : الشربة الثانية بعد الشربة الأولى ،
خلاف النَّهْل ؛ فَإِنَّهُ الشربة الأولى .

موقف النَّبِيِّ صلى الله
عليه وسلم من كفار
قريش

روى الإمام البخاري في « صحيحه » من حديث
المُسُور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم الطويل ، يُصَدِّقُ كل
منهما حديث صاحبه : (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ - أي :
لكفار قريش الذين يريدون صَدَّه عن البيت - : « لَا يَسْأَلُونِي
خُطَّةَ يَعْظُمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ .. إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا » ثُمَّ
زَجَرَهَا - أي : راحلته التي بركت - فوثبت ، فعدل عنهم ،
حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ ^(١) يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ
تَبَرُّضاً ^(٢) ، فلم يُلبِثْهُ النَّاسُ حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطشُ ، فانتزع سهماً من كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ
أمرهم أَنْ يجعلوه فيه ، فوالله ؛ ما زال يجيش بالرَّيِّ حتى
صدروا عنه) اهـ

(١) حفرة فيها ماء قليل .

(٢) يأخذونه قليلاً قليلاً .

.....

ما في هذه القصة من الحكم والفوائد :

وفي هذه القصة معجزة ظاهرة ، وآية باهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير الماء .

وفيها : بركة سلاحه صلى الله عليه وسلم ، وما ينسب إليه .

قال في « شرح المواهب » : (وجواز التشبيه^(١) من الجهة العامة وإن اختلفت الجهة الخاصة ؛ لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض ، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض ، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرّم مطلقاً ، أمّا من أهل الباطل . . فواضح ، وأمّا من أهل الحق . . فللمعنى المتقدم ، وهو أنّ الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدّتهم قريش . . لوقع بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، كما لو قدّر دخول الفيل ، لكن سبق في علم الله أنّه سيدخل في الإسلام خلق منهم ، ويُستخرج من أصلابهم ناس يُسلمون ويجاهدون .

وفيها : ضَرْبُ المثل ، واعتبار من بقي بمن مضى .

واستدلّ بعضهم بهذه القصة لمن قال من الصوفية : علامة الإِذن التيسير وعكسه .

قال ابن بطّال وغيره : (وفيه جواز الاستتار عن طلائع

(١) أي : بقصة الفيل .

وَعَلَّاهُمْ أَيْضاً بِهَٰذِي الْغَزْوَةِ مَا كَانَ عَنْ صُبَابَةٍ فِي رَكْوَةٍ

المشركين ، ومفاجأتهم بالجيش ؛ طلباً لِعِزَّتِهِمْ ، والسفر وحده للحاجة ، والتنكب عن الطريق السهل إلى الوعر للمصلحة ، والحكم على الشيء بما عُرف من عاداته ، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره ، وإذا وقع من شخص هفوة لا يُعهد منه مثلها لا يُنسب إليها ، ويردّ على من نسبها إليها ، ومعدرة من نسبها إليها ممّن لا يعرف صورة حاله ؛ لأنّ خلاء القَصْواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحاً ، ولم يعاتبهم صلى الله عليه وسلم على ذلك لعذرهم ، والتصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا سبق عنه ما يدل على الرضا بذلك ؛ لأنّهم زجروها بغير إذن ولم يعاتبهم (اهـ من « الفتح »)



ثمّ أراد الناظم رحمه الله تعالى أن يذكر ما جرى في هذه الغزوة من المعجزات من هذا النوع ، ومعجزاته صلى الله عليه وسلم تزيد على رمل عالج ، فقال تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ، وأجزل عليه من رضوانه ومثوبته .

معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم بفوران الماء من بين أصابعه :
(وَعَلَّاهُمْ) أي : سقاهم النّبِيّ صلوات الله وسلامه عليه كثيراً (أَيْضاً بِهَذِهِ الْغَزْوَةِ مَا) أي : الماء الكثير الذي (كَانَ عَنْ صُبَابَةٍ) بضم الصاد : بقية الماء (فِي رَكْوَةٍ) بتثنية الراء المهلمة ، وهي : إناء صغير للماء من جلد كالإبريق .

وَجَمَعُوا لَهُ بَقَايَا الزَّادِ فَخَوَّلُوا مِنْهَا سَوَى الْمُعْتَادِ

وأشار بهذا البيت إلى ما في الصحيح من حديث سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : (عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، وَقَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيُونِ ، فَشَرَبْنَا وَتَوَضَّأْنَا ، فَقُلْتُ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ . . لَكُنَّا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً) .

قلت : وهذه المعجزة كما لا يخفى أعظم من معجزة سيدنا موسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام إذ نبع له الماء من الحجر ؛ لأنه معتاد ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْنَاٰنَهُرٌ ﴾ الآية ، وأما خروجه من لحم ودم . . فلم يعهد قال الشاعر :

مقارنة بين معجزة نبي
الله موسى عليه الصَّلَاة
والسَّلَام ونبينا محمَّد
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إن كان موسى سقى الأسباط من حَجَرٍ
فإن في الكَفِّ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْحَجَرِ
معجزة أخرى بتكثير الطعام القليل :

(وجمعوا) أي : الصحب الكرام وسادة الأنام (له)
أي : لرسول الملك العلام (بقايا الزاد فخوَّلوا) بصيغة
الماضي المجهول ؛ أي : أعطوا (منها) أي : من هذه الآية
(سَوَى الْمُعْتَادِ) ، وذلك أنه لما رجع عليه الصَّلَاة والسَّلَام من
الحديبية ، قال بعض الصحابة : يا رسول الله ؛ قد أجهدنا وفي

.....

الناس ظَهَر ، فأنحره لتأكل من لحومه ، ونذَّهْن من شحومه ، ونحتدي من جلوده ، فقال عمر : لا تفعل يا رسول الله ؛ فإنَّ الناس لم يكن فيهم ظَهَر أمثل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابسطوا نِطاعكم وأعباءكم » ففعلوا ، ثمَّ قال : « من كان عنده بقية من زاد أو طعام . . فليَنشُرْهُ » ودعا لهم ، فقال : « قربوا أَوْعيتكم » فأخذ ما شاء الله ، ثمَّ قال : « فهل من وَضوء ؟ » فجاء رجل بإداوة فيها نطفة من ماء ، فأفرغها في قَدَح ، فتوضَّؤوا كلهم .

هكذا ذكر هذه القصة في « روض النُّهاة » ووقع مثلها في غزوة تبُوك .

وذكر ابن كثير في « تاريخه » في موضع تكثير الطعام في السفر عن الحافظ أبي بكر البرَّار بسنده إلى حُنيَس الغِفاريّ : أنَّه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تِهامة ، حتى إذا كنا بعُسفان . . جاءه أصحابه فقالوا : يا رسول الله ؛ جَهَدْنَا الجوع ، فأَذِنَ لنا في الظَّهر أن نأكله ، قال : « نعم » فأخبر بذلك عمر بن الخطاب ، فجاء رسول الله ، فقال : يا نبي الله : ما صنعت ؟ أمرتَ الناس أن ينحروا الظهر ، فعلامَ يركبون ؟ قال : « فما ترى يا بن الخطاب ؟ » قال : أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم ، فتجمعه في ثوب ، ثمَّ تدعو لهم ، فأمرهم ، فجمعوا فضل أزوادهم في ثوب ، ثمَّ دعا لهم ، ثمَّ قال : « ائتوا بأوعيتكم » فملاً كل إنسان وعاءه ، ثمَّ أَذِنَ بالرحيل ، فلما جاوز . . مُطِرُوا ، فنزل ونزلوا معه ،

وَكَمْ قَلِيلٍ غَيْرِ ذَاكَ كُثْرًا وَكَمْ قَلِيلٍ بِالْمَعِينِ فُجْرًا
وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ إِذْ قِيلَ قَدْ عَدُوا عَلَى عُثْمَانَ

وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثة نفر ، فجلس اثنان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب الآخر معرضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم عن النَّفَرِ الثلاثة ؟ أمّا واحد : فاستحى من الله ، فاستحى الله منه ، وأمّا الآخر : فأقبل تائباً ، فتاب الله عليه ، وأمّا الآخر : فأعرض ، فأعرض الله عنه » .

قلت : فالذي يظهر أنَّ المراد بهذه الغزوة هي الحديبية ؛ لأنها التي مُطِّروا فيها ، وقوله : (حتى إذا كنا بعُسْفَانَ) مُشعر برجعهم من الحديبية ، فيوافق ما ذكره صاحب « الروض » والله أعلم .

(وكم) : هي للتكثير ، فمدخولها مجرور (قليل غير ذاك) أي : كثيرٌ من الماء القليل سوى ما تقدم لك (كُثْرًا) ببركته صلى الله عليه وسلم ، وبوضع يده الشريفة فيه (وكم قليل) وهو : البئر (بالمعين) بفتح الميم ؛ أي : بالماء الكثير الجاري ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (فُجْرًا) أي : أسيل ، حتى قال الإمام النووي : (إِنَّ تكثير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم أحاديثه بلغت مبلغ التواتر) .

* * *

بيعة الرضوان تحت الشجرة وسببها :

(وبايعوه) أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيعة الرضوان) التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في قوله : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ

وعد من شهد بدرأ
والحديبية بالجنة

أَلَلَهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٠﴾ وأعرب النبي صلى الله عليه
وسلم عن فضلها بقوله : « لا يدخل النار من شهد بدرأ
والحديبية » رواه مسلم عن جابر ، وقوله صلى الله عليه وسلم
كما في « البخاري » عن جابر - رضي الله عنه - خطاباً لأهل بيعة
الرضوان : « أنتم خير أهل الأرض » .

وعند أحمد بإسناد حسن : عن أبي سعيد رضي الله عنه
قال : لما كان بالحديبية . . قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا توقدوا ناراً لبيل » فلمَّا كان بعد ذلك . . قال : « أوقدوا
واصطنعوا ؛ فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » .

مبايعة سلمة بن
الأكوع وسببها

وبايع سلمة بن الأكوع يومئذٍ ثلاث مرات : في أول
الناس ، وفي وسطهم ، وفي آخرهم ، وأشار الناظم إلى سبب
هذه المبايعة بقوله :

(إذ قيل : قد عدّوا) بفتح الدال ، من عدا عليه يعدو
بمعنى : تعدى وظلم (على عثمان) بن عفان رضي الله عنه لما
بعثه النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى قريش بمكة ليلبغهم
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه ما جاء إلا زائراً
للبيت معتمراً معظماً لحرماته ، وكان عليه الصلاة والسلام قبل
ذلك أراد أن يبعث عمر إليهم ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ إنني
أخاف قريشاً على نفسي ، وما أحد بمكة من بني عدي بن كعب
يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ،

عثمان بن عفان رضي
الله عنه رسول النبي
صلَّى الله عليه وسلم
إلى قريش

ولكن أدلك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه إليهم بتلك الرسالة ،
وخرج ، حتى إذا قارب مكة . . لقيه أبان بن سعيد بن
العاصي بن أمية الأموي ، فحمله بين يديه وأجاره ، وهو الذي
يقول :

أقبل وأدبر ولا تخف أحداً

بنو سعيد أعزة الحرم

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم
رسالته صلى الله عليه وسلم ، وقرأ عليهم كتابه صلى الله عليه
وسلم واحداً واحداً ، فما أجابوا ، وعزموا على ألا يدخلها هذا
العام ، وقالوا لعثمان لما فرغ من تبليغ الرسالة : إن شئت أن
تطوف بالبيت . . فطف ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عرض كفار قريش
على عثمان رضي الله
عنه الطواف بالبيت

واحتسب قريش عثمان عندها أياماً ثلاثة ، فبلغه صلى الله
عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان قتل ، فقال صلى الله عليه
وسلم : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا الناس إلى البيعة ،
فبايعوه تحت الشجرة - التي كان عليه السلام يستظل بها - على
الموت ، وقال جابر : على أن لا يفروا^(١) ، ولم يتخلف عن

(١) هو في « صحيح مسلم » وفيه أيضاً من رواية سلمة : أنهم بايعوه على الموت ، قال النووي
في « شرح مسلم » : (وفي رواية مجاشع بن مسعود : البيعة على الهجرة ، والبيعة على
الإسلام) وفي حديث ابن عمر وعبادة : (بايعناه على السمع والطاعة ، وأن لا ننازع الأمر =

.....

هذه المبايعة المباركة أحد ممّن حضر إلّا الجَدّ بن قيس ، وكان جابر بن عبد الله يقول : « والله ؛ لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة قد ضبأ إليها - لصق بها - يستتر بها عن الناس » .

مبايعة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلّم لعثمان
رضي الله عنه مكافأة
له

قال ابن هشام : (وحَدَّثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن ابن أبي مُليكة عن ابن عمر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأُخرى) قال في « البداية والنهاية » : (وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت في « الصحيحين ») .

قلت : وهذه المبايعة منه عليه الصَّلَاة والسَّلَام لعثمان رضي الله عنه كانت جزاءً وفاقاً لما امتنع أن يطوف بالبيت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أدباً وإجلالاً ، أشار إلى ذلك شرف الدين أبو عبد الله في « أم القرى »^(١) رضي الله عنه بقوله :

خصال عثمان رضي
الله عنه وفضائله

وابن عَفَّانَ ذي الأيادي التي طأ
ل إلى المصطفى بها الإسداء

= أهله (وفي رواية عن عمر في « صحيح مسلم » : (البيعة على الصبر) قال العلماء : هذه الرواية تجمع المعاني كلها ، وتبين مقصود كل الروايات ، فالبيعة على أن لا نفر معناه : الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل ، وهو معنى البيعة على الموت ؛ أي : نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت ، لا أنّ الموت مقصود في نفسه ، وكذا البيعة على الجهاد ؛ أي : والصبر فيه ، والله أعلم .

(١) يعني البوصيري في « همزيته » المسماة بأم القرى .

وَعَقَرُوا جَمْلَهُ الثَّغْلَبَ إِذْ أَرْسَلَهُ تَحْتَ الْخُزَاعِيِّ الْمُنْغِذِ

حفر البئر ، جهز الجيش ، أهدى آل
هذلي لما أن صدّه الأعداء
وأبى أن يطوف بالبيت إذ لم
يذُنْ منه إلى النبيّ فناءً
فجزته عنها بيعة رضوا
ن يذُ من نييه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الأع
مال بالترك حبّذا الأدباء

وأوّل من بايع بيعة الرضوان : سنان بن أبي سنان
الأسديّ ، لا أبو سنان بن محصن الذي هو أخو عكاشة بن
مُحْصَن رضي الله عنه ؛ وذلك لأنّ أبا سنان رضي الله عنه مات
في حصار بني قريظة قبل اليوم كما ذكره في « الحَلَبِيَّة »
و« روض النُّهاة » .

سنان بن أبي سنان
أول المبايعين

ولمّا سمع المشركون بهذه البيعة المباركة . . خافوا وألقى
الله في قلوبهم الرُّعب ، وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين ،
قال الشامي : (هم عشرة كانوا دخلوا مكة) .

* * *

بعث خراش الخزاعي إلى قريش :

(وَعَقَرُوا) أي : عَقَرَ كفار قريش (جملته) عليه الصَّلَاة
والسَّلَام ، والذي تولّى عقره عكرمة بن أبي جهل ، كما في

عقر كفار قريش جمل
النَّبِيِّ عليه الصَّلَاة
والسَّلَام

وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثُوهُ يَسْتَرِدُّ نَبِيَّنَا مَكْرَزُ عُرْوَةَ الْحَرْدِ

« شرح المواهب » وقد أسلم بعد رضي الله عنه ، ونسب الناظم ذلك إليهم ؛ لرضاهم به (الثعلب) أي : المسمى بذلك (إذ أرسله) أي : الجمل (تحت) خراش بن أمية (الخزاعي المغذ) بالميم المضمومة والغين المعجمة المكسورة ؛ أي : المسرع في سيره إلى قريش ؛ ليعلمهم بأنه صلى الله عليه وسلم إنما قدم معتمراً ، وكانوا أرادوا قتل خراش فمنعتهم الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بما لقي .

خراش بن أمية
الخزاعي رسول رسول
الله صلى الله عليه
وسلم إلى قريش

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه أنه إنما جاء معتمراً ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .



بعث قريش سفراءهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم :

ثمَّ أراد الناظم أن يسمي بعض السفراء الذين بعثتهم قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليردوه عن دخول البيت الحرام ، فقال :

(وكان مِمَّنْ بعثوه) أي : كفار قريش (يستردنينا) أي :

يطلب ردَّ نبينا عن دخول مكة ، وفاعل يسترد قوله : (مِكرَز)
 بكسر الميم ، وهو ابن حَفْص من بني عامر بن لؤي .
 قال في « الإِصابة » : (لم أرَ من ذكره في الصحابة إلا ابن
 حَبَّان بلفظ يقال : له صحبة) وقد تقدم في غزوة بدر .

قال ابن إسحاق : (فلمَّا رآه - يعني مِكرَزاً - رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : « هذا رجل غادر » فلمَّا انتهى
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمه . . قال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم نحواً ممَّا قال لبُدَيْل وأصحابه ، فرجع إلى
 قريش وأخبرهم بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم) اهـ
 وكان بُدَيْلُ بن وَرْقَاء الخزاعي^(١) قد أتاه في رجال من
 خُزاعة فكلَّموه ، وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم عليه
 الصَّلَاة والسَّلَام : « أَنَّهُ لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً
 للبيت ومعظماً لحرمة » .

واعلم : أَنَّ مقتضى ما في « سيرة ابن إسحاق » أَنَّ بعث
 قريش لِمِكرَز بعد بعث بُدَيْل ، كما أَنَّهُم بعثوا بعد مِكرَز
 الحَلِيس الحارثي ، ثُمَّ عُرْوَة بن مسعود ، خلافاً لما يُوهمه كلام
 الناظم هنا .

أسماء رسل قريش

نعم ؛ صحَّ : أَنَّ سُهيلاً جاء إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
 قبل انصراف مِكرَز من عنده ، ويجمع بين هذا وبين ما يأتي من
 رواية ابن إسحاق ، بأنَّ مِكرَزاً رجع إلى قريش ، فأخبرهم

التوفيق بين الروايات

(١) وقد أسلم يوم الفتح بمر الظهران ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وقيل : أسلم قبل الفتح .

بقوله صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ جاء مع سهيل في الصلح هو
وَحُوَيْطَب ، كما رواه الواقدي وابن عائذ ، فكأنَّ مكرزاً سبق
سهيلاً في المجيء ، فكلم المصطفَى ، فجاء سهيل .

وأما (ثمَّ) في رواية ابن إسحاق ، في قوله : (ثمَّ بعثوا
الحُليْس ، ثمَّ بعثوا عُرْوَة) فإنَّما هي للترتيب الدَّكْرِي ، فلا
تُعارض رواية الصحيح ، وإلَّا . . فما في الصحيح أصحَّ ، ذكر
هذا الجمع العلامة الزُّرقاني .

فقوله (عُرْوَة) معطوف بحذف العاطف ، وهو ابن
مسعود بن مُعْتَب الثَّقَفِي^(١) (الحَرْد) : العزيز المنيع ، وهو
بوزن نَمِر .

(١) قال الحافظ : (هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن
عوف بن ثقيف الثقفي ، عم والد المغيرة بن شعبه ، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن
عبد مناف ، أخت آمنه ، وكان أحد الأكابر من قومه ، له اليد البيضاء في تقرير الصلح ،
وهو مستوفى في « البخاري » وترجمه ابن عبد البر بأنَّه شهد الحديبية ، وهو كذلك ، لكن
في العرف : إذا أطلق على الصحابي أنَّه شهد غزوة كذا . . يتبادر أنَّ المراد أنَّه شهدا
مسلماً ، فلا يقال : شهد معاوية بدران ؛ لأنَّه لو أطلق ذلك . . ظن من لا خبرة له - لكونه
عرف أنَّه صحابي - أنَّه شهدا مع المسلمين ، وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً :
« عرض علي الأنبياء . . » فذكر الحديث ، قال : « ورأيت عيسى ، فإذا أقرب من رأيت به
شبهاً عروة بن مسعود » .

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة ، وكذلك ذكره ابن إسحاق ،
يزيد بعضهم على بعضهم : (أنَّ أبا بكر لمَّا صدر من الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود
الثقفي على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم) وفي رواية ابن إسحاق : أنَّه اتبع أثر النَّبيِّ صلى الله
عليه وسلم لمَّا انصرف من الطائف ، فأسلم ، واستأذنه أن يرجع إلى قومه ، فقال : « إنِّي
أخاف أن يقتلوك » قال : لو وجدوني نائماً . . ما أيقظوني ، فأذن له فرجع ، فدعاهم إلى
الإسلام ، ونصح لهم ، فعصوه ، وأسمعوه من الأذى ، فلمَّا كان من السحر . . قام على =

وَالْحَارِثِيُّ الْمَتَّالُّهُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَرْدٌ أَحْمَدُ بَذِي

كلام الحليس بن علقمة :

(و) كذا مَنَّ بعثوه (الحارثي) وهو : الحُلَيْسُ - بالتصغير - ابن عَلْقَمَة ، سيد الأحابيش ورأسهم ، منسوب إلى الحارث بن عبد مَنَاة ؛ لَأَنَّهُ أَحَدُ بَنِيهِ (المَتَّالُّهُ) أي : المعظَّم لِأَمْرِ اللَّهِ ؛ كَالْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا بَقِيَ مِنْ دِينِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَوَصَفِهِ أَيْضاً بِقَوْلِهِ : (الَّذِي هُوَ) أي : الْحَارِثِيُّ (لَهُمْ) أي : كِفَارِ قَرِيشَ (بَرْدٌ) أي : بِسَبَبِ رَدِّهِمْ (أَحْمَدُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَذِي) بِفَتْحِ الْبَاءِ : خَبَرٌ عَنْ (هُوَ) أي : طَوِيلُ اللِّسَانِ بِالْكَلامِ عَلَى قَرِيشَ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ - فِي كَلَامِ سَيِّئَاتِي - : وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ ؛ لَتَخْلُنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَ لَهُ ، أَوْ لَا تُفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ .

= غرفة له فأذن ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله ، فلما بلغ ذلك النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مثل عروة مثل صاحب ياسين ؛ دعا قومه إلى الله فقتلوه » وقيل لعروة : ما نرى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفوني معهم ، فدفنوه معهم .

وروى أبو نعيم من طريق داوود بن عاصم عن عروة بن مسعود ، وهو جده : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع عنده الماء ، فإذا بايع النساء . . يمس أيديهن فيه) وهذا منقطع ، وفي الإسناد إلى داوود ضعف أيضاً .

وروى ابن منده من طريق إبراهيم بن محمد بن عاصم عن أبيه ، عن حذيفة ، عن عروة بن مسعود الثقفي قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الْخَطَايَا » إسناده ضعيف أيضاً ، وأورده العقيلي في ترجمة إبراهيم بن محمد بن عاصم ، ولكن لم أرفه الثقفي .

ولا بأس أن ننقل هنا لفظ ابن هشام في « تلخيصه للسيرة النبوية » لابن إسحاق ؛ إذ به يتَّضح تماماً كلام الناظم .

كلام بديل بن ورقاء الخزاعي :

قال ابن هشام : (قال الزهري في حديثه : فلمّا اطمأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أتاه بُدَيْل بن وَرَقَاء الخزاعي في رجال من خزاعة ، فكلّموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم : أنّه لم يأت يريد حرباً ، وإنّما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة ، ثمّ قال لهم نحواً ممّا قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش ، فقالوا : يا معشر قريش ؛ إنّكم تعجلون على محمّد ؛ إنّ محمّداً لم يأت لقتال ، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتّهموهم وجبّهوهم وقالوا : وإن كان جاء زائراً لا يريد قتالاً ، فوالله ؛ لا يدخلها علينا عَنوة ، ولا تَحَدَّثُ بذلك عنّا العرب أبداً .

قال الزهري : وكانت خُزاعة عَيّة نُصَح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ مسلمها ومشرّكها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة قال :

كلام مكرز بن حفص :

ثمّ بعثوا إليه مِكرَز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤيّ ، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقبلاً.. قال : « هذا رجل غادر^(١) » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه.. قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً ممّا قال للبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش ، فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عودة إلى كلام الحليس بن علقمة :

سيد الأحابيش
الحليس بن علقمة

ثمّ بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، أو ابن زَبَّان ، وكان يومئذٍ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال : « هذا من قوم يتألّهون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله.. رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس ؛ فإنّما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر : أنّ الحليس غضب عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش ؛ والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيْصَدُّ عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده ؛ لَتُخَلَّنَ بين محمّد وبين ما جاء له ، أو لأنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رجل

(١) وصفه بالغدر ؛ لما ذكره الواقدي : (أنّه أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية ، فخرج في خمسين رجلاً ، فأخذهم محمّد بن مسلمة وهو على الحرس ، وانفلت مكرز ، فكأنّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك) اهـ

.....

واحد ، قال : فقالوا لي : مَهْ ، كُفَّ عنا يا حُلَيْس حتى نأخذ
لأنفسنا ما نرضى به .

كلام عروة بن مسعود الثقفي :

قال الزُّهري في حديثه : ثمَّ بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش ؛ إني قد رأيت ما يُلْقَى منكم من بعثتموه إلى محمَّد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنِّي ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف - وقد سمعت بالَّذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثمَّ جئْتُكم حتى آسيتكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمثَّهم ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثمَّ قال : يا محمَّد ؛ أَجَمَعْتَ أَوْشَابَ النَّاسِ ، ثمَّ جئتَ بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنَّها قريش قد خرجت معها العُوذ المَطاوِيل ، قد لبسوا جلود النَمور ، يعاهدون الله لا تدخُلها عليهم عَنوةٌ أبداً ، وأيم الله ؛ لكأنِّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ، قال : وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصَّصْ بَطْرَ اللات ، أنحن نكشف عنه ؟! قال : من هَذَا يا محمَّد ؟ قال : « هَذَا ابن أبي قُحافة » قال : أمَّا والله ؛ لولا يدُ كانت لك عندي . . لكافأْتُكَ بها ، ولكن هَذِهِ بها ، قال : ثمَّ جعل يتناول لَحِيَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلِّمهُ ، قال :

رد أبي بكر الصديق
رضي الله عنه كلام
عروة

المغيرة بن شعبة رضي
الله عنه في حراسة
النبي صلى الله عليه
وسلم

والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك ، قال : فيقول عروة : ويحك ما أفظك وما أغلظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أي غدر ، وهل غسلت سؤأتك إلا بالأمس ؟

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، فتهايج الحَيَّان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح بذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزُّهري : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ممَّا كَلَّمَ به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً .

عود عروة بن مسعود إلى قريش :

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوئه ، ولا يبصق بُصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ؛ إنِّي قد جئت كسرى

من مظاهر تفاني
الصحابه في حبه صلى
الله عليه وسلم

وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَهُمُ الْمُرَاجَعَةُ حَتَّى أَتَى سُهَيْلُهُمْ فَأَسْتَرْجَعَهُ

في ملكه ، وقصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإنِّي والله ؛ ما رأيت مَلِكاً في قوم قطُّ مثل محمَّد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فَرَوْا رأيكم) .

بعث قريش سهيلاً إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلح :

(ولم تزل بينهم) أي : كفار قريش (المراجعة) أي : مراجعة الرسل في شأن رد المسلمين عن البيت ، وصدّهم (حتى أتى) إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سُهَيْلُهُمْ) أي : سهيل بن عمرو ، أخو بني عامر بن لؤي رسولاً من قبل قريش ، وكان من ساداتهم ، وأسلم يوم الفتح بعدُ ، وحسن إسلامه رضي الله عنه ، وتقدّمت ترجمته في غزوة بدر (فاسترجعه) أي : فطلب من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرجع عن البيت هذا العام ؛ لأنَّ قريشاً لمّا بعثت سهيلاً قالت له : اذهب إلى هذا الرجل فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله ؛ لا تَحَدَّثُ العرب عنا أنّه دخلها علينا عنوة أبداً .

تفاؤل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم بسهيل
رسول قريش

قال الشهاب في « المواهب » : (قال مَعْمَر : فأخبرني أيوب عن عكرمة بن عبد الله أنّه لمّا جاء سهيل . . قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قد سهّل لكم من أمركم » وهذا من الفأل الحسن الذي كان عليه الصّلاة والسّلام يعجبه) .

قال الناظم في منظومة الأنساب :

وكان لا يعتاف إلا أنه

يُعجبه الفأل إذا عرَّ له

يعني : كان صلى الله عليه وسلم لا يتطيَّر ولا يتشاءم ، إلاَّ
أنَّه يعجبه الفأل الحسن إذا عرض له .

وحاصل القول هنا : أنَّه لما انتهى سهيلٌ إلى
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . . جرى بينهما القول ، وأطال سُهَيْلُ
الكلام ، حتى أسفر المقال عن الصلح ، على أن يوضع الحرب
بينهم عشر سنين ، كما في رواية ابن إسحاق ، وهو المعتمد ،
وأن يؤامر بعضهم بعضاً ، وأن يرجع عنهم عامهم هذا ، ودعا
الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يكتب كتاب
الصلح .

كتاب الصلح :

فأمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام علياً أن يكتب : (بسم الله
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب :
(باسمك اللَّهُمَّ) فقال صلى الله عليه وسلم : « اكتب :
باسمك اللَّهُمَّ » فكتبها ، ثمَّ قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه
محمَّد رسول الله سُهَيْلُ بن عمرو » فقال سهيل : لو شهدتُ
أنَّك رسول الله . . لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم
أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اكتب : هذا
ما صالح عليه محمَّد بن عبد الله سهيل بن

توصل سهيل إلى
الصلح مع النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه كاتب
الصلح

نص المعاهدة بين
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلم وكفار قريش

عمر^(١) ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ،
يأمن فيهنّ الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنّه من أتى
محمّداً من قريش بغير إذن وليّه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً
ممنّ مع محمّد لم يردوه عليه ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة^(٢) ، وأنّه
لا إسلال^(٣) ولا إغلal ، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عقد
محمّد وعهده دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش
وعهدهم .. دخل فيه .. »^(٤) وأنّك ترجع عنا عامك هذا ، فلا
تدخل علينا مكة ، وأنّه إذا كان عام قابل .. خرجنا عنك ،
فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب :
السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها .

- (١) في رواية البخاري ومسلم من حديث البراء : فقال صلى الله عليه وسلم لعليّ : « امحه »
فقال : ما أنا بالذي أمحاه ، وهي لغة في امحه - بضم الحاء - قلت : وهذا أصل لمن يرى أنّ
سلوك الأدب مقدّم على امتثال الأمر .
- ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أرني مكانها » فأراه مكانها ، وكتب : محمّد بن عبد الله ،
وفي رواية البخاري في باب عمرة القضاء من حديث البراء : فأخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكتاب - وليس يحسن أن يكتب - فكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله .
- وإسناد الكتابة إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل المجاز ، أو هو السبب الأمر ، وخالف
الباجي في ذلك ، وردّ عليه الأئمّة الأعلام . انظر « عيون الأثر » في هذا المقام .
- (٢) قال السهيلي : (أي : صدوراً منظوية على ما فيها لا تبدي عداوة ، وضرب العيبة مثلاً ،
قال صلى الله عليه وسلم : « الأنصار كرشي وعييتي » فضرب العيبة مثلاً لموضع السر
وما يعتد به من ودّهم) اهـ
- (٣) الإسلال : السرقة والخسنة ونحوها ، وهي السلة ، قالوا في المثل : الخلة تدعو إلى السلة .
والإغلal : الخيانة ، يقال : فلان مغل الإصبع ؛ أي : خائن اليد . اهـ « روض » .
- (٤) عند ذلك بادرت خزاعة فقالت : نحن في عقد محمّد وعهده ، وبادرت بنو بكر فقالت :
نحن في عقد قريش وعهدهم .

لَوْلَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ الْمَوْفَّقُ لِلرُّشْدِ فِي آرَائِهِ لَمْزُقُوا

حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إمضاء هذه الشروط :

هذه شروط الصلح الذي وقع الاتفاق عليه بين الفريقين ذكره ابن إسحاق في «سيرته» وفيه من الفوائد الظاهرة ، والثمرات الباهرة ، التي عادت على المسلمين ، وظهرت للنبي ، وخفيت على غيره . . ما سيتلى عليك قريباً إن شاء الله تعالى :

تحقيق المحافظة على

المستضعفين بمكة

منها : حفظ المستضعفين في مكة من المسلمين ، وحقن دمائهم ؛ لاختلاطهم بالكفار كما أشار إلى هذا الناظم بقوله :

(لولا نبي الرحمة) صلى الله عليه وسلم (الموفق) من ربه عز وجل (للرشد) والإقامة على طريق الاستقامة والهدى (في آرائه) السديدة ، التي لا يحوم الخطأ حولها ؛ من قبوله عليه الصلاة والسلام الصلح من قريش (لمزقوا) أي : لمزقهم المسلمون ، ومزقوا من كان بمكة من المؤمنين المستضعفين المحبوسين بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَيُوا لَعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

يذكر الله تعالى : أنه لولا كراهة أن تهلِكوا أناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم ، فيصيبكم بذلك معرة ومكروه . . لما كف أيديكم عنهم ، لكن كفها ليدخل بذلك الكف المؤدي إلى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة من يشاء .

أَسْلَمَ بَعْدَ عَوْدِهِ بِالْعُظْمَا أَكْثَرُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلُ أَسْلَمَا

ومن فوائده أيضاً : إسلام كثير من كفار قريش باختلاطهم بالمسلمين ، ومجيئهم إلى المدينة معقل الإيمان والإسلام ، وحسن سيرته ، وأعلام نبوته الباهرة ، إلى غير ذلك ، ممّا جعلهم يدخلون في دين الله أفواجا ، فصلى الله على هذا الرسول العظيم الذي منحه الربُّ الكريم من الرحمة ما جعله ينظر إلى وجوه المصالح والحكم لأُمَّته ، وجزاه الله خير ما جازى نبياً عن أُمَّته .

وعلم المؤمنون بعد ذلك أن صدّهم عن البيت ورجوعهم كان في الظاهر هُضماً ، وفي الباطن عزّاً لهم وقوة ، فأذّل الله المشركين من حيث أرادوا العزّة ، وقهروا من حيث أرادوا الغلبة ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وإلى هذه الفائدة أشار الناظم رحمه الله بقوله :

(أسلم) وانقاد لأمره ودينه صلى الله عليه وسلم (بعد عَوْدِهِ) أي : بعد رجوعه^(١) من الحديبية واجتماعه

(١) فالعود : الرجوع ، ومنه : العود أحمد ، ومنه : العود محمود ؛ أي : الابتداء بالمعروف والإعادة إليه أكسب للحمد ، قاله أعرابي اسمه خراش ، خطب بنت عم له اسمها الرباب ، فردّه أبوها ، فأضرب عنها زماناً ، ثمّ أقبل حتى انتهى إلى حلتهم - أي : منزلهم - متغنياً بأبيات منها :

ألا ليت شعري يا رباب متى أرى لنا منك نجحاً أو شفاء فأشتفي فسمعت ما قال وحفظته ، وبعثت إليه : أن قد عرفت حاجتك ، فاغد خاطباً ، ثم قالت لأُمها : هل أنكح إلّا من أهوى ، وألتحف إلّا من أرضى ؟ قالت نعم . قالت : فأنكحيني خراشاً ، فقالت على قلة ماله ؟! قالت : إذا جمع المال السيءُ الفعال . . فقبحاً للمال ، فأصبح فسلم عليهم ، وقال : العود أحمد ، والمرأة ترشد ، والورد يحمد . فأرسلها مثلاً .

وَفَسَّرُوا بِذَلِكَ الْفَتْحَ الْمُبِينُ وَفِيهِ إِبْقَاءٌ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ

(ب) أصحابه الأبطال (العظما) بالمدينة المنورة ، وفاعل
(أسلم) قوله : (أكثر ممَّن كان قبل) أي : قبل الصلح
(أسلما) بألف الإطلاق .

وممَّن أسلم في هذه الهدنة : عمرو بن العاصي ،
وخالد بن الوليد ، وعبد الرَّحْمَن بن أبي بكر ، وطلحة بن
عثمان ، وغيرهم من قريش ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ .

إسلام العدد من كبار
قريش

(وَفَسَّرُوا بِذَلِكَ) أي : بإسلام الكثير في الهدنة (الفتح
المُبِين) المشار إليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في
الصحيح عن البراء بن عازب : (تعدون أنتم الفتح فتح مكة ،
وقد كان فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان) .

قال الشهاب القسطلاني في «المواهب» : (روى
سعيد بن منصور ، بإسناد صحيح إلى الشعبي ، في قوله
تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال : صلح الحديبية) .

الفتح في (سورة
الفتح) صلح الحديبية

وممَّن فسَّرَ الفتح هنا بالحديبية : ابن عباس ، وأنس ،
والبراء بن عازب ، قال ابن عباس وأنس والبراء : (الفتح
هنا : فتح الحديبية ، ووقوع الصلح) .

قال الحافظ : (فإنَّ الفتح في اللغة : فتح المغلق ،
والصلح كان مغلقاً حتى فتحه الله ، وكان من أسباب فتحه :
صدُّ المسلمين عن البيت ، فكانت الصورة الظاهرة ضيماً
للمسلمين ، والباطنة عزّاً لهم ؛ فإنَّ الناس للأمن الذي وقع

النتائج العظيمة لصلح
الحديبية

وَبَعَثُوا جَمَلَ عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ هَذِيبًا وَإِنْكَاءً إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ

فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلاّ خفية ، فظهر من كان يخفي إسلامه ، فذلّ المشركون من حيث أرادوا العزة ، وقهروا من حيث أرادوا الغلبة) .

وقال ابن إسحاق : (وقال الزُّهري : ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنّما كان القتال حيث التقى الناس ، فلمّا كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة . فلم يُكَلِّمْ أحدٌ يعقل في الإسلام شيئاً إلاّ دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثلٌ من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر) .

والدليل على قول الزُّهري : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله ، ثمّ خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

ومن فوائد هذا الصلح : ما أشار له بقوله :

(وفيه) أي : العود من غير قتال (إبقاء) للحياة (على) المؤمنين (المستضعفين) بمكة ، قال ابن عباس رضي الله عنه : (أنا وأمّي من المستضعفين) .

العصيفير جمل أبي
جهل

(وبعثوا) أي : المسلمون (جمل) أبي جهل (عمرو بن هشام) واسمه : العُصيفير ، بُرِّئَهُ من فضة ، وهي بضم الباء

وَنَحَرُوا وَحَلَقُوا وَحَمَلَتْ شُعُورُهُمْ لِلْبَيْتِ رِيحٌ قَدْ غَلَتْ

وفتح الرءاء المخففة : حلقة تجعل في أنف البعير ، وهذا الجمل سُلِب من أبي جهل يوم قُتل ببدر ، ولم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو عليه ، ويضرب في لقاحه ، إلى أن أهداه في هذا اليوم إلى البيت الحرام ؛ إغاطة لكفار قريش ، كما قال الناظم (هدياً وإنكأ) من أنكى بمعنى : أغاظ ، ويتعلق بيعثوا قوله : (إلى البيت الحرام) وذلك أنهم إذا رأوه . . تذكروا سيدهم أبا جهل وقتله يوم بدر ، ورأوا جمل سيدهم يتصرف فيه قاتله كيف شاء .

قال ابن إسحاق : (قال عبد الله بن أبي نجيح : حدّثني مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جَمَلاً لأبي جهل ، في رأسه بُرّة من فضة ، يغيظ بذلك المشركين) .

التحلل من إحرام العمرة :

(ونحروا وحلقوا) أي : بعد فراغهم من الصلح وكتابة الكتاب . . أمرهم عليه الصّلاة والسّلام أن ينحروا ويحلّقوا .

قال في « شرح المواهب » : (ففي « البخاري » في الشروط : فلمّا فرغ من الكتاب . . قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « قوموا فانحروا ، ثمّ احلقوا رؤوسكم » فوالله ؛ ما قام رجل منهم حتى قال ذلك مرات ، فلمّا لم يبق أحد . . دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، وفي رواية ابن إسحاق : فقال لها : « ألا ترين إلى الناس ؟ ! إنّي أمرتهم

بالأمر فلا يفعلونه » فقالت : يا رسول الله ؛ لا تلمهم ؛ فإنهم قد دخلهم أمر عظيم ، ممّا أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ، ورجوعهم بغير فتح) .

مشورة أم سلمة رضي
الله عنها على رسول
الله صلى الله عليه
وسلم

وفي رواية أبي المليح : (فاشتد ذلك عليه ، فدخل على أم سلمة ، فقال : « هلك المسلمون ؛ أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا » قال : فجلا الله عنهم يومئذ بأمر سلمة رضي الله عنها ، فقالت : يا نبي الله ؛ أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بُذُنك ، وتدعوَ حالكك فيحلقك ، فخرج ، فلم يكلم منهم أحداً حتى نحر بُذنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلماً رأوا ذلك .. قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً .

سبب تكرار الدعاء
للمحلقين ثم
المقصرين

قال ابن إسحاق : (بلغني أن الذي حلقه يومئذ خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي) وكانت البُذُن سبعين ، وحلق رجال يومئذ ، وقصر آخرون ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين ، قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين ، قال : « والمقصرين » قالوا : لم ظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : « لم يشكُّوا » رواه ابن إسحاق أيضاً عن ابن عباس .

الأسباب المحتملة في
عدم الاستجابة مباشرة
لما أمرهم به رسول
الله صلى الله عليه
وسلم

قيل : كان توقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد الأمر ؛ لاحتمال أنه للندب ، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح ، أو تخصيصه بالإذن لهم في دخول مكة العام لإتمام نسكهم ، وساغ ذلك لهم ؛ لأنه زمان وقوع النسخ .

ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم ، فاستغرقوا في الفكر ؛
لَمَّا لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم ، واعتقادهم
القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة ، أو لأنَّ الأمر المطلق
لا يقتضي الفور .

ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم ، أو فهموا
أنَّه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل ؛ أخذاً بالرخصة في
حقهم ، وأنه هو يستمر على الإحرام ؛ أخذاً بالعزيمة في حق
نفسه ، فأشارت عليه أم سَلَمَة بالتحلل ؛ لينفي هذا الاحتمال ،
وعرف صوابه ففعله ، فلمَّا رأوه . . بادروا إلى فعل ما أمرهم
به ؛ إذ لم يبق غاية ينتظرونها ، ونظيره ما وقع لهم في غزوة
الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان فأبوا ، حتى شرب
فشربوا . اهـ

قال السهيلي : (ولم يكن المقصّر يومئذٍ من أصحابه إلَّا
رجلين : عثمان بن عفَّان ، وأبا قتادة الأنصاري ، كذلك جاء
في مسند حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) .

فوائد قصة التحلل من إحرام الحديبية :

قلت : وفي هذه القصة فوائد :

منها : جواز تحليل المحرم الذي هو متلبَّس بحُرُمات
الإحرام غيره بالحلِّق أو التقصير ؛ فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم
كانوا مُحْرَمِينَ بالعمرة ، وحلَّل بعضهم لبعض بذلك .

ومنها : فضل الحلِّق على التقصير .

ومنها : فضل المشاورة ؛ لمشاورته عليه الصَّلَاة والسَّلَام
لأم سلمة ، وكان عليه الصَّلَاة والسَّلَام كثير المشاورة ، لقوله
تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ومعلوم : أنَّ ذلك فيما لم ينزل
فيه وحى ، وأنَّ المشاورة تطيب لقلوبهم .

ومنها : مشاورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ،
ووفور عقلها ، وأنها كانت رضي الله عنها سبباً في زوال غضبه
- عليه الصَّلَاة والسَّلَام - من أصحابه الذين لم يبادروا امتثال
أمره لما ذكر ، حتى قال إمام الحرمين : (لا نعلم امرأة أشارت
برأي فأصابت إلا أم سلمة) واستدرك عليه بعضهم ببنت سيدنا
شُعَيْب عليه الصَّلَاة والسَّلَام في أمر موسى ؛ أي : حيث
قالت : ﴿ يَتَأْتِيكِ اسْتَعْجِرَةٌ إِنَّكِ خَيْرٌ مِنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ إلا
أنَّ يُحْمَل قول إمام الحرمين على هذه الأمة المحمّدية ، والعلم
عند الله تعالى .

تنبيه :

النهي عن مشاورة النساء ، إنَّما هو في أمر الولاية خاصّة ،
قاله السهيلي عن أبي جعفر النحاس .

البشارة بقبول عمرة الصحابة :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر كرامة وقعت للصحابة تدل على
قبول الله عُمرتهم فقال :

(وَحَمَلْتُ شُعُورَهُمْ لِلْبَيْتِ) الحرام (رِيحٌ) عاصف ؛
إشعاراً بتمام عُمرتهم وبقبولها ، وجبراً لخواطريهم (قد غلت)

.....

أي : جاوزت الحَدَّ ، والمراد : شدة هبوبها^(١) .

عُمَرَه صلى الله عليه وسلم :

ومن أجل هذا عُدَّت هذه العمرة من عُمَرَه عليه الصَّلَاة
والسَّلَام البالغة أربعاً .

أُولُها : هذه .

والثَّانية : عمرة القَضِيَّة في السنة التي بعدها ، وهي السنة
السَّابعة ، ويقال لها أيضاً : عُمرة القصاص ؛ لأنَّ فيها نزلت آية
﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ﴾ .

والثَّالثة : عمرة الجِعْرَانَةِ عام حُنين ، منصرفه منها سنة
ثمان .

والرَّابعة : عمرته عليه الصَّلَاة والسَّلَام التي قرنَها بحجَّة
عام الودَّاع ، وفي الصحيح : كان صلى الله عليه وسلم يقول
في إحرامه حينئذٍ : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ حَجًّا وعمرة » وإلى ذلك أشار
سيدي عبد العزيز الفاسي في نظمه « قُرَّةُ الأبصار » بقوله :

وَحَجَّ حِجَّتَيْنِ ثُمَّ الْفَرَضَا

واعتَمَرَ الأَرْبَعَ قالوا أيضاً

(١) روى ابن سعد من مرسل يعقوب الأنصاري قال : (لَمَّا صَدَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،
وحلقوا بالحديبية ، ونحروا .. بعث الله ريحاً عاصفاً احتملت شعورهم ، فألقته في
الحرم ؛ أي : جبراً لهم في صدهم عن البيت) زاد أبو عمر : (فاستبشروا بقبول
عمرتهم) .

وَأَغْلَظُوا فِي الصُّلْحِ حَتَّى أُبْرِمَا وَمِنْهُ رَدُّ مَنْ أَتَاهُ مُسْلِمًا

وقال مالك : ثلاثاً اعتمر

وحجَّ مُفْرِداً فحَقَّقَ الْخَبْرَ

وَكُلُّهُنَّ كُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ

عَلَى الَّذِي صَحَّحَهُ مَنْ عَدَّهُ

* * *

شروط الصلح ظاهرها ضيمٌ وباطنها عزٌّ للمسلمين :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر بعض ما تَضَمَّنَه كتاب الصُّلْح من الشروط القاسية ، التي ظاهرها ضيم على الإسلام والمسلمين ، وباطنها العزُّ والحكمة البالغة والسداد ، علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَمْضَاه ، فقال :

(وَأَغْلَظُوا) أي : شَدَّدَ كُفَّار قَرِيشَ (فِي) شَأْنِ (الصُّلْحِ) بينهم وبين المسلمين (حِينَ أُبْرِمَا) أي : أَحْكَمَ الصلح ، والألف لإطلاق القافية .

(وَمِنْهُ) أي : الإِغْلَاطُ (رَدُّ مَنْ أَتَاهُ) أي : رد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَأْتِي مِنْ نَاحِيَةِ قَرِيشَ (مُسْلِمًا) إِلَى قَرِيشَ ، وَمَنْ جَاءَ قَرِيشًا مِمَّنْ تَبِعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ النَّازِمُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا إِغْلَاطَ فِيهَا ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصْنَعُ شَيْئًا إِذَا ذَاكَ بِمَنْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ، وَرَغِبَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

فَمَنْ جَاءَنَا يَا مَرْحَبًا بِمَجِيئِهِ

وَمِنْ فَاتِنَا يَكْفِيهِ أَنَّا نَفُوتُهُ

.....

على أنه لم يثبت فيما أعلم أنَّ أحدًا من المسلمين خرج إلى
قريش مرتدًّا بعد أن خالطت بشاشة إيمانه قلبه ، وأمَّا من جاء
مسلمًا.. فهو في رحب وسعة ، وسيجعل الله له فرجاً
ومخرجاً ، كما يأتي قريباً .

أمر أبي جندل بن سهيل^(١) :

ففي « صحيح الإمام البخاري » : (فبينما هم كذلك
- وفي رواية ابن إسحاق : فإنَّ الصحيفة لتكتب - إذ دخل
أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُف - يمشي مشياً بطيئاً - في
قيوده وقد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر
المسلمين ، فقال أبوه سهيل : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ
عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا لَمْ
نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ » قال : فوالله ؛ إِذْنُ لَا أَصَالِحُكَ عَلَى شَيْءٍ
أَبَدًا ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَجِزْهُ لِي » قال :
ما أنا بمجيز ذلك ، قال : « بلى ، فافعل » قال : ما أنا
بفاعل ، قال مِكرز : بلى قد أَجْزَنَاهُ لَكَ ، قال أبو جندل : أَيُّ
مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ ؛ أُرَدُّ إِلَى الْمَشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا ؟! أَلَا
تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيت ؟! وَكَانَ قَدْ عُدِّبَ فِي اللَّهِ عَذَابًا شَدِيدًا) .

زاد ابن إسحاق : (فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَا أَبَا جَنْدَل ؛ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ؛ فَإِنَّا لَا نَعْدِرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ

(١) اسم أبي جندل : العاصي بن سهيل بن عمرو .

.....

لك فرجاً ومخرجاً» فوثب عمر يمشي إلى جنبه ويقول :
اصبر ؛ فإنّما هم المشركون ، وإنّما دم أحدهم كدم الكلب
- ويؤذني منه قائم السيف - يقول عمر : رجوت أن يأخذ
السيف ، فيضرب به أباه ، قال : فَضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت
القضية (اهـ

قلت : وذلك لما في علم الله تعالى أنّه يُسلم بعد ذلك أبوه
سهيل ، ويحسن إسلامه ؛ حتى يتبوأَ المقام المحمود يوم وفاته
عليه الصّلاة والسّلام ، ويخطب فيهم بمكة خطبة كخطبة
أبي بكر بالمدينة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

قال في « الإمتاع » : (عن أبي بكر رضي الله عنه : لقد
نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند النحر
يقرب إلى رسول الله بدنه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ينحرها بيده ، ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فأنظر إلى سهيل
يلتقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ، وأذكر إياه أن يقر
يوم الحديبية بأن يكتب « بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » وإياه أن
يكتب أنّ « محمّداً رسول الله » فحمدت الله الذي هداه
للإسلام) فصلوات الله وبركاته على نبيّ الرّحمة الذي هدانا الله
به ، وأنقذنا به من الهلكة .

موقف عمر وأبي بكر من شروط الصلح :

ولغلظ ذلك الشرط قام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ،
فأتى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قلت : أأست نبيّ الله

.....

حقاً ؟ قال : « بلى » قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » زاد البخاري في (الجزية) و (التفسير) : (أليس قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ؟ قال : « بلى » قلت : فلم نُعطي الدِّينَةَ في ديننا إذن ؟ قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري » قلت : أوليس كنت تُحدِّثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى » أفأخبرتكَ أننا نأتيه العام » قلت : لا ، قال : « فإنك آتية ، ومُطَوِّفٌ به » قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ؛ أليس هذا نبيُّ الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نُعطي الدِّينَةَ في ديننا إذن ؟ قال أبو بكر : أيُّها الرجل ؛ إنَّه رسول الله ، ليس يعصي ربَّه ، وهو ناصره ، فاستمسكُ بغَزَزه ، فوالله إنَّه على الحق ، قلت : أوليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتكَ أننا نأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتية ، ومُطَوِّفٌ به .

قلت : وفي هذه القصة ما يدل على فضل أبي بكر ومزيد علمه ومعرفته بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وموافقته له في جواب عمر حرفاً بحرف ، مع أنَّه لم يسمع مقالته عليه الصَّلَاة والسَّلَام لعمر .

مظاهر فضل أبي بكر
على بقية الصحابة
رضوان الله عليهم

ولعلم عمرَ بمكانة أبي بكر ، وفضله العلمي ، وإنَّه أكمل الصَّحْب . . لم يسأل أحداً غيره بعد النِّبيِّ صلى الله عليه وسلم .

قال الشهاب في « المواهب » : (قال العلماء : لم يكن سؤال عُمر - رضي الله عنه - وكلامه شَكًّا في الدين ، حاشاه ! بل طلباً لكشف ما خفي عليه من المصلحة ، وحرصاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام ، كما عُرِفَ من خُلُقِهِ وقوته في نصر الدين وإذلال المُبْطِلِينَ ، وأَمَّا جواب أبي بكر بمثل جواب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه ، وزيادة عرفانه ورسوخه ، وزيادته في كل ذلك على غيره) .

وقال الزرقاني : (ألا ترى أَنَّهُ صَرَّحَ في الحديث : أَنَّ المسلمين استنكروا الصلح المذكور ، وكانوا على رأي عمر ، فلم يوافقهم أبو بكر ، بل كان قلبه على قلب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء ؟) اهـ

أمر أبي بصير الثقفي :

وممَّن خرج مسلماً من قريش في هذا العهد إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة : أبو بصير - بالتكبير - واسمه : عتبة بن أُسيد الثقفي ، فأرسلوا في طلبه رجلين : خُنَيْسَ بن جابر من بني عامر ، ومولًى يقال له : كوثر ، فقالوا : العهد الذي جعلته لنا ، فدفعه إلى الرجلين . زاد ابن إسحاق : (فقال : أتردني إلى المشركين يَفْتِنُونِي عن ديني ويعذبونني ؟ ! قال : « اصبرْ واحتسبْ ؛ فَإِنَّ الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً »

زاد أبو المَليح - كما في « شرح المواهب » - : (فقال له
عُمر : أنت رجل وهو رجل ، ومعك السيف) اهـ

فخرجوا به حتى بلغا ذا الحُلَيْفة ، فنزلوا يأكلُونَ من تمر
لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله ؛ إِنِّي لأَرى سَيْفَكَ
هَذَا جيداً ، فاستلَّهُ الآخر ، فقال : أَجَلُ والله ؛ إِنَّهُ لجيد ، لقد
جربت ، ثمَّ جربت ، وفي رواية : لأُضْرِبَنَّ به في الأوس
والخزرج يوماً إلى الليل ، فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ،
فأمكنه منه ، فضربه أبو بصير حتى بَرَدَ ، وفرَّ الآخر حتى أتى
المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال صلى الله عليه وسلم :
« لقد رأى هذا دُغراً » فلمَّا انتهى إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه
وسلم . . قال : قَتَلَ والله صاحبكم صاحبي ، وإِنِّي لمقتول ،
فجاء أبو بصير وقال : يا نبي الله ؛ قد أوفى الله ذِمَّتَكَ ، قد
رددتني إليهم ، ثمَّ أنجاني الله منهم ، فقال صلى الله عليه
وسلم : « ويل أُمّه مسعر حرب » وهي رواية الصحيح ، وفي
رواية ابن إسحاق : « مِحَشَّ حرب^(١) لو كان معه رجال » .

ثمَّ خرج أبو بصير حتى نزل العِيص ، من ناحية ذي المَرَّة
على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى
الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا اختبئوا بمكة قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « ويل أُمّه مسعر
حَرْب ، لو كان معه رجال » فخرجوا إلى أبي بصير ، فاجتمع

خروج أبي بصير إلى
ساحل البحر للتضييق
على قريش

(١) موقد حرب ومسعرها .

وَهُمْ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رَدِّهِمْ وَبَالَ إِذْ أَخَذُوا الطَّرْقَ عَلَى صُهْبِ السَّبَالِ

تضرع قريش للنبي
صلَّى الله عليه وسلم
لإنقاذها من أبي بصير
وأصحابه

إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضَيَّقُوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غيرُ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

وإلى ما جرى في هذه القصة أشار الناظم بقوله :

(وهم) أي : المستضعفون من المسلمين ، وضمير الجمع يعود على (مَنْ) في قوله : « ومنه رُدُّ من أتاه مسلماً » ؛ نظراً للمعنى . (عَلَيْهِمْ) أي : على كفار قريش ، الذين أغلظوا في الصلح بذلك الشرط القاسي .

وقوله : (بَعْدَ رَدِّهِمْ) أي : رد المستضعفين من المدينة ، حال ؛ لأنه نعت لنكرة تقدم عليها وهي قوله : (وَبَالَ) الواقع خبراً للمبتدأ ؛ أي : هم وبال ، أي : سبب للوبال والشدة ، والفشل بعد ردهم ؛ لأنَّهم قطعوا مادَّتهم ومِيرَتَهُم من طريق الشام كما قال الناظم : (إِذْ أَخَذُوا الطَّرْقَ عَلَى صُهْبِ السَّبَالِ) هو شعر يخالط بياضه حمرة ، والسبال : طَرَف ما على الشارب من الشعر ، والمراد هنا الأعداء ؛ أي : أخذ المستضعفون الطريق على أعدائهم كفار مكة .

قال في « تاج العروس » للسيد مرتضى : (ومن المجاز : الأعداء صُهْبُ السبال ، وسُوْدُ الأكباد وإن لم يكونوا كذلك ، قال :

وَأَتَدَبُّوا لِقَوْلِهِ فِي النَّدْبِ سَيِّدِهِمْ هَذَا مَحْشُ حَرْبٍ

جَاؤُوا يَجْرُونَ الْحَدِيدَ جَرًّا

صُهِبَ السِّبَالُ يَتَغُونُ شَرًّا

وإنما يريدون : أنَّ عداوتهم لنا كعداوة الروم ، والروم
صُهِبَ السِّبَالُ والشعر ، وإلَّا . . فهم عرب ، وألوانهم :
الأدمة ، والسمره ، والسواد ، وقال ابن قيس الرُّقِيَّات :

فَظِلَالُ الشُّيُوفِ شَيِّنَ رَأْسِي

واعتناقي في القومِ صُهِبَ السِّبَالِ

ويقال : أصله للروم ؛ لأنَّ الصهوبة فيهم ، وهم أعداء
لنا ، كذا في « لسان العرب » ونقله الجوهري عن
عبد الملك بن قريب الأصمعيّ) .

(وَأَتَدَبُّوا) أي : انتدب المستضعفون من المسلمين ؛

أي : أجابوا وسارعوا (لقوله) عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ (في
النَّدْبِ) الظريف النجيب^(١) (سَيِّدِهِمْ) بالجر : بدل من
النَّدْبِ ، والمراد به أبو بصير ، كما تقدم (هَذَا مَحْشُ) بكسر
الميم (حَرْبِ) أي : مُوقدها ، لو كان معه رجال ، فهذا القول
منه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في أبي بصير ، هو الذي حملهم على
انضمامهم إليه بذلك الموضع ، على طريق تجارتهم بالشام ،

(١) قال في « القاموس وشرحه » : (ندبه إلى الأمر كنصر : دعاه وحثه ، والندب : أن يندب
قوماً إلى حرب أو أمر أو معونة ؛ أي : يدعوهم إليه ، فينتدبون له ؛ أي : يجيئون
ويسارعون ، وقال أيضاً : الندب : الرجل الخفيف في الحاجة ، والسريع الظريف
العجيب) مادة (ندب) .

وَأَسْتَغْفِرُوا خَيْرَ الْوَرَى بِالرَّحِمِ فِي صَرْفِهِمْ إِلَيْهِ عَنْ أَرْضِهِمْ

لا يظفرون بأحد من كفار قريش إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بالرَّحِمِ أن يُؤْوِيَهُمْ إليه بالمدينة ، ففعل صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله :

(واستغفروا خير الورى) صلى الله عليه وسلم ؛ أي : طلب كفار قريش منه العطف (بالرَّحِمِ في صَرْفِهِمْ إليه) بالمدينة المنورة (عن أرضهم) أي : أرض قريش التي يمرون عليها في تجارتهم إلى الشام .

قال السَّهَيْلِيّ : (أمّا لحوق أبي بصير بسيف البحر - بكسر السين ؛ أي : ساحله ، وتقدم تعيين المكان ، وهو العيص - ففي رواية معمر عن الزُّهري : أنه كان يصلي بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جندل بن سهيل ، فقدموه ؛ لأنه قرشي ، فلم يزل أصحابه يكثررون حتى بلغوا ثلاث مئة ، وكان أبو بصير كثيراً ما يقول هناك :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ

مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ فَسَوْفَ يُنْصَرُ

وفاة أبي بصير رضي الله عنه

فلما جاءهم الفرج من الله تعالى ، وكلمت قريش النبي صلى الله عليه وسلم أن يُؤْوِيَهُمْ إليه لما ضيقوا عليهم . . ورد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بصير في الموت وجود بنفسه ، فأعطى الكتاب ، فجعل يقرؤه ويُسرُّ به ، حتى قبض والكتاب على صدره ، فبُني عليه هناك مسجد ، يرحمه الله) .

وممّا قاله أبو جندل أيام وجوده مع أبي بصير بسيف
البحر :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل
أنا بذى المروة فالساحل
في معشر تخفق أيمانهم
باليض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقّة
من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً
والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه
أو يقتل المرء ولم ياتل
وبعد موت أبي بصير قدم أبو جندل مع ناس من أصحابه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع باقيهم إلى
أهلهم .

ما نزل في النساء المهاجرات :

بقي الكلام على النساء المسلمات المهاجرات ، فإن قلنا :
إنهنّ يدخلن في هذا الصلح ؛ لقوله كما في رواية البخاري :
(ولا يأتيك منّا أحد) - والصيغة تعمُّ الرجال والنساء - فتقول :
نسخ ذلك فيهنّ ، أو خصّص ذلك العموم بهنّ ؛ فقد صح : أنّه
جاءت نسوة منهنّ : أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط مهاجرة ،

فدخلت على أم سلمة بالمدينة ، فأعلمتها أنها جاءت مهاجرة ،
وتخوّفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا دخل
رسول الله على أم سلمة . . أعلمته ، فرحب بأم كلثوم وسهّل ،
فجاء في طلبها أخوها : الوليد وعُمارة ابنا عقبة ، فأراد
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أن يردها للعهد ، فقالت :
يا رسول الله ؛ أتردني على المشركين ؟ ويُحِلُّون مني ما حَرَّمَ
الله ، ويفتنوني عن ديني ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا جَاءَ كُفْرُ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْرِهُوهنَّ إِذَا أَعْلَمْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ بِعَصَمِ
الْكَوْافِرِ وَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ۝ .

فلم يردّها ، وتزوجها زيد بن حارثة ، فقتل عنها ، ثم
خلف عليها الزبير ، فولدت له زينب ، ثم خلف عليها
عبد الرَّحْمَن بن عوف ، فولدت له : محمّداً ، وإبراهيم ،
وإسماعيل ، وحُمَيداً ، وكلهم رَوَى الحديث .
وفي « البخاري » : (ولا نعلم امرأة من المسلمين ارتدّت
إلى الكفار) .

نزول سورة الفتح :

مدة إقامة المسلمين
بالحديبية

واعلم : أن مدة إقامتهم بالحديبية بضعة عشر يوماً ، وقيل
أكثر من ذلك ، ثم قفل بهم النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يريد

وَ(سُورَةُ الْفَتْحِ) لَدَى الْقُفُولِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ

المدينة ، وفي نفوس أصحابه بعض شيء من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكّون فيه ، ولولا إيمانهم^(١) الصحيح ، وثقتهم بهذا النبي الأمين . . لما رجعوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (سورة الفتح) كما قال الناظم :

(وَسُورَةُ الْفَتْحِ) وهي : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿ إِلَى آخِرِهَا (لَدَى الْقُفُولِ) أي : عند الرجوع إلى المدينة ، بجبلٍ على بريد من مكة ، يقال له : ضَجْنَان^(٢) ، بوزن سكران (أَنْزَلَهَا اللَّهُ) بتمامها (عَلَى

(١) حتى قال عمر رضي الله عنه - كما في « طبقات ابن سعد » - : (لقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة على صلح ، وأعطاهم شيئاً ، لو أنّ نبي الله أمر عليّ أميراً فصنع الذي صنع نبي الله . . والله ؛ ما سمعت له ولا أطعت ، وكان الذي جعل لهم : أنّ من لحق من الكفار بالمسلمين . . يردونه ، ومن لحق بالكفار . . لم يردوه) اهـ

(٢) عند هذا الجبل وإد كان عمر بن الخطاب يرعى فيه إبلاً لوالده ، روي عنه أنّه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها : (الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، يعطي من يشاء ما يشاء ، لقد كنت بهذا الوادي - يعني ضجنان - أرعى إبلاً للخطاب ، وكان فظاً غليظاً يتعني إذا قصرت ، وقد أصبحت وأمست ، وليس بيني وبين الله أحد أخشاه) ثمّ تمثّل فقال :

لا شيء ممّا نرى تبقى بشاشته يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له والجن والإنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا
وكان عمر رضي الله عنه يستعذب الشعر الفحل ، ويستشهد به ، وقد أوصى بالاعتداد به ، فقال : (رووا أولادكم الشعر . . تنهذب طباعهم ، وترق ألسنتهم) وفيه تشجيع للأدب البريء ، وكان له نظر في الشعراء ، قال يوماً لبعض جلسائه : (من أشعر الناس ؟) فأجاب =

.....

الرسول) صلى الله عليه وسلم ؛ إعلاماً بأنَّ عهد الحديبية هو
الفتح المبين ، وتسليّة لهم ، وتذكيراً لهم بنعمه عزّ وجلّ .

ولمّا نزلت جمع عليه الصّلاة والسّلام الناس ، وقرأ
عليهم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية .. فقال رجل :
يا رسول الله ؛ أوفّتح هو ؟ قال : « إي والذي نفسي بيده ؛ إنّه
لفتح » .

صلح الحديبية أعظم
الفتح

قال في « شرح المواهب » : (روى موسى بن عقبة في
حديثه عن الزُّهري ، وأخرجه البيهقي عن عروة قال : أقبل
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم راجعاً ، فقال رجل من أصحابه :
ما هذا بفتح ؛ لقد صُدِدْنَا عن البيت ، وصُدِّ هَدِينَا ، وَرَدَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا
إليه ، فبلغه ذلك صلى الله عليه وسلم ، فقال : « بسّ
الكلام ! بل هو أعظم الفتح ، قد رضي المشركون أن يدفَعوكم
بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ، ويرغبوا إليكم في
الأمان ، ولقد رأوا منكم ما كرهوا ، وأظهركم الله عليهم ،
وردّكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتح ، أنسيتم يوم أحد
إذ تُصْعِدُونَ ولا تلوون على أحد ، وأنا أدعوكم في أخراكم ؟
أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ،
وإذ زَاغَتِ الأبصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وتظنون بالله
الظنوننا ؟ » فقال المسلمون : صدق الله ورسوله ، هو أعظم

= كل بما عنده ، فقال : (أشعرهم من يقول : من ومن) يعني زهير بن أبي سلمى . اهـ

الفتوح ، والله يا نبيَّ الله ؛ ما فكرنا فيما فكرت فيه ، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا .

تحقيق الله ما وعد به
رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

قال في « الإمتاع » : (فلَمَّا دخل صلى الله عليه وسلم عام القضية ، وحلق رأسه . . قال : « هَذَا الَّذِي وَعَدْتُمْ » فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ . . أَخَذَ الْمِفْتَاحَ ، وَقَالَ « ادْعُوا إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » فَقَالَ : « هَذَا الَّذِي قُلْتَ لَكُمْ » فَلَمَّا كَانَ فِي حِجَةِ الْوُدَاعِ . . وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَقَالَ : « أَيُّ عَمْرٍ ؛ هَذَا الَّذِي قُلْتَ لَكُمْ » قَالَ : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ : مَا كَانَ فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ صَلَاحِ الْحَدِيثِ » .

وهنا انتهى كلام الناظم على الحديثية وعقد الصلح .

* * *

عمرة القضاء :

ولنذيل كلامه بالكلام على عمرة القضاء ؛ توفية للمقام ، ولأنَّ من جملة ما اشتمل عليه عقد الصلح أن يرجعوا هذا العام ، ويأتوا العام القابل ، فكان للنفس تشوُّفٌ إلى خبر العام القابل : هل أتوا مكة ؟ وكم كانت إقامتهم بها ؟ إلى غير ذلك ممَّا سيتلى عليك ، فأقول :

في السنة السَّابعة على الصحيح ، في شهر ذي القعدة ، خرج عليه الصَّلَاة والسَّلَام من المدينة محرماً بالعمرة ، حسبما وقع عليه الاتفاق بينه وبين كفار قريش ، وتُسمَّى هذه العمرة بعمرة القِصاص ؛ لنزول قوله تعالى : ﴿ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ ﴾

.....

فيها ، بل هي أولى بذلك ، كما قال السهيلي ، وبعمرة القضية ، من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع عنهم عامهم هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا في جُلبان السلاح ، وألاً يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، لا من القضاء مقابل الأداء ؛ لأنها كانت عُمرَة صحيحة ، وعُدَّت من جملة عُمره صلى الله عليه وسلم .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الآية .

خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم على
المدينة

وخلاصة الكلام عليها أخذاً من كلام ابن إسحاق وغيره :
أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من خير إلى المدينة . . أقام بها فيما بين الربيعين وشوال يبعث سراياه ، حتى إذا كان في ذي القعدة . . خرج وخرج معه المسلمون ، ممن كان صُدمَ معه في عمرته تلك ، واستعمل على المدينة عُوَيْفَ بن الأُضْبَط الدُّؤَلِي ، وساق ستين بدنة وقلدها ، وجعل عليها ناجية بن جُنْدَب ، وحمل عليه الصلاة والسلام السلاح والدروع والرماح ، وقاد مئة فرس ، وجعل عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه ، وعلى السلاح بشير بن سعد ، ولم يكن قصده عليه الصلاة والسلام أن يدخلها بالسلاح ، ولكن يكون بالقرب إن هاجهم هَيْج من القوم ، وجعل السلاح في بطن يَأَجَج بالقرب من الحرم ، وجعل عليه نحو المئتين من أصحابه .

أول رمل واضطباع في
الإسلام

ولمّا سمع به أهل مكة . . خرج أكابرهم عنها ، وتحدثت
قريش بينها أنّ محمّداً في عُسرة وجهه وشدة ، فلمّا
دخل صلى الله عليه وسلم المسجد . . رمل واضطبع برداءه ،
وأخرج عضده اليمنى ، وهذا أول رمل واضطباع في الإسلام ،
ثمّ قال : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » ثمّ استلم
الركن ، ثمّ أخذ يُهزول ، ويُهزول أصحابه معه ثلاثة أطواف ،
ومشى سائرهما .

قال ابن عباس : كان الناس يظنون أنّها ليست عليهم ،
وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّما صنعها لهذا الحيّ
من قريش ؛ للذي بلغه عنهم ، حتى حجّ حجّة الوداع فلزمها ،
فمضت السنّة بها ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرمئوا الأشواط
كلها إلّا الإبقاء عليهم ، وحين رأت قريش هذا الموقف الرائع
الرهيب من الرسول الأعظم وأصحابه . . قالت قريش : هؤلاء
الذين زعمتم أنّ الحمى قد وهنتهم ! لهؤلاء أجلد من كذا ،
وكذا ، إنهم لينفرون نفر الطيبي ؛ أي : الغزال .

قال ابن كثير : (روى البيهقي من غير وجه عن
عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري عن أنس قال : لمّا دخل
النبيّ صلى الله عليه وسلم مكّة في عمرة القضاء . . مشى
عبد الله بن رَواحة بين يديه وهو آخذ بغرزه ، وهو يقول :

رجز عبد الله بن رَواحة
رضي الله عنه بين يدي
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيلِهِ
قد نَزَلَ الرَّحْمَنُ في تَنْزِيلِهِ

.....
بأنَّ خَيْرَ القَتْلِ في سبيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تَأْوِيلِهِ

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه :

خَلُّوا بني الكَفَّار عن سبيلِهِ
اليومَ نَضْرِبُكُمْ على تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يَزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ
ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ
يا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

تأويل رؤيا النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي
رآها

هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، وذكر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : مَهْ يا ابن رواحة ، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي حرم الله تقول الشعر ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَّ عنه يا عمر ؛ فلهو أسرع فيهم من نَضَحِ النَّبْلِ » .

وفاء الرسول صَلَّى اللهُ
عليه وسلم لقريش
بالعهد

ولَمَّا تَمَّتِ الثلاثة الأيام التي هي غاية الصلح . . جاء حُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى ومعه سُهَيْلُ بن عَمْرٍو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلبان منه الخروج هو وأصحابه ، فقالوا : نناشدك الله والعَقْدَ إِلَّا ما خرجت من أرضنا ؛ فقد مضت الثلاث ، فخرج عليه الصَّلَاة والسَّلَام وفاءً بالعقد والعهد .

قال في « الإمتاع » : (وأمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام أبا رافع

ثُمَّ لَخَيْبِرٍ وَرَشَّحَ النَّبِيُّ حَيْدَرَةً وَبِالْعُقَابِ قَدْ حُبِّي

بالرحيل ، وقال : « لا يمسين بها أحد من المسلمين » وركب حتى نزل بِسَرْفٍ ، وخلف أبا رافع ؛ ليحمل إليه ميمونة حين يمسي ، فخرج بها مساء فبنى عليه الصَّلَاة والسَّلَام على ميمونة بِسَرْفٍ ، ولم ينزل بمكة ، وإنما ضربت له قبة من آدم بالأبطح ، وكان هناك حتى سار منها ، وبعث بمئتي رجل مَمَّن طافوا بالبيت إلى بطن يأجج ، فأقاموا عند السلاح حتى أتى الآخرون ، ففضوا نسكهم ، وقدم المدينة عليه الصَّلَاة والسَّلَام في ذي الحجة من السنة السابعة) .

بناؤه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين ميمونة



(٢٤) غزوة خيبر

(ثُمَّ) بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية . . . أقام بالمدينة ذا الحجة وبعضَ المحرم ، كما قاله ابن إسحاق ، وخرج في بقية منه متوجهاً (لخيبر) ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلَّا شهر وأيام .

وخيبر بوزن جعفر ذكر أبو عبيد البكري في « معجمه » : (أَنَّهَا سُمِّيتَ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنَ الْعَمَالِيقِ ، وَهُوَ خَيْبَرُ بْنُ قَانِيَةَ بْنِ مَهْلَئِيلَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَهَا) اهـ

واستخلف على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي فيما قال ابن هشام ؛ وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، إلى ناحية الشام ، على نحو أربعة أيام بالسَّير المعتدل من المدينة على

نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الخليفة على المدينة

.....
الإبل ، وبالسّيارة أربع ساعات ؛ لعدم تعبيد الطريق ، أمّا اليوم
فقد عبّد ، فكان المسير فيه نحو ساعة بالسيارة .

وكان الله تعالى وعده خير وهو بالحديبية ، قال ابن كثير :
(قال شُعبة عن الحكم ، عن عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي لَيْلَى ، في
قوله تعالى : ﴿ وَأَثْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ قال : خير) .

قال ابن برهان الحلبي في « سيرته » : (واستنفر صلى الله
عليه وسلم مَنْ حوله مِمَّنْ شَهِدَ الحديبية يغزون معه ، وجاء
المخلفون عنه في الحديبية ؛ ليخرجوا معه رجاء الغنيمة ،
فقال : « لا تخرجوا معي إلّا راغبين في الجهاد ، فأما
الغنيمة . . فلا » ثمّ أمر منادياً ينادي بذلك ، فنادى به (اهـ
وخرجت معه أم سَلَمَة أم المؤمنين رضي الله عنها ،
وكانت معه في الحديبية كما تقدم .

منازل الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى خير :

قال ابن إسحاق : (وحين خرج النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
من المدينة إلى خَيْبَر . . سلك على عَصِر^(١) ، وَبَنَى له فيها
مسجداً ، ثمّ على الصَّهْبَاء ، ثمّ أقبل بجيشه حتى نزل به بواد
يقال له : الرجيع^(٢) ، فنزل بين أهل خير وبين عَطْفَان ؛

(١) بكسر الصاد : جبل بين المدينة ووادي الفرع ، وعنده مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ « قاموس » وشرحه « التاج » مادة (عصر) .

(٢) هو بقرب خير ، غير الرجيع الذي لهذيل بناحية مكة ، حيث غدرت فيه عضل والقارة .

ليحول بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهل خير ، وكانوا لهم مظاهرين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انخذال غطفان عن اليهود :

فبلغني : أنَّ غُطْفَانَ لما سمعوا بذلك . . جمعوا له ، ثُمَّ
خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً . . سمعوا
خلفهم في أموالهم وأهليهم حَسًّا ظنوا أَنَّ القوم قد خالفوا
إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم ، وخلوا
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خَيْرٍ .

تأهَّب غطفان لمعاونة
يهود خيبر

قال الإمام البخاريّ : (حَدَّثَنَا عبد الله بن مَسْلَمَةَ عن
مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَيْرِ بن يسار : أَنَّ سويد بن
النعمان أخبره أَنَّهُ خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
خيبر ، حتى إذا كانوا بالصَّهْبَاءِ - وهي أَدْنَى من خيبر - صلى
العصر ، ثُمَّ دعا بالأزواد ، فلم يُوْتِ إِلَّا بالسَّوِيقِ ، فَأَمَرَ به
فُتْرِي ، وَأَكَلَ فَأَكَلْنَا ، ثُمَّ قام إلى المغرب ، فمَضَمَضَ ، ثُمَّ
صَلَّى ولم يتوضَّأْ) .

نزل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم بالصَّهْبَاءِ

دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خيبر :

قال ابن إسحاق : (وَحَدَّثَنِي من لا أَتَهِمُهُ ، عن عطاء بن
أبي مروان الأَسْلَمِيِّ ، عن أبيه مُعْتَبِ بن عمرو : أَنَّ رسول الله
صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَشْرَفَ على خيبر . . قال لأصحابه وأنا
فيهم : « قَفُوا » ثُمَّ قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وما أَظْلَلْنَ ،
وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وما أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وما أَضَلَّلْنَ ، وَرَبَّ

الرياح وما أذرّين ؛ فإنّنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ،
وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر
ما فيها ، أفدّموا باسم الله » قال : وكان يقولها عليه الصّلاة
والسّلام لكل قرية دخلها) .

وقال الإمام البخاري : (حدّثنا عبد الله بن يوسف ،
حدّثنا مالك عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك : أنّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى خير ليلاً ، وكان إذا أتى
قوماً بليل . . لم يُغريهم حتى يصبح ، فلمّا أصبح . . خرجت
اليهود بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوه . . قالوا : محمّد
والله ، محمّد والخميس ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « خربت خير ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم . . فسَاء صباح
المنذرين ») .

إعطاء الراية لعلي بن أبي طالب :

الراية العقاب

(ورشّح) أي : قدّم (النّبيّ) صلى الله عليه وسلم لأخذ
الراية لفتح خير (حَيْدَرَة) يعني : عليّاً حيث قال صلى الله
عليه وسلم : « لأُعْطِيَنَّ الراية رجلاً يُحِبُّهُ اللهُ ورسوله »
(وبالعقاب) بضم العين ؛ أي : بالراية المسمّاة بالعقاب ،
قال الشهاب في « المواهب » : (وهي راية النّبيّ صلى الله عليه
وسلم ، وهي سوداء من بُرْد لعائشة رضي الله عنها) (قد
حبي) قد خصّ ومنح .

وأشار الناظم إلى ما رواه البخاري عن سلّمة قال : (كان

علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر ، وكان رمداً ، فقال : أنا أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ! فلحق به ، فلمّا بتنا الليلة التي فتحت خيبر في صبيحتها . . قال : « لأُعطينَ الراية غداً - أو ليأخذَنَّ الراية غداً - رجل يحبّه الله ورسوله يفتح له » وفي رواية ابن إسحاق : « ليس بفرار » وفي حديث بريدة : « لا يرجع حتى يفتح الله له » فلمّا أصبح الناس . . غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقالوا : يا رسول الله ؛ هو يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأُتي به ، فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع) .

من معجزاته صلى الله عليه وسلم

وروى البخاري أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأُعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله » قال سهل : فبات الناس يدُوكون - أي : يخوضون - ليلتهم أئهِم يعطاها .

فلمّا أصبح الناس . . غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأُتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

.....

فقال صلى الله عليه وسلم : « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ - بكسر الراء ؛
أي : على هَيْبَتِكَ - حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى
الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه ،
فوالله ؛ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا . . خَيْرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ
حُمْرُ النَّعَمِ » (١) .

وزاد مسلم في « صحيحه » من حديث إياس بن سلمة عن
أبيه سلمة بن الأكوع : (وخرج مَرْحَبٌ فقال :
قد عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي مَرْحَبٌ

شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ
فقال عليّ :

أَنَا الَّذِي سَمَّنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ
كَلِثَ غَابَاتٍ كَرِيهِهِ الْمَنْظَرَهُ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهُ
قال : فضرب رأس مَرْحَبٍ فقتله ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى

(١) فيه : أَنَّ تَأْلِيْفَ الْكَافِرِ حَتَّى يَسْلَمَ أَوَّلَى مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى قَتْلِهِ ، فَيَنْبَغِي سُلُوكَ الطَّرِيقِ الْحَكِيمَةِ
إِلَى الْهَدَايَةِ الْمَنْشُودَةِ ، وَهَذِهِ الْخَلَّةُ مِنْ مُحَاسِنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ ، رَزَقَنَا اللَّهُ التَّمَسُّكَ بِأَهْدَابِهِ
وَأَدَابِهِ ، آمِينَ .

كَمَا أَنَّ الْوَصِيَّةَ الْحَقَّةَ لَجَدِيدَةٍ أَنْ تَقْطَعَ أَلْسِنَةَ الْأَفَاكِينِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الْإِسْلَامَ إِنَّمَا قَامَ عَلَى
السَّيْفِ وَالْقُوَّةِ ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ بِالسَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا
كَذِبًا ﴾ .

وَفَازَ بِالْفَتْحِ وَكَانَ تَرَسًا بَابِ حِصْنٍ لَا يُزَاحُ إِذْ رَسَا

يديه) كما قال الناظم : (وفاز بالفتح) وظفر بالنصر .

تَرَسَ عَلَيَّ بَابِ الْحِصْنِ :

(وكان) عَلَيَّ رضي الله عنه (تَرَسًا بَابِ حِصْنٍ) هو القَمْوَصُ - بفتح القاف ، وضم الميم - أي : اتخذ باب الحصن تَرَسًا ووقاية من العدو ، وعند القتال (لَا يُزَاحُ) أي : لَا يُنَحَّى ، وَلَا يُذْهَبُ بِهِ (إِذْ رَسَا) وثبت في الأرض ؛ لعظم الباب .

ويشير الناظم بهذا إلى ما رواه ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عبد الله بن حسن ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع قال : خرجنا مع عليٍّ حين بعثه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأيته ، فلَمَّا دَنَا مِنَ الْحِصْنِ . . خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطرح تَرَسَهُ مِنْ يَدِهِ ، فتناول عليٌّ باباً كان عند الحصن ، فَتَرَسَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتَّى فتح الله عليه ، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فَرَّغَ ، فلقد رأيتنا فِي نَفَرٍ سَبْعَةَ مَعِيَ ، أَنَا ثَامَنُهُمْ ، نَجْهَدُ عَلَى أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ ، فلم نقلبه) اهـ

قال الشهاب في « المواهب » : (وفي رواية البيهقي : أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا انْتَهَى إِلَى الْحِصْنِ . . اجتذب أحد أبوابه ، فألقاه بالأرض ، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً ، فكان جُهِدُهُمْ أَنْ أَعَادُوا الْبَابَ مَكَانَهُ) اهـ

قلت : والأحاديث في هذا الباب وإن كانت ضعيفة - كما

نقله الشهاب عن شيخه السخاوي - إِلَّا أَنَّهَا تُقْبَلُ فِي بَابِ
الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَمَقْرَرٌ فِي مَحَلِّهِ .

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ لَطِيفَةٌ ، وَهِيَ : أَنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَوْ
تَعَرَّضَ لَطَلْبِهِ . . يُحَرِّمُهُ غَالِبًا ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَطْلُبْ شَيْئًا وَلَمْ
يَتَعَرَّضْ لَطَلْبِهِ . . رُبَّمَا وَصَلَ إِلَيْهِ .

وَالدَّهْرُ يُعْطِي الْفَتَى مَا لَيْسَ يَطْلُبُهُ
يَوْمًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْعِمُهُ



فَائِدَتَانِ

الرَّايَةُ وَاللَّوَاءُ

الأولى : قَالَ الْحَافِظُ فِي « الْفَتْحِ » : (صَرَحَ جَمَاعَةٌ مِنْ
اللُّغَوِيِّينَ بِتَرَادُفِ الرَّايَةِ وَاللَّوَاءِ ، وَهُوَ الْعَلَمُ الَّذِي يَحْمِلُ فِي
الْحَرْبِ) لَكِنْ رَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالتَّبَرَّانِيُّ
عَنْ بُرَيْدَةَ ، وَابْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالُوا : (كَانَتْ رَايَةُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُودَاءَ ، وَلَوْأُهُ أَبْيَضُ . زَادَ
أَبُو هُرَيْرَةَ : مَكْتُوبٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)
وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي التَّغَايِيرِ ، وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فَقَالَ : (اللَّوَاءُ
خِلَافُ الرَّايَةِ ، فَاللَّوَاءُ : مَا يُعْقَدُ فِي طَرَفِ الرَّمْحِ وَيَلْوَى عَلَيْهِ ،
وَالرَّايَةُ : مَا يَعْقَدُ فِيهِ وَيُتْرَكُ حَتَّى تَصْفَعَهُ الرِّيَّاحُ ، فَلَعَلَّ التَّفَرُّقَ
بَيْنَهُمَا عَرْفِيَّةٌ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ - وَكَذَا أَبُو الْأَسْوَدِ - عَنْ
عُرْوَةَ : أَنَّ أَوَّلَ مَا وَجَدْتَ الرَّاياتَ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ
قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا الْأَلْوِيَةَ) .

.....

وفي المصباح : (لواء الجيش : عَلمه ، وهو دون
الراية) .

حصون خبير :

الثانية : الحصون التي فتحها الله لرسوله بخبير هي :
حصن ناعم : وهو أول حصونهم فتحاً ، كما قاله ابن
إسحاق .

والقموص : بفتح القاف وضم الميم ، هو الذي فتحه
عليّ .

قال في شرح المواهب : (وهو أعظم حصون الكتيبة)
وفيه سُبَيْتٌ صفية رضي الله عنها ، وكانت تحت كنانة بن
الرَّبِيع بن أَبِي الحُقَيْق .

وحصن الصعب بن معاذ : قال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي
عبد الله بن أبي بكر : أَنَّهُ حَدَّثَهُ بعضُ أسْلَمَ : أَنَّ بني سهم من
أسْلَمَ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله
يا رسول الله ؛ لقد جَهِدنا ، وما بأيدينا من شيء ، فلم يجدوا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ، فقال :
« اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن
ليس بيدي شيء أُعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها
عنهم غَناء ، وأكثرها طعاماً وَوَدَكا » فغدا الناس ، ففتح الله عزَّ
وجلَّ عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخبير حصن كان
أكثر طعاماً وَوَدَكا منه) اهـ

.....

وحصن قلعة الزُّبير : الذي صار في سهمه بعد .

قال في « شرح المواهب » : (وكان اسمه حصن قُلة ؛
لكونه كان على رأس جبل) .

وحصن الوطّيح : بالتكبير ، سمي بالوطيح بن مازن :
رجل من ثمود ، نقله في « شرح المواهب » عن البكري .

والسُّلالم : بضم السين المهملة ، قال ابن إسحاق فيه
والذي قبله : (وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً) .

واعلم : أنَّ الوطّيح والسُّلالم من حصون خيبر ، اختصَّ
بهما من بقي من أهل خيبر ، حتى صالحوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على أن يُقرَّهم لعمارة الأرض ، ولهم نصف
ما تثمر ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نقركم
ما شئنا » ثمَّ أجلاهم عمر رضي الله تعالى عنه .

فائدة :

أُمنّا صفية المذكورة آلت زوجاً للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
لَمَّا قيل : إنّ امرأة من اليهود جاءت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت : يا محمّد ؛ إن صفية لا تصلح إلّا لك ؛ فإنّها
سيدتنا ، وبنت سيدنا ، فاشتراها ، قيل : بسبعة أرؤس ،
فكانت تقول : ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيته ركب بي من خيبر على
ناقته ليلاً فجعلت أنعس ، فيضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسنني
بيده ، ويقول : « يا هُذه ؛ مهلاً يا بنت حبي » حتى إذا جاء

وَعَلَّ قَاتِلَ سَلِيلٍ مَسْلَمَةٍ لِصَنُوهِ مُحَمَّدٍ وَأَسْلَمَهُ

الصهباء.. قال : « أَمَا إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا صَفِيَّةَ مِمَّا صَنَعْتَ بِقَوْمِكَ ؛ إِنَّهُمْ قَالُوا لِي كَذَا » .

قتل قاتل محمود بن مسلمة الأنصاري :

(وَعَلَّ) عليُّ بن أبي طالب ، بمعنى : أوثق (قاتل) محمود ، بإلقاء رَحَىٍّ من حصنٍ ناعم (سليل) أي : ابن (مسلمة) بن خالد بن عَدِيٍّ ، ودفعه لأخيه ، كما قال (لِصَنُوهِ) أي : شقيق محمود ، وأبدل من (صنوه) قوله : (مُحَمَّدٌ) فالجار والمجرور يتعلق بقوله : (وأسلمه) بصيغة الماضي المعلوم ، بمعنى : أعطاه لشقيقه مُحَمَّدٌ .

قال في « العيون » بسنده إلى ابن عمر : (جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا أَخِي ، فقال : « لَأَدْفَعَنَّ الرَايَةَ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَفْتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ، فَيَمَكِّنَهُ اللَّهُ مِنْ قَاتِلِ أَخِيكَ » فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَعَقَدَ لَهُ اللِّوَاءَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أُرْمَدُ كَمَا تَرَى ، قَالَ : وَكَانَ يَوْمُئِذٍ أُرْمَدُ ، فَتَفَلَّ^(١) فِي عَيْنِهِ ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَمَا رَمَدْتُ بَعْدَ يَوْمِئِذٍ !

(١) أشار إلى التفل صاحب « الهزمية » وأجاد بقوله :

وعلي لما تفلت بعيني فغدا ناظراً بعيني عقاب
وهو وكلتاهما معاً رمداً في غزاة لها العقاب لواء
والعقاب الأول اسم طائر .

وَعَالَ مَرْحَباً وَقَدْ حَجَرَا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ بِهِ تَمَغْفَرَا

قال العوام - يعني ابن حَوْشَب أحد رواة الحديث - :
فحدَّثني جبلة بن سُحَيْم - أو حبيب بن أبي ثابت - عن ابن عمر ،
قال فمضى بذلك الوجه ، فما تتامَّ آخرنا حتى فتح الله على أولياء
الله ، فأخذ عليّ رضي الله عنه قاتل الأنصاري ، فدفعه إلى
أخيه ، فقتله الرجل الأنصاريّ ، وهو محمَّد بن مسلمة .

مقتل مرحب اليهودي :

(وَعَالَ) أي : قتل علي بن أبي طالب (مَرْحَباً) بوزن
منبر كما ضبطه شارح « القاموس » وهو بطل يهود خبير ، وكان
قد خرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى ، وحجر قد
ثقبه مثل البيضة على رأسه ، كما قال الناظم : (وَقَدْ) بتشديد
الدال ؛ أي : وكان قد قطع مرحب (حَجَرَا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ)
أي : من الصخر اليابس والحجر الصلب (به) أي : بذلك
الحجر ، وهو متعلق بقوله : (تمغفرا) بألف الإطلاق أي :
تمغفر به ؛ أي : جعله مَغْفَرَاً - بكسر الميم - : وهو ما يجعله
المتسلح تحت قلنسوته^(١) .

تنبيه :

تعارض الروايات
وتقديم ما في الصحيح

إنَّما أعدت الضمير في (غال) إلى (عليّ) ؛ لأنَّه ظاهر
النظم ، وهو الموافق لما في « صحيح مسلم » من رواية

(١) وأشار لذلك بعضهم وأجاد بقوله :

فقلت من وجدي به مرحباً
قدَّ عليّ في الوغى مرحباً

وشادن أبصرته مقبلاً
قدَّ فؤادي في الهوى قدَّة

وَعَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ اسْتَشَدَّهُ خَيْرُ الْوَرَى وَقَالَ إِذْ أَنْشَدَهُ

إياس بن سلمة عن أبيه وفيه : (أنَّ علياً ضرب رأس مرحب فقتله ، فكان الفتح على يديه) وإن كان مخالفاً لما قاله ابن إسحاق ، من أنَّ قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة ، ورواه موسى بن عُبَبة عن الزُّهريِّ والواقديّ ، عن جابر .

وقيل : إنَّ الذي قتله علي ، هو الحارث أخو مرحب ، فاشتبه على بعض الرواة ، فإن كان كذلك . . فالأمر ظاهر ، وإلا . . فما في « الصحيح » مقدم على ما سواه .

قال العلامة الشاميّ : (ما في « مسلم » مقدم عليه من وجهين : أحدهما : أنَّه أصحَّ إسناداً ، الثاني : أنَّ جابراً لم يشهد خبير ، كما قاله ابن إسحاق والواقديّ وغيرهما ، وقد شهدها مسلمة ، وبُرَيْدة ، وأبو رافع ، فهم أعلم ممَّن لم يشهدا) اهـ

فائدة :

قال ابن هشام : (كان شعار المسلمين يوم خيبر : يا منصور ؛ أَمِثْ أَمِثْ) .

شعار المسلمين يوم
خيبر

استنشاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامر بن الأكوع :
(و) لما خرج (عامر بن الأكوع) وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع على الصحيح إلى خيبر مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (استنشده) أي : طلب منه أن ينشده (خيرُ الورى) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأنَّه كان حَدَّاءً ، والإبل تستحث بالحدَّاء ، وقال : « انزل فحدثنا من هُناتك » بضم الهاء ، وفي

وَاللّٰهُ لَوْ لَا اَللّٰهُ مَا اُهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَإِذْ تَرَحَّمْ لِلْإِنشَادِ عَلَيْهِ هَلَكَ مِنْ رُجُوعِ سَيْفِهِ إِلَيْهِ

رواية : « من هُنَيْهَاتِكَ » وفي لفظ : « من هُنَيْتَاتِكَ » بقلب الهاء
الثانية ياء ؛ أي : من أراجيزك وأشعارك (وقال) عامر ممتثلاً
(إذ أنشده) :

والله^(١) لَوْ لَا اَللّٰهُ مَا اِهْتَدَيْنَا
ولا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
الحذاء الذي أنشده
عامر بن الأكوع رضي
الله عنه

وبعده كما في « العيون » :
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَاوَا عَلَيْنَا
وإن أرادوا فتنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَبُتَّتِ الْأَقْدَامُ إِن لَّا قَيْنَا

فقال صلى الله عليه وسلم : « يرحمك الله » وفي رواية :
« غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ » وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لإنسان يخصه في مثل هذا الموطن إلاَّ اسْتَشْهَد ، ولذا قال عمر
رضي الله عنه كما في الصحيح : (وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اَللّٰهُ ، لو
أمتعتنا به) .

استشهاد عامر بن الأكوع :

وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله :

(وَإِذْ تَرَحَّمْ) عليه بقوله ذلك (لِلْإِنشَادِ) لذلك الرجز ،

(١) في « صحيح مسلم » بلفظ : « اَللّٰهُمَّ » قال الإمام النووي : (كذا الرواية ، قالوا :
وصوابه : لا هم ، أو تالله ، أو والله ، كما في الحديث الآخر : « فوالله لولا الله ») اهـ

وَأُسْتُشْعِرَ الْفَارُوقُ أَنْ يُسْتَشْهَدَا وَأُخْبِرَ الْهَادِي بِهِ بَادٍ بَدَا

فقوله : (عليه) ، متعلق بـ (ترحم) (هلك) أي : مات ،
نظيره قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ
فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ ﴾ الآية من (سورة
غافر) (من رجوع سيفه) أي : عامر (إليه) وهو يقتل ،
فأصاب ركبته .

(واستشعر) أي : فطن سيدنا عمر (الفاروق) بين الحق
والباطل ، والإيمان والكفر ، من قوله صلى الله عليه وسلم
ذلك (أن يُسْتَشْهَدَا) بالبناء للمفعول ؛ أي : في هذه الغزوة
(وأخبر) بالبناء للمفعول (الهادي) صلى الله عليه وسلم
(به) أي : بموت عامر برجوع سيفه عليه (بادٍ) بالتنوين
(بدًا) بصيغة الماضي ، بمعنى : أول كل شيء ، وهذه الكلمة
فيها لغات كثيرة ، وذكرها في « القاموس » في مادة (بدأ)
وضبطها السيد الزبيدي في « شرحه » ضبطاً يرجع إليه ؛ فإنَّ
النسخ من « القاموس » في هذا الموضع في اختلاف شديد ،
ومصادمة بعضها مع بعض ، فليكن الناظر على حذر منها .

تنبيه لغوي

قال الإمام البخاري في « الصحيح » من حديث طويل ،
من رواية يزيد بن أبي عُبَيْد مولى سلمة ، عن سلمة بن
عمرو بن الأكوع وفيه : (فلما تصافَّ القوم .. كان سيف عامر
قصيراً ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، فرجع ذبابُ سيفه
- أي : طرفه الأعلى - فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ،
قال : فلما قفلوا - أي : رجعوا من خيبر - قال سلمة : رأني

سبب قتل عامر بن
الأكوع

.....

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي ، فلمَّا رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاحباً - أي : متغير اللون - قال : « مالك ؟ » قلت له : فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، زعموا أَنَّ عامراً حَبَطَ عمله ، قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « كَذِبٌ مِنْ قَالِهِ ، وَإِنَّ لَهُ لِأَجْرَيْنِ - وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعِيهِ - إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ » (اهـ ، والضمير في قوله « بها » للأرض أو المدينة ، أو الحرب ، أو الخصلة .

وقال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ نَصْرِ الْأَسْلَمِيِّ ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى خَيْبَرَ لِعَامِرِ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَهُوَ عَمُّ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَكَانَ اسْمُ الْأَكْوَعِ سَنَانًا : « أَنْزِلْ يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ ، فَخُذْ لَنَا مِنْ هَنَاتِكَ » قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لَوَلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا

إلى آخر الأبيات ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُكَ اللَّهُ » فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أَمْتَعْتَنَا بِهِ ، فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله فيما بلغني : أَنَّ سَيْفَهُ رَجَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقَاتِلُ فَكَلَّمَهُ - أي : جرحه - كَلِمًا شَدِيدًا ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شَكُّوا فِيهِ ، وقالوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سِلَاحُهُ ، حَتَّى سَأَلَ ابْنُ أَخِيهِ سَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ

وَقُتِلَتْ تِسْعُونَ مِنْ يَهُودَا وَأَسْتُشِهَدَتْ (يَه) وَلَا مَزِيدَا

الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَشَهِيدٌ »
وصَلَّى عَلَيْهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ . قال في « روض
النُّهَاء » : (لَأَنَّهُ تَأَخَّرَ مَوْتُهُ عَنِ الْمَعْرَكَةِ) .

عدد قتلى اليهود في
خيبر

(وَقُتِلَتْ) في غزوة خيبر (تسعون) بفوقية قبل السين
(مِنْ يَهُودَا) لعنهم الله تعالى ، وزاد في « العيون » كابن سعد
عليها ثلاثة فقال في « الطبقات » : (وقتل منهم ثلاثة وتسعون
رجلاً من يهود : الحارث أبو زينب ، ومزحج ، وأُسَيْر ،
وياسر ، وعامر ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وأخوه ، وإنما ذكرنا
هؤلاء وسميائهم لشرفهم ؛ أي : في قومهم) .

شهداء الصحابة خمسة عشر في خيبر :

(وَأَسْتُشِهَدَتْ) من أصحاب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم
(يَه) أي : خمسة عشر (ولا مزيداً) عليها .

قال ابن سعد في « الطبقات » : (واستشهد من أصحاب
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بخيبر : ربيعة بن أكثم ، وثقف بن
عمرو بن سُمَيْط ، ورفاعة بن مسروح ، وعبد الله بن الهُبَيْب
- حليف لبني أسد بن عبد العُزَّى - ومحمود بن مسلمة ،
وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النعمان من أهل بدر ، والحارث بن
حاطب من أهل بدر ، وعروة بن مُرَّة بن سُراقَة ، وأوس بن
القائد ، وأُنَيْف بن حبيب ، ومسعود بن سعد بن قيس ،
وبشر بن البراء بن معرور - مات من الشاة المسمومة -
وفُضَيْل بن النعمان ، وعامر بن الأكوع - أصاب نفسه ، فدفن

هو ومحمود بن مسلمة في غار واحد بالرجيع بخيبر -
وعُمارة بن عُقبة بن عباد بن مُلَيْل ، ويسار العبد الأسود ،
ورجل من أشجع ، فجميعهم خمسة عشر رجلاً) .

قلت : بالعدِّ يظهر أنهم يزيدون على ذلك ، والعلم عند
الله تعالى .

استشهاد يسار الراعي :

قصة إسلام يسار
الراعي رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : (وكان من حديث الأسود الراعي^(١)
فيما بلغني عنه : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنمٌ له ، كان فيها أجيلاً
لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ؛ اعرض عليّ الإسلام ،
فعرضه عليه ، فأسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحقر أحداً أن يدعوهُ إلى الإسلام ويعرضه عليه ، فلمّا
أسلم . . قال : يا رسول الله ؛ إنّي كنت أجيلاً لصاحب هذه
الغنم ، وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : « اضرب
في وجوهها ، فإنّها سترجع إلى ربها » أو كما قال ، فقام
الأسود ، فأخذ حَفَنَةً من الحصى ، فرمى بها في وجوهها
وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ،

(١) هو الذي سمّاه ابن سعد بيسار العبد الأسود ، وقد سمّاه أبو نعيم كذلك يساراً ، وسمّاه غيره
أسلم . قال الحافظ في « الإصابة » : (قال الرشاطي في « الأنساب » : أسلمُ الحيشي
أسلمُ يوم خيبر ، وقاتل فقتل وما صلّى صلاة ، فقال النّبّي صلى الله عليه وسلم : « إنّ معه
الآن زوجتيه من الحور العين ») اهـ

وَمَرَّ رَاجِعاً إِلَى وَادِي الْقُرَى فَشَاطَرَتْ يَهُودُهُ خَيْرَ الْوَرَى

فخرجت مجتمعة كأنَّ سائِقاً يسوقها ، حتى دخلت الحصن على ربها ، ثُمَّ تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صَلَّى لله صلاة قطّ ، فَأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضِع خلفه ، وسُجِّي بِشَمْلَةٍ كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ، ثُمَّ أَعْرَض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لِمَ أَعْرَضْتَ عنه ؟ قال : « إِنََّّ معه الآن زوجتيه من الحُور العين ، تنفضان التراب عن وجهه » وتقولان : تَرَبَّ الله وجهه من تَرَبَّك ، وقتل من قتلك » .



(٢٥) غزوة وادي القرى

ثُمَّ ذَيْلُ النَّاظِمِ غَزْوَةُ خَيْبَرَ بِالْكَلَامِ عَلَى وَادِي الْقُرَى - بضم القاف ، وفتح الراء مقصوراً - إذ هي في طريقه إلى المدينة المنورة ، فقال :

موقعها

(ومَرَّ) رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع في جمادى الآخرة (راجعاً إلى وادي القرى) وهو اسم لقرية من قُرَى اليهود ، بين المدينة وخبير ، وهي الآن من أعمال المدينة ، وتسمّى بالعلُي ، فدعا أهلها إلى الإسلام ، فامتنعوا من ذلك ، وقاتلوا ، ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنوةً ، وغنمَ الله أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً

اسمها حديثاً

فتح الرسول صَلَّى اللهُ
عليه وسلم لها

وَأَهْلَكُوا غُلَامَهُ ذَا الشَّمْلَةِ أَغْلَهَا فَهِيَ عَلَيْهِ شُعْلَةٌ

والغنائم التي حصلها
منها

ومتاعاً ، فَحَمَسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ترك
الأرض والنخل في أيدي يهود ، وعاملهم على نحو ما عامل
عليه أهل خيبر كما قال الناظم :

(فشاطرْتُ) أي : قاسمت بالنصف (يهوده) أي :
الوادي (خيرَ الوَرَى) صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ :
(واستعمل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاصي
على وادي القرى ، وقُبِضَ وهو عليها) .

خبر مدغم غلام
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

(وأَهْلَكُوا) أي : اليهود في هذه القضية بوادي القرى
(غُلَامَهُ) أي : عبده المسمى : مِدْعَمًا - بكسر الميم وسكون
الدال وفتح المهملتين - بسهم غَرَبٍ أصابه (ذا) أي : صاحب
(الشَّمْلَةِ) بفتح الشين ، هي كساء يشتمل به (أَغْلَهَا) أي :
أصابها من الغنائم ، ولم تصبها المقاسم (ف) لذلك (هي عليه
شُعْلَةٌ) من نار ، والشعلة : ما تشتعل فيه النار من حطب
ونحوه .

قال في « العيون » بسنده إلى أبي هريرة : (خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر ، فلم نغنم ذهباً
ولا وَرَقاً إِلَّا الثيابَ والمتاع والأموال ، قال : فوجَّه رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحو وادي القرى ، وقد أُهْدِيَ لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد أسود^(١) يقال له : مِدْعَم ، يَحْطُّ رحل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه سهم عائر فقتله ،

(١) أهده له رفاعه بن يزيد أحد بني الضبيب ، كما في « مسلم » والضبيب بالتصغير .

فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَلَّا والذي نفسي بيده ؛ إِنَّ الشَّمْلَةَ التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المَقَاسم . . لتشتعل عليه ناراً » فَلَمَّا سمعوا بذلك . . جاء رجل بِشِرَاكٍ أو شراكين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شِرَاكٌ من نار » أو « شراكان من نار » .

مبادرة اليهود بقتال
المسلمين

قال في « الإمتاع » : (فَلَمَّا انتهى إلى وادي القرى . . استقبله اليهود بالرمي ، فقتل مدعم بسهم ، فعبأ عليه الصَّلَاة والسَّلَام أصحابه ، وصفَّهم للقتال ، ثمَّ دعاهم إلى الإسلام فأبوا ، وبرزوا فقتل منهم أحد عشر رجلاً ، وبات عليهم ، وغدا لقتالهم ، فأعطوا بأيديهم ، فأخذها عنوة ، وغنم ما فيها ، فقسمه وعامل يهود على النخل ، وانصرف عليه الصَّلَاة والسَّلَام من وادي القرى وقد أقام أربعة أيام يريد المدينة ، فلَمَّا قرب منها . . نزل وعرَّس ، فنام ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، ثمَّ صلَّى بهم ، فَلَمَّا سلَّم قال : « كانت أنفسنا بيد الله ، فلو شاء . . قبضها ، فَلَمَّا ردها إلينا . . صلينا » .

ولَمَّا نظر عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى أُحُد قال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللَّهُمَّ إِنِّي حرمت ما بين لابتي المدينة » ولما قدم المدينة . . اتخذ المنبر ، وله درجتان والمستراح ، وخطب عليه ، فحنَّ الجذع الذي كان يستند إليه إذا خطب) اهـ

ثُمَّ إِلَى الرُّومِ النَّبِيُّ اسْتَفَرَا بِمُؤْتَةٍ جَيْشاً عَلَيْهِ أَمْرًا

(٢٦) غزوة مؤتة

مؤتة : بالهمزة والميم المضمومة ، قال السهيلي في موقعها « الروض الأنف » : (وهي مهموزة الواو ، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام ، وأما المؤتة بلا همز . . فضرب من الجنون ، وفي الحديث : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ؛ مِنْ هَمْزِهِ ، وَنَفْخِهِ ، وَنَفْثِهِ « وَفَسَّرَهُ رَاوِي الْحَدِيثِ فَقَالَ : نَفْثُهُ : الشَّعْرُ ، وَنَفْخُهُ : الْكَبِيرُ ، وَهَمْزُهُ : الْمَوْتَةُ) اهـ

وعدها من الغزوات مع عدم حضوره صلى الله عليه وسلم فيها ؛ تبعاً لابن سيد الناس اليعمري في « العيون » ولمن قبله . قال ابن إسحاق في « سيرته » : (ذكر غزوة مؤتة من أرض الشام) وترجم الإمام البخاري في « جامعه الصحيح » بقوله : (غزوة مؤتة) وإلّا . . فهي من جملة السرايا .

تاريخها وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما ذكره ابن إسحاق ، قال الحافظ : (وأهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلّا ما ذكر خليفة في « تاريخه » : أَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَوَقَعَ فِي « جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ » : أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، قَالَ الْبَرْهَانُ : وَهُوَ غَلَطٌ بَلَا شَكَّ) .

(ثم إلى) قتال (الروم) جيل قيصر ، وهم بنو روم بن نسب الروم

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ثُمَّ جَعْفَرًا فَأَبْنَى رَوَاحَةَ وَلَأَيًّا أَنْبَرًا

عيسى بن سيدنا إسحاق ، ويقال لهم : بنو الأصفر بن روم ؛
أو لأنَّ جيلًا آخر غلبهم ، فوطئ نساءهم فجئن بأولاد صفر ،
قاله في « روض النُّهاة » (التَّبَيُّ) صلى الله عليه وسلم
(استنفروا) أي : طلب جيشاً أن يَنْفِرَ (بِمُؤْتَةٍ) بالتَّوْنين لضرورة
الشعر ، قال في « الأساس » كما نقله عنه في « شرح
القاموس » : (استنفر الإمام الرعية : كَلَّفَهُم أن يَنْفِرُوا خِفَافاً
وِثْقَالاً) (جيشاً) عدده ثلاثة آلاف ، والكفار مئتا ألف .

عدد جيش المسلمين
والكفار

سبب هذه الغزوة :

وسبب هُذا الاستنفار : ما ذكره الحافظ اليعمرى في
« العيون » وجزم به : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
الحارث بن عُمير الأزدي - أحد بني لَهَب - بكتابه إلى الشام ،
إلى ملك الروم ، وقيل : إلى ملك بُصْرَى ، فعرض له
شُرْحِبِيل بن عمرو الغَسَّانِي ، فأوثقه رِبَاطاً ، ثم قَدَّمَ فضرب
عنقه صَبْرًا ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ
غيره ، فاشتدَّ ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه فبعث هُذا
الجيش) .

مقتل الحارث بن
عمير الأزدي رسول
رسول الله صَلَّى اللهُ
عليه وسلم

وأمر عليه واحداً ، ثمَّ واحداً ، من ثلاثة على الترتيب ،
كما قال : (عليه أَمْرَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، ثُمَّ جَعْفَرًا) إن أُصِيبَ
زيد (فابن رَوَاحَةَ) عبد الله ، إن أُصِيبَ جعفر بن أبي طالب ،
ومن هنا سُمِّيَ هُذا الجيش بجيش الأُمراء .

جيش الأُمراء

روى أحمد والنسائي - وصححه ابن حبان - من حديث

أبي قتادة : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش
 الأمراء : وقال : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أُصيب زيد . .
 فجعفر . . » الحديث ، وفيه : فوثب جعفر وقال : بأبي أنت
 وأُمِّي يا رسول الله ، ما كنتُ أُرهب أن تستعمل عليّ زيداً ،
 قال : « امض ؛ فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير ») .

أُمراء الجيش

قال الشهاب في « المواهب » : (وعقد لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض ، ودفعه إلى زيد ، وأوصاهم
 أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمر ، وهو مؤتة ، وأن يدعوا مَنْ
 هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا ، وإلَّا . . استعينوا عليهم بالله
 وقتلوه) .

توديع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجيش

قال الزرقاني : (فأسرع الناس بالخروج ، وعسكروا
 بالجُرف ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشيئاً لهم
 حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودَّعهم) .

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش :

روى الواقدي عن زيد بن أرقم رفعه ، قال : « أُوصيكم بتقوى
 الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله في سبيل
 الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلُّوا ، ولا تقتلوا
 وليداً ، ولا امرأة ، ولا كبيراً فانياً ، ولا منعزلاً بصومعة ،
 ولا تقربوا نخلًا ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناءً » ^(١) .

(١) فيه من الفوائد التي تتجلى بها مدنيَّة الإسلام بأجلَى مظاهرها : وصية الإمام أُمراء الجيش
 بتقوى الله تعالى . والفرق باتباعهم ، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم ، وما يجب
 عليهم ، وما يحل وما يحرم ، وتحريم الغدر ، وتحريم الغلول ، وتحريم قتل الصبيان إذا =

بكاء عبد الله بن رواحة خوفاً من النار :

وذكر ابن إسحاق من مُرسل عُرْوَة : أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَ
خُرُوجَهُمْ . . وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ
أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . بَكَى ، فَقَالُوا :
مَا يَبْكُكَ يَا بَنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِيَ حُبُّ الدُّنْيَا ،
وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقْرَأُ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا
وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ
بَعْدَ الْوُرُودِ .

إقدام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه
قيل : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : إِنْ كَانَتْ
زَوْجَتِي . . فَهِيَ طَالِقٌ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدِي . . فَهُوَ حَرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ ،
وَإِنْ كَانَ مَالِي . . فَهُوَ صَدَقَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَأَخَذَ سِلَاحَهُ وَسَارَ ،

= لم يقاتلوا ، وهذا كله مجمع عليه كما حكاه الإمام النووي في « شرحه » على « صحيح مسلم » .

(١) تكلم العلماء على هذه الآية ، وذكروا فيها أقوالاً ذكرها العلامة أبو القاسم السهيلي في « الروض » فقال : (منها : أَنَّ الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص ، واحتجَّ قائلو هذه المقالة بقراءة ابن عباس : ﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وقالت طائفة : الورود هنا : الإشراف عليها ومعابنتها ، وحكوا عن العرب : وردت الماء فلم أشرب ، وقالت طائفة : هو المرور على الصراط ؛ لأنه على متن جهنم - أعادنا الله منها والمسلمين - وقالت طائفة : هو أن يأخذ العبد بحظ منها ، وقد يكون ذلك في الدنيا بالحمى ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال : « الحمى كير من جهنم ، وهو حظ كل مؤمن من النار » اهـ

.....

وقال لهم المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم
إلينا صالحين غانمين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً

وَضَرْبَةً ذَاتِ فَرْغٍ^(١) تَقْذِفُ الزَّبَدَا

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجْهِزَةً

بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبَدَا

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَيَّ جَدَثِي

أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَاظٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال ابن إسحاق : (ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّؤُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى

عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودَّعه) .

ثُمَّ قَالَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ :

أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ

وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَرَزَى بِهِ الْقَدَرُ

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ

فِي الْمُرْسَلِينَ ، وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً

فِرَاسَةً خَالَفْتَ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا

(١) ذات فرغ - بفتح الفاء ، وسكون الراء المهملة ، وبعدها غين معجمة - أي : واسعة تسيل

تشجيع ابن رواحة الجيش على لقاء هرقل :

نزل الجيش بمعان
ثم مضوا حتى نزلوا معان^(١) من أرض الشام ، فبلغ الناس
أن هرقل قد نزل مآب - بفتح الهمزة ومدها ، آخره موحدة - من
أرض البلقاء في مئة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لحم ،
وجذام ، والقيين ، وبهراء ، وبلبي مئة ألف .

فلمّا بلغ ذلك المسلمين . . أقاموا على معان ليلتين
يفكرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ؛ فإنّما أن يُمدّنا بالرجال ،
وإنّما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له ، فشجع الناس عبد الله بن
رواحه وقال : يا قوم ؛ والله إنّ التي تكرهون لَلتي خرجتم لها
تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ،
ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ،
فانطلقوا ، فإنّما هي إحدى الحُسنيين : إمّا ظهور ، وإمّا
شهادة ، فقال الناس : قد والله صدّق ابن رواحة ، فمضى
الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء . . لقيتهم جموع هرقل من
الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : المشارف ،
ثمّ دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى مؤتة ، فالتقى الناس
عندها ، فتعبى لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم قُطبة بن
قَتادة العُذريّ ، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصاريّ .

تشاور المسلمين في
الكتابة للنبي صلى الله
عليه وسلم بواقع عدد
جيش الروم

(١) بفتح الميم ، وذكره البكري بضم الميم وقال : (هو اسم جبل) اهـ

استشهاد زيد وجعفر وابن رواحة :

ثمّ التقى الفريقان ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاطّ في رماح القوم ، وقُتِلَ طعنًا بالرماح ، ثمّ أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال . . نزل عن فرسٍ له شَقْرَاءَ عَقْرَهَا^(١) ، فقاتل حتى قُتِلَ ، فكان جعفر أولَ رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام ، فقاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حَبَدَا الجَنَّةِ واقترايْها
طَيِّبَةً وبارداً شَرابيْها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها
كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرابيْها

الآيات التي أنشدها
جعفر رضي الله عنه
عندما أحسنَ دنوَّ أجله

قال ابن هشام : (وحدثني من أثق به من أهل العلم : أنَّ جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه . . ففقطعت ، فأخذه بشماله . . فقطعت ، فاحتضنه بعُضديه حتى قتل رضي الله عنه

(١) أي : ضرب قوائمها بالسيف .

قال السهيلي : (ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدلَّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً ، غير أنَّ أبا داود لمَّا خرج هذا الحديث . . قال : ليس هذا بالقوي ، وقد جاء فيه نهْي كثير عن أصحاب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . اهـ فكأنَّه يريد أنَّ الحديث ليس بصحيح ، لكنه حسن كما جزم به الحافظ ، وتبعه الشهاب القسطلاني ، ونقله عن الحافظ العلامة الزرقاني) اهـ

وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جَنَاحَيْنِ^(١) في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إِنَّ رجلاً من الروم ضربه يومئذٍ ضربةً فقطعه بنصفين . فلماً قتل جعفر . . أخذ اللواء عبدُ الله بن رَوَاحَة ، وتقدم به وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّه

لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّه

الآيات التي أنشدها
عبد الله بن رَوَاحَة رضي
الله عنه قبل استشهاده

(١) وممّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين : أنَّهما ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي طائر وريشه ؛ لأنَّ الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها ، فالمراد بالجناحين : صفة ملكية ، وقوة روحانية ، أعطيتها جعفر ، وقد عبّر القرآن عن العضد بالجنّاح توسّعاً في قوله تعالى لموسى : ﴿ وَأَضْمَمُ بِذَلِكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ وقال العلماء في أجنحة الملائكة : إنَّها صفات ملكية ، لا تفهم إلّا بالمعانية ؛ فقد ثبت أنَّ لجبريل ست مئة جناح ، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك ، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها . فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها . انتهى ما قاله السهيلي في « روضه » ملخصاً ، ولم يسلمه الحافظ في الفتح ؛ فإنَّه قال : (ما جزم به في مقام المنع ، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة على مدّعه ، ولا مانع من الحمل على الظاهر والحقيقة ، إلّا من جهة ما ذكره من قياس الغائب على الشاهد ، وهو ضعيف ؛ لعدم الجامع ، وما استدللَّ به من كون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره ؛ لأنَّ الصورة باقية كما هي ، وإعطاء الجناحين له إكراماً ، وقد روى البيهقي في « الدلائل النبوية » من مرسل عاصم بن عمرو بن قتادة : أنَّ جناحي جعفر من ياقوت ، فهو صريح في ثبوتها له حقيقة ، وأنَّه ليس من أجنحة الطير التي هي من ريش ، وجاء في جناحي جبريل أنَّهما من لؤلؤ ، أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة) من كتاب « المعرفة » له .

وقد نقل هذا في « شرح المواهب » العلامة الزرقاني ، ثمَّ قال عن بعض العلماء : (إنَّ هذا التأويل لا يليق مثله بالإمام السهيلي ، بل هو أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية ، ولا ينكر الحقيقة إلّا من ينكر وجود الملائكة ؛ وقد قال تعالى : ﴿ أُولَ الْأَجْنَحَةِ مَتْنًى وَكُنْتُ وَرَيْعَ ﴾) اهـ

.....

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ
مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِيَنَّ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً
هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةِ

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي
هَذَا حِمَامِ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمَنَّيْتَ فَقَدْ أُعْطِيتِ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

يريد بـ (فعلهما) : فعل زيد وجعفر ، فلَمَّا نزل . . أتاه
ابن عمه بِعَرَقٍ مِنْ لَحْمٍ ، فقال : شُدَّ بهذا صلبك ؛ فَإِنَّكَ قَدْ
لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ
نَهْشَةً ، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ ، فقال : وَأَنْتِ فِي
الدُّنْيَا ؟ ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ، فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى
قَتَلَ .

تأمر خالد بن الوليد :

ثُمَّ أَخَذَ الرَايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ أَخُو بَنِي الْعَجْلَانِ فَقَالَ :
يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ؛ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ، قَالُوا :
أَنْتَ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ

.....

الوليد ، فلمّا أخذ الراية.. دافع القوم وخاشاهم^(١) حتى
انصرف الناس .

وروى الطَّبْراني من حديث أبي اليَسَر الأنصاري ، كما نقله
عنه في « الفتح » قال : أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لمّا
أُصيب عبدُ الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد ،
وقال : أنت أعلم بالقتال مني .

وقول الناظم : (وَلأَيّاً انْبِرا) أي : مشى عبد الله بن رواحة
بعد لأي - بفتح اللام وسكون الهمزة - أي : ببطء ، وذلك أنّه
رضي الله عنه تلكأ في المسير ، وبكى ، ثمّ قال : والله ؛ ما بي
حب الدنيا... إلى آخر ما تقدم .

ويحتمل أن يكون المعنى : أنّ الجيش المذكور انبرى ،
وسار في هذه الغزوة بعد جهد ومشقة ؛ لقلة المسلمين ، وكثرة
الكافرين ، وبُعد السفر والشقة وإن كانت العاقبة للمسلمين .
واللّاي : كالسعي ، قال زهير بن أبي سلمى :

وقفتُ بها مِنْ بعدِ عشرينَ حِجَّةً

فلأَيّاً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ

(١) ذكر السهيلي في « الروض » عند ذكر ابن إسحاق مخاشاة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة :
أنّ المخاشاة المحاجزة ، وهي مفاعلة من الخشية ؛ لأنّه خشي على المسلمين لقلة
عددهم ، ومن رواه (حاشي) بالحاء المهملة.. فهو من الحشي ، وهي : الناحية ، وعن
ابن قتيبة في « المعارف » : (أنّه سئل عن قولهم : حاشى بهم.. فقال : معناه انحاز
بهم) اهـ

وَرَفَعَتْ لِلْهَاشِمِيِّ الْمَعْرَكَةَ فَعَايَنَ الَّذِي أَتَوْا وَأَذْرَكَهُ

إخبار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر :

وَكُشِفَتِ الْأَرْضُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرِكِ الْقَوْمِ عَيَانًا ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ :

(وَرَفَعَتْ لِلْهَاشِمِيِّ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمَعْرَكَةَ) بفتح الراء وتضم ؛ أي : موضع قتال القوم (فعَايَنَ الَّذِي أَتَوْا) من نزال الأمراء الثلاثة ، وكيف استشهدوا ، وغير ذلك ممَّا سبق لك ، وأخبر به أصحابه بالمدينة قبل وصول الخبر بأيام وقال : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مُعْتَرِكَ الْقَوْمِ » .

وقوله : (وأذركه) أي : تحققه ، أتى به بعد قوله : (وعَايَنَ) زيادة في الفائدة ، وذلك أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى شَيْئًا ، وَيَعَايِنُهُ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْهُ ، فَكَانَ هَذَا أَقْرَبَ إِلَى التَّاسِيسِ مِنْهُ إِلَى التَّأَكُّيدِ ، خِلَافًا لِمَا ذَكَرَهُ فِي « رَوْضِ النَّهْاءِ » مِنْ أَنَّهُ لِمَحْضِ التَّأَكُّيدِ ؛ إِذِ التَّاسِيسُ هُوَ الْأَلْيَقُ أَنْ يَحْمَلَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ مَهْمَا أَمَكْنَ ، وَيُسَاعِدُ هَذَا الْحَمْلَ مَا عَلَّلَ هُوَ بِهِ مِمَّا ذَكَرْتَهُ هُنَا .

قال الشهاب في « المواهب » : (وذكر موسى بن عُقْبَةَ فِي الْمَغَازِي) : أَنَّ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ قَدِمَ بِخَبَرِ أَهْلِ مَوْتَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ شَيْئًا . . فَأَخْبِرْنِي ، وَإِنْ شِئْتَ . . أَخْبِرْتِكَ » قَالَ : أَخْبِرْنِي ، فَأَخْبِرَهُ خَبَرَهُمْ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ؛ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفًا لَمْ تَذْكُرْهُ (وتمامه كما عند الزرقاني : (وَإِنَّ أَمْرَهُمْ لَكَمَا ذَكَرْتُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مُعْتَرِكَهُمْ ») .

قدوم يعلى بن أُمَيَّةَ رضي الله عنه ليُعلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر أهل مَوْتَةَ

وروى الإمام البخاري في « جامعہ » عن أنس رضي الله عنه : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ ، فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » وَفِي رَوَايَةٍ : « ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَهُوَ أَمِيرُ نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ ؛ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ ، فَأَنْتَ تَنْصُرُهُ » فَمِنْ يَوْمِئِذٍ سَمِّيَ سَيْفُ اللَّهِ .

انتصار جيش المسلمين :

وفي قوله صلى الله عليه وسلم هذا : دليل على أَنَّ أهل مؤتة رجعوا منصورين ، قال الشهاب عن الحاكم : (قَاتَلَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَأَصَابَ غَنِيمَةً ؛ أَيِ : فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ) .

ومن أجل ذلك لَمَّا قَالَ فِي « الْمَوَاهِبِ » : (إِنَّهُ قُتِلَ مِنْ قَتْلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أَيِ : وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ . . قَالَ الزُّرْقَانِيُّ : (وَفِي هَذَا عَنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَمَزِيدٌ إِعْزَازٍ وَنَصْرٍ لَهُمْ ؛ إِذْ جِيشٌ عِدَّتُهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، يَلْقَى أَكْثَرَ مِنْ مِئَتِي أَلْفٍ ، فَلَا يَقْتُلُ مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ ، مَعَ أَنَّهُمْ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ) .

عدد الشهداء من المسلمين

ولَمَّا دَنَا الْجَيْشُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلًا . . لَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانِ

قدوم جيش المسلمين إلى المدينة

يشتدون ، ورسوله الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر ، فأُتي بعد الله ، فحمله بين يديه ، وجعل الناس يَحْثُونَ التراب على الجيش ، ويقولون : يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! فيقول رسول الله : « ليسوا بالفُرار ، ولكنَّهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى » .

التعريف بالأمراء الثلاثة :

وحيث حدا بنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة . . فلا بأس أن نُلِمَّ بشيء من التعريف بهم ؛ تيمُّناً بذكراهم وإن كانوا في غُنية عن التعريف ؛ لشرفهم العظيم بالانتساب الحقيقي إلى الجنب النبوي ، رضوان الله تعالى عليهم ، لكنَّا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبوي ؛ لنقتفي آثارهم ، ونَتَيَمَّنَ بآثارهم ، ونعطر النواحي بأريج شذاهم ، فأقول ، وبهم على العدا أَصُول :

زيد بن حارثة :

أمَّا سيدنا زيد : فهو ابن حارثة بن شراحيل - بفتح الشين - ابن كعب الكلبي نسباً ، القرشي بالولاء ، حَبُّ رسول الله ، وأبو حَبَّة ، وأُمُّهُ سَعْدَى بنت ثعلبة من بني معن من طيء ، يقال : إنَّها زارت قومها وزيدٌ معها ، فأغارت خيل لبني القَيْن بن جَسْرِ في الجاهلية على أبيات بني مَعْن ، فاحتملوا زيداً وهو غلام يَفْعَةٌ ، فأتوا به في سوق عكاظ ، فعرضوه

بيع الطفل زيد بن حارثة
في سوق عكاظ وشراء
حكيم بن حزام له

.....

للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربع مئة درهم ، وهو ابن ثمان سنين ، كما قاله في « تهذيب الأسماء » فلمَّا تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهَبَتْه له ، وكان أبوه حارثة حين فقده قال :

بكيْتُ على زَيْدٍ ولم أَدْر ما فَعَلُ
أَحْيِي فَيُزَجِّي أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلُ

فقد حارثة لابنه زيد
وإنشاده فيه

من أبيات استوفاه الحافظ ابن عبد البر في « الإستيعاب »
ثمَّ إِنَّهُ حَجَّ ناسٍ من كَلْبٍ ، فرأوا زَيْدًا ، فعرفَهُم وعرفوه ،
فقال : أبلغوا أهلي هذه الأبيات :

أَحِزُّ إلى قومي وإن كُنْتُ نائياً
فإنِّي قَعِيدُ البيتِ عند المشاعِرِ
فكُفُّوا من الوجد الذي قد شجاكُمْ
ولا تَعْمِلُوا في الأرض نص الأباِعِ
فإنِّي بحمد الله في خير أسرةٍ
كَرامٍ مَعَدٍّ ، كابرًا ، بعد كابر

جواب زيد على أبيه
شعراً

فانطلقوا فأعلموا أباه ، ووصفوا له موضعه ، فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه ، فقدما مكة ، فسألا عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ؛ أنتم أهل حَرَمِ الله : تُفَكُّونَ العاني ، وتطعمون الأسير ، جئناك في ولدنا عبدك ، فامنن علينا ، وأحسن في فدائه ، قال : « وما ذاك ؟ » قالوا :

قدوم حارثة إلى مكة
وطلبه عودة ابنه زيد
إليه من النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

تخير زيد بين العودة
لأبيه أو البقاء لدى
النبي صلى الله عليه
وسلم

إيثار زيد البقاء لدى
النبي صلى الله عليه
وسلم على أبيه

تبني رسول الله صلى
الله عليه وسلم زيد بن
حارثة

تزوجه زينب بنت
جحش

زيد بن حارثة ، فقال : « أَوْ غير ذلك ؟ ادعوه فخيروه ، فإن
اختاركم . . فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني . . فوالله ؛ ما أنا
بالذي أختار على مَنْ اختارني فداء » قالوا : زدتنا على
النَّصَف ، فدعاه ، فقال : « هل تعرف هؤلاء ؟ » قال : نعم ،
هذا أبي ، وهذا عمي ، قال : « فأنا مَنْ قد رأيت صحبتي
لك ، فاخترني أو اخترهما » فقال زيد : ما أنا بالذي أختار
عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والعم ، فقالا : وَيَحْك !
أختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك وأهل
بيتك ؟ ! فقال : نعم ؛ إنِّي قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا
بالذي أختار عليه أحداً ، فلمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك . . أخرجته إلى الحِجْر فقال : « اشهدوا أَنَّ زَيْدًا
ابني ، يَرِثُنِي وأرثه » فلمَّا رأى ذلك أبوه وعمه . . طابت
أنفسهما وانصرفا ، فدُعِيَ زيد بن محمَّد ، حتى جاء الله
بالإسلام وأنزل قوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾ الآية .

ولمَّا تبَّناه . . زَوَّجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت
جحش ، بنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أميمة بنت
عبد المطلب ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما كنا ندعو
زيد بن حارثة إلَّا زيد بن محمَّد حتى نزلت ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾
أخرجته البخاري .

قال الحافظ في « الإصابة » : (ويقال : إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله
عليه وسلم سَمَّاهُ زيداً ؛ لمحبة قريش في هذا الاسم ، وهو اسم
قُصِي) .

تحقيق الشارح اسم
زيد بن حارثة رضي
الله عنه

قلت : وقد تقدم في شعر أبيه ما يدل على أنه يسمى زيداً
من قبل ، فلعلَّ المراد - إن ثبت ما ذكر - أنه عليه الصَّلَاة
والسَّلَام أثبت هذا الاسم وقرره ولم يغيِّره ، كما كان يغير بعض
أسماء من أسلم ، والله أعلم .

الخلاف في أول
الناس إسلاماً

ثمَّ قال في « الإصابة » : (قال عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن
الزُّهريِّ قال : ما نعلم أن أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة) .

الجمع بين الأقوال
المختلفة

قلت : وقال غيره : أول من أسلم علي بن أبي طالب ، أو
خديجة بنت خويلد ، أو أبو بكر الصديق ، أو بلال ، وقد أشار
إلى هذا الاختلاف والجمع بين الأقوال بما يصير به الخلاف
لفظياً . الحافظ السيوطي في « نظم الدرر » بقوله :

واختلفوا أولهم إسلاماً

وقد رأوا جمعهم انتظاماً

أول من أسلم في الرجال

صديقهم وزيد في الموالي

وفي النسا خديجة ، وذو الصَّغَر

علي ، والرق بلال استقر

مناقب زيد :

ذكره في القرآن باسمه
العلم

ومن المناقب التي حفظت لزيد : أنه ذكر في القرآن باسمه
العلم ، وليس ذلك لغيره ، وما قيل : إن السَّجِّلَ في قوله
تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجِّلُ لِلْكَتُبِ ﴾ هو اسم كاتب . . فضعيف
أو غلط كما قاله النووي في « التهذيب » .

قال في « روض النهاية » عن السهيلي : (ولَمَّا نزلت الآية - يعني قوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ ﴾ فامثلها زيد ، وقال : أنا ابن حارثة . جبر الله وحشته ، وشرّفه بأن سمّاه باسمه في القرآن ، فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ حتى صار وحيًا يتلى في المحاريب ، فنوّه به غاية التنويه ، فكان في هذا تأنيس له ، وعوض من أبوة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم له ، ألا ترى قول أبيّ بن كعب حين قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا » يعني (سورة لم يكن) فبكى أبيّ ، قال : وذكرت هنالك ؟! وكان بكاءه من الفرح حين أخبر أنّ الله تعالى ذكره ، فكيف بمن صار اسمه قرآنًا يتلى مخلّدًا لا يبيد ؟ يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن ، وأهل الجنة كذلك في الجنان ، ثمّ زاده في الآية غاية الإحسان إذ قال : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ يعني : بالإيمان ، فدلّ على أنّه عند الله من أهل الجنان ، وهذه فضيلة أخرى ، هي غاية منتهى أُمّية الإنسان) .

قال في « الإصابة » : (شهد زيد بن حارثة بدرًا وما بعدها .

مؤاخاته مع حمزة
رضي الله عنهما

وعن البراء بن عازب أنّ زيداً قال : يا رسول الله ؛ أخيت بيني وبين حمزة ، أخرجهُ أبو يعلى .

وعن محمّد بن أسامة بن زيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : « يا زيد ؛ أنت مولاي ،

ومني ، وإليّ ، وأحب الناس إليّ » أخرجه ابن سعد بإسناد حسن .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وايم الله ؛ إن كان لخليقاً للإمارة - يعني زيد بن حارثة - وإن كان لمن أحب الناس إليّ » أخرجه البخاري .

درجة محبته لدى النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعن ابن عمر أيضاً : افترض عمر لأسامة أكثر ممّا فرض لي ، فسألته ، فقال : إنّه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وإنّ أباه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك . قال الحافظ : صحيح .

قلت : وهذا من سيدنا عمر تواضع وإظهار لفضيلة أسامة وأبيه ، والمؤمن يهضم نفسه .

وذكر الحافظ ابن عبد البر في « الإستهباب في أسماء الأصحاب » بسنده إلى الليث بن سعد قال : (بلغني أنّ زيد بن حارثة اُكترى من رجل بغلاً من الطائف ، واشترط عليه المُكْرِي أن يُنزله حيث شاء ، قال : فمال به إلى خربة ، فقال له : انزل ، فنزل ، فإذا في الخربة قتلى كثيرون ، قال : فلمّا أراد أن يقتله . . قال له : دعني أُصلّي ركعتين ، قال : صلّ ؛ فقد صلّى قبلك هؤلاء ، فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ، قال : فلمّا صلّيت . . أتاني ليقتلني ، قال فقلت : يا أرحم الراحمين ؛ قال : فسمع صوتاً : لا تقتله ، فهاب ذلك ، فخرج يطلب صاحبه فلم يجد شيئاً ، فرجع إليّ ، فناديت يا أرحم الراحمين

.....
- فعل ذلك ثلاثاً - فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد ، في رأسها شعلة من نار ، فطعنه بها ، فأنفذها من ظهره ، فوق ميتاً . ثم قال لي : لمّا دعوت المرة الأولى : يا أرحم الرّاحمين . . كنت في السماء السابعة ، فلمّا دعوت المرة الثانية : يا أرحم الرّاحمين . . كنت في سماء الدنيا ، فلمّا دعوت في المرة الثالثة . . أتيتك) اهـ

وأشار الناظم في « عمود النسب » إلى هذه القصة بقوله :

والحب زيد اكرى من رجل

مطيّة ونزلاً بمنزل

ليس به غير عظام قتلا

رجالها الرجل ذا حملا

عليه فاستغاث زيد بالرحيم

وعنه فرج بإهلاك الرجيم

أربعة توالدوا صحابة

وذكر الحافظ السيوطي وغيره : أنّه لا يعرف أربعة توالدوا

صحابة لسوى أبي قحافة ، وزيد بن حارثة ، وأشار له في

« نظم الدرر » بقوله :

وأربعٌ توالدوا صحابة

حارثة المولى أبو قحافة

أبو قحافة والد سيدنا
أبي بكر رضي الله
عنهما

فإنّه ولد لأسامة بن زيد ولد اسمه محمّد ، على عهد

النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وحارثة تقدم أنّه شاهد

النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأبو قحافة والد سيدنا أبي بكر

.....

صحابي ، وأسماء بنت أبي بكر صحابية ، وولدها عبد الله بن الزبير أيضاً صحابي جليل ، مَصَّ دم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من حِجَامَتِهِ .

يعقوب بن محمّد بن
أسامة

قال في « روض النهاية » : (ولد لأسامة بن زيد محمّد بن أسامة على عهد النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وعثر يوماً فدمي وجهه ، فمصَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دمه ، ودخل يعقوب بن محمد بن أسامة المسجد يوماً يجرُّ ثيابه ، وعبد الله بن عمر جالس في المسجد ، فغضب وقال : من هذا ؟ فقيل : يعقوب بن محمّد بن أسامة ، فطأ رأسه ، ونقر بين يديه الأرض ، ثمَّ قال : لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لأحبّه)

ذكر الإمام النووي في « التهذيب » : (أنّه رُوي لزيد عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حديثان) .
وبمناسبة ذكر سيدنا زيد ، لا بأس بإتمام مواليه صلى الله عليه وسلم ؛ تنميماً للفائدة :

مواليه صلى الله عليه وسلم :

فأقول بالعطف على زيد : وابنه أسامة ، وثوبان بن بُجْدُد بضم الموحدة والذال ، وإسكان الجيم ، بضبط أبي زكريا النووي في « تهذيبه » وأنَّسَةَ بفتح الهمزة والنون ، وفضالة اليماني ، وشُقران ، بضم الشين ، ورباح بالموحدة ، ويسار الراعي ، وولود ، وطهمان ، ومأبُور القبطي الذي أهده

.....
المقوقس ، وعُبيد أبو صفية ، وواقد ، وأبو عُبيد ،
وأبو واقد ، ورافع ، وهشام ، وحُنين ، وأحمر ويكنى
أبا عسيب - وسليم ويكنى بأبي كبشة شهد بدراناً ، وكرُكر بكسر
الكافين ، وقيل : بفتحهما ، كان على ثَقَل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلم ، وزيد بن بولا ، وأسلم - ويكنى أبا رافع - وسفينة ،
وأنجشة ، ومدعم بكسر الميم ، وإسكان الدال ، وفتح العين
المهملتين ، وأبو أمانة ، وأبو هند ، وأبو ضمرة ، فجملتهم
تسعة وعشرون ، أشار لهم العلامة الشيخ عبد العزيز الفاسي في
منظومته « قرّة الأبصار » بقوله :

بيان ما له من الموالى
والخَدم الأحرار باحتفال
زيدٌ ، أسامة ، ابنه ثوبان
أنسةٌ ، فضالةٌ ، شُقْرانُ
ثم رباح ، ويسارٌ ، واردُ
طهمانُ ، مأبورٌ ، عُبيدٌ ، واقدُ
وأبواهما ، ورافعٌ ، هشامُ
حُنينٌ ، أحمرٌ ، سليمٌ ذو اهتمام
كر كِرة النُّوييُّ ، زيدٌ ، أسلمُ
سفينةٌ ، أنجشةٌ ، ومدعمُ
أبو أمانة ، أبو هند ، أبو
ضمرة ، والإماء حين تحسبُ

جعفر بن أبي طالب :

أمّا سيدنا جعفر : فهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو عبد الله ، وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشقيق عليّ ، أسنّ منه بعشر سنين ، وعَقِيل أسنّ من جعفر بعشر سنين ، وطالب أسنّ من عقيل بعشر سنين .

فاطمة بنت أسد رضي
الله عنها

وأمهم فاطمة بنت أسد : أول هاشمية تزوجها هاشميّ ، وأسلمت ، وهاجرت إلى المدينة ، وتُوفِّيَتْ بها ، وصلىّ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل في قبرها ، وكان يكرمها ، وفاطمة هذه إحدى الفواطم التي قال صلى الله عليه وسلم لعليّ في ثوب حرير : « قَسَّمَهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الثَّلَاثِ » والثانية : فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم ، والثالثة : فاطمة بنت حمزة .

الفواطم الثلاث

ولفاطمة بنت أسد بنتان ؛ أم هانئ ، وجُمَانَة .

وجعفر : أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، ثبت فيما رواه الشيخان : أنّه صلى الله عليه وسلم قال له : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » .

وهو أحد الخمسة المشبهين للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، المجموعين في قول بعضهم :

بِخَمْسَةِ شُبَّهِ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ

الخمسة المشبهين للنبيّ
صلى الله عليه وسلم

يَا حُسْنَ مَا خَوَّلُوا مِنْ شَبِّهِ الْحَسَنِ !

بِجَعْفَرٍ وَابْنِ عَمِّ الْمُصْطَفَى قُتْمٍ

وَسَائِبٍ وَأَبِي سَفِيَّانَ وَالْحَسَنَ

(أبو المساكين) كنية
جعفر بن أبي طالب

أَخَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ
وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي « الإِصَابَةِ » وَكَانَ يَكْنِيهِ
أَبَا الْمَسَاكِينِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ ،
وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي لَيْلٍ جَانِبٍ وَمَكَارِمٍ يُفِيضُهَا عَلَيْهِمْ ، فَفِي
الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : (كَانَ جَعْفَرُ خَيْرِ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ) .

وَقَالَ فِي « الإِصَابَةِ » : (قَالَ خَالِدُ الْحَذَّاءُ عَنْ عِكْرَمَةَ :
سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَا احْتَذَى النَّعَالَ ،
وَلَا رَكِبَ الْمَطَايَا ، وَلَا وَطِئَ التَّرَابَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

وَرَوَى الْبَغَوِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ جَعْفَرُ يَحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، وَيَجْلِسُ إِلَيْهِمْ ،
وَيَخْدُمُهُمْ وَيَخْدُمُونَهُ ، وَيَحْدُثُهُمْ وَيَحْدُثُونَهُ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْنِيهِ أَبَا الْمَسَاكِينِ) .

أول مولود في الإسلام
بأرض الحبشة

هَاجَرَ إِلَى الْحَبْشَةِ ، وَأَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى يَدَيْهِ ،
وَأَقَامَ عِنْدَهُ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ هُنَاكَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بِأَرْضِ
الْحَبْشَةِ .

قدوم جعفر من الحبشة
وإسهام الرسول صلى
الله عليه وسلم

ثُمَّ قَدَّمَ مِنَ الْحَبْشَةِ هُوَ وَمَنْ صَحَبَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمَنْ

.....

دخل في الإسلام هناك ، وجاؤوا في سفينتين في البحر ،
فقدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فأُسِّهَمَ لهم
منها ، ولم يُسِّهَمَ لمن لم يحضرها غيرَ أهل السفينتين ، ثمَّ
سكن المدينة إلى أن خرج إلى مُؤْتة .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه :
(كان خيرَ الناس للمساكين جعفرُ رضي الله عنه ، كان ينقلب
بنا فيطعمُنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العُكَّة التي
ليس فيها شيء ؛ لِيَشُقَّها فنلحق ما فيها) .

وعنه أيضاً : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفرأ
يطير في الجنة مع الملائكة » رواه الترمذي .

وله من الأولاد من زوجه أسماء بالحبشة : عبد الله ،
وعَوْن ، ومحمَّد .

أولاده

قال الإمام النووي : (والعقب لعبد الله دون أخويه ، ويوم
ولد له عبد الله . . ولد فيه للنجاشي ولد ، فسأل جعفرأ : ماذا
سميت ابنك يا جعفر ؟ لنسمي به ابننا ، فسَمَّاه عبد الله ،
وأرضعته أسماء بلبن ابنها عبد الله ، فكانا يتواصلان لتلك
الأخوة ، وكان قد أسلمَ النجاشيُّ على يد جعفر) .

إسلام النجاشي على
يد جعفر رضي الله عنه

ولمَّا قدم جعفر على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم فتح
خير . . قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « لا أدري بأيُّهما أنا أشد
فرحأ : بقدوم جعفر ، أم بفتح خير ؟ » .

مناسبتان سُرَّ بهما
النَّبيُّ صلى الله عليه
وسلم في آنٍ واحد

ووجد يوم اسْتُشْهِد بجسده تسعون جراحة .

تمثل الشهداء الثلاثة
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد
الموت

ويروي سعيد بن المسيّب مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثّل لي جعفر ، وزيد ، وعبد الله في خيمة من دُرٍّ فوق أَسِرَّة ، فرأيت زيدا وعبد الله ، وفي أعناقهما حدود ، ورأيت جعفرأ مستقيماً ، فقليل لي : إنَّهما حين غشيهما الموت . . أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر فلم يعرض » وأمر صلى الله عليه وسلم أن يُصنَعَ لأهل جعفر طعام ؛ فإنَّهم شُغِلُوا بأمر صاحبهم .

قال السَّهيلي : (وهذا أصل في طعام التعزية) .

البلد الضارة
والعادات الاجتماعية
السيئة في بيت الوفاة

قلت : يعني : يصنعه الناس لأهل الميت في غير كُفَّة ولا مُباهاة ، إنَّما يحتسبون بذلك الأجر من الله ؛ فإنَّه قد نزل بأهل الميت ما قد شغلهم ، أمَّا فتح دار الميت بعمل الطعام ، والدعوة للطعام . . فإنَّها بدعة سيئة جداً ، سادت في كثير ، حتى ظنَّ أنَّها من السنن الشرعية ، أو الواجبات الدينية ، وحتى ترى بعض الفقراء الذين يصابون بفقيدهم ، ولا يستطيعون أن يقوموا بهذا العمل يبيعون شيئاً من مخلفات الميت ، وقد يوافق أنَّ الميت ترك أطفالاً قَصَّراً ، بل كثيراً ما يستدينون المال الذي له بال ، وينفقونه في الطعام للزائرين والزائرات في ذلك اليوم ، وقد روى ابن ماجه والإمام أحمدُ بإسناد حسن عن جرير بن عبد الله البجليّ قال : (كنا نعد ذلك - أي : تهيئة أهل الميت الطعام - من النياحة) اهـ .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن النِّياحة ، فينبغي أن يفهم

.....

الناس هذا الأمر ، وهذه البدعة حتى يقتلعوها من جذورها ؛
فإنه لا أضر على الناس من أمثال هذه العادات السيئة ، نسأل الله
تعالى أن يهدينا جميعاً إلى اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم في أقواله الرشيدة ، وأفعاله السديدة .

هذا : والطعام الذي صنع لآل جعفر ذلك اليوم هو - كما
رُوي عن ابنه عبد الله بن جعفر - شعير طحنته سلمى - مولاة
للنبي ﷺ - ثم أدمته بزيت ، وجعلت عليه فُلُفْلاً ، فأكلوا منه ،
قال عبد الله : وحسني النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مع
أخوتي ثلاثة أيام .

ولسيدنا علي رضي الله عنه مفتخراً - وما أجدره بذلك - :
محمد النبي أخي وصهري
وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحني ويمسي
يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي
منوطاً لحمها بدمي ولحمي
وسبطاً أحمد ولداي منها
فأئكم له فخر كفخري
سبقتكم إلى الإسلام طراً

صغيراً ما بلغت أوان حلمي
ولسيدنا جعفر يوم توفي ثلاث وثلاثون ، أو إحدى
وأربعون سنة .

فخر علي كرم الله
وجهه بقرابته النبي
صلى الله عليه وسلم

عمر جعفر رضي الله
عنه يوم وفاته

عبد الله بن رواحة :

وأما سيدنا عبد الله بن رواحة : فهو أبو محمّد الأنصاري
الحارثي شهد العَقَبَة ، وكان ليلتئذٍ نقيب بني الحارث من
الخزرج ، فهو أحد النقباء الاثني عشر ، المجموعين في قول
الناظم في « عمود النسب » :

وَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ أَسِيدٌ فَاعْلَمَهُ
رِفَاعَةُ وَسَعْدُ بْنُ خَيْمَةَ
وَتَسْعُ خَزْرَجٍ بَنُو بُدُورٍ
زُرَّارَةُ رَوَاحَةَ مَعْرُورٍ
وَابْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ الرِّبْعِ
وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ الشَّهْمِ الرِّفِيعِ
عَبْدُ الْإِلَهِ نَجْلُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ
وَمَنْذَرٌ وَنَجْلُ صَامِتِ الْهُمَامِ

حضوره المشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم

شهد بدمراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا الفتح ؛ فقد علم أنه توفي قبله .
وهو خال النعمان بن بشير ؛ لأنَّ أم النعمان عمرة بنت
رَوَاحَة .

شعراء الرسول صلى
الله عليه وسلم

وكان أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، الذين ينافحون
عنه وعن الإسلام المجموعين في قول الحافظ السيوطي :
وَشُعْرَاءُ الْمُصْطَفَى ذَوُو الشَّانِ
ابْنُ رَوَاحَةَ وَكَعْبٌ حَسَّانُ

.....

وهم متفاوتون : كان حسان رضي الله عنه يَطْعَنُ في أنساب
المشركين ، وكان كعب بن مالك يذكرهم بوقع السيوف ،
وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا ينفع ، فكان
شعر صاحب الترجمة يومئذٍ أهونَ على كفار قريش ، وكان قول
كَعْبٍ وحسان أشدَّ القول عليهم ، فلمَّا أسلموا وفقهوا.. كان
أشدَّ القول عليهم وأنكاه فيهم قول ابن رواحة .

قال الزُّبَيْر بن العوام رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أجراً
ولا أسرع شعراً من ابن رَوَاحَة .

وعن أبي الدرداء قال : أعوذ بالله أن يأتي يوم لا أذكر فيه
عبدَ الله بن رواحة كان إذا لقيني.. يقول : يا عُويمر ؛ اجلس
فلنؤمّن ساعة ، فنجلس فنذكر الله ما شاء الله ، ثمَّ يقول :
يا عويمر هَذَا الْإِيْمَان . اهـ

وهو الذي شَجَّعَ المسلمين في مُؤْتة على لقاء الكفار ، بل
شجع نفسه كما سبق .

وفي « الصحيحين » عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرٍّ شديد ،
حتى إنَّ أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا
صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبدُ الله بن
رواحَة .

قال ابن سعد : (كان يكتب للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ،
وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة) .

قال الحافظ : (وفي فوائد أبي طاهر الدُّهْلِيّ ، من طريق ابن أبي ذئب عن سهل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « رحم الله ابن رواحة ؛ إِنَّهُ يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة ») اهـ
وكان إذا لقي أحداً . . قال له : اجلس بنا نؤمن ساعة .

وأخرج البيهقي بسند صحيح : كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب ، فدخل عبد الله بن رواحة ، فسمعه يقول : « اجلسوا » فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، فلمّا فرغ . . قال له : « زادك الله حرصاً على طواعة الله ، وطواعة رسوله » وكفى بهذه منقبة لابن رواحة ، ممّا يدل في وضوح على خضوعه لأوامره وإشاراته صلى الله عليه وسلم ؛ ابتغاء مرضاته ، فهو لمن سواه القدوة والغاية المثلى .

زوجة عبد الله بن
رواحه تحكي فضائله
رضي الله عنهما

قال الحافظ : (وفي « الزهد » لابن المبارك بسند صحيح عن عبد الرَّحْمَنِ بن أبي لیلی ، قال : تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه ، فقالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته . . صَلَّى ركعتين ، وإذا دخل بيته . . صَلَّى ركعتين ، لا يدع ذلك ، وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو ، وآخر قافل) .

نعي عبد الله بن رواحة
نفسه

وقال ابن إسحاق : (حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال : كان زيد بن أرقم يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة ، فخرج معه إلى سَرِيَّة مؤتة ، فسمعه في الليل يقول :

إِذَا أَذْنَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
مَسِيرَةً أَرْبَعَ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكَ فَا نَعْمِي وَخِلَاكِ ذَمٌّ
وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ وَخَلَّفُونِي

بأرض الشام مشهود الثَّوَاءِ

فبكى زيد بن أرقم ، فخفقه^(١) بالدرة ، فقال : ما عليك
يا لُكْعُ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، وَتَرْجِعَ بَيْنَ شُعْبَتِي الرَّحْلِ)
فذكر القصة في صفة قتله في غزوة مؤتة . . . بعد أن قُتِلَ
جعفر ، وقبله زيد بن حارثة .

بكاء زيد بن أرقم

وقال ابن سعد : (أَنبَأَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، أَنبَأَنَا حَمَادٌ عَنْ
هَشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مِنْهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الْآيَةُ) .

استثناء الشعراء

المؤمنين من الغاوين

وقال ابن سعد : (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا
عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ مَدْرِكُ بْنُ عِمَارَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ : مَرَرْتُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، وَعِنْدَهُ أَنَاسٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي نَاحِيَةِ مِنْهُ ، فَلَمَّا
رَأُونِي . . قَالُوا : يَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ؟ فَجِئْتُ ، فَقَالَ :

(١) من باب : نصر وضرب ، والخفق : هو الضرب بالدرة - بكسر الدال المشددة - كما يؤخذ
من « القاموس » (مادة در) .

سؤال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله
بن رواحة عن كيفية
قوله الشعر

« اجلس ههنا » فجلست بين يديه ، فقال : « كيف تقول
الشعر ؟ » قلت : أنظر في ذلك ، ثم أقول ، قال : « فعليك
بالمشركين » ولم أكن هيأت شيئاً ، فنظرت ، ثم أنشدته :

إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا خَانَنِي الْبَصْرُ
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمَ شَفَاعَتَهُ
يَوْمَ الْحِسَابِ لَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ
فُتِّبْتَ اللَّهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنِ
تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

دعاء الرسول صلى الله
عليه وسلم لعبد الله بن
رواحه

قال : فأقبل بوجهه مبتسماً ، وقال : « وإياك فُتِّبْتُكَ اللَّهُ »
قال هشام بن عروة : فثبته الله عز وجل أحسن الثبات ، فقتل
شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها .

مكانته في الجاهلية
والإسلام

قال المرزباني في « معجم الشعراء » : (كان عظيم القدر
في الجاهلية والإسلام ، وكان يناقض قيس بن الخطيم في
حروبهم ، ومن أحسن ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم
قوله :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ

كانتُ بَدِيعُهُ تُنَبِّئُكَ بِالْخَبَرِ

قصته مع زوجته رضي
الله عنهما

وقصته مع زوجته حين وقع على أَمَتِهِ مشهورة ، وذلك أنه
مشى ليلة إلى أمة له فنالها ، وفطنت له امرأته فلامته ، فجحدها
- وكانت قد رأت جماعه لها - فقالت له : إن كنت صادقاً .

.....

فاقرأ القرآن ؛ فالجُنُب لا يقرأ القرآن ، فقال :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ حَقٌّ

وفوق العرشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ غِلَاطٌ

مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ

فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : صَدَقَ اللَّهُ ، وَكَذَبْتَ عَيْنِي ، وَكَانَتْ

لَا تَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَلَا تَقْرُؤُهُ .

قال الحافظ ابن عبد البر في « الإِسْتِيعَاب » : (ورويناها

من وجوه صحاح)

وذكر أصل هذه القصة أيضاً الإمام أبو زكريا النَّوَوِيُّ في

« شرح المَهْدَب » احتجاجاً على حرمة القراءة على الجُنُب ،

على ضعف في إسناده وانقطاع .

وذكرها خاتمة المحققين بمصر القاهرة : العلامة الأمير ،

وزاد في آخرها : (فَاتَى ابْنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، فَحَدَّثَهُ ، فَضَحِكَ وَلَمْ يُعَيِّرْهُ ، وَقَالَ : أَخْرَجَ ذَلِكَ ابْنُ

عَسَاكِرَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَخِي الْمَاجِشُونِ بَلَاغاً عَنْ ابْنِ

رَوَاحَةَ .

قال : وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ كَانَ مُضْطَجِعاً إِلَى جَنْبِ امْرَأَتِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى

.....
الحجرة ، فواقع جارية له ، فاستيقظت المرأة ولم تره ،
فخرجت فإذا هو على بطن الجارية ، فرجعت فأخذت الشفرة ،
وجاءت ، فقال : مَهَيْم ؛ مَهَيْم ، فقالت مهيم ؟ أما إنِّي لو
وجدتُك حيث كنت . . لوجأتك بها ، قال : وأين كنت ؟
قالت : على بطن الجارية ، قال : ما كنت ، قالت : بلى ،
قال : فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقرأ أحدنا
القرآن وهو جنب ، قالت اقرأه ، فقال :

أتانا رسول الله يتلو كتابه

كما لاحَ مشهورٌ من الصبح ساطعُ

أتى بالهُدَى بعد العمى فقلوبنا

به مُوقِنات أنَّ ما قال واقعُ

بيتٌ يجافي جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

فقالت : أما إذ قرأت القرآن . . فإنِّي أتهم ظني وأصدقك ،

قال ابن رواحة : فغدوت إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم

فأخبرته ، فضحك حتى بدت نواجذه ، حتى ردَّ يده على فيه ،

وقال : « إنَّ خياركم خيركم لنسائه ، لقد وجدتها ذاتَ فقهٍ في

الدين » .

وهذا الحديث مشهور بين علماء الحديث ، وقوله :

(مَهَيْم) كلمة استفهام ؛ أي : ما حالك وشأنك ؟ أو

ما وراءك ؟ أو أحدث لك شيء ؟

اعتراض على فقه
القصة

فإن قلت : كيف يصح لابن رواحة أن يقرأ الأبيات جواباً
لقول امرأته : إن كنت صادقاً فاقراً القرآن ؟ وكيف يقره
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ؟

جواب الاعتراض

قلت : أجاب العلامة الأمير في رسالة له صغيرة الحجم ،
جمّة العلم ، جعلها رداً على من يقول بكفر اللاحن في القرآن :
بأن ابن رواحة رضي الله عنه لم يقل : هذا قرآن ، وإنما عدل
إلى شيء آخر غير ما أمرت به زوجته ، وليس امتثال أمرها
واجباً عليه ، ولا توهمها هي في نفسها أن هذا قرآن بملحق به
إنما ، وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه صلى الله
عليه وسلم قال : « هذا لعمرى من معاريض الكلام » يعني
- والله أعلم - : أنه مال إلى عرض وجانب آخر ، غير ما يريده
المخاطب ، والله أعلم بحقيقة الحال .

رثاء حسان لجعفر
وصاحبه رضي الله
عنهم جميعاً

قال سيدنا حسان - رضي الله عنه - يبكي جعفرأ وصاحبيه :
تَأْوِينِي لَيْلٌ يَشْرَبُ أَغْسَرُ
وَهُمْ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ
لَذَكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ نَمَّ عَبْرَةٌ
سَفُوحاً وَأَسَابُ الْبَكَاءِ التَذَكُّرُ
بِلَاءٌ وَفُقْدَانُ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ
وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُتَلَكَّى نَمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا
شُعُوبٌ وَقَدْ خُلِفَتْ فِيمَنْ يُؤَخَّرُ

.....
 فلا يُبْعَدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا
 بِمُؤْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
 وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا
 جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَخْطِرُ
 غَدَاةَ غَدَاةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ
 إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ أَزْهَرُ
 أَغَرُّ كُلُّونِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 أَبِي إِذَا سِيَمَ الظُّلَامَةَ مَجَسَّرُ
 فِطَاعِنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسَّدٍ
 بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْقَنَا يَتَكَسَّرُ
 فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ
 جَنَانٌ وَمَلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
 وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
 وَفَاءً وَأَمِراً حَازِماً حِينَ يَأْمُرُ
 فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ فِي آلِ هَاشِمٍ
 دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ
 هُمْ جِبِلُّ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلُهُ
 رِضَاءٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ
 بِهِمْ تُكْشَفُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَآزِقٍ
 عَمَاسٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالْقَوْمِ مَصْدَرُ
 هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ
 عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ

بِهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ
عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
قلت : ومناقب هؤلاء الأئمراء الأفاضل - رضوان الله عليهم -
مشهورة ، وهي فوق ما ذكرنا .

ولنختم الكلام على ترجمتهم بحديث فيه فضيلة عظيمة
لهم ، ذكره الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير عن الإمام
الحافظ أبي زُرْعَةَ عبيد الله بن عبد الكريم الرّازي نَصَرَ الله
وجهه ، في كتابه « دلائل النبوة » وهو كتاب جليل .

قال : (حَدَّثَنَا صفوان بن صالح الدمشقي ، حَدَّثَنَا
الوليد ، حَدَّثَنَا ابن جابر .

وَحَدَّثَنَا عبد الرَّحْمَنِ بن إبراهيم الدمشقي ، حَدَّثَنَا الوليد
وعمر ، - يعني ابن عبد الواحد - قال : حَدَّثَنَا ابن جابر ،
سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول : أخبرني أبو أَمَامَةَ
الباهلي : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا
أنا نائم ، إذ أتاني رجلان ، فأخذا بضِيعِي ، فأتيا بي جبلاً
وغيراً ، فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه ، فقالا : إِنَّا سنسهله
لك ، قال : فصعدت ، حتى إذا كنت في سَوَاءِ الجبل . . إذا أَنَا
بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عَوَاءُ
أهل النَّارِ .

.....

ثُمَّ انطلقا بي ، فإذا بقوم مُعَلَّقَيْنِ بعراقيهم مشققة ، تسيل
أشداقهم دماً ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين
يُفْطِرُونَ قبل تَحِلَّةِ صومهم . فقال : خابت اليهود والنصارى ،
قال سَلِيم : سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من
رأيه ؟ !

ثُمَّ انطلقا بي ، فإذا قوم أشدُّ شيء انتفاخاً ، وأنتنُ شيء
ريحاً ، كأن ريحهم المراحيض ، قلت : مَنْ هؤلاء ؟ قالا :
هؤلاء قتلى الكُفَّار ، ثُمَّ انطلقا بي فإذا بقوم أشدَّ انتفاخاً وأنتنَ
شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟
قالا : هؤلاء الزَّانُونَ والزَّوَانِي .

ثُمَّ انطلقا بي فإذا بنساء يَنْهَشْنَ ثُدْيَهُنَّ الحيات ، فقلت :
ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهنَّ
ألبانهنَّ^(١) .

ثُمَّ انطلقا بي ، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين ، قلت :
من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراريُّ المؤمنين ، ثُمَّ أَشْرَفَا بي
شَرْفًا ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، فقلت : من
هؤلاء ؟ قالا : هذا جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ،
وعبد الله بن رواحة ، ثُمَّ أَشْرَفَا بي شَرْفًا آخِر ، فإذا أنا بنفر

(١) فليعتبر نساء هذا العصر اللاتي يمنعن أطفالهنَّ ألبان ثديهنَّ ، ويعمدن إلى القوارير
المصطنعة لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .
اللَّهُمَّ ؛ اهد عبادك للخير .

.....

ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالوا : هذا إبراهيم ، وموسى ،
وعيسى عليهم السلام ، وهم ينتظرونك » .

(٢٧) غزوة الفتح الأعظم

فتح الفتوح

فتح مكة زادها الله شرفاً ، وأهلها إنافَةً وكرماً

وتسمى فتح الفتوح ؛ لأنَّ العرب كانت تنتظر بإسلامها
إسلام قريش ، وتقول : هم أهل الحرم ، وقد أجارهم الله من
أصحاب الفيل ، فإن غلبوا . . فلا طاقة لأحد بمحمَّد ، فلمَّا
فتح الله مكة . . دخلوا في دين الله أفواجاً ، بعد أن كانوا
يدخلون فيه فرادى ، ولم يبق بعده للشرك قائمة .

ولذلك قال العلامة ابن القيم في « زاد المعاد في هدي خير
العباد » : (إنَّه الفتح الأعظم ، الذي أعزَّ الله به دينه ورسوله
وجنده وحرمة الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته ، الذي جعله
هدى للعالمين ، من أيدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح
الذي استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزِّه على مناكب
الجوزاء ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأشرق به وجه
الأرض ضياءً وابتهاجاً) اهـ

وصف ابن القيم
رحمه الله لهذه الغزوة

تاريخ هذه الغزوة وسببها :

وكان تاريخ هذه الغزوة في السنة الثامنة من الهجرة ، في
شهر رمضان .

ثُمَّ إِلَى الْفَتْحِ الْخَزَاعِيِّ ذَمَرُ عَشْرَةِ آلَافٍ فَعَزَّ وَأَنْتَصَرَ

وسببها : ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أرباب السير ، من نقض قريش للعهد الذي وقع بالحديبية .

وخلاصة ذلك : أنه كان بين بني بكر - وقد دخلت في عَقْد قريش - وبين خُزاعة - وقد دخلت في عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم - عداوة وحروب في الجاهلية ، فلمَّا ظهر الإسلام . . تشاغلو عن ذلك حتى كانت هدنة الحديبية ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدِّيلي ، من بني بكر في بني الدَّيل ، حتى بَيَّت خُزاعة - أي : جاءهم ليلاً على ماء لهم ، يقال له : الْوَتِير ، بناحية عُرْنَة - فأصاب منهم رجلاً ، ولمَّا علمت بهم خُزاعة . . اقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ، ولم يتركوا القتال ، وأمدَّت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل بعض من قريش معهم ليلاً في خُفْيَةٍ .

قدوم عمرو بن سالم الخُزاعي على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ولمَّا انتهى القتال خرج عمرو بن سالم الخُزاعي في أربعين راكباً من خُزاعة . . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ، ويستنصرونه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكُمْ بِمَا أَنْصُرُ بِهِ نَفْسِي » وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

(ثُمَّ إِلَى الْفَتْحِ) لَأُمِّ الْقُرَى عمرو بن سالم (الْخَزَاعِي ذَمَر) بوزن نصر ؛ أي : حَضَّ وَحَثَّ (عَشْرَةَ آلَافٍ) من المسلمين (فَعَزَّ) أي : غلب الْخَزَاعِيَّ (وَأَنْتَصَرَ)

وَهُوَ الَّذِي تَهَلَّلْتَ لِنَصْرِهِ سَحَابَةً وَمِنْ بَلِيغِ شِعْرِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ آبِينَا وَأَبِيهِ الْأَثَلَدَا

فإنَّه صلى الله عليه وسلم أجابه بقوله : « نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم » .

وخرج بذلك العدد لقتال قريش لما علم أنهم نقضوا العهد الذي كان أبرم يوم الحُدَيْيَةِ بقتال حلفائه خُزَاعَةَ ، وتقدم أنَّ خُزَاعَةَ كانت عَيَّة نُصَحَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والإسلام (وهو) أي : الخُزَاعِيُّ (الذي تهلَّلت) : تَلَالُاتٌ (لِنَصْرِهِ سَحَابَةً) وهي : قطعة من الغيم ، وقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ » يعني خُزَاعَةَ ، وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن سالم وأصحابه : « ارجعوا وتفرَّقوا في الأودية » فرجعوا وتفرَّقوا ؛ فذهبت فرقة إلى الساحل ، وفرقة لزمت الطريق ، وقصد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاء أمر مجيئهم .

(ومن بليغ شعره) أي : ومن شعر الخُزَاعِيِّ البليغ الذي يذكُر فيه الحلف القديم ، ونقض بني بكر للعهد ، وتعدِّيهم عليهم ، وحثَّ المسلمين على قتالهم وغير ذلك . . قوله وقد دخل المسجد على رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا ربِّ إِنِّي نَاشِدُ) طالب (مُحَمَّدًا) صلى الله عليه وسلم (حِلْفَ آبِينَا وَأَبِيهِ) يريد عبدَ المطلب (الْأَثَلَدَا) أي : الحلف القديم الذي بيننا .

خزاعة حلفاء
عبد المطلب بن هاشم
في الجاهلية

وذلك : أنَّ خزاعة كانت حلفاء عبد المطلب بن هاشم ،
ناصروه على عمه نوفل بن عبد مناف ؛ فإنَّ المطلب لمَّا
مات . . وثب نوفل على أफीة كانت لعبد المطلب ، واغتصبه
إياها ، فاستنهض لردّها همم قومه ، واستدّر عطفهم ، فلم
ينهض معه أحد منهم ، وأبوا أن يدخلوا بين عبد المطلب وبين
عمه نوفل ، فكتب إلى أخواله بني النجار ، فجاء منهم سبعون
راكباً ، فقالوا لنوفل : وربّ البيّة ؛ لتردّد على ابن أختنا
ما أخذت ، وإلّا . . ملأنا منك السيف ، فردّه ، ثمّ حالف
خزاعة بعد أن حالف نوفل بني أخيه عبد شمس ،
وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بهذا الحلف ؛ فإنّهم وقفوه
على كتاب عبد المطلب ، وهو مذكور بنصه في « السيرة
الحلبية » للعلامة ابن برهان الحلبي ، ولأجل ذلك ذكره
الخزاعي بقوله : (حلف أبينا وأبيه الأتلا) وهذا البيت ضمنه
الناظم من أبيات للخزاعي ، وهي :

قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا^(١)

ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدًا^(٢)

(١) ولداً الأول يضبط بضم الواو في الولد ، ويفتح الواو بعدها ألف في قوله : (وكنا والدا) قال
السهيلي : (يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد
الخزاعية) والولد بمعنى الولد .

(٢) قوله : (ثمّت أسلمنا) هو من السلم ؛ لأنّهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أن قوله : (ركعاً
وسجداً) يدل على أنّه كان فيهم من صلّى لله ، فقتل . من « الروضة » .
وأراد بقوله : (ولم ننزع يداً) أي : لم نخرج يداً عن طاعتك ، ولم ينتقض ما بيننا من الحلف .

فانصُرْ هُذَاكَ اللهُ نَصْرًا أُيَّدَا^(١)

وَادِعَ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا

أَبْيَضَ مِثْلَ السَّيْفِ يَسْمُو صُعْدَا

إِنْ سِيَمَ^(٢) خَسَفَا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا

فِي فَيْلَقِ^(٣) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا

إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا

وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءِ^(٤) رَصَدَا

وَرَزَعُمَا أَنْ لَسْتُ أَذْعُو أَحَدَا^(٥)

وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيُّونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا

وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا

(١) وفي رواية : (نصرأأعتدا) بضم الهمزة ، وسكون المهملة ، وكسر الفوقية ؛ أي : أحضر ، وهو من الشيء العتيد ، وهو المهيأ الحاضر ، وضبط بهمز الوصل مع فتح الفوقية ؛ أي : نصرأأتامأ متعديأ إلينا .

(٢) أي : إن قصد بذل له أو لأحد من أهل عهده . . تريد وجهه وتغير ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى الضيم والنقص . اهـ

(٣) الفيلق بتقديم الياء على اللام كالجحفل : الجيش العظيم ، وجمعه فيالق .

(٤) بفتح الكاف والمد : اسم لأعلى مكة بالحجون .

(٥) قال العلامة الأشخر في « شرح البهجة » : (أشار بقوله : « لست أدعو » أي : أعبد أحداً . إلى قول نوفل بن معاوية الديلي حيث قال له بنو بكر : يا نوفل ؛ إنأ دخلنا الحرم ؛ أي : وقتلنا خزاعة فيه ، إلهك إلهك ؛ أي : خف منه ، فقال : إنأ لا إله له اليوم ، أصيبوا آثاركم فيه) ذكره البغوي .

وقوله : (هجداً) جمع هاجد ، بمعنى نائم . اهـ

لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ أَخْرَ الْخَبَرَ عَنْ مَكَّةَ فَلَمْ يُورْ بَلْ جَهَرَ

(لِدَعْوَةِ) أي : لأجل دعاء (النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : « اللَّهُمَّ ؛ خُذِ الْعِيُونَ والأخبار عن قريش ؛ حتى نَبَغَتْهَا في بِلَادِهَا » وفي رواية : « خُذْ على أَسْمَاعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ ، فلا يَرَوْنَا إِلَّا بَغْتَةً ، ولا يسمعون بنا إِلَّا فَجْأَةً » (أَخْرَ الْخَبَرَ) بالبناء للمفعول : أي : أَخْرَ اللهُ تعالى خبرَ خروجه صلى الله عليه وسلم (عَنْ) أهل (مكة) وهذا يقتضي أَنَّهُ صدر منه صلى الله عليه وسلم الخبر بقصد الغزو ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الخبر لم يصل إلى العدو ، ولذا قال الناظم :

(فلم يُورْ) من التَّوْرِيَةِ : إذا أظهر شيئاً وأراد غيره ، بل لَمَّا أَعْلَمَ أصحابه بالمسير إلى مكة . . أمرهم بالتجهيز والجِدِّ في الأمر ، وكان من هديه عليه السَّلام في غَزْوِهِ : أَنَّهُ كان إذا أراد غزواً . . وَرَى فيه ، إِلَّا هَذِهِ وتبوك ؛ لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم ، وساس الناس بها ، فكان القُدْوَةُ الحَسَنَةُ ، والمثَلُ الأعلى لمن بعده (بل جَهَرَ) صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر أهله أن يَجْهَزُوهُ ، ودخل أبو بكر على ابنته وهي تُغْرِبِل حِنطَةً ، وتصنع في جَهازِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي بُنَيَّة ؛ أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه ؟ قالت : نعم ، فتَجْهَزُ ، قال : فأين تَرِئَنِي يريد ؟ قالت : لا والله ما أدري ؛ أي : أَنَّهُ لا تعلم وجهة قصده للغزو ، وهذا كان في أول الأمر ، ثُمَّ بعد ذلك أَعْلَمَ الناس ، وأعلن بالوجه الذي يريد ، وهو قريش بمكة .

إعلام الرسول صلى
الله عليه وسلم
أصحابه بالمسير إلى
مكة المكرمة

بعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمْرَةَ إِلَى قَرِيشٍ إِعْذَاراً لَهَا :

وَلَمَّا قَدِمَ رَكْبُ خُزَاعَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبْرَهُمْ . . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « فَمَنْ تَهَمَّتْكُمْ وَظَنَنْتُكُمْ ؟ » قَالُوا : بَنِي بَكْرٍ ، قَالَ : « أَكُلْهَا ؟ » قَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ بَنُو نَفَاثَةَ ، وَرَأْسُهُمْ نَوْفَلٌ ، قَالَ : « هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ - يَعْنِي بَنِي نَفَاثَةَ - وَأَنَا بَاعَثْتُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَمُخَيَّرْتُهُمْ فِي خِصَالِ ثَلَاثٍ » فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ضَمْرَةَ ، يَخِيرُهُمْ بَيْنَ أَنْ يَدُوا قَتْلَى خُزَاعَةَ ، أَوْ يَبْرُؤُوا مِنْ حَلْفِ بَنِي نَفَاثَةَ ، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، فَأَتَاهُمْ ضَمْرَةَ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَقَالَ قُرْظَةُ بْنُ عَمْرٍو : لَا نَدِي ، وَلَا نَبْرَأُ ، لَكِنَّا نَنْبِذُ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءٍ ، فَرَجَعَ بِذَلِكَ ، فَجَدِمَتْ قَرِيشٌ عَلَى مَا رَدُّوا ، وَبَعَثَتْ أَبَا سَفْيَانَ .

تحقق النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ

رِسَالَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَرِيشٍ وَتَخْيِيرَهَا بَيْنَ خِصَالِ ثَلَاثٍ

قُلْتُ : رَوَى هَذَا ابْنُ عَائِذٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ، وَنَقَلَهُ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » وَقَدْ اسْتَحْسَنْتُ ذِكْرَ هَذَا الْخَبَرِ هُنَا ، عَقِبَ قُدُومِ وَفْدِ خُزَاعَةَ ؛ لِبَيَانِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَفَاجِئْ قَرِيشاً عَلَى غَرَةٍ حَتَّى تَثْبُتَ فِي الْأَمْرِ ، وَسَأَلَ الرِّكْبَ عَمَّنْ كَانُوا يَتَّهَمُونَ ، وَلَمَّا عَلِمَ مِنْ خَبَرِ الْوَفْدِ أَنَّ تَهْمَتَهُمْ كَانَتْ عَلَى بَنِي نَفَاثَةَ . . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ » يَرِيدُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الشَّرْذِمَةُ ، أَوْ هَذَا الْبَطْنُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، عَصَتْ عَلَى عَصَبَتِهَا الْكَبِيرَةِ وَشَدَّتْ عَنْهَا ، وَأَنَّ قَرِيشاً بِمَكَّةَ لَمْ تَدْخُلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَمْ تَرْضَ بِهِ ، فَهِيَ عَلَى

سَبَبِ اسْتِحْسَانِ الشَّارِحِ ذِكْرَ مَا سَبَقَ عَقِبَ قُدُومِ وَفْدِ خُزَاعَةَ الْمَدِينَةَ

وَحَابَ صَخْرٌ إِذْ أَتَىٰ يَزَابُ مَا أَنَاهُ غَدْرُ قَوْمِهِ فَأَنْفَصَمَا

العهد مقيمة ، فلذلك بعث عليه الصَّلَاة والسَّلَام ضَمْرَةً إلى قريش يسألهم عن هذا الأمر ؛ ليزداد الموقف وضوحاً ، ولما لم يَبْقَ مجال للشك في أَنَّ القوم قد قاموا بما يوجب نقض العهد الذي أُبْرِمَ أمس . . خَيْرَهُم بين أمور ثلاثة ، فكان عليه الصَّلَاة والسَّلَام قد أُنْذِرَ وأَعْذَرَ ، وقام بالعهد المبرم .

بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صَلَّى الله عليه وسلم :

ندم قريش على عدم قبولهم عرض النبي صَلَّى الله عليه وسلم

ولمَّا رَدَّتْ قريش ضَمْرَةً لذلك : على أن لا يدوا ، ولا يبرؤوا ، ولكنهم يَنْبِذُونَ على سواء . . ندمت على ذلك ، فبعثت أبا سفيانَ إلى المدينة يسأله صلى الله عليه وسلم أن يجدد العهد ويزيد في المُدَّة ، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، ورجع لمكة ، ولم يأت بنجح ، كما قال النازم :

عودة أبي سفيان إلى مكة بدون نتيجة

(وخاب) أبو سفيان (صَخْر) بن حَرْب ولم يظفر بمطلوبه ، وكان هو سيد قريش ، والمقدَّم فيها بعد أبي جهل (إذ أتى) وقَدِمَ على النبي صَلَّى الله عليه وسلم المدينة (يَزَاب) أي : يصلح (ما) أي : الأمر الذي (أَنَاهُ) يقال : رَأب الثأري : أصلح الفساد ، وأثأى في القوم : أي : جرح فيهم ، وأثأى الشيء أي : أفسده (غَدْرُ) بفتح الغين المعجمة ؛ أي : ترك وفاء (قومه) قريش بإعتهم بني بكر على خزاعة حلفاء المسلمين ، ودخول بعض من قريش في ميدان القتال حُفْيَةً ليلاً ، وظهور ذلك ظهور نار القرى .

خبر أبي سفيان مع
ابنته أم المؤمنين أم
حبيبة

ولمّا دخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها .
ذهب ليجلس على فراشه صلى الله عليه وسلم ، فطوّته عنه ،
فقال : ما أدري : أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به
عني ؟ قال : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على
فراشه صلى الله عليه وسلم . قال : والله ؛ لقد أصابك يا بنتي
بعدي شرّ ، فقالت : بل هداني الله للإسلام ، فأنت يا أبت سيّد
قريش وكبيرها ، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام ، وأنت
تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟ فقام من عندها ، فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فكلّمه أن يجدّد
العهد ويّزید في المدة ، فلم يرد عليه شيئاً .

حديث أبي سفيان إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

قال في « شرح المواهب » : (وعند الواقديّ : فقال :
يا محمّد ؛ إنّي كنت غائباً في صلح الحُدَيْبِيَّة ، فأجدد العهد ،
وزدنا في المدة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فلذلك
جئت ؟ » قال : نعم ، فقال : « هل كان من حدّث ؟ » فقال :
معاذ الله ! نحن على عهدنا وصلحنا ، لا نغيّر ولا نبذل ،
فقال صلى الله عليه وسلم : « فنحن على ذلك » فأعاد
أبو سفيان القول ، فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبي بكر ،
فكلّمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا
بفاعل ، فأتى عمر ، فقال : أنا أشفع لكم ؟ والله ؛ لو لم أجد
إلاّ الذرّ لجاهدكم به ، ثمّ دخل على عليّ وعنده فاطمة ،
وحسن غلام يدب بين يديها ، فقال : يا عليّ ؛ إنك أمسّ القوم

استشفاع أبي سفيان
بأبي بكر وعمر رضي
الله عنهما

استشفاع أبي سفيان
بعلي وأهل بيته رضي
الله عنهم

بي رحماً ، وإني جئت في حاجة ، فلا أرجع كما جئت خائباً ،
 فاشفع لي ، فقال علي : وَيَحَكْ يا أبا سفيان ! والله ؛ لقد عزم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه
 فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا بنت محمد ؛ هل لك أن
 تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر
 الدهر ؟ قالت : والله ؛ ما بلغ بُني أن يجير بين الناس ،
 وما كان يجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم
 قال لعلي : يا أبا حسن ؛ إني أرى الأمور وقد اشتدت عليّ
 فانصحنني ، قال : والله ؛ ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك
 سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ،
 قال : أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنه ،
 ولكن لا أجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان في المسجد
 فقال : أيها الناس ؛ قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظن أن
 يُخفّرني أحد ، ثم ركب بعيره وانطلق ولم يأت بظفر ، كما
 قال : (فانفصما^(١)) أي : انقطع وانكسر أبو سفيان .

ما كان من هند لزوجها أبي سفيان :

ولمّا قدم مكة لذلك ، وقد طالت غيبته حتى رمته قريش
 بأشدّ التهمة ، وقالوا : صبأ واتبع محمّداً سرّاً . . دخل على
 امرأته هند بنت عتبة ليلاً فقالت له : لقد غبتَ حتى اتهمك
 قومك ، فإن كنت مع طول الإقامة جئتهم بنجح . . فأنت

(١) الألف للإطلاق .

موقف الزهراء فاطمة
 رضي الله عنها

استنصاح أبي سفيان
 علي بن أبي طالب
 فيما أهّمه

استبطاء قريش قدوم
 أبي سفيان واتهامه
 بدخول الإسلام

الرجل ، ثمّ جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت :
ما صنعت ؟ فأخبرها الخبر ، وقال : لم أجد إلا ما قال لي
عليّ ، فضربت برجلها في صدره ، وقالت : قُبِّحت من رسول
قوم ! فما جئت بخير .

إشهار أبي سفيان
التزامه بعبادة الأصنام

قال في « شرح المواهب » : (فلمّا أصبح .. خلق رأسه
عند إساف ونائلة ، وذبح لهما ، ومسح بالدم رؤوسهما ،
وقال : لا أفارق عبادتكما حتى أموت ؛ إبراء لقريش ممّا
اتهموه به ، فقالوا له : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من
محمّد ، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن يغزونا ؟ فقال : والله ؛
لقد أبى عليّ ، ثمّ جئت أبا بكر ، فلم أجد فيه خيراً ، ثمّ جئت
ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدو ، - وفي لفظ : أعدى العدو -
وكلمت عليه أصحابه ، فما قدرت على شيء منهم إلا أنّهم
يرمونني بكلمة واحدة ، وما رأيت قوماً يوماً أطوع لملك عليهم
منهم له ، إلا أنّ عليّاً لمّا ضاقت بي الأمور .. قال : أنت سيد
بني كنانة ، فأجر بين الناس ، فناديت بالجوار ، قالوا : هل
أجاز ذلك محمّد ؟ قال : لا ، قالوا : رضيت بغير رضا ،
وجئنا بما لا يغني عنّا ولا عنك شيئاً ، ولعمر الله ؛ ما جوارك
بجائر ، وإنّ إخفارك عليهم لهين ، والله ؛ إن زاد عليّ على أن
تلعب بك تلعباً ، فقال : والله ؛ ما وجدت غير ذلك ،
وتركتهم فيما بينهم يتشاورون) .

مناقشة قريش لأبي
سفيان فيما بلغه من
رحلته

كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش :

ولمّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى

وَحَاطِبُ ابْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ أَرْسَلَ إِذْ زُحُوفُهُ شَرَعَتْ

مكة . . كتب حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ كتاباً أعطاه امرأة ، وجعل لها جُعللاً على أن تبلغه قريشاً ، كما أشار له الناظم بقوله :

(وحاطبٌ)^(١) بالتنوين لضرورة النظم (ابن) عمرو بن عُمَيْرِ اللُخُمِيِّ (أبي بَلْتَعَةَ) بموحدة مفتوحة ، ولام ساكنة ، ففوقية ، فعين مهملة مفتوحتين (أرسل إذ زُحُوفُهُ) أي :

(١) يكنى بأبي محمّد ، أو بأبي عبد الله ، قال النووي : (قيل : كان لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ، فكاتبه ، فأدى كتابته ، شهد بدرآ ، والحديبية ، وشهد الله له بالإيمان في القرآن ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية سنة ست من الهجرة ، فقال له المقوقس : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبياً ؟ قال : بلى ، قال : فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده ؟ قال له حاطب : فعيسى ابن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله ! قال له : أحسنت ، أنت حكيم ، جئت من عند حكيم ، وبعث معه هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها مارية أم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام ، وسيرين أم عبد الرّحمن بن حسان ، وأخرى أعطاها لأبي جهم بن حذيفة ، وأرسل مع حاطب من يوصله مأمنه .

روى مسلم في « صحيحه » : أنَّ عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطباً ، فقال : يا رسول الله ؛ ليدخلنّ حاطباً النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت ، لا يدخلها : فإنّه شهد بدرآ » وكان حاطب حسن الجسم ، خفيف اللحية ، ذكره ابن سعد ، توفي سنة ثلاثين بالمدينة ، وصلى عليه عثمان رضي الله عنه ، وعمره خمس وستون سنة . اهـ

حديث حاطب رضي
الله عنه مع المقوقس

إِلَى قُرَيْشٍ رُقْعَةً مَعَ مَرَّةٍ فَأَوْدَعَتْهَا قَرْنَهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ
فَأَخْبَرَ الْهَادِي بِهَا فَأَرْسَلَ مَنْ جَاءَهُ كُرْهًا بِهَا وَأَمْتَلًا

جيشه صلى الله عليه وسلم (شَرَعَتْ) بناء التانيث المكسورة
للروي ، وقوله : (إلى) كبار (قريش) وهم : سهيل ،
وصفوان ، وعكرمة ، وقد أسلموا بعد ، رضي الله عنهم ،
وهو يتعلق بـ (أرسل) أي : أرسل حاطب إلى قريش بمكة إذ
ذاك (رُقْعَةً) بالضم ، واحدة الرُّقَاع : التي تكتب (مَعَ) بفتح
الميم والعين في مع (مَرَّة) بتثنيث الميم وفتح الراء المخففة :
لغة في امرأة ، استأجرها بدينار أو عشرة دنانير ، واسمها سارة
بنت صيفي بن أبي صيفي بن هاشم ، كانت مُغْنِيَّة أهل مكة ،
جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ، فقال صلى الله
عليه وسلم : « أَجِئْتِ مهاجرة ؟ » قالت : لا ، قال : « فما
جئتِ له ؟ » قالت : أنتم الأهل ولا مُواسي ، فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ما كان في غنائك ما يُغْنِيكَ ؟ » قالت :
إِنَّ قُرَيْشًا منذ قُتِلَ منهم من قُتِلَ يبدر تركوا الغناء ، فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وثياباً ، ولمَّا ناولها حاطب
الرقعة . . قال لها : أخفيها ما استطعت ، ولا تَمُرِّي على
الطريق ؛ فإن عليه حرساً ، فأخذت الرقعة (فأودعَتْها قَرْنَهَا)
بفتح القاف وسكون الراء : ذؤابتها (تِلْكَ الْمَرَّة) .

استجار حاطب امرأة
لإرسال الخطاب إلى
قريش

وأطلع الله على ذلك نبيه عليه الصَّلَاة والسَّلَام ، وجاءه
الخبر من السماء ، كما قال الناظم :
(فَأَخْبَرَ الْهَادِي بِهَا) أي : بالمرأة وخبرها لمَّا جاء الوحي

إطلاع الله جلَّ وعلا نبيه
صلى الله عليه وسلم
على كتاب حاطب
رضي الله عنه

بذلك (فَأَرْسَلَا) بألف الإطلاق ، كالألف في قوله بعد :
 (وامثلاً) ، (مَنْ جَاءَهُ كُزْهًا) أي : من المرأة ، ويتعلق
 بقوله : (جاءه) قوله : (بها) والذي جاءه بها عليّ ،
 والزُّبَيْر ، والمقداد ، كما أخرجه الشيخان من طريق
 عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي رضي الله عنه قال : بعثني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ، والزُّبَيْر ، والمقداد ،
 فقال : « انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خَاحٍ ^(١) على بريد من
 المدينة ؛ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً ^(٢) معها كتاب ، فخذوه منها »
 (وامثلاً) أمره صلى الله عليه وسلم .

مضمون خطاب
 حاطب بن أبي بلتعة
 لقريش

قال عليّ - في تمام الحديث المذكور - : فذهبنا تَعَادَى بنا
 خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا :
 أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي من كتاب ، قلنا : لَنُخْرِجَنَّ
 الكتاب أو لنلقينَّ الثياب ، فأخرجته من عقاصها ^(٣) ، فأتينا به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن
 أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه
 وسلم : « ما هذا يا حاطب ؟ » قال : لا تَعْجَلْ عليّ
 يا رسول الله : إني كنت امرأً مُلصَقًا في قريش ، ولم أكن من

الأسباب التي دفعت
 حاطباً لمكاتبة قريش

- (١) بخائين معجمتين ، على الصواب الذي ذكره النووي عن كافة العلماء .
- (٢) بفتح الظاء المعجمة ، وكسر العين المهملة ، هي : المرأة في الهودج .
- (٣) الشعر المضفور ، أو الخيط الذي تُعْقَصُ به أطرافُ الذوائب .

أَنْفُسِهَا ، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قرابات يَحْمُونَ بها
أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب
فيهم ، أن أصطنع إليهم يداً يحمون بها قرابتي ، وما فعلتُ
ذلك كُفْراً ولا ارتداداً عن ديني ، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه
وسلم : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » فقال عمر : دَعْنِي ^(١)
يا رسول الله فلاضرب عنق هذا المنافق ، فقال : « إِنَّهُ شَهِدَ
بدرأ ، وما يُدْرِيكَ لعلَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ على أهل بدر
فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم ؟ ! »

الآية التي نزلت في
حادث حاطب رضي الله
عنه

قال عمرو - يعني ابن دينار ، أحد رواة الحديث - :
ونزلت فيه ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ۖ .

قال الشَّهْلِيُّ في « الروض » : (زاد البخاري في بعض
روايات الحديث فقال : « فاغرو رقت عينا عمر رضي الله عنه ،

(١) إنَّما قال ذلك عمر ، مع تصديقه صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به ، لما كان عنده
من القوة في الدين ، والبغض لمن ينسب لنفاق ، وظن أنَّ من خالف أوامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم استحقَّ القتل ، لكنه لم يجزم بذلك ، فلذلك استأذن في قتله ، وأطلق
عليه اسم منافق ؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر ، ولم يرد عمر أنَّه أظهر الإسلام ، وأبطن
الكفر . وعذر حاطب : هو ما ذكره من خوفه على أهله بمكة ، بأنَّه فعل ذلك متوَّلاً أن
لا ضرر فيه . اهـ من « الفتح » بزيادة توضيح .

وقال : الله ورسوله أعلم » يعني : حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال .

وفي « مسند الحارث » : أنَّ حاطباً قال : يا رسول الله ؛ كنتُ عريراً في قريش ، وكانت أُمِّي بين ظهرائهم ، فأردت أن يحفظوني فيها ، أو نحو هذا . ثمَّ فسَّرَ العزيز ، وقال : هو الغريب .

نص خطاب حاطب
لكفار قريش

وقد قيل : كان في الكتاب الذي كتبه حاطب : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توجه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، وأقسم بالله ؛ لو سار إليكم وحده .. لنصره الله عليكم ؛ فَإِنَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ مَا وَعَدَهُ .

وفي « تفسير ابن سَلَام » : أَنَّهُ كَانَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبٌ : أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَقَرَ : إِمَّا إِلَيْكُمْ ، وَإِمَّا إِلَى غَيْرِكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ الْحَذَرُ) .

فائدة :

من معجزاته صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم لما أرسل
القوم إلى حاملة
خطاب حاطب

ذكر في « روض النُّهاة » : (أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرْسَلَ الْقَوْمَ إِلَى الْمَرْأَةِ .. زَوَّدَهُمْ مَاءً ، فَلَمَّا حَلَوْا السَّقَاءَ لِيَشْرَبُوا .. وَجَدُوهُ لَبْنًا أَطِيبَ مَا يَكُونُ ، وَوَجَدُوا عَلَى فَمِ السَّقَاءِ زُبْدًا أَطِيبَ مَا يَكُونُ) .

وقال في « قُرَّةُ الْأَبْصَارِ » في ضمن ذكر معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ذكرها :

وَلِلنَّبِيِّ عَرَضَ ابْنُ عَمَّتِهِ وَنَجُلٌ عَمَّهُ عَزِيزٌ فَتَتَهُ

والماء قد زودت قوماً رُفداً

فَعَادَ أَيْضاً لِبَنَاءٍ وَزُبُداً

ولكنه لم يعين القوم .

قصة عبد الله بن أبي أمية وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر بعض من خرج من مكة ، ووافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق متوجّهاً إلى مكة ، فأعرض عليه الصّلاة والسّلام عنه في أول الأمر ؛ تأديباً له ، فقال :

(وَلِلنَّبِيِّ عَرَضَ) أي : ظهر له بين السّقيّا والعرج ،

عبد الله بن أبي أمية القرشيّ المخزومي^(١) (ابن عمّته) صلى الله عليه وسلم ، عاتكة بنت عبد المطلب .

توجه الرسول صلى
الله عليه وسلم إلى
مكة

(١) هو صهر النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأخو أم سلمة لأبيها ؛ لأنّها بنت أبي أمية ، ووالدتها عاتكة بنت جندل الطعان ، وكان لأمية بن المغيرة زوجتان ، كل منها تسمى عاتكة ، شهد الفتح وحنيناً ، واستشهد بالطائف ، واسم أبي أمية : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي ، المخزومي ، ويقال له : زاد الراكب ؛ لأنّه إذا سافر معه أحد . . كان زاده عليه ، وكان عبد الله هذا وأبو سفيان بن الحارث شديدي الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة بمكة ، وبعد الهجرة ، ولكن احتضنتهما السعادة ، جعلنا الله ممّن سبقت له العناية ، وكتبت له السعادة :

حذيفة بن المغيرة زاد
الركب

ربّ شخص تقوده الأقدار للمعالي وما لذاك اختيار
غافلاً والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار
قال ابن عبد البر : (إنّه رمي يوم الطائف بسهم فقتله ، ومات يومئذ) .

قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه :

أبو سفيان بن الحارث
ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم

(و) عَرَضَ أَيْضاً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١) (نَجَّل) أي : ابن (عَمِّه)

إسلام أبي سفيان بن
الحارث أخي النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم
من الرضاع

(١) اسمه كنيته ، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرِّضَاعَةِ ، أرضعتها حليلة السعدية وتقدم أَنَّ أبا سفيان هذا كان من الذين يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم إسلامه أدخل على الرسول الأعظم الفرح الكبير ، حتى شهد له بالجنة ، وكان يقول : « أرجو أن يكون خلفاً من حمزة » شهد من المشاهد حيناً ، وله فيها الذكر الحسن ؛ فقد ثبت فيها مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأبلى بلاءً حسناً ، أخرج مسلم من طريق كثير بن العباس بن عبد المطلب عن ابنه قصة حين قال : (فطفق النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يركض بغلته نحو الكفار ، وأنا أخذ بلجامها أكفها ، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بركابه ، فقال : « يا عباس ؛ ناد أصحاب الشجرة ») اهـ ويقال : إنَّه لم يرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إجلالاً له ، وحياءً منه ، وكان شاعراً مطبوعاً حلو الشعر ، أنشد في إسلامه واعتذاره :

رثاؤه للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم

لعمرك إنِّي يوم أحمل راية
لكأ لمظلم الحيران أظلم ليله
هداني هاد غير نفسي ودلني
أصد وأناى جاهداً عن محمّد
ذكر ابن إسحاق : أَنَّ أبا سفيان بكى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورثاه بقوله :

أرقت فبات ليلي لا يزول
فأسعدني البكاء وذاك ممّا
وليل أخي المصيبة فيه طول
أصيب المسلمون به قليل

وَعَنْهُمَا أَعْرَضَ جَرًّا مَأْتَمَةً فَاسْتَشْفَعَا لَهُ بِأُمِّ سَلَمَةَ

الحارث ، أخي عبد الله ، والد النبي صلى الله عليه وسلم
(عزيز) بالجر صفة للعم (فِتْنَةٍ) أي : طائفته قريش ، ويجمع
على : فِتْنُونَ ، كما في «المختار» .

ولما عرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان
الإسلام .. أعرض عنهما ؛ لأنَّهما كانا من أكبر القائمين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشدَّ الناس أذىً له .

شفاعة أم سلمة فيهما :

وإلى هذا يشير بقوله : (وعنهما أعرض) وصَدَّ ؛ لأنَّهما
(جَرًّا) على أنفسهما (مَأْتَمَةً) أي : إثماً بذلك الأذى والهجو
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء للسكت ؛ إذ وبال
ذلك راجع إليهما ، (فاستشفعا) أي : طلبا الشفاعة (له)

روى الحاكم عن عروة مرفوعاً : « أبو سفيان بن الحارث . سيد فتيان أهل
الجنة ، قال : أي : عروة » حلقه الحلاق بمنى ، وفي رأسه ثؤلول فقطعه ،
فمات ، قال فيرون أنه مات شهيداً » .

وعن عمر بن شبة في « أخبار المدينة » عن عبد العزيز بن عمران قال :
(بلغني أنَّ عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان يجول بين المقابر ، فقال :
يا بن عمي ؛ ما لي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبري ، فأدخله داره
وأمره بأن يحفر في قاعها قبراً ، ففعل ، فقعده عليه أبو سفيان ساعة ثمَّ
انصرف ، فلم يلبث إلاَّ يومين حتى مات ، فدفن فيه ، يقال : إنَّه مات
سنة خمس عشرة ، فصلَّى عليه عمر) اهـ من « الإصابة » .

وذكر النووي في « شرح مسلم » أنَّه قال عند موته : لا تبكوا عليّ ؛ فإنِّي
لم أشطف - أي : أتلطخ - بخطيئة منذ أسلمت . اهـ

وفاته

أي : عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليقبلهما
 (بأُم سلمة) أُم المؤمنين رضي الله عنها ، فكلمته أُم سلمة ،
 فقالت : يا رسول الله ؛ ابن عمك ، وابن عمتك وصهرك ،
 قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أُمّا ابن عمي . . فهتَكَ عِرْضِي ،
 وأُمّا ابن عَمَّتِي وصهري . . فهو الذي قال لي بمكة ما قال »
 يعني قوله : والله ؛ لا آمنتُ بك حتى تتخذ سُلماً إلى السماء ،
 فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصكّ وأربعة من الملائكة ،
 يشهدون أنّ الله أرسلَكَ ، فقالت له أُم سلمة : لا يكن ابن
 عمك وابن عمتك أشقى الناس بك .

حكمة أُم سلمة رضي
 الله عنها

وقال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه لأبي سفيان فيما
 حكاه أبو عمر : (ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل
 وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف : ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ
 ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ فإنه لا يرضى أن
 يكون أحد أحسن منه قولاً ، ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال
 له صلى الله عليه وسلم : « لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ
 لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ » .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجيشه :

تاريخ خروجه صلى
 الله عليه وسلم إلى
 مكة

هذا : ولما رجع أبو سفيان إلى مكة ولم ينل مطلوبه ،
 وقبّل عليه الصّلاة والسّلام عذر حاطب في كتابه لأهل مكة . .
 خرج قاصداً مكة لعشر مَضِينَ من رمضان بعد العصر سنة
 ثمان ، وهو صائم والناس معه صيام ، ولما بلغ الكديد - ماء

وَأَقْبَلْتُ جُنُودَ صَفْوَةِ الْأُمَمِ أَمَامَهُ حَتَّى أُنْتَهَوْا إِلَى الْحَرَمِ

بين قديد وعُسفان - أظفر ؛ وذلك بعد أن استخلف على المدينة
أبا رُهم كلثوم بن الحُصَيْن بن عتبة الغِفَارِيِّ ، على الصحيح
الذي رواه ابن إسحاق وغيره .

كلثوم بن الحُصَيْن
المستخلف على
المدينة

وأشار الناظم إلى مسيره إلى مكة تتقدمه جنود الله وعسكر
الإسلام ، حتى وصل إلى بيت الله الحرام بقوله :

(وأقبلتُ جُنُودُ) جمع جند ، هو : العسكر والأعوان
(صفوة) مثلث الأول ، ككل ما كان على هذا الوزن وَآوِيَّ
اللام .

والمراد بصفوة (الأمم) : رسول الله الأعظم صلى الله
عليه وسلم ، وصفه بالصفوة وليست من أسمائه المشهورة ؛
لأنَّ الله تعالى اصطفى العرب من الناس ، واصطفى قريشاً من
العرب ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ، فمن ثَمَّ كان الصفوة ،
والصفوة : خلاصة الشيء ، فهو خلاصة الشرف ، بل
والكمالات كلها (أمامه) صلى الله عليه وسلم .

قال في « الإمتاع » : (وكان المهاجرون سبع مئة ،
ومعهم ثلاث مئة فرس ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ، ومعهم
خمس مئة فرس ، ومزينة ألفاً ، ومعها مئة فرس ، ومئة درع ،
وأسلم أربع مئة ، ومعها ثلاثون فرساً ، وجهينة ثمان مئة ،
ومعها خمسون فرساً ، وبنو كعب بن عمرو خمس مئة ، وخرج
يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر) اهـ

عدد المسلمين

وَضُرِبَتْ لَهُ هُنَاكَ قُبَّةٌ أَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَأَرْضَى حِزْبَهُ

وأخذوا في السير (حتى انتهوا إلى الحَرَم) أي : مكة شرفها الله تعالى ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم حَرَّمَهَا بقوله : « مكة حرام ، لا تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما أُحِلَّت لي ساعة من نهار » .

(وضربت له هناك) أي : بالحَجُّون من أرض الحرم بمكة (قبة) يستظل^(١) بها (أَرْضَى بها الله ، وأَرْضَى حزبه) جنده أو قومه الذين هم على رأيه ، أو طائفته .

قال في « روض الثُّهَّاة » : (وكل ذلك محتمل هنا ؛ إذ يصح أن يكون أراد قريشاً ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أرضاهم ذلك اليوم بأفعاله الكريمة وأقواله الحميدة . كقوله : « اليوم يومُ المرحمة » وقوله : « ما تروني فاعلاً بكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا ، فأنتم الطُّلَقَاء » ولأنَّه صلى الله عليه وسلم لم يَسُبَّ أحداً ، ولم يغنم ناطقاً ولا صامتاً وهو فيما هو فيه من المقدرة ، وجهد أصحابه في المعيشة ، وقد ردَّ المفتاح على أهله قَبْلُ من بني عبد الدار .

ويصح أن يكون المراد بالحزب الأنصار ، وهم قومه الذين

(١) لأنَّه عليه الصَّلَاة والسَّلَام دخل مكة على الصحيح من أعلاها ، ودخل خالد من أسفلها كما سيأتي ، قال في « شرح المواهب » : (ولم يزل بالحجون ، لم يدخل بيتاً ، وكان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجون ، وكان أبو رافع ضرب له به قبة من آدم ، ومعه أم سلمة وميمونة) .

فَأَحْتَرَمَ الْحَرَمَ إِذْ هُوَ الْحَرَمُ مُحَرَّمٌ مُؤْمِنٌ مِمَّنْ هَجَمَ

على رأيه ، وأرضاهم أيضاً ذلك اليوم بقوله صلى الله عليه وسلم : « المَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، والمَمَات مَمَاتِكُمْ » وأن يكون المراد به المهاجرين والأنصار ؛ لأنَّهم جنده .

وأرضى المهاجرين أيضاً بعفوه عن قريش ، وقد شفع عثمان ، وعبد الرَّحْمَن بن عوف منهم ، هذا كله على أنَّ الضمير في (حزيه) يعود على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل عوده على لفظ الجلالة قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وقد ظهر لقريش اليوم استمرار الغلب عليهم منذ يوم بدر ، فأذعنوا وأسلموا .

(فاحترم الحرم) أي : مكة ، فلم يسفك بها دمًا (إذ هو) أي : مكة ، وذكر الضمير ؛ مراعاة للخبر الذي هو (الحرم) وقوله : (مُحَرَّم) خبر بعد خبر ، كقوله : (مُؤْمِنٌ مِمَّنْ هَجَمَ)^(١) وأغار عليه .

والآيات في القرآن على تأمينه كثيرة ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جَوْعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

(١) هجم من باب دخل ، يقال : هجم على الشيخ : دخل بغير إذن . اهـ

وقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام في اليوم الثاني من يوم الفتح ،
 بعد أن حمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله : « أُيِّهَا
 النَّاس ؛ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ
 حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يَوْمُنَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا ، أَوْ يَعْصُدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ
 تَرَخَّصَ فِيهَا لِقَتَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . فَقُولُوا
 لَهُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي
 سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حَرَمَتُهَا الْآنَ كَحَرَمَتِهَا بِالْأَمْسِ ،
 فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » .

تاريخ أنصاب الحرم :

أول من نصب أنصاب
 الحرم

قال العلامة أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقِيّ ، بسنده
 إلى ابن عباس رضي الله عنه : (أَوَّلُ مَنْ نَصَبَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ
 إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَرِيهِ ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا كَانَ
 يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ . . بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمَ بْنَ
 أَسَدَ الْخَزَاعِيَّ ، فَجَدَّدَ مَا رَثَ مِنْهَا) .

وذكر أيضاً أبو الوليد بالسند إلى عبيد الله بن عتبة : (أَنَّ
 إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ نَصَبَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ ، يَرِيهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ قَصِيٌّ فَجَدَّدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ
 حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَعَثَ عَامَ الْفَتْحِ
 تَمِيمَ بْنَ أَسَدَ الْخَزَاعِيَّ فَجَدَّدَهَا ، ثُمَّ لَمْ تُحْرَكْ حَتَّى كَانَ عُمَرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَعَثَ أَرْبَعَةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَانُوا يَتَبَدَّوْنَ

وَحِينَ حَلَّ بِإِزَاءِ الْحَرَمِ أَمَرَ أَنْ يُوقَدَ كُلُّ مُسْلِمٍ
نَاراً فَأَبْصَرَ أَبُو سَفْيَانًا وَكَانَ يَرْتَقِبُهُ النَّيِّرَانَا

في بواديها ، فجَدَّوا أنصاب الحرم ، منهم مَخْرمة بن نوفل ،
وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومي ، وحويط بن
عبد العزى ، وأزهر بن عبد عوف الزهري .

إرهاب قريش بإيقاد عشرة آلاف نار :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر ما أمرهم به النَّبِيُّ الأعظم صلى الله
عليه وسلم حينما قارب مكة ؛ ممَّا جعل قريشاً في رُعب منهم ،
فقال : (وَحِينَ حَلَّ) ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
(بِإِزَاءِ) أي : بمقابل (الْحَرَمِ) بموضع يسمى مَرَّ الظُّهْرَانِ :
بفتح الميم ، وتشديد الراء ، هو المعروف اليوم بوادي فاطمة
مسيرة ليلة من مكة على الجمال ، وساعة بالسيارة (أمر أن
يوقد كل مسلم ناراً) لتراها قريش ، فترعَب من كثرتها ،
فأوقدوا عشرة آلاف نار (فأبصر أبو سفيانا) بالآلف الزائدة
لإطلاق القافية قوله : (وكان يرتقبه) أي : النَّبِيُّ صلى الله
عليه وسلم ؛ أي : يخاف أن يخرج في أصحابه لقتاله ، جملة
معتضة بين أبصر ، ومفعوله الذي هو (النيرانا) أي : فأبصر
أبو سفيان هذه النيران الكثيرة حتى قال : ما هذه النيران ؟
لكأنَّها نيران عَرَفَة ، وكانت قد جرت عاداتهم بإيقاد النيران
الكثيرة ليلة عرفة .

وادي فاطمة وبُعدَه
عن مكة المكرمة

فَارْتَاعَ فَأَنْسَلَ إِذْنَهُ عَمَّ النَّبِيُّ فَالتَّقِيَا فَجَا بِهِ عَنْ كُتُبِ

فزع أبي سفيان من جيش المسلمين :

وقد كان أبو سفيان يرتقب النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغزوه مع قومه (فارتاع) أي : أصاب أبا سفيان الروع والخوف .

خروج أبي سفيان وعدد
من وجهاء قريش لطلب
الأمان من النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الشهاب : (ولم يبلغ قريشاً مسيره ، وهم مغتمون خائفون من غزوه ، فبعثوا أبا سفيان ، فقالوا : إن لقيت محمداً . . فخذ لنا منه أماناً ، فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء - وقد أسلموا كلهم رضي الله عنهم - حتى أتوا مَرَّ الظهران ، فلمَّا رأوا العسكر . . أفرعهم) .

قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه :

اقتياد أبي سفيان إلى
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ

وفي « صحيح الإمام البخاري » : فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه النيران ؟ والله لكأنها نيران عرفة ، فقال له بديل : نيران بني عمرو (أي : خزاعة) فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأدركوهم ، فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأسلم أبو سفيان ؛ أي : انقاد إذ ذاك ، وخضع لرسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام (فأنسل) بتشديد اللام ؛ أي : فخرج (إِذْن) أي : حين رأى تلك النيران ، وذلك الجيش العرمرم العباس (عَمَّ النَّبِيُّ) ﷺ ، فركب بغلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخذته الرقة والشفقة لأهل مكة ، حتى جاء الأراك لعلَّه يجد بعض الحطابة ، أو ذا الحاجة ، يخبر أهل مكة بمكان

رغبة العباس رضي الله
عنه في خروج أهل مكة
لطلب الأمان من رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عَنوة ، قال العباس : فوالله ؛ إِنِّي لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قَطُّ ولا عسكرياً ، قال : يقول بُديل : هذه والله خُزاعة حَمَشَتِها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خُزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها ، قال : فعرفت صوته ، فقلت : أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : مالَكَ فِداكَ أبي وأُمِّي ، قال : قلت : والله : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به ، فقال : واصْبَاحَ قريش والله ! قال : فما الحيلة فِداكَ أبي وأُمِّي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفرك بك . . لَيَضْرِبَنَّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى آتِيَ بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأستأمنه لك ، فركب خلفي ورجع صاحباه ، وهذا هو المشار إليه بقول الناظم :

مقابلة العباس لأبي
سفيان وحديثه معه

(فالتقيا) أي : العباس وأبو سفيان (فجاء) بالقصر : لغة (جاء) بالمد ؛ أي : فجاء العباس (به) أي : بأبي سفيان وقد أَرَدَفه على عجز الدابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن كَثَب) بفتح الكاف والمثلثة ؛ أي : عن قرب ، وكان كَلِّما مرَّ به العباس على نار من نيران المسلمين . . قالوا : من هذا ؟ وإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته .

إرداف العباس لأبي
سفيان على بغلته

مرور العباس بنار عمر
بن الخطاب ومقالته
لدى رؤية أبي سفيان

قال العباس : حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال :
مَنْ هذا ؟ وقام إليّ ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجز الدابة . .
قال : أبو سفيان عدوّ الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد
ولا عَهْد ، ثمّ خرج يشند نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وركضت البغلة ، فسُقْتُ ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال :
يا رسول الله ؛ هذا أبو سفيان ، فدعني فلا أضرب عنقه ، قال :
قلت : يا رسول الله ؛ إنّي قد أجرتّه ، ثمّ جلست إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله ،
لا ينجيه الليلة رجل دوني ، فلمّا أكثر عمر في شأنه . . قلت :
مهلاً يا عمر ، فوالله ؛ لو كان من رجال بني عديّ بن كعب . .
ما قلت مثل هذا ، قال : مهلاً يا عباس ، فوالله ؛ لإسلامك
يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ،
وما بي إلّا أنّي قد عرفت أنّ إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب .

اشتداد الحوار بين
عمر والعباس رضي
الله عنهما في شأن أبي
سفيان

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يا عباس
إلى رحلك ، فإذا أصبحت . . فأتني به » فذهبت به ، فلمّا
أصبح . . غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا
رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : « وَيَحَكَ
يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله ؟ » قال :
بأبي أنت وأُمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ! لقد
ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد ، قال :

الحديث الذي دار بين
النبيّ صلى الله عليه
وسلم وبين أبي سفيان

« ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله ؟ »
 قال : بأبي أنت وأُمِّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك !
 أمّا والله هذه ؛ فإنّ في النفس حتى الآن منها شيئاً ، فقال له
 العباس : ويحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً
 رسول الله قبل أن تُضربَ عنقك ، قال : فشهد شهادة الحقّ ،
 فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله ؛ إنّ أبا سفيان رجل
 يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً^(١) ، قال : « نعم ، مَنْ دخل دار
 أبي سفيان.. فهو آمن ، ومن أغلق بابَه عليه.. فهو آمن ،
 ومن دخل المسجد.. فهو آمن » .

حجز أبي سفيان ليرى
 جيش المسلمين فرقة
 فرقة

ثمّ أمرَ العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيّق الجبل ، عند
 خَطْم الجبل ؛ حتى تمر به جنود الله فيراها ، ففعل ، فمرّت
 القبائل على راياتها ، كلّما مرّت قبيلة.. قال : يا عباسُ مَنْ
 هذه ؟ فأقول : سُليم ، قال : ما لي ولُسُلَيْم ، ثمّ تمر به القبيلة
 فيقول : يا عباس ؛ من هؤلاء ؟ فأقول مُزينة ، فيقول : ما لي
 ولِمُزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة.. إلّا سألني
 عنها ، فإذا أخبرته بهم.. قال : ما لي ولبنِي فلان ، حتى مرّ به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها
 المهاجرون والأنصار ، لا يُرى منهم إلّا الحَدَق من الحديد ،

(١) قصد العباس بذلك تثبيت إسلام أبي سفيان ؛ لئلا يدخل عليه شيطان ، بأنّه كان متبوعاً
 فأصبح تابعاً ، ليس له من الأمر شيء ، ولذا قال العباس : إنّ رجل يحب الفخر . اهـ

وإنما قيل لها : الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها ، قال :
سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد
بهؤلاء قبل ولا طاقة !

وفي « صحيح البخاري » : أن كتيبة الأنصار جاءت مع
سعد بن عباد ومعه الراية ، قال : ولم يُر مثلها ، ثم جاءت
كتيبة هي أقل الكتائب^(١) - أي : عدداً - وأكثرها إجلالاً ، فيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية
النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير ، فقال أبو سفيان : والله
يا أبا الفضل ؛ لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ، قال :
قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال : فنعمة إذن ، قال :
قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرّخ بأعلى
صوته : يا معشر قريش ؛ هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم
به ، فمن دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن ، فقامت إليه زوجته
هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت^(٢)
الدّسمَ الأحمس ، قبح من طليعة قوم ! قال : ويلكم !
لا تغرنكم هذه من أنفسكم ؛ فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ،
من دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ،

تحذير أبي سفيان
قريشاً من جيش
المسلمين

(١) قال الحافظ اليعمرى في « العيون » : (كذا وقع عند جميع الرواة - يعني بلفظ « أقل » -

ورواه الحميدي في « كتابه » : « هي أجل الكتائب » وهو الأظهر) .

(٢) الحميت : الزق ، أو وعاء السمن ، والأحمس الذي لا خير فيه عنده . اهـ من « روض

النهاة » .

وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه داره.. فهو آمن،
ومن دخل المسجد.. فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى
المسجد.

وذكر الطبري: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَ
حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد إسلامهما إلى مكة، وقال:
من دخل دار حكيم.. فهو آمن، وهي بأسفل مكة، ومن دخل
دار أبي سفيان.. فهو آمن، وهي بأعلى مكة، فكان هذا أماناً
منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة.

قال ابن إسحاق: (فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر: أَنَّ
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي طَوًى.. وَقَفَ
عَلَى رَاحِلَتِهِ مَعْتَجِراً بِشِقَةِ بَرْدِ حَبْرَةَ حَمْرَاءَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
لَيَضَعُ رَأْسَهُ تَوَاضِعاً لَلَّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ،
حَتَّى إِنَّ عَثْنُونَهُ لِيَكَادِ يَمَسُّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ) اهـ والعثنون:
اللحية.

تواضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما منَّ
الله عليه من الفتح

وقال في «روض النُّهاة»: (إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لَمَّا احْتَمَلَهُ
الْعَبَّاسُ إِلَى قَبْتِهِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَهُ، رَأَى النَّاسَ قَدْ ثَارُوا إِلَى
ظُهُورِهِمْ^(١).. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ؛ مَا لِلنَّاسِ؟
أُمِرُوا فِيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْهُمْ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَمَرَهُ
الْعَبَّاسُ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ وَكَبَّرَ،

(١) أي: إلى دوابهم؛ لأنها كالظهور لهم. اهـ

وَزَعَمَ ابْنُ قَيْسٍ أَنْ سَيُحْفِدَا رَجَالَهُمْ خُلَّتَهُ وَأَنْشَدَا

فكَبَّرَ الناس بتكبيره ، وركع فركعوا ، ورفع فرفعوا.. قال أبو سفيان : ما رأيت كالיום طاعة قوم ، جمَعَهُم من ههنا وههنا ، ولا فارسٌ ولا الرومُ ذواتُ القرون بأطوع منهم له !

تدخل عمر رضي الله عنه في الحديث بين النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين أبي سفيان

ولمَّا عرض عليه الإسلام.. قال : كيف أصنع بالعزَّى ؟ فسمعه عمر من وراء القبة ، فقال له : تَخْرُأُ عليها ! فقال أبو سفيان : وَيَحَكَّ يا عمر ! إِنَّكَ رجل فاحش ، دعني وابن عمي فأياه أكلم .

إسلام هند زوج أبي سفيان

ولمَّا قالت هند المقالة السابقة ، وقد أخذ الإسلام من قلبه كل مأخذ.. قال لها : والله ؛ لَتُسْلِمَنَّ أو لأضربنَّ عنقك ، فأسلمت قبل انقضاء عِدَّتِها ، وبايعت ، وأقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على نكاحهما) .

استعداد حماس بن قيس لقتال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انهزمه :

(وزعم) حماس (بن قيس) بن خالد ، بكسر أوله ، وتخفيف ثانيه ، وآخره مهملة ، على ما ضبطه الحافظ في « الإصابة » وذكره في القسم الأول من حرف الحاء وقال : (إِنَّهُ الأصح من تسمية ابن عبد البر له خناس بن قيس) .

الزعم يطلق على معان

والزعم يطلق على القول الحق ، ومنه حديث : « زعم جبريل » وعلى القول الكذب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ ويطلق أيضاً على القول غير الموثوق به ومنه قوله :

إِنْ يَغْلِبُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

نَبِّئْتُ قِيسًا وَلَمْ أَبْلُهُ

كما زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنِ

وحدث الترمذي : « بئس مطية الكذب زعموا » فجعله ابن عطية من الثاني ، قاله الأبي في « شرحه على مسلم » ولعلّ الثاني ، أو الثالث هو المراد هنا ؛ أي : كذب في (أن سيُخَفِّدا) أي : يُخَدَّم (رجالهم) أي : رجال المسلمين (خُلَّتْهُ) بضم الخاء ؛ أي : زوجته ، أي يأسرهم ؛ فيكونوا خَوَلاً وخدماء لزوجته ، ولم تُسَمَّ ؛ وذلك أنه كان يشحذ سلاحه ويصلحه قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له امرأته : لماذا تُعَدُّ سلاحك ؟ فيقول : لمحَمَّد وأصحابه ، فتقول : لا أرى مُحَمَّدًا وأصحابه يقوم لهم شيء ، فيقول : أرجو أن أُخَدِّمَكَ منهم .

(وأنشدا) عند ذلك : (إِنْ يَغْلِبُوا) بالبناء للفاعل ؛ أي :

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليومَ فما لي) أي : فليس لي (عِلَّةٌ) ولا سبب ؛ لأنَّ (هذا سلاح كامل وألَّهُ) بفتح الهمزة ، وبعدها لام مشددة : جمع ألّ بالفتح أيضاً ، بمعنى : السلاح العريض ، يقول في زعمه : إنَّه لم يكن هناك سبب لغلبهم لنا ؛ فإنَّ لدينا من أسباب النصر ما يكفينا من أداة القتال ، وما دَرَى أَنَّ الله ناصر نبيه والمسلمين لا محالة ، مهما كان العدو ، ومهما كانت المَعَدَّات الحربية ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ يَنْصُرُهُ وَيَاْلُمُؤْمِنِينَ ﴾ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ .

وَشَهِدَ الْمَأْزِقَ فِيهِ حُطْمًا رَمَزُ (يَبٍ) مِنْ قَوْمِهِ فَأَنْهَزَمَا
وَجَاءَ فَاسْتَعْلَقَ بَابَهُ الْبَتُولُ فَاسْتَفْهَمَتْهُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ

ثمَّ شهد الخِنْدِمْةَ مع صفوان بن أُمَيَّةَ ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فلمَّا لقيهم المسلمون من أصحاب خالد . . ناوشوهم شيئاً من القتال ، فقتل كُرْز بن جابر الفهري ، وحُبَيْش بن خالد الخزاعي - وكانا في خيل خالد فشدوا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا - وأُصيب من المشركين نحو اثني عشر ، ثمَّ انهزموا ، فخرج حماس منهنزماً حتى دخل بيته ، ثمَّ قال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فأنشد الأبيات ، وإلى هذا أشار بقوله :

اختفاء حماس في منزله

(وشهد) حماسُ (المأزِق) بوزن مجلس ، أصله : المضيق ، واستعاره الناظم لموضع القتال ، قال في « الصحاح » : (المأزِق : المضيق ، ومنه سمي موضع الحرب مأزقاً)^(١) (فيه) أي : في موضع القتال (حُطْمًا) بالبناء للمفعول ؛ أي : كسر (رَمَزُ « يَب ») أي : اثنا عشر (من قومه) المشركين ، ويشار بالياء والباء من حروف الجُمْل (فانهزما) بألف الإطلاق مع قومه .

(وجاء) ابن قيس مبادراً من ساحة القتال إلى داره (فاستغلق) أي : طلب أن تُغْلَقَ عليه (بَابُهُ) بالنصب ، معمول لاستغلق (البتول) أي : زوجه البتول ، وهو وصف

(١) مادة أزق .

فَقَالَ وَالْفَزَعُ زَعْفَرَ دَمَهُ : إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخِنْدِمَةِ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ وَاسْتَقْبَلْتُنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ

مدح ، قال في « روض النُّهاة » : (ولعلَّ هذه المرة أسلمت ؛
لوصفه إيَّاهَا به) .

(فاستفهمته أين ما كنت تقول) من وعدك أَنَّكَ تهزم
جماعة محمَّد ، وتجعل لي منهم خدماً وَخَوَلاً .

(فقال) في جواب ذلك (والفزع) أي : والحال أَنَّ
الخوف (زَعْفَرَ دَمَهُ) أي : جعله كلون الزعفران ، وإنَّما يعترني
الإنسان ذلك من أجل شدة الذعر والخوف ، والجملة معترضة
بين القول ومقوله الذي هو : (إِنَّكَ) مخاطباً لامرأته ، وهو
بكسر الهمزة (لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخِنْدِمَةِ) اسم جبل بمكة ، وقع
عنده القتال مع خالد بن الوليد (إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ) نجل أُمَيَّةَ (وَفَرَّ
عِكْرِمَةُ) بن أبي جهل ، ومكانهما في الشجاعة والبسالة بالمقام
المعروف ، وقد أسلما بعدُ رضي الله عنهما ، وبعد البيت :

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَةِ

(وَاسْتَقْبَلْتُنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ)

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ

ضَرْباً فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً

لَهُمْ نَهَيْتُ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ

لَمْ تَنْطَقِي بِاللُّومِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وَأَبُو يَزِيدَ : هو سهيل بن عمرو ، وتقدم أَنَّهُ أسلم
رضي الله عنه ، والمؤتمة : المرأة ذات أيتام ، والمسلمة :

وَفَازَ مَنْ لَازَ بِهِ وَأَسْتَرْحَمَهُ يَوْمَئِذٍ إِذْ هُوَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ

المسلمون ، والغمغمة : الأصوات التي لا تفهم من
اختلاطها ، والنهيت مكبراً : صوت الصدر ، والهمهمة :
الكلام الخفي .



مظاهر شفقة النبي
صلّى الله عليه وسلّم

ثمّ أراد الناظم أن يذكر بعض مظاهر شفقة نبينا نبي
الرحمة صلى الله عليه وسلم ، بقبول من استجار به في ذلك
اليوم مع القدرة عليه ، وعظيم ما صدر منه من جناية فقال :

(وفاز من لاذ) أي : لجأ (به ، واسترحمه) أي : طلب
رحمته وعطفه (يومئذٍ) أي : يوم الفتح لمكة (إذ هو) أي :
ذلك اليوم (يوم المرحمة)^(١) لقريش ، أعزّها الله فيه .

أمر النبيّ صلى الله
عليه وسلّم أمراء
الجيش أن لا يقاتلوا
إلا من قاتلهم

واعلم : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قد عهد
إلى أمرائه حين أمرهم بدخول مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من
قاتلهم إلا نفرأ سمّاهم ؛ فإنهم يُقتلون ولو وجدوا تحت أستار

(١) هذا اليوم سمّاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنّ الكتائب لما كانت تمر يوم
الفتح بأبي سفيان . فأقبلت كتيبة لم ير مثلها ، فقال : من هذه ؟ قال العباس : هؤلاء
الأنصار عليهم سعد بن عبادة بيده الراية ، فقال سعد لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة
- أي : يوم الحرب ، أو يوم القتال - اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ، فقال
أبو سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت بقتل قومك ؟ قال : « لا » فذكر له قول
سعد ، فقال : « يا أبا سفيان ؛ اليوم يوم المرحمة ، اليوم يعز فيه الله تعالى قريشاً » وأرسل
إلى سعد ، فأخذ الراية من يده ، فدفعها إلى ابنه قيس ، ورأى صلى الله عليه وسلم أنّ اللواء
لم يخرج عنه ؛ إذ صار لابنه .

كَابُنِ أَبِي سَرْحٍ وَزِيرِ الْخُلَفَاءِ وَنَاحِسِ الْبَكْرِ بَيِّنَاتِ الْمُصْطَفَى

الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، لكن لما لاذ بحضرة الرسول ، بشفاعة أخيه عثمان من الرضاة . . فاز بالرضا والقبول .

* * *

قصة ابن أبي سرح رضي الله عنه :

وإليها يشير الناظم بقوله : (كابن أبي سرح) بفتح السين وسكون الراء ، وبالحاء المهملات ، وهو عبد الله بن سعد القرشي العامري ؛ فإنه كان ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ؛ لأنه كان أسلم بمكة ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بها ، ثم ارتد ولحق بالكفار .

قال في « شرح المواهب » : (روى أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال : كان عبد الله بن سعد يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأزله الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، فاستجار بعثمان ، فأجاره ، وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ أنها أنزلت فيه ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيملي عليه « عزيز حكيم » فيكتب « غفور رحيم » ثم يقرأ عليه ، فيقول هو : نعم ، سواء ، فرجع عن الإسلام ، ولحق بقریش .

وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص : أنه اختبأ عند عثمان ، فجاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم

اختبأؤه عند عثمان
رضي الله عنه

وهو يبايع الناس ، فقال : يا رسول الله ؛ بايع عبد الله ، فبايعه بعد ثلاث ، ثمَّ أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كَفَفْتُ يدي عن مبايعته فيقتله ؟ » فقال رجل : هَلَّا أومأت إليَّ ؟ فقال : « إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ » (اهـ

ثمَّ أدركته العناية الْأَزَلِيَّةُ ، وأتته السعادة الْأَبَدِيَّةُ ، فأسلم وحسُن إسلامه ، وعُرف فضله وجهاده في سبيل الله تعالى ، وكان وزيراً لسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان ، كما يشير الناظم بقوله : (وزير) أي : مُعين (الخلفاء) الراشدين ؛ فَإِنَّهُ وَلَّاهُ سيدنا عمر ، وكان على ميمنة عمرو بن العاصي حين افتتح مصر ، ثمَّ وَلَّاهُ عثمان ، وافتتح إفريقيا عام سبعمائة وعشرين .

قال في « شرح المواهب » : (وكان من أعظم الفتوح ، بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، واعتزل الفتنة حتى توفي سنة سبع وخمسين ؛ أي : بعسقلان) .

وروى البَغَوِيُّ بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : (لَمَّا كَانَ عند الصبح . . قال ابن أبي سَرْحٍ : اللَّهُمَّ ؛ اجعل آخر عملي الصبح ، فتوضاً ، ثمَّ صَلَّيْ ، فسلم عن يمينه ، ثمَّ ذهب يسلم عن يساره ، فقبض اللهُ روحه ، رضي الله عنه) . قال السُّهَيْلِيُّ في « الروض » : وهو القائل في حصار عثمان رضي الله عنه :

وَهَلَكْتُ لِنَخْسِهِ وَأَلْقَتْ ذَا بَطْنَهَا وَالْبَرْحَ مِنْهُ لَأَقْتِ

أَرَى الْأَمْرَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَفَاقَمًا
وَأَنْصَارُنَا بِالْمَكَّتَيْنِ قَلِيلُ
وَأَسْلَمْنَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَالْهُدَى
إِلَى أَهْلِ مِصْرٍ ، وَالذَّلِيلُ ذَلِيلُ
قصة هَبَّار بن الأسود رضي الله عنه :

وَمِمَّنْ أَهْدَرَ دَمَهُ ، ثُمَّ لَازَ بِالنَّبِيِّ الْمَعْظَمِ وَفَازَ : هَبَّارُ بْنُ
الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ
الْأَسَدِيِّ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : (وَنَاخِسٌ) بِالْجَرِّ ، عَظَفَ عَلَى
(ابْنِ أَبِي سِرْحٍ) أَيِ : طَاعَنَ (الْبَكْرُ) بِفَتْحِ الْبَاءِ : هُوَ الْفَتِيُّ
مِنَ الْإِبِلِ أَيِ : طَاعَنَ الْجَمَلَ (بِنْتُ الْمِصْطَفَى) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهِيَ زَيْنَبُ ؛ فَإِنَّهُ عَرَضَ لَهَا حِينَ هَاجَرَتْ ، وَرَدَّهَا
زَوْجَهَا أَبُو الْعَاصِيِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي
عَهِدَ إِلَيْهِ ، فَتَخَسَّ بِهَا الْجَمَلَ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ ،
وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا ، وَأَهْرَاقَتْ الدَّمَاءَ ، وَلَمْ تَزَلْ مَرِيضَةً حَتَّى
مَاتَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ ، كَمَا قَالَ :

إِسْذَاؤُهُ زَيْنَبَ بِنْتَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِسْقَاطُ زَيْنَبَ بِنْتَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتُهَا

(وَهَلَكْتُ لِنَخْسِهِ وَأَلْقَتْ) بِكسر تاء التَّأْنِيثِ ؛ لِلرَّوِيِّ (ذَا
بَطْنَهَا) أَيِ : جَنِينَهَا (وَالْبَرْحَ مِنْهُ) بِالنَّصْبِ مَعْمُولٌ لِقَوْلِهِ :
(لَأَقْتِ) أَيِ : وَلَاقَتْ زَيْنَبُ مِنْ هَبَّارٍ وَأَفْعَالُهُ الْقَبِيحَةُ الْبَرْحُ
وَالشَّدَّةُ ، وَالشَّرُّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِشَرَفِهَا ؛ فَلِذَا أَهْدَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامَ دَمَهُ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَ بِحَرْقِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
قَتْلِهِ فَقَطْ ، لَكِنْ تَدَارَكَهُ الْعَنَاءُ الرَّبَّانِيَّةُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ
إِسْلَامُهُ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ النَّازِمُ :

إِسْلَامُ هَبَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ

بِحَرْقِهِ أَمَرَ ثُمَّ رَجَعَا لِقَتْلِهِ وَالنَّارَ عَنْهُ دَفَعَا
وَبَعْدَ مَا أَشْفَى عَلَى الْإِحْرَاقِ تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةُ الْخَلَاقِ

(بحرقه) يتعلق بقوله : (أَمَرَ) أي : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرق هَبَّار ، فقال : « إن وجدتُم هَبَّاراً . فأحرقوه بالنار » ثم قال : « اقتلوه ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْذِبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ » .

(ثُمَّ رَجَعَا) بألف الإطلاق ، والضمير للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (لِقَتْلِهِ) أي : عن قتل هبار ؛ أي رجع عن حرقه إلى قتله - ولو عبر بعن . . لكان أولى (وَالنَّارَ) بالنصب معمول لـ (دفع) (عنه) يتعلق بقوله : (دَفَعَا) أي : دفع عنه التعذيب لما ذُكِرَ .

(وبعدهما) هي مصدرية داخلية على الفعل الذي هو : (أَشْفَى) أي : أشرف (على الإحراق تداركته) أي : هَبَّاراً (رَحْمَةُ الْخَلَاقِ) فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فأسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وصحب النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم .

دخول هبار على النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وإشهاره الإسلام

وقال في « شرح المواهب » : (أخرج الواقدي عن جبير بن مطعم قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَهُ مِنَ الْجِعْرَانَةِ ، فطلع هَبَّار ، فقالوا : يا رسول الله ؛ هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، قال : « قد رأيته » فأراد رجل القيام إليه ، فأشار إليه : أن اجلس ، فوقف هَبَّار ، فقال : السلام عليك يا نبيَّ الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقد هَرَبْتُ مِنْكَ فِي الْبِلَادِ ، وأردت

فَحَقَّنَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ دَمَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ رَاحِمٍ مَا أَرْحَمَهُ

اللَّحَاقُ بِالْأَعَاجِمِ ، ثُمَّ ذَكَرْتَ عَائِدَتَكَ وَصِلَتَكَ وَصَفْحَكَ عَمَّنْ
 جَهْلَ عَلَيْكَ ، وَكُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَ شِرْكَ ، فَهَدَانَا اللَّهُ بِكَ
 وَأَنْقَذَنَا مِنَ الْهَلَكَةِ ، فَاصْفَحْ عَنْ جَهْلِي ، وَعَمَّا كَانَ يَبْلُغُكَ
 عَنِّي ؛ فَإِنِّي مُقَرَّرٌ بِسُوءِ فَعْلِي ، مُعْتَرِفٌ بِذَنْبِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ حَيْثُ هَذَاكَ
 إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ » .

طلبه الصنف

اعترافه بذنبه

(ف) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (حَقَّنَ) أَي : مَنَعَ (اللَّهُ) تَعَالَى
 رَسُولَهُ (بِالْإِسْلَامِ دَمَهُ) أَنْ يُسْفِكَ (سُبْحَانَهُ) تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ
 مَا لَا يَلِيقُ بِهِ (مِنْ رَاحِمٍ مَا أَرْحَمَهُ) !

قلت : ويشير بهذا إلى الحديث الصحيح ، الذي رواه
 البخاريّ ومسلم في « صحيحيهما » واللفظ لمسلم ، بسنده إلى
 عمر بن الخطاب ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم سبيّ ، فإذا امرأة من السبيّ تبتغي ، إذ وجدت صبيّاً في
 السبيّ فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في
 النار ؟ » قلنا : لا والله ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ،
 فقال صلى الله عليه وسلم : « لله أرحم بعباده من هذه
 بولدها » .

رحمة الله سبحانه

بعباده

وروى مسلم بسنده إلى سلمان رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِثْلَةَ رَحْمَةٍ ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ

أَحْنَى وَأَرْأَفُ مِنَ الْأُمِّ بَنَّا وَهَكَذَا رَسُولُهُ كَانَ لَنَا

والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فيها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة . . أكملها بهذه الرحمة .

نسأل الله تعالى أن يشملنا برحمته الواسعة - فإننا فقراء - منّا وفضلاً ، إن لله رحمة ، وأحق الناس بالرحمة الضعفاء .

وفي الباب أحاديث كثيرة تدل على سعة رحمة الله تعالى ، وإذا كانت رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار ، التي منها الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه ، وغير ذلك ممّا أنعم الله به . . فكيف الظن بمئة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء !؟

شفقة الرسول صلى
الله عليه وسلم
ورحمته بأئته

(أحنى) من الحنو ؛ أي : أعطف (وأرأف) من الرأفة ، وهي أشد الرحمة ، فعطفها من عطف الخاص على العام ؛ أي : أكثر رحمة (من الأم) المشفقة (بنا وهكذا) أي : مثل هذا (رسوله) صلى الله عليه وسلم (كان لنا) قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

ومن طالع أحواله وسيره ومعاملته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه والوافدين إليه من جهلة الأعراب والبوادي يقضي العَجَب من شفقة نبي الرحمة ورأفته ، فجزاه الله عنا خير الجزاء ، وفرّحنا به في عرصات القيامة ويوم الجزاء بمنّه وكرمه ، آمين .

.....

مُثِّلَ من رَأْفَةِ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن معاملته :

فمن ذلك ما هو مشهور عند أهل السير : أَنَّ أعرابياً جاء يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، ثمَّ قال : « أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ، فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كُفُّوا ، ثمَّ قام ، ودخل منزله ، وأرسل إلى الأعرابي شيئاً وزاده شيئاً ، ثمَّ قال : « أحسنت إليك ؟ » قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكَ قُلْتَ ما قُلْتَ وفي أنفُس أصحابي من ذلك شيء ؛ فَإِنْ أَحْبَبْتَ . . فقل بين أيديهم ما قُلْتَ بين يديّ ؛ حتى يذهب ما في صدورهم عليك » قال : نعم ، فلمَّا كان الغد أو العشيَّ . . جاء فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذَا الأعرابي قال ما قال فزدناه ، فزعم أَنَّهُ رضي ، أَكْذَلِك ؟ » قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل هذا ، مثل رجل له ناقة شردَتْ عليه فَاتَّبَعَهَا الناس ، فلم يزيدها إلَّا نُفُوراً ، فناداهم صاحبها : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي ؛ فَإِنِّي أَرْفُقُ بِهَا مِنْكُمْ . وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قِمَامِ الأَرْضِ ، فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَاخَتْ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ . . دَخَلَ النَّارَ » .

قال أبو الفضل عياض بن موسى اليَحْصُبِيُّ : (ومن شففته على أُمَّتِهِ صلى الله عليه وسلم : تخفيفه وتسهيله عليهم ،

.....

وكرهته أشياء ؛ مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله عليه الصَّلَاة
والسَّلَام : « لولا أن أشقَّ على أُمَّتي . . لأمرتهم بالسَّواك مع كل
وضوء » وَخَبَرُ صلاة الليل ، ونهيه عن الوصال ، وكرهه
دخول الكعبة ؛ لئلا يُعْنِت أُمَّته ، وأَنَّهُ كان يسمع بكاء الصَّبِيِّ
فيتجوز في صلاته) .

ومن شفقتَه ﷺ : أن دعا ربه وعاهده ، فقال : « أَيُّما
رجل سَبَّيْتَه أو لَعَنْتَه . . فاجعل ذلك له زكاة ، ورحمة ،
وصلاة ، وطهوراً ، وقُرْبَةً تُقَرِّبُه بها إليك يوم القيامة » .

ولمَّا كذبه قومه . . أتاه جبريل عليه السَّلَام ، فقال له : إِنَّ
الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد أَمَرَ
مَلَكَ الجبال ؛ لتَأْمُرَ بما شئتَ فيهم ، فناداه مَلَكُ الجبال ،
وسلَّم عليه ، وقال : مُرْنِي بما شئتَ ؛ إن شئتَ أن أُطَبِّقَ عليهم
الأخشابَ ، قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن
يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يَعْبُدَ الله وحده ، ولا يشرك به
شيئاً » .

وإن شئتَ المزيد . . ، فعليك بـ « الشفاء » للقاضي عياض
و« المواهب » و« شرحها » وغير ذلك من الدواوين التي تبحث
عن أحواله صلى الله عليه وسلم ورحمته لأُمَّته ، ومع ذلك فما
ذُكِرَ إنما هو قُلٌّ من كُثْرٍ ، وَغَيْضٌ من فَيْضٍ . نسأل الله تعالى أن
يعمَّنَا برحمته وشفقته ، آمين .

يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَنْهُ وَعَنْ تَوْحِيدِهِ أَبِي وَصَدَّ
يَقْرُبُ بِالذَّرَاعِ أَوْ بِالْبَاعِ لِلْمُدْنِيِّ بِشَبْرٍ أَوْ ذِرَاعٍ
وَمَنْ أَتَى يَمْشِي أَنَاهُ هَرُولَهُ فَضَاعَفَ الْأَجْرَ لَهُ وَأَجْرَلَهُ

جزاء المطيعين لله الجنة :

(يدخلنا) الله تبارك وتعالى معشر الموحدين (الجنة)
بفضله المحض (إلا من شرد) أي : فرّ ونفر (عنه وعن
توحيده) يتعلق بقوله : (أبي) أي : امتنع عن توحيده
(وصدّ) أي : أعرض .

ثم ذكر الناظم من تنزلات مولانا عز وجلّ لعباده
المؤمنين ، ما يحثهم على المبادرة لطاعته ، والمصارعة إلى
مرضاته ، فقال :

قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده :

(يقرب بالذراع) لمن تقرب إليه شبراً (أو بالباع) لمن
تقرب إليه ذراعاً ، والباع : قدر مَدّ اليدين ، ولذا قال :
(للمدني) بضم الميم وتشديد الدال المفتوحة اسم فاعل ،
مأخوذ من : ادّنى مشدد الدال ، قال السيد محمد مرتضى في
« تاج العروس » : (وادّنى ادّناء : افتعل ، من الدنوّ ؛ أي :
قرب) (بشبر أو ذراع) وفيه لف ونشر مرتب .

(ومن أتى يمشي) من المتقربين إليه (أتاه هرولة) بفتح
الهاء : ما بين العَدْو والمشي ، ولفظ الحديث بسند مسلم إلى
أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال الله عزَّ وجلَّ : إذا تقرب عبدي مني شبراً . . تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً . . تقربت منه باعاً - أو بوعاً - وإذا أتاني يمشي . . أتيته هرولة » ذكره في موضوع (من أحب لقاء الله . . أحب الله لقاءه) .

الإيمان بأحاديث
الصفات كما وردت

وذكر في (كتاب الذكر والدعاء) بسنده إلى أبي هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عزَّ وجلَّ : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه . . ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ . . ذكرته في ملأ هم خيرٌ منهم ، وإن تقرب مني شبراً . . تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب مني ذراعاً . . تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي . . أتيته هرولة » وهذا الحديث كسابقه من أحاديث الصفات ، يجب الإيمان به ، ويصرف عن إرادة ظاهره ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

قال الإمام أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » : (ومعناه : من تقرب إليَّ بطاعتي . . تقربت إليه بالرحمة ، والتوفيق ، والإعانة ، وإن زاد . . زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي . . أتيته هرولة ؛ أي : صبت عليه الرحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد : أن جزاءه يكون تضعيفه له على حسب تقربه) ولذا قال الناظم : (فضاغف الأجر له وأجزله) أي : أكثره .

يُضَاعَفُ الْأَجْرَ لِسَبْعِ مِئَةٍ فَفَوْقُ يُؤْجَرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ المضاعفة تكون على حسب حال العاملين ،
وحسن نياتهم وإخلاصهم بقوله :

(يضاعف الأجر لسبع مئة ففوق) بالبناء على الضم ؛
أي : ففوق السبع مئة ضعف (يؤجر) العامل (بحسن النية)
قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن
ربه تبارك وتعالى : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ » ثُمَّ بَيَّنَّ
ذلك بقوله : « فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا . . كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ
حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلْهَا . . كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ
حَسَنَاتٍ ، إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ
بَسِئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا . . كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا
فَعَمَلْهَا . . كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ سِئَةً وَاحِدَةً » رواه البخاري ومسلم في
« صحيحهما » .

وهذا الحديث عظيم شريف ، بَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ به مقدار تفضُّل الله عزَّ وجلَّ على خلقه ، قال الإمام
أبو زكريا النووي : (فانظر يا أخي - وفقنا الله وإياك - إلى
عظيم لطف الله تعالى ، وتأمل هذه الألفاظ ، وقوله : « عِنْدَهُ »
إشارة إلى الاعتناء بها ، وقوله : « كَامِلَةً » للتأكيد وشدة
الاعتناء بها ، وقال في السيئة التي هَمَّ بِهَا ثُمَّ تَرَكَهَا : « كَتَبَهَا اللَّهُ

مِنْ لُطْفِهِ أَنَّ صَحَائِفَ الذُّنُوبِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ تُرَوِّعُ الْقُلُوبَ
لَا تَزِنُ التَّهْلِيلَ فِي بَطَاقَةِ كَأَنَّهَا الظُّفْرُ فِي الدَّقَاقَةِ

عنده حسنة كاملة « فأكدّها بكاملة ، وإن عملها . . كتبها سيئة واحدة ، فأكدّ تقليلها بـ « واحدة » ولم يؤكدّها بـ « كاملة » فللّه الحمد والمِنَّة ، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه ، وبالله التوفيق) .

حديث البطاقة :

(من لطفه) أي : رَفَقَ اللهُ تعالى بعباده وبرّه بهم (أن صحائف الذنوب وهي عظيمة تُرَوِّعُ) بضم المثناة وتشديد الواو المكسورة ؛ أي : تخوف (القلوب) وتفزعها لعظمتها ، وكل ذنب إذا قوبل بجلال الله وعظمته . . فهو عظيم ، وهذه الجملة معترضة ، وقعت بين اسم إن وخبرها الذي هو : (لا تزن التهليل) أي : كلمة « لا إله إلا الله » الثابتة (في بطاقة) بكسر الباء ؛ أي : رقعة صغيرة ، قال في « النهاية » : (سميت بذلك ؛ لأنها تشد بطاقة في الثوب) فتكون الباء حينئذ زائدة (كأنّها) أي : البطاقة (الظفر) بالضم ، وبضمّتين ، والكسر شاذ ، يكون للإنسان وغيره ، قاله أبو البقاء في « كلياته » وذكر الناظم وجه الشبه بين البطاقة والظفر بقوله : (في الدقاقة) بضم الدال ؛ أي : الدقة .

ويشير بهذا إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عزّ وجلّ يستخلص رجلاً من أمتي على

رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مدّ البصر ، يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يارب ، قال : أفلك عذر ؟ قال : فبهت الرجل ، فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فيقول : أحضروه ، فيقول : يارب ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنّك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، قال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، قال : ولا يثقل شيء مع اسم الله « رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ، وقال الترمذي : حسن .

السجلات : جمع سجل ، وهو الصك والكتاب ، وطاش من الطيش ، وهو الخفة ؛ أي : خفت السجلات .



وبعدما فرغ الناظم من هذه الأبيات الاستطراذية ؛ لمناسبة تدارك الله تعالى هباراً بالعناية ، وبسط يد رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو . . أراد أن يذكر ما ناله هبار من سوء المعاملة بالمدينة ؛ لما فعله مع البضعة الطاهرة الزكية ، وكيف ردّهم رسول الله ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عنه رافةً به فقال :

بِسَبِّهِ مَنْ سَبَّهٗ أَنَسَهُ نَبِيُّنَا أَنْ عَيَّرُوهُ نَخْسَهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَخْلَمَهُ عَنْ سَيِّئِ الْحُوبِ وَمَا أَكْرَمَهُ

عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على هبار بن الأسود :

(بسبّه) أي : هبار ، وهو مضاف إلى فاعله ، ومتعلق
بقوله (آنسه) يعني : آنسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالإذن في أن يسب هبار (مَنْ سَبَّه) وعيَّره بنخس جمل السيدة
زينب ونحو ذلك ، قالوا : وكان هبار سباباً في الجاهلية
(آنسه) وهو ضد أوحشه ؛ أي : أدخل عليه الأنس بذلك ،
(نبينا) بـ (أن عيَّروه) عابوه بذلك (نَخْسَهُ) أي : طعنه
الجمل بزینب رضي الله عنها .

تعبير هبار لإيذائه
زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم

والحاصل : أنه لما أسلم هبار ، وأمنه النبي صلى الله عليه
وسلم . . قدم المدينة ، فجعلوا يسبونه ؛ لنخسه بزینب
بنته صلى الله عليه وسلم يوم خروجها من مكة إلى المدينة ،
فشكى ذلك لحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ،
فقال له : « سُبَّ مَنْ سَبَّكَ ، فكفُّوا عنه » قال في « شرح
المواهب » : (رواه ابن شاهين من مرسل الزُّهري) .

(صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَخْلَمَهُ) أي : أكثر حلمه ، وصفحه
(عن سيئ الحوب) أي : الإثم الصادر قديماً من هبار ، ومن
غيره (وما أكرمه) فقد عفا وصفح عن أعدائه مع المقدرة منه
في حال السلم والحرب ، بما لم يعرف من غيره ، كما يعلم
ذلك من درس أحواله صلى الله عليه وسلم .

وَكَا بِي سَفِيَّانَ وَأَبْنِ عَمَّتِهِ وَكَابْنِ عَمِّهِ وَأَهْلِ بَكْتِهِ

وحسبك قوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام يوم فتح مكة في عشرة آلاف من أصحابه الصناديد الأسود ، وقد خضعت تلك الرقاب التي كانت تؤذيه وتحاربه ، ونكست من رؤوسها : « ماذا ترون أنني فاعل بكم ؟ » قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » إلى غير ذلك ممَّا تجده في هذه الورقات ، وغيرها من الأسفار والمجلدات .

رضاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي سفيان بعد إسلامه وإكرامه إياه :

(وكأبي سفيان) صخر بن حرب ، وهو معطوف على قوله سابقاً : (كابن أبي سرح) أي : وفاز من لجأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن أبي سرح ، وكأبي سفيان ؛ فإنه ممَّنْ لاذ به مع العباس عمه ، وفاز بالإسلام ، وكان تولى بعد بدر رئاسة قريش وحَرْب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولمَّا أسلم . . . كان يمازح النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول : تركتك وتركتك العرب ولم تنتطح فيَّ عِزَّان ، فجعل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحك ويقول : « أنت تقول هذا يا أبا حنظلة » .

ممازحة أبي سفيان
رضي الله عنه للنبي
صلى الله عليه وسلم

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من المسجد على أبي سفيان ، فلمَّا رآه . . قال في نفسه : ليت شعري بمَ غلبني ؟ فضرب صلى الله عليه وسلم بين كتفيه فقال : بالله غلبتك يا أبا حنظلة ، فقال أشهد أنك رسول الله .

وفقت عيناه : الأولى يوم الطائف ، والثانية يوم اليرموك ، تحت لواء ابنه يزيد .

من معجزاته صلى الله
عليه وسلم

يا نصر الله اقترب

وعن سعيد بن المسيب قال : خفتت الأصوات يوم
اليرموك إلا صوتاً ينادي : يا نصر الله اقترب ، فنظرت ، فإذا
صوت أبي سفيان تحت لواء ابنه يزيد .

وتوفي في خلافة عثمان ، وتوفيت هند زوجه في خلافة
أبي بكر ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وتقدم الكلام على كثير
من حياة أبي سفيان وقصة إسلامه .

عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي أمية
وأبي سفيان بن الحارث وأهل مكة :

(و) ك (ابن عمته) وهو عبد الله بن أبي أمية بن
المغيرة ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، (وك) أبي سفيان (ابن عمه) الحارث بن
عبد المطلب ؛ فإنهما ممّن لاذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ،
ففازا بالقبول ، وسبق الكلام عليهما آنفاً .

(و) ك (أهل بگته) بفتح الباء وتشديد الكاف ، من
أسماء مكة ؛ لأنها تبك ؛ أي : تدق أعناق الجبابة ؛ فإنهم
فازوا به لما لجأوا إليه ، وقال لهم : « يا معشر قريش ؛ ماذا
ترون أنني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ
كريم ، وقد قدّرت ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فإنّي أقول
كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم
وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وَأَخْتَلَفُوا فِيهَا فَقِيلَ أُمْنْتُ وَالْحَقُّ عَنُوءٌ وَكَرَّهًا أُخِذَتْ

هل فتح مكة كان عنوة أو صلحاً ؟

ثمَّ شرع يذكر الخلاف بين العلماء في مكة ، هل كان فتحها عَنُوءاً أو صلحاً ؟ فقال :

(واختلفوا فيها) أي : في مكة (فقيل : أمنت) بالبناء للمجهول ؛ أي : فتحت أمناً على أهلها و صلحاً ، وإليه ذهب الإمام الشافعي ؛ لقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « مَنْ دخل دار أبي سفيان .. فهو آمن ، ومن أغلق عليه داره .. فهو آمن » حيث أضيفت الدور إلى أهلها ، ولأنَّها لم تقسم ، ولأنَّ الغانمين لم يملكوا دورها ، وإلاَّ .. لجاز إخراج أهل الدور منها ، وينبني على هذا القول : أنَّ لأهلها بيع دورهم ، وإكرائها (والحق عنوة) أي : فتحت بالاستعانة بالسلاح (وَكَرَّهًا أُخِذَتْ) بالكراهة من قريش بالخيال والركاب ، وإنَّما كان هذا هو الحق .. لأنَّه قول الجمهور ، ولقوة الدليل .

مذهب الشافعي في فتح مكة

مذهب الجمهور

قال في « المواهب » و« شرحها » : (وحجتهم ما وقع التصريح به في الأحاديث الصحيحة من الأمر بالقتال ، ووقوعه من خالد بن الوليد ، وتصريحه عليه الصَّلَاة والسَّلَام بأنَّها أحلَّت له ساعة من نهار ، ونهيه عن التَّأْسِي به في ذلك ؛ لأنَّه من خصائصه ، فهذه أربع حُجَج قوية ، كل منها بانفراده كاف في الحُجَّة) اهـ

وعلى هذا القول : لا يجوز لأهل مكة بيع دورهم وكراؤها ، بل هي مُنَاخ لمن سبق ، كما روي ذلك عن أمنا

ما يبنني على قول الجمهور

عائشة رضي الله عنها ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَهُمْ ، وقال الإمام مالك رحمه الله : إِنْ كَانَ النَّاسُ لِيُضْرِبُونَ فِسَاطِيطَهُمْ بِدُورِ مَكَّةَ ، لَا يَنْهَاهُمْ أَحَدٌ .

أصل الخلاف بين
الشافعي والجمهور

قال الشَّهَلِيُّ بعد هذا : (وهذا كله منتزع من أصليين : أحدهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ قال ابن عمر وابن عباس : الحرم كله مسجد .

والأصل الثاني : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخلها عَنوة ، غير أَنَّهُ مَنَّ عَلَى أَهْلِهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ ، كَمَا ظَنَّنَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ ؛ فَإِنَّهَا مُخَالَفةٌ لغيرها من وجهين :

أحدهما : ما خصَّ الله به نبيه ؛ فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

اختصاص مكة ببعض
الأحكام عن سائر
البلاد

والثاني : ما خصَّ الله به مكة ؛ فَإِنَّهُ جَاءَ : « لَا تَحِلُّ غَنَائِمُهَا ، وَلَا تُلْتَقَطُ لِقَطْعَتُهَا ، وَهِيَ حَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْنُهُ » فكيف تكون أرضها أرض خراج ؟ فليس لأحد افتتح بلداً أن يسلك به سبيل مكة ، فأرضها إذن ودورها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدِموها ،

ولا يأخذوا منهم كراء في مساكنها ، فهذا حكمها ، فلا عليك
بعد هذا ؛ فتحت عنوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الأحاديث
أنَّها فتحت عنوة (اهـ)

مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة :

ويحسن هنا أن نذكر مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه
في هذا الموضوع ، وقد ذكرها الإمام النووي في « مجموعه »
في (كتاب البيوع) مع مذاهب العلماء في ذلك ، وذكر حُجَج
كل فريق ؛ قال :

(روى الإمام البيهقي بإسناده عن إبراهيم بن محمد الكوفي
قال : رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس ، ورأيت إسحاق بن
راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين فقال أحمد لإسحاق : تعال
حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله ، فقال إسحاق : لم تر عيناى
مثله ؟ فقال : نعم ، فجاء به فوقفه على الشافعي . . . فذكر
القصة إلى أن قال : ثمَّ تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعي ،
فسأله عن كراء بيوت مكة ، فقال الشافعي : هو عندنا جائز ،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل ترك لنا عقيل من
دار ؟ » فقال إسحاق : حدَّثنا يزيد بن هارون عن هشام ، عن
الحسن : أنَّه لم يكن يرى ذلك ، وعطاء وطاووس لم يكونا
يريان ذلك ، فقال الشافعي لبعض من عرفه : مَنْ هذا ؟ قال :
هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي الخراساني ، فقال له
الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خراسان أنَّك فقيهم ؟ قال

سؤال إسحاق للإمام
الشافعي عن كراء
بيوت مكة المكرمة

وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بَارِيءُ السَّمِّ بِقَوْلِهِمْ يَسْكُنُ بَعْدَهَا الْحَرَمُ

إسحاق : هكذا يزعمون ، قال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك ، فكنت أمر بفرك أذنيه ، أنا أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تقول : قال طاووس والحسن وعطاء ، وهؤلاء لا يرون ذلك ، وهل لأحد مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة . . . وذكر كلاماً طويلاً .

ثم قال الإمام الشافعي : قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ أَمْهَجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين ؟ فقال إسحاق : إلى مالكين ، قال الشافعي : قول الله أصدق الأقاويل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن » وقد اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار الحجامين . . . وذكر الإمام الشافعي له جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له إسحاق : ﴿ سَوَاءَ الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ قال الشافعي : قال الله تعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ والمراد المسجد خاصة ، وهو الذي حول الكعبة ، ولو كان كما يزعم . . . لكان لا يجوز لأحد أن ينشد في دور مكة وفجاجها ضالّة ، ولا ينحر فيها البدن ، ولا يلقي فيها الأرواث ، ولكن هذا في المسجد خاصة ، فسكت إسحاق ولم يتكلم ، فسكت عنه الشافعي (اهـ)

إخبار الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما قاله الأنصار بعد الفتح :

(وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مفعول مقدم

وَبِالَّذِي قَالُوهُ إِذْ لَمْ يُرْهِقَا تَدَارَكَتْهُ رَحْمَةٌ فَأَشْفَقَا

لـ (أخبر) على فاعله الذي هو (بارئ) أي : خالق (النسم) والبارئ من أسمائه تعالى البالغة مئة إلا واحداً ، من أحصاها . . دخل الجنة ، والنسم ، بتشديد النون المفتوحة ، جمع نسمة : الإنسان .

والمعنى : أنه بينما تتحدث الأنصار بعضها مع بعض في شأن سكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده التي فتحها اليوم ، وقومه الذين تربى بينهم ، ونشأ فيهم ، إذ جاءه الوحي بما تحدثوا به ، والمخبر به هو (بقولهم) فهو يتعلق بقوله : (أخبر) والضمير المضاف إليه عائد للأنصار المعلومين من المقام (يسكن بعدها) أي : بعد هذه الغزوة (الحرم) أي : مكة ؛ لأنها مسقط رأسه .

(و) أخبره بارئ النسم أيضاً (بالذي) أي : بالقول الذي (قالوه) أي : الأنصار ؛ ضناً برسوله صلى الله عليه وسلم (إذ لم يرهما) أي : لم يدخل الإرهاق والكلفة على قومه ، ومقول قولهم : (تداركتهم) أي : الرسول الأعظم (رحمة) في عشيرته ، ورغبة في قريته (فأشفقا) عليهم ، وأطلقهم من الأسر ، وقال لهم : « أقول كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وهذا مأخوذ مما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه . . أتى

وَبِالَّذِي قَالُوهُ فِي الْمُوْذَنْ وَبِالَّذِي بِهِ فَضَالَةٌ عَنِّي

الصفاء ، فعلا منه حتى يرى البيت ، فرجع يديه ، وجعل يحمد الله ويذكره ، ويدعو بما شاء الله أن يدعو ، والأنصار تحته ، فقال بعضهم لبعض : أمّا الرجل . . فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ، قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء الوحي . . لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه ، فلمّا قضى الوحي . . قال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله ، قال : « قلت : أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله ، قال : « فما اسمي إذا ؟ كلاً ، إنّي عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » فأقبلوا إليه يبيكون ، يقولون : والله يا رسول الله ، ما قلنا الذي قلنا إلاّ الضّن^(١) بالله ورسوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فإنّ الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم » .

إخبار الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما تحدثت به قريش عند أذان بلال :

(و) أخبر بارىء النسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ب) الكلام (الذي قالوه) أي : قريش (في) سيدنا بلال بن

(١) قوله : (إلاّ الضن) بكسر الضاد المعجمة ، وشد النون ؛ أي : البخل والشح به أن يشركنا فيه أحد غيرنا ، قال في « شرح المواهب » لمّا نقل هذا الضبط عن الشامي : (ولعلّه الرواية ، وإلاّ . . ففتحها لغة أيضاً ، وكان ذلك وقع لطافتين ، فبادر بإخبار إحداهما لجزمها ، وتلطّف في سؤال الأخرى لكونها لم تجزم ، بل قالت : أترى . . إلخ ، و« يعذرانكم » بكسر الذاال المعجمة : يقبلان عذرکم) اهـ

رَبَاح^(١) (المؤذن) بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على

سيرة بلال بن رباح
رضي الله عنه

(١) واسم أمه حمامة ، مولاة لبني جمح ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عبداً لأُمَيَّةَ بن خلف ، فأسلم مع أبي بكر ، وزيد بن حارثة ، وعلي ، والسيدة خديجة . وأشار الحافظ السيوطي إلى الخلاف في أول من أسلم منهم مع الجمع بين الأقوال بقوله :

واختلفوا أولهم إسلاماً وقد رأوا جمعهم انتظاماً أول من أسلم في الرجال صديقهم وزيد في الموالى وفي النساء خديجة وذو الصغر علي ، والرق بلال اشتهر وكان أُمَيَّةَ لعنه الله يعذب بلالاً ، حتى كان يضجعه في الرمضاء ببطحاء مكة ، ويطرح عليه الحجارة ، ويقول له : لا تزال كذلك ، أو تكفر بمحمد وإلهه ، وبلال يقول : أحذُّ أحد ، وقد نهى ورقة بن نوفل عن تعذيبه ، ولمَّا رأى أبو بكر ذلك عظم عليه الأمر ، فكلَّم أُمَيَّةَ أن يعطيه نسطاساً عبداً لأبي بكر كثير الخراج ، إلَّا أنَّه متمرد إذ ذاك ويأخذ بدله بلالاً ، ففعل ، فأعتق أبو بكر بلالاً لوجه الله تعالى ، لا لنعمة عنده تجزى ، إلَّا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، قال سيدنا عمر رضي الله عنه : أبو بكر سيدنا أعتق سيدنا .

قال بعضهم :

أبو بكر حباه الله مالاً فمذدعى أجاب نعم بلا : لا فكم واسى النبي بكل خير وأعتق من ذخائره بلالاً فلو أنَّ البحر يبغضه اعتقاداً لما أبقي الإله به بلالاً وكان من قضاء الله وقدره أنَّ نسطاساً أسر يوم بدر ، ثمَّ أسلم بعد أُحُد رضي الله عنه ، وأنَّ بلالاً قتل أُمَيَّةَ هذا الذي كان يعذبه ، وولده علياً ، ولذا هتَّاه أبو بكر بقوله :

هنيئاً زادك الرَّحْمَنُ فخراً لقد أدركت ثأرك يا بلال وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حضراً وسفراً ، وهو أول من أذن في الإسلام ، واستمرَّ حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثمَّ =

ظهر الكعبة للظهر ؛ ليغيظ المشركين ، وقريش فوق رؤوس
الجبال ، وقد فرَّ جماعة من وجوههم وتغيَّبوا ، وأبو سفيان ،
وعتاب بن أسيد - بفتح الهمزة - وأخوه خالد ، والحارث بن
هشام جلوس بفناء الكعبة ، وقد أسلموا بعد رضي الله عنهم ،
فقال عتاب وخالد : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يسمع هذا
فيغيظه ، وقال الحارث : أما والله ؛ لو أعلم أنه محق ..
لأتبعته ، إن يكن الله يكره هذا .. فسيغيره ، وقال أبو سفيان :

ما قاله القرشيون في
شأن سيدنا بلال رضي
الله عنه

= ذهب إلى الشام مجاهداً ، قال النووي في « التهذيب » : (فأقام بها إلى أن توفي ، وقيل :
أذن لأبي بكر مرة ، وأذن لعمر مرة ، حين قدم عمر الشام ، فلم يرباك أكثر من ذلك اليوم ،
وأذن في قدمه قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلب ذلك
الصحابه ، فأذن ولم يتم الأذان) .
ثبت في « الصحيحين » : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أخبرني بأرجى عمل عملته في
الإسلام ؛ فإنني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ؟ » قال : ما عملت عملاً أرجى عندي
من أني لم أظهر ظهوراً في ساعة ليل أو نهار .. إلا صليت بذلك الظهور ما كتب أن أصلي ،
ولمسلم بلفظ : « حشف نعليك » .
وفي « الترمذي » : « يا بلال ؛ بم سبقتني إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط .. إلا سمعت
خشخشتك أمامي ! .. » إلخ .
قال في « عمود النسب » :

ممن عليه من بالشراء والعق فارتت من السواء
بلال السابق جيل الحبشة ومن له وسط الجنان خشخشة
أذن للنبي والعتيق ومرة أذن للفراروق
فذكر النبي فانهلت له دموعهم لذاك ما استعمله
ومناقبه كثيرة ، وفضائله شهيرة ، توفي على الصحيح بالشام سنة عشرين ، ولما حضره
الموت .. جعل أهله يبكون ويقولون : واكرباه ، فيقول بلال : واطرباه ، غداً ألقى الأحبة
محمدًا وحزبه . رضي الله عنه ، ولقنا به وأحبنا ، بمته وكرمه ، آمين .

.....

لا أقول شيئاً ، لو تكلمت . . لأخبرت عني هذه الحصى ،
وقال بعض بني سعيد بن العاصي : لقد أكرم الله سعيداً أن قبضه
الله قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة ، وقال الحكم بن
أبي العاصي : هذا والله هو الحَدَث العظيم ، أن يصبح
عبد بني جمح على بَنية بني طلحة .

هذا الذي قالوه في شأن سيدنا بلال ، وهو ما أراده
الناظم ، ورواه أبو يعلى عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن
إسحاق ، وعروة وابن أبي شيبة عن أبي سلمة ، كما في « شرح
المواهب » وبعده : (فأتى جبريل فأخبره صلى الله عليه وسلم
خبرهم ، فخرج عليهم ، وقال : « قد علمت الذي قلتكم »
وأخبرهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ،
وما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك) .

إخبار الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما قاله فضالة بن عُمير :

(و) أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أيضاً (بالذي) هَمَّ
(به فضالة) بفتح الفاء ، ابن عُمير بن الملوح الليثي ، فقوله :
(به) يتعلق بقوله : (عَنِّي) كرضي ، ويصح بناؤه
للمجهول ، والذي قصده فضالة هو قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فلمَّا دنا منه . . قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَالَةٌ ؟ » قال : نعم
يا رسول الله ، قال : « ماذا كنت تحدّث به نفسك ؟ » قال :
لا شيء ، كنت أذكر الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ثمَّ قال : « اسْتَغْفِرِ اللَّهَ » ثمَّ وضع يده المباركة الميمونة على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ؛ ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه ، قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمَّ إلى الحديث فقلت لا
يأبى عليَّ الله والإسلامُ
لَوْ ما رأيت محمّداً وقبيلَه
بالفتح يوم تُكسّرُ الأصنام
لرأيت دينَ الله أضحى بيّناً
والشرك يغشى وجهَه الإِظلام

تحطيم الأصنام حول الكعبة :

ويشير^(١) بقوله : (يوم تكسر الأصنام) إلى أنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام لمَّا وصل إلى البيت الحرام . . وجد حوله ثلاث مئة وستين صنماً ، ملزقة بالرصاص والنحاس ، فكان كلما مرَّ بصنم . . أشار إليه بقضيبه وهو يقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فيقع الصنم مكسراً لوجهه .

قال الشهاب في « المواهب » : (وفي تفسير العلامة أبي

(١) أي : فضالة .

وَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ ثُمَّ رَدَّهُ عَنْ رَغْمِ قَوْمِهِ الَّذِينَ عِنْدَهُ

عبد الله بن محمد النقيب المقدسي : إِنَّ الله تعالى لَمَّا أَعْلَمَ رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه ، وفتح مكة ، وإعلاء كلمة دينه ، أمره إذا دخل مكة . . أن يقول : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بِمِحْجَنِهِ^(١) ويقول : « جاء الحق ، وزهق الباطل » فيخر ساقطاً ، مع أنها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص ، وكانت ثلاث مئة وستين صنماً ، بعدد أيام السنة .

خلود سدانة الكعبة في بني طلحة :

(وأخذ) النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة - على الأصح - يوم الفتح (المفتاح) للكعبة ، وكان عند أمه محفوظاً ، وقد أبت أن تسلمه إيَّاه ، فقال عثمان : والله لتعطيني ، أو ليخرجنَّ هذا السيف من صليبي ، فأعطته إيَّاه ، فجاء به إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فدفعه إليه ، ففتح الباب ، (ثُمَّ رَدَّهُ) أي : رَدَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، وقال : « خذوها - أي : سدانة الكعبة - خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم » .

ولمَّا خرج صلى الله عليه وسلم من البيت . . سأله العباس

(١) المحجن بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم : عصاً محنية الرأس .

أن يعطيه المفتاح ، ويجمع له بين السقاية^(١) والسدانة فأبى ،
 وإليه أشار بقوله : (عن رُغم) بالراء مثلثة ؛ أي : عن كره
 (قومه) وهم : العباس ، وعلي ، وبنو هاشم (الذين) كانوا
 (عنده) صلى الله عليه وسلم لمّا فتح البيت وخرج منه .

قال في « عيون الأثر » : (روينا عن سعيد بن المسيّب :
 أنّ العباس تطاول يومئذٍ لأخذ المفتاح ، في رجال من
 بني هاشم ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان) .

وقال الشهاب في « المواهب » : (عن ابن سعد في
 « طبقاته » عن عثمان بن طلحة ، قال : كنا نفتح الكعبة في
 الجاهلية يوم الإثنين والخميس ، فأقبل النبي صلى الله عليه
 وسلم يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلظت له ونلت
 منه ، فحلّم عني ، ثمّ قال : « يا عثمان ؛ لعلك ستري هذا
 المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت » فقلت : لقد هلك
 قريش يومئذٍ وذلت ، قال : « بل عمّرت وعزّت يومئذٍ » ودخل
 الكعبة ، ف وقعت كلمته مني موقعاً ظننت أنّ الأمر سيصير إلى
 ما قال .

قال : فلمّا كان يوم الفتح . . قال : « يا عثمان ؛ ائني
 بالمفتاح » فأتيته به ، فأخذه مني ثمّ دفعه إليّ ، وقال :

الحديث الذي جرى
 بين النبي صلى الله
 عليه وسلم وعثمان بن
 طلحة قبل إسلامه
 على باب الكعبة

(١) السقاية : هي أحواض من جلد ، يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج ، وربما يطرح فيها
 التمر والزبيب ، فعل ذلك عبد المطلب لما حفر زمزم ، وقام بها بعده العباس .
 والسدانة بفتح السين المشددة : هي خدمة البيت الحرام . اهـ

« خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان :
 إِنَّ الله استأمنكم على بيته ، فكلوا ممّا يصل إليكم من هذا البيت
 بالمعروف » ^(١) قال : فلمّا وليت . . ناداني ، فرجعت إليه
 فقال : « ألم يكن الذي قلت لك ؟ فذكرت قوله لي بمكة
 قبل الهجرة : « لعلّك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي ، أضعه
 حيث شئت » قلت : بلى ، أشهد أنّك رسول الله .

ومن شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجو المشركين ،
 ويمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم والأصحاب الكرام ،
 ويذكرهم بفتح مكة ، قوله رضي الله عنه :

قصيدة حسان يهجو
 المشركين ويمدح النبيّ
 صلى الله عليه وسلم
 والأصحاب رضوان الله
 عليهم

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ
 إِلَى عَذْرَاءَ مَنَزَلِهَا خَلَاءُ
 دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرُ
 تُعْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

(١) هذا إن صحَّ . . احتمال معناه : ما يأخذونه من بيت المال على خدمته
 والقيام بمصالحه ، ولا يحل لهم إلا قدر ما يستحقونه ، وما يقصدون به
 من البر والصلة على وجه التبرر . . فلهم أخذه ، وذلك أكل بالمعروف ،
 فلا يذهب إلى الوهم جواز أخذ الأجرة على دخول الكعبة ؛ فإنّه لا خلاف
 في تحريمه ، كما حكاه في « شرح المواهب » عن المحب الطبري ،
 وأقرّه ، وقال : إنّ ذلك من أشنع البدع .

حكم أخذ الأجرة على
 دخول الكعبة

قال الشمس الحطاب المالكي : والمحرم إنّما هو نزع المفتاح منهم ،
 لا منعهم من انتهاك حرمة البيت وما فيه قلة أدب ، فهذا واجب لا خلاف
 فيه ، لا كما يعتقد الجهلة أن لا ولاية لأحد عليهم ، وأنهم يفعلون في
 البيت ما شاؤوا ، فهذا لا يقوله أحد المسلمين .

وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ
 خلالَ مُروجها نَعَمٌ وشَاءُ
 فدَعُ هذا ، ولكن من لَطِيفِ
 يُورِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ العِشَاءُ
 لِشَعَثَاءِ التِّي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ
 فليسَ لقلبه مِنْهَا شِفَاءُ
 كَأَنَّ سَيِّئَةً من بَيْتِ رَاسِ
 يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ ومَاءُ
 على أنيابها أو طَعْمُ غَضٍّ
 من التفاحِ هَصْرُهُ الجِنَاءُ
 إِذَا ما الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا
 فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَاحِ الفِداءُ
 نُؤَلِّيها الملامَةَ إِن أَلَمْنَا
 إِذَا ما كانَ مَغْتً أو لِحَاءُ
 ونشربُها فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا
 وأُسْدًا ما يُنْهِنُنَا اللِّقَاءُ
 عَدِمْنَا خيلَنَا إِن لَمْ تَرَوْهَا
 تُشِيرُ النِّقْعَ مَوْعِدُها كِداءُ
 يُبَارِينَ الأَعْنَةَ مُضْعِدَاتِ
 على أَكْتافِها الأَسْلُ الظَّمَاءُ
 تَظَلُّ جِادُنَا مُتَمَطِّراتِ
 تَلَطَّمُهُنَّ بالخُمْرِ النِّسَاءُ

.....
 فإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
 وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
 وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحِلَالِ يَوْمٍ
 يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا
 وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
 وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
 يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
 شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ
 فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
 وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا
 هُمْ الْأَنْصَارُ عُرِضَتْهَا اللَّقَاءُ
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِّنْ مَّعَدٍّ
 سَبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هِجَاءُ
 فَتُحَكَّمُ بِالْقَوَافِي مِّنْ هَجَانَا
 وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
 أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي
 مَغْلُغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
 بِأَنَّ سَيُوفَنَا تَرَكَّتْكَ عَبْدًا
 وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ
 هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ
 وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

أتهجّوه ولست له بكُفءٍ
 فشرُّكما لخيركما الفداءُ
 هجوتَ مباركاً برّاً خفيفاً
 أمينَ الله شيمتهُ الوفاءُ
 فمن يهجو رسول الله منكم
 ويمدحه وينصُرهُ سواءُ
 فإنَّ أبي ووالده وعرضي
 لعرضِ محمّدٍ منكم وِقَاءُ
 فإمّا تَثَقَّفَنَّ بنو لُؤَيٍّ
 جزيمةَ إنَّ قتلَهُم شِفَاءُ
 أولئك معشَرٌ نصرُوا علينا
 ففي أظفارنا منهم دِمَاءُ
 قال بعض من علّق على هذه القصيدة ، عن مصعب
 الزُّبَيْريِّ : كان حسان قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ، ثمَّ
 أكملها في الإسلام من عند قوله : (عدمنا خيلنا إن لم
 تروها) .

قلت : ويؤيده ما جاء أنّه مرَّ بفتية يشربون الخمر في
 الإسلام فنهاهم ، فقالوا : والله ؛ لقد أردنا تركها ، فيزيئنا لنا
 قولك : (ونشربها فتركنا ملوكاً) فقال : والله ؛ لقد قتلها في
 الجاهلية ، وما شربتُ منذ أسلمت .



(٢٨) غزوة حنين

في شوال سنة ثمان

حُنَيْن : واد قرب ذي المجاز ، وهو سوق كان للعرب على فرسخ من عرفة^(١) ، سميت الغزوة به .

موقع حنين

ويقال لها : غزوة أوطاس ، سميت بالموضع الذي كانت فيه الموقعة ، ويقال لها أيضاً : غزوة هوازن ، بفتح الهاء وكسر الزاي : قبيلة كبيرة من العرب ، فيها عدة بطون ، ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة ، سميت بذلك ؛ لأنهم الذين أتوا لقتاله صلى الله عليه وسلم .

أسماء أخرى لهذه الغزوة

سبب هذه الغزوة :

قال الشهاب في « المواهب » : (وسببها : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فرغ من فتح مكة وتمهيدها ، وأسلم عامة أهلها . . مشى أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض ، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين ، وكان رئيسهم مالك بن عوف بن سعد النصري ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة سنة ثمان ، يوم السبت ، لست

(١) قال الواقدي : ذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران ، وعكاظ بين نخلة والطائف ، وهو أعظم هذه الأسواق ، يقيمون بها شوالاً ، ثُمَّ ينتقلون إلى سوق مجنة عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثُمَّ ينتقلون إلى سوق ذي المجاز أيام الحج . اهـ ملخصاً من « معجم ياقوت » .

ثُمَّ إِلَىٰ وَادِي حُنَيْنٍ اُنْحَدِرْ عَنْ مَكَّةَ مِنَ الْأَلُوفِ اِثْنَا عَشَرَ
فَوَجَدُوا هَوَازِنًا تَأْهَبُوا بِكُلِّ مَخْرِمٍ لَهُمْ وَالْبُؤَىٰ

خلون من شوال ، في اثني عشر ألفاً من المسلمين ، وأشار
الناظم إلى هذا بقوله :

عتاب بن أسيد أمير
مكة

(ثم) بعد أن فرغ من مكة وفتحها ، وأخرج الأصنام منها ،
وطهر ساحتها . . انحدر عن مكة (إلى وادي حنين) بالتصغير
(انحدر) أي : هبط (عن مكة) بالتنوين للضرورة ، واستعمل
عليها عتاب بن أسيد بالتكبير أميراً ، وكان معه (من الألوف اثنا
عشر) : عشرة آلاف من أهل المدينة ، منهم من الأنصار أربعة
آلاف ، ومن جهينة ألف ، ومن مزينة ألف ، ومن أسلم ألف ،
ومن غفار ألف ، ومن أشجع ألف ، ومن المهاجرين وغيرهم
ألف ، وألفان ممن أسلم من أهل مكة (فوجدوا هوازناً)
وعدهم يربو على عشرين ألفاً (تأهبوا) أي : استعدوا (بكل
مخرم) يتعلق بقوله : (ألبوا) آخر البيت ، وهو بفتح الميم ،
وبعدها خاء معجمة ساكنة وراء مكسورة ؛ أي : طريق (لهم)
قال في « اللسان » : (مخارم الطرق : جمع مخرم - بكسر
الراء - وهو الطريق في الجبل أو الرمل) .

مالك بن عوف قائد
جيش هوازن

(وألبوا) بفتح الهمزة وشد اللام المفتوحة ؛ أي : جمعوا
وهيؤوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما لديهم من قوة
وعتاد ، ورئيسهم مالك بن عوف النصري ، وهو الذي جمعهم
للقتال ، وعمره ثلاثون سنة ، وقد أسلم بعد ، وحسن إسلامه
رضي الله عنه ، وضم إلى الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم .

معارضة دريد بن الصَّمّة لمالك بن عوف النصرى :

فلَمَّا نزل بأوطاس . . اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْد بن الصَّمّة شيخ كبير مجرّب ، زاد عمره على المئة ، وعمي بصره ، فلَمَّا نزل . . قال : بأي واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نِعَمَ مجال الخيل ، لا حَزَنٌ ^(١) ضَرِس ، ولا سَهْل دَهِسٌ ، ما لي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ، ونساءهم ، وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودُعي له فقال : يا مالك ؛ إنَّكَ قد أصبحت رئيس قومك ، وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ، وأبناءهم ، ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ؛ ليقاتل عنهم ، قال : فانقضَّ به دريد ^(٢) ، ثمَّ قال : راعي ضأن والله ، ما له وللحرب ، وصقَّ بإحدى يديه على الأخرى تعجُّباً ، وقال : هل يرد المنهزم شيء ؟ إنَّها إن كانت لك . . لم ينفعك إلَّا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك . . فُضِّحت في أهلك ومالك .

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضريس : ما صلب من الأرض ، والسهل : ضد الحزن ، والدهس : اللين كثير التراب .

(٢) يريه أنَّه نقر بلسانه في فيه ، كما يزجر الشاة أو الحمام .

ثمَّ قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال : لم يشهدا منها
أحد ، قال : غاب الحدُّ والجِدُّ^(١) ، ولو كان يوم علاء ورفعة . .
لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددتُم أنَّكم فعلتم ما فعلت
كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ،
وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجدَّعان من عامر لا ينفعان
ولا يضرَّان ، يا مالك ؛ إنَّك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن
إلى نحور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعُليا
قومهم ، ثمَّ التَّ الصُّبَّاء^(٢) على متون الخيل ، فإن كانت لك . .
لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك . . ألك ذلك وقد
أحرزت أهلك ومالك ، قال : لا والله ؛ لا أفعل ذلك ؛ إنَّك قد
كبرت وكبر عقلك ، والله ؛ لتطيعُنني يا معشر هوازن ، أو
لأتكنَّنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون
لدريد بن الصَّمَّة فيها ذكر أو رأي ، قالوا : أطعنك ، فقال
دريد بن الصَّمَّة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني :

يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ
أَخْبُ فِيهَا وَأَصْعُ
أَقُودُ وَطَفَاء الزَّمْعُ
كَأَنَّهَا شاةٌ صَدَعُ

(١) الحد والجد : الأول بفتح الحاء المهملة ، والثاني بالمعجمة المكسورة : ضد الهزل ،
وبفتحهما : الحظ .

(٢) جمع صابئ ، يريد : جماعة المسلمين ؛ لأنَّهم صبئوا عن دينهم الجاهلي إلى الإسلام .

.....

ثُمَّ قَالَ مَالِكُ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ .. فَاكْسِرُوا جُفُونِ
سِیُوفِكُمْ ، ثُمَّ شَدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

الملائكة وعیون مالك بن عوف :

ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِیُونَاً مِنْ رِجَالِهِ ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ
تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ رُعباً وَخَوْفاً ، فَقَالَ : وَیْلَکُمْ ، مَا شَأْنُکُمْ ؟
فَقَالُوا : رَأَيْنَا رِجَالاً بَیضاً عَلَى خَیْلِ بُلْقٍ ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا تَمَاسَكْنَا
أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا نَقَاتِلُ أَهْلَ الْأَرْضِ ، إِنْ نَقَاتِلُ
إِلَّا أَهْلَ السَّمَاءِ ، وَإِنْ أَطَعْتْنَا . رَجَعْتَ بِقَوْمِکَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ إِنْ
رَأَوْا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْنَا . أَصَابَهُمْ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَنَا ، فَقَالَ : أَفَّ
لَکُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ أَجْبَنُ أَهْلِ الْعِسْکَرِ ، فَحَبَسَهُمْ عِنْدَهُ خَوْفاً أَنْ
يَشِيعَ ذَلِكَ الرُّعْبُ فِي الْعِسْکَرِ ، وَقَالَ : دَلُّونِي عَلَى رَجُلٍ
شَجَاعٍ ، فَأَجْمَعُوا لَهُ عَلَى رَجُلٍ ، فَخَرَجَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ
كَنْحُو مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلِهِ ، قَالَ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رِجَالاً
بَیضاً عَلَى خَیْلِ بَلْقٍ مَا يَطَاقُ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا تَمَاسَكْتُ
أَنْ أَصَابَنِي مَا تَرَى ، فَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ مَالِکاً عَنْ وَجْهِهِ .

تعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أخبار القوم :

وَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي حَذَرْدٍ
الْأَسْلَمِيَّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ ، وَيَقِيمَ حَتَّى يَعْلَمَ خَبْرَهُمْ
وَيَأْتِيَهُ بِهِ ، فَاَنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَسْكَرَهُمْ ، فَطَافَ بِهِمْ وَجَاءَ
بِخَبْرِهِمْ ، وَمِمَّا سَمِعَهُ مِنْ مَالِكٍ أَنَّهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا
لَمْ يَقَاتِلْ قَوْمًا قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَلْقَى قَوْمًا أَغْمَارًا

وصف جواسيس
مالك لما رأوه

تحسس عبدالله بن أبي
حذرذ الأسلمي رضي
الله عنه أخبار العدو

لا علم لهم بالحرب ، فيظهر عليهم ، فإذا كان السَّحَر . .
فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ، ثمَّ صفوا ، ثمَّ
تكون الحملة منكم ، واكسروا جُفون سيوفكم ، فتلقونه
بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون ، واحملوا حملة رجل
واحد ، واعلموا أنَّ الغلبة لمن حمل أولاً .

فأقبل عبد الله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبره الخبر ، فقال لعمر : « ألا تسمع ما يقول ؟ » فقال :
كذب ، قال ابن أبي حدرد : لئن كذَّبتني يا عمر ، فرئِمَا كذبت
بالحق . . فقد كذبت من هو خير مني ، فقال عمر :
يا رسول الله ؛ ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد ؟
فقال صلى الله عليه وسلم : « قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر » .

استعارة الرسول صلى الله عليه وسلم أدرعاً وسلاحاً من
صفوان بن أمية :

ولمَّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى
هوازن . . ذكر له أنَّ عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً ،
فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشرك ، فقال : « يا أبا أمية ؛ أعرنا
سلاحك نلق فيه عدونا » فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟
فقال : « بل عارية مضمونة حتى نردها إليك » قال : ليس بهذا
بأس ، فأعطى له مئة درع بما فيها من السلاح ، فسأله صلى الله
عليه وسلم أن يكفيهم حملها ، فحملها إلى أوطاس .

وَبَيْنَمَا الْجَيْشُ إِلَيْهِمْ يَنْحَدِرُ بَغَلَسِ شَدُّوا إِلَيْهِ وَهُوَ غَرَّ

ثمَّ سار صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته دُذُلًا ، ولبس درعين والمغفر والبيضة^(١) ، واستقبل الصفوف ، فطاف عليهم ينحدرون من الوادي ، فحضَّهم على القتال ، وبشَّهم بالفتح إن صدقوا وصبروا ، وقدم خالد بن الوليد في بني سُليم وأهل مكة ، وجعل ميمنة وميسرة ، وقلباً كان صلى الله عليه وسلم فيه .

توجه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ساحة المعركة

(وبينما الجيش) أي : جيش المسلمين (إليهم) أي : إلى هوازن (ينحدر) أي : يهبط من واد من الأودية (بغلَس) بفتح المعجمة واللام مفتوحة ؛ أي : في وقت الغلَس ، وهو ظلمة آخر الليل (شدوا) أي : حملت هوازن (إليه) أي : إلى جيش المسلمين ، حملة رجل واحد (وهو) أي : والحال أنَّ جيش المسلمين (غر) بكسر الغين المعجمة ؛ أي : غافل .
التحام القتال وثبات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض أصحابه :

وحاصل المعنى : ما رواه ابن إسحاق بسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (لَمَّا استقبلنا وادي حنين . . انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف ذي خطوط ، له مضايق وشعوب ، وإنَّما نتحدر فيه انحداراً ، قال : وكان في عَمَاية

(١) الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ، فسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم قد تدرع بدرعين ، ولبس المغفر والبيضة في هذا اليوم ، ولَمَّا دخل مكة . . كانت البيضة على رأسه وقد لبس المغفر ، وفي أحد لبس اللأمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ .

الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا ، فوالله ؛ ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أيّها الناس ؛ هلمّوا إليّ ، أنا محمّد بن عبد الله » قال : « فلأيّ شيء حملت الإبل بعضها على بعض » فانطلق الناس ، إلاّ أنّه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته : علي ، والعباس ، وأبوسفيان بن الحارث ، وابنه جعفر ، والفضل بن عباس ، وربيعه بن الحارث ، وأسامه بن زيد ، وأيمن بن أم أيمن ، قتل يومئذٍ .

واعلم : أنّ هذا يبين سبب انكشاف المسلمين ، وأن انكشافهم كان بمجرد التلاقي ، وهو ما وقع عند ابن سعد ، وهو مخالف لما رواه البخاري من حديث البراء ، وهو : (أنّ هوازن كانوا رُماة ، ولمّا حمل المسلمون عليهم . . كشفوهم ، فأكبّوا على المغانم ، فاستقبلوهم بالسهام) وهذا صريح في أنّهم لم يفروا بمجرد التلاقي ، بل قاتلوا المشركين حتى كشفوهم ، واشتغلوا بالغنيمة ، قال في « شرح المواهب » إثر هذا : (وذكر الحافظ السبّين ، ولم يجمع بينهما) .

فَاسْتَنْفَرُوا بِهِمْ لِذَلِكَ الرِّكَابُ وَأَذْبَرَتْ تَخْدِي بِهِمْ غُلْبُ الرِّقَابِ
وَأَسْتَنْزَلُوا وَأَذَرَعُوا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ جَهَامٍ بِالْبَهَائِلِ نُفْرٌ

ترجيح الشارح بين
الروايات المتعارضة

قلت : وسكت عنه الزرقاني ، وسكوته يدل على أنه لم يظهر له وجه الجمع ، وقد نصوا على أنه عند عدم إمكان الجمع يُصار إلى الترجيح ، ومعلوم أن ما في الصحيح مقدم على ما في غيره ، والله أعلم .

ثم فرّع الناظم على ما تضمنه هذا البيت ، فقال :

(فاستنفروا) أي : هوازن ؛ أي : فعلوا ما أوجب النفور للإبل (بهم) أي : بالمسلمين (لذلك) أي : لأجل شدهم عليهم والمسلمون غافلون ، ومفعول (استنفروا) قوله : (الركاب) أي : فعلوا بالمسلمين ما أوجب نفور الإبل بهم (وأذبرت) غلب الرقاب (تخدي) أي : تسرع (بهم) أي : بالمسلمين وهم عليها (غلب) بضم الغين المعجمة ، وسكون اللام ، وإضافته إلى (الرقاب) أي : الإبل الغلاظ ، وهو فاعل تنازع فيه (أدبر) و (تخدي) .

(واستنزلوا) أي : وطلب المسلمون النزال ، أي : دعوا نزال نزال (وأذرعوا) أي : لبسوا دروعهم ، وأخذوا أسلحتهم ، وأصله : اذرعوا (وهي) أي : غلب الرقاب (تمر) أي : حال كونها تسير (مرّ) أي : سيراكسير (جهام) بفتح الجيم ؛ أي : السحاب الذي أهرقت ماؤها (بالبهائل) جمع بُهلُول ؛ أي : بالسادة الكرام ، وقوله : (نُفْر) بضم

فَاقْتَحِمُوا عَنْهَا وَابْأُوا لِلنَّبِيِّ وَزَحَزَحُوا عَنْهُ زُخُوفَ الْعَرَبِ

النون والفاء ، خبر قوله : (وهي) أي : فعلوا ما ذكر وهي باقية على نفورها ، كما علم من التقرير .

رجوع المسلمين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد التفرق ثم انتصارهم :

(فاقتحموا)^(١) أي : رمى المسلمون بأنفسهم (عنها) أي : عن الإبل لما أبصروا رسول الله عليه الصلاة والسلام (وآبوا) أي : رجعوا (للنبي) صلى الله عليه وسلم ، ومعه الذين ثبتوا (وزحزحوا) أي : دفعوا (عنه) أي : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (زخوف) جمع زحف ؛ أي : جيش (العرب) أي : هوازن .

ويشير الناظم إلى ما رواه ابن إسحاق قال : (حدثني الزُّهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحَكَمَةٍ^(٢) بغلته البيضاء ، قد شَجَرَتْهَا بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه

(١) قال في « الصحاح » : (قحم في الأمر قحوماً : رمى بنفسه فيه من غير روية) . (مادة قحم) .

(٢) حكمة : بفتحات ، قال في « الصحاح » : حكمة اللجام : ما أحاط بالحنك ، تقول منه : حكمت الدابة حكماً ، وأحكمتها أيضاً ، وكانت العرب تتخذها من القد والأبق ؛ لأنَّ قصدهم الشجاعة لا الزينة ، وقال زهير :

القائد الخيل منكوباً دوابرها
قد أحكمت حكمات القد والأبقا
والقد بالكسر : سيرٌ قَدٌّ من جلد غير مدبوغ .
والأبق بالتحريك : القنب .

نداء الرسول صلى الله عليه وسلم جموع المسلمين واستجابتهم له

وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : « أين أيُّها الناس ؟ » فلم أرَ الناس يلوون على شيء ، فقال : « يا عباس ؛ اصرخ : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرة » قال : فأجابوا لبَّيك ، لبَّيك ، قال : فيذهب الرجل ليثني بغيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بغيره ويخلي سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة . . ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا .

وكانت الدعوة أول ما كانت : يا للأنصار ، ثم خَلَصَتْ أخيراً : يا للخزرج ، وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر إلى مجتَلَد القوم وهم يجتلدون فقال : « الآن حمي الوطيس »^(١) اهـ

أمثال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم يُسَبِّقَ إليها

(١) أي : اشتد الحرب ، وهذا من الأمثال التي قالها صلى الله عليه وسلم ولم يسبق إليها . قال الحافظ مغلطي : (وأمثاله صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق إليها كثيرة ، كقوله عليه السَّلام : « حمي الوطيس » ، و« لا ينتطح فيها عززان » و« الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » ، و« كل الصيد في جوف الفرا » و« الحرب خدعة » و« لا تجني على المرء إلا يده » و« الشديد من غلب نفسه » و« ليس الخبر كالمعاينة » و« المجالس بالأمانة » و« اليد العليا خير من اليد السفلى » و« البلاء موكل بالمنطق » و« الناس كأسنان المشط » و« ترك الشر صدقة » و« أي داء أدوأ من البخل » و« الأعمال بالنيات » ، و« الحياء خير كله » و« اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » و« سيد القوم خادهم » و« فضل العلم خير من فضل العباداة » و« الخيل =

وما زال القوم يجتلدون حتى أسفرت الهزيمة على
هوازن ، ورجعت راجعة الناس حتى وجدوا الأسارى مكبولين
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة أم سليم بنت ملحان :

قال ابن إسحاق : (وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر : أنَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أمَّ سُلَيْمِ بنت
ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها
بيرد لها ، وإنَّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل
أبي طلحة وقد خشيت أن يَعْرِزَهَا الجمل^(١) ، فأذنت رأسه
منها ، فأدخلت يدها في خِزَامَتِهِ^(٢) مع الخِطَام ، فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّ سُلَيْمِ » قالت : نعم ،
بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك
كما تقتل الذين يقاتلونك ؛ فَإِنَّهُمْ لذلك أهل ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أَوَيْكَفِي الله يا أمَّ سليم ؟ » قال :
ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك

= في نواصيها الخير » و« عدة المؤمن دين » وفي رواية : « كأخذ باليد » و« أعجل الأشياء
عقوبة البغي » و« إنَّ من الشعر لحكمة » و« الصحة والفراغ نعمتان » و« نية المؤمن خير من
عمله » و« من غشنا . . فليس منا » و« المستشار مؤتمن » و« الندم توبة » و« حبك الشيء
يعمي ويصم » و« الدال على الخير كفاعله » إلى غير ذلك ممَّا يطول ذكره ، وهو من جوامع
كلمه صلى الله عليه وسلم) .

(١) أي : يغلبها .

(٢) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

فَأَرْسَلَ اللَّهُ جُنُودَ الْفَرَجِ وَقُبُضَةُ الثُّرُبِ قَضَتْ بِالْفَلَجِ

يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين .. بَعَجْتُهُ به ، قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميضاء) .

مدد الملائكة للمسلمين :

ثم أشار الناظم إلى نصر الله رسوله والمؤمنين في هذا اليوم ، بإرسال جند الملائكة ، وبما أظهره على يد حضرة الرسول من المعجزة الكبيرة ، فقال :

(فأرسل الله) مدداً : الملائكة الكرام (جنود الفرج) سمووا بذلك ؛ لأنهم السبب في كشف ما نزل بالمؤمنين من الهزيمة أول الأمر .

قال ابن إسحاق : (وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مبعوث قد ملأ الوادي ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم) .

قال الإمام السهيلي : (وقول جبير : لقد رأيت مثل البجاد ، يعني : الكساء من النمل مبعوثاً ، يعني : رآه ينزل من السماء ، قال : لم أشك أنها الملائكة .

وقد قدم ابن إسحاق قول الآخر : رأيت رجالاً بيضاً على خيل بلق ، وكانت الملائكة ، فأراهم الله لذلك الهوازي على

.....

صور الخيل والرجال ترهيباً للعدو ، وأراهم جبير على صورة النمل المبعوث إشعاراً بكثرة عددها ؛ إذ النمل لا يستطيع عدها ، مع أنَّ النمل يضرب بها المثل في القوة فيقال : أقوى من النملة ؛ لأنها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف ، وقد قال رجل لبعض الملوك : جعل الله قوتك قوة النملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلاَّ النملة ، وهذا المثل ذكره الأصبهاني في كتاب « الأمثال » مقروناً بهذا الخبر ، وقد أهلك بالنمل أمة من الأمم وهم جُرَّهم) .

قال في « المواهب » عن الديماطي في « سيرته » : (إنَّ سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر ، أرخوها بين أكتافهم) .

رمي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوه المشركين بالحصباء :

(وقبضة التراب) بضم القاف ، على أنَّ المراد ما حوته الكف من الحصباء ، وعلى أنَّ المراد المصدر بفتح القاف (قضت) وحكمت (بالفلج) بفتح الفاء واللام ؛ أي : بالظفر والنصر للمؤمنين ، وبالهزيمة للمشركين ، وذلك أنَّه لما نظر إلى القوم وهم يجتلدون وقال : « الآن حمي الوطيس » ، وزاد في رواية : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » . . أخذ حصيات من الأرض وكان على بغلته البيضاء ، فرمى بها أوجه الكفار ، ثم قال : « انهزموا ورب محمد » قال العباس فما زلت أرى حدهم قليلاً ، وأمرهم مدبراً .

.....

قال في « شرح المواهب » : (روى أبو القاسم البغوي والبيهقي وغيرهما عن شيبة قال صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ؛ ناولني من الحصباء » ، فأقعد الله البغلة ، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض ، فتناول من البطحاء ، فحشا به في وجوههم ، وقال : « شأته الوجوه ، حمّ لا ينصرون » .

وفي رواية لمسلم : (ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : « شأته الوجوه » فما خلق الله منهم إنساناً . . إلّا ملأت عينه تراباً تلك القبضة ، فولوا منهزمين) .

وروى البخاري في « التاريخ » والبيهقي عن عمرو بن سفيان قال : (قبض صلى الله عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصى ، فرمى بها وجوهنا ، فما خيل إلينا إلّا أنّ كل حجر وشجر وفارس يطلبنا) .

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

قلت : وفي هذا من المعجزات وجوه :

منها : تسخير البغلة له صلى الله عليه وسلم ، ووقوفها تحت إرادته ، حتى إذا قصد الأرض ليأخذ منها الحصيات . . انخفضت له ، وفي ضمن هذا ما هو معلوم من كمال شجاعته عليه الصّلاة والسّلام ؛ إذ البغلة ليست من مركوب الحرب ، ولا تصلح للكر والفر .

تسخير البغلة لرسول
الله صلى الله عليه
وسلم

ندأؤه بمسمع من
عدوه

ومنها : ندأؤه بمسمع من عدوه بقوله : « أنا النَّبِيُّ لا كذب... » إلخ ؛ لأنَّ العدو إنما أدار رحى الحرب عليه ومن أجله ، وهو المقصود عندهم بالقتال ، ثمَّ هو يريهم مكانه ولا يبالى ؛ اعتماداً على مولاه الذي عوده النصر على عدوه في غير موضع .

أثر الحصباء في
صفوف المشركين

ومنها : ذلك الأثر الكبير الذي فعلته الحصباء لمَّا انتشرت في وجه العدو على قلة الحصباء .

ومنها : إخباره عليه الصَّلَاة والسَّلَام بهزيمة القوم ، وقد وقعت . وأشار العارف^(١) إلى ما فعلت تلك الحصيات بقوله :
رَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً

ما الحَصَى عنده وما الإلقاء

قال في « الإمتاع » : (وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذٍ كوقع الحصاة في الطست له طنين ، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك ، ولمَّا رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الكف من الحصى.. لم يبق أحد من المشركين إلَّا وهو يشكو القذى في عينيه ، ويجدون في صدورهم خفقاناً كوقع الحصى في الطساس ما يهدأ ذلك ، ورأوا رجالاً بيضاً على خيل بلق عليهم عمائم حمراء قد أرخواها بين أكتافهم ، وهم بين السماء والأرض كتائب كتائب ، فما كانوا يستطيعون أن يتأمَّلوه من الرعب) .

(١) يعني البوصيري رحمه الله .

.....

حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن من قتل قتيلاً فله سلبه :

وفي هذا اليوم قال صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلاً له عليه بينة .. فله سلبه » فعن ابن إسحاق قال : (حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري ، قال : وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي غِفَارٍ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَا : قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : رَأَيْتُ يَوْمَ حَنْينَ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ : مُسْلِمًا وَمُشْرِكًا ، قَالَ : وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَرِيدُ أَنْ يَعِينُ صَاحِبَهُ الْمُشْرِكَ عَلَى الْمُسْلِمِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَضْرَبْتُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا ، وَاعْتَقَنِي بِيَدِهِ الْأُخْرَى ، فَوَاللَّهِ ؛ مَا أُرْسَلَنِي حَتَّى وَجَدْتُ رِيحَ الدَّمِ - وَيُرَوَّى : رِيحَ الْمَوْتِ - وَكَادَ يَقْتُلَنِي ، فَلَوْلَا أَنَّ الدَّمَ نَزَفَهُ .. لَقَتَلَنِي ، فَسَقَطَ فَضْرَبْتُهُ فَقَتَلْتُهُ ، وَأَجْهَضَنِي عَنِ الْقِتَالِ ، وَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَلَبَهُ ، فَلَمَّا وَضَعْتَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا وَفَرَعْنَا مِنَ الْقَوْمِ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا .. فَلَهُ سَلْبُهُ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلًا ذَا سَلْبٍ ، فَأَجْهَضَنِي عَنْهُ الْقِتَالُ ، فَمَا أَدْرِي مِنْ اسْتَلْبِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَلَبَ ذَلِكَ الْقَتِيلَ عِنْدِي ، فَأَرْضُهُ عَنِّي مِنْ سَلْبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا وَاللَّهِ لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ ، تَعَمَّدَ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يَقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَقَاسَمَهُ سَلْبُهُ ؟! أَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلْبَ قَتِيلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ ، أَرَدَدْتُ عَلَيْهِ سَلْبَهُ » فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَأَخَذْتُهُ مِنْهُ ، فَبِعْتُهُ ، فَاشْتَرَيْتُ بِثَمَنِهِ مَخْرَفًا ، فَإِنَّهُ

حديث أبي قتادة
الأنصاري عمّا جرى
له في المعركة

حكم الصديق رضي
الله عنه دفع سلب
المقتول لقاتله

.....

لأَوَّلَ مال اعتقدته) اهـ ، أي : جعلته عقدة ، وفي الصحيح :
(فكان أول مال تأثَّلت في الإسلام) .

هزيمة المشركين :

قال في « روض النُّهاة » : (ولَمَّا انهزمت هوازن . .
استحر القتل من ثقيف في بني مالك قتل منهم سبعون رجلاً ،
واستمرَّ أيضاً في بني نصر بن معاوية ، ثمَّ في بني رباب قبيلة
مالك بن عوف ، فذكر ذلك للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ،
فقال : « اللَّهُمَّ اجبر مصيبتهم » ولعل ذلك بعد أن أسلموا ؛
لأنه صلى الله عليه وسلم لا يدعو للمشركين ، بل يدعو
عليهم .

المحادثة بين دريد بن
الصَّمَّة وقاتله من
الأنصار

وقتل دريد بن الصَّمَّة كافراً ، ويروى : أنَّ الذي قتله من
الأنصار ، وأَنَّهُ قال : ضربته بسيفي فلم يغن شيئاً ، فناولني
سيفه ، فقال : اضربني بهذا ، وارفع عن العظام ، واحفظ
الدماغ ؛ فَإِنِّي كنت كذلك أضرب الرجال ، قال : ورأيت بين
رجليه كركبة البعير من طول ركوب الخيل ، وأنَّ الذي قتله
ربيعة بن رُفيع السلميّ ، وأنَّ دريداً قال له لما علمه الضرب :
وإذا أتيت أمك . . فقل لها : أنا قتلت دريد بن الصَّمَّة ، فربَّ
يوم والله منعت فيه نساءك ، فلمَّا رجع ربيعة إلى أمه
وأخبرها . . قالت : لقد أعتق أمَّهات لك ثلاثاً ، وقيل : إنَّ
الذي قتله الزُّبير بن العوام .

وُثِّبَتْ مَعَ النَّبِيِّ طَائِفُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمِمَّنْ أَلْفَهُ
 حَيْدَرُهُ وَالْعُمَرَانِ وَأَبُو سُفْيَانَ جَعْفَرُ ابْنُهُ الْمُتَّخَبُ
 وَعَمُّهُ رَبِيعَةُ الْعَبَّاسُ وَفَضْلُهُ أَسَامَةُ الْأَكْيَاسُ

ذكر بعض من ثبت مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم هوازن :

ثمَّ أراد الناظم أن يذكر من وقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن فقال : (وثبت مع النَّبِيِّ) صلى الله عليه ، في الأصل القطعة من الشيء ، قال في الصحاح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَلَيَشْهَدَنَّ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الطائفة : الواحد فما فوقه . والمراد هنا جماعة (من أهل بيته) الكرام ، قال في « روض النُّهاة » : (وعنهم بهم هنا : بني عبد المطلب ومواليهم) (ومِمَّنْ أَلْفَهُ) بكسر اللام من مهاجري قريش ، ثمَّ أخذ في تعيينهم ، لا على سبيل اللف والنشر المرتب فقال :

(حيدرة) وهو : لقب لسيدنا علي رضي الله عنه كما تقدم (والعمران) : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم الكلام عليه وترجم آنفاً ، و (جعفر ابنه) أي ابن أبي سفيان بن الحارث (المنتخب) المختار ، صفة مدح .

علي بن أبي طالب
 والعمران وأبو سفيان
 ابن الحارث ممن ثبت

(وعمه) أي : عم جعفر بن أبي سفيان ، وهو (ربعة) بن الحارث ، أخو أبي سفيان المذكور ، و (العباس) بن عبد المطلب عم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ،

وَأَيُّمَنُ ابْنُ أُمِّهِ وَالْعَبْدَرِي شَيْبَةُ رَامَ غَدَرَ خَيْرِ مُضَرٍ

وهو الذي نادى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عالي الصوت : (يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمرَة) كما تقدم .

(وفضله) أي : فضل بن العباس ، أضيف إليه ؛ لأنه أكبر أولاده ، وبه كان العباس يكنى ، وهو من أبهى قريش ، ومن ثم قيل : من أراد البهاء والسخاء والفقّه . . فليأت دار العباس ، فالبهاء للفضل ، والسخاء لعبيد الله ، والفقّه لعبد الله .

و(أسامة) بن زيد ، الحب بن الحب (الأكياس) جمع كَيْس بتشديد الياء المكسورة ، صفة مدح لأولئك السادة ، بمعنى الظرفاء العقلاء ، ومن أجل ذلك ثبتوا ، فكان ثباتهم وثبوتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهراً من مظاهر كياستهم .

(وأيمن ابن أمه) أي : ابن أم أسامة ؛ لأن أيمَن بن عبيد وأُسامة ، أمهما بركة الحبشية مولاته عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقتل يومئذٍ كما قاله ابن إسحاق ، يعني : بعد أن ثبت .

قصة شيبَة بن عثمان العبدي وإسلامه بعد قصده الغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم :

(و) ممَّن ثبت : (العبدي) ^(١) المنسوب إلى بني عبد الدار واسمه (شيبَة) بن عثمان بن أبي طلحة بن

(١) هذا يسمى عندهم بالنحت كالعبشمي لبني عبد شمس ، وعقبسي لعبد قيس وغير ذلك .

فَصَدَّهُ عَمَّا نَوَىٰ فَضْرَبَهُ نَبِيَّتًا فِي صَدْرِهِ فَجَذَبَهُ

عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ؛ فإنه (رام) أي : طلب
وقصد ، و(بابه : قال) (غدر) هو ترك الوفاء ؛ أي : أن
يغدر بالنبيّ (خير مُضَر) صلى الله عليه وسلم .

(فصدّه) أي : منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
(عَمَّا) أي : عن الغدر الذي (نوى) أي : قصده
بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، والفتك به ، حين خرج إلى
هوازن ، حتى يكون بزعمه قد أخذ بثأر قريش جميعها ، فأعلم
الله النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك (فضربه نبينا) أي : وضع
يده الميمونة ، ومسحها على شيبة (في صدره) أي : صدر
شيبة (فجذبه) أي : جذب شيبة إليه ، وأعاذه بالله من
الشیطان ، فما هي إلّا لحظة وقد هدى الله شيبة إلى الإسلام
بتلك اليد المباركة ، حتى كان في صفوف الثابتين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، يحمون الإسلام .

مسح النبيّ صلى الله
عليه وسلّم على صدر
شيبة

قال شيبة محدثاً عن إسلامه : (ما رأيت أعجب ممّا كنا
فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات ، قال : لمّا كان
يوم الفتح . . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنوة قلت :
أسير مع قريش إلى هوازن بَحْنين ، فعسى إن اختلطوا أن أُصيب
من محمّد غِرّة ، فأثّر منه ، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش
كلها ، وأقول لم يبق من العرب والعجم أحد إلّا اتّبع محمّداً . .
ما اتّبعته أبداً ، وكنت مُرْصِداً لما خرجت له ، لا يزداد الأمر
في نفسي إلّا قوة .

حديث شيبة رضي الله
عنه عن إسلامه

عزّمه على اغتيال
رسول الله صلى الله
عليه وسلّم

نداء رسول الله صلى
الله عليه وسلم شبيهة
ودعاؤه له

فلَمَّا اختلطت الناس . . اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلته ، وأصلتُ السيف فدنوت أُريد منه ما أُريد ، ورفعت
سيفي حتى كدت أسوره ، فرفع لي شواظ من النار كالبرق يكاد
يمسحني ، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه ، والتفتُ إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديني : « يا شيبَ ؛ اذُنْ مني »
فدنوت منه ، فمسح صدري ، ثمَّ قال : « اللَّهُمَّ ؛ أعذه من
الشیطان » قال : فوالله ؛ لهو كان ساعتئذٍ أحبَّ إليَّ من سمعي ،
ومن بصري ونفسي ، وأذهب الله ما كان بي .

صموده دفاعاً عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

ثمَّ قال : « يا شيبَ ؛ اذُنْ مني فقاتل » فتقدمت أمامه
أضرب بسيفي ، والله أعلم أنَّي أحبُّ أن أقيه بنفسي كل شيء ،
ولو لقيت أبي تلك الساعة حياً . . لأوقعت به السيف ، فجعلت
ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون ، فكروا كرة رجل
واحد ، وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوى
عليها فخرج في إثرهم ، حتى تفرَّقوا في كل وجه ، ورجع إلى
معسكره ، فدخل خباءه ، فدخلت عليه ، ما دخل عليه
غيري ؛ حباً لرؤية وجهه ، وسروراً به ، فقال : « يا شيبَ ؛
الذي أراد الله بك خير ممَّا أردت بنفسك » ثمَّ حدَّثني بكل
ما أضمرته في نفسي ممَّا لم أكن أذكره لأحد قط ، فقلت :
فإنِّي أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّك رسول الله ، ثمَّ قلت :
استغفر لي ، قال : « غفر الله لك » ودفع إليهِ وإلى ابن عمه
عثمان مفاتيح الكعبة وقال : « خذوها خالدة تالدة إلى يوم
القيامة ، لا ينزعها منكم إلاَّ ظالم » .

كشف النَّبيِّ صلى الله
عليه وسلم ما أضمره
شبهة لاغتياله

دفع النَّبيِّ صلى الله
عليه وسلم مفاتيح
الكعبة لشبيهة

.....

واعلم : أنَّ هذه الأبيات الخمسة هي المثبتة في نسختي التي قرأتها وصححتها على شيخي ، المرحوم الشيخ محمَّد بن عبد الله زيدان ، وعليها شَرَحْتُ ، وفي نسخة الشيخ حمَّاد الذي شرح عليها مخالفة في اللفظ ، أمَّا المآل . . فواحد ، غير أنَّ في النسخة الأولى زيادة في سبب إسلام شيبة لم تكن في النسخة الثانية ، كما هو ظاهر ، ولفظ النسخة الثانية :

وَبَيَّنْتُ مَعَ النَّبِيِّ طَائِفَهُ
مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ وَمِمَّنْ أَلْفَهُ
عُمَرَ ذِي الْخِلَالِ شَيْبَةَ ، أَبِي
سَفْيَانَ وَابْنَهُ وَعَمُّهُ الْأَبِي
حَيْدَرَةَ أَسَامَةَ أَيْمَنُهُ
ثُمَّ أَبُو الْفَضْلِ وَفَضْلُ وَابْنُهُ

وقوله : (عمر) وما بعده بالجر بدل من المجرور في قوله : (من أهل بيته ومِمَّنْ أَلْفَهُ) وقوله : (وعمه) أي : عم جعفر بن أبي سفيان ، وهو ربيعة بن الحارث أخو أبي سفيان بن الحارث ، و(الأبِّي) معناه : الممتنع من الضيم .

القول في فرار من فرَّ من الصحابة في هذه الغزوة :

واعلم : أنَّ فرار الباقيين من الصحابة في هذه الغزوة ليس فيه عار ؛ لأنَّه إنَّما كان في بادئ الأمر ولم يستمر ، أو أنَّه كان صورياً ؛ فإنَّه فرار عن عود .

قال الطبري - كما في « المواهب » - : (الانهزام المنهي عنه ، ما وقع على غير نية العود ، وأمّا الاستطراد للكرة . . فهو كالمتحيز إلى فئة) .

وقال ابن سيد الناس في « العيون » : (فرارهم قد أعقبه رجوعهم إليه بسرعة ، وقتالهم معه حتى كان الفتح ، ففي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ كما قال الله تعالى فيمن تولّى يوم أُحُد : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وإن اختلف الحال في الوقعتين) .

وفي « الروض » للشَّهَلِيّ : (لم يجمع العلماء على أنّه من الكبائر إلّا في يوم بدر ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ ﴾ الآية ، ثمّ أنزل التخفيف في الفارين يوم أُحُد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾) .

وفي « تفسير ابن سلام » : (كان الفرار يوم بدر من الكبائر ، وكذا يكون في ملحمة الروم الكبرى ، وعند الدجال) .

النصر الكبير
للمسلمين

والحاصل : أنّ هذه المعركة أسفرت عن نصر كبير للمسلمين ، وفتح مبين ، فقد رجع الجيش بعد التفرق إلى

.....

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بطلب العدو ، فانتهى بعضهم إلى الطائف ، كمالك بن عوف في جماعة من أشرف قومه .

قال في « شرح المواهب » : (إِنَّهُمْ لَمَّا انهزموا . . وقف مالك على ثنية في شبان أصحابه فقال : قفوا حتى يمضي ضعفائكم ، ويتنام آخركم ، فَبَصُرَ بهم الزُّبير ، فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثنية ، وهرب مالك إلى الطائف ، ويقال : تحصن في قصرٍ بِلَيْتَةٍ على أميال من الطائف ، فغزاهم صلى الله عليه وسلم بنفسه كما يأتي ، وهدم القصر) .

إبطال محاولة مالك
ابن عوف التجميع
لقومه لإعادة الكرة
على المسلمين

قال في « المواهب » : (واستشهد من المسلمين أربعة ، ومنهم أيمن ، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً) اهـ

الغنائم والسي :

عدد شهداء المسلمين
وقتل المشركين

ونال المسلمون من الغنائم الشيء الكثير ، فمن الإبل أربعة وعشرون ألفاً ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفاً ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وسبوا نساءهم وأبناءهم ، وأمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام بجمع ذلك في الجِعْرانة إلى أن يرجعوا من الطائف .

جمع الغنائم بالجعرانة

قال في « الإمتاع » : (وانتهى عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى الجعرانة ليلة الخميس ، لخمس خلون من ذي القعدة ، والسي والغنائم بها محبوسة) وإليه الإشارة بقوله :

وصوله صلى الله عليه
وسلم إلى الجعرانة

وَوَقَفَ السَّبْيَ إِلَى أَنْ رَجَعَا مِنْ طَائِفٍ لَعَلَّ أَنْ يُسْتَرْجَعَا

(ووقف) أي : حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم (السبي) الذي سباه من هوازن ، وكانوا ستة آلاف آدمي ، سوى الغنم ، والنعم ، والأموال ، فلم يقسمه ، وإطلاق السبي على الجميع على التغليب .

توقع النبي صلى الله عليه وسلم أن يعاد السبي إلى أهله

قال ابن التلمساني : (ولا يكون السبي إلا في النساء) نقله عن الخفاجي في « شرح الشفاء » وأمر بالجميع أن يجمع بالجعرانة (إلى أن رجعا) بألف الإطلاق للقافية (من طائف) أي : من غزوة الطائف ، وإنما فعل ذلك (لعل) أي : رجاء (أن يسترجعا) بالبناء للمجهول ؛ أي : يسترجع السبي أهله ، فيرده لهم ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لما ترجى ذلك ، وانتظر أهل السبي بضعة عشر يوماً . لم يفعلوا حتى قسمه في مستحقه ، ووقعت المقاسم مواقعها .

قدوم وفد هوازن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وردّه السبي إليهم :

وبعد ذلك قدم وفد هوازن ، وهم أربعة عشر رجلاً مسلمين ، ورأسهم زهير بن صرد الخشمي ، وأبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك .

وقال زهير : يا رسول الله ؛ إنما في الحظائر عماتك وخالاتك ، وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك ؛ أي : لأنَّ مرضعته صلى الله عليه وسلم حليلة كانت من هوازن ، وقال له

أَيْضاً : وَلَوْ مَلَكْنَا - أَي : أَرْضَعْنَا - لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ
- أَي : مَلِكِ الشَّامِ - أَوْ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ مَلِكِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ
نَزَلَ مِنَّا بِمِثْلِ مَا نَزَلَتْ بِهِ . . رَجَوْنَا عَظْفَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ
خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ ، وَأَنْشُدْهُ أَبْيَاتاً يَسْتَعِظُفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهَا ، وَهِيَ :

استعطاف وفد هوازن
للنبي صلى الله عليه
وسلم شعراً

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ
فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
أُمْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ
مَمَزَّقَ شَمْلَهَا فِي دَهْرَهَا غَيْرُ
يَا خَيْرَ طِفْلِ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَحَبٍ
فِي الْعَالَمِينَ إِذَا مَا حَصَلَ الْبَشَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْ نِعْمَاءُ تَنْشُرُهَا
يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ تُخْتَبَرُ
أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذْ فُوكَ تَمْلِؤُهُ مِنْ مَخْضِهَا الدَّرُّ
إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتَ تَرْضَعُهَا
وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نِعَامَتُهُ
وَاسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرُ زُهْرٍ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُفَّتُ الْجِيَادُ بِهِ
عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرُّ

.....

إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِّرَتْ

وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرٌ

إِنَّا نُوَمِّلُ عَفْوَاً مِنْكَ تَلَبَّسُهُ

هذي البريةُ إذ تعفو وتنتصرُ

فاعف عفا الله عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ

يومَ القيامةِ إذ يُهْدَى لكَ الظفرُ

فقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ ،

أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ » فقالوا : ما كنا

نعدل بالأحساب شيئاً ، اردد علينا نساءنا وأبنائنا ؛ فهم أحبُّ

إلينا ، ولا نتكلم في شاة ولا بغير ، فقال صلى الله عليه

وسلم : « إِذَا أَنَا صَلَّيْتُ الظَّهْرَ بِالنَّاسِ . . فقوموا فقولوا : إِنَّا

نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ،

وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا

ونسائنا » .

رد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ السَّبِيَّ لَهُوَ زَنْ

فلَمَّا صَلَّيْتُ الظَّهْرَ . . قاموا فتكلَّموا بما أُمروا به ،

فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أثنى على الله بما هو أهله :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ جَاءُوا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ

أُردَ إِلَيْهِمْ سَبَبُهُمْ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَطِيبَ بِذَلِكَ . . فليفعل ، ومن

أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نَعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ

الله علينا . . فليفعل » .

تنازل المهاجرين
والأنصار عَمَّا لَهُمْ مِنَ
السَّبِيِّ

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي

عبد المَطْلَب . . فهو لكم » فقال المهاجرون والأنصار

رضوان الله تعالى عليهم : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم . . فلا ، وقال عيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فزارة . . فلا ، وقال العباس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سُليم . . فلا ، فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن مرداس : وهَنتموني - أي : أضعفتموني حيث جعلتموني منفرداً - ثمَّ ردَّ جميع السبي لأهله ، إلّا عجوزاً صارت إلى عيينة بن حصن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً ، إني لأحسب أنّ لها في الحي نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها ، ثمَّ ردها بعد ذلك بعشر من الإبل ، أخذ ذلك من ولدها بعد أن ساومه فيها مئة من الإبل ، وقال له ولدها : والله ؛ ما نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوهها ببارد ، ولا صاحبها بواجد - أي : بحزين لفراقها - ولا درها بناكد - أي : ليس لبنها بغزير - فقال عيينة : خذها ، لا بارك الله لك فيها .

تمسك بعض القبائل بحقها في السبي

مفاوضة عينة في العجوز التي كانت من نصيبه

قال ابن برهان في « الحلية » : (وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم على من أبى أن يرد من السبي شيئاً أن يُيخَس ؛ فإنَّ ولدها دفع له فيها مئة من الإبل فأبى ، ثمَّ غاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضاً عنه ، فقال : خذها بالمئة ، فقال : لا أدفع إلّا خمسين ، فأبى ، فغاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضاً عنه ، فقال : خُذْها بخمسين ، فقال : لا أدفع إلّا خمسة وعشرين ، فأبى ، فغاب عنه ، ثمَّ مرَّ عليه معرضاً عنه فقال :

خذاها بالخمسة والعشرين ، فقال : لا آخذها إلا بعشرة - وفي رواية : إلا بستة - ولمّا أخذها ولدها . . قال لعينته : إنّ رسول الله ﷺ كسى السبي قُبْطِيَّة قُبْطِيَّة ، فقال : لا والله ؛ ما ذاك لها عندي ، فما فارقها حتى أخذ لها ثوباً منه ، والقبطية : بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر) .

قصة الشيماء بنت الحارث :

وقدّمت على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيماء بنت الحارث السعدية أُخته من الرضاع ، وذكرت له أنّها أُخته من الرضاع ، بعلامة كان عليه الصَّلَاة والسَّلَام يعرفها ، وهي عضة عضها في ظهرها وهي متوركتة ، فبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وخيّرَها بين أن تكون عنده محببة مكرمة ، وبين أن ترجع إلى قومها ممتعة ، قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، ففعل .

قال في « العيون » : (فزعمت بنو سعد : أنّه أعطاه غلاماً له اسمه مكحول ، وجارية ، فزوجت إحداهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية ، أسلمت وأسلم أبوها الحارث رضي الله عنهما) .

وإلى عفوهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هوازن ، وما لقيت أُخته من الرضاع من الكرامة ، والبر بها حسبما يليق بخلقه الشريف ، أشار العارف^(١) رضي الله عنه بقوله :

(١) يعني البوصيري رحمه الله .

إكرام الرسول صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخته
وتخيبرها

أَعْطَى عَطَايَا شَهِدَتْ بِالْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ لَهُ وَلَمْ تُجْمَعْ

مَنْ فَضلاً عَلَى هَوَازَنَ إِذْ كَا
نَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رَبَّاءُ
وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ
وَضَعَ الْكَفْرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَّاءُ
فَجَبَّاهَا بِرَأً تَوَهَّمَتِ النَّأ
سُ بِهِ أَنْمَا السَّبَّاءُ هِدَاءُ
بَسَطَ الْمَصْطَفَى لَهَا مِنْ رِذَاءٍ
أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّذَاءُ
فَعَدَّتْ فِيهِ ، وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسْ
وَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ

سَخَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَطَايَاهُ :

ثُمَّ أَشَارَ النَّازِمُ إِلَى مَظْهَرٍ آخَرَ مِنْ مَظَاهِرِ جُودِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ بِقَسَمِ الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِعْطَاءِ
الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ أَوَّلَ النَّاسِ ؛ لِيَرْسُخَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ فَقَالَ :

(أَعْطَى عَطَايَا) جَسَاماً (شَهِدَتْ بِالْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ) أَيِ : يَوْمِ
حَنِينٍ (لَهُ) أَيِ : لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ
بِقَوْلِهِ : (شَهِدَتْ) وَالْمُرَادُ بِالْكَرَمِ هُنَا : النُّبُوَّةُ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا أَعْطَى
صَفْوَانَ مَا أَعْطَى . . قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ لَا تَطِيبُ بِهَذَا إِلَّا
نَفْسُ نَبِيٍّ (وَلَمْ تُجْمَعْ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ : (شَهِدَتْ)
مَأْخُوذٌ مِنَ التَّجْمِيعِ ، وَهُوَ أَنْ لَا يَظْهَرُ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ ؛ أَيِ :
شَهِدَتْ بِالْكَرَمِ تِلْكَ الْعَطَايَا شَهَادَةً فَصِيحَةً وَلَمْ تَكْتَمَهَا .

عطاؤه السخيّ صلّى
اللهُ عليه وسلّم لأبي
سفيان وأبنائه رضوان
الله عليهم

أسماء من أجزل لهم
رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم بالعطاء

قال الحافظ ابن سيد الناس في « العيون » : (فأعطى
أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال : ابني
يزيد ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال :
ابني معاوية ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ، ومئة من الإبل ، قال
أبو سفيان - كما في « الإمتاع » - : إنَّكَ لكريم ، فذاك أبي
وأُمي ، والله ؛ لقد حاربتك . . فنعم المحارب كنت ، ثمَّ
سالمتك . . فنعم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً - وأعطى
حكيم بن حزام مئة من الإبل ، ثمَّ سأله مئة أُخرى فأعطاه .

وأعطى النّضر بن الحارث بن كلدة مئة من الإبل ، وأعطى
أسيد بن جارية الثقفي مئة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية
الثقفي خمسين بغيراً ، وأعطى مخزّمة بن نوفل خمسين بغيراً .

وأعطى الحارث بن هشام مئة من الإبل ، وأعطى سعيد بن
يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مئة من
الإبل ، وأعطى قيس بن عدي مئة من الإبل . وأعطى عثمان بن
وهب خمسين من الإبل .

وأعطى سهيل بن عمرو مئة من الإبل ، وأعطى
حويطب بن عبد العزّى مئة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو
العامري خمسين من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي
مئة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مئة من الإبل ، وأعطى
مالك بن عوف مئة من الإبل .

وَكَيْفَ لَا وَاسْتَمَدَّ سَيِّبِهِ مِنْ سَيِّبِ رَبِّ ذِي عِنَايَةٍ بِهِ

وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل ، فقال في ذلك شعراً ، فأعطاه مئة من الإبل ، ويقال : خمسين .

وأعطى ذلك كله من الخمس ، وهو أثبت الأفاويل عندنا ، ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم فضها على الناس ، فكانت سُهْمَانُهُمْ لكل رجل أربعاً من الإبل أو أربعين شاة ، فإن كان فارساً . أخذ اثنتي عشرة من الإبل ، أو عشرين ومئة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد . لم يسهم له .

عطاياه صلى الله عليه وسلم من الخمس الخاص به

(وكيف لا) يعطي هذا العطاء الجرم وأشباهه (ومستمد) أي : والحال أن مأخذ (سيبه) بفتح الأول ؛ أي : عطائه (من سيب) أي : من عطاء (رب ذي عناية به) صلى الله عليه وسلم ! وإذن فلا غرابة في ذلك ؛ فقد أعطاه الله الدنيا والآخرة ، وهو يعطي ما شاء لمن شاء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن عناية الله تعالى بسيدنا ونبينا صلى الله عليه وسلم فوق عنايته بغيره من الأنبياء والمرسلين ؛ فإنه تعالى لم يقل مثل ذلك لغيره من النبيين .

أقول : ولو لم يكن من كرمه وجوده عليه ألف صلاة ، وألف سلام إلا وقوفه في ذلك اليوم العظيم ، الذي يكون كل واحد مهتماً فيه بنفسه ، والأنبياء تقول : نفسي نفسي ، وهو

مظاهر كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه الصَّلَاة والسَّلَام يقول : « أُمَّتِي أُمَّتِي » حتى يخر ساجداً لله تعالى ، ويلهمه الله ما يلهمه من الثناء الحسن ، فيقال له : ارفع رأسك ، وسلَّ تُعْطَ ، واشفع تُشَفَّعَ ، فعند ذلك يشفع للأُمة ، لا بل لجميع الخلق في ذلك اليوم لإِِراحتهم من ذلك الموقف الهائل العظيم . . لكفى .

وفي بعض نسخ « الشفاء » : (قد قال أبو علي الدقاق ، من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير ، وتكلَّم في الفتوة ، وهي غاية الكرم والإِِثار ، على رأيهم واصطلاحهم في ألفاظهم : إنّ هذا الخلق لا يكون بكَماله إلَّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن كل أحد في القيامة يقول : نفسي نفسي ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : « أُمَّتِي أُمَّتِي » فلو لم يكن من كرمه إلَّا هذا . . لكفى ، وكفى) .

وأظن أنَّه لا يَنَازع في هذا أحد ، فنسأل الله تعالى بمَنِّه وكرمه وجوده ، وبنيِّ الرَّحمة صلى الله عليه وسلم : أن يجعلنا ووالدينا ومشايخنا وأحبابنا ممَّن كتبت له العناية والسعادة ، وأن يدخلنا في شفاعته الخاصة والعامة يوم القيامة ، آمين .

قال الشيخ حماد في « روض النُّهاة » : (أنشد الناظم رحمه الله تعالى قوله : « وكيف لا ومستمد سيبه » البيت ، الفقيه محمَّد بن المختار بن الفَغ موسى ، فقال : أنا ضامن لك الجنة بهذا البيت ولو لم يكن لك غيره من عمل ، ثمَّ أوصاني

أَعْطَى عَطَايَا أَخْجَلَتْ دُلْحَ الدَّيْمِ إِذْ مَلَأَتْ رُحْبَ الْفَضَا مِنْ النَّعَمِ
زُهَاءَ الْفَيِّ نَاقَةٍ مِنْهَا وَمَا مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ غَنَمًا
لِرَجُلٍ وَبَلَّهَ مَا لِحِلَقِهِ مِنْهَا وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِقِهِ

رحمه الله تعالى إن أنا مثٌ . . فاكثبه في رقعة وادفنها معي ،
ولم أحضر مصيبتنا به) اهـ

عطاؤه صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم :

ولمَّا كان المقام مقام إطناب . . أخذ الناظم في تفصيل
بعض ما أجمله ، فقال :

(أعطى عطايا أخجلت) وأدهشت لعظمها (دُلْح) بضم
فسكون ، جمع دلوح ، قال في « الصحاح » : (وسحابة
دلوح : كثيرة الماء ، وسحائب دلح مثل قدوم وقدم) وهي
مضافة إلى قوله : (الدَّيْمِ) بكسر الدال وفتح المشناة التحتية ؛
أي : السحاب الغزيرة بالماء جمع ديمة ؛ فإنَّ تلك العطايا
لعظمها وسماحة نفس معطيها ، أوجبت محبته عليه الصَّلَاة
والسَّلَام ، والدخول في حظيرة الإسلام ، فأئتي مناسبة في جوده
المدرار وجود الديم الغزار (إذ ملأت) عطاياه (رحب الفضَا)
بالقصر للضرورة ، وهو ما اتَّسع من الأرض ، وهو من إضافة
الصفة للموصوف ؛ أي : ملأت الفضاء الرحب (من النعم)
الإبل والبقر والغنم .

(زُهَاء) بضم الزاي ؛ أي : مقدار (الْفَيِّ نَاقَةٍ مِنْهَا)
أي : من النعم أعطاها للمؤلفة قلوبهم كما تقدم ، (وما)
أي : وزهاء الذي (ملأ بين جبلين غنما لرجل) هو صفوان بن

عطاؤه صفوان بن أمية
رضي الله عنه

أُمِّيَّة ؛ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُ ذَلِكَ ، وَأَعْطَاهُ مِئَةَ نَاقَةٍ ، وَكَانَ هَرَبَ يَوْمِ
الْفَتْحِ ، وَأَمَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَ
وَهْبِ بْنِ عَمِيرٍ بَرْدَاءَهُ - أَوْ بَبْرَدَهُ - أَمَانًا لَهُ ، فَانصَرَفَ صَفْوَانُ مَعَ
وَهْبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَقَفَ ، وَنَادَاهُ
فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنَّ هَذَا وَهْبٌ يَزْعُمُ أَنَّكَ أَمَتْنِي
عَلَى أَنْ أُسِيرَ شَهْرَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ » فَقَالَ : لَا ، حَتَّى تَبَيَّنَ لِي ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « انْزِلْ ، فَلَمْ تَسِيرْ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ » وَلَمَّا أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ وَأَكْثَرَ . قَالَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ ؛
مَا طَابَتْ بِهَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ ، فَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ .

إسلام صفوان بن أُمِّيَّة
رضي الله عنه

ما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على الإسلام شيئاً إلا
أعطاه

رَوَى مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا
أَعْطَاهُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ
فَقَالَ : يَا قَوْمُ أَسْلَمُوا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى
الْفَقْرَ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ مَا يَرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا
يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .

(وَبَلَّهَ) بَفَتْحِ الْبَاءِ ، اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٌ بِمَعْنَى : دَعَا (مَا)
أَيُّ : الَّذِي أَعْطَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (لِحِلْقَةٍ) بِكَسْرِ الْحَاءِ
وَفَتْحِ اللَّامِ : جَمْعُ حَلْقَةٍ ؛ أَيُّ : لِقَوْمِهِ وَجَمَاعَتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ
وَبَنِي الْمُطَّلِبِ (مِنْهَا) أَيُّ : مِنَ الْغَنَمِ (وَمِنْ رَقِيقِهِ وَوَرِقِهِ)
أَيُّ : فَضْطِهِ .

مِنْهَا أَفَادَ الْعَمَّ مَا نَاءَ بِهِ فَهَالٍ مِنْهُ عَمُّهُ عَنْ ثَوْبِهِ

والحاصل : أَنَّ حديث جوده متواتر ، وخبر كرمه مستفيض مشهور ، وعن البحر حدث ولا حرج .

عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعمة العباس :

(منها) أي : من العطايا التي أعطاها لجماعته من بني هاشم (أفاد) أعطى وأكسب (العم) وهو العباس رضي الله عنه (ما) أي : الشيء الكثير من المال الكثير الَّذِي (ناء به) أي : ثقل بالعباس أن يحمله على عظيم قوته ، قال في « المختار » : (ناء بالحمل : نهض به مثقلاً ، وناء به الحمل : أثقله)

وطلب العباس من النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أن يعينه على حمله فلم يفعل (فهال) أي : صب (منه) أي : من المال في الأرض (عمه عن ثوبه) ليستطيع حمله ؛ إذ لم يجد بُدًّا من ذلك .

استدراك على الناظم

وهذا الذي ذكره الناظم هنا فيه نظر ؛ فَإِنَّ المشهور : أَنَّ هذه القضية كانت بالمدينة ، حين ورد مال البحرين على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من عامله بها ، وهو العلاء بن الحضرمي ، وكان أكثر مال أتى فنثر في المسجد ، فأتاه العباس رضي الله عنه فقال : أعطني ؛ فَإِنِّي فاديت نفسي وعقيلًا ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « خذ » فحشا في ثوبه ، ثُمَّ ذهب ليقلّه - أي : ليحمله - فلم يستطع ، فقال : مر من يرفعه عليّ ، فقال : « لا » فقال : ارفعه أنت عليّ ، فقال : « لا »

وَوَكَّلَ الْأَنْصَارَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ لِدِينِهِمْ إِذْ أَلَّفَ الْمُؤَلِّفِينَ
فَوَجَدُوا عَلَيْهِ أَنْ مَنَعَهُمْ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ
وَقَالَ قَوْلًا كَالْفَرِيدِ الْمُونِقِ عَنْ نَظْمِهِ ضَعْفَ سِلْكُ مَنْطِقِي

فنثر منه ، ثم ذهب يقله فلم يقدر ، فقال له كالأول ، فنثر منه ، ثم احتمله على كاهله وانطلق ، فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجباً منه ! ولم يقم عليه الصلاة والسلام حتى فرقه ، فلم يبق منه درهم .

موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خطبته فيهم :

(وَوَكَّلَ) بصيغة الماضي المعلوم ؛ أي : سلم (الأنصار خير العالمين) صلى الله عليه وسلم (لدينهم) أي : لقوته ولرسوخه في قلوبهم (إِذْ أَلَّفَ الْمُؤَلِّفِينَ) من قريش وقبائل العرب بالعطايا ، ولم يعط الأنصار شيئاً .

(فَوَجَدُوا عَلَيْهِ) لـ (أَنْ مَنَعَهُمْ) من ذلك ، وقالوا : يغفر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ ! فحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاتلتهم (فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَنْ جَمَعَهُمْ) وهو سعد بن عبادة .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله (وَقَالَ قَوْلًا) في نفاسته (كَالْفَرِيدِ) هو الدر إذا نظم وفصل بغيره (المونق) الحسن المعجب (عن نظمه) في هذه الأرجوزة ، وهو متعلق بقوله : (ضَعْفَ سِلْكُ) بكسر أوله ، في الأصل : الخيط يجعل فيه اللؤلؤ ، وهو مضاف إلى

قوله : (منطقي) وفيه استعارة حيث جعل لمنطقه سلكاً يدخل فيه ما ينظمه من مسائل الفن ، التي هي كالدرر .

وأشار بهذا إلى ما ذكره ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : (لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء . . . وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ؛ إِنَّ هذا الحي من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم ؛ لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء ، قال : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : يا رسول الله ؛ ما أنا إلا من قومي ، قال : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة » قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة .

قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلمَّا اجتمعوا . . أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمَّ قال : « يا معشر الأنصار ؛ ما قالة بلغتني عنكم ، وجِدَّة وَجَدْتُمُوهَا علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله ؟ وعالة

فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى ،
الله ورسوله أمّنٌ وأفضل ، ثمّ قال : « ألا تجيبوني يا معشر
الأنصار ؟ » قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؛ الله ورسوله
المنّ والفضل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أمّا والله ؛ لو
شئتم .. لقلتم ولصدقتم : أتيتنا .. - كذا وكذا - أوجدتم
يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة من الدنيا ، تألفتُ بها
قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر
الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله
إلى رحالكُم ؟ فوالذي نفس محمّد بيده ؛ لولا الهجرة .. لكنك
امراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلك الأنصار
شعباً .. لسلك شعب الأنصار ، اللهمّ ارحم الأنصار ، وأبناء
الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » قال : فبكى القوم حتى
أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثمّ
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا) .

وفي الصحيح : (أنَّهُم لَمَّا سئلوا : « ما حديث بلغني
عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أمّا رؤساؤنا .. فلم يقولوا شيئاً ،
وأمّا ناس منا حديثه أسنانهم .. فقالوا : يغفر الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً .. إلخ ، ولذلك قال الحافظ
في فوائد هذه المقالة ، بين هذا الأب الرحيم وأبنائه البررة :
منها : حسن أدب الأنصار في تركهم المماراة ، والمبالغة
في الحياء ، وبيان أنّ الذي نقل عنهم إنّما كان عن شبانهم ،
لا عن شيوخهم وكهولهم .

.....

وفيه : مناقب عظيمة لهم ؛ لما اشتمل عليه من ثناء الرسول البالغ عليهم ، وأنَّ الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه ، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق .

وفيه : المعاتبه ، واستعطاف المعاتب ، وإعتابه عن عتبه .

وفي الصحيح زيادة : (أنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام قال لهم في خاتمة كلامه معهم : « ستجدون بعدي أثره شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنِّي على الحوض ») اهـ ففيه علَم من أعلام النبوة ؛ إذ كان ما قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام .

وقد صحَّ عن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال : (بينا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَةٌ من حنين .. عَلِقَتِ الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ، حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ ، فعلقت رداءه - أو كلمة تشبهها - قال : فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أعطوني ردائي ، فلو كان لي عدد هذه العِصاه نعماً . . لقسمته بينكم ، ثمَّ لا تجدوني بخیلاً ، ولا كذوباً ، ولا جباناً ») انظر « صحيح البخاري » .

بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس :

ولمَّا دارت الهزيمة على هوازن ، وفرغ عليه الصَّلَاة والسَّلَام من حنين .. بعث في طلب الفارين من هوازن إلى

وَأَدْرَكَ الْفَلََّ بِأَوْطَاسَ الْأَشْعَرِيَّ عَمَّ أَبِي مُوسَى الشُّجَاعُ الْأَشْعَرِيَّ
وَوَغَالَ تِسْعَ إِخْوَةٍ مُبَارَزَةٍ وَفَرَّ عَاشِرٌ لَدَى الْمُبَارَزَةِ

مبارزة أبي عامر
واستشهاده

أوطاس^(١) أبا عامر الأشعري ، وانتهى إليهم فإذا هم
مجتمعون ، فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة وهرب
العاشر ، ورُمِيَ أبو عامر بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى ،
فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وهزمهم الله ، وإلى هذه الإشارة
يقول الناظم رحمه الله تعالى :

(وأدرك الفلَّ) بفتح الفاء ؛ أي : الجماعة المنهزمين ؛
أي : بعضهم ، قال في « القاموس » و« شرحه » : (قوم فلَّ :
منهزمون ، يستوي فيه الواحد والجمع) (بأوطاس) يتعلق
بأدرك (السري) : الشريف ، وهو فاعل أدرك (عم
أبي موسى) على الأشهر الذي قاله في « الفتح » واسمه :
عبيد بن سليم بتصغيرهما ، ويكنى بأبي عامر (الشجاع
الأشعري) صفتان للعم ، وذلك أنهم لمَّا انهزموا أتوا
الطائف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو
نخلة . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر في آثار
من توجه قِبَل أوطاس ، وناوشوه القتال .

(وغال) أي : قتل (تسع إخوة) حال كون القتال

(١) ذكر ابن إسحاق : (أنَّ هوازن لما انهزموا . سارت طائفة منهم إلى الطائف ، وطائفة إلى
نخلة ، وطائفة إلى أوطاس ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عسكرياً مقدمهم أبو عامر
الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس ، - كما يدل عليه الحديث الصحيح في « البخاري » - ثمَّ
توجه هو وعساكره إلى الطائف) اهـ فوادي أوطاس ، غير وادي حنين .

وَإِذْ تَوَيْ دَوَّخَهُمْ حَفِيدُهُ وَجَاءَ بِالْفَلِّ وَهُمْ عَيْدُهُ

(مبارزة) واحداً بعد واحد (وفر عاشر لدى) أي : عند (المبارزة) .

(وإذ توى) مات أبو عامر ، قيل : رُمي بسهم فقتل ، قال ابن سعد : قتل أبو عامر تسعة مبارزة ، ثم برز العاشر معلماً بعمامة صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله (دَوَّخَهُمْ) أذلهم (حفيده) ابن أخيه ، وهو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه (وجاء بالفَلِّ) أي : المهزومين (وهم) أي : الفلَّ (عبيده) .

دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي عامر :

قال في « المواهب » : (لَمَّا قَتَلَ أَبُو عامر . . خلفه أبو موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ؛ اغفر لأبي عامر ، واجعله من أعلى أُمَّتِي فِي الْجَنَّةِ ») .

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خلف أبي عامر

وفي « البخاري » : (قال - يعني أبا عامر لأبي موسى لَمَّا رمي بالسهم - : يا بن أخي ؛ أقرئ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام ، وقل له استغفر لي ، ثُمَّ مات ، فرجعت ، فدخلت على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته وهو على سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش ، قد أثر رمال السرير في ظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ، وأنه قال : قل له استغفر لي ، فدعا بماء فتوضأ ، ثُمَّ رفع يديه ، وقال : « اللَّهُمَّ ؛ اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه ، ثُمَّ قال : « اللَّهُمَّ ؛ اجعله يوم

دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبيد أبي عامر

.....

القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك من الناس » فقلت : ولي
فاستغفر ، قال : « اللَّهُمَّ ؛ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ،
وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

قال أبو بردة - يعني ابن أبي موسى^١ راوي الحديث - :
إحدهما - أي الدعوتين - لأبي عامر ، والأخرى
لأبي موسى^١) اهـ

والمرمل - براء مهملة ، ثمّ ميم مثقلة - أي : معمول
بالرمال ، وهي جبال الحصر التي تضفر بها الأسرة .

ويستفاد من هذا الحديث : استحباب الطهارة لإرادة
الدعاء ، ورفع اليدين في الدعاء . اهـ

* * *

(٢٩) غزوة الطائف

الطائف : هي بلد كبير على ثلاث مراحل بسير الإبل من
مكة ، وعلى خمس ساعات بسير السيارات الحديثة ، على
طريق وعر غير معبّد ، واليوم مُهَدَّ الطريق إليه من عرفة إلى جبل
الكر الذي حطم لتعبيد الطريق إلى جبل الهدى ، ومنه النزول
إلى وادي محرم ، ولو تمَّ هذا العمل^(١) . . تكون المسافة إلى
الطائف نحو ساعة أو أقل .

التعريف بالطائف
المسافة من مكة إلى
الطائف قديماً وحديثاً

(١) قد تمَّ العمل بطريق الهدا منذ عام (١٣٨٥هـ) تقريباً ، وتقطع المسافة في نحو الساعة
بالسير المعتدل بالسيارة الصغيرة .

.....

وهي مدينة بناحية المشرق ، طيبة الهواء ، كثيرة الفواكه ، ترتفع عن سطح البحر بمقدار ألف قدم ، قيل : سميت بالطائف ؛ لأنها كانت بالشام ، فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، أو لأن رجلاً من الصّدف أصاب دماً بحضرموت ، ففرّ إلى وج^(١) ، وحالف مسعود بن معتب ، وكان له مال عظيم ؛ فقال : هل لكم أن أبني لكم طوقاً عليكم يكون لكم رداءً من العرب ؟ فقالوا : نعم ، فبناه ، وهو الحائط المطيف به ، أو لأنه طاف على الماء في الطوفان ، أو لأنّ جبريل طاف بها على البيت ، ذكر هذه الأقوال صاحب « القاموس » .

وقال السهيلي : (ذكر بعض المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائف ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في « سورة ن » حيث يقول : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾ قال : كان الطائف جبريل عليه السلام ، اقتلعها من موضعها ، فأصبحت كالصّريم ، وهو الليل ، أصبح موضعها كذلك ، ثمّ سار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ، ثمّ أنزلها حيث الطائف اليوم ، فسميت باسم الطائف الذي طاف عليها وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بصّوران على فراسخ من صنعاء ، ومن ثمّ كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الأرضين ، وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى ابن مريم

(١) بفتح الواو وتشديد الجيم : اسم لموضع بالطائف ، وقيل : اسم للوادي كله .

فَلِثَقِيفٍ وَهِيَ فِي حُصُونٍ بِطَائِفٍ أَقْبَلَ مِنْ حُنَيْنٍ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا وَسَلَّمْ بَيْسِير ، ذكر هذا الخبر النقاش
وغيره (اهـ

قلت : فهذه وجوه خمسة في التسمية ، ولم أر من اعتمد
واحداً منها وردَّ الآخر ، أو اعتمد غيرها .

تحصن ثقيف بحصنهم في الطائف :

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان ، على ما قاله
جمهور أهل المغازي .

واعلم : أنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام لَمَّا فرغ من حنين منصوراً
مظفراً ، وبعث بغنائمها إلى وادي الجِعرانة كما تقدم . . توجه
لثقيف كما قال الناظم :

(فَلِثَقِيفٍ) أي : فبعد حنين أقبل عليه الصَّلَاة والسَّلَام
لثقيف ، فالجار والمجرور يتعلق بـ (أقبل) وقوله : (وهي)
أي : ثقيف متحصنة (في حصون بطائف) جملة معترضة بين
قوله فلثقيف وقوله : (أقبل من) وادي (حنين) .

قال في « العيون » عن ابن سعد : (قالوا : خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف ، وقَدَّم
خالد بن الوليد على مقدمته ، وقد كانت ثقيف رؤوا حصنهم ،
وأغلقوه عليهم ، وتهيؤوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنزل قريباً من حصن الطائف - قال الزرقاني :
ولا مثل له في حصون العرب - وعسكر هناك ، فرموا

فَسَأَلُوهُ الْكَفَّ عَنْ قَطْعِ الْكَرْمِ بِاللهِ وَالرَّحِمِ فَازْتَادُوا الْكَرْمَ

المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد^(١) ، حتى أُصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً ، فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم^(٢) ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين ، وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله ، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ، وأمر بقطع أعنابهم ونخلهم ، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً - أي : سريعاً - ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقالوا : لم تقطع أموالنا ؟ إمّا أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإمّا أن تدعها لله وللرحم ، فقال عليه الصّلاة والسّلام : « إِنِّي أدعها لله وللرحم »^(٣) ، وإليه الإشارة بقوله :

حصار ثقيف

(فسألوه الكف) أي : المنع (عن قطع الكرم) أي : العنب ، والراء في الأصل ساكنة ، وحركت بالفتح للضرورة (بالله والرحم) يتعلق بـ (سألوه)

(١) بكسر الراء وسكون الجيم ، يعني : أنّ السهام لكثرتها صارت كجماعة الجراد المنتشر .

(٢) قال في « شرح المواهب » : (وهو الذي بناه عمرو بن أميّة بن وهب مسجداً لما أسلمت ثقيف ، وكان فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض - أي : صوت - أكثر من عشر مرات ، وكانوا يرون أنّ ذلك نبيح) اهـ

(٣) لأنّ أمه عليه الصّلاة والسّلام آمنة ، أمها برة بنت عبد العزى بن قصي ، وأم برة هذه أم حبيب بنت أسعد ، وأمها برة بنت عوف ، وأمها قلابة بنت الحارث ، وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف ، كما قاله ابن قتيبة .

فَهَابَهُ وَالْمَنْجَنِيْقَ ضَرْبَا وَسُئِلَ الدُّعَا عَلَيْهِمْ فَأَبَى

(فارتادوا) أي : فطلبوا من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(الكرم) الذي هو ضد اللؤم ، يقال : ارتاد الكلاء : طلبه ،
فلا إبطاء .

اعتراض على تسمية
العنب كرمًا والجواب
عليه

فإن قيل : قد سُمي الناضم العنب كرمًا ، وقد نهى عنه في
قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا تسموا العنب الكرم » أخرجه
الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ؟

قلت : النهي محمول على التنزيه ، وعلة النهي : كونه
يتخذ منه الخمر ، ولأنَّ فيها تقريراً لما كانوا يتوهمونه من
تكريم شاربها .

(فهابه) أي : هاب الله تعالى لما سأله به ، وقال :
« أدعها لله وللرحم » وكفَّ عزَّ وجلَّ .

ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق :

(والمنجنيق) بفتح الميم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة
- قال في شرح المواهب : (مؤنث عند الأكثر ، ويذكر ،
معرب ، والميم أصلية عند سيويه والنون زائدة ، ولذا أسقطت
في الجمع ، قال كراع : كل كلمة فيها جيم وقاف أو جيم
وكاف مثل كيلجة . . فهي أعجمية ، ذكره في « الروض ») اهـ
وهو بالنصب على حذف الخافض ؛ أي : وبالمنجنيق
(ضربا) عليه الصَّلَاة والسَّلَام ثقيفاً ، وهو أول منجنيق رمى به
في الإسلام ، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من

أول منجنيق رمى به
في الإسلام

.....

سرية ذي الكفين^(١) ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتل من المسلمين
اثنا عشر رجلاً .

إباء الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء على ثقيف :

(و) لَمَّا أَحْرَقْتَهُمْ نَبَالَ ثَقِيف (سئل) أي : سأل الصحابة
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (الدعاء عليهم) فقالوا :
يا رسول الله ؛ ادع على ثقيف ، (فأبى) عليه الصَّلَاة
والسَّلَام ؛ لعظيم حلمه ، وكريم أخلاقه ، ولنظرة السامي أن
يخرج الله من أصلابهم من يؤمنون بالله عزَّ وجلَّ ، ورجاء أن
يهدبهم الله للدخول في حظيرة الإسلام ، ومن ثمَّ لَمَّا سئل
ذلك .. أبى ، وقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « اللَّهُمَّ ؛ اهد
ثقيفاً ، واثبت بهم مسلمين » .

ومن ألقى نظرة إلى سوء ما عاملت به ثقيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأنهم آذوه أشد الأذى يوم أتاهم للدعوة
إلى دين الله ، وإلى ما يقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام في شأنهم في
هذا اليوم يرى سمو أخلاقه ، وكرم نفسه الشريفة ؛ فقد قالت
عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ؛ هل مرَّ عليك يوم كان
أشد عليك من يوم أُحُد ؟ فقال : « ما لقيت من قومك ، وكان
أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن
عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت

سمو أخلاق النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم

أشد ما مرَّ على النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم
من الأحداث

(١) ثنية كف ، وهو صنم من خشب كان لعمر بن حممة .

.....

وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثعالب ،
 فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت ، فإذا فيها
 جبريل ، فناداني فقال : إنّ الله قد سمع قول قومك لك ،
 وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت
 فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ، ثم قال :
 يا محمّد ؛ ذلك لك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .
 فعلت ، - فقال صلى الله عليه وسلم - بل أرجو أن يخرج الله
 من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »

دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثَقِيف
 رغم إيذائهم

وقد حقق الله ما رجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 هداية ثقيف ، وقدم وفدهم على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مسلمين طائعين .

وهذا الحديث موافق لقوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ
 لَمْ يَأْمُرْ بِالْعِلَّةِ لَأَرْسَلَنَّكَ بِالْحَقِّ لَتُعْلِمِينَ ﴾ وإلى
 هذا المعنى أشار سيدي عبد العزيز الفاسي في « قرّة الأبصار »
 وأجاد بقوله :

وكان قادراً على التدمير
 لو شاء لكن جاد بالتأخير
 حتى هدى الله به من شاء
 منهم ومن أصلابهم أبناء
 ثم أعزّ دينه ونصره
 وأيد الحق به وأظهره

وَنَوْفَلُ اسْتِشَارَهُ فِي أَمْرِهِ فَقَالَ هُمْ كَثَلْبٌ فِي جُحْرِهِ

ولم يؤذن له عليه الصَّلَاة والسَّلَام في فتح الطائف ذلك العام .

(ونوفل) هو ابن معاوية الدُّؤلي ، وعُدَّ من المؤلِّفة قلوبهم

(استشاره) رسول الله صلى الله عليه وسلم (في أمره) أي :

الطائف : أيرجع عن أهله أم لا ؟ (فقال) يا رسول الله ، صلى

الله عليك وسلم (هم كثلب في جُحْره) بتقديم الجيم على

الحاء ؛ أي : ثقبه ، إن أقمت عليه . . أخذته ، وإن تركته . .

لم يضررك .

تحرير الرسول صلى الله عليه وسلم من خرج إليه مسلماً من

عبيدهم :

ثم أمر عليه الصَّلَاة والسَّلَام منادياً ينادي : « أيُّما عبد خرج

إلينا . . فهو حر » فخرج منهم بضعة عشر عبداً نزلوا ببكرة ،

منهم نفع بن الحارث المكنى بأبي بكرة ، فدفع رسول الله

صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين

يمونه ويحمله ، وأمرهم أن يقرؤهم القرآن ، ويعلموهم

السنن ، فشقَّ ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، ثمَّ لَمَّا

أسلمت ثقيف . . كلَّم أشرافهم فيهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يردوهم إلى الرق ، فقال : « أولئك عتقاء الله » .

ولمَّا قدم وفدهم ، وأسلموا . . ولى عليهم النَّبِيُّ صلى الله

عليه وسلم عثمان بن أبي العاصي ، وله المقام المحمود يوم

قبض النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ فَإِنَّهُ قام خطيباً وقال :

(يا معشر ثقيف ؛ لا تكونوا آخر العرب إسلاماً ، وأوَّلهم

ارتداداً) فلم يرتد منهم أحد .

مشاورة النَّبِيِّ صلى الله

عليه وسلم نوفل بن

معاوية في فتح الطائف

في العام نفسه

الموقف المحمود

لعثمان بن العاص رضي

الله عنه

.....

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحيل إذ لم يؤذن له في الفتح
هذا العام :

وأمر عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب ، فأذن في الناس
بالرحيل ، فضجَّ الناس من ذلك ، فقالوا : نرحل ولم يفتح علينا
الطائف ؟! فقال عليه الصلاة والسلام : « فاغدوا على القتال »
فغدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال عليه الصلاة
والسلام : « إنا قافلون إن شاء الله تعالى » فسروا بذلك وأذعنوا ،
وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك .

مظاهر رفق النبي
صلى الله عليه وسلم
بأصحابه

قال النووي : (قصد النبي صلى الله عليه وسلم الشفقة
عليهم ، والرفق بهم ، وبالرحيل عن الطائف ؛ لصعوبة أمره ،
وشدة الكفار الذين هم فيه ، وتقويهم بحصنهم ، مع
أنه صلى الله عليه وسلم علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا
مشقة ، فلمَّا حرص الصحابة على المقام والجهاد . . أقام ، وجدَّ
في القتال ، فلمَّا أصابتهم الجراح . . رجع إلى ما كان قصده أوَّلاً
من الرفق بهم ، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ،
ووافقوا على الرحيل ، فضحك صلى الله عليه وسلم تعجباً من
تغير رأيهم ، ولمَّا أرادوا أن يرتحلوا . . قال صلى الله عليه وسلم
لأصحابه : « قولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر
عبده ، وهزم الأحزاب وحده » فلمَّا ارتحلوا . . قال : « قولوا :
« آيُّون ، تائبون ، عابدون ، لربِّنا حامدون » » .



.....

عمرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة :

وهنا انتهى الكلام على غزوة الطائف ، وبعدها رجع عليه
الصَّلَاة والسَّلَام إلى الجعرانة ؛ لقسم الأموال والسبايا .

قال في « الإمتاع » : (وأقام عليه الصَّلَاة والسَّلَام
بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة
بقيت من ذي القعدة ، وأحرم - أي : بالعمرة - ولمَّا كملها . .
عاد إلى الجعرانة من ليلته ، فكان كبائت بها ، ثمَّ خرج يوم
الخميس على سرف إلى مرَّ الظهران ، واستعمل على مكة عتاب
ابن أسيد ، وقال له : « أتدري على من استعملتك ؟ » قال :
الله ورسوله أعلم ، قال : « استعملتك على أهل الله » ثمَّ وصل
إلى المدينة المنورة مظفراً منصوراً يوم الجمعة لثلاث بقين من
ذي القعدة من السنة الثامنة ، والمدينة في تلهف وتشوق ،
واستطلاع لأنواره المحمّدية ، عليه أفضل الصَّلَاة وأزكى
التحية) .

عتاب بن أسيد أمير
مكة

أهل مكة أهل الله عزَّ
وجلَّ

وفي السنة التاسعة خرج لغزو الروم بتبوك .

(٣٠) غزوة تبوك

تبوك : بفتح الفوقية ، وضم الباء الموحدة ، اسم
لا ينصرف ؛ للعلمية والتأنيث المعنوي : لموضع بينه وبين
المدينة المنورة من جهة الشام أربعَ عشرةَ مرحلة على الإبل

موقعها

ثُمَّ لِرُومٍ بَتَبُوكَ أُسْتَنْفَرَا (لَامٌ) أَلُوفٍ عَامٍ عُشْرِ أُعْتَرَى

المثقلة ، وبالسيرة نحو أربع أيام ؛ لأنَّ الطريق غير معبد اليوم ، وتسمى غزوة العسرة ، وقد عبد بعد ذلك ، فله الحمد والمنَّة ، فالمسافة إنما هي ساعات قلائل .

وكانت يوم الخميس في غرة رجب سنة تسع من الهجرة ، تاريخها قال في « المواهب » : (بلا خلاف ، وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم ، غزاها في حرٍّ شديد ، وجذب كثير ؛ لذلك لم يورَّ عنها كعاداته في سائر الغزوات ، قال كعب بن مالك ، كما في الصحيح : لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلاَّ ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ؛ غزاها في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، وغزا عدواً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أهبة غزوتهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد) .

ولذلك يشير الناظم مبيناً وجهته عليه الصَّلَاة والسَّلَام التي صرَّح بها للمسلمين ، مستنفرًا ثلاثين ألفاً من الأصحاب الكرام فقال :

(ثم) بعد فراغه عليه الصَّلَاة والسَّلَام من الطائف بنحو ستة أشهر (لروم) أي : لقتال بعض من الروم كاثنين (بتبوك) لأنَّهم لم يكونوا كلهم بها ؛ فلذلك لم يقل للروم ، ويتعلق الجار بقوله : (استنفر) أي : طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينفر للروم هذا العدد المشار إليه بقوله : (لَامٌ أَلُوفٍ) أي : ثلاثين ألفاً ممَّن أسلم من العرب والمهاجرين والأنصار ،

وَمَعَهُمْ لِحَرْبِهِ أَلْبَ لَهُ غَسَّانُ لَخْمٌ وَجُذَامٌ عَامِلَةٌ

والخيل عشرة آلاف فرس ، قال في « شرح المواهب » :
(وهذا أقل ما قيل في الجيش)

(عام عسر) أي : شدة وضيق (اعترى) أي : طرأ على
المسلمين في الماء ، وفي الظَّهر ، وفي النفقة ، وحين طابت
الثمار ، والمسلمون يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ؛
فلذلك سميت : (غزوة العُسرة) .

سبب هذه الغزوة :

وسببها - كما قاله ابن سعد في « طبقاته » : (أنه بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الروم قد جمعت جموعاً
كثيرة بالشام ، وأنَّ هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلب معهم
لخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وغيرهم من مُتَنَصِّرة
العرب ، وقَدِّموا مقدماتهم إلى البلقاء ، فندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج ، وأعلمهم بالمكان
الذي يقصده ؛ ليتأهبوا له) .

وأشار الناظم إلى من انضمَّ من القبائل هناك إلى صفوف
الروم بقوله :

(ومعهم) أي : ومع الروم (لحربه) صلى الله عليه وسلم
(ألب) بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة ؛ أي : جمع
(له) أي : لحربه وقتاله ، فهو بدل من قوله : (لحربه)
(غسان) بفتح الغين المعجمة ، وتشديد السين ، و(لخم)
بسكون الخاء المعجمة (وجذام) و(عاملة) والأربعة قبائل من
ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وَحَضُّ الْأَغْنِيَا عَلَى الْحُمْلَانِ وَنَكَصُوا دُونَ مَدَى عُثْمَانَ

حث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْنِيَاءَ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ :

(و) لَمَّا جَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرِهِ ، وَالسَّيْرَ إِلَى تَبُوكَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجَهَازِ (حَضُّ) أَي : حَثَّ أَصْحَابَهُ (الْأَغْنِيَا عَلَى) النِّفْقَةِ ، وَ (الْحُمْلَانِ) بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْمِيمِ ؛ أَي : عَلَى حَمْلَانِ الْفُقَرَاءِ ، بِأَنْ يُعْطُوهُمْ الشَّيْءَ الَّذِي يَرْكَبُونَ عَلَيْهِ ، وَيَحْمِلُوهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَجَابُوا . قَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » عَنْ الْوَاقِدِيِّ : (وَجَاوُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَالِهِ كُلِّهِ ، أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا ؟ » قَالَ : أَبْقَيْتَ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ ، فَسَأَلَهُ : « هَلْ أَبْقَيْتَ لَهُمُ شَيْئًا ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، نِصْفَ مَالِي ، وَحَمَلَ الْعَبَّاسُ ، وَطَلْحَةُ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِمِائَتِي أُوقِيَّةٍ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَصَدَّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيَّ بِسَبْعِينَ وَسَقًّا مِنْ تَمَرٍ) اهـ

تجهيز عثمان ثلث الجيش :

(و) مع ذلك (نكصوا) وتأخروا (دون مدى) أي : غاية سيدنا (عثمان) بالكسر للضرورة ؛ فَإِنَّهُ جَهَّزَ ثَلَاثَ الْجَيْشِ ، حَتَّى كَانَ يُقَالُ : مَا بَقِيََتْ لَهُمْ حَاجَةٌ ، حَتَّى كَفَاهُمْ

.....
شنق^(١) أسقيتهم .

قال ابن إسحاق : (أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها) .

قال ابن هشام : (حدّثني من أتق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللّهُمَّ ؛ ارض عن عثمان ؛ فإنّي عنه راضٍ ») اهـ

وروى عبد الرّحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه بألف دينار في كفه حين جُهِز جيش العسرة ، فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول : « ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم » قالها مراراً . رواه الترمذيّ .

قال سيدي أبو عبد الله محمّد بن سعيد في « أم القرى » :

وابن عفان ذي الأيادي التي طا

ل إلى المصطفى بها الإسداء

حفر البئر جهز الجيش أهدي الـ

هدي لما أن صده الأعداء

(١) شنق القرية يشنقها شنقاً : إذا وكأها ثم ربط طرف وكائها بيديها . اهـ « قاموس »

(٢) أي : غير الإبل والزاد وما يتعلق بذلك ؛ فقد تصدق بمئتي بعير بأقتابها وأحلاسها ومئتي أوقية .

عَلَى بَعِيرٍ عَشْرَةٌ تَعْتَقِبُ وَعَزَّ مَطْعَمٌ وَعَزَّ مَشْرَبٌ
يَقْتَسِمُ النَّفْرُ تَمْرَةً وَمِنْ فَرْتِ الْأَبَاعِرِ شَرَابٌ قَدْ يَعْنُ

عُسرة المجاهدين :

(على بعير) واحد يتعلق بقوله : (تعتقب) أي (عشرة)
من الرجال (تعتقب) على بعير ؛ أي : يركب واحد ساعة ،
وينزل فيركب الآخر ، وهو يشمل الجمل والناقة ، كالإنسان
للرجل والمرأة (وعزَّ) أي : قل (مَطْعَمٌ ، وعزَّ مَشْرَبٌ) وكان
زادهم التمر والشعير .

(يقتسم النفـر) بفتح النون المشددة والفاء : الرجال من
الثلاثة إلى العشرة (تمرة) واحدة (ومن فرت) بوزن فلس ،
مضاف إلى (الأباعر) وهو في الأصل السَّرجين في الكرش ،
والمراد ما في الكرش من الماء (شرابٌ قد يعن) لهم ؛ أي :
يعرض ، ومن هنا سميت بغزوة العُسرة .

حث النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم المياسير
على إعانة المعاسير

وَحَثَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْمِيَّاسِيرَ عَلَى إِعَانَةِ الْمَعَاسِيرِ ،
ويشير بهذا إلى ما رواه الحاكم في « مستدركه » بسند صحيح
على شرط الشيخين : (أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ :
حَدَّثَنَا عَنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ : خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي
قَيْظٍ شَدِيدٍ ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ ، حَتَّى ظَنَنَّا رِقَابَنَا
سَتَنْقَطِعُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعَصِرُ فَرْثَهُ فَيُشْرِبُهُ ، ثُمَّ
يَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَدَكَ فِي الدَّعَاءِ خَيْرًا ، فَادْعِ اللَّهَ ،

دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم أن يغاث
المسلمون

قال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع يديه ، فلم يرجعهما
حتى خالت السماء فأظلت ، ثم سكبت فملئوا ما معهم ، ثمَّ
ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر) اهـ

وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم في استجابة
الدعاء ، وفيه منقبة ظاهرة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ؛ حيث
أشار على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بذلك ،
واستشاره صلى الله عليه وسلم .

مقدار ما بلغ بالمسلمين
من الشدة

قال في « شرح بهجة المحافل » عن البغوي : (كان زادهم
التمر المسوس^(١) ، والشعير المتغير ، وكان النفر منهم
يخرجون ما معهم إلا التمرات بينهم ، فإذا بلغ الجوع
أحدهم .. أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ، ثمَّ يعطيها
صاحبه فيمصُّها فيشرب عليها جرعة ماء كذلك ، حتى تأتي على
آخرهم ، فلا يبقى من التمرة إلا النواة) .

البكاؤون للتخلف عن الجهاد :

ثمَّ إِنَّ رجلاً من خيار المسلمين لمَّا سمعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستنفر المسلمين للغزو .. جاؤوا
يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهم ذو
حاجة ، ولا يحب التخلف عن مشهد خرج له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « لا أجد

(١) أي : الذي أصابه السوس ؛ لأنَّه من التمر الذي كاد أن يمر عليه الحول ، أمَّا
الجديد .. فإنَّ الثمار على رؤوس النخل الزهو والرطب ولمَّا يك تمر بعد .

وَقَعَدَ الْبَاكُونَ وَالْمُعَذِّرُونَ وَعَسَكَرَتْ فَرَبَّتِ الْمُنَافِقُونَ

ما أحملكم عليه « فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع ؛ حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

أسماء الصحابة الذين
لم تكن لهم قدرة على
الخروج لنقص المؤونة

(وقعد) عن الخروج مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ (الباكون) لعدم قدرتهم على الخروج ، ولم يجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يحملهم عليه ، وهم : سالم بن عُمير ، وعُلبَة بن زيد ، وعبد الرَّحْمَنِ بن كعب الأوسِي المازنِي ، والعِرْبَاض بن سارية السلمي ، وهرمي بن عبد الله الواقفي ، وعمرو بن عَنَمَة الأنصاري ، وعبد الله بن مغفَل المزني ، وعبد الله بن عمرو المزني ، وعمرو بن الحُمَام بن الجموح ، أخو عمير المستشهد ببدر من بني سلمة ، ومعقل بن يَسَار المزني ، وحرَمِيّ بن مازن ، والنعمان بن مقرّن ، وسُوَيْد بن مقرّن ، ومعقل بن مقرن ، وعقيل بن مقرن ، وسانن بن مقرن ، وعبد الرَّحْمَنِ بن مقرن ، وعبد الله بن مقرن^(١) .

(١) هؤلاء السبعة بنو مقرن ممّن هاجر إلى المدينة وصحب ، وأمرهم الأمراء ، وفتحوا الفتوحات ، ولا نعرف سبعة إخوة هاجروا إلى المدينة غيرهم .

بيوت الإيمان وبيوت
النفاق

قال ابن مسعود رضي الله عنه : إِنََّّ لِلنِّفَاقِ بَيُوتًا ، وَلِلْإِيمَانِ بَيُوتًا ، وَإِنْ بَيْتَ بَنِي مَقْرَنٍ مِنْ بَيُوتِ الْإِيمَانِ . ونظم بعضهم هؤلاء السبعة بقوله :

قد فاز بالهجرة للمدينة الإخوة السبعة من مزيته
عقيل ومعقل سنان وسويد نعيم والفارس نعمان الشهيد
سابعهم عبد الإله وهموا بنو مقرن الكرام إليهم

الآية الكريمة تصف
صدق حالهم

وهم الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا
أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْدُ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ومن هنا سموا
بالباكين والبكائين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم مرجعه من
تبوك : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا ، وَلَا قَطَعْتُمْ
وَادِيًا . . إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ » قالوا : يا رسول الله ؛ وهم
بالمدينة ؟ قال : « نعم ، حبسهم العذر » .

ذكر في « الإمتاع » : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ . . قَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَنَا فِي سَفَرِنَا هَذَا مِنْ أَجْرٍ وَحِسْبَةٍ ،
وَمِنْ بَعْدِنَا شُرَكَائُنَا فِيهِ » فقالت عائشة رضي الله عنها :
أصابكم العسر والشدة في السفر ، ومن بعدكم شركاؤكم
فيه ؟! فقال : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِأَقْوَامًا مَا سَرْنَا . . . »
الحديث ، ثُمَّ قَالَ : « أَوَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿وَمَا
كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ فنحن غزاتهم ، وهم
قعدتنا ، والذي نفسي بيده ؛ لدعائهم أنفذ في عدونا من
سلاحنا » وفي قول عائشة رضي الله عنها دعابة وإدلال واضح
يدل على ذكائها وفطنتها) .

موقف المعذَّرين والمنافقين :

(و) قعد (المعذَّرون) بشد الذال المكسورة ، جمع
معذر : من عذَّر في الأمر ، إذا قصر فيه موهماً أَنَّ له عذراً
ولا عذر له .

الآيات في وصف
المتخلفين بغير عذر

وهم كما قال ابن سعد : (اثنان وثمانون رجلاً ، استأذنوا
النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الغزو ، وتعللوا
بالجهد وكثرة العيال ، فأذن لهم في التخلف ، ولكن لم يقبل
عذرهم لكذبهم ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ثم نزل فيهم : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُتَعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ
وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر ؛ جراءة على الله
ورسوله ، وقد عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال العلامة الشهيلي : (وأهل التفسير يقولون : إن آخر
» براءة « نزل قبل أولها ، وإن أول ما نزل منها : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا ﴾) .

(وعسكرت) أي : اجتمعت المنافقون ، (فربت)
بتشديد الباء ؛ أي : أقامت (المنافقون) مع رئيسهم
عبد الله بن أبي وحلفائه من اليهود على ثنية الوداع ، وكان عليه
الصلاة والسلام ضرب عسكره أيضاً على ثنية الوداع .

قال ابن إسحاق : (وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة
عسكره أسفل منه نحو ذباب^(١) ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل

(١) جبل بالمدينة أمام باب الشامي .

وَقَعَدَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ تَابَ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا يَقِينًا

العسكريين - أي عدداً - فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين) .

استخلاف علي رضي
الله عنه على المدينة

قال ابن هشام : (واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وعلى عياله علي بن أبي طالب) كما في « الصحيحين » ورجحه جهابذة الحفاظ ، ومنهم ابن عبد البر ، وناهيك به كما سيأتي .

فتحصل : أنَّ الذين قعدوا عن الخروج للغزو ما بين مؤمن
رسخ الإيمان في قرارة قلبه ، باك لعدم الحملان ، ومنافق
متثاقل ملتمس للأعذار ، ومنافق لم يأت أصلاً وكذب الله
ورسوله ، ومنافق أظهر الخروج ثمَّ نكص على عقبيه ، فدخل
المدينة ، وهناك فريق ثالث من المسلمين ليس إيمانهم بأقل من
الرغيل الأول ، ولكن أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى تخلفوا عنه ولا شك ولا نفاق لديهم ، وهم
كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

تصنيف الذين قعدوا
عن الخروج للغزو

الثلاثة المؤمنون المتخلفون :

وإليهم الإشارة بقول الناظم : (وقعد الثلاثة الذين تاب
عليهم ربنا) توبة (يقيناً) نزل بها الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى عطفاً على قوله : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾
الآية : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ أي : عن التوبة ، لا عن
الغزو ؛ لما سيأتي ، وهم :

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ مُرَارَةُ الرَّبِيعِ وَأَبْنُ أُمَيَّةٍ هِلَالُ الرَّفِيعِ

(كعب بن مالك) الأنصاري السَّلَمي و (مُرَارَةُ) بن (الرَّبِيع) بضم الميم بعدها راء مخففة ، الأنصاري العَمَري ، بسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وسبب تخلفه : أَنَّهُ كَانَ لَهُ حَائِطٌ زَهَا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : قَدْ غَزَوْتُ قَبْلَهَا ، فَلَوْ أَقَمْتُ عَامِي هَذَا ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ ذَنْبَهُ . . قَالَ : اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهِ فِي سَبِيلِكَ (وابن أُمَيَّة) وهو (هلال الرفيع) الدرجة ، وكلهم كذلك ، وهلال ينسب إلى بني واقف ، فهو واقفي ، وقد جمعهم مع آبائهم القائل :

أَسْمَا الَّذِينَ خَلَفُوا عَنِ الرَّسُولِ

في (مَكَّة) نَظَمَهَا بَعْضُ الْفُحُولِ

مُرَارَةُ ، كَعْبٌ ، هِلَالٌ ، وَأَسْمَا

آبَائِهِمْ فِي (عَكَّة) خَذَ بِالْقَبُولِ

قَالَ فِي « شَرْحِ الْمَوَاهِبِ » : (ذَكَرَ فِي مَرْسَلِ الْحَسَنِ : أَنَّ سَبَبَ تَخْلُفِهِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَهْلٌ تَفَرَّقُوا ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا ، فَقَالَ : لَوْ أَقَمْتُ هَذَا الْعَامَ عِنْدَهُمْ ، فَلَمَّا تَذَكَّرَ . . قَالَ : اللَّهُمَّ ؛ لَكَ عَلَيَّ أَلَّا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ) .

حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

وحديث هؤلاء السادة في تخلفهم ومعاملتهم الحق تعالى بالصدق ، والرجوع إليه في « صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري » وهو ما رواه من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بْنَ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ

كعب من بنيه حين عمي ، قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها .

تصريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم
بوجهته

كان من خبري : أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً^(١) ، وعدواً كثيراً ، فجلى^(٢) للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفي أمره ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل .

(١) بفتح الميم ؛ أي : فلاة لا ماء فيها .

(٢) فجلى - بتشديد اللام وتخفيفها - أي : أوضح وكشف لهم الأمر .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت أعدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتدَّ بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثمَّ ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهَّز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثمَّ غدوت ، ثمَّ رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفرطت الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم يُقدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم . . أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممَّن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « ما فعل كعب ؟ » فقال رجل من بني سلمة ، وهو عبد الله بن أنيس السلمي : يا رسول الله ؛ حبسه بُرداه ونظره في عِطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ؛ ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أصناف المتخلفين عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

سؤال النَّبيِّ صلى الله
عليه وسلم عن كعب
ابن مالك

خَيْرَةُ كعب بن مالك
رضي الله عنه في تبريره
تخلفه

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنَّه توجه قافلاً . . حضرني همي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ،

فلَمَّا قيل : إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَظْلَمَ قَادِمًا . .
 زاح عني الباطل ، وعرفت أَنِّي لن أخرج منه أَبدًا بشيء فيه
 كذب ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قادمًا ، وكان إذا قدم من السفر . . بدأ بالمسجد ، فيركع
 فيه ركعتين ، ثُمَّ جلس للناس : فلَمَّا فعل ذلك . . جاءه
 المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه - صلوات الله وسلامه عليه -
 ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وبإيعهم ، واستغفر
 لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، فجئته ، فلَمَّا سَلَّمْتُ عليه . .
 تبَسَّم تبَسُّم المغضَّب ، ثُمَّ قال : « تعال » فجئت أمشي حتى
 جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلُفك ؟ ألم تكن قد ابتعت
 ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إِنِّي والله لو جلستُ عند غيرك من
 أهل الدنيا . . لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعْطِيت
 جَدَلًا ، ولكني والله لقد علمت لئن حَدَّثْتُك اليوم حديث كذب
 ترضى به عني . . ليوشكنَّ الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حَدَّثْتُك
 حديث صدق تجد عليَّ فيه . . إِنِّي لأرجو فيه عفو الله ، لا والله
 ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين
 تخَلَّفْتُ عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا
 هذا . . فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » فقامت .

عدد المتخلفين عن
 رسول الله صَلَّى اللهُ
 عليه وَسَلَّمَ

كعب بن مالك رضي
 الله عنه وحديثه
 الصادق مع رسول الله
 صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ

وثار رجال من بني سَلِمة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ؛
 ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون
 اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اعتذر

عتاب رجال من بني
 سلمة لكعب على
 موقفه الصريح

المتخلفون ؛ فقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثل ما قلت ، فقليل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرِّبيع العمري ، وهلال بن أُمَيَّة الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا ، فيهما أُسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي .

وصف حال الصحابة
الثلاثة رضوان الله
عليهم الذين نُهي
المسلمون عن كلامهم

ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيَّروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي . . فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا . . فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصَّلَاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصَّلَاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه برد السَّلَام عليَّ أم لا ؟ ثمَّ أُصَلِّي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي . . أقبل إليَّ ، وإذا التفت نحوه . . أعرض عني .

محاولات كعب رضي
الله عنه أن يجد التفاتة
من النَّبيِّ صلى الله عليه
وسلم

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس . . مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي ، وأحبُّ الناس إليَّ - فسلمت عليه ، فوالله ؛ ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله : هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟

فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال : فينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلني على كعب بن مالك ، فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك عسان ، فإذا فيه : أمّا بعد : فإنه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك .

معانة كعب رضي الله عنه من مقاطعة الصحابة

عرض من ملك عسان لكعب بن مالك رضي الله عنه اللجوء إليه

فقلت : لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيمنت بها التنور ، فسجّرت به ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين . . إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحقّي بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ، قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أميّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ؛ إنّ هلال بن أميّة شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربك ، قالت : إنّ الله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميّة أن تخدمه ، فقلت : والله ؛

حرق كعب بن مالك رضي الله عنه خطاب ملك عسان

أمر الذين خلفوا رضي الله عنهم اعتزال زوجاتهم

استئذان امرأة هلال بن أميّة رضي الله عنهما في خدمته

إحجام كعب رضي الله
عنه عن استئذانه في
خدمة زوجه له رضي
الله عنهما

ذروة الضيق الذي
أُصيب به الثلاثة رضوان
الله عليهم

النداء المبشر بالفرج

انطلاق كعب رضي الله
عنه سريعاً إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم

لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدريني
ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استأذنته فيها وأنا
رجل شاب ؟

فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من
حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، فلمّا
صلّيت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، قد ضاقت
عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت . . سمعت صوت
صارخ أوفى على جبل سلّع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛
أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ،
وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا ، حين صلّى
صلاة الفجر ، فذهب الناس يشروننا ، وذهب قبل صاحبي
مبشرون ، وركض إليّ رجل فرساً ، وسعى ساع من أسلم ،
فأوفى على ذروة الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس .

فلمّا جاءني الذي سمعت صوته يبشرني . . نزعته له ثوبي
فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ،
واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة ،
يقولون : لِيَهْنِك توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت
المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله
الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهَرِّول حتى صافحني
وهنّأني ، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ،
ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلمّا سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَبْرُق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك » قال : قلت : أَمِنَ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا ، بل من عند الله » .

تهنئة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعباً رضي الله عنه بقبول توبته

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ . استنار وجهه كأنّه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلمّا جلست بين يديه . . قلت : يا رسول الله : إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعضَ مالك . . فهو خير لك ، قلت : فإنِّي أمسك سهمي الذي بخير ، فقلت : يا رسول الله ؛ إنَّ الله إنَّمَا نَجَّاني بالصدق ، وإنَّ من توبتي أن لا أُحدِّث إلاَّ صدقاً ما بقيت ، فوالله ؛ ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . أحسن ممّا أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذباً ، وإنِّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام . . أعظمُ في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألاَّ أكون كذبتة ، فأهلك كما هلك الذين

مظاهر سرور النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الآيات التي نزلت في توبة الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم نتائج الصدق في تجربة كعب بن مالك رضي الله عنه

كذبوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ، فبايعهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا عَمَّنْ حلف له .

السبب في اشتداد
غضب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
المتخلفين برغم أنَّ
الجهاد فرض كفاية

قال العلامة أبو القاسم السهيلي في « الروض » : (وإنما اشتدَّ غضبه صلى الله عليه وسلم على من تخلف ، ونزل فيهم من الوعيد ما نزل ، حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الأعيان . . لكونه ^(١) في حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ؛ لأنهم خرجوا لأخذ عير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فكَذَلِكَ كان تخلفهم

(١) في الأصل و« الروض » : (لكنه) ، ولعل الصواب ما أثبت .

وَأَبَوْا خَيْمَةً وَذَرُّوا قَدْ لَحِقًا وَجَاءَ أَرْضَ الْحَجَرِ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة ؛ لأنه كالنكت لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة ، ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال) .

وذكر الحافظ وجهاً غير هذا في تغليظ الأمر على هؤلاء ، وهو أنهم تركوا الواجب بلا عذر ؛ لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ، ولحق اللوم بكل فرد فرد [أن لو تخلف] ، ونقله في « شرح المواهب » عنه ، قائلاً : فهذا وجه ثان غير الذي ذكر ؛ أي : عن ابن بطال .

قلت : ولما كان هؤلاء شاركوا المنافقين في صورة التخلف عن الغزو بلا عذر وهم برآء من النفاق . . كانت توبتهم على الحال الذي ذكر في الحديث ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويظهر قوة إيمان هؤلاء الأصحاب السادة الغر الميامين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وجمعنا بهم في مستقر رحمته ودار كرامته بمنه وفضله ، آمين .

السبب في اختلاف التعامل للمنافقين عنه مع المتخلفين

قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر في الخروج :

وأشار الناظم إلى إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسير ، ولحقهما له بعد فقال :

(وأبوا خيثمة) بالتنوين للضرورة (وذر) قد أبطأ عن السير ، ولكنهما (قد لحقا) بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك :

أَمَّا أَبُو خَيْثَمَةَ - واسمه سعد من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج - : فذكر خبره ابن إسحاق ، وهو : (أَنَّهُ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ فِي حَائِطِهِ ، قَدْ رَشَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا ، وَبَرَدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءٌ ، وَهَيَّاتَ لَهُ فِيهِ طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلَ . . قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ ، فَنْظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعْتَا لَهُ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الضَّحِّ وَالرِّيحِ وَالْحَرِّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ ، وَطَعَامٍ مَهِيئًا ، وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءُ فِي مَالِهِ مَقِيمٌ ؟ مَا هَذَا بِالنَّصْفِ ! ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَيَّأَ لِي زَادًا ، فَفَعَلْنَا ، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عَمِيرَ بْنَ وَهَبٍ الْجَمْحِيَّ فِي الطَّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَاقَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ . . قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعَمِيرِ بْنِ وَهَبٍ : إِنَّ لِي ذَنْبًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلَفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَعَلَ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ . . قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ^(١) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛

ترافق أبي خيثمة مع
عمير بن وهب رضي
الله عنهما في الطريق
إلى تبوك

قدوم أبي خيثمة
وسلامه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم

(١) لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء كما تقول : أسلم سَلَمَكَ الله . اهـ من « الروض »

هو والله أبو خيثمة ، فلمّا أناخ . . أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك يا أبا خيثمة ، ثمّ أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير) .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً :

أبو خيثمة رضي الله عنه
يذكر سبب إبطائه شعراً

ولمّا رأيت الناس في الدين نافقوا

أتيت التي كانت أعفّ وأكرما

وبايعت باليمنى يدي لمحمّد

فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما

تركتُ خصيباً في العريشِ وصِرمَةً

صفايا كراماً بُسرّها قد تحمّما

وكنْتُ إذا شكّ المنافقُ أَسْمَحَتْ

إلى الدّينِ نَفْسِي شَطْرُهُ حَيْثُ يَمّمَا

وأما أبو ذرّ - واسمه جندب بن جنادة على ما صححه السهيلي - : فسبب إبطائه أنّ بغيره كان أعجف فقال : أعلفه أياماً ، ثمّ ألحقه عليه الصّلاة والسّلام ، فعلفه أياماً ، ثمّ خرج فلم يَر به حركة ، فحمل متاعه على ظهره وسار ، وبينما يمشي أبو ذرّ . . إذ نظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ؛ إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كن أبا ذر » فلمّا تأمّله القوم . . قالوا :

سبب إبطاء أبي ذر
جندب رضي الله عنه

قدومه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وما قاله بحقه

.....
يارسول الله ، هو والله أبو ذرّ ، فقال : « رحم الله أبا ذر ؛
يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » .

تنبيه :

قال في « شرح المواهب » : (هكذا الرواية عن ابن
مسعود ، عند ابن إسحاق وأتباعه ، فما يقع في نسخ « يعيش »
بدل « يبعث » تحريف من النساخ) .

ما تضمنه حديث
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأبي ذر
رضي الله عنه من
معجزات

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره
خبره ، قال : « لقد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكل خطوة ذنباً إلى أن
لقيتني » ووضع متاعه عن ظهره ، ثم استسقى ، فأتي بإناء من
ماء فشربه .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذرّ . . . »
إلخ : معجزة إثر معجزة ؛ فقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة
والسلام ، وذلك أنّ أبا ذرّ أشار له الخليفة الثالث سيدنا عثمان
رضي الله عنه : أن لو اعتزلت الناس^(١) ؛ لأنّه كان يريد أن

(١) هذا هو الصحيح ، وسواء ممّا ينسبه بعضهم إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه من أنّه نفى أبا ذرّ
ونحو ذلك من الكلمات التي لا تليق بالأدب . . فليس لها نصيب من الصحة ، ولا مصدر
موثوق به لدى الأئمة .

قال الإمام أبو بكر بن العربي في « العواصم والقواصم » : (معنى قول عثمان لأبي ذرّ :
« لو اعتزلت . . » : أنّك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس ؛ فإنّ للخلطة شروطاً ،
وللعزلة مثلها ، ومن كان على طريقة أبي ذرّ . . فحاله يقتضي إمّا أن ينفرد بنفسه ، أو
يخالط ، ويسلم لكل أحد ما له ، ممّا ليس بحرام في الشريعة ، فخرج إلى الربذة زاهداً =

خروج أبي ذر رضي
الله عنه إلى الربرة
ووفاته بها

يَحْمَلُهُمْ مَا لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلُهُ عَمُومَ النَّاسِ ، فَخَرَجَ إِلَى الرِّبْدَةِ ،
وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ وَغَلَامُهُ ، فَأَوْصَاهُمَا إِذَا هُوَ مَاتَ : أَنْ
غَسِّلَانِي وَكَفِّنَانِي ، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَوَّلَ رَكَبٍ
يَمُرُ بِكُمْ فَقُولُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ . . فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ .

وَأَقْبَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَرَاءَ ، فَلَمْ
يَرْعُهُمْ إِلَّا وَالْجَنَازَةَ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطْوُهَا ،
وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغَلَامُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ ، فَاسْتَهَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« تَمْشِي وَحْدُكَ ، وَتَمُوتُ وَحْدُكَ ، وَتَبْعُثُ وَحْدُكَ » ثُمَّ نَزَلَ هُوَ
وَأَصْحَابُهُ فَدَفَنُوهُ ، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ بِالْحَدِيثِ .

توفي [أبو ذر] سنة (٣٢) على ما قاله ابن إسحاق .

مرور الرسول صلى الله عليه وسلم بديار ثمود ونهيه عن شرب
مائها :

وَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى
تَبُوكَ دِيَارِ ثُمُودَ . . نَزَلَ بِهَا ، وَقَالَ : « لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا
شَيْئًا ، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ،
فَفَعَلَ النَّاسُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ ، خَرَجَ أَحَدُهُمَا

خبر الصحابييين اللذين
خرجا مفتردين
وما أصابهما

= فاضلاً ، وترك حلتة فضلاً ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبي ذر أفضل ، ولا تمكن
لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها . . لهلكوا ، فسبحان مرتب المنازل !) اهـ

فَذَبَّ عَنْ مِيَاهِهِ وَأَمَرَا أَنْ لَا يَمُرَّ أَحَدٌ كَمَا يَرَى

لحاجته ، والآخر في طلب بغيره ، فصرع الأول ، واحتملت
الريح الثاني ، فطرحته بجبل طيئ ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما أخبر بذلك : « ألم أنهكم ؟ » ودعا للذي صرع
فشفي ، وأهدت طيئ الآخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

(وجاء) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل (أرض
الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهي منازل ثمود قوم
سيدنا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

(فذَبَّ) بالذال المعجمة - أي : دفع - ومنع الأصحاب
(عن) شرب (مياهه) فقال : « لا تشربوا من مائها شيئاً » لئلاً
يورثهم شربه قسوة في قلوبهم ، أو ضرراً في أبدانهم ، قال
القسطلاني في « شرح البخاري » : (زاد ابن إسحاق :
« ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه . .
فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ») .

الحكمة في نهيه صلى
الله عليه وسلم عن
انفراد الصحابة في
الخروج من ديار ثمود

نهى الرسول أصحابه عن الانفراد في السير بأرض ثمود ،
(وأمر) عليه الصلاة والسلام (أن لا يمر أحد) من الأصحاب
(كما يرى) وحده ، بل إن أراد . . فمع صاحب له ، قال في
« شرح المواهب » : (لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم ،
لعلها أن الجن لا تقدم على اثنين وقد روى الإمام مالك في
« الموطأ » مرفوعاً : « إن الشيطان يهّم بالواحد » قال الباجي :
يحتمل أن يريد أنه يهّم باغتياله والتسلط عليه ، وأنه يهّم بغيه ،
وصرفه عن الحق ، وإغرائه بالباطل) اهـ

فَعَقَّهُ الْمَخْنُوقُ فَوْقَ مَذْهَبِهِ وَمَنْ وُفِدَ طَيْئٌ أَتَتْهُ بِهِ

وأخرج أصحاب السنن بإسناد حسن - وصححه ابن خزيمة
والحاكم - مرفوعاً : « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ،
والثلاثة ركب » .

قصة الرجلين اللذين خالفا النهي :

(ف) فعل الناس ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكل إذعان وامثال ، غيرَ باحثين عن حكمة ذلك ، وإن كانت
أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله كلها عن أسرار وحكم ،
و(عَقَّه) هو ضد بره ؛ أي : خالفه (المَخْنُوقُ) أي :
المصروع (فوق) أي : على (مَذْهَبُهُ) بفتح الميم والهاء ،
وهو الموضع الذي يتغَوَّط فيه ، وقد شفاه الله تعالى ببركة دعاء
الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذهب عنه الصَّرْع (و) عقه
(مَنْ) أي : الرجل الذي (وفود طَيْئٌ) لما وفدوا على
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة (أَتَتْهُ بِهِ) أي : بالرجل
الذي خرج في طلب بعيره ، فطرحته الريح بجبلي طيئ .

قال الحلبي في « إنسان العيون » : (لَمَّا ارتحل عليه
الصَّلَاة والسَّلَام إلى تبوك . . لا زال سائراً حتى نزل على البئر
التي كانت تشرب منها الناقة ، وأخبرهم صلى الله عليه وسلم
أنَّها تهب عليهم الليلة ريح شديدة ؛ أي : وقال : « من كان له
بعير . . فليشدَّ عقاله ») ونهى الناس في تلك الليلة عن أن
يخرج واحد منهم وحده ، فخرج شخص وحده لحاجته
فخُفِقَ ، وخرج آخر وحده في طلب بعير له ، فاحتلمته الريح ،

وصول رسول الله صلى
الله عليه وسلم البئر التي
كانت تشرب منها ناقة
صالح عليه الصَّلَاة
والسَّلَام

حتى ألقته بجبلي طيئ ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلاّ ومعه صاحبه » ثمّ دعا للذي خُنق فشفي ، وأمّا الذي ألقته الريح بجبلي طيئ فأرسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

تَنْبِيْهَان

الأوّل : علم من التقرير أنّه صلى الله عليه وسلم نزل ديار ثمود ، وعليه ترجم الإمام البخاريّ في « جامعه » فقال : (نزول النّبّي صلى الله عليه وسلم الحجر) وأخرج في أحاديث الأنبياء حديث ابن عمر : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا نزل الحجر في غزوة تبوك . . أمرهم ألاّ يشربوا من بئرها ، ولا يستقوا منها . .) الحديث .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : (أنّ الناس نزلوا معه صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر ، فاستقوا من بئرها . .) الحديث .

توفيق الشارح رحمه
الله بين بعض
الروايات

قلت : فهذا تصريح من ابن عمر بالنزول ، ولذلك حملت كلام الناظم عليه ، وأمّا ما رواه البخاري عقب الترجمة عن ابن عمر : (لمّا مر صلى الله عليه وسلم بالحجر . . قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، إلّا أن تكونوا باكين » ثمّ قنّع رأسه ، وأسرع السير حتى جاوز الوادي) . . فليس فيه التصريح بعدم النزول فيه ،

فَأَصْبَحَ النَّاسُ وَلَا مَاءَ لَهُمْ فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً تَأْتُمُّ

فَلْيُحْمَلَ الْمُرُورَ عَلَى كَوْنِهِ بَعْدَ النَّزُولِ ، وَقَوْلُهُ ذَلِكَ لَهُمْ .

الثَّانِي : مَا ذَكَرَهُ النَّازِمُ مِنْ حَدِيثِ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالْحِجْرِ هُوَ مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، وَهُوَ لَا يَنَافِي حَدِيثَ أَبِي حُمَيْدٍ فِي « الصَّحِيحِينَ » : (انْطَلَقْنَا حَتَّى قَدَمْنَا بَتُوكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَتَهَبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، فَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُشَدِّ عَقَالَهُ » فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَبِئٍ) لِأَنَّهُ يَحْتَمَلُ أَنَّهُمَا قِصَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا بِالْحِجْرِ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْيَعْمُرِيُّ تَبَعاً لِابْنِ إِسْحَاقَ ، وَالثَّانِيَةُ بَتُوكَ ، وَهِيَ الَّتِي فِي « الصَّحِيحِينَ » .

وَيُؤَيِّدُ التَّعَدُّدَ أَنَّ فِي الْأَوَّلَى رَجُلَيْنِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ رَجُلًا ، وَتَحْتَمِلُ الْإِتِّحَادَ ، وَأَنَّ قِصَّةَ الَّذِي خَرَجَ لِحَاجَتِهِ كَانَتْ بِالْحِجْرِ ، وَالَّذِي أَلْقَتْهُ الرِّيحُ كَانَتْ بَتُوكَ ، فَجُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ فِي مَرْسَلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ .

آيَةٌ وَقَعَتْ بِالْحِجْرِ اسْتِجَابَةً لِدَعَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثُمَّ أَشَارَ النَّازِمُ إِلَى آيَةٍ وَقَعَتْ وَهُمْ فِي الْحِجْرِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا ، ازْدَادَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ ، وَزَادَ بِهَا الْمُنَافِقُونَ نِفَاقًا فَقَالَ :

(ف) بَيْنَمَا الْقَوْمُ بِالْحِجْرِ إِذْ (أَصْبَحَ النَّاسُ وَ) الْحَالُ أَنَّهُ (لَا مَاءَ لَهُمْ) ، فَشَكَّوْا حَالَهُمْ تِلْكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

.....

وسلم ، فدعا (فأرسل الله) بفضله (سحابة) غزيرة بالماء
(تَوْم) أي : تقصدهم ، حتى شربوا وحملوا ما أرادوا .

قال ابن إسحاق مفرَّعاً على مرورهم بالحِجْر : (فلمَّا
أصبح الناس ولا ماء معهم . . شكوا ذلك له صلى الله عليه
وسلم ، فدعا ، فأرسل الله سحابة ، فأمطرت حتى ارتوى
الناس ، وحملوا حاجتهم من الماء) .

وقال أيضاً : حدَّثني عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد ،
عن رجال من بني عبد الأشهل قال : (كان رجل معروف نفاقه
يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما سار ، فلمَّا كان
من أمر الحِجْر ما كان ، ودعا صلى الله عليه وسلم فأرسل الله
السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس . . أقبلنا عليه نقول :
ويحك ! هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة) اهـ

وقال في « شرح المواهب » : (روى الإمام أحمد ، وابنا
خزيمة وجبَّان ، والحاكم ، عن عمر قال : خرجنا إلى تبوك في
يوم قَيْظٍ شديد ، فنزلنا منزلاً ، وأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا
أنَّ رقابنا ستنتقطع ، حتى إنَّ كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل ،
فلا يرجع حتى يظن أنَّ رقبته ستنتقطع ، حتى إنَّ كان الرجل
لينحر بغيره ، فيعصر فرثه ، فيشربه ، ويجعل ما بقي على
كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ إِنَّ الله قد عودك في
الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، قال : « أتحب ذلك ؟ » قال :
نعم ، فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء

فأظلت ، ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر) .

قال العبد الضعيف : فهذا يؤيد ظاهر النظم ، أن هذه الآية كانت بالحجر ، وأما ما رواه ابن أبي حاتم . عن أبي هريرة قال : (نزلت هذه الآية في غزوة تبوك ، ونزلوا بالحجر ، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يحملوا من مائها شيئاً ، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء ، فشكوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فقام فصلّى ركعتين ، ثم دعا ، فأرسل الله سبحانه وأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال أنصاري لآخر من قومه يُتهم بالنفاق : ويحك ! قد ترى ما دعا صلى الله عليه وسلم حتى أمطر الله علينا السماء ، فقال : إنما مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فأنزل الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ . . . فيمكن الجمع بأن قول الناظم : (فأصبح الناس) أي : بعد أن ساروا ونزلوا منزلاً بعد الحجر ، وكذا قول ابن إسحاق يُحمل عليه ، وأنه لما طلب منه أبو بكر الدعاء . . . صلى ثم مدّ يديه ودعا ، والله أعلم .

هذا وقد ورد من الأحاديث والأخبار الثابتة في استسقاء النبي صلى الله عليه وسلم ربّه لأُمته ، ومسارعة تعالى له في استجابة ما طلب لما دهمتهم الخطوب والنوائب ، ونزل بهم ما لا يطيقون من الفزع والشكوى الشيء الكثير ، فمن ذلك ما رواه الإمام البيهقي في « دلائل النبوة » عن أنس رضي الله عنه : أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

استسقاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ربه لأُمته

يا رسول الله ؛ أتيناك وما لنا بغير يئط ، ولا صبي يغط ، ثمّ
أنشد :

أتيناك والعذراء يدمي لبانها
وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى استكانة
من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامي والعلhez الفسل
وليس لنا إلّا إليك فرارنا

وأين فرار الناس إلّا إلى الرسل
فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال :
« اللَّهُمَّ ؛ اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريعاً ، غدقاً ، طبقاً ، نافعاً ، غير
ضار ، عاجلاً غير راث ، تملأ به الضرع ، وتنبث به الزرع ،
وتحيي به الأرض بعد موتها » قال : فما ردّ النبيّ صلى الله عليه
وسلم يديه حتى ألقت السماء بأرواقها ، وجاء الناس
يضجون : الغرق الغرق ، فقال صلى الله عليه وسلم :
« حوالينا ولا علينا » فانجاب السحاب عن المدينة ، وضحك
النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثمّ قال : (« لله
در أبي طالب ، لو كان حياً.. لقرّت عيناه ، من ينشدنا
قوله ؟ ») فقال علي رضي الله عنه : كأنك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

استسقاء النبيّ صلى
الله عليه وسلّم
واستجابة المولى عزّ
وجلّ لدعائه

ذكر النبيّ صلى الله
عليه وسلّم لأبي
طالب ومقاله فيه

عَلَى تَخَلُّفٍ بَطِيَّةٍ عَلِيٍّ خُصَّ بِسَهْمَيْنِ بِسَهْمِهِ أَلْعَلِي

يطوف به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « أجل » .

استخلاف علي على المدينة :

واعلم : أنَّه عليه الصَّلَاة والسَّلَام استخلف علي بن
أبي طالب على المدينة وعلى أهله ، فكان كمن حضرها ؛
فلذلك ضرب له النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسهم ، وأعطى
جبريل سهمه له ، وإلى هذا يشير الناظم بقوله :

(عَلَى تَخَلُّفٍ بَطِيَّةٍ عَلِيٍّ) على الناس وعلى عياله ، كما
رَجَّحه الزرقاني في « شرح المواهب » ونقل ذلك عن الحافظ
العراقي ، وقال : رواه عبد الرزاق في « مصنفه » بسند صحيح
عن سعد بن أبي وقاص : (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ . . استخلف على المدينة علي بن
أبي طالب) .

وروى الحاكم في « الإكليل » من مرسل عطاء أنَّه قال :
« يا علي ؛ اخلفني في أهلي ، واضرب ، وخذ ، وعظ » ثمَّ
دعا نساءه فقال : « اسمعن لعلي وأطعن » .

وأخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص قال :
(خلف صلى الله عليه وسلم علياً على أهله ، وأمره بالإقامة
فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً

له ، وتخففاً منه ، فأخذ عليّ سلاحه ، ثمّ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال : يا نبيّ الله ؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خلفتني ؛ لأنّك استثقلتني وتخففت مني ، فقال : « كذبوا ، ولكن خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي » فرجع إلى المدينة ، ومضى صلى الله عليه وسلم على سفره .

وفي « الصحيحين » من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك ، واستخلف عليّاً فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ») قال في « شرح المواهب » : (زاد أحمد : فقال عليّ : رضيت ثمّ رضيت ثمّ رضيت) فقوله : (استخلف عليّاً) ظاهر في أنّه على المدينة ، وتأيد هذا الظاهر ورود هذه اللفظة في نفس حديث سعد في « مصنّف عبد الرزاق » والروايات يفسّر بعضها بعضاً ، لا سيّما والمخرج متحد ، ومن ثمّ جزم الحافظ العراقي بعزوه لهما استخلافه على المدينة ، ورجّحه الحافظ ابن عبد البر ، وتبعه الحافظ ابن دحية ، وقطع به القسطلانيّ في « شرح البخاري » لأنّ ما في أرفع الصحيح لا معدل عنه .

وقول الناظم : (على تخلف) يتعلق بقوله : (خصّ) مبنياً للمفعول ؛ أي : خصه النبيّ صلى الله عليه وسلم على

وَسَهُمِ جَبْرِيلَ وَكَانَ حَضَرًا وَبَذَلَهُ بِهِ النَّبِيُّ أَمْرًا

تخلفه ، دون غيره ممَّن تخلف (بسهمين بسهمه العلي) لأنَّه تخلف بأمره صلى الله عليه وسلم على المدينة .

تخصيص النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً
رضي الله عنه بسهمين

(وسهم جبريلَ) عليه السَّلام (وكان) جبريل (حَضَرًا) غزوة تبوك (وبذله) بالرفع على أنَّه مبتدأ ، وقوله : (به النَّبِيُّ) بالنصب مفعول لـ (أمر) مقدم عليه ؛ أي : إعطاء السهم ؛ أي : سهم جبريل (أمر) جبريل النَّبِيُّ به لعلِّي ، فحاز عليّ رضي الله عنه السهمين : سهم على تخلفه وقيامه عنه بالمدينة على من بقي - رضي الله تعالى عنه - وسهم من جبريل .

وظهر بهذا أنَّ الأجر على قدر الاتباع وامتنال - الأمر ، كما نصَّ عليه العلامة الشيخ أحمد زروق في « قواعده » فقال : (الأجر على قدر الاتباع ، لا على قدر المشقة ؛ لفضل الإيمان ، والمعرفة والذكر والتلاوة ، على ما هو أشد منها بكثير من الحركات الجسمانية) .

الأجر على قدر الاتباع

قلت : وهذا يدل على أنَّه حصل من المسلمين قتال مع الكفار ، حتى غنموهم وقسمت السهام ، وهو مناف لما سيأتي ، فترقَّب .

جهالة الشيعة وافترائهم :

تنبيه :

لا دلالة للشيعة في التمسك بذلك الخبر ، على أنَّ علي بن

أبي طالب أحق بالخلافة من غيره من الصحابة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بين وجه الاتصال بينه وبين علي في قوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » بقوله عليه الصلاة والسلام : « إلا أنه لا نبي بعدي » أي : فالاتصال من ناحية الخلافة ، لا من ناحية النبوة .

موقف أهل السنة
والجماعة من
استخلاف علياً كرم
الله وجهه

ونحن معشر أهل السنة والجماعة نقول : إن هذه الخلافة خاصة في حياته عليه الصلاة والسلام ، كما يُستفاد من هذا الحديث ؛ فإن هارون المشبّه به ، إنما كان خليفة في حياة موسى ، ويزيد هذا تأييداً : أن هارون المشبّه به توفي « قبل موسى عليه الصلاة والسلام ، قيل : بأربعين سنة ، كما حكاها في « شرح المواهب » عن المصنف ، أو بسنة كما هو أحد قولَي البيضاوي .

حقيقة مذهب الشيعة

وليُعلم : أن مذهب الشيعة مبني على أوهام وعقائد لا تتفق مع العقائد السليمة الصحيحة ، شأن كل بدعي ، وأنشد بعض الشيعة بما يدل على خبث بواطنهم في الصحابة الكرام المعدلين من قبل الحق تعالى قبل بروزهم إلى عالم الوجود - وحقّ لهم ذلك ، فإن الوجود لم يشاهد مثلهم في جماعات الكمالات والخير ، حتى قال بعضهم : لو لم يكن لهذا النبي الكريم من الآيات على صدقه إلا أصحابه . . . لكفى ، رضي الله عنهم ، وجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته أمين - فقال :

وَقَالَ إِذْ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ مُجْرِمُهُمْ مَا قَالَ فَأَبْتَهَتْهُ

نحن أناس قد غدا شأننا
حب الصحابة بين
الشيعه وأهل السنة
والجماعة
حب علي بن أبي طالب
يلومنا الجاهل في حبه
فلعنة الله على الكاذب

وكشف عن ذلك بعض^(١) أهل السنة ، ورد عليه بقوله :
ما عيكم هذا ولكنه
بغض الذي لُقّب بالصاحب
وقولكم فيه وفي بنته
فلعنة الله على الكاذب

مقالة المنافق زيد بن اللصيت :

(و) لَمَّا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر ،
فكان ببعض الطريق (قال إذ أضلّ) فقد (راحلته) وهي
القَصْواء ، كما قاله الواقدي ، وهو بالنصب مفعول (أضل) ،
وفاعل (قال) قوله : (مجرمهم) أي : مجرم المجتمعين أو
المسلمين ، وهو زيد بن اللصيت - مصغراً - كما في
« الإصابة » وكان من المنافقين ، ويقال : ابن لصيب بالباء ،
كما قال ابن هشام (ما) أي : القول الشنيع الذي (قال)
وهو : أليس يزعم محمد أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء

ضياح القصواء ناقة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحديث
زيد بن اللصيت

(١) نسب البيتين في الجواب العلامة ابن العماد في « الشذرات » للمولى أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولود سنة (٨٩٨) والمتوفي سنة (٩٨٢) بالقسطنطينية بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

.....

وهو لا يدري أين ناقته (فابتهته) رسول الله ؛ أي : أوقعه في الحيرة ، لا يدري معها ماذا يجيب ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قال : « إِنَّ رجلاً يقول كذا وكذا - وذكر مقالته - وإنِّي والله لا أعلم إلا ما علَّمني الله ، وقد دلَّني الله عليها ، وهي في الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونني بها » فانطلقوا فجاءوا بها .

إخبار النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم عن موقع
ناقته القصواء وما هي
عليه

وذكر ابن إسحاق ذلك بتوضيح فقال : (وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له : عمارة بن حزم عَقَبِيّ ، بدريّ ، وكان في رحله زيد بن اللُّصِيت المنافق ، فرجع إلى رحله فقال : والله ؛ لعجب من شيء حدَّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل ، أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للَّذي قال زيد بن اللصيت ! فقال رجل ممَّن كان في رحل عُمارة - ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم - : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي ، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ، ويقول : إليَّ عباد الله ؛ إن في رحلي لداهيّة وما أشعر ، اخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني ، قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ، وقال بعض الناس : لم يزل متَّهماً بشر حتى هلك) اهـ .

وذكره الحافظ في « الإصابة » في القسم الأول ، وحكى الاختلاف في توبته ، والله أعلم .

المعجزات النبوية في
قصة زيد بن اللصيت

قلت : تضمنت هذه القضية آيتين من آيات النبوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

الأولى : إخباره عليه الصلاة والسلام عن مقالة ذلك
المنافق قبل أن تصل إليه .

والثانية : إخباره عليه الصلاة والسلام بأنها في المكان
الفلاني معروفاً لهم أن شجرة حبستها بزماتها ، كأنه عليه الصلاة
والسلام يشاهد ذلك ، فيخبر عنه رأي عين ، وقد وجدوها كما
أخبر ، ولا غرابة في ذلك ، فكم له من آيات تلو آيات لا يأتي
على عدّها الحصر !

الفوائد الجمّة من
تعامل الرسول صلى
الله عليه وسلم مع
الحديث الذي جرى
على لسان زيد بن
اللصيت

وفيها من الفوائد : وقوفه عليه الصلاة والسلام أمام من
أرسله وقوف الخاضع المستمطر لمزيد العلم بقوله عليه الصلاة
والسلام : « وإنّي والله لا أعلم إلا ما علّمني ربي » أي : وقد
علمه ربه تبارك وتعالى ، وهو الذي أدّبه وخلّقه بقوله تعالى :
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

وفيها : زيادة ترقيه صلى الله عليه وسلم في المعارف
والعلوم ؛ فإنه تعالى يُفيض عليه كل وقت ما لا يعلمه إلا هو
﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ *
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

وفيها : قيام أصحابه بما عرف من صدقهم له ، ونصحهم
إياه ، يعرف ذلك من إخراج عمارة زيدا من رحله لما علم

وَنَزَلَتْ يَوْمَئِذٍ فِي مَخْشَنٍ وَصَحْبِهِ ﴿كُنَّا نَخُوضُ﴾ فَأَعْتَنَ

نفاقه ؛ فَإِنَّ (من صافى عدوك فقد عاداك) :

إذا صافى صديقك من تعادي

فقد عاداك وانقطع الكلام

يعني بالصديق : الذي صداقته ممّوّهة في الظاهر كصداقة المنافقين : أمّا من صداقته حقيقة قد نزلت في الأحشاء ، ورسبت في الأعماق ، وظهرت آثارها على اللسان . . فمحال أن يصدر منه شيء من ذلك .

وفيها من الفوائد : ترقّي الصحابة رضي الله عنهم كل يوم في الإيمان والعلوم والمعارف ، بما يشاهدونه من نبيّ الرحمة ، وسيد الرسل صلى الله عليه وسلم .

قصة ودیعة بن ثابت ومخشن بن حمير :

(ونزلت يومئذ) أي : يوم تبوك والنبيّ صلى الله عليه وسلم منطلق إليها (في مخشن) ، بفتح الميم وسكون الخاء بعدها شين معجمة ، وهو ابن حُمَيْرٍ مصغراً بالثقل من أشجع (وصحبه) من المنافقين منهم وُدِيعَةُ بن ثابت (﴿ كُنَّا نَخُوضُ ﴾) الآية وهي قوله تعالى إخباراً عنهم لما سئلوا عن قولهم الباطل والكذب : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ يَأْتِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ .

تشيط المنافقين عن
مواجهة الروم

قال ابن إسحاق : (وقد كان رهط من المنافقين - منهم
وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من
أشجع حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشن بن حمير - يشيرون
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ،
فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب
بعضهم بعضاً ؟ والله ؛ لكأننا بكم غداً مُقَرَّنِينَ في الجبال ؛
إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله ؛
لوددت أنني أقاضى على أن يضرب كل منا مئة جلدة ، وإننا
ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن
ياسر : « أدرك القوم ؛ فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ،
فإن أنكروا . . فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا » فانطلق إليهم
عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على
ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها : يا رسول الله ؛ إنما كنا
نخوض ونلعب ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ وقال مخشن بن حمير :
يا رسول الله ؛ قعد بي اسمي واسم أبي .

وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية : مخشن بن حمير ،
فتسمي عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم
بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر) اهـ

تفسير ما ورد في
الحديث

وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار : « أدرك القوم ؛ فإنَّهم
قد احترقوا » أي : هلكوا بتلك المقالة ؛ شفقة منه عليهم ،
وقول مخشن : (قعد بي . . .) إلخ ، قال ذلك لمَّا تاب ،
وقال كما رواه ابن جرير الطبري في « تفسيره » : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي
أسمع آية أنا أُعْنِي بها ، تقشعرُّ منها الجلود ، وتَجِلُّ منها
القلوب ، اللَّهُمَّ ؛ فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك ، لا يقول
أحد : أنا غسلت ، أنا كفنت ، قال : فأصيب يوم اليمامة ،
فما أحد من المسلمين إلَّا وُجِدَ ، غيرَه) .

إطلاق الطائفة على
الواحد

حكم الاستهزاء بالدين

قلت : ويستفاد من الآية : إطلاقُ الطائفة على الواحد ،
كما يشير إليه كلام ابن إسحاق السابق ، وذكر الطبري ذلك في
« تفسيره » كما أنَّه يؤخذ من الآية : أنَّ الاستهزاء بالدين كيف
كان . . كفر بالله ؛ لأنَّ المعول عليه في الإيمان تعظيم أوامر الله
عزَّ وجلَّ وشرائعه ، ولا ينفع بعد ذلك القول بأنَّ هذا وقع
خوضاً في الحديث ولعباً ؛ فإنَّه عين كلام المنافقين .

ما كان بعد الوصول إلى تبوك :

وكان على الناظم أن يذكر ماذا كان لما وصلوا إلى تبوك .
وحاصل ما ذكره أرباب السير : أنَّه عليه الصَّلَاة والسَّلَام لمَّا
وصل إلى تبوك . . أتاه يُحَنَّة ، بضم التحتية وفتح المهملة وتشديد
النون ، ابن رؤبة ، بضم الراء ، صاحب أيلة ، وأهل جَرَبى ،
بجيم مفتوحة وألف مقصورة ، وأذرخ ، بهمزة مفتوحة وراء
مضمومة ، فصالحهم على الجزية ، وكتب ليحنة :

عهد الأمان من النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ليحنة بن روبة صاحب
أيلة

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذه أمانة من الله ومحمد النَّبِيِّ
رسول الله ليحنة بن روبة وأهل أيلة : سفنهم ، وسيارتهم في
البر والبحر ؛ لهم ذمة الله ، وذمة محمد النَّبِيِّ ، ومن كان معهم
من أهل الشام واليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم
حدثاً . فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طِيبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ
النَّاسِ ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءَ يَرُدُّونَهُ ، وَلَا طَرِيقاً
يَرِيدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحَرٍ . »

مدة إقامة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وَسَلَّمَ بتبوك

وأقام عليه الصَّلَاة والسَّلَام بتبوك بضع عشرة ليلة ، أو
عشرين ليلة ، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصحابه في مجاوزتها ، ولم يكن إذ ذاك وحي ، فقال عمر :
يا رسول الله ؛ إِنَّ لِلرُّومِ جَمُوعاً كَثِيراً ، وليس بها أحد من أهل
الإسلام ، وقد أفزعهم دنؤُك ، فلو رجعنا هذه السنة ، حتى
نرى أو يحدث الله أمراً . اهـ

قال في « الحلبية » : (وهذا صريح في أنَّ تبوك لم يقع
فيها مقاتلة ، ولا حصل فيها غنيمة ، خلافاً للزمخشري) .

وفاة ذي البجادين
المزني رضي الله عنه

ثمَّ أخذ راجعاً إلى المدينة ، ولمَّا كان ببعض الطريق . .
مات الصحابيُّ الجليل الشهير بذي البجادين المزنيَّ ليلاً ، قال
ابن مسعود رضي الله عنه : فرأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في حفرة ، وهو يقول لأبي بكر وعمر : « أَدِنَا إِلَيَّ أَخَاكُمَا »
فدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ ، فلمَّا هَيَّأَهُ لِشَقِّهِ قَالَ : « اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ
راضياً عنه ، فارض عنه » قال ابن مسعود رضي الله عنه حينئذٍ :
يا ليتني كنت صاحبَ الحفرة .

.....

رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عودة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم وجيشه إلى
المدينة

وكان قدومه عليه الصَّلَاة والسَّلَام المدينة قافلاً في شهر رمضان ، وبدأ بالمسجد ، فصلَّى فيه ركعتين ، كما هي عادته الشريفة ، وستَّه الحسنة المنيفة (فاعتن) أي : لتكون لك عناية بهذه المنظومة المشتملة على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي تقوي إيمانك أيُّها المؤمن ، وتزيدك في محبة الرسول الأعظم ، وتوصلك إلى القرب من جنابه الشريف وحضرته القدسية ، رزقنا الله تعالى وأحبابنا ذلك ، وسلك بنا أحسن المسالك .



خَاتَمَة

نسأل الله حسن الختام

في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم

طلعت شمس الهداية على العالم ، وشع شعاعها ، بل أشرق على الكون نورها ، بولادة سيد الوجود ، الذي هدى الله به من أتبع رضوانه سبل السلام ، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وذلك عام الفيل ، في فجر يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، لسبع خلون منه ، في بطاح مكة المشرفة بشعب بني هاشم ، مسروراً ، مختوناً ، نظيفاً ، رافعاً رأسه الشريف إلى السماء ، شاخصاً بصره إليها ، وفي ذلك الرفع إلى كل سؤدد إيماء ، وقد تلقته قابله الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ، وشفتنا بقولها الشفاء ، عليه ألف صلاة وألف سلام .

وفي السنة الرابعة من مولده صلى الله عليه وسلم : شق صدره الشريف ، عند ظئره حليلة السعدية رضي الله عنها .

وفيهما : ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وفي السنة السادسة : ماتت أمه آمنة بنت وهب ، ودفنت بالأبواء ، وتوفي أبوه عبد الله وهو حَمَلٌ بالمدينة المنورة ، ونشأ عليه الصلاة والسلام يتيماً على أحسن الأخلاق وأكملها ، ولعل السر في ذلك أن تظهر عناية الله به ، ولئلاً يكون عليه حق

تاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قابله رسول الله صلى الله عليه وسلم

شق صدره صلى الله عليه وسلم

وفاة أمه آمنة ونشأته صلى الله عليه وسلم

لسوى خالقه ، وليتجلّى فيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم :
« أدبني ربّي فأحسن تأديبي » .

وفيها : ولد عثمان رضي الله عنه .

وفي السنة السابعة : استقلَّ بكفالته جده عبد المطلب سيد
قريش .

وفي السنة الثامنة : كانت وفاة جده عبد المطلب ، وكفله
عمه أبو طالب .

وفي السنة التاسعة : سافر به عمه أبو طالب إلى بُصْرَى
- بضم الباء - من أرض الشام .

وفي السنة العاشرة : كانت حرب الفجار الأولى ، بكسر
الفاء .

وفي السنة الحادية عشرة : شق صدره الشريف للمرة
الثانية .

وفي الثانية عشرة : كانت حرب الفجار الثانية ، وسافر
به صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب إلى بُصْرَى عند الأكثر .

وفي الثالثة عشرة : وُلِدَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي الرابعة عشرة : كانت حرب الفجار الثالثة .

وفي السابعة عشرة : كان سفر عميه : الزُّبير والعبّاس ابني
عبد المطلب لليمن للتجارة ، وصحبهما النَّبيّ صلى الله عليه
وسلم .

وفي السنة الخامسة والعشرين : سافر صلى الله عليه وسلم
مع ميسرة غلام أمّنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ،

وتزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد حين خطبته لنفسها ، لَمَّا آنست نجاته وأمانته ورجحان عقله .

وفي سنة ثلاثين : ولد علي بن أبي طالب في الكعبة ، رضي الله عنه .

وفي سنة أربع وثلاثين : ولد معاوية بن أبي سفيان ، ومعاذ بن جبل ، رضي الله عنهما .

وفي سنة خمس وثلاثين : هدمت قريش الكعبة وبنتها ، وحكموه صلى الله عليه وسلم فيمن يضع الحجر الأسود محله ، فحكم فيهم بالرضا والعدل .

تحكيم قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود

وفي سنة سبع وثلاثين : كانت الإرهاصات ، وهي مقدمة النبوة ، فكان يرى الضوء والنور ، ويسمع الأصوات ، وكانت تظله الغمامة من الشمس ، ونبي وعمره أربعون سنة ، بنزول : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

إرهاصات النبوة

نبوته صلى الله عليه وسلم

وفي السنة الثالثة من النبوة : توفي ورقة بن نوفل .

وفي السنة الرابعة من النبوة : كان إظهار الدعوة إلى الله تعالى بعد أن كانت سرّاً .

وفي السنة الخامسة من النبوة : ولدت عائشة رضي الله عنها ، وكانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة .

الهجرة إلى الحبشة

وفيها : ماتت سُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، رضي الله عنهم ، وهي أوَّلُ شهيدة في الإسلام .

وأول شهيدة في الإسلام

وفي السادسة من النبوة : أسلم حمزة بن عبد المطلب ، ثمَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بثلاثة أيام بعده .

خبر الصحيفة التي
كتبت فيها مقاطعة بني
هاشم وبني المطلب

وفي السنة السَّابعة : تقاسمت قريش على معاداة بني هاشم
وبني المطلب ، ومقاطعتهم في خَيْف بني كنانة بالمحَصَّب ،
وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بجوف الكعبة ولم يحصلوا على
طائل ؛ حيث نقضت بعدُ .

وفي التَّاسعة من النبوة : كان انشقاق القمر له صلى الله
عليه وسلم ، وهي معجزة سماوية ، لم تكن لغيره من إخوانه
المرسلين .

عام الحزن

وفي السنة العاشرة : مات أبو طالب وخديجة رضي الله
عنها ، وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذا العام عام الحزن
لذلك .

وفيها : تزوج صلى الله عليه وسلم سَوْدَة بنت زمعة
رضي الله عنها ، ودخل عليها بمكة ، وعقد على عائشة
رضي الله عنها ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها إلَّا
في المدينة .

وفي السنة الحادية عشرة من النبوة : كان ابتداء إسلام
الأنصار رضي الله عنهم .

وفي السنة الثَّانية عشرة من النبوة : كان الإسراء
والمعراج ، وفرض الصلوات الخمس ، وبيعة العقبة الأولى .
وفي السنة الثَّالثة عشرة من النبوة : العقبة الثَّانية .

السنة الأولى من
الهجرة وجملة
أحداثها

وفي السنة الرَّابعة عشرة من النبوة ، وهي السنة الأولى من
الهجرة : هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وفي
صحبه أبو بكر الصَّدِّيق ، وكان الدليل عبد الله بن أُرَيْقَط .

وفيها : بناء مسجد قباء ، وبناء المسجد الأنور
ومساكنه صلى الله عليه وسلم ، والمؤاخاة بين المهاجرين
والأنصار ، واستخدام أم أنس ولدها عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعمره عشر سنين .

وفيها : جعلت صلاة الحضر أربع ركعات ، وكانت
ركعتين ، بعد مقدمه المدينة بشهر .

وفيها : صلى الجمعة ببني سالم في طريقه من قباء إلى
المدينة ، وهي أول جمعة جمعت ، وأول خطبة خطبها في
الإسلام .

وفيها : بدأ الأذان .

وفيها : أسلم عبد الله بن سلام .

وفيها : مات النقيان : أسعد بن زرارة ، والبراء بن
معور^(١) .

وفيها : بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين من المهاجرين
يعترضون غير قريش ، وبعث ابن عمه عبيدة بن الحارث
رضي الله عنه على مئتين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ،
وهو أول بعث في الإسلام .

وفي السنة الثانية من الهجرة : حولت القبلة إلى البيت
الحرام ، وذلك في النصف من شعبان .

تحويل القبلة إلى البيت
الحرام

وفيها فرض صوم رمضان .

(١) ودفنا بالبقيع وهما من الأنصار ، أمّا أول من دفن به من المهاجرين : فهو عثمان بن
مظعون ، فتنه .

وفيها : فرض زكاة الفطر ، وزكاة المال ، ومشروعية العيد .

وفي سابع عشر يوم الجمعة من رمضان : كانت غزوة بدر الكبرى .

وفيها : تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها ، وسنها خمس عشرة سنة ، وغزوة بواط والعُشيرة ، وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة ، وغزوة قرقة الكُدْر ، وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه ، وغزوة بني قينقاع ، وغزوة السويق .

أول من مات من
المهاجرين بالمدينة
ودفن بالبقيع

وفيها : موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة المنورة ، وكان ذلك بعد رجوعه من بدر ، وهو أول من دفن ببقيع الغرقد ، وقبله النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ميت بين عينيه ، وعيناه تذرفان ، ودَفِنَ إلى جنبه ولده إبراهيم ، وقال : « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » .

وفيها : وفاة رقية بنته عليه الصَّلَاة والسَّلَام ورضي الله عنها .

وفي شوال منها : دخل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة رضي الله عنها .

أوائل المولودين
للمهاجرين والأنصار

وفيها : ولد عبد الله بن الزُّبَيْر ، والنعمان بن بشير رضي الله عنهما ؛ الأول : أول مولود للمهاجرين ، والثاني : أول مولود للأنصار .

وفي السنة الثالثة من الهجرة : ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

وفي رمضان منها : دخل النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بحفصة ، ودخل بزینب بنت خزيمة العامرية الملقبة بأُم المساكين ، وعاشت عنده ثلاثة أشهر ثم توفيت .

وفيها : تزوج عثمان بن عفان أُم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيها : تحريم الخمر .

وفي شوال منها : غزوة أُحُد .

وفيها : استشهد سيدنا حمزة عم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، ورضيع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، من ثوية مولاة أبي لهب ، وغزوة حمراء الأسد . وفي ذي القعدة منها : بدر الصغرى .

وفي السنة الرَّابعة من الهجرة : بعث بئر معونة ، وقصة الرجيع .

وفي ربيع الأوَّل منها : غزوة بني النضير ، نزلوا صلحاً ، وارتحلوا إلى خيبر ، و وفاة زينب بنت خزيمة ، وولادة الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وفيها في شوال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أُم سلمة ، هند بنت أبي أمية رضي الله عنها .

وفي السنة الخامسة من الهجرة : غزوة دُومة الجندل ، وغزوة ذات الرقاع على قول ، وغزوة الخندق والأحزاب على الصحيح ، ثمَّ غزوة بني قريظة .

أول وافد مسلم إلى
المدينة المنورة

وفيها : توفي سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه ،
واهتزَّ لموته عرش الرَّحْمَن ، ووفد بلال بن الحارث المزني
فكان أول وافد مسلم إلى المدينة المنورة .

وفيها : غزوة المريسيع والمصطلق ، وقصة الإفك ،
ونزول القرآن ببراءة عائشة رضي الله عنها ، ونزول آية التيمم ،
وتزويجه بزَيْنَب بنت جحش وجويرية بنت الحارث ، ونزول آية
الحجاب ، وفك سلمان من الرق رضي الله عنه .

وفي السنة السَّادسة من الهجرة : غزوة الحديبية ، وبيعة
الرضوان ، وغزوة بني لحيان ، وغزوة الغابة ، وسرية
عكاشة ، ومحمَّد بن مسلمة ، وبعث أبي عبيدة ، وسرية
زيد بن حارثة إلى بني سليم ، وسريته إلى العيص ، وإلى وادي
القرى ، وسرية عبد الرَّحمن بن عوف إلى دومة الجندل ،
وسرية علي إلى بني سعد بن بكر ، وابن عتيك إلى ابن
أبي رافع ، وسرية عمرو بن أميَّة الضمري وسلمة بن أسلم
لقتال أبي سفيان بمكة .

وفيها : قحط الناس ، فاستسقى لهم الله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فسقوا في رمضان .

فرض شعيرة الحج

وفيها : فرض الحج على الصحيح ، كما ذكره السيد
السمهودي في « وفاء الوفاء » .

وفي السنة السَّابعة : غزوة خيبر . وفيها : تزوج صلى الله
عليه وسلم صفية ، وميمونة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان
رضي الله عنهنَّ .

وفيها : قدم مهاجرة الحبشة رضي الله عنهم .

وفيها : أسلم أبو هريرة رضي الله عنه .

وفيها : عمرة القضاء .

وفيها : غزوة وادي القرى .

وفيها : اتخذ المنبر ، وخطب عليه الصَّلَاة والسَّلَام .

استشهد الأمراء
الثلاثة

وفي السنة الثامنة من الهجرة : في أولها إسلام عمرو بن

العاصي وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم ،

وغزوة مؤتة ، وبها استشهد الأمراء الثلاثة : زيد بن حارثة ،

الذي نوه القرآن بذكره وقدره ، وجعله النبي صلى الله عليه

وسلم هو وابنه أسامة كُفئاً للقرشيات الهاشميات ، ثانيهم :

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الملقب بالطيار ، ثالثهم :

عبد الله بن رَوَاحَة الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة رضي الله

عنهم .

وفي رمضان منها : فتح مكة المشرفة ، وغزوة حنين ، ثمَّ

حصار الطائف .

وفيها : حج عتَّاب بن أسيد بالناس .

وفيها : غزوة ذات السلاسل .

وفيها : ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيها : توفيت ابنته زينب ، وهي أكبر أولاده صلى الله

ولادة إبراهيم ابن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم .

وفيها : إسلام العباس بن عبد المطلب ، وأبي سفيان بن

الحارث ، وعبد الله بن أمية المخزومي ، وإسلام أبي قحافة

والد الصديق الأكبر ، رضي الله عنهم .

وفي السنة التاسعة من الهجرة : غزوة تبوك ، وحجّ
أبو بكر بالناس .

وفيها : مات النجاشي بالحبشة في رجب منها ، وتوفيت
أم كلثوم بنته عليه الصّلاة والسّلام .

وفيها : مات رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ .

وفيها : قتل عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه ، قتله
قومه أن دعاهم إلى الإسلام ، وكان معدوداً من ذُعاة العرب .

وفيها : توفي سهيل بن بيضاء الفهريّ وصلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة .

وفيها : قتل ملك الفرس ، وولوا بُورَان ، وقال فيهم
النّبيّ صلى الله عليه وسلم : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم
امرأة » .

وفيها : قدوم الوفود على النّبيّ صلى الله عليه وسلم ،
وسمي لذلك : عام الوفود .

وفي السنة العاشرة من الهجرة : حجة الوداع ، ولم
يحجّ صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها .

وفيها : توفي إبراهيم ابنه عليه الصّلاة والسّلام من مارية
القطبية عن سنة ونصف .

وفيها : قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه ، وبعث
علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى اليمن ، وإسلام سيد
بني بجيلة جرير بن عبد الله البجليّ ، وبعثه إلى تخريب ذي
الخلصة ، وبعثه أيضاً إلى ذي الكلاع .

وفيها : بعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران .

وفيها : ظهور الأسود العنسي المدعي النبوة ، وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر كما ذكره ابن العماد في « شذراته » .

وفي السنة الحادية عشرة : قدوم وفد النخع ، وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أُبَيّ ، وقصة الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، وسجاح ، وما وقع في ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم ،

وفيها : موته ، وغسله ، وتكفينه والصلاة عليه ، ودفنه في بيت عائشة رضي الله عنها .

قال العلامة جمال الدين الأشعر في « بهجته » : (قال الإمام السهيلي : وكان موته صلى الله عليه وسلم خطباً كالحأ ، ورزءاً لأهل الإسلام فادحاً ، كادت تنهد له الجبال ، وترجف الأرض ، وتكسف النيران ؛ لانقطاع خبر السماء ، وفقد ما لا عوض منه ، مع ما آذن به موته من إقبال الفتن السُّحُم ، والحوادث الدُّهُم ، والكُرب المدلهمة ، والهزاهز المعضلة ، فلولا ما أنزل الله تعالى من السكينة على المؤمنين ، وأسرج في قلوبهم نور اليقين ، وشرح له صدورهم في فهم كتابه المبين . . لا نَقَصَمَتِ الظهور ، وضائق عن الكرب الصدور ، ولعاقهم الجزع عن تدبير الأمور ؛ فقد كان الشيطان أطلع إليهم رأسه ، ومدَّ إلى إغوائهم مطامعه ، فأوقد نار الشنآن ، ونصب راية الخلاف ، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ، ويعلي

الخطب العظيم الذي
أصاب المسلمين

كلمته ، وينجز موعوده ، فأطفأ نار الردة ، وحسم مادة
الخلاف والفتنة على يد أبي بكر ؛ ولذلك قال أبو هريرة : لولا
أبو بكر . . لهلك أمة محمد عليه السلام بعد نبينا .

لولا أبو بكر رضي الله
عنه لهلك الأمة

وقالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها : ارتدت العرب . واشراًب
النفاق .

أبو ذؤيب الهذلي
رضي الله عنه وحاله
عند سماعه موت
النبي صلى الله عليه
وسلم

روي عن ابن أبي ذؤيب الهذلي [عن أبيه أبي ذؤيب
الشاعر] قال : (بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليل ، فاستشعرت حزناً ، وبت بأطول ليلة ، لا ينجاب
ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلت أقاسي طولها ، حتى إذا
كان قرب السحر . . أغفيت ، فهتف بي هاتف ، وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالإسلام

بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا

تذري الدموع عليه بالتسجام

وصف أبي ذؤيب
المدينة بعد ما حلّ بها
الحدث العظيم

وذكر خيراً طويلاً قال فيه : وقدمت المدينة ولها ضجيج
بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام ، فقلت لهم : مه ؟
فقالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت
المسجد ، فوجدته خالياً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فوجدت بابه مُرتجاً - أي : مغلقاً - وقيل : هو مسجى
قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة
بني ساعدة ، فجت إلى السقيفة ، ثم قال : فتكلمت الأنصار
فأطالوا الخطاب ، وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فله

وصف المقالات التي
دارت في سقيفة بني
ساعدة

دره ، لا يطيل الكلام ، ويعلم موقع فصل الخطاب ، والله ؛
لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع . . إلا أنقاد له ومال إليه ، ثم
تكلم عمر بعده دون كلامه ، ومدّ يده ، فبايعه وبايعوه . ورجع
أبو بكر ، ورجعت معه ، قال أبو ذؤيب : فشهدت الصلّة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه) .

تحديد وقت وفاة
النبي صلى الله عليه
وسلم ، ويوم دفنه

قال العلامة العماد إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى :
(والذي نصّ عليه غير واحد من الأئمة سلفاً وخلفاً أنّه
توفي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين قبل أن ينتصف النهار ،
ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى) .

ونقله عنه العلامة الحلبي في « سيرته » ثمّ قال :
(والصحيح : أنّه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الإثنين ،
وليلة الثلاثاء ، ويوم الثلاثاء ، وبعض ليلة الأربعاء ، والسبب
في تأخيره : اشتغالهم ببيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تمّت .
ودفن عليه الصلّة والسّلام في بيت عائشة رضي الله عنها ،
وقام الإجماع على أنّ هذا الموضع الذي ضمّ أعضاءه
الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى الكعبة
المشرفة ، بل أفضل بقاع السماء حتى العرش .

وعن أنس رضي الله عنه : ما نفضنا أيدينا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا .

شعور الصحابة
وإحساساتهم بعد دفن
رسول الله صلى الله
عليه وسلّم

وقال غيره : وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا إلى
بعض ، وكان أحدنا ييسط يده فلا يراها ، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « أنا فرط لأمتي ، لن يصابوا بمثلي » .

وفي « مسلم » مرفوعاً إليه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد بأُمَّة خيراً . . قبض نبيها قبلها ، فجعله فرطاً وسلفاً بين يديها » (اهـ

فيا له من خطب جل عن الخطوب ، ومصاب عام دمع العيون ؛ كيف يصوب طارق هجم هجوم الليل ، وحادث هذَّ كل القول والحيل ؟ أنشد بعضهم :

ألا يا ضريحاً ضمَّ نفساً زكية

عليك سلام الله في القرب والبعد

عليك سلام الله ما هبت الصبا

وما ناح قمري على البان والرند

وما سجعت ورق ، وغنَّت حمامة

وما اشتاق ذو وَجْدٍ إلى ساكني نجد

ومالي سوى حبي لكم آل أحمدٍ

أمرِّغ في شوق على بابكم خدِّي

اللَّهُمَّ ؛ صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا ، ونبينا ،

وشفعينا ، وقرّة عيوننا أبي القاسم ، وأبي البتول محمَّد بن

عبد الله وعلى آلِه وأصحابه وأزواجه وذريّته كما صليت على

سيدنا إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم في العالمين ؛ إِنَّكَ حميد

مجيد ، وعلينا معهم .

* * *

هذا وقد وقف بي جواد مداد الطروس عن الجري في ميدان

شرح هذه المنظومة البديعة في بابها ، راجياً من الله تعالى أن

يتقبل مني كل ما كتبه من هذا الشرح والتعليق ، كما تقبل

أصله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ووسيلة للقرب
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أحظى به يوم النعيم
المقيم ، وأن يرزقني كمال متابعتي ، والتحلي بالعمل
بشريعته ، وأن ينفع بهذا الشرح المؤمنين ، ويحفز بي وبهم إلى
التخلق بأخلاقه العظيمة ، ويختم لي ولوالدي ، ولمن قرأ هذا
الشرح ، أو كتبه ، أو سعى في شيء منه ، ولجميع الأحاب ،
بخاتمة السعادة التي ختم بها لأوليائه ، ويصلح لنا الذرية ، وأن
يجمعنا في أعلى الجنان من غير سابقة عذاب ، آمين آمين يا الله
يا حلیم ، يا علیم ، يا علي ، يا عظیم ، يا كريم ، يا معطي
السائلين ، ومجيز الوافدين .

وكان الفراغ من هذا الشرح - الذي هو القسم الثاني ،
جعله الله سبباً لغفران الزلّات والصفح - ليلة الأحد الموافق
٢٥ من شهر رجب المحرم سنة ستين بعد الثلاث مئة والألف ،
من هجرة من له كمال العز والشرف ، صلى الله عليه وسلم ،
وكرّم وشرف .



وانتهيت بحمد الله وعونه من كتابة العناوين الجانبية ،
ودراسة كتاب « إنارة الدجى في مغازي خير الورى » صلى الله
عليه وسلم من تأليف شيخي الشيخ حسن بن محمد المشاط
بكوالالمبور ، ماليزيا مساء الجمعة ٥ جمادى الأولى سنة
(١٤١٣) الموافق ٣٠ أكتوبر سنة (١٩٩٢) فلله الحمد والمنة
وصلّى الله على خير الوجود سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله

وصحبه ، وجزى الله شارح المنظومة شيخى الشيخ حسن مشاط
خير الجزاء ، وتم تصحيحه من قبل الأخوين الدكتور السيد
قاسم بن محمد الأهدل ، والدكتور صبغة الله غلام نبى
قطب الدين تلميذى فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط رحمه
الله فجزاهما الله خير الجزاء .

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

مُحْتَوَى الْكِتَابِ

العنوان الصفحة

القسم الأول

٩	ترجمة الشارح
١٤	الدراسة
١٤	شروح المنظومة
١٥	مصادر الشرح
١٦	صلة الشارح رحمه الله بمنظومة المغازي وتحقيقه نصوصها
١٨	منهج الشارح رحمه الله تعالى
٢٠	منهج الشارح في التعبير عن رأيه
٢٠	خصائص الشرح

القسم الثاني : الكتاب

٣٧	تعريف بصاحب النظم
٣٧	ترجمة الناظم
٣٧	نظم عمود النسب
٣٨	تاريخ وفاة الناظم
٣٩	تصدير
٤٠	أهمية علم المغازي
٤٠	مصادر الشرح
٤٢	المقدمة الأولى في مشروعية الجهاد

العنوان	الصفحة
تدرّج مشروعية الجهاد	٤٢
بداية مشروعية الجهاد	٤٢
فرض القتال لمن بدأهم به	٤٣
فرض قتال المشركين كافة	٤٣
أقسام الكفار وتحديد علاقاتهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الهجرة	٤٣
تعامله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الطوائف المختلفة	٤٤
أقسام أهل العهد	٤٥
المقدمة الثانية في المغازي وفضل علمها وتعلمه	٤٧
المراد من المغازي	٤٧
الآثار في فضل فن المغازي	٤٧
أهمية تعلم فن المغازي للأجيال المسلمة	٤٨
المقدمة الثالثة في أشهر من ألف في المغازي	٤٩
المؤلفون الأوائل في علم المغازي	٤٩
منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار	٥٤
منظومة المغازي	٥٧
الإجماع على أَنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الخلق على الإطلاق	٨٤
تحرير مقالة المعتزلة في أفضليته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المطلقة	٨٤
عموم أدلة رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة	٨٤
الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي أداء لبعض ما يجب له في أعناق الأمة	٨٥
آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٨٦
تعريف الصحابي	٨٦

العنوان	الصفحة
تعريف التابعي	٨٦
أهمية العلم وأفضليته	٨٨
تعريف الرجز ووزنه	٩٠
ترجمة ابن سيد الناس اليعمري	٩١
من مصطلحات الناظم ذكر الضمير استغناءً عن الاسم الشريف للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٩٣
الأقوال في تعريف الإخلاص	٩٥

(١) غزوة ودان

عدد غزوات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٩٦
الغزوات الكبار	٩٦
موقع الغزوة	٩٧
حاصل غزوة ودان ، تاريخها ، حامل لوائها	٩٧
مصطلح أهل السير فيما يسمونه غزوة ، وسرية ، وبعثاً	٩٨

(٢) غزوة بواط

موقع الغزوة	٩٨
عدد أفرادها	٩٨
تاريخها	٩٨
حامل لوائها	٩٨

(٣) غزوة العشيرة

موقع الغزوة	١٠٠
تاريخها	١٠١

العنوان	الصفحة
حامل لوائها	١٠١
عدد أفرادها	١٠١
الجمع بين الأقوال المختلفة في أول غزوة غزاها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٠١

(٤) غزوة بدر الأولى

حاصل غزوة بدر الأولى	١٠٢
تاريخها	١٠٢
حامل لوائها	١٠٢

(٥) غزوة بدر الكبرى

بدر : بئر سميت باسم رجل من غفار	١٠٣
تاريخها	١٠٣
سبب خروج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الغزوة	١٠٤
عدد أفرادها	١٠٤
حامل لوائها	١٠٤
قلة الظهر والسلاح عند المسلمين	١٠٤
تعاقب كل ثلاثة من الصحابة على بعير	١٠٤
زميلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعاقب	١٠٥
أول خروج الأنصار مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٠٦
رد صغار الصحابة عن الخروج للغزو	١٠٦
استشهاد عمير بن أبي وقاص	١٠٦
دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة لأهل المدينة	١٠٦
عدد السيوف لدى الصحب الكرام	١٠٦
عدد الخيول	١٠٧

- استشارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه في طلب العير وحرب النفي ١٠٩
- موقف الأنصار من خلال استجابة سعد بن معاذ رضي الله عنه لنداء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٠٩
- عليه وَسَلَّمَ ١٠٩
- موقف المقداد بن عمرو واستجابته لنداء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١١٠
- استدراك علي النازم ١١٢
- تحذير عمر بن الخطاب من قوة قريش ١١٢
- تعرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر أخبار قريش ١١٣
- قصة سقاة قريش ١١٤
- تقدير عدد كفار قريش ومن خرج من أشرافهم ١١٥
- أمن أبي سفيان على العير ونجاتها ١١٥
- سبب أمن أبي سفيان ١١٥
- تتبع أبي سفيان أخبار المسلمين والتعرف على تحركهم ١١٦
- انحراف العير إلى الساحل ١١٦
- رجوع الأخنس ببني زهرة ١١٦
- إصرار أبي جهل على عدم رجوع قريش ١١٧
- نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقمة على المشركين ١١٨
- المشورة في منزل الحرب ١١٩
- مقال عتبة ، وحكيم ، وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال ١٢١
- بعث قريش عمير بن وهب الجمحي متحسناً أخبار المسلمين ١٢٢
- مفاوضات زعماء قريش على التراجع عن القتال ١٢٣
- إصرار أبي جهل على الحرب ١٢٣
- محاولة حكيم بن حزام أبا جهل في الرجوع عن القتال ١٢٤
- استنشاد أبي جهل ابن الحضرمي بالمطالبة بالثأر من المسلمين ١٢٥

العنوان	الصفحة
مقتل الأسود بن عبد الأسد	١٢٥
ابتداء الحرب بالمبارزة	١٢٦
استشهاد عبيدة بن الحارث	١٢٧
عبيدة بن الحارث	١٢٨
الأخوان الحصين والطفيل ابنا الحارث	١٢٩
قصة سواد بن غزية مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣٠
قصة تقبيل سواد بن غزية بطن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣٠
عريش النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣١
توجه النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متضرعاً إلى الله عزَّ وجلَّ	١٣١
الإمداد بالملائكة في بدر	١٣٢
دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه	١٣٣
استفتاح أبي جهل	١٣٣
آثار حفنة التراب التي رماها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجه كفار قريش ..	١٣٤
قتال الملائكة لمساعدة المسلمين	١٣٥
الخلاف في قتال الملائكة	١٣٥
سماع الطبل في بدر	١٣٦
تحقيق العلامة بن مرزوق لسماعه	١٣٦
تحقيق المؤرخ الخميس حسين بن محمد	١٣٧
الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السلام	١٣٨
التحقيق في نزول جبريل بعد وفاة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٣٨
قصة الرجلين اللذين شاهدا جبريل عليه السلام	١٣٩
سعد بن معاذ وحراسته الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العريش	١٤٠
رأي سعد بن معاذ وعمر في الأسارى	١٤١

العنوان	الصفحة
استشارة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه في أسرى بدر	١٤٢
موافقات عمر رضي الله عنه	١٤٢
الاستشارة في أسرى بدر	١٤٣
النهي عن قتل بني هاشم وأبي البختری	١٤٤
قتل المجذر بن زياد لأبي البختری	١٤٦
مقالة أبي حذيفة وتكفيرها بالشهادة	١٤٨
استشهاد أبي حذيفة رضي الله عنه ومولاه سالم يوم اليمامة	١٤٩
تمني أبي حذيفة موت أبيه على الإسلام	١٤٩
مقتل أبي جهل	١٥٠
إصابة معاذ بن عمرو الجموح في عاتقه	١٥١
من معجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٥١
التوفيق بين الروايات	١٥٢
تسمية أبي جهل فرعون هذه الأمة	١٥٣
طرح قتلى المشركين في القليب ونداؤهم	١٥٥
الاختلاف في إحياء قتلى بدر من المشركين وسماعهم توبيخ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٥٦
موقف أهل السنة من خبر إحياء قتلى مشركي أهل بدر	١٥٧
إخبار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمصارع المشركين بأسمائهم قبل القتال	١٥٨
استخلاص العظة من إخبار النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مصارع كفار قريش قبل المعركة	١٥٩
نصر الله الموعود للمؤمنين	١٥٩
المغفرة لأهل بدر	١٦٠
المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث المغفرة لأهل بدر	١٦١

العنوان	الصفحة
الحث على سؤال المسلم ربه الفردوس الأعلى	١٦٣
يوم بدر أذل الله فيه الشرك ، وأعزَّ الإسلام	١٦٣
الثمانية المتخلفون عن شهود بدر لعذر	١٦٤
طلحة بن عبيد الله	١٦٥
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	١٦٥
أسباب التخلف	١٦٦
ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه وسبب تخلفه	١٦٧
توفيق بين الروایتين في سبب تخلفه	١٦٨
الحارث بن الصمة رضي الله عنه	١٦٨
خوات بن جبير رضي الله عنه صاحب ذات النخيين في الجاهلية	١٦٨
عاصم بن عدي العجلاني	١٦٩
تحقيق سبب تخلفه عن غزوة بدر	١٦٩
أبو لبابة بشير بن عبد المنذر	١٧٠
الحارث بن حاطب	١٧١
قباء وحرء	١٧١
خصائص قباء	١٧١
من لم يذكرهم الناظم ممن تخلف عن بدر وكان له سهمها وأجرها	١٧٢
بعض الأسرى من قريش	١٧٢
أسر أبي عزيز بن عمير	١٧٢
مصعب بن عمير رضي الله عنه	١٧٢
وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بإكرام الأسرى	١٧٤
إكرام الأنصار أبا عزيز بن عمير	١٧٤
صاحب لواء المشركين ببدر	١٧٤

- أسر أبي العاصي بن الربيع ، ثم فكه ١٧٥
- استجارته بزینب بنت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجارتها له ١٧٨
- حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه ١٨٠
- التنبه على الدس على القرطبي في « تفسيره » فيما يخص أبا العاصي وزوجه زينب رضي الله عنهما ١٨١
- السبب في عدم التفريق بين زينب وأبي العاص قبل إسلامه ١٨١
- أمانة أبي العاصي ، وشرفه ، وإسلامه ١٨٢
- أداء أبي العاص الأموال لأهلها من قريش ١٨٢
- السبب في إعلان إسلامه بمكة دون المدينة ١٨٢
- رد زوجه زينب إليه ١٨٣
- نسبة أبي العاص رضي الله عنه إلى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ١٨٤
- ثناء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي العاص ١٨٥
- فداء أسرى بدر ١٨٥
- خيار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة بين قتل الأسارى أو قبول الفداء .. ١٨٥
- عدد الأسارى والهالكين من قريش ١٨٧
- من مشاهير أسرى قريش ١٨٧
- عمرو بن أبي سفيان ١٨٧
- العباس بن عبد المطلب ١٨٩
- هلاك أبي لهب بالعدسة ١٩٠
- وصف المغيرة ما لاقاه من كفار قريش في ساحة القتال ١٩١
- هلاك أبي لهب والكيفية التي دفن بها ١٩٢
- وفاة العباس رضي الله عنه ١٩٢
- عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ١٩٢

نوفل بن الحارث بن عبد المطلب	١٩٣
ذكر جدة	١٩٤
وفاة نوفل بن الحارث	١٩٤
خالد بن هشام المخزومي ، وسهيل بن عمرو العامري	١٩٤
سهيل بن عمرو خطيب قريش	١٩٤
مكرز العامري ومقامه من فداء سهيل	١٩٦
تحقيق الشارح إسلام مكرز العامري	١٩٦
عبد الله بن أبي بن خلف ، وأبو وداعة السهمي	١٩٧
الحارث أول الأسارى فداءً	١٩٧
خالد بن الأعلم الخزاعي	١٩٨
مشاهير من القتلى من مشركي قريش	١٩٨
حنظلة بن أبي سفيان	١٩٨
منبه بن الحجاج	١٩٨
نبيه بن الحجاج	١٩٩
حارث بن منبه	١٩٩
المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب	١٩٩
العاصي بن منبه بن الحجاج	١٩٩
مقتل علي بن أمية ، وأمّية بن خلف	٢٠٠
علي بن أمية	٢٠٠
حديث عبد الرحمن بن عوف عن علاقته بأُمّية بن خلف	٢٠٠
مصرع أمّية بن خلف وابنه	٢٠١
مقتل الحارث بن زمعة	٢٠٢
الأسود بن المطلب	٢٠٢

العنوان	الصفحة
هلاك زمعة بن الأسود	٢٠٣
نواح الأسود بن المطّلب على بنيه	٢٠٣
نياحة قريش على قتلاها	٢٠٣
إسلام عمير بن وهب	٢٠٤
الجعل الذي خصه صفوان بن أمية لقتل النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٤
كشف النبي صلى الله عليه وسلم الأمر الذي قدم من أجله عمير إلى المدينة ..	٢٠٥
ابنا الفاكهي	٢٠٥
حكم الذين ادعوا أنّهم مستضعفون وقتلوا ببدر	٢٠٥
المستضعفون بمكة حقاً رضي الله عنهم	٢٠٦
وصف الوليد ، وسلمة ، وعياش	٢٠٧
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بنجاتهم من الكفار	٢٠٧
سلمة بن هشام رضي الله عنه	٢٠٨
عياش بن أبي ربيعة	٢٠٨
تحقيق الشارح أنّ سلمة ليس أخاً شقيقاً لأبي جهل	٢٠٩
شهداء بدر من المهاجرين والأنصار	٢٠٩
عبدة بن الحارث بن المطّلب	٢٠٩
عمير بن أبي وقاص	٢١٠
عاقل بن عبد ياليل الليثي	٢١٠
ذو الشمالين عمير بن عبد عمرو	٢١٠
مهجع مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين	٢١١
صفوان بن بيضاء	٢١١
مبشر بن عبد المنذر	٢١١
يزيد بن الحارث	٢١٢

عوف وأخوه معوذ ابنا رفاعه	٢١٢
حارثة بن سراقه	٢١٣
رافع بن المعلی	٢١٤
عمير بن الحمام	٢١٤
التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين	٢١٦
دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة منتصراً مظفراً	٢١٦
وفاء عمير بن عدي الأنصاري بنذره في قتل عصماء بنت مروان	٢١٦
ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمير لانتصاره لله ورسوله صلى الله عليه وسلم	٢١٧

(٦) غزوة بني سليم

تاريخها	٢١٨
عدد المسلمين	٢١٨
حامل اللواء	٢١٨

(٧) غزوة بني قينقاع

تاريخها	٢١٨
سبب هذه الغزوة	٢١٩
براءة عبادة بن الصامت من حلف بني قينقاع	٢٢٠
تحذير النبي صلى الله عليه وسلم اليهود من نقمة الله عز وجل	٢٢٠
حامل اللواء والمستخلف على المدينة المنورة	٢٢١
إصرار اليهود على الكفر ، وعداوة المسلمين	٢٢٢
بيان المقصود من الحديث الشريف : « لو آمن لي عشرة من اليهود ... »	٢٢٢
المشهورون بالرئاسة من اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٢

العنوان	الصفحة
فساد طبيعة اليهود ، وإفسادهم ، ووعيد الله لهم	٢٢٣
اليأس من إيمان اليهود ، وبيان خصائصهم الدينية	٢٢٣
الآيات من سورة الإسراء تتحدث عن اليهود	٢٢٤
تفسير ابن كثير للآيات في سورة الإسراء عن بني إسرائيل من اليهود	٢٢٤
بنو قينقاع أول من غدر من اليهود	٢٢٦
إلحاح رئيس المنافقين في إطلاق بني قينقاع	٢٢٧
إجلاء يهود بني قينقاع إلى أذرعات	٢٢٨
سبب تسمية المدينة المنورة (طيبة)	٢٢٨
المدينة المنورة تنفي الخبث	٢٢٨
ذكر طيبة في التوراة	٢٢٩
إسلام عبد الله بن سلام	٢٣٠
المسائل الثلاث التي دلت عبد الله بن سلام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٠
إعلان عبد الله بن سلام إسلامه في مواجهة اليهود	٢٣١
مرويات عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٣٢
شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام بالجنة	٢٣٢
وفاته رضي الله عنه	٢٣٢

(٨) غزوة السويق

تاريخها	٢٣٢
عدد المسلمين	٢٣٢
خليفة النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة	٢٣٢
سببها	٢٣٣
نذر أبي سفيان أن يغزو النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٣
اجتماع أبي سفيان بزعماء اليهود للتآمر على المسلمين	٢٣٣

أول عيد ضحى فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٣٥

(٩) غزوة ذي قرقرة

تاريخها	 ٢٣٥
معنى (قرقرة الكدر)	 ٢٣٥
الخليفة على المدينة	 ٢٣٦
حامل اللواء	 ٢٣٦
تتبعه لأخبار العدو	 ٢٣٦
الغنائم التي ظفر بها المسلمون	 ٢٣٦

(١٠) غزوة ذي أمر وغطفان

موقعها	 ٢٣٨
تاريخها	 ٢٣٨
سبب هذه الغزوة	 ٢٣٨
الخليفة على المدينة المنورة	 ٢٣٩
إسلام جبار وتعليمه شرائع الإسلام	 ٢٣٩
إسلام دعثور بن الحارث	 ٢٣٩
تأمر بني ثعلبة على اغتيال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	 ٢٣٩
مواجهة دعثور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشهراً سيفه	 ٢٤٠
استسلام دعثور وإعلانه الإسلام	 ٢٤٠
دعثور رضي الله عنه يحكي لقومه ما شهدته لدى عزمه وتمكنه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	 ٢٤٠
الخلاف في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	 ٢٤٠
عودة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة	 ٢٤١

(١١) غزوة بجران

موقعها	٢٤١
تاريخها	٢٤١
خليفة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم على المدينة	٢٤١
عودة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة	٢٤٢

(١٢) غزوة أُحُد

خصائص جبل أُحُد	٢٤٢
تاريخها	٢٤٣
سبب هذه الغزوة	٢٤٣
إعداد قريش للحرب	٢٤٤
إبلاغ العباس رضي الله عنه النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم عزم قريش لقتاله	٢٤٤
العدد والكراع في الجيشين	٢٤٥
أُم الأوس (قيلة)	٢٤٦
رؤيا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وتأويلها	٢٤٦
رؤيا النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم حق	٢٤٦
تعبير رؤياه صَلَّى الله عليه وسلم	٢٤٧
استشارة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم أصحابه في الخروج أو البقاء بالمدينة	٢٤٨
عزم الرسول صَلَّى الله عليه وسلم على القتال	٢٤٩
اجتهاد الشارح رحمه الله تعالى في تعليل عدول النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم عن	
رأيه إلى رأي الآخرين	٢٥٠
خروجه صَلَّى الله عليه وسلم للقتال	٢٥١
عدد المقاتلة	٢٥١
خليفته صَلَّى الله عليه وسلم على المدينة	٢٥١

لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك	٢٥١
انخزال المنافقين	٢٥٢
زجر عبد الله بن عمرو بن حرام ابن أبي ابن سلول وجماعته في شد أزر المسلمين	٢٥٢
تفاؤله صلى الله عليه وسلم	٢٥٣
ما كان من المنافق مربع بن قبيصة حين سلك النبي صلى الله عليه وسلم حائطه	٢٥٦
إجازته صلى الله عليه وسلم أبناء خمس عشرة ورده من دونهم	٢٥٧
الصغار الذين ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٥٧
مصارعة سمرة ورافعاً رضي الله عنهما	٢٥٨
إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم السيف لأبي دجانة	٢٥٨
تكبر أبي دجانة رضي الله عنه احتقاراً للعدو	٢٥٩
الزبير بن العوام يعرب عن مشاعره تجاه أبي دجانة للسيف	٢٥٩
أبو دجانة رضي الله عنه يتغنى بالشعر في ساحة القتال	٢٦٠
وصف الزبير قتال أبي دجانة للمشركين يوم أُحُد	٢٦٠
أول من أشب الحرب	٢٦٠
استئصال أهل اللواء من المشركين	٢٦١
تحريض أبي سفيان قريشاً على الحرب	٢٦١
تحريض هند والنسوة قريشاً على الحرب	٢٦٢
هند تستحث قريشاً على القتال شعراً	٢٦٢
حملة لواء قريش الهالكين	٢٦٢
اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب	٢٦٤
حملة خالد على من بقي من الرماة	٢٦٥
شؤم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم	٢٦٦
شعار المسلمين	٢٦٦

إعلان موت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذباً	٢٦٧
موقف المسلمين بعد الإعلان الكاذب	٢٦٧
مقالة معتب بن قشير	٢٦٧
استشهاد سيدنا حمزة	٢٦٨
رواية وحشي رضي الله عنه قتله لسيد الشهداء	٢٦٨
استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاد	٢٧١
مقتل قزمان العبسي منافقاً كما أخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك	٢٧١
استشهاد أُصيرم بني عبد الأشهل	٢٧٢
ثبات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والثابتون معه	٢٧٣
أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه	٢٧٤
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	٢٧٤
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه	٢٧٥
شلل يد طلحة رضي الله عنه	٢٧٥
شعر أبي بكر رضي الله عنه في طلحة	٢٧٦
طلحة الخير رضي الله عنه	٢٧٦
ثبات العمرين وعلي رضي الله عنهما	٢٧٧
سبب نزول قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ﴾ الآية	٢٧٧
نسبية أم عمار بنت كعب رضي الله عنهما	٢٧٧
ثناء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نسبية رضي الله عنها	٢٧٩
الجروح التي أصابتها رضي الله عنها	٢٧٩
ما لقيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أُحُد	٢٧٩
وقوع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفرة حفرها أبو عامر	٢٧٩
كسر رباعية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٨٠

شؤم الآباء على الأبناء	٢٨٠
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على ابن قمئة	٢٨١
عبد الله بن شهاب الزهري	٢٨١
وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم	٢٨٢
أبو عبيدة رضي الله عنه ينزع فيه الحلقتين من جرح النبي صلى الله عليه وسلم	٢٨٣
كسر ثنيتيه	٢٨٣
الصحابة الذين أحسنوا القتال	٢٨٥
مقدار محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٥
استشهاد عمرو بن الجموح وابنه	٢٨٦
هند بنت عمرو بن حرام تحمل الشهداء إلى المدينة	٢٨٦
هند رضي الله عنها تخبر عائشة رضي الله عنها أنباء المعركة	٢٨٦
« إن منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره »	٢٨٧
كمال إيمان الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٧
الواجب في حب الصحابة رضوان الله عليهم	٢٨٧
نصح وتوجيه	٢٨٨
بلاء قتادة ، والمعجزة في حادثة عينه	٢٨٨
أول من بشر المسلمين بحياته صلى الله عليه وسلم	٢٩٠
كعب بن مالك رضي الله عنه أول من عرف بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٩٠
شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورون	٢٩١
عودة - الصحابة - للرسول صلى الله عليه وسلم	٢٩١
نهوض رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاونة طلحة بن عبيد الله ودعاؤه له	٢٩٢
صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه قعوداً	٢٩٣
تمثيل هند بنت عتبة بالشهداء	٢٩٤

- نشيد هند فرحاً بقتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وانتقام قريش لقتلى بدر . . ٢٩٥
- أول من ولدت هند من الرجال ٢٩٥
- هند بنت أثاثة تجيب هنداً زوج أبي سفيان على شماتها بما حصل للمسلمين . . ٢٩٦
- استشهاد عبد الله بن جحش كما سأل ربه ٢٩٧
- أول أمير في الإسلام عبد الله بن جحش رضي الله عنه ٢٩٧
- الدعاء الذي دعا به كل من سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن جحش رضي الله عنهما قبيل المعركة ٢٩٨
- طلب الموت المنهي عنه ٢٩٩
- قاتل عبد الله بن جحش ٢٩٩
- دفنه مع خاله سيد الشهداء رضي الله عنهما ٢٩٩
- أبو رهم كلثوم بن الحصين وما أصابه ٢٩٩
- استشهاد حسيل بن جابر اليماني ٣٠٠
- أي الفتن أشد ؟ ٣٠٠
- استشهاد ثابت بن وقش ، وأخيه رفاعه ، وابنيه الأصيرم ، وسلمة ٣٠١
- عزم حسيل وثابت بن وقش رضي الله عنهما على مشاركة المسلمين قتالهم . . ٣٠١
- أول من سمى المصحف مصحفاً ٣٠١
- استشهاد سعد بن الربيع ٣٠٣
- سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما فعل الله لسعد بن الربيع رضي الله عنه . ٣٠٣
- إجابة سعد بن الربيع رضي الله عنه في اللحظات الأخيرة ٣٠٣
- دفن سعد وابن عمه خارجة رضي الله عنهما في قبر واحد ٣٠٤
- استشهاد مخيريق من بني النضير ٣٠٤
- مخيريق الحبر ٣٠٤
- مخيريق يطالب قومه اليهود بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ٣٠٤

العنوان	الصفحة
هيبته أمواله لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم	٣٠٤
أول الأوقاف في الإسلام	٣٠٥
استشهاد مصعب بن عمير وشماس المخزومي	٣٠٥
شماس المخزومي رضي الله عنه	٣٠٥
« ما وجدت لشماس شبيهاً إلا الجنة »	٣٠٥
دفنه مع الشهداء بأحد	٣٠٥
عدد الشهداء من المهاجرين والأنصار	٣٠٦
حمزة سيد الشهداء	٣٠٦
استشهاد حنظلة غسيل الملائكة	٣٠٧
رؤيا جميلة زوج حنظلة رضي الله عنهما	٣٠٧
قاتل حنظلة الغسيل	٣٠٨
استشهاد عمرو بن الجموح	٣٠٨
إصرار عمرو بن الجموح على الخروج للقتال	٣٠٩
رؤيا النبي صَلَّى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح في الجنة	٣٠٩
عمرو بن الجموح رضي الله عنه سيد قومه	٣١٠
سؤال عمر بن الخطاب عن حياة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم وتوعده	٣١١
تعرف مقصد جيش المشركين	٣١٢
مقتل أبي بن خلف لعنه الله	٣١٣
استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه	٣١٤
بحث أبي بن خلف عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لقتله	٣١٤
مصرع أبي بن خلف على يد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم	٣١٤
أبو جهل يتأجج ناراً في قبره	٣١٥
حديث اعتبار وموعظة	٣١٦

العبرة فيما أصاب المسلمين بأحد	٣١٧
شؤم المخالفة وسوءها	٣١٧
الحكمة في نصر المسلمين مرة ، وهزيمتهم أخرى	٣١٧
تأخر النصر يستوجب مراجعة المسلمين نفوسهم	٣١٧
ابتلاء المسلمين رفع لدرجاتهم	٣١٧
الشهادة أعلى المراتب	٣١٧
إيجاد الله عزَّ وجل الأسباب لهلاك الكافرين	٣١٨

(١٣) غزوة حمراء الأسد

موقعها	٣١٨
سبب هذه الغزوة	٣١٨
تاريخها	٣١٨
خروج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبه آثار المعركة	٣١٩
عدد الذين خرجوا معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣١٩
السماح لجابر بن عبد الله بالخروج	٣٢٠
بدء المسير إلى المعركة	٣٢٠
نداء بلال رضي الله عنه بالخروج للعدو	٣٢٠
تلبية الصحابة رضوان الله عليهم نداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برغم ما بهم	
من إصابات معركة أُحُد	٣٢٠
دعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخباره عمَّا تكون عليه حالهم مستقبلاً ..	٣٢١
مدة الإقامة بحمراء الأسد	٣٢١
استخلاف ابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة	٣٢١
تخذييل معبد الخزاعي قريشاً عن الرجوع للحرب	٣٢١

خزاعة موضع سر النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته	٣٢١
أبو سفيان بن حرب بالروحاء يعزم الرجوع لمحاربة المسلمين	٣٢٢
معبد يشبط كفار قريش ويشني عزمهم عن قتال المسلمين	٣٢٢
رسالة شفعية من أبي سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٢٣
مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص لتجسسه لقريش	٣٢٤
حاصل قصة معاوية بن المغيرة بن العاص	٣٢٤
إعطاؤه الأمان ثلاثة أيام	٣٢٥
تجسسه وإهدار دمه	٣٢٥
مقتل أبي عزة الجمحي الهجاء للرسول صلى الله عليه وسلم	٣٢٥
أسره ببدر واستعطافه رسول الله صلى الله عليه وسلم في إرساله	٣٢٦
نقضه للعهد وخروجه مع المشركين	٣٢٦
استعطافه ثانية بعد القبض عليه	٣٢٦
المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين	٣٢٧
أول رأس حمل في الإسلام على رمح	٣٢٧

(١٤) غزوة بني النضير

تاريخها	٣٢٨
غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لليهود أربع	٣٢٨
سبب هذه الغزوة	٣٢٨
مؤامرة اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم	٣٢٩
نصح سلام بن مشكم لليهود بالرجوع عن مؤامرتهم	٣٣٠
إعلام النبي صلى الله عليه وسلم بمؤامرتهم عليه	٣٣٠
استبطاؤه صلى الله عليه وسلم	٣٣٠

٣٣٠	ندم اليهود على مؤامرتهم
٣٣١	استخلاف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن أم مكتوم على الصلاة
٣٣١	محاصرة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لليهود
٣٣١	نزول تحريم الخمر تحريماً باتاً وسورة الحشر
٣٣٢	أول آية نزلت في شأن الخمر
٣٣٢	تحريم الخمر تحريماً باتاً إلى يوم القيامة
٣٣٢	سبب نزول سورة الحشر
٣٣٣	قتل كعب بن الأشرف
٣٣٣	إخراج بني النضير من ديارهم
٣٣٣	حث عبد الله بن أبي اليهود بعدم الخروج
٣٣٣	خروج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقتال اليهود
٣٣٤	حامل الراية
٣٣٤	موقف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يهود بني النضير بعد شد الحصار عليهم
٣٣٤	تولي محمد بن مسلمة رضي الله عنه إخراج اليهود
٣٣٤	فيئهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد خصَّ به المهاجرين برضا الأنصار
٣٣٤	تعريف الفيء
٣٣٥	تعريف الغنيمة
٣٣٥	سبب إيثار النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المهاجرين بالفيء
٣٣٦	دعاء النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار
٣٣٦	دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار لعرض موقفه من تقسيم الفيء
٣٣٧	موقف الأنصار النبيل
٣٣٧	فضل الأنصار بإيثارهم المهاجرين على أنفسهم
٣٣٨	أول من سن التنازل عن الزوجات للمهاجرين سعد بن الربيع

مؤاخاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عبد الرَّحْمَنِ بن عوف وسعد بن الربيع ..	٣٣٨
الإشادة بموقف الأنصار من المهاجرين رضي الله عنهم	٣٣٩

(١٥) غزوة ذات الرقاع

استدراك الشارح	٣٤٠
سبب التسمية	٣٤٠
الاختلاف في وقت وقوع هذه الغزوة	٣٤١
الأسماء الثلاثة لهذه الغزوة	٣٤٢
خليفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة	٣٤٢
مدة غياب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المدينة	٣٤٣
غورث وما همَّ به من قتل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣٤٣
آراء علماء السيرة في تعدد القصة	٣٤٤
من صفات النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السامية الرفيعة	٣٤٥
قصة جابر وجمله مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣٤٥
من لطيف العلم في حديث جابر	٣٤٨
تشاكل الفعل مع الخبر	٣٤٨

(١٦) غزوة بدر الأخيرة

تاريخها	٣٤٩
خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة المنورة	٣٤٩
نكوص أبي سفيان	٣٤٩
جيش السويق	٣٥٠
وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوعدة	٣٥٠
المسلمون ونعيم بن مسعود	٣٥٠

(١٧) غزوة دومة الجندل

٣٥١	موقعها
٣٥٢	تاريخها
٣٥٢	سبب هذه الغزوة
٣٥٣	عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة

(١٨) غزوة الخندق

٣٥٤	تسميتها
٣٥٤	تاريخها
٣٥٤	سببها
٣٥٥	تحريض اليهود لقريش ، وغطفان على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٥٥	مسألة قريش لليهود وتزوير هؤلاء للحقيقة
٣٥٥	دعوة اليهود غطفان لحرب النبي صلى الله عليه وسلم
٣٥٦	خروج الأحزاب من المشركين للحرب
٣٥٦	جيوش الكفار من كل قبيل
٣٥٦	عدد جيش الكفار
٣٥٧	حفر الخندق
٣٥٧	استدراك الشارح
٣٥٨	ارتجاز المسلمين في حفر الخندق
٣٥٨	تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم جعيلاً عمرأ
٣٥٨	معجزات باهرة وأعلام للنبوّة ظاهرة
٣٥٨	من معجزاته صلى الله عليه وسلم : تكثير التمر
٣٥٩	تكثير الطعام

دعوة جابر رضي الله عنه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ونفراً من أصحابه للطعام	٣٥٩
دعوة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أهل الخندق جميعاً لحضور مأدبة جابر	
رضي الله عنه	٣٥٩
إخباره صَلَّى الله عليه وسلم عن فتوح المدن والأمصار	٣٦٠
الكدية التي عادت كثيراً	٣٦٢
اجتماع الجيشين حول الخندق	٣٦٢
حاملاً لواء المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم	٣٦٣
نقض كعب عهده للرسول صَلَّى الله عليه وسلم	٣٦٣
حاصل ما سبق	
حُبي بن أخطب يقنع كعباً بنقض العهد	٣٦٤
كعب ينقض عهده	٣٦٤
تحري الرسول صَلَّى الله عليه وسلم عن نقض كعب للعهد	٣٦٥
رسل النبي صَلَّى الله عليه وسلم للوقوف على حقيقة بني قريظة	٣٦٦
غدر بني قريظة ونقضهم للعهد	٣٦٦
سابقة عضل في نقض العهد	٣٦٦
استبشار النبي صَلَّى الله عليه وسلم بما أخبره رسله	٣٦٧
شدة خوف المسلمين ، وظهور نفاق المنافقين	٣٦٧
توفيق الشارح بين الروايات المتعددة	٣٦٧
إرسال ریح النصر ، والملائكة للمؤمنين	٣٦٨
الصبا والدبور وآثارهما على نتائج المعركة	٣٦٩
مشروع الصلح بين المسلمين وغطفان ، وعدم تمامه	٣٦٩
استشارة النبي صَلَّى الله عليه وسلم السعدين في ما ساومه عليه غطفان	٣٧٠
اقتحام بعض المشركين الخندق	٣٧١

٣٧١		فلته معتب بن قشير
٣٧٣		مقتل نوفل المخزومي حين اقتحم الخندق
٣٧٤		مقتل عمرو بن عبد ود بسيف علي
٣٧٥		تقلد علي بن أبي طالب سيف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ودعاؤه له
٣٧٥		عمرو يتحدّى المسلمين
٣٧٦		منازلة علي رضي الله عنه عمرو بن عبد ود
٣٧٦		شعار المسلمين يوم الخندق ، ويوم بني قريظة
٣٧٧		تخذيل نعيم بن مسعود للأحزاب عن المسلمين
٣٧٧		نعيم بن مسعود رضي الله عنه والإشاعات بين صفوف الكفار
٣٧٨		إيقاع نعيم رضي الله عنه بين قريش وبين حلفائهم اليهود
٣٧٨		عكرمة رسول قريش وغطفان إلى بني قريظة
٣٧٨		جواب بني قريظة لقريش
٣٧٩		دعاء رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على الأحزاب
٣٧٩		استجابة دعائه صَلَّى الله عليه وسلّم
٣٧٩		بعث حذيفة لاستكشاف أمر المشركين
٣٨٠		بعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لمعرفة ما فعل الأحزاب
٣٨١		نداء أبي سفيان بالرحيل وانهزام المشركين
٣٨٢		تبشير حذيفة بانهزام المشركين
٣٨٣		انصراف النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلّم
٣٨٣		تأخير الصلاة عن وقتها يوم الخندق
٣٨٤		الصلوات التي تأخر أداؤها
٣٨٤		الترجيح بين الروايات المتعددة
٣٨٥		حكم تأخير الصلاة عن وقتها أثناء الحرب في العصر الحاضر

عدد شهداء المسلمين في هذه الغزوة	٣٨٥
عدد من هلك من المشركين	٣٨٥
من هديه صلى الله عليه وسلم إذا رجع من غزوة أو غيرها	٣٨٥

(١٩) غزوة بني قريظة

مساكن بني قريظة	٣٨٦
أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل بقتال بني قريظة	٣٨٦
سيره صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة	٣٨٧
أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بالصلاة في بني قريظة	٣٨٩
اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم في فهم أمره صلى الله عليه وسلم	٣٨٩
المستفاد فقهاً من تباين اجتهاد الصحابة لأمره صلى الله عليه وسلم	٣٨٩
تخير كعب بن أسد لقومه بين خلال ثلاث ورفضهم لها	٣٩٠
حصار المسلمين لبني قريظة	٣٩٠
الخلة الأولى	٣٩٠
الخلة الثانية	٣٩١
الخلة الثالثة	٣٩١
رعب اليهود بعد رفضهم للخلال الثلاث	٣٩٣
طلبهم أبا لبابة وقصته معهم ، وتوبته رضي الله عنه	٣٩٣
استشارة اليهود أبا لبابة رضي الله عنه	٣٩٣
تحقيق اختلاف الرواية	٣٩٥
الآية التي نزلت في توبة أبي لبابة	٣٩٥
نزول الوحي بتوبة أبي لبابة ، وبشارة أم سلمة له رضي الله عنهما	٣٩٦
مناقشة دلالة الآية على توبة أبي لبابة	٣٩٦

المعاني المستفادة من قصة أبي لبابة رضي الله عنه	٣٩٧
تحكيم سعد بن معاذ في قريظة	٣٩٧
اختيار سعد بن معاذ رضي الله عنه حكماً	٣٩٨
موقف سعد بن معاذ الحازم من بني قريظة	٣٩٩
أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام لسعد بن معاذ	٣٩٩
سبب تسمية بني نزار	٤٠١
مقتل بني قريظة وحيي بن أخطب	٤٠٢
عدد من قتل من بني قريظة	٤٠٢
حديث صفية رضي الله عنها عن حب أبيها لها وإضمامه عداوة النبي صلى الله عليه وسلم	٤٠٣
هيئة حيي بن أخطب وهو مقود إلى القتل	٤٠٣
حديث عائشة رضي الله عنها عن اليهودية عندها	٤٠٣
مقتل الزبير بن باطيا القرظي	٤٠٤
موافقة النبي صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس على حقن دم الزبير وأهله وولده وماله	٤٠٥
سؤال الزبير بن باطيا عن مصير زعماء بني قريظة	٤٠٥
رفض الزبير البقاء حياً بعد زعماء بني قريظة ، وقتله بسيف شفيعه	٤٠٦
استشهاد سعد واهتزاز عرش الرّحمن لموته	٤٠٦
شهود الملائكة تشييع سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى مقره الأخير	٤٠٧
خصائص سعد بن معاذ كما يتحدث هو عنها رضي الله عنه	٤٠٧
قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه يفوح مسكاً	٤٠٨
ضمة القبر بالنسبة للمؤمن والكافر	٤٠٨
من الفوائد المستنبطة من قصة بني قريظة وخبر سيدنا سعد رضي الله عنه	٤٠٩

(٢٠) غزوة بني لحيان

٤٠٩	تاريخها
٤١٠	هذا الشام : موقعه ، ووصفه حاضراً
٤١٠	سبب هذه الغزوة
٤١٠	غزوة الرجيع
٤١١	بعث الرجيع
٤١٢	امتناع عاصم رضي الله عنه عن النزول على عهد كافر
٤١٢	غدر بني لحيان بمن أعطوهم الأمان
٤١٢	استشهاد خبيب بن عدي
٤١٤	بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري عيناً على قريش
٤١٤	وصف خبيب بن عدي بعد أربعين يوماً من قتله
٤١٥	استشهاد زيد بن الدثنة
٤١٥	أحكام وعبر في قصة بعث الرجيع
٤١٦	تورية النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الشام
٤١٦	موقع غران
٤١٧	عدة بعث الرجيع
٤١٧	التوفيق بين الروایتين
٤١٨	فتك عضل والقارة بالبعث
٤١٨	توفيق بين الروايات
٤١٨	بعث بئر معونة
٤١٩	موقع بئر معونة
٤١٩	جوار أبي براء للبعث ، ونقض ابن أخيه له

العنوان	الصفحة
عدد أفراد بعث بئر معونة	٤١٩
قتل عامر بن الطفيل رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٢٠
استشهاد البعث	٤٢٠
خفر عامر بن الطفيل عهد عمه أبي براء	٤٢٠
الغدر بأفراد البعث وقتلهم عدا كعب بن زيد رضي الله عنه	٤٢٠
حزن الرسول صلى الله عليه وسلم على الشهداء ، ودعاؤه على القتل	٤٢٠
دفن الملائكة	٤٢١
مهمة البعثين	٤٢١
الفرق بين البعث والسرية	٤٢٢
تعريف البعث	٤٢٢
تعريف السرية	٤٢٢
تعريف الغزوة	٤٢٢
تعريف السرية	٤٢٣

(٢١) غزوة الغابة

(غزوة ذي قرد)

موقعها	٤٢٣
تاريخها	٤٢٣
سبب هذه الغزوة	٤٢٤
عدد أفراد الغزوة	٤٢٤
بسالة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في استنقاذ اللقاح	٤٢٤
ملاحقة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه غطفان وفزارة	٤٢٦
إعطاء سلمة رضي الله عنه سهمين	٤٢٧

أمر عيينة بن حصن	٤٢٧
تعارض الروايات في عدد اللقاح الناجية	٤٢٨
فوائد هذه القصة	٤٢٩
قصة امرأة أبي ذر ونذرهما	٤٢٩
استدراك الشارح	٤٣٠
حكم النذر ، والطلاق ، والعتاق ، والنكاح فيما لا يملك	٤٣١
ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي قتادة	٤٣١
قتله لرئيس المشركين	٤٣١
ما صنعه عكاشة بن محصن	٤٣٢
إصرار سلمة رضي الله عنه على ملاحقة الفارين وسماحة النبي صلى الله عليه وسلم بكفه عنهم	٤٣٢
من معجزاته صلى الله عليه وسلم	٤٣٢
معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم	٤٣٣
شراء طلحة الفياض للبئر ، وتصدقها بها	٤٣٣
سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له بالفياض	٤٣٣
الطلحات الخمسة الأجواد	٤٣٤
طلحة الجود	٤٣٤
طلحة بن عمر بن معمر	٤٣٤
طلحة الخير ، وطلحة الندى	٤٣٥
طلحة بن الحسين	٤٣٥
طلحة بن عبد الله بن عوف	٤٣٦
طلحة الدراهم	٤٣٦
طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن	٤٣٦

العنوان	الصفحة
مآثر طلحة الخزاعي	٤٣٧
طلحة بن عبد الله الخزاعي طلحة الطلحات	٤٣٧
قصة العرنين وسرية سعيد بن زيد إليهم سنة ست	٤٤٠
تاريخها	٤٤٠
التعريف بعرينة	٤٤١
مرض الاستسقاء	٤٤١
قتل يسار رضي الله عنه راعي اللقاح	٤٤٢
عدد أفراد السرية	٤٤٢
قائد السرية كرز بن جابر رضي الله عنه	٤٤٢
الاقتصاص من العرنين	٤٤٢
فوائد هذه القصة وأحكامها	٤٤٥
طهارة بول ما يؤكل لحمه	٤٤٥
استدلال من لا يرى إباحة أبوال الإبل	٤٤٥
اعتماد القيافة من أدلة ثبوت النسب	٤٤٦

(٢٢) غزوة المريسيع (غزوة بني المصطلق)

موقعها	٤٤٦
تاريخ هذه الغزوة	٤٤٧
سبب هذه الغزوة	٤٤٨
انتصار الرسول صَلَّى الله عليه وسلم وهزيمة العدو	٤٤٨
استخلاف زيد بن حارثة على المدينة المنورة	٤٤٨
حامل الراية	٤٤٩
شعار المسلمين	٤٤٩

العنوان	الصفحة
بركتها على قومها	٤٥١
وفاة أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها	٤٥٢
إسلام الحارث وبنو المصطلق	٤٥٣
سبب إسلام الحارث بن ضرار	٤٥٣
قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيها	٤٥٣
قدوم وفد بني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٥٥
موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين	٤٥٦
استدراك الشارح	٤٥٦
معظم المنافقين كان من الشيوخ	٤٥٦
نماذج رفيعة من شباب الصحابة رضي الله عنهم	٤٥٧
زيد بن أرقم	٤٥٧
قابلية الشباب للخير	٤٥٨
نصرة جاهلية لجهجاه الغفاري ، وسان الجهنني	٤٥٨
الحكم الشرعي فيمن دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام	٤٦٠
قول منكر لرأس المنافقين ، وما نزل فيه من القرآن	٤٦٠
إعلام زيد بن أرقم الرسول صلى الله عليه وسلم بمقال رأس المنافقين	٤٦١
حلف رأس المنافقين بالله كذباً	٤٦١
تصديق القرآن زيد بن أرقم	٤٦٣
أول مشاهد زيد بن أرقم رضي الله عنه ووفاته	٤٦٤
طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولي قتل أبيه بنفسه	٤٦٤
من أمارات النبوة وعلاماتها	٤٦٥
عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول	٤٦٦
مدلولات موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه من أبيه رئيس	
المنافقين	٤٦٦

العنوان	الصفحة
حديث الإفك وتبرئة الله للسيدة عائشة الصديقة	٤٦٧
الآيات الكريمة في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	٤٧٤
عظم فوائد هذا الحديث	٤٧٦
دعاء الفرج	٤٧٧
براءة أربعة بأربعة	٤٧٧
مناظرة مسلم نصرانياً	٤٧٨
مفاخر عائشة وفضائلها	٤٧٨
نزول آية التيمم	٤٨٠
الأحكام التي شرعت في هذه الغزوة	٤٨٠
النهي عن العزل عن النساء	٤٨١
حكم التسبب لإسقاط النطفة	٤٨٢

(٢٣) غزوة الحديبية

موقع الحديبية	٤٨٢
تاريخها	٤٨٢
سبب الخروج للحديبية	٤٨٣
استخلاف نميلة بن عبد الله الليثي	٤٨٣
استنفاره العرب للخروج معه إلى مكة	٤٨٤
المخلفون	٤٨٤
عدد أفراد الجيش	٤٨٤
تكذيب الله المخلفين فيما اعتذروا به	٤٨٤
خبر بسر بن سفيان الخزاعي عن قريش وصددهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مكة	٤٨٥

٤٨٥	تأهب قريش للمناجزة
٤٨٧	تجنب الرسول صلى الله عليه وسلم لقاء قريش
٤٨٧	سلوك طريق وعر
٤٨٧	استغفار المسلمين وتوبتهم
٤٨٨	تراجع قريش خوفاً من المسلمين
٤٨٨	خبر الناقة وسبب إحجامها
٤٨٨	من معجزاته صلى الله عليه وسلم فيضان الماء
٤٨٩	ناجية بن جندب الأسلمي سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٨٩	موقف النبي صلى الله عليه وسلم من كفار قريش
٤٩٠	ما في هذه القصة من الحكم والفوائد
٤٩١	معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم بفوران الماء من بين أصابعه
	مقارنة بين معجزة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
٤٩٢	معجزة أخرى بتكثير الطعام القليل
٤٩٤	بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وسببها
٤٩٥	وعد من شهد بدرأ والحديبية بالجنة
٤٩٥	مبايعة سلمة بن الأكوع وسببها
٤٩٦	عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش
٤٩٦	عرض كفار قريش على عثمان رضي الله عنه الطواف بالبيت
٤٩٧	مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه مكافأة له
٤٩٧	خصال عثمان رضي الله عنه وفضائله
٤٩٨	سنان بن أبي سنان أول المبايعين
٤٩٨	بعث خراش الخزاعي إلى قريش

٤٩٨	عقر كفار قريش جمل النبي عليه الصلاة والسلام
٤٩٩	خراش بن أمية الخزاعي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش
٤٩٩	بعث قريش سفراءهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٠٠	أسماء رسل قريش
٥٠٠	التوفيق بين الروايات
٥٠٢	كلام الحليس بن علقمة
٥٠٣	كلام بديل بن ورقاء الخزاعي
٥٠٣	كلام مكرز بن حفص
٥٠٤	عودة إلى كلام الحليس بن علقمة
٥٠٤	سيد الأحابيش الحليس بن علقمة
٥٠٥	كلام عروة بن مسعود الثقفي
٥٠٥	رد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كلام عروة
٥٠٦	المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم
٥٠٦	عود عروة بن مسعود إلى قريش
٥٠٦	من مظاهر تفاني الصحابة في حبه صلى الله عليه وسلم
٥٠٧	بعث قريش سهيلاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للصلح
٥٠٧	تفاؤل النبي صلى الله عليه وسلم بسهيل رسول قريش
٥٠٨	توصل سهيل إلى الصلح مع النبي صلى الله عليه وسلم
٥٠٨	كتاب الصلح
٥٠٨	علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كاتب الصلح
٥٠٨	نص المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش
٥١٠	حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إمضاء هذه الشروط
٥١٠	تحقيق المحافظة على المستضعفين بمكة

العنوان	الصفحة
إسلام كثير من كفار قريش	٥١١
إسلام العدد من كبار قريش	٥١٢
الفتح في (سورة الفتح) : صلح الحديبية	٥١٢
التائج العظيمة لصلح الحديبية	٥١٢
العصيفير جمل أبي جهل	٥١٣
التحلل من إحرام العمرة	٥١٤
مشورة أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥١٥
سبب تكرار الدعاء للمحلقين ثم المقصرين	٥١٥
الأسباب المحتملة في عدم الاستجابة مباشرة لما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥١٥
فوائد قصة التحلل من إحرام الحديبية	٥١٦
مشاورة النساء	٥١٧
البشارة بقبول عمرة الصحابة	٥١٧
عُمره صلى الله عليه وسلم	٥١٨
شروط الصلح ظاهرها ضيم ، وباطنها عز للمسلمين	٥١٩
أمر أبي جندل بن سهيل	٥٢٠
موقف عمر وأبي بكر من شروط الصلح	٥٢١
مظاهر فضل أبي بكر على بقية الصحابة رضوان الله عليهم	٥٢٢
أمر أبي بصير الثقفي	٥٢٣
خروج أبي بصير إلى ساحل البحر للتضييق على قريش	٥٢٤
تضرع قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لإنقاذها من أبي بصير وأصحابه ...	٥٢٥
لحوق أبي جندل بن سهيل بأبي بصير	٥٢٧
وفاة أبي بصير رضي الله عنه	٥٢٧

العنوان	الصفحة
ما نزل في النساء المهاجرات	٥٢٨
نزول سورة الفتح	٥٢٩
مدة إقامة المسلمين بالحديبية	٥٢٩
صلح الحديبية أعظم الفتح	٥٣١
تحقيق الله ما وعد به رسوله صلى الله عليه وسلم	٥٣٢
عمرة القضاء	٥٣٢
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة	٥٣٣
أول رمل واضطباع في الإسلام	٥٣٤
رجز عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٣٤
تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي رآها	٥٣٥
وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش بالعهد	٥٣٥
بناؤه صلى الله عليه وسلم بأُم المؤمنين ميمونة	٥٣٦

(٢٤) غزوة خيبر

نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الخليفة على المدينة	٥٣٦
وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بخيبر	٥٣٧
استنفاره صلى الله عليه وسلم من حوله	٥٣٧
منازل الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى خيبر	٥٣٧
نزوله صلى الله عليه وسلم بوادي الرجيع	٥٣٧
انخدال غطفان عن اليهود	٥٣٨
تأهب غطفان لمعاونة يهود خيبر	٥٣٨
نزول النبي صلى الله عليه وسلم بالصهباء	٥٣٨
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم على خيبر	٥٣٨

العنوان	الصفحة
إعطاء الراية لعلي بن أبي طالب	٥٣٩
الراية العقاب	٥٣٩
من معجزاته صلى الله عليه وسلم	٥٤٠
تترس علي بباب الحصن	٥٤٢
فائدتان	٥٤٣
الراية واللواء	٥٤٣
حصون خيبر	٥٤٤
قتل قاتل محمود بن مسلمة الأنصاري	٥٤٦
مقتل مرحب اليهودي	٥٤٧
تعارض الروايات وتقديم ما في الصحيح	٥٤٧
شعار المسلمين يوم خيبر	٥٤٨
استنشاد الرسول صلى الله عليه وسلم عامر بن الأكوع	٥٤٨
الحذاء الذي أنشده عامر بن الأكوع رضي الله عنه	٥٤٩
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعامر بن الأكوع	٥٤٩
استشهاد عامر بن الأكوع	٥٤٩
تنبيه لغوي	٥٥٠
سبب قتل عامر بن الأكوع	٥٥٠
عدد قتلى اليهود في خيبر	٥٥٢
شهداء الصحابة خمسة عشر في خيبر	٥٥٢
استشهاد يسار الراعي	٥٥٣
قصة إسلام يسار الراعي رضي الله عنه	٥٥٣

(٢٥) غزوة وادي القرى

موقعها	٥٥٤

العنوان	الصفحة
اسمها حديثاً	٥٥٤
فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، والغنائم التي حصلها منها	٥٥٤
خبر مدعم غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٥٥
مبادرة اليهود بقتال المسلمين	٥٥٦

(٢٦) غزو مؤتة

موقعها	٥٥٧
تاريخها	٥٥٧
نسب الروم	٥٥٧
عدد جيش المسلمين والكفار	٥٥٨
سبب هذه الغزوة	٥٥٨
مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٥٨
جيش الأمراء	٥٥٨
أمراء الجيش	٥٥٩
توديع النبي صلى الله عليه وسلم للجيش	٥٥٩
وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش	٥٥٩
بكاء عبد الله بن رواحة خوفاً من النار	٥٦٠
إقدام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه	٥٦٠
تشجيع ابن رواحة الجيش على لقاء هرقل	٥٦٢
نزول الجيش بمعان	٥٦٢
عدد جيش الروم	٥٦٢
تشاور المسلمين في الكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم بواقع عدد جيش الروم	٥٦٢
استشهاد زيد ، وجعفر ، وابن رواحة	٥٦٣

عقر جعفر رضي الله عنه فرسه لما ألحمه القتال	٥٦٣
الآبيات التي أنشدها جعفر رضي الله عنه عندما أحسّ دنوّ أجله	٥٦٣
الآبيات التي أنشدها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قبل استشهاده	٥٦٤
تأمر خالد بن الوليد	٥٦٥
إخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر	٥٦٧
قدوم يعلى بن أميّة رضي الله عنه ليعلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخبر أهل	
مؤتة	٥٦٧
انتصار جيش المسلمين	٥٦٨
عدد الشهداء من المسلمين	٥٦٨
قدوم جيش المسلمين إلى المدينة	٥٦٨
التعريف بالأمراء الثلاثة	٥٦٩
زيد بن حارثة	٥٦٩
بيع الطفل زيد بن حارثة في سوق عكاظ وشراء حكيم بن حزام له	٥٦٩
فقد حارثة لابنه زيد وإنشاده فيه	٥٧٠
جواب زيد على أبيه شعراً	٥٧٠
قدوم حارثة إلى مكة وطلبه عودة ابنه زيد إليه من النّبّي صلى الله عليه وسلم .	٥٧٠
تخير زيد بين العودة لأبيه ، أو البقاء لدى النّبّي صلى الله عليه وسلم	٥٧١
إيثار زيد البقاء لدى النّبّي صلى الله عليه وسلم على أبيه	٥٧١
تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة	٥٧١
تروجه زينب بنت جحش	٥٧١
تحقيق الشارح اسم زيد بن حارثة رضي الله عنه	٥٧٢
الخلاف في أول الناس إسلاماً	٥٧٢
الجمع بين الأقوال المختلفة	٥٧٢

العنوان	الصفحة
مناقب زيد	٥٧٢
ذكره في القرآن باسمه العلم	٥٧٢
مؤاخاته مع حمزة رضي الله عنهما	٥٧٣
درجة محبته لدى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٧٤
أربعة توالدوا صحابة	٥٧٥
أبو قحافة والد سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما	٥٧٥
يعقوب بن محمد بن أسامة	٥٧٦
مواليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٧٦
جعفر بن أبي طالب	٥٧٨
فاطمة بنت أسد رضي الله عنها	٥٧٨
الفواطم الثلاث	٥٧٨
الخمس المشبهين للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٧٨
(أبو المساكين) كنية جعفر بن أبي طالب	٥٧٩
أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة	٥٧٩
قدوم جعفر من الحبشة وإسهام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٧٩
أولاده	٥٨٠
إسلام النجاشي على يد جعفر رضي الله عنه	٥٨٠
مناسبتان سُرَّ بهما النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آنٍ واحد	٥٨٠
تمثل الشهداء الثلاثة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الموت	٥٨١
البدع الضارة والعادات الاجتماعية السيئة في بيت الوفاة	٥٨١
فخر علي كَرَّمَ اللهُ وجهه بقرابته النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٥٨٢
عُمر جعفر رضي الله عنه يوم وفاته	٥٨٢
عبد الله بن رواحة	٥٨٢

النقباء العشرة	٥٨٣
حضوره المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٨٣
شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم	٥٨٣
زوجة عبد الله بن رواحة تحكي فضائله رضي الله عنهما	٥٨٥
نعي عبد الله بن رواحة نفسه	٥٨٥
بكاء زيد بن أرقم	٥٨٦
استثناء الشعراء المؤمنين من الغاوين	٥٨٦
سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة عن كيفية قوله الشعر	٥٨٧
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة	٥٨٧
مكانته في الجاهلية والإسلام	٥٨٧
قصته مع زوجته رضي الله عنهما	٥٨٧
اعتراض على فقه القصة	٥٩٠
جواب الاعتراض	٥٩٠
رثاء حسان لجعفر وصاحبيه رضي الله عنهم جميعاً	٥٩٠

(٢٧) غزوة الفتح الأعظم

« فتح مكة زادها الله شرفاً ، وأهلها إنافة وكرماً »

فتح الفتوح	٥٩٤
وصف ابن القيم رحمه الله لهذه الغزوة	٥٩٤
تاريخ هذه الغزوة وسببها	٥٩٤
قدوم عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول صلى الله عليه وسلم	٥٩٥
خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم في الجاهلية	٥٩٧
إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمسير إلى مكة المكرمة	٥٩٩

- ٦٠٠ بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ضمرة إلى قريش إغذاراً لها
- ٦٠٠ تحقق النبي صلى الله عليه وسلم من الواقعة بين بني بكر وبين خزاعة
- ٦٠٠ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش وتخييرها بين خصال ثلاث
- ٦٠٠ سبب استحسان الشارح ذكر ما سبق عقب قدوم وفد خزاعة المدينة
- ٦٠١ بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٦٠١ ندم قريش على عدم قبولهم عرض النبي صلى الله عليه وسلم
- ٦٠١ عودة أبي سفيان إلى مكة بدون نتيجة
- ٦٠٢ خبر أبي سفيان مع ابنته أم المؤمنين أم حبيبة
- ٦٠٢ حديث أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٦٠٢ استشفاع أبي سفيان بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما
- ٦٠٢ استشفاع أبي سفيان بعلي وأهل بيته رضي الله عنهم
- ٦٠٣ موقف الزهراء فاطمة رضي الله عنها
- ٦٠٣ استنصاح أبي سفيان علي بن أبي طالب فيما أهمه
- ٦٠٣ ما كان من هند لزوجها أبي سفيان
- ٦٠٣ استبطاء قريش قدوم أبي سفيان واتهامه بدخول الإسلام
- ٦٠٤ إشهار أبي سفيان التزامه بعبادة الأصنام
- ٦٠٤ مناقشة قريش لأبي سفيان فيما بلغه من رحلته
- ٦٠٤ كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش
- ٦٠٥ حديث حاطب رضي الله عنه مع المقوقس
- ٦٠٦ استئجار حاطب امرأة لإرسال الخطاب إلى قريش
- ٦٠٦ إطلاع الله جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم على كتاب حاطب رضي الله عنه
- ٦٠٧ مضمون خطاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش
- ٦٠٧ الأسباب التي دفعت حاطباً لمكاتبة قريش

الآية التي نزلت في حادث حاطب رضي الله عنه	٦٠٨
نص خطاب حاطب لكفار قريش	٦٠٩
من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما أرسل القوم إلى حاملة خطاب حاطب	٦٠٩
قصة عبد الله بن أبي أمية وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه	٦١٠
توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة	٦١٠
حذيفة بن المغيرة زاد الركب	٦١٠
قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه	٦١١
أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦١١
إسلام أبي سفيان بن الحارث أخي النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع	٦١١
رثاؤه للنبي صلى الله عليه وسلم	٦١١
شفاعة أم سلمة فيهما	٦١٢
وفاته	٦١٢
حكمة أم سلمة رضي الله عنها	٦١٣
خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة بجيشه	٦١٣
تاريخ خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة	٦١٣
كلثوم بن الحصين المستخلف على المدينة	٦١٤
عدد المسلمين	٦١٤
تاريخ أنصاب الحرم	٦١٧
أول من نصب أنصاب الحرم	٦١٧
إرهاب قريش بإيقاد عشرة آلاف نار	٦١٨
وادي فاطمة وبعده عن مكة المكرمة	٦١٨
فزع أبي سفيان من جيش المسلمين	٦١٩
خروج أبي سفيان وعدد من وجهاء قريش لطلب الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم	٦١٩

٦١٩	قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه
٦١٩	اقتياد أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
	رغبة العباس رضي الله عنه في خروج أهل مكة لطلب الأمان من رسول الله
٦١٩	صلى الله عليه وسلم
٦٢٠	مقابلة العباس لأبي سفيان وحديثه معه
٦٢٠	إرداف العباس لأبي سفيان على بغلته
٦٢١	مرور العباس بنار عمر بن الخطاب ومقاتلته لدى رؤية أبي سفيان
٦٢١	اشتداد الحوار بين عمر والعباس رضي الله عنهما في شأن أبي سفيان
٦٢١	الحديث الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي سفيان
٦٢٢	حجز أبي سفيان ليرى جيش المسلمين فرقة فرقة
٦٢٣	تحذير أبي سفيان قريشاً من جيش المسلمين
٦٢٤	تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما من الله عليه من الفتح
	تدخل عمر رضي الله عنه في الحديث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
٦٢٥	أبي سفيان
٦٢٥	إسلام هند زوج أبي سفيان
٦٢٥	استعداد حماس بن قيس لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم انهزامه
٦٢٥	(الزعم) يطلق على معان
٦٢٧	اختفاء حماس في منزله
٦٢٩	مظاهر شفقة النبي صلى الله عليه وسلم
٦٢٩	أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمراء الجيش أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم
٦٣٠	قصة ابن أبي سرح رضي الله عنه
٦٣٠	اختبأؤه عند عثمان رضي الله عنه
٦٣١	إسلامه رضي الله عنه

العنوان	الصفحة
الوظائف التي تولّاها في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم	٦٣١
اعتزاله الفتنة	٦٣١
وفاته رضي الله عنه	٦٣١
قصة هبار بن الأسود رضي الله عنه	٦٣٢
إيذاؤه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٣٢
إسقاط زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاتها	٦٣٢
إسلام هبار رضي الله عنه	٦٣٢
دخول هبار على النبي صلى الله عليه وسلم وإشهاره الإسلام	٦٣٣
طلبه الصفح	٦٣٤
اعترافه بذنبه	٦٣٤
رحمة الله سبحانه بعباده	٦٣٤
شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأُمَّته	٦٣٥
مثل من رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسن معاملته	٦٣٦
جزاء المطيعين لله الجنة	٦٣٨
قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده	٦٣٨
الإيمان بأحاديث الصفات كما وردت	٦٣٩
حديث البطاقة	٦٤١
عطف الرسول صلى الله عليه وسلم على هبار بن الأسود	٦٤٣
تعبير هبار لإيذاؤه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٤٣
رضاء الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان بعد إسلامه ، وإكرامه إياه	٦٤٤
ممازحة أبي سفيان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم	٦٤٤
من معجزاته صلى الله عليه وسلم	٦٤٤
يا نصر الله اقترب	٦٤٥

عطف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عبد الله بن أبي أُمَيَّة وأبي سفيان	
ابن الحارث وأهل مكة	٦٤٥
هل فتح مكة كان عنوة أو صلحاً ؟	٦٤٦
مذهب الشافعي في فتح مكة	٦٤٦
مذهب الجمهور	٦٤٦
ما ينبغي على قول الجمهور	٦٤٦
أصل الخلاف بين الشافعي والجمهور	٦٤٧
اختصاص مكة ببعض الأحكام عن سائر البلاد	٦٤٧
مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة	٦٤٨
سؤال إسحاق للإمام الشافعي عن كراء بيوت مكة المكرمة	٦٤٨
إخبار الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قاله الأنصار بعد الفتح	٦٤٩
إخبار الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما تحدثت به قريش عند أذان بلال	٦٥١
سيرة بلال بن رباح رضي الله عنه	٦٥٢
ما قاله القرشيون في شأن سيدنا بلال رضي الله عنه	٦٥٣
إخبار الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قاله فضالة بن عمير	٦٥٤
تحطيم الأصنام حول الكعبة	٦٥٥
خلود سدانة الكعبة في بني طلحة	٦٥٦
الحديث الذي جرى بين النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعثمان بن طلحة قبل إسلامه	
على باب الكعبة	٦٥٧
قصيدة حسان يهجو المشركين ويمدح النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأصحاب	
رضوان الله عليهم	٦٥٨
حكم أخذ الأجرة على دخول الكعبة	٦٥٨

(٢٨) غزوة حنين

في شوال سنة ثمان

٦٦٢	 موقع حنين
٦٦٢	 أسماء أخرى لهذه الغزوة
٦٦٢	 سبب هذه الغزوة
٦٦٣	 عتاب بن أسيد أمير مكة
٦٦٣	 عدد جيش المسلمين
٦٦٣	 عدد جيش هوازن
٦٦٣	 مالك بن عوف قائد جيش هوازن
٦٦٤	 معارضة دريد بن الصَّمَّة لمالك بن عوف النصري
٦٦٦	 الملائكة وعيون مالك بن عوف
٦٦٦	 وصف جواسيس مالك لما رأوه
٦٦٦	 تعرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبار القوم
٦٦٦	 تحسس عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي رضي الله عنه أخبار العدو
٦٦٧	 استعارة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدرعاً وسلاحاً من صفوان بن أمية
٦٦٧	 توجه النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ساحة المعركة
٦٦٨	 التحام القتال وثبات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض أصحابه
٦٧٠	 ترجيح الشارح بين الروايات المتعارضة
٦٧١	 رجوع المسلمين إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التفرق ثم انتصارهم
٦٧٢	 نداء الرسول صلى الله عليه وسلم جموع المسلمين واستجابتهم له
٦٧٢	 أمثال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم يسبق إليها
٦٧٣	 قصة أم سليم بنت ملحان
٦٧٤	 مدد الملائكة للمسلمين

- رمي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوه المشركين بالحصباء ٦٧٥
- معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٧٦
- تسخير البغلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧٦
- نداءؤه بمسمع من عدوه ٦٧٧
- أثر الحصباء في صفوف المشركين ٦٧٧
- حكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن من قتل قتيلاً فله سلبه ٦٧٨
- حديث أبي قتادة الأنصاري عمّا جرى له في المعركة ٦٧٨
- حكم الصديق رضي الله عنه دفع سلب المقتول لقاتله ٦٧٨
- هزيمة المشركين ٦٧٩
- المحادثة بين دريد بن الصمة وقاتله من الأنصار ٦٧٩
- ذكر بعض من ثبت مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم هوازن ٦٨٠
- علي بن أبي طالب والعمران وأبو سفيان بن الحارث ٦٨٠
- البهاء والسخاء والفقّه في دار العباس ٦٨١
- أسامة بن زيد ممن ثبت ٦٨١
- أيمن بن عبيد ممن ثبت ٦٨١
- قصة شيبة بن عثمان العبدي ، وإسلامه بعد قصده الغدر بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٦٨١
- مسح النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدر شيبة ٦٨٢
- حديث شيبة رضي الله عنه عن إسلامه ٦٨٢
- عزّمه على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٨٢
- نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبة ودعاؤه له ٦٨٣
- صموده دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٨٣
- كشف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أضمره شيبة لاغتياله ٦٨٣

العنوان	الصفحة
دفع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفاتيح الكعبة لشيبة	٦٨٣
القول في فرار من فر من الصحابة في هذه الغزوة	٦٨٤
النصر الكبير للمسلمين	٦٨٥
إبطال محاولة مالك بن عوف التجميع لقومه لإعادة الكرة على المسلمين	٦٨٦
عدد شهداء المسلمين وقتلى المشركين	٦٨٦
الغنائم والسبي	٦٨٦
جمع الغنائم بالجعرانة	٦٨٦
وصوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجعرانة	٦٨٦
توقع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعاد السبي إلى أهله	٦٨٧
قدوم وفد هوازن على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورده السبي إليهم	٦٨٧
استعطاف وفد هوازن للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراً	٦٨٨
رد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبي لهوازن	٦٨٩
تنازل المهاجرين والأنصار عمّا لهم من السبي	٦٨٩
تمسك بعض القبائل بحقها في السبي	٦٩٠
مفاوضة عيينة في العجوز التي كانت من نصيبه	٦٩٠
قصة الشيماء بنت الحارث	٦٩١
إكرام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخته وتخييرها	٦٩١
سخاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عطاياه	٦٩٢
عطاؤه السخي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سفيان وأبنائه رضوان الله عليهم	٦٩٣
أسماء من أجزل لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعطاء	٦٩٣
عطاياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخمس الخاص به	٦٩٤
مظاهر كرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٦٩٤
عطاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمؤلفة قلوبهم	٦٩٦

٦٩٦	عطاؤه صفوان بن أمية رضي الله عنه
٦٩٧	إسلام صفوان بن أمية رضي الله عنه
٦٩٧	ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه
٦٩٨	عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعنه العباس
٦٩٨	استدراك على الناظم
٦٩٩	موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خطبته فيهم
٧٠٢	بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس
٧٠٣	مبارزة أبي عامر واستشهاده
٧٠٤	دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عامر
٧٠٤	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خلف أبي عامر
٧٠٤	دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبيد أبي عامر
٧٠٥	ما يستفاد من الحديث

(٢٩) غزوة الطائف

٧٠٥	التعريف بالطائف
٧٠٥	المسافة من مكة إلى الطائف قديماً وحديثاً
٧٠٧	موقف الشارح من وجوه التسمية
٧٠٧	تحصن ثقيف بحصنهم في الطائف
٧٠٧	تاريخ الغزوة
٧٠٧	حصن الطائف
٧٠٨	حصار ثقيف
٧٠٩	اعتراض على تسمية العنب كرمًا والجواب عليه
٧٠٩	ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق

أَوَّلُ مَنْجَنِيْقٍ رَمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ	٧٠٩
إِبَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّعَاءَ عَلَى ثَقِيفٍ	٧١٠
سَمُوْ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٧١٠
أَشَدُّ مَا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَحْدَاثِ	٧١٠
دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِثَقِيفٍ رَغْمَ إِيْذَانِهِمْ	٧١١
مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْفَلِ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي فَتْحِ الطَّائِفِ فِي نَفْسِ الْعَامِ ..	٧١٢
تَحْرِيرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَرَجٍ إِلَيْهِ مُسْلِمًا مِنْ عِبِيدِهِمْ	٧١٢
الْمَوْقِفُ الْمَحْمُودُ لِعُثْمَانَ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٧١٢
أَمْرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحِيلِ إِذْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْفَتْحِ هَذَا الْعَامِ ..	٧١٣
مُظَاهَرُ رَفَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ	٧١٣
عَمْرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجَعْرَانَةِ	٧١٤
عَتَابُ بْنُ أَسِيدٍ أَمِيرُ مَكَّةَ	٧١٤
أَهْلُ مَكَّةَ أَهْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ	٧١٤

(٣٠) غَزْوَةُ تَبُوكَ

مَوْقِعُهَا	٧١٤
تَارِيخُهَا	٧١٥
سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ	٧١٦
حَثُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْنِيَاءَ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٧١٧
تَجْهِيزُ عُثْمَانَ ثَلَاثَ الْجَيْشِ	٧١٧
عُسْرَةُ الْمُجَاهِدِينَ	٧١٩
حَثُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِيَّاسِيرِ عَلَى إِعَانَةِ الْمَعَاسِيرِ	٧١٩
دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُغَاثَ الْمُسْلِمُونَ	٧٢٠

٧٢٠	مقدار ما بلغ بالمسلمين من الشدة
٧٢٠	البكّاءون للتخلف عن الجهاد
٧٢١	أسماء الصحابة الذين لم تكن لهم قدرة على الخروج لنقص المؤونة
٧٢١	بيوت الإيمان وبيوت النفاق
٧٢٢	الآية الكريمة تصف صدق حالهم
٧٢٢	موقف المعذرين والمنافقين
٧٢٣	الآيات في وصف المتخلفين بغير عذر
٧٢٤	استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة
٧٢٤	تصنيف الذين قعدوا عن الخروج للغزو
٧٢٤	الثلاثة المؤمنون المتخلفون
	حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٥	في غزوة تبوك
٧٢٦	تصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهته
٧٢٧	أصناف المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٧	سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن كعب بن مالك
٧٢٧	خيرة كعب بن مالك رضي الله عنه في تبرير تخلفه
٧٢٨	عدد المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٨	كعب بن مالك رضي الله عنه وحديثه الصادق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢٨	عتاب رجال من بني سلمة لكعب على موقفه الصريح
٧٢٩	وصف حال الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم الذين نهى المسلمون عن كلامهم
٧٢٩	محاولات كعب رضي الله عنه أن يجد التفاتة من النبي صلى الله عليه وسلم
٧٣٠	معاناة كعب رضي الله عنه من مقاطعة الصحابة
٧٣٠	عرض من ملك غسان لكعب بن مالك رضي الله عنه اللجوء إليه

- حرق كعب بن مالك رضي الله عنه خطاب ملك غسان ٧٣٠
- أمر الذين خلفوا رضي الله عنهم اعتزال زوجاتهم ٧٣٠
- استئذان امرأة هلال بن أمية رضي الله عنهما في خدمته ٧٣٠
- إحجام كعب رضي الله عنه عن استئذانه في خدمة زوجته له رضي الله عنهما ٧٣١
- ذروة الضيق الذي أصيب به الثلاثة رضوان الله عليهم ٧٣١
- النداء المبشر بالفرج ٧٣١
- انطلاق كعب رضي الله عنه سريعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٣١
- تهنئة النبي صلى الله عليه وسلم كعباً رضي الله عنه بقبول توبته ٧٣٢
- مظاهر سرور النبي صلى الله عليه وسلم ٧٣٢
- الآيات التي نزلت في توبة الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم ٧٣٢
- نتائج الصدق في تجربة كعب بن مالك رضي الله عنه ٧٣٢
- السبب في اشتداد غضب النبي صلى الله عليه وسلم على المتخلفين برغم أنَّ
الجهاد فرض كفاية ٧٣٣
- السبب في اختلاف التعامل للمنافقين عنه مع المتخلفين ٧٣٤
- قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر في الخروج ٧٣٤
- توافق أبي خيثمة مع عمير بن وهب رضي الله عنهما في الطريق إلى تبوك ... ٧٣٥
- قدوم أبي خيثمة وسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٣٥
- أبو خيثمة رضي الله عنه يذكر سبب إبطائه شعراً ٧٣٦
- سبب إبطاء أبي ذر جندب رضي الله عنه ٧٣٦
- قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله بحقه ٧٣٦
- ما تضمنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه من معجزات ٧٣٧
- خروج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة ووفاته بها ٧٣٨
- مرور الرسول صلى الله عليه وسلم بديار ثمود ونهيه عن شرب مائها ٧٣٨

٧٣٨	خبر الصحابييين اللذين خرجا منفردين وما أصابهما
٧٣٩	الحكمة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن انفراد الصحابة في الخروج في ديار ثمود
٧٤٠	قصة الرجلين اللذين خالفا النهي
	وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم البئر التي كانت تشرب منها ناقة صالح عليه
٧٤٠	الصَّلَاة والسَّلَام

تنبيهان

٧٤١	توفيق الشارح رحمه الله بين بعض الروايات
٧٤٢	آية وقعت بالحجر استجابة لدعاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٧٤٤	استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه لأُمَّتِهِ
٧٤٥	استسقاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستجابة المولى عزَّ وجلَّ لدعائه
٧٤٥	ذكر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب وما قاله فيه
٧٤٦	استخلاف علي على المدينة
٧٤٨	تخصيص النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً رضي الله عنه بسهمين
٧٤٨	الأجر على قدر الاتباع
٧٤٨	جهالة الشيعة وافترائهم
	موقف أهل السنة والجماعة من استخلاف النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً كَرَّمَ اللهُ
٧٤٩	وجهه
٧٤٩	حقيقة مذهب الشيعة
٧٥٠	حقيقة الخلاف في حب الصحابة بين الشيعة وأهل السنة والجماعة
٧٥٠	مقالة المنافق زيد بن اللصيت
٧٥٠	ضياع القصواء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث زيد بن اللصيت
٧٥١	إخبار النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن موقع ناقته القصواء وما هي عليه

٧٥٢	المعجزات النبوية في قصة زيد بن اللصيت
	الفوائد الجمّة من تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحديث الذي جرى على
٧٥٢	لسان زيد بن اللصيت
٧٥٣	قصة وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير
٧٥٤	تثبيط المنافقين للمسلمين عن مواجهة الروم
٧٥٥	تفسير ما ورد في الحديث
٧٥٥	إطلاق الطائفة على الواحد
٧٥٥	حكم الاستهزاء بالدين
٧٥٥	ما كان بعد الوصول إلى تبوك
٧٥٦	عهد الأمان من النّبيّ صلى الله عليه وسلم ليحنة بن ربيعة صاحب أيلة
٧٥٦	مدة إقامة النّبيّ صلى الله عليه وسلم بتبوك
٧٥٦	وفاة ذي البجادين المزني رضي الله عنه
٧٥٧	عودة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وجيشه إلى المدينة

خاتمة

نسال الله حسن الختام

في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث
إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم

٧٥٨	تاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٥٨	قابلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٥٨	شق صدره صلى الله عليه وسلم
٧٥٨	وفاة أمّه آمنّة ، ونشأته صلى الله عليه وسلم
٧٦٠	تحكيم قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود

العنوان	الصفحة
إرهاصات النبوة	٧٦٠
نبوته صلى الله عليه وسلم	٧٦٠
الهجرة إلى الحبشة وأول شهيدة في الإسلام	٧٦٠
خبر الصحيفة التي كتبت فيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب	٧٦١
عام الحزن	٧٦١
السنة الأولى من الهجرة وجملة أحداثها	٧٦١
أول جمعة في الإسلام	٧٦٢
تحويل القبلة إلى البيت الحرام	٧٦٢
أول من مات من المهاجرين بالمدينة ودفن بالبيع	٧٦٣
أوائل المولودين للمهاجرين والأنصار	٧٦٣
أول وافد مسلم إلى المدينة المنورة	٧٦٥
فرض شعيرة الحج	٧٦٥
استشهاد الأمراء الثلاثة	٧٦٦
ولادة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم	٧٦٦
عام الوفود	٧٦٧
الخطب العظيم الذي أصاب المسلمين	٧٦٨
لولا أبو بكر رضي الله عنه لهلك الأمة	٧٦٩
أبو ذؤيب الهذلي رضي الله عنه وحاله عند سماعه موت النبي صلى الله عليه وسلم	٧٦٩
وصف أبي ذؤيب المدينة بعد ما حلَّ بها الحدث العظيم	٧٦٩
وصف المقالات التي دارت في سقيفة بني ساعدة	٧٦٩
تحديد وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويوم دفنه	٧٧٠
شعور الصحابة وإحساساتهم بعد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم	٧٧٠
محتوى الكتاب	٧٧٥